أفضل مبيعات نيويورك تايمز

قُم

التاريخ السري

و

للاغتيالات

اقتل

الاسرائيلية المركزة

أولاً

رونين بيرغمان

ترجمة الهدهد

إذا جاء شخص ما ليقتلك، فانهض وأقتله /irsf

التلمود البابلوني، جرعات ساندهدرين، الجزء72، العدد 1

مقدمة:

يسعى مركز الهدهد دوماً عبر كافة منصاته وموقعه لتطوير ادواته التي تساعد في زيادة الوعي بالعدو الإسرائيلي، عبر متابعات إخبارية وتحليل لمضمون الخطاب الإعلامي الإسرائيلي إضافة لمجموعة متنوعة من المواضيع التي تشارك في دعم ومساندة الانسان الفلسطيني والعربي وايضاً صانع القرار الفلسطيني والعربي، وكذلك إقامة الندوات و الورش التي تفيد في تقريب وجهات النظر التي تفضي لاستخلاص اجود ما لدى الخبراء من أفكار تخدم القضية الفلسطينية.

وفي اطار تطوير المركز والموقع التابع له عكف مركز الهدهد على ترجمة بعض الكتب الإسرائيلية والأجنبية التي نرى فيها فائدة كبيرة، ويمكن من خلال قراءتها الاطلاع على طريقة عمل وتفكير العدو الإسرائيلي وخاصة في المواضيع الأمنية والعسكرية ولا شك ايضاً السياسية التي هي المحرك لكل المواضيع الأخرى.

لذلك قام طاقم مختص في مركز الهدهد بترجمة بعض الكتب المهمة، في هذا الإطار، وهذا الكتاب " قم واقتل أولاً" هو كتاب صادر في 2018، كتبه رونين بيرغمان عن تاريخ الاغتيالات التي قامت بها أجهزة المخابرات الإسرائيلية. يقول مؤلفه أن عدد من اغتالتهم إسرائيل أكثر ممن اغتالهم أي بلد غربي منذ الحرب العالمية الثانية. يسلط الكتاب الضوء على اغتيال مسئولين بريطانيين، أعضاء من حماس، حزب الله، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والعلماء النوويين الإيرانيين. لتأليف الكتاب، أجرى بيرغمان حوالي ألف مقابلة مع شخصيات سياسية وعملاء سريين ودرس آلاف الوثائق.

الهدهد

مُجتمع الاستخبارات الإسرائيلي:

هو مُجتمع يحفظ أسراره بدافع الغيرة من الآخرين، حيث يتسم بالغموض الجزئي، المحمي بواسطة مجموعة معقدة من القوانين والبروتوكولات، والرقابة العسكرية الصارمة، وترهيب ومقاضاة واستجواب الصحفيين ومصادرهم، فضلاً عن طبيعة التضامن والولاء بين موظفي وكالات التجسس.

اذ أن جميع اللمحات التي تم أخذها من وراء الكواليس، حتى يومنا هذا، كانت متحيزة في أحسن الأحوال.

كيف إذ طُلب منك تأليف كتاب عن واحدة من أكثر المُنظمات سرية على وجه الأرض؟

مساعٍ لأقناع الدفاع الاسرائيلي:

هي مساع خُصصت للتعاون في البحث عن هذا المشروع والتي ذهبت مهب الريح، حيث أن الطلبات المقدمة إلى مجتمع المخابرات وهيئة المحكمة العليا للامتثال إلى القانون عن طريق نقل وثائقه التاريخية إلى أرشيف الدولة والسماح بنشر مواد قُدر عمرها خمسين عامًا أو أكثر قوبلت بالصمت الحجري. تم تأجيل التماس إلى المحكمة العليا لإصدار أمر بالامتثال للقانون على مدى سنوات، بتواطؤ من المحكمة العليا، ولم ينته ذلك سوى بتعديل القانون نفسه بتمديد الأحكام السرية من خمسين إلى سبعين سنة، والذي كان أطول من تاريخ الدولة نفسها.

في وقت مبكر من عام 2010 لم يجلس جهاز الدفاع مكتوف الأيدي فقبل بتوقيع عقد هذا الكتاب، تم عقد اجتماع خاص في قسم العمليات في الموساد (قيسارية)، لمناقشة كيفية تعطيل هذا البحث وعدم نشره، وتمت كتابة رسائل إلى جميع موظفي الموساد السابقين، تُحذرهم من إجراء مقابلات شخصية. وأجريت محادثات فردية مع بعض الموظفين السابقين الذين اعتُبروا الأكثر إشكالية بالنسبة لهم.

في وقت لاحق من عام 2011، طلب رئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي (الملازم العام غابي أشكينازي) من الشاباك اتخاذ خطوات عدوانية ضد المؤلف، مدعيا أنني ارتكبت "جريمة التجسس المشدد" وحيازتي لأسرار سرية "باستخدام مواد سرية من أجل الحط من قدر [أشكنازي] شخصياً".

منذ ذلك الحين تم اتخاذ العديد من الإجراءات من قبل هيئات مختلفة لوقف نشر هذا الكتاب، أو على الأقل أجزاء كبيرة منه.

يطالب الرقيب العسكري وسائل الإعلام الإسرائيلية بإضافة عبارة "بحسب المنشورات الأجنبية" كلما ذُكرت أعمال سرية منسوبة إلى المخابرات الإسرائيلية، وفي مقدمتها الاغتيالات المستهدفة، وذلك للتوضيح أن وجود المنشور لا يشكل اعترافاً رسمياً بمسؤولية إسرائيل، ومن هذا المنطلق إذن، يجب اعتبار هذا الكتاب "منشوراً أجنبياً" لا تحتوي محتوياته على أي مصادقة إسرائيلية.

لم تتم الموافقة على أي من آلاف المقابلات التي استند إليها هذا الكتاب مع المصادر، والتي تراوحت بين القادة السياسيين ورؤساء أجهزة المخابرات إلى النشطاء أنفسهم من قبل مؤسسة الدفاع الإسرائيلية، وتم تحديد معظم المصادر بالأسماء، حيث يخشى الآخرون أن يتم التعرف عليهم، وبالتالي يشار إليهم بالأحرف الأولى أو بالأسماء المستعارة، بالإضافة إلى أي تفاصيل أخرى عنهم، تمكنتُ من تقديمها مع الاحتفاظ بسرية هوياتهم.

لقد اسْتفدتُ من آلاف من الوثائق التي قدّمَتها لي هذه المصادر، والتي تمت الإشارة إليها جميعًا لأول مرة هنا في هذا البحث، ولم تتلق مصادري إذنًا لإزالة المستندات المتعلقة بهم من أماكن عملهم، وبالتأكيد لم يكن لديهم إذن بنقلها إلي، وبالتالي فإن هذا الكتاب هو أبعد ما يمكن عن التاريخ المصرح به من قبل المخابرات الإسرائيلية.

فلماذا تحدثت هذه المصادر معي وزودتني بهذه الوثائق؟ لقد كان لكل منها دافعه الخاص، وفي بعض الأحيان كانت القصة وراء الكواليس أقل إثارة قليلاً من محتوى المقابلة نفسها، ومن الواضح أن بعض السياسيين ورجال المخابرات يمارسون مهنتان بارعتان للغاية في التلاعب والخداع، فكانا يحاولان استخدامي كقناة للتعبير عن نسختهم المفضلة من الأحداث، أو لتشكيل التاريخ بما يتناسب معهم، ولقد حاولت إحباط مثل هذه المحاولات من خلال مراجعة أكبر عدد ممكن من المصادر المكتوبة والشفوية.

لكن بدا لي أنه غالبًا ما كان هناك دافع آخر، له علاقة كبيرة بالتناقض الإسرائيلي بشكل خاص، من ناحية، يتم تصنيف كل شيء تقريبًا في البلاد على أنه يتعلق بالاستخبارات والأمن القومي ب"سري للغاية"، ومن ناحية أخرى يريد الجميع التحدث عما فعلوه، وأن هذه الأفعال

التي قد يخجل الناس في البلدان الأخرى من الاعتراف بها، عوضاً عن أنها تعتبر مصدر فخر للإسرائيليين، لأنه يُنظر اليهم كجماعة ملحوظة على أنها ضرورة من ضرورات الأمن القومي من حماية الأرواح الإسرائيلية المهددة، وهذا إن لم يكن وجود للدولة المحاصرة من وجهة نظرهم.

بعد فترة من الوقت تمكن الموساد من منع الوصول إلى البعض من مصادري (في معظم الحالات فقط بعد أن تحدثوا معي بالفعل). مات كثيرون منذ أن التقيت بهم، معظمهم لأسباب طبيعية. وهكذا، فإن الحسابات المباشرة التي قدمها هؤلاء الرجال والنساء لهذا الكتاب، والذين شهدوا وشاركوا في أحداث تاريخية مهمة هم في الحقيقة الوحيدون الموجودون خارج خزائن أسرار مؤسسة الدفاع الاسرائيلي.

أرشيف.

من حين لآخر، هم الوحيدون الموجودون على الإطلاق.

المقدمة:

مئير داغان رئيس الموساد الإسرائيلي، الجاسوس والقاتل الأسطوري دخل الغرفة متكئاً على عصاه كان يستخدمها منذ أن أصيب بلغم زرعه إرهابيون فلسطينيون، في السبعينيات كان شاباً يقاتلهم في قطاع غزة كضابط عمليات خاص.

كان داغان الذي يَعرف شيئًا أو شيئين عن قوة الأساطير والرموز، وكان حريصاً على عدم إنكار الشائعات التي تفيد بوجود شفرة مخبأة في العصا، والتي يمكن أن تكشفها بضغطة زر، كان رجلاً قصير القامة، قاتم اللون لدرجة أن الناس تفاجؤوا دائماً بسماع ذلك.

يُعتبر داغان من أصول بولندية وكان لديه معدة كبيرة بارزة مستديرة جعلت من حضوره مميزاً فعند حضوره للمناسبات، كان يرتدي قميصا بسيطاً مفتوح العنق، وبنطال أسود فاتح اللون وحذاء أسودا وبدا كما لو أنه لم يعر أي اهتمام خاص لمظهره، كان هناك شيء فيه يعبر عن ثقة ذاتية مباشرة ومقتضبة، وكاريزما هادئة ومهددة في بعض الأحيان.

كانت غرفة الاجتماعات التي دخلها داغان عصر ذلك اليوم، في 8 كانون الثاني (يناير) 2011، في أكاديمية الموساد شمال تل أبيب، فقد كانت المرة الأولى على الإطلاق، التي يلتقي رئيس وكالة التجسس بمجموعة من الصحفيين في قلب واحدة من أكثر المنشآت الإسرائيلية حراسةً وسرية.

لم يكن داغان يحب وسائل الإعلام وقال لي لاحقاً: **"لقد توصلتُ إلى استنتاج مفاده أنه وحش لا يشبع لذلك لا فائدة مرجوة من الحفاظ على علاقة معه".**

ومع ذلك، قبل ثلاثة أيام من الاجتماع، تلقيت أنا وعدد من المراسلين دعوة سرية، لقد كنت متفاجئاً، على مدار عقد كامل، كنت أُوجه بعض الانتقادات القاسية للموساد، بشكل خاص في داغان، مما جعله غاضبًا للغاية.

بذل الموساد كل ما في وسعه لإضفاء جو من العباءة والخنجر على هذه القضية، قيل لنا أن نأتي إلى موقف السيارات في Cinema City، (هو مُجمع للسينما ليس بعيدًا عن المقر الرئيسي للموساد)، وأن نترك كل شيء في سياراتنا باستثناء أجهزة الكمبيوتر المحمولة وأدوات الكتابة، قال لنا مرافقينا: "سيتم تفتيشك بعناية، ونريد تجنب أي إزعاج". من هناك تم نقلنا في حافلة ذات نوافذ مظلمة إلى مجمع المقر الرئيسي للموساد، مررنا بعدد من البوابات الكهربائية

واللافتات الإلكترونية التي تحذر من يدخلون بما هو مسموح وما هو محرم داخل المحيط، ثم قاموا بفحص شامل بأجهزة الكشف عن المعادن للتأكد من أننا لم نحضر أي معدات تسجيل فيديو أو صوت، دخلنا غرفة الاجتماعات، وجاء داغان بعدنا بدقائق قليلة، يتجول ويصافح، وعندما وصل إلي، أمسك بيدي للحظة وقال بابتسامة، "أنت حقًا تعتبر قاطع طريق."

ثم جلس وكان يحيط به المتحدث باسم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس الرقابة العسكرية، وقائد لواء(أنثى)، (الموساد هو وحدة تابعة لمكتب رئيس الوزراء، وبموجب القانون الوطني، فإن الإبلاغ عن أي من أنشطته يخضع للرقابة). ويعتقد هذان المسؤولان أن داغان دعا إلى هذا الاجتماع، لمجرد محاولة توديع رسمي للشعب، الذي غطى فترة الحكم، وأنه لن يقول أي شيء ثابت أو حقيقي وقتها.

لقد كانوا مخطئين كانت المفاجأة واضحة على وجه المتحدث باسم رئيس الوزراء، الذي اتسعت عيناه كلما واصل داغان حديثه.

قال داغان مستهلاً كلمته: "هناك عدة مزايا لتلقي إصابة في الظهر تحصل على شهادة طبيب تؤكد أنك لست ضعيفًا." وسرعان ما أدركنا أن هذا لم يكن مجرد حكمة، حيث شن داغان هجومًا عنيفًا على رئيس وزراء إسرائيل، وزعم داغان أن بنيامين نتنياهو كان يتصرف بشكل غير مسؤول، ولأسبابه الأنانية، قاد البلاد إلى كارثة، وكانت إحدى استهزاءاته: "أن يتم انتخاب شخص ما لا يعني أنه ذكي".

كان هذا هو اليوم الأخير من ولاية داغان كمدير للموساد، كان نتنياهو يريه الباب وداغان الذي كان حُلم حياته أن يشغل منصب أكبر جاسوس لإسرائيل، وهو لن يقف مكتوف الأيدي، واندلعت أزمة الثقة الحادة بين الرجلين حول قضيتين، وكلاهما مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بسلاح مئير داغان المفضل: ألا وهو الاغتيال.

قبل ثماني سنوات عُيّن أرييل شارون داغان في منصب الموساد وكلفه بمهمة تعطيل مشروع الأسلحة النووية الإيرانية، الذي اعتبره الرجلان تهديدًا خارجيًا لإسرائيل، لقد تصرف داغان بعدد من الطرق لإنجاز هذه المهمة، ويعتقد داغان أن الطريقة الأكثر صعوبة، لكن الأكثر فاعلية أيضًا، هي تحديد علماء إيران النوويين وعلماء الصواريخ وتحديد مواقعهم، ويقوم بعد ذلك بقتلهم ولقد حدد الموساد خمسة عشر هدفاً من هذا القبيل، قُضي على ستة منهم، معظمهم عندما كانوا في طريقهم إلى العمل في الصباح، عن طريق القنابل ذات الصمامات القصيرة ،

التي يعلقها سائق دراجة نارية على سياراتهم، بالإضافة إلى ذلك، تم تفجير لواء في الحرس الثوري الإيراني في مقره مع سبعة عشر من رجاله، وكان هذا الواء مسؤولاً عن مشروع الصواريخ.

كانت هذه العمليات والعديد من العمليات الأخرى التي بدأها الموساد، بعضها بالتعاون مع الولايات المتحدة، كلها ناجحة، لكن نتنياهو ووزير دفاعه إيهود باراك، بدؤا يشعُران بأن فائدتها آخذة في التراجع، ولقد قرروا أن الإجراءات السرية لم تعد قادرة على تأخير المشروع النووي الإيراني بشكل فعال، وأن القصف الجوي المكثف للمنشآت النووية الإيرانية سيُوقف بنجاح تقدمهم نحو الحصول على مثل هذه الأسلحة.

عارض داغان بشدة هذه الفكرة في الواقع، لقد حلقت في وجه كل ما كان يؤمن به هو، وقال: أن الحرب المفتوحة يجب أن تُشن فقط عندما "يكون السيف على حلقنا"، أو كملاذ أخير، في المواقف التي لا يوجد فيها خيار آخر، وكل شيء آخر يمكن ويجب التعامل معه بوسائل سرية.

وقال أيضاً:" الاغتيالات لها تأثير على الروح المعنوية كما لها تأثير عملي، لا أعتقد أن هناك الكثير ممن كان بإمكانهم استبدال نابليون، أو رئيس مثل روزفلت أو رئيس وزراء مثل تشرشل، حيث يلعب الجانب الشخصي دورًا بالتأكيد، صحيح أنه يمكن استبدال أي شخص، ولكن هناك فرق بين استبدال شخص بشخص آخر يتميز بشخصية شجاعة، واستبدال شخص بشخص ذا شخصية ميتة أو تفتقر للحياة".

علاوة على ذلك، فإن استخدام الاغتيال من وجهة نظر داغان: "أنه استخدام أخلاقي أكثر بكثير" من شن حرب شاملة، وإن تحييد عدد قليل من الشخصيات الرئيسية يكفي لجعل الخيار الأخير غير ضروري، وإنقاذ حياة أعداد لا تُحصى من الجنود والمدنيين من كلا الجانبين، فالهجوم واسع النطاق ضد إيران من شأنه أن يؤدي إلى صراع واسع النطاق في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وحتى في ذلك الحين من المحتمل ألا يتسبب في أضرار كافية للمنشآت الإيرانية.

وأخيراً من وجهة نظر داغان، إذا بدأت إسرائيل حربًا مع إيران، فسيكون ذلك بمثابة اتهام يلاحقه طوال حياته المهنية.

وكُتب التاريخ تُظهر أنه لم ينجز المهمة التي كلفه بها شارون: لإنهاء الاستحواذ النووي الإيراني عن طريق وسائل خفية، لعدم اللجوء إلى هجوم مفتوح.

معارضة داغان والضغوط الشديدة المماثلة، من كبار قادة الجيش والمخابرات، أُجبرت على التأجيل المتكرر للهجوم على إيران، حتى أن داغان أطلع مدير وكالة الاستخبارات المركزية ليون بانيتا، على الخطة الإسرائيلية، (يزعم رئيس الوزراء أنه فعل ذلك بدون إذن)، وسرعان ما حذر الرئيس أوباما نتنياهو من الهجوم.

تصاعد التوتر بين الرجلين بشكل أكبر في عام 2010، بعد سبع سنوات من تولي داغان لمنصبه، أرسل داغان فريق اغتيال مؤلف من 27 عميل من عملاء الموساد إلى دبي، للقضاء على مسؤول كبير في جماعة حماس الفلسطينية المسلحة، ولقد قاموا بالمهمة بالفعل: حيث قام القتلة بحقنه بمخدر شل حركته في غرفته بالفندق، وهربوا من البلاد قبل اكتشاف الجثة، ولكن بعد فترة وجيزة من مغادرتهم وبسبب سلسلة من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبوها، متناسيين مراعاة وجود عدد لا يحصى من كاميرات المراقبة في دبي، واستخدام نفس جوازات السفر المزيفة التي استخدمها النشطاء سابقًا لدخول دبي من أجل متابعة الهدف، ونظام الهاتف التاي لم تواجه الشرطة المحلية مشكلة في اختراقه، وسرعان ما شاهد العالم بأسره لقطات فيديو لوجوههم وسِجل كامل لتحركاتهم، والاكتشاف أن عملية الموساد هذه كانت لإلحاق أضرار عملياتية خطيرة بالوكالة، فضلاً عن إحراج عميق لدولة إسرائيل، التي تم ضبطها مرة أخرى باستخدام جوازات سفر مزورة لدول غربية صديقة لعملائها.

" لكنك أخبرتني أن الأمر سيكون سهلاً وبسيطًا، وأن خطر حدوث أخطاء كان قريب من الصفر"، هذا ما قاله نتنياهو في داغان، وأمره بتعليق العديد من خطط الاغتيال والعمليات الأخرى المعلقة حتى إشعار آخر.

أصبحت المواجهة بين داغان ونتنياهو أكثر حدة، إلى أن قرر نتنياهو (بحسب روايته) عدم تمديد ولاية داغان، أو (على حد تعبير داغان): "لقد سئمت منه وقررت التقاعد".

وببيان موجز في أكاديمية الموساد وفي عدد من المقابلات اللاحقة لهذا الكتاب، أظهر داغان ثقة قوية في أن الموساد تحت قيادته، وأنه كان قادرًا على منع الإيرانيين من صنع أسلحة نووية عن طريق الاغتيالات وغيرها من الإجراءات الدقيقة، على سبيل المثال، العمل مع الولايات المتحدة لمنع الإيرانيين من أن يكونوا قادرين على استيراد أجزاء مهمة لمشروعهم

النووي، والذي لا يمكنهم من القدرة على تصنيعها بأنفسهم، إذا تمكنا من منع إيران من الحصول على بعض المكونات، فسيؤدي ذلك إلى إلحاق ضرر جسيم بمشروعها. يوجد في السيارة 25000 قطعة في المتوسط. تخيل لو كان مائة منهم في عداد المفقودين. سيكون من الصعب جدا تحقيق ذلك ".

"من ناحية أخرى" أضاف داغان مبتسماً وعائداً إلى طريقة عمله المفضلة "في بعض الأحيان يكون قتل السائق هو الأكثر فعالية وهذا كل شيء".

—

من بين جميع الوسائل التي تستخدمها الدول الديمقراطية لحماية أمنها، ليس هناك ما هو أكثر إثارة للجدل من "قتل السائق" ألا وهو الاغتيال، والبعض يسميها "تصفية" لأسباب قانونية، فمجتمع الاستخبارات الأمريكية يطلق عليها "القتل المستهدف" من الناحية العملية، وجميع هذه المصطلحات ترقى إلى نفس الشيء: قتل فرد معين من أجل تحقيق هدف محدد كإنقاذ حياة الأشخاص الذين ينوي الهدف قتلهم، وتجنُب فعل خطير يكون على وشك ارتكابه، وأحيانًا إزالة زعيم من أجل تغيير مجرى التاريخ.

يلامس استخدام الاغتيالات من قبل الدولة معضلتين صعبتين للغاية، أولاً، هل هي فعالة؟ هل يمكن للقضاء على فرد أو عدد من الأفراد، أن يجعل العالم مكانًا أكثر أمانًا؟ ثانياً، هل هو مبرر أخلاقياً وقانونياً؟ هل من الشرعي، أخلاقياً وقضائياً، أن توظف دولة ما أخطر الجرائم في أي مدونة للأخلاق أو قانون القتل المتعمد لحياة الإنسان من أجل حماية مواطنيها؟

يتناول هذا الكتاب بشكل أساسي الاغتيالات والقتل المُستهدف التي نفذها الموساد وأذرع أخرى للحكومة الإسرائيلية، في كُل وقت من السلم والحرب، وكذلك في الفُصول الأولى، من قبل الميليشيات السرية في حُقبة ما قبل الدولة، وهي المُنظمات التي كانت ستصبح جيشاً يقدم خدمات استخباراتية للدولة بمُجرد إنشائها.

مُنذ الحرب العالمية الثانية اغتالت إسرائيل أُناساً أكثر من أي دولة أُخرى في العالم الغربي، في مُناسبات لا حصر لها، كان قادتها يوازنون ما يمكن أن يكون أفضل طريقة للدفاع عن أمنها القومي، ومن بين جميع الخيارات، قرروا مراراً وتكراراً عمليات سرية بالاغتيال بطريقة الاختيار، كانوا يعتقدون أن هذا من شأنه أن يحل المشاكل الصعبة التي تواجهها الدولة، وأحياناً من شأنه أيضاً أن يُغير مجرى التاريخ، وفي كثير من الحالات قرر قادة إسرائيل أنه من أجل قتل الهدف المُحدد، فمن الأخلاقي والقانوني عدم تعريض المدنيين الأبرياء للخطر، الذين قد يجدون أنفسهم في خط النار، ويعتقدون أن إيذاء مثل هؤلاء هو شر لا بد منه.

الأرقام تتحدث عن ذاتها حتى بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية في سبتمبر 2000 عندما بدأت إسرائيل بالرد على التفجيرات الانتحارية عن طريق الاستخدام اليومي للطائرات المُسلحة بدون طيار لتنفيذ الاغتيالات، نفذت الدولة حوالي 500 عملية قتل مستهدف، وفي هذه العمليات، قُتل ما لا يقل عن 1000 شخص من المدنيين والمطلوبين، وخلال الانتفاضة الثانية نفذت إسرائيل حوالي 1000 عملية أُخرى، نجح منها 168 عملية، منذ ذلك الحين وحتى كتابة هذا الكتاب نفذت إسرائيل حوالي 800 عملية قتل مُستهدف كانت جميعها تقريباً جزءاً من جولات الحرب ضد حماس في قطاع غزة في الأعوام 2008 و 2012 و 2014 أو عمليات أخرى للموساد عبر الشرق الأوسط، ضد أهداف فلسطينية وسورية وإيرانية، في المقابل خلال رئاسة جورج دبليو بوش، نفذت الولايات المُتحدة الأمريكية 48 عملية قتل مُستهدف بحسب أحد التقديرات، وفي عهد الرئيس باراك أوباما كان هُناك 353 هجمة من هذا القبيل.

إن اعتماد إسرائيل على الاغتيالات كأداة عسكرية لم يحدث عن طريق الصدفة، بل كان نابعاً من الجذور الثورية والناشطة للحركة الصهيونية، ومن صدمة الهولوكوست، والإحساس الموجود لدى قادة ومواطني إسرائيل بأن الدولة وشعبها يتعرضون دائماً لخطر الإبادة وأنه كما في الهولوكوست، لن يُساعدهم أحد عندما يحدث ذلك.

بسبب أبعاد إسرائيل الصغيرة ومحاولات الدول العربية لتدميرها حتى قبل إنشائها، وتهديداتهم المستمرة بالقيام بذلك والتهديد الدائم للإرهاب العربي، طورت الدولة جيشاً فعالاً للغاية، وربما

أفضل مجتمع استخباراتي في العالم، وهم بدورهم طوروا آلة الاغتيال الأكثر قوة وانسيابية في التاريخ.

ستُفصِل الصفحات التالية أسرار تلك الآلة التي كانت ثمرة الزواج المُختلط بين حرب العصابات والقوة العسكرية لمحطة عمل الطاقة التكنولوجية، من عملاءها وقادتها وأساليبها ومداولاتها ونجاحاتها وإخفاقاتها، فضلاً عن التكاليف الأخلاقية، سوف يوضِحون كيف نشأ نظامان قانونيان منفصلان في إسرائيل، أحدهما للمواطنين العاديين، والآخر لمُجتمع الاستخبارات ومؤسسة الدفاع، وقد سمح النظام الأخير من الحكومة بنظام الإيماءة والغمزة، وأعمال الاغتيال التي تسببت بإشكالية كبيرة لكونها بدون رقابة برلمانية أو عامة، مما أدى إلى فقدان العديد من الأرواح البريئة.

من ناحية أخرى فإن سلاح الاغتيال المُستند إلى معلومات استخباراتية "ليست أقل من رائعة" على حد تعبير الرئيس السابق لوكالة الأمن القومي ووكالة الاستخبارات المركزية الجنرال مايكل هايدن، الذي جعل حرب إسرائيل على الإرهاب الأكثر فاعلية على الإطلاق من قبل دول الغرب في مناسبات عديدة، فكان القتل المُستهدف هو الذي أنقذ إسرائيل من أزمات خطيرة للغاية.

لقد تخلص الموساد وأذرع الاستخبارات الإسرائيلية الأخرى من الأفراد الذين تم تحديدهم على أنهم يمثلون تهديدات مباشرة للأمن القومي، كما أن قتلهم أرسل رسالة أكبر؛ إذا كنت عدواً لإسرائيل، فسنجدك ونقتلك أينما كنت، لقد سُمِعت هذه الرسالة بالفعل في جميع أنحاء العالم، إن الأخطاء الفادحة والمتخبطة التي تَحْدث بين الحين والآخر لم تؤَد إلا إلى تعزيز سُمعة الموساد العدوانية والقاسية، والتي ليست بالأمر السيئ، عندما يكون هدف الردع مهماً مثل هدف استباق أعمال عدائية مُحددة.

لم تتم الاغتيالات كلها من قبل مجموعات صغيرة ومغلقة، وكلما زاد تعقيدها زاد عدد المُشاركين في بعض الأحيان بما يصل إلى المئات، ومعظمهم دون سن الخامسة والعشرين، أحياناً يأتي هؤلاء الشباب مع قادتهم للقاء رئيس الوزراء الوحيد المخول له بإعطاء الضوء الأخضر لعملية اغتيال من أجل شرح العملية والحصول على الموافقة النهائي، ومثل هذه الاجتماعات التي يكون مُعظم المشاركين المُتحمسين فيها ممن يُدافعون عن موت شخص ما دون سن الثلاثين

عاماً، رُبما تكون فريدة من نوعها في إسرائيل، وبعض من الضُباط من ذوي الرُتب الدُنيا الذين شاركوا في مثل هذه الاجتماعات على مر السنين ليُصبحوا قادة وطنيين وحتى رُؤساء وُزراء لأنفسهم، فما هي العلامات التي بقيت كعلامة لديهم منذ وقت مُشاركتهم في عمليات الهجوم؟

لقد اتخذت الولايات المتحدة أساليب جمع المعلومات الاستخباراتية والاغتيالات التي تم تطويرها في إسرائيل كنموذج، وبعد أحداث 11 سبتمبر وقرار الرئيس بوش إطلاق حملة اغتيالات ضد القاعدة، قامت بزرع بعض هذه الأساليب في استخباراتها وأنظمة الحرب على الإرهاب، كأنظمة القيادة والسيطرة، وغُرف الحرب وأساليب جمع المعلومات، وتكنولوجيا الطائرات بدون طيار، التي تخدم الآن الأمريكيين وحُلفائهم، كلها تم تطويرها إلى حد كبير في إسرائيل.

وفي أيامنا هذه عندما يتم استخدام نفس النوع من القتل الخارج عن القانون، الذي استخدمته إسرائيل لعقود يومياً من قِبل أمريكا ضد أعدائها، فمن المناسب ليس فقط الإعجاب بالقدرات العملياتية المذهلة التي بنتها إسرائيل، ولكن أيضاً دراسة الثمن الأخلاقي الباهظ الذي تم دفعه، ولا يزال يتم دفعه حتى الآن مقابل استخدام هذه القوة.

رونين بيرجمان

تل أبيب

1

الفصل الأول: بالدم والنار

في 29 سبتمبر 1944، اختبأ ديفيد شومرون في جو من الكآبة العارمة في شارع سانت جورج، بالقرب من الكنيسة الرومانية في القدس، التي تم استخدامها كمسكن للضُباط من قبل السُلطات البريطانية التي كانت تحكُم فلسطين، وكان شومرون ينتظر أحد هؤلاء الضُباط والذي يُدعى توم ويلكين لمُغادرة البلاد.

كان ويلكين قائد الوحدة اليهودية في إدارة التحقيقات الجنائية (CID) في الانتداب البريطاني لفلسطين، وكان جيداً جداً في وظيفته، لاسيما الجُزءِ الذي ينطوي على التسلل وتعطيل الحركة السرية اليهودية، كان عدوانياً لكنه أيضاً صبوراً ويحسب حساباته بشكل استثنائي، يتحدث ويلكين العبرية بطلاقة، وبعد ثلاثة عشر عاماً من الخدمة في فلسطين، كان لديه شبكة واسعة من المُخبرين، وبفضل المعلومات الاستخباراتية التي قدمها تم اعتقال مُقاتلين سريين، والاستيلاء على مخابئ أسلحتهم وإحباط عملياتهم المُخططة لإرغام البريطانيين على مُغادرة فلسطين.

وهذا هو السبب الذي جعل شومرون وشريكه يُقتلا في تلك الليلة، يعقوب باناي (المُلقب بالرمز"Mazal "Luck)، كانا عُملاء مع ليحي (Lehi)، أكثر الحركات الصُهيونية السرية التي كانت تُقاتل البريطانيين في أوائل الأربعينيات، وعلى الرُغم من أن ليحي كان اختصاراً للعبارة العبرية "**مُقاتلون من أجل حُرية إسرائيل**"، لقد اعتبرها البريطانيون مُنظمة إرهابية، مُشيرين إليها باستخفاف باسم عصابة شتيرن، على اسم مؤسسها القومي المتطرف أفراهام شتيرن، استخدمَ شتيرن ومجموعته الصغيرة من التابعين الفوضى الحاصلة بهدف القيام بالاغتيالات والتفجيرات في حَمْلة "**الإرهاب الشخصي**" كما وصفها رئيس عمليات ليحي و(رئيس الوزراء الإسرائيلي لاحقًا) يتسحاق شامير.

عرف ويلكين أنه كان هدفاً وقد حاول ليحي بالفعل قتله هو ورئيسه جيفري مورتون، قبل ما يُقرب من ثلاث سنوات، في أول عملية خرقاء له، في 20 كانون الثاني من يناير 1942 زرع القتلة عبوات ناسفة على السطح وداخل المبنى الموجود في شارع ياعيل 8 في تل أبيب، وبدلاً من ذلك انتهى بهم الأمر بقتل ثلاثة من ضُباط الشُرطة، اثنان من اليهود ورجل إنجليزي وصل قبل ويليكين ومورتون ونقضا التُهم المُوجهة إليهما، وفي وقت لاحق فر مورتون من فلسطين بعد أن أُصيب في محاولة أُخرى لاغتياله انتقاماً منه بعد أن قتل شتيرن بالرصاص.

أياً من هذه التفاصيل ذهابا وإيابا منْ قتلَ منْ وبأي ترتيب كانت تهم لشومرون، وعندما احتل البريطانيون الأرض التي اعتبرها الصهاينة حقهم وهذا ما كان يهمّهم، وقام شامير بإصدار حُكماً بالإعدام ضد ويلكين.

بالنسبة لشومرون ورفاقه، لم يكن ويلكين بالنسبة لهم شخصاً بل كان هدفاً بارزًا وذو قيمة عالية، وقال شومرون بعد عقود: **"لقد كنا مشغولين وجائعين للغاية بحيث لا يُمكننا التفكير في البريطانيين وعائلاتهم"**.

بعد اكتشاف أن ويلكين كان يُقيم في مُلحق الكنيسة الرومانية، انطلق القتلة في مهمتهم، كان لدى شومرون وبناي مُسدسات وقنابل يدوية في جُيوبهم، وكان عُملاء ليحي الآخرون في الجوار يرتدون بدلات وقُبعات أنيقة ليبدو مثل الإنجليز، غادر ويلكين مساكن الضباط في الكنيسة وتوجه إلى مرفق إدارة التحقيقات الجنائية في المجمع الروسي، حيث تم احتجاز المُشتبه بهم واستجوابهم تحت الأرض، وكما هو الحال دائماً "كان حذراً" وهو يتفحص الشارع أثناء سيره، ويحتفظ بإحدى يديه في جيبه طوال الوقت، وبينما كان يمر عند زاوية شارعي مار جورج وميا شعارم، نهض شاب يجلس خارج محل بقالة الحي وقام بإلقاء قُبعته على الأرض، كانت هذه هي الإشارة وبدأ القاتلان يتجهان نحو ويلكين، وحددا هويته وفقاً للصور التي درساها، وسمح له شومرون وبناي بالمرور، ثم أمسكوا بمسدساتهم بأشجار النخيل، ثم استداروا وأطلقوا النار، يتذكر شومرون: **"قبل أن نقوم بذلك قال مزال (بناي)، دعني أطلق النار أولاً، ولكن عندما رأيناه، أعتقد أنني لم أستطع كبح جماح نفسي وقمت بإطلاق النار أولاً "**.

فيما بينهم قام بناي وشومرون بإطلاق الرصاص أربعة عشر مرة، أصابت ولیكين إحدى عشرة رصاصة وقال شومرون: **"لقد تمكن ويليكن من الالتفاف وسحب مسدسه، ولكن بعد ذلك**

سقط على وجهه على الفور، تدفق سيل من الدماء من جبين رأسه مثل الينبوع، لم تكن صورة جميلة " اندفع شومرون وباناي عائدين إلى الظل وانطلقوا في سيارة أجرة، كان ينتظرهم فيها رجل ليحي آخر.

قال شومرون: **"الشيء الوحيد الذي آلمني هو أننا نسينا أخذ الحقيبة التي كان بها جميع الوثائق التي تخصه، بخلاف ذلك لم أشعر بأي شيء، ولا حتى وخزة قليلة من الشعور بالذنب، كنا نعتقد أنه كُلما زادت عدد التوابيت التي وصلت إلى لندن، كلما اقترب يوم الحُرية".**

الفكرة القائلة بأن عودة شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل لا يًمكن أن تتحقق إلا بالقوة، والتي لم تولد مع شتيرن ورفاقه في ليحي.

تعود جذور هذه الاستراتيجية إلى ثمانية رجال كانوا يجتمعون في شقة خانقة من غرفة واحدة تطل على بستان برتقال في يافا في 29 سبتمبر 1907 بالضبط قبل سبعة وثلاثين عاماً من تدفق ينبوع الدم من رأس ويلكين، عندما كانت فلسطين لا تزال جزءاً من الإمبراطورية العُثمانية التُركية، استأجر شقة رجلٌ يدعى يتسحاق بن تسفي، شاب روسي هاجر إلى فلسطين العُثمانية في وقت سابق من ذلك العام، لقد كان مثل الآخرين في شُقته من تلك الليلة، وكان جميع المُهاجرين من الإمبراطورية الروسية يجلسون على حصيرة من القش المنتشرة على أرضية الغُرفة المُضاءة بالشموع، كان يتسحاق بن تسفي صهيونياً ملتزماً، وإن كان جزءاً من طائفة مُنشقة كانت قد هددت ذات مرة بتمزيق الحركة.

تأسست الصهيونية كأيديولوجية سياسية في عام 1896 عندما نشر الصحفي اليهودي الفييني تيودور هرتزل كتاباً بعنوان (Der Judenstaat The Jewish State) وكان قد تأثر بشدة أثناء تغطيته لمُحاكمة ألفريد دريفوس، الذي كان ضابطاً في الجيش اليهودي اتُهم ظلماً وأُدين بالخيانة في باريس.

جادل هرتزل في كتابه بأن مُعاداة السامية كانت مُتجذرة بعمق في الثقافة الأوروبية لدرجة أن الشعب اليهودي لا يُمكنه تحقيق الحُرية والأمان الحقيقيين إلا في دولة قومية خاصة به، النخبة

اليهودية في أوروبا الغربية الذين تمكنوا من توفير حياة مريحة لأنفسهم، رفضوا هرتزل في الغالب، لكن أفكاره لاقت صدى لدى الفقراء واليهود من الطبقة العاملة في أوروبا الشرقية، الذين عانوا من المذابح المتكررة والقمع المستمر والتي رد عليها البعض من خلال الانضمام إلى الانتفاضات اليسارية.

لقد رأى هرتزل أن فلسطين موطن أجداد اليهود، وأنها المكان المثالي لدولة يهودية مُستقبلية، لكنه أكد أن أي مستوطنة هُناك يجب أن يتم التعامل معها بشكل مُتعمد ودقيق، من خلال القنوات الدبلوماسية المناسبة والعُقوبات الدولية، فإذا كانت دولة يهودية تريد أن تبقى على قيد الحياة بسلام، فذاك بفضل وجهة نظر هرتزل بالصهيونية السياسية.

من ناحية أُخرى كان بن تسفي ورفاقه السبعة مثل مُعظم اليهود الروس الآخرين الصهاينة، بدلاً من انتظار بقية العالم لمنحهم منزلاً، آمنوا بصُنع منزل خاص بهم عن طريق الذهاب إلى فلسطين، والعمل في الأرض وجعل الصحراء تزدهر، مما سيجعلهم يأخذون ما يعتقدون أنه من حقهم، وسيدافعون عما قد أخذوه.

وهذا ما وضع الصهاينة الوافدين في صراع فوري مع مُعظم اليهود الذين كانوا يعيشون بالفعل في فلسطين، باعتبارهم أقلية صغيرة في أرض عربية، فإن العديد منهم كانوا منخرطين في حياتهم مع الفلسطينيين، منهم من كان من الباعة المتجولين ومنهم علماء الدين وموظفين في ظل النظام العُثماني، وفضلوا عدم لفت الأنظار، من خلال الخُنوع والتسوية والرشوة، وبالتالي تمكن هؤلاء اليهود الفلسطينيون من شراء سلام نسبي وقدراً من الأمان.

لكن بن تسفي والوافدين الجُدد الآخرين أُصيبوا بالفزع من الظُروف التي تحملها إخوانهم اليهود، كان الكثيرون يعيشون في فقر مُدقع ولم يكن لديهم أي وسيلة للدفاع عن أنفسهم، كانوا تماماً تحت رحمة الأغلبية العربية والمسؤولين الفاسدين للإمبراطورية العثمانية الفاسدة، هاجمت الحُشود العربية المُستوطنات اليهودية ونهبتها ونادراً ما كانت لها أي عواقب من قبل المُهاجمين.

والأسوأ من ذلك كما رآه بن تسفي والآخرون، أن تلك المُستوطنات نفسها قد سلّمت دفاعها للحُراس العرب الذين يتعاونون بدورهم أحياناً مع مُهاجمة المجموعات الغوغائية.

وجد بن تسفي وأصدقاؤه أن هذا الوضع لا يُمكن تحمله ولا يطاق بأي حال من الأحوال، وكان بعضهم أعضاء سابقين في الحركات الثورية اليسارية الروسية المستوحاة من إرادة الشعب

(ناروديايا فوليا) وهي حركة حرب عصابات عدوانية مُناهضة للسارية، استخدمت تكتيكات إرهابية بما في ذلك الاغتيالات.

بخيبة أمل من ثورة 1905 الفاشلة في روسيا، والتي لم تُنتج في النهاية سوى الحد الأدنى من الإصلاحات الدستورية، انتقل بعض هؤلاء الثوريين الاشتراكيين والديمقراطيين الاجتماعيين والليبراليين إلى فلسطين العُثمانية لإعادة تأسيس الدولة اليهودية.

كانوا جميعاً في فقر مُدقع وبالكاد يكسبون قوتهم ويكسبون عائداً مادياً من وظائف التدريس أو العمل اليدوي في الحُقول وبساتين البرتقال التي كانوا يعملون بها، وغالباً ما يُعانون من الجوع، لكنهم كانوا دائماً فخورين بأنفسهم، فإذا كانوا يريدون إنشاء أمة، فعليهم أولاً الدفاع عن أنفسهم، لذلك تسللوا في شوارع يافا في أزواج لوحدهم، وشقوا طريقهم إلى الاجتماع السري في شقة بن تسفي، في تلك الليلة شكل هؤلاء الأشخاص الثمانية أول قوة قتالية عِبرية في العصر الحديث، لقد أصدروا قراراً أنه مُنذ ذلك الحين إلى ما بعد، كل شيء سيكون مختلفاً عن صورة اليهودي الضعيف والمُضطهد في جميع أنحاء العالم، اليهود هم فقط من سيدافعون عن اليهود في فلسطين.

أطلقوا على جيشهم الوليد (حينها) اسم بار جيورا، على اسم أحد قادة الثورة اليهودية العظيمة ضد الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول، وعلى رايتهم أشادوا بهذا التمرد منذ القِدم، وتوقعوا مستقبلهم، حيث كُتب عليها "**بالدم والنار سقطت يهودا** "، "**بالدم والنار ستنهض يهودا**".

ستنهض يهودا بالفعل، سيكون بن تسفي ذات يوم ثاني رئيس للأمة اليهودية، لكن في البداية سيكون هناك الكثير من الدماء والنار.

—

لم تكن بار جيورا على الإطلاق حركة شعبية لكن وصل المزيد من اليهود إلى فلسطين من روسيا وأوروبا الشرقية كل عام إلى 35000 يهودياً بين عامي 1905 و 1914 حاملين معهم نفس الفلسفة المُحددة للصهيونية العملية.

مع تدفق المزيد من اليهود المُتشابهين من حيث التفكير إلى (بيشوف) Yishuv ، كما كان يُطلق على الجالية اليهودية في فلسطين، أُعيد تشكيل بار جيورا في عام 1909 إلى (هاشومير) وهي المُستوطنة الأكبر والأكثر عُدوانية (العبرية لـ "الحرس"). بحلول عام 1912، كانت (هاشومير) تُدافع عن أربعة عشر مُستوطنة أُخرى، ومع ذلك كانت تعمل أيضاً على تطوير القُدرات الهُجومية وإن كانت سرية، والاستعداد لما اعتبره الصهاينة العمليون حرباً نهائية حتمية للسيطرة على فلسطين، لذلك اعتبرت (هاشومير) نفسها نواة لجيش يهودي في المُستقبل وجهاز استخبارات.

اقتحم حُراس هاشومير وهم يمتطون جيادهم بعض المستوطنات العربية، لمُعاقبة السكان الذين أضروا باليهود، وأحياناً قاموا بضربهم وإعدامهم، في إحدى الحالات قرر تجمع سري خاص لأعضاء هاشومير بالقيام بتصفية الشُرطي البدوي عارف العرسان، الذي كان قد ساعد الأتراك وعذب السُجناء اليهود، قُتل إعداماً بالرصاص على يد (هاشومير) في يونيو 1916.

لم تتراجع هاشومير عن استخدام القوة لتأكيد سُلطتها على اليهود الآخرين أيضاً، وخلال الحرب العالمية الأولى عارض هاشومر بشدة شبكة NILI، وهي شبكة تجسس يهودية تعمل لصالح البريطانيين في فلسطين العُثمانية، خشي هاشومير أن يكتشف الأتراك الجواسيس وينتقمون من الجالية اليهودية بأكملها، وعندما فشلوا في إقناع NILI بوقف العمليات أو بتسليم مخزون العملات الذهبية التي حصلوا عليها من البريطانيين، قاموا بمُحاولة اغتيال يوسف ليشانسكي، أحد أعضائها، وتمكنوا فقط من إصابته.

في عام 1920 تطورت (هاشومير) مرة أخرى والآن إلى الهاغاناه (العبرية ل "الدفاع"). على الرُغم من أن ذلك لم يكن قانونياً على وجه التحديد، إلا أن السُلطات البريطانية التي كانت تحكم البلاد لمدة ثلاث سنوات تقريباً، تسامحت مع الهاغاناه باعتبارها الذراع الدفاعية شبه العسكرية لليبشوف، الهستدروت الذي يُمثل اتحاد العُمال الاشتراكي لليهود في إسرائيل، والذي

تأسس في العام نفسه، والوكالة اليهودية سُلطة الحُكم الذاتي لليشوف، التي تأسست بعد بضع سنوات، الاثنتان كانتا برئاسة ديفيد بن غوريون، حفاظاً على السيطرة على المُنظمات السرية.

ولد بن غوريون ديفيد يوسف غرون في بلونسك، بولندا، عام 1886، منذ صغره سار على خُطى والده كناشط صهيوني، في عام 1906 هاجر إلى فلسطين وبفضل قُوة شخصيته وتصميمه، سرعان ما أصبح أحد قادة Yishuv، على الرغم من صغر سنه، ثم غير اسمه إلى بن غوريون، على اسم شخص آخر من قادة الثورة ضد الرومان.

تأثرت الهاغاناه في سنواتها الأولى بروح هاشومير وسلوكه العدواني، في الأول من أيار عام 1921 ذبحت عصابة عربية 14 يهودياً في نُزل للمُهاجرين في يافا، بعد أن علمت أن ضابط شرطة عربي الجنسية اسمه توفيق بي قد ساعد العصابة في الدخول إلى النُزل، أرسلت الهاغانا فرقة اغتيال للتخلص منه، وفي 17 يناير 1923 أُطلقَ عليه النار في وسط شارع في تل أبيب، وقال أحد المُتورطين "**كمسألة تتعلق بالشرف**" أنه أُطلق عليه الرصاص من الأمام وليس من الخلف، وكانت النية من ذلك "**إظهار أن أعمال العرب الخيرة لا تُنسى وأن يومهم سيأتي لا محالة، حتى لو كان متأخرًا**".

حتى أن أعضاء هاشومير الذين قادوا الهاغاناه في البداية كانوا على استعداد لارتكاب أعمال عنف ضد إخوانهم اليهود، كان جاكوب دي هان– حريدياً هولندي المَولد وهو يهودي مُتشدد كان يعيش في القُدس في أوائل العشرينات من القرن الماضي، وكان داعية للاعتقاد الحريدي بأن المسيح (the Messiah) وحده هو الذي يستطيع إقامة دولة يهودية، وأن الله وحده هو الذي يقرر متى يُعيد اليهود إلى موطن أجدادهم، وأن البشر الذين يحاولون التعجيل بالعملية يرتكبون خطيئة خطيرة، وبعبارة أُخرى كان دي هان مُناهضاً قوياً لبني صُهيون، وكان بارعاً بشكل مُفاجئ في تغيير الرأي العام الدولي، بالنسبة ليتسحاق بن تسفي، الذي أصبح الآن زعيماً بارزاً للهاغاناه، فإن ذلك جعل دي هان خَطراً، فأمر بن تسفي بقتله.

في 30 حزيران (يونيو) 1924 قبل يوم واحد من سفر دي هان إلى لندن لمطالبة الحكومة البريطانية بإعادة النظر في وعدها بتأسيس دولة يهودية في فلسطين أطلق عليه اثنان النار ثلاث مرات عندما خرج من كنيس يهودي في شارع يافا في القدس، ولكن بن غوريون كان ينظر إلى مثل هذه الأعمال بنظرة تشاؤم، ولقد أدرك أنه من أجل الحصول على اعتراف جزئي

من البريطانيين بالأهداف الصُهيونية، سيتعين عليه فرض معايير مُنظمة وأكثر اعتدالاً على الميليشيات شبه السرية الخاضعة لقيادته، حيث تم استبدال القاتلين الشُجعان المنعزلين من هاشومير بعد مقتل دي هان بواسطة قوة مُسلحة مُنظمة ذات تسلسل هرمي، وأمر بن غوريون الهاغاناه بالكف عن استخدام عمليات القتل المستهدف، وقال قائد الهاغاناه يسرائيل جليلي في شهادته لاحقاً: "**فيما يتعلق بالإرهاب الشخصي، كانت خط بن غوريون ضده يسير بشكل ثابت ومنظم**"، وسَرَد عدداً من الحالات التي رفض فيها بن غوريون الموافقة على مقترحات لضرب أفراد من العرب، وكان من بين هؤلاء الزعيم الفلسطيني **الحاج أمين الحُسيني** وأعضاء آخرين في اللجنة العربية العُليا، وموظفون بريطانيون مثل مسؤول كبير في سلطة أراضي الانتداب الذي كان يعُرقل مشاريع الاستيطان اليهودية.

لم يكن الجميع حريصاً على الإذعان أو الخضوع لبن غوريون، احتُقر أفراهام تيهومي، الرجل الذي أطلق النار على دي هان، الخط المُعتدل الذي اتخذه بن غوريون ضد البريطانيين والعرب، ومع بعض الشخصيات البارزة الأخرى استقال من الهاغانا، وفي عام 1931 شكّل إرغون زفاي ليومي "**المُنظمة العسكرية الوطنية**" التي يكون اختصارها في اللُغة العبرية هو Etzel، وعادة ما يُشار إليها باللُغة الإنجليزية باسم IZL أو Irgun.

قاد مناحيم بيغن هذه المجموعة اليمينية المُتطرفة في الأربعينيات من القرن الماضي، وكان من المقرر أن يصبح رئيس وزراء إسرائيل في عام 1977، وداخل الإرغون أيضاً، كانت هُناك اشتباكات شخصية وأيديولوجية، حيث أن المعارضون لاتفاق بيغن على التعاون مع بريطانيا في حربها ضد النازيين انفصلوا وشكلوا ليحي، بالنسبة لهؤلاء الرجال كان أي تعاون مع بريطانيا ستكون بمثابة لعنة.

دعت هاتان المجموعتان المُنشقتان بدرجات مُتفاوتة، إلى استخدام عمليات القتل المستهدف ضد العدو العربي والبريطاني، وضد اليهود الذين اعتبرتهم يشكلون خطر على قضيتهم. ظل بن غوريون مُصراً على أن عمليات القتل المستهدف لن تستخدم كسلاح بل إنه بمثابة إجراءات عُدوانية اتُخذت ضد أولئك الذين لم يطيعوا أوامره.

ولكن بعد ذلك انتهت الحرب العالمية الثانية، تغير كل شيء حتى آراء بن غوريون العنيد لقد تغيرت.

—

خلال الحرب العالمية الثانية تطوع حوالي 38000 يهودي من فلسطين للمُساعدة والخدمة في الجيش البريطاني في أوروبا، شكل البريطانيون ما يُسمى باللواء اليهودي، وإن كان ذلك على مضض إلى حد ما، بعد تعرضهم لضغوط من القيادة المدنية لليشوف.

كان غير متأكد تماماً مما يجب فعله باللواء، أرسله البريطانيون أولاً للتدريب في مصر، وهناك في منتصف عام 1944 سمع أعضاؤها لأول مرة عن الحملة النازية لإبادة اليهود، عندما تم إرسالهم أخيراً إلى أوروبا للقتال في إيطاليا والنمسا، شهدوا عن كثب أهوال الهولوكوست وكانوا من بين أول من أَرسلوا تقارير مُفصلة إلى بن غوريون وقادة آخرين لليبشوف.

كان أحد هؤلاء الجُنود مردخاي جيشون، الذي أصبح لاحقاً أحد مُؤسسي المُخابرات العسكرية الإسرائيلية، الذي وُلد في برلين عام 1922 وكان أباه روسياً وأُمه كانت من نسل عائلة ألمانية يهودية شهيرة، وهي ابنة أُخت الحاخام ليو بايك، زعيم اليهود الليبراليين (Re- form) في ألمانيا، انتقلت عائلة جيشون إلى فلسطين في عام 1933 بعد أن تم طَلب مردخاي في مدرسته الألمانية لإلقاء التحية النازية وغناء نشيد الحزب.

عاد كجندي إلى أوروبا المدمرة وشعبه الذي على وشك أن يُدمر، ومجتمعاتهم كالأنقاض التي تنبعث منها الدخان، قال: **"لقد تعرض الشعب اليهودي للإذلال والسحق والقتل، لقد حان الوقت للرد وللانتقام، في أحلامي عندما جُندت، أخذ شكل الانتقام في حلمي أني اعتقل أعز أصدقائي من ألمانيا كان اسمه ديتليف، نجل رائد في الشرطة هذه هي الطريقة التي سأستعيد بها الشرف اليهودي المفقود"**.

كان هذا الشُعور بفُقدان الشرف وإذلال الشعب، بقدر ما هو الغضب من النازيين، هو الذي دفع رجال مثل جيشون عندما إلتقى أولاً باللاجئين اليهود على الحدود بين النمسا وإيطاليا، حيث قام رجال الكتيبة بإطعامهم وخلع زيهم العسكري واعطائهم الملابس لحمايتهم من البرد، وحاولوا استخلاص تفاصيل الفظائع التي تعرضوا لها. وكان يتذكر جيشون لقاءً وقع في حزيران (يونيو) 1945 عندما جاءت إليه لاجئة أنثى.

قال جيشون: "انفصلت عن مجموعتها وتحدثت معي باللغة الألمانية". "قالت: **"أنتم جنود اللواء أبناء بار كوخبا"** البطل العظيم لثورة اليهود الثانية ضد الرومان في 132-135 ق.م. "قالت" سأتذكر دائماً شاراتك المميزة وما فعلته من أجلنا".

شعر جيشون بالإطراء من تشبيههم ببار كوخبا، ولكن لمدحها وامتنانها شعر أيضاً بالشفقة والعار، إذا كان اليهود في اللواء هم أبناء بار كوخبا، فمن هم هؤلاء اليهود؟ الجنود من أرض إسرائيل، يقفون مُنتصبين وأقوياء وتبدو عليهم معالم القسوة، رأوا الناجين من المحرقة كضحايا يحتاجون إلى المُساعدة، ولكن أيضاً كانوا كُجزء من يهود أوروبا الذين سمحوا لأنفسهم بأن يتم ذبحهم، لقد جسّدوا الصورة النمطية لجُبن وضعف اليهود الذين في الشتات وفي المنفى وعبر عنهم بلُغة يهودية وصُهيونية تقليدية **(الذين استسلموا بدلاً من القتال، والذين لم يعرفوا كيف يُطلقون النار أو يستخدمون السلاح)** كانت تلك الصورة في أكثر صورها تطرفاً، واعتبر اليهودي أنه Muselmann، وهي الكلمة العامية التي كانت تصور للسجناء الهزالين وشبههم بالزومبي الذين يحومون بالقرب من الموت في المُعسكرات النازية، والتي رفضها يهود يشوف الجُدد.

وقال جيشون بعد أكثر من ستين عاماً "**لم يستطع عقلي أن يستوعب ذلك، ليس في نفس ذلك الوقت واليوم، أنه كيف كان من الممكن أن يكون هناك عشرات الآلاف من اليهود في معسكر مع عدد قليل من الحراس الألمان، ولكنهم لم ينتفضوا، ولقد ذهبوا ببساطة مثل الحُملان إلى الذبح**" وقال أيضاً: "**لماذا لم يُمزقوا [الألمان] إلى أشلاء؟ لقد قلت دائماً أنه لا يمكن أن يحدث شيء من هذا القبيل على أرض إسرائيل، ولو كان لتلك المجتمعات قادة يستحقون هذا الاسم، لكان العمل بأكمله مختلفًا تماماً**".

في السنوات التي أعقبت الحرب، أثبت صهاينة اليشوف للعالم والأهم من ذلك لأنفسهم، أن اليهود لن يذهبوا مرة أُخرى إلى مثل هذه المذابح وأن الدم اليهودي لن يأتي بثمن بخس، وأن ستة ملايين يهودي سينتقمون لذلك.

قال هانوخ بارتوف الروائي الإسرائيلي المرموق الذي انضم إلى اللواء قبل شهر من عيد ميلاده السابع عشر: "**كنا نظن أننا لا نستطيع أن نرتاح حتى ننتزع الدم بالدم، والموت بالموت**".

مثل هذا الانتقام وعلى الرغم من فظائعه، من شأنه أن ينتهك قواعد الحرب ومن المُحتمل أن يكون كارثياً بالنسبة للقضية الصهيونية، بما يخص الجانب العملي كما هو الحال دائماً، قال بن غوريون كثيراً: "**الانتقام الآن هو عمل لا قيمة له على الصعيد الوطني، فهو لا يمكنه إعادة الحياة إلى الملايين الذين قُتلوا** ".

ومع ذلك فَهِم قادة الهاغاناه بشكل خاص الحاجة إلى نوع من أنواع الانتقام، لإرضاء القوات التي تعرضت للفظائع وأيضاً لتحقيق درجة مُعينة من العدالة التاريخية وردع المحاولات المُستقبلية لذبح اليهود.

هكذا أجازوا بعض أنواع الأعمال الانتقامية ضد النازيين والمتواطئين معهم، بعد الحرب مباشرة تم تشكيل وحدة سرية خاضعة لسيطرة القيادة العُليا للهاغاناه وغير معروفة بالنسبة للقادة البريطانيين داخل اللواء، كانت تُسمى جمول (Gmul) بالعبرية وتعني "التعويض"، كانت مهمة الوحدة هي "الانتقام، لكن ليس كانتقام السارقين"، كما جاء في مُذكرة سرية في ذلك الوقت: "الانتقام من رجال القوات الخاصة الذين شاركوا هم أنفسهم في المذبحة."

قال مردخاي جيشون مخترقاً نذير الصمت بين قادة جمول الذي ظل يحتفظ به لأكثر من ستين عاماً: **"لقد بحثنا عن سمكة كبيرة، كبار النازيين الذين تمكنوا من نزع زيهم الرسمي والعودة إلى ديارهم".**

عمل عملاء جمول بشكل سري حتى أثناء أدائهم لواجباتهم في اللواء، افترض جيشون لنفسه هويتين مُزيفتين إحداهما كمدني ألماني والأخرى كرائد بريطاني أثناء مطاردته للنازيين في رحلات استكشافية تحت غطائه الألماني، استعاد جيشون أرشيفات الجستابو في تارفيسيو وفيلاتش وكلاغنفورت، والتي أضرم فيها النازيون النيران ولكن جزءاً صغيراً منها فقط احترق بالفعل، وبصفته الرائد البريطاني، حصل على المزيد من الأسماء من الشيوعيين اليوغوسلافيين الذين كانوا لا يزالون يخشون تنفيذ هجمات انتقامية بأنفسهم، وكان عدد قليل من اليهود في المخابرات الأمريكية على استعداد للمُساعدة، من خلال تسليم المعلومات التي كانت بحوزتهم عن النازيين الهاربين، والتي اعتقدوا أن اليهود الفلسطينيين سيستخدمونها لتحقيق نتيجة أفضل من الجيش الأمريكي.

نجح الأسلوب القسري أيضاً في يونيو 1945 عَثر عملاء شركة جمول على زوجين ألمانيين مولودين في بولندا ويعيشان في تارفيسيو، كانت الزوجة مُتورطة في نقل مُمتلكات يهودية مسروقة من النمسا وإيطاليا إلى ألمانيا، وساعد زوجها في إدارة مكتب الجستابو الإقليمي، عرض عليهم الجنود اليهود الفلسطينيون خياراً صارماً: **إما التعاون أو الموت.**

قال يسرائيل كرمي الذي استجوب الزوجين، والذي أصبح قائد الشُرطة العسكرية للجيش الإسرائيلي: **"انهار الرجل وقال إنه مستعد للتعاون، ولقد كلفتُه بإعداد قوائم بجميع كبار**

المسؤولين الذين كان يعرفهم والذين عملوا مع الجستابو وقوات الأمن الخاصة، بالاسم وتاريخ الميلاد ومستوى التعليم والمسمى الوظيفي".

وكانت النتيجة مُفاجئة استخباراتية دراماتيكية، واذ هي قائمة بعشرات الأسماء، وتعقب رجال جمول كُل من كان مفقوداً من النازيين ووجدوا بعض الجرحى في مُستشفى محلي، حيث كانوا يُعالَجون بأسماء مُستعارة مسروقة ثم ضغطوا على هؤلاء الرجال لتقديم مزيد من المعلومات، لقد وعدوا كل ألماني بأنه لن يتضرر إذا تعاون، هكذا فعل معظمهم، وعندما لم يعودوا علينا بالنفع، أطلق عُملاء جمول النار عليهم وتخلصوا من الجثث، لم يكن هُناك أي معنى لتركهم أحياء لإرشاد القيادة البريطانية لمهمة جمول السرية.

بمُجرد التحقق من اسم مُعين، بدأت المرحلة الثانية من تحديد الهدف وجمع المعلومات عنه لمهمة القتل النهائية، غالباً ما يتم تكليف جيشون الذي وُلد في ألمانيا بهذه الوظيفة، حيث قال:"**لم يشتبه بي أحد، فقد كانت بصمتي الصوتية موجودة لدى المخزون الأمني في برلين، فكنت أذهب إلى متجر البقالة أو الحانة في الزاوية أو حتى أطرق أي باب لنقل تحياتي من شخص ما، وفي معظم الأوقات كان الناس يستجيبون لي عند مناداتي لهم بأسمائهم الحقيقية، أو يبتعدوا عني في صمت غامض، وهو الذي كان جيدًا بالنسبة لي كتأكيد**".

وبمُجرد تأكيد الهوية كان جيشون يتتبع تحركات الشخص الألماني ويُقَدم مخططاً تفصيلياً للمنزل الذي يعيش فيه أو المنطقة التي تم اختيارها للقيام بعملية الاختطاف.

فكان القتلة يعملوا في فِرَق لا يزيد عدد أفرادها عن خمسة رجال، وعند تحديدهم للهدف، كانوا عادة يرتدون زي الشرطة العسكرية البريطانية، وكانوا يأتون الى مكان الهدف ويخبرونه بأنهم قد جاءوا لأخذ رجل يُدعى فلان للاستجواب، وفي معظم الأوقات كان الألمان يأتون معهم بدون اعتراض.

وكما قال أحد جُنود الوحدة شالوم جلعادي، في شهادته لأرشيف الهاغاناه: "**في بعض الأحيان كان النازيْ يُقتل على الفور، وفي أحيان أخرى كان يُنْقل إلى مكان بعيد قبل أن يتم قتله**"، وقال: "**في الوقت المُناسب لقد طورنا أساليب هادئة وسريعة وفعالة لرعاية رجال القُوات الخاصة الذين وقعوا في أيدينا**".

وكما هو مُتعارف عليه عند أي شخص يُريد أن يصعد إلى الشاحنة (شاحنة نصف نقل)، يجب عليه أن يضع قدمه على العتبة الخاصة بالشاحنة ليستطيع الصُعود إليها، فيحني رأسه للدخول إلى مؤخرة الشاحنة الخلفية (عبارة عن مظلة قماشية)، وأثناء دخوله بطريقة مُنحنية إلى الداخل، استفاد الذي كان ينتظر داخل الشاحنة من هذا الانحناء.

في تلك اللحظة التي يرفع فيها الرجل الألماني رأسه في الظلام، ابتدأ تنفيذ الكمين الذي خطط له القتلة، فيقوم الجندي بلف ذراعيه تحت ذقنه (حول حلقه) بعد ذلك يسقط الجندي بشكل عكسي أثناء إمساكه برأس الرجل الألماني، مما سيؤدي ذلك إلى خنقه وكسر رقبته على الفور.

ذات يوم هربت ضابطة من قوات الأمن الخاصة من مُعسكر اعتقال إنجليزي بجوار قاعدتنا، بعد أن اكتشف البريطانيون أن الضابطة قد هربت، أرسلوا صوراً التُقطت لها أثناء سَجنها من الأمام والجانب، إلى جميع مراكز الشُرطة العسكرية، ثم مررنا بمُخيم اللاجئين وتعرفنا عليها عندما خاطبناها باللغة الألمانية، لعبت دور الحمقاء وقالت إنها لا تعرف سوى اللغة الهنغارية، لم تكن هذه مشكلة فقد ذهب إليها طفل هنغاري وقال: "**هناك سفينة تُقِل على متنها مُهاجرين غير شرعيين من هنجاريا وهي على وشك الإبحار إلى فلسطين، احزموا أمتعتكم بهدوء وتعالوا معنا**"، لم يكن لديها خيار سوى أن تتناول الطُعم وتذهب معنا في الشاحنة، وخلال هذه العملية جَلستُ مع زارو (مئير زوريا الذي كان جنرالاً في جيش الدفاع الإسرائيلي لاحقاً) في الخلف بينما كان كرمي يقود سيارته، وكان الأمر الذي أعطانا إياه كرمي: "عندما نبتعد مسافة مناسبة في مكان مهجور نراه مناسباً، سيقوم كرمي بإطلاق بوق السيارة، وستكون هذه هي العلامة للتخلص منها ".

وهذا ما حدث، كان صُراخها الأخير باللغة الألمانية: "ماذا فقدت؟ وما الذي يجري؟"، وللتأكد من موتها، أطلق كرمي النار عليها، وقُمنا بإعطاء جسدها وما يحيطه من ملابس مظهراً تبدو فيه أنه تم اغتصابها اغتصاباً عنيفاً.

في معظم الحالات قُمنا باستدراج النازيين إلى سلسلة صغيرة من التحصينات في الجبال، كان هُناك كُهوف مُحصنة ومهجورة، فمعظم الذين يواجهون الإعدام سيفقدون غطرستهم النازية عندما يعرفوا بأننا يهود، وكانت الصرخات التي سمعها النازيون تتكرر "ارحم زوجتي وأولادي!"

وكنا قد سألناه عن عدد هذه الصرخات في مُعسكرات الابادة التي قام بها هؤلاء النازيون ضد الضحايا اليهود.

استمرت العملية ثلاثة أشهر فقط من مايو إلى يوليو، وخلال هذه الفترة قتل جمول ما بين مائة ومائتي شخص، حيث يؤكد العديد من المؤرخين الذين أجروا بحثاً في عمليات جمول أن الأساليب المُستخدمة لتحديد هذه الأهداف لم تكن كافية، وأن العديد من الأبرياء قد قُتلوا في العديد من المُناسبات، والعديد من النقاد يتجادلون بشأن تعرض فرق جمول للاستغلال من قبل مصادرها للقيام بعمليات ثأر شخصية؛ أوفي حالات أُخرى كان يحدد العملاء ببساطة الشخص الخطأ.

تم إغلاق جمول عندما أدرك البريطانيون، الذين سمعوا شكاوى حول ما كان يحدث عن حالات الاختفاء من العائلات الألمانية، وأن جمول قررت عدم إجراء مزيد من التحقيقات بشأن حالات الاحتفاء، ولكن قامت بنقل اللواء اليهودي إلى بلجيكا وهولندا بعيداً عن الألمان، وأصدرت قيادة الهاغاناه أمراً صارماً بوقف عمليات الانتقام. وكانت أولويات اللواء الجديد بحسب الهاغانا وليس البريطانيين، هي رعاية الناجين من المحرقة والقيام بالمساعدة في تنظيم هجرة اللاجئين إلى فلسطين في مُواجهة المعارضة البريطانية، وتخصيص أسلحة لليشوف.

ومع ذلك على الرُغم من أنهم أمروا جمول بوقف قتل الألمان في أوروبا، إلا أن قادة الهاغاناه لم يتخلوا عن القصاص واتخذوا قراراً بأن الانتقام الذي توقف في أوروبا سوف يستمر في فلسطين نفسها.

طرد البريطانيون أعضاء كنيسة تمبلجيسيلز الألمانية (طائفة فُرسان الهيكل) من فلسطين في بداية الحرب بسبب جنسيتهم وتعاطفهم مع النازيين، فقد انضم العديد منهم إلى الحرب مع ألمانيا وقاموا بدور نشط في القيام باضطهاد وإبادة اليهود، وعند انتهاء الحرب عاد بعضهم إلى منازلهم السابقة التي كانت في سارونا في قلب تل أبيب ومناطق أخرى.

كان زعيم فُرسان الهيكل في فلسطين رجلاً يُدعى جوتثيلف واغنر، وهو رجل صناعي ثري ساعد الفيرماخت والجستابو خلال الحرب، وروى أحد الناجين من الهولوكوست، رجل يدعى شالوم فريدمان، وكان وقتها يتنكر ككاهن هنجاري الجنسية، أنه التقى بفاغنر في عام 1944 الذي: "تفاخر بأنه كان في أوشفيتز وبوخنفالد مرتين، فعندما كان في أوشفيتز ساعد في اخراج أعداد كبيرة من اليهود، حتى أصغرهم وقام بصب سائل قابل للاشتعال عليهم، وخلال ذلك سألهم عما إذا كانوا يعلمون أن هناك جحيماً حقيقياً على الأرض، وعندما أشعلهم أخبرهم أن هذا هو المصير الذي ينتظر إخوانهم في فلسطين". بعد الحرب نظم فاغنر خُطط للسماح لفُرسان المعبد بالعودة إلى فلسطين.

كان رافي إيتان نجل اليهودي الرائد من روسيا، والذي كان يبلغ من العُمر سبعة عشر عاماً في ذلك الوقت قال: **"هنا يأتي الألمان المُبتهجون، الذين كانوا أعضاء في الحزب النازي، والذين جُندوا في الفيرماخت والوحدة السرية، ويريدون العودة إلى مُمتلكاتهم عندما تم تدمير جميع المُمتلكات اليهودية في الخارج".**

كان إيتان عضواً في قوة مؤلفة من سبعة عشر فرداً من "الشركة الخاصة" التابعة للهاغاناه والتي تم إرسالها لتصفية فاغنر، بموجب أمر مُباشر من القيادة العليا للهاغاناه، حيث أدرك رئيس أركان الهاغاناه يتسحاق سديه، أن هذه لم تكن عملية عسكرية مُنتظمة واستدعى الرجلين اللذين تم اختيارهما للضغط على الزناد، وقام بتشجيعهم وأخبارهم عن رجل أطلق عليه النار بُمسدسه في روسيا انتقاما لمذبحة الهولوكوست.

في 22 مارس 1946 وبعد جمع معلومات استخباراتية مضنية، كانت فرقة الاغتيال تنتظر فاغنر في تل أبيب، أجبروه على الخروج من الطريق والذهاب إلى قطعة أرض رملية في 123 شارع ليفينسكي وأطلقوا النار عليه، بعد ذلك أعلنت محطة إذاعة الهاغاناه السرية كول يسرائيل (صوت إسرائيل) في اليوم التالي أنه "تم إعدام النازي الشهير غوتثيلف واغنر رئيس الجالية الألمانية في فلسطين أمس على يد الحركة السرية العبرية، وليعلم الجميع أنه لن تطأ قدم أي نازي تُربة أي أرض من أراضي إسرائيل".

بعد ذلك بوقت قصير اغتالت الهاغانا اثنين آخرين من فُرسان الهيكل في الجليل واثنين آخرين في حيفا، والذي كانت الطائفة قد أسست مُجتمعات أخرى أيضاً.

قال إيتان: "**كان لذلك تأثير فوري على اختفاء فرسان الهيكل من البلاد تاركين كل شيء ورائهم، ولم يتم رؤيتهم بعد ذلك مرة أخرى**" وأصبح حي سارونا في تل أبيب مقراً للقوات المسلحة وأجهزة المُخابرات الإسرائيلية، وعمل إيتان كقاتل مُنذ أن كان في السابعة عشرة من عمره، وساعد في العثور على وحدة القتل المُستهدف في الموساد.

لم يكن قتل فُرسان الهيكل مُجرد استمرار لأعمال الانتقام من النازيين في أوروبا، بل كان بمثابة تغيير كبير في السياسة، فقد كانت الدُروس التي تعلمها يهود فلسطين الجُدد من الهولوكوست هي أن الشعب اليهودي سيكون دائماً تحت تهديد التدمير، وأنه لا يُمكن الاعتماد على الآخرين لحماية اليهود، وأن الطريقة الوحيدة للقيام بذلك هي الحُصول على دولة مستقلة، وأن الأشخاص الذين يعيشون مع هذا الإحساس الدائم بالخطر والإبادة سيتخذون جميع التدابير أياً كانت، ومهما كانت شديدة للحُصول على الأمن، وسيعودون للقوانين والأعراف الدولية على الهامش في كُل الأحوال.

من الآن فصاعداً، سيتبنى بن غوريون والهاغاناه عمليات القتل المستهدف وحرب العصابات والهجمات الإرهابية كأدوات إضافية تتجاوز الدعاية والتدابير السياسية التي كانت تُستخدم دائماً في محاولة تحقيق هدف الدولة والحفاظ عليها، وما كان قبل سنوات قليلة هو فقط وسيلة تستخدم من قبل المتطرفين المنبوذين من ليحي والإرغون، حيث أصبح يُنظر إليها الآن من قبل التيار السائد على أنها سلاح قابل للتطبيق.

في البداية بدأت وحدات الهاغاناه في اغتيال العرب الذين قتلوا مدنيين يهود، ثم أمرت القيادة العليا للميليشيا "شركة خاصة" ببدء "عمليات إرهابية شخصية" وهو مُصطلح استُخدم في ذلك الوقت للاغتيال المُستهدف لضُباط إدارة البحث الجنائي البريطاني الذين اضطهدوا الحركة السرية اليهودية وعملوا ضد الهجرة اليهودية إلى الأرض اسرائيل، وقد أُمروا بـ "تفجير مراكز الاستخبارات البريطانية التي عملت ضد حيازة اليهود للأسلحة" و "اتخاذ إجراءات انتقامية في القضايا التي تحكم فيها المحاكم العسكرية البريطانية على أعضاء الهاغاناه بالإعدام".

توقع بن غوريون أن دولة يهودية ستقام قريباً في فلسطين وأن الأُمة الجديدة ستضطر فوراً إلى خوض حرب ضد العرب في فلسطين وصد غزوات جيوش الدول العربية المُجاورة، وهكذا بدأت قيادة الهاغاناه أيضاً في التحضير سراً لهذه الحرب الشاملة، وكجُزء من الاستعدادات، صدر أمر باسم زرزير أو(ستارلينج) يقضي باغتيال رُؤساء السُكان العرب في فلسطين.

—

وبينما كثف الهاغاناه ببطء من استخدام عمليات القتل المُستهدف، كان المُتطرفون تحت الأرض قد أطلقوا حملة القتل على قدم وساق، مُحاولين إخراج البريطانيين من فلسطين.

صمم يتسحاق شامير الذي يتولى الآن قيادة ليحي، ليس فقط القضاء على شخصيات رئيسية في الانتداب البريطاني، بل القضاء محلياً على أفراد إدارة البحث الجنائي، ويقوم أيضاً بمُحاولات عديدة لفعل الشيء نفسه مع قائد شُرطة القدس مايكل جوزيف ماكونيل، والمُفوض السامي السير هارولد ماكمايكل، وحتى الإنجليز في البُلدان الأخرى الذين شكلوا تهديداً لهدفه السياسي والتر إدوارد غينيس، المعروف رسمياً باسم اللورد موين.

على سبيل المثال كان وزير الدولة البريطاني المُقيم في القاهرة التي كانت أيضاً تحت الحُكم البريطاني، اليهود في فلسطين اعتبروه مُعادياً صارخاً للسامية والذي استخدم موقفه بجدية لتقييد سُلطة ييشوف من خلال تقليل حصص الهجرة للناجين من المحرقة بشكل كبير.

أمر شامير بقتل موين، وأرسل اثنين من عُملاء ليحي، وهما إلياهو حكيم وإلياهو بيت زوري إلى القاهرة، حيث انتظروا عند باب منزل موين، وعندما توقف موين ركب سكرتيره في السيارة معه، حكيم وبيت زوري جريا بسرعة نحو السيارة، ورفع أحدهم مُسدسه عبر النافذة ووجهه نحو رأس موين، وأطلق النار ثلاث مرات، ثُم أمسك موين بحلقه وصرخ: "أوه لقد أطلقوا النار علينا!" ثم انهار إلى الأمام على كرسيه، ومع ذلك لقد كانت عملية هواة، فكان شامير قد نصح قتلته الصغار بالترتيب للهُروب في سيارة، لكنهم بدلاً من ذلك فروا على دراجات تسير ببُطء، فسُرعان ما ألقت الشُرطة المصرية القبض عليهم، وحُوكم حكيم وبيت زوري وأدينوا وشنقوا بعد ستة أشهر.

لقد كان للاغتيال تأثير حاسم على المسؤولين البريطانيين، وإن لم يكن ذلك التأثير كما تصوره شامير، وكما تعلم إسرائيل مراراً وتكراراً أن في السنوات المُقبلة، سيكون من الصعب جداً التكهن بكيفية سير التاريخ بعد إصابة شخص ما برصاصة في الرأس.

بعد شر المطلق للمحرقة ومُحاولة إبادة شعب بأكمله في أوروبا، كان هناك تعاطف متزايد في الغرب مع القضية الصهيونية وفقاً لبعض الروايات، حتى الأُسبوع الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) 1944 كان رئيس الوُزراء البريطاني ونستون تشرشل، يدفع حكومته لدعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وحشد العديد من الشخصيات المُؤثرة لدعم المُبادرة بما في ذلك اللورد موين، وليس من المبالغ فيه أن نفترض إذن أن تشرشل كان من المُمكن أن يصل إلى قمة يالطا مع فرانكلين روزفلت وجوزيف ستالين بسياسة واضحة وإيجابية، فيما يتعلق بمُستقبل دولة يهودية، لولا تدخل عُملاء ليحي في الاغتيال، وبدلاً من ذلك بعد ما حدث في القاهرة، وصف تشرشل المهاجمين بأنهم "مجموعة جديدة من رجال العصابات" وأعلن أنه يُعيد النظر في موقفه.

واستمر القتل حتى 22 تموز (يوليو) 1946 حيث زرع أعضاء من منظمة الارغون بقيادة مناحيم بيغن 350 كيلوغراماً من المُتفجرات في الجناح الجنوبي من فُندق الملك داوود في القدس، حيث كانت فيه مكاتب إدارة الانتداب البريطاني والجيش والاستخبارات، ومع أنهم تلقوا مُكالمة تحذيرية من منظمة الارغون ولكن قد تم رفضها باعتبارها خُدعة، ولم يتم إخلاء المبنى قبل وقوع الانفجار الذي كان هائلاً، وقُتل 91 شخصاً وجُرح 45.

لم يكن هذا هو القتل المُستهدف لمسؤول بريطاني مُحتقر، أو هجوماً لعصابات على مركز للشرطة، بدلاً من ذلك، كان من الواضح أنه عمل إرهابي استهدف هدفاً يوجد بداخله العديد من المدنيين، والذي يُعتبر أكثر اعتراضاً، وجود عدد كبير من اليهود من بين الضحايا.

أثار تفجير فُندق الملك داوود نزاعا شديدا في ييشوف، وشجب بن غوريون على الفور منظمة الارغون ووصفها بأنها "عدو للشعب اليهودي".

لكن لم يتم ردع المتطرفين وبعد ثلاثة أشهر من هجوم الملك داود في 31 من أكتوبر، قامت خلية ليحي مرة أُخرى بالعمل من تلقاء نفسها دون موافقة أو علم بن غوريون بتفجير السفارة

البريطانية في روما، وتعرض مبنى السفارة لأضرار بالغة، ولكن بفضل حقيقة أن العملية جرت ليلاً، أصيب حارس أمن واثنين من المارة الإيطاليين فقط.

بعد ذلك مباشرة أرسل ليحي رسائل مفخخة بالبريد إلى كل عضو بارز في مجلس الوزراء البريطاني في لندن، من ناحية هذا الجهد كان عبارة عن فشل ذريع، ولم ينفجر أي من الانفجارات، ولكن من ناحية أخرى، لقد أوضح ليحي وجهة نظره ومدى قدرته على نشر هذه الانفجارات، وأظهرت ملفات MI5، وجهاز الأمن البريطاني أن الإرهاب الصهيوني كان يُعتبر من أخطر التهديدات للأمن القومي البريطاني في ذلك الوقت، حيث كان أكثر خطورة من الاتحاد السوفيتي نفسه، وتم إنشاء خلايا الارغون في بريطانيا، وفقاً لمُذكرة MI5، "لضرب الكلب في المأوى الخاص به"، حيث حذرت مصادر المخابرات البريطانية من موجة من الهجمات على "شخصيات بارزة مختارة"، من بينهم وزير الخارجية إرنست بيفين وحتى رئيس الوُزراء كليمان أتلي نفسه، وفي نهاية عام 1947، أورد تقرير للمفوض السامي البريطاني يوضح عدد ضحايا العامين الماضيين حيث قُتل 176 فرداً من المدنيين ومن أفراد الانتداب البريطاني.

قال ديفيد شومرون بعد عُقود من إطلاقه النار على توم ويليكين في أحد شوارع القدس: "**فقط هذه الأفعال وعمليات الإعدام التي حدثت هي التي دفعت البريطانيين إلى الرحيل، ولو لم يبدأ [أبراهام] شتيرن الحرب، لما كانت دولة إسرائيل موجودة الآن بالفعل**".

قد يُجادل المرء مع هذه التصريحات في ظل أن الإمبراطورية البريطانية المُتقلصة قد تنازلت عن السيطرة على غالبية مستعمراتها، بما في ذلك العديد من البُلدان التي لم يتم فيها استخدام تكتيكات الإرهاب لأسباب اقتصادية وزيادة المطالبة بالاستقلال عن السكان الأصليين مثل الهند، التي حصلت على استقلالها في نفس الوقت تقريباً، ومع ذلك كان شومرون وأمثاله مُقتنعين بشدة بأن شجاعتهم وأساليبهم المُتطرفة قد أدت إلى رحيل البريطانيين.

وكان الرجال هُم الذين حاربوا تلك العصابات الدموية السرية والقتلة والإرهابيين الذين سيلعبون دوراً مركزياً في بناء الدولة الجديدة للقوات المُسلحة الإسرائيلية ومُجتمع المخابرات.

2

ميلاد العالم السري الجديد

في 29 تشرين الثاني (نوفمبر) 1947 صوتت الجمعية العامة للأمم المُتحدة لصالح تقسيم فلسطين، وإنشاء وطن يهودي ذي سيادة، وهذا التقسيم لن يدخل حيز التنفيذ إلا بعد ستة أشهر، ولكن الهجمات العربية بدأت في اليوم التالي، حيث نصب حسن سلامة قائد القوات الفلسطينية في جنوب البلاد ومقاتلوه كمينا لحافلتين إسرائيليتين بالقرب من بلدة بتاح تكفا، مما أسفر عن مقتل 8 رُكاب وإصابة كثيرين آخرين، ثم بدأت الحرب الأهلية بين العرب الفلسطينيين واليهود، وفي اليوم التالي من هُجوم الحافلات، وقف سلامة في الساحة المركزية لمدينة يافا العربية، ووعد رجال وطنه بأن: "فلسطين ستتحول إلى حمام دم"، ولقد أوفى بوعده حيث أن خلال الأسبوعين التاليين قُتل 48 يهودياً وجُرح 155 آخرون.

سلامة الذي قاد قوة قوامها 500 مُقاتل وحتى أنه قام بمُهاجمة تل أبيب مباشرة، فأصبح بطلاً في العالم العربي، وقد حظي بمُباركة الصحافة، حيث نشرت مجلة المُصور المصرية صُورة ضخمة له وهو في مُقدمة قواته في عددها الصادر في 12 يناير 1948 تحت عنوان الراية **"البطل حسن سلامة قائد الجبهة الجنوبية".**

كان بن غوريون قد استعد لمثل هذه الاعتداءات في تفكيره، حيث كان عرب فلسطين هُم الأعداء، وكان البريطانيون الذين استمروا في الحكم حتى يصبح التقسيم سارياً بشكل رسمي في مايو 1948 هُم من قاموا بتحريضهم، ويُمكن لليهود الاعتماد فقط على أنفسهم ودفاعاتهم الأولية، وكانت مُعظم قوات الهاغاناه سيئة التدريب والتجهيزات، وكانت أسلحتها مُخبأة في مخابئ سرية لتجنب مُصادرتها من قبل البريطانيين.

كانوا رجالاً ونساءً من خدموا في الجيش البريطاني، مدعومين من خلال المُهاجرين الجدد الذين نجوا من الهولوكوست (بعضهم من قُدامى المحاربين في الجيش الأحمر)، لكنهم كانوا

أقل عدداً بكثير من قبل القوات المشتركة للدول العربية، كان بن غوريون على علم بتقديرات وكالة المخابرات المركزية وأجهزة المخابرات الأخرى بأن اليهود سينهارون تحت هجوم العرب، وأن بعض أفراد شعبه لم يكونوا واثقين من النصر، لكن بن غوريون ظاهرياً على الأقل أظهر ثقة في قدرة الهاغاناه على الفوز.

لسد الفجوة العددية كانت خُطة الهاغاناه بعد ذلك هي استخدام القوة الانتقائية، عن طريق اختيار الأهداف لتحقيق أقصى قدر من الفعالية، وكجُزء من هذا التصور وبعد شهر من الحرب الأهلية، أطلقت قيادتها العُليا عملية ستارلينج، التي حددت 23 اسماً من قادة العرب الفلسطينيين الذين كان من المُقرر استهدافهم.

كانت المهمة بحسب القائد العام للهاغاناه يعقوب دوري، مكونة من ثلاثة أجزاء: "القضاء على قادة الأحزاب السياسية العربية أو القبض عليهم؛ عمل إضرابات ضد المراكز السياسية؛ وعمل إضرابات ضد المراكز الاقتصادية والصناعية العربية".

حسن سلامة كان على رأس قائمة الأهداف الذي كان تحت قيادة الحاج أمين الحسيني، المُفتي الأكبر للقُدس والزعيم الرُوحي للعرب الفلسطينيين، ساعد سلامة في قيادة الثورة العربية عام 1936، والتي هاجم فيها المُقاتلون العرب لمدة ثلاث سنوات أهدافاً بريطانية ويهودية.

فر كُل مِن الحسيني وسلامة من فلسطين بعد أن وُضعا على قائمة المطلوبين لدى الانتداب البريطاني في عام 1942، وانضموا إلى قوات الأمن الخاصة وأبوهر، في وكالة المخابرات العسكرية النازية، للتخطيط لعملية أطلس، ولقد كانت خُطة عظيمة حيث يقوم الكُوماندوز الألمان والعرب بالهبوط بالمظلات إلى فلسطين وتسميم إمدادات المياه في تل أبيب من أجل قتل أكبر عدد مُمكن من اليهود، مما يُحفز عرب البلاد على خوض حرب مُقدسة ضد الاحتلال البريطاني، ولكن فشلت خُطتهم فشلاً ذريعاً عندما اخترق البريطانيون رمز إنجما النازي، وقاموا بأسر سلامة وأربعة آخرين بعد أن سقطوا في واد صحراوي بالقُرب من أريحا في 6 أكتوبر 1944.

بعد الحرب العالمية الثانية أطلق البريطانيون سراح الحُسيني وسلامة، ولقد حاولت الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، والتي أشرفت على الكثير من النشاط السري لليبشوف في أوروبا تحديد مكان الحُسيني وقتله عدة مرات بين عامي 1945 و 1948، وكان الدافع جُزئياً هو

الانتقام لتحالف المُفتي مع هتلر، لكنه كان أيضاً سبباً دفاعياً: فربما كان الحُسيني قد خرج من البلاد، لكنه كان لا يزال يُشارك بنشاط في تنظيم هجمات على المُستوطنات اليهودية في شمال فلسطين ويقوم بمُحاولات لاغتيال القادة اليهود، ولكن بسبب نقص المعلومات الاستخباراتية والعاملين المدربين، فشلت كل هذه المحاولات.

بدأ البحث عن سلامة في أول عملية للهاغاناه في مُحاولة لدمج الذكاء البشري والإلكتروني بشكل واعد، فقد قامت وحدة تابعة لفرع مخابرات الهاغاناه بقيادة إيسر هاريل، بالتنصت على خط الهاتف المركزي الذي يربط يافا بباقي أنحاء البلاد، وكان لدى هاريل كوخ مُخصص للأدوات تم بناؤه بالقرب من أراضي مدرسة ميكفيه إسرائيل الزراعية، وملأه بمقصات التقليم وجزازات العشب، وكان هناك جهاز تصنت مخَبّئاً في حُفرة تحت الأرض، تم قصه من الأسلاك النُحاسية لنظام الهاتف في يافا، وكتب هاريل لاحقاً في مُذكراته: "لن أنسى أبداً وجه العميل (شاي) الناطق بالعربية الذي وضع مجموعة من سماعات الرأس واستمع إلى المُحادثة الأولى، فغرّ فمه مُندهشاً ولوح بيده عاطفيا لإسكات الآخرين الذين كانوا ينتظرون بشدة، وكانت الصفوف مليئة بالمحادثات التي كان يجريها القادة السياسيون ورؤساء الوحدات المسلحة مع زملائهم"، أحد المُتحدثين كان سلامة في إحدى المُكالمات التي تم اعتراضها، وعلم (شاي) أنه سيُسافر إلى يافا، ثم خطط عُملاء الهاغاناه لنصب كمين له بقطع شجرة لإغلاق الطريق الذي ستسير عليه سيارته.

لكنّ الكمين فشل ولم يكن الفشل الأخير، فقد نجا سلامة أيضاً من عدة محاولات اغتيال قبل أن يسقط في القتال في يونيو 1948 الشخص الذي قام بقتله كان غير مُدركاً لهويته، كما فشلت أيضاً جميع مُحاولات القتل المُستهدف لعملية ستارلينج الأخرى تقريباً، بسبب المعلومات الاستخبارية الخاطئة أو الأداء المليء بالأخطاء من قبل الرجال القتلة المهرة ولكن عديمي الخبرة.

العمليات الوحيدة التي نجحت تم تنفيذها جميعاً من قبل وحدتين من وحدات النُخبة في الهاغاناه، وكلاهما ينتميان إلى بالاش، وهي الميليشيا الوحيدة المدربة جيداً والمُسلحة جيداً،

كانت إحدى هذه الوحدات هي (Palyam) "السرية البحرية" والأخرى كانت "الفصيلة العربية"، وهي وحدة كُوماندوز سرية يعمل أعضاؤها على أنهم عرب.

صدرت أوامر لشركة Palyam البحرية بالاستيلاء على ميناء حيفا، والتي تُعتبر أهم بوابة بحرية في فلسطين، وبمُجرد مغادرة البريطانيين، كانت مهمتهم سرقة أكبر قدر مُمكن من الأسلحة والمُعدات التي بدأ البريطانيون بشحنها للخارج قدر الإمكان ومنع العرب من فعل الشيء نفسه.

"ركزنا على الأشخاص التي قامت بحيازة السلاح من العرب في حيفا والشمال وبحثنا عنهم وقتلناهم" هذا ما ذكره أبراهام دار، أحد رجال باليام.

أبراهام دار الذي كان يتحدث الإنجليزية كلغته الأم، ومعه رجلين آخرين من باليام تظاهروا بأنهم جُنود بريطانيون يريدون بيع معدات مسروقة للفلسطينيين مقابل مبلغ كبير من المال، وتم وضع موعد للتبادل بالقُرب من مطحنة دقيق مهجورة في ضواحي قرية عربية، حيث كان اليهود الثلاثة يرتدون الزي البريطاني في مكان الاجتماع عندما وصل الفلسطينيون، وانتظر أربعة آخرون الإشارة اليهم وكانوا مختبئين في الجوار، ثم انقضوا على العرب من فوقهم وقتلوهم بأنابيب معدنية، وقال دار: "كنا نخشى أن توقظ طلقات الرصاص الجيران من حولنا فقررنا أن تكون العملية صامتة دون القيام بإطلاق النيران".

تشكلت الفصيلة العربية عندما قررت الهاغانا أنها بحاجة إلى أفضل المقاتلين المدربين الذين يمكنهم العمل في عمق خطوط العدو، للقيام بجمع المعلومات وتنفيذ مهام التخريب والقتل المستهدف، حيث شمل تدريب رجالها الذين كان معظمهم من المهاجرون من الأراضي العربية تكتيكات الكوماندوز والمتفجرات، ولكن أيضاً كانوا يدرسون دراسة مُكثفة للإسلام والعادات العربية وكانوا يلقبون بـ (Mistaravim)، أي المُستعربين وهو الاسم الذي انتقلت به الجاليات اليهودية في بعض البُلدان العربية، حيث مارسوا الديانة اليهودية ولكنهم كانوا مُشابهين للعرب في جميع النواحي الأخرى من حيث الملبس واللغة والعادات الاجتماعية .. إلخ.

نتج عن هذا التعاون بين الوحدتين محُاولة اغتيال الشيخ نمر الخطيب، رئيس التنظيمات الإسلامية في فلسطين، أحد الأهداف الأصلية لعملية زرزور، الذي كان تأثيره كبيراً على الشارع الفلسطيني وبما أنه يمكن للمُستعربين أن يتحرك دون أن يوقفه أي من البريطانيين أو

العرب، حدثت محاولة الاغتيال في شباط 1948 حيث نصبوا للخطيب كميناً عندما عاد من رحلته إلى دمشق بسيارة مُحملة بالذخيرة وأصيب بجُروح بالغة وغادر فلسطين ونأى بنفسه عن أي دور سياسي فاعل.

بعد بضعة أيام سمع أفراهام دار من أحد مُخبريه العاملين في الميناء أن مجموعة من العرب عندما كانوا في مقهى سمعهم يتحدثون عن خطتهم لتفجير سيارة مليئة بالمتفجرات في قسم يهودي مزدحم في حيفا، وأن سيارة الإسعاف البريطانية التي حصلوا عليها لهذا الغرض كانت جاهزة في مرآب في شارع الناصرة في الجزء العربي من المدينة، حيث أعدت عائلة المُستعربين قُنبلة خاصة بهم في شاحنة قادوها إلى الحي العربي، مُتظاهرين بأنهم عمال يعملون على إصلاح أنبوب متفجر، وتوقفوا بجوار جدار المرآب ثم صرخ الرجال في المرآب عليهم باللغة العربية: **"ما الذي تفعلونه هنا؟ ممنوع وُقوف السيارات هنا! حرك الشاحنة واذهبوا من هنا!"**

أجاب المُستعربين باللغة العربية: "ذاهبين على الفور، سوف نحصل على مشروب، ثم نحتاج أيضاً إلى اصلاح التسريب" مضيفاً بعض الشتائم المثيرة، ثم ذهبوا إلى سيارة كانت تنتظرهم، وبعد دقائق انفجرت قُنبلتهم، حيث انفجرت الشاحنة التي كانت بداخلها القُنبلة وسيارة الإسعاف أيضاً، وقتلت الفلسطينيين الخمسة الذين كانوا يعملون عليها.

في 14 مايو 1948، أعلن بن غوريون إقامة دولة إسرائيل الجديدة وأصبح أول رئيس وزراء ووزير دفاع، وكان يعرف ما الذي يمكن توقُعه بعد ذلك.

قبل سنوات أمر بن غوريون بتشكيل شبكة عميقة من المصادر في الدول العربية، والآن قبل ثلاثة أيام من قيام إسرائيل، أبلغه رؤوفين شيلوح مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، قسم المُخابرات في الوكالة أن "الدول العربية قررت أخيراً شن هُجوم مُتزامن في 15 مايو، وإنهم يعتمدون على عدم وجود أسلحة ثقيلة وسلاح جوي عبري" حيث قدم شيلوح تفاصيل كثيرة عن خُطة الهجوم.

كانت المعلومات دقيقة فعند مُنتصف الليل وبعد إعلان قيام الدولة هُوجمت سبعة جيوش فيها، ولقد فاقوا عددهم بكثير وكانوا أفضل تجهيزاً من القوات اليهودية، وحققوا مكاسب كبيرة في وقت مُبكر حيث احتلوا المُستوطنات وأوقعوا الإصابات، وصرح الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الرحمن عزام باشا: "**ستكون هذه حرب دمار ومجازر عظيمتين ستُذكر مثل المجازر التي ارتكبها المغول والصليبيون**".

لكن اليهود الآن "إسرائيليون" رسمياً أعادوا تجميع صفوفهم وذهبوا إلى الهُجوم، وبعد شهر توسطت الهُدنة مبعوث الأمم المتحدة الخاص، الكونت فولك برنادوت كان كلا الجانبين مُنهكين وبحاجة إلى الراحة وإعادة الإمداد، وعندما استؤنف القتال انقلبت الطاولات، مع وُجود معلومات استخباراتية وإدارة معركة مُمتازة، إلى جانب مساعدة العديد من الناجين من الهولوكوست الذين وصلوا لتوهم من أوروبا، طَرد الإسرائيليون القوات العربية، وفي النهاية احتلوا أراضي أكثر بكثير مما تم تخصيصه للدولة اليهودية في خطة التقسيم للأمم المتحدة.

على الرُغم من أن إسرائيل قد صدت جيوشاً مُتفوقة لم يكن بن غوريون مُتفائلاً بشأن الانتصار قصير المدى لجيش الدفاع الإسرائيلي، فرُبما يكون العرب قد خسروا المعارك الأولى، لكن جميع أولئك الذين عاشوا في فلسطين وأولئك الذين عاشوا في الدول العربية المحيطة بإسرائيل، رفضوا قبول شرعية الأمة الجديدة، وتعهدوا بتدمير إسرائيل وإعادة اللاجئين إلى ديارهم.

كان بن غوريون يعلم أن الجيش الإسرائيلي لا يُمكنه أن يأمل الكثير في الدفاع عن حدود إسرائيل الطويلة والمعقدة من خلال القوة البشرية المطلقة، ومن بقايا عمليات استخبارات الهاغاناه، كان عليه أن يبدأ في بناء نظام صحيح مناسب للدولة شرعية.

في 7 يونيو استدعى بن غوريون كبار مُساعديه برئاسة شيلوح، إلى مكتبه في مُستعمرة تمبلر السابقة في تل أبيب، وكتب شيلوح في مذكرة إلى بن غوريون: "**الاستخبارات هي إحدى الأدوات العسكرية والسياسية التي نحتاجها بشدة لهذه الحرب، ويجب أن تصبح أداة دائمة بما في ذلك أجهزتنا السياسية [في زمن السلم]**."

لم يكن بن غوريون بحاجة إلى أن يتم اقناعه، فبعد كُل شيء كانت المُفاجئة الكبيرة والتي تحدت كل الصعاب، هي تأسيس الدولة ودفاعاتها والذي كان مدينًا بالاستخدام الفعال للاستخبارات الدقيقة.

في ذلك اليوم أَمر بن غوريون بإنشاء ثلاث وكالات، الأول كان قسم المخابرات في هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، والذي يُشار إليه لاحقاً بالاختصار العبري AMAN والثاني كان الشين بيت (اختصار لجهاز الأمن العام) المسؤول عن الأمن الداخلي والذي تم إنشاؤه كنوع من الدمج بين مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي وجهاز MI5 البريطاني، (غيرت المُنظمة اسمها لاحقاً إلى وكالة الأمن الإسرائيلية، لكن مُعظم الإسرائيليين ما زالوا يُشيرون إليها بالاختصار الشاباك أو بشكل أكثر شيوعاً كما ذكرت في هذا الكتاب إلى الشين بيت)، والثالث كان الدائرة السياسية الآن والتي تنتمي إلى وزارة الخارجية الجديدة، بدلاً من الوكالة اليهودية، وستنخرط في التجسس الأجنبي وجمع المعلومات الاستخبارية، وتم تخصيص منازل تمبلر المهجورة في حي سارونا، بالقُرب من وزارة الدفاع لكُل جماعة، مما وضع مكتب بن غوريون ظاهرياً في مركز القوة المُنظمة من أجهزة الأمن.

لكن لم يكن هُناك شيء مُنظم في تلك الأشهر والسنوات الأولى، فقد تم استيعاب بقايا وكالات الهاغاناه في مختلف الأجهزة الأمنية أو عصابات التجسس، ثم تم خلطهم وإعادة استيعابهم في أجهزة أخرى، أضف إلى ذلك المعارك التي لا تعد ولا تحصى لما كانوا في الأساس ثواراً وبدافع غرورهم، وأنه كان هُناك الكثير من الفوضى في التجسس السري، وقال إيسر هاريل أحد الآباء المؤسسين للاستخبارات الإسرائيلية: **"لقد كانت سنوات صعبة، كان علينا إنشاء دولة والدفاع عنها، لكن تم تحديد هيكل الخدمات وتقسيم العمل دُون أي حُكم منهجي، ودون إجراء مُناقشات مع جميع الأشخاص المعنيين بطريقة أكثر تشدداً وتآمر".**

في ظل الظروف العادية سيضع المسؤولون حدودًا وإجراءات واضحة، وسيقوم العُملاء الميدانيون بكل صبر بزراعة مصادر المعلومات على مدى سنوات، لكن إسرائيل لم يكن لديها هذا النوع من الترف، وكان لابد من بناء عملياتها الاستخباراتية بسُرعة فائقة وتحت الحصار، بينما كانت الدولة الفتية تُقاتل من أجل وجودها ذاته.

كان التحدي الأول الذي واجه الجواسيس الخاصة ببن غوريون تحدياً داخلياً: كان هناك من بينهم يهود قد تحدوا سلطته بشكل غير أخلاقي، حيث كانوا من الحركات اليمينية السرية، ومن

الأمثلة المتطرفة على هذا التحدي قضية ألتالينا في يونيو 1948، كان من المُقرر أن تصل سفينة بهذا الاسم، أرسلها الإرغون من أوروبا، تحمل على متنها مهاجرين وأسلحة، ولكن المُنظمة رفضت تسليم جميع الأسلحة إلى جيش الدولة الجديدة، وأصر على منح بعضها للوحدات التي لا تزال تحت إمرته، وأمر بن غوريون الذي تم إبلاغه بالمُخططات من قبل عُملاء داخل الإرغون، بالاستيلاء على السفينة بالقوة، وفي المعركة التي تلت ذلك غرقت السفينة وقُتل ستة عشر مُقاتلاً من الإرغون وثلاثة جنود إسرائيليين، وبعد فترة وجيزة، اعتقلت قوات الأمن مائتي عضو من الإرغون في جميع أنحاء البلاد مما أنهى وجودها فعلياً.

اسحاق شامير ونشطاء ليحي الذين كانوا تحت قيادته رفضوا بدورهم قبول سُلطة بن غوريون الأكثر اعتدالاً، وخلال فترة الصيف خلال الهدنة، صاغ مبعوث الأمُم المتحدة بيرندوت خُطة سلام مُؤقتة كانت ستنهي القتال، لكن الخطة لم تكن مقبولة من قبل ليحي وشامير، اللذين اتهما برنادوت بالتعاون مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية وصياغة اقتراح من شأنه إعادة رسم الحُدود الإسرائيلية بطريقة تشمل إعطاء معظم صحراء النقب والقدس للعرب، ووضع ميناء حيفا ومطار اللد تحت السيطرة الدولية، بالإضافة إلى إلزام الدولة اليهودية باستعادة 300 ألف لاجئ عربي من شأنه جعل اسرائيل غير قادرة للبقاء على قيد الحياة.

أصدرت ليحي عدة تحذيرات عامة على شكل إشعارات تم نشرها في شوارع المدن: "نصيحة إلى الوكيل برنادوت أخرج من بلادنا". كانت الإذاعة السرية أكثر صراحة، معلنةً أنه "سينتهي الكونت مثل اللورد" (إشارة إلى اللورد موين الذي تم اغتياله)، وتجاهل برنادوت التحذيرات، وأمر مراقبي الأمم المتحدة بعدم حمل السلاح قائلاً: "علم الأمم المتحدة يحمينا".

وعندما اقتنع برنادوت بقبول خطة المندوب أمر شامير باغتياله، في 17 سبتمبر بعد أربعة أشهر من إعلان قيام الدولة، وفي اليوم التالي لتقديم برنادوت خُطته إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، كان يسافر مع حاشيته في قافلة مُكونة من ثلاث سيارات ديسوتو سيدانس بيضاء من مقر الأمم المتحدة إلى حي رحافيا في القُدس اليهودية، وعندما سدت سيارة جيب طريقهم، قفز إلى الخارج ثلاثة شُبان يرتدون قُبعات سوداء عالية، أطلق اثنان منهم النار على إطارات مركبات الأمم المُتحدة، وفتح الثالث يهوشوا كوهين، باب السيارة التي كان برنادوت يستقلها وفتح النار بمدفع رشاش شمايسر إم بي 40، وقد أصابت دُفعة الرصاصات الأولى الرجل الجالس بجوار برنادوت، وهو كولونيل فرنسي اسمه أندريه سيروت، لكن الدفعة التالية

كانت الأكثر دقة أصابت الكونت في صدره، قُتل كلا الرجلين، وانتهى الهجوم برمته في ثوانٍ "مثل الرعد والبرق، الوقت الذي يستغرقه إطلاق خمسين طلقة"، هكذا وصفه ضابط الاتصال الإسرائيلي النقيب موشيه هيلمان، الذي كان في السيارة مع الضحايا، ولم يتم فيما بعد القبض على الجُناة.

أثارت عملية الاغتيال غضب القيادة اليهودية وإحراجها الشديد، وأدان مجلس الأمن ذلك باعتباره: "عملاً جباناً يبدو أنه ارتكبته مجموعة إجرامية من الإرهابيين في القُدس"، وكتبت صحيفة نيويورك تايمز في اليوم التالي: "لم يكن بوسع أي جيوش عربية أن تفعل الكثير [بالدولة اليهودية] في وقت قصير جداً ".

رأى بن غوريون أن عملية ليحي المارقة تمثل تحدياً خطيراً لسلطته، يُمكن أن يؤدي إلى انقلاب أو حتى حرب أهلية، حيث كان رد فعله على الفور قيامه بحظر كل من الإرغون والليحي، وأمَر رئيس الشاباك يسير هاريل ، باعتقال أعضاء ليحي، وكان على رأس قائمة المطلوبين اسحاق شامير، لم يتم القبض عليه ولكن تم القبض على كثيرين آخرين، وتم حبسهم تحت حراسة مُشددة، مما أدى لاختفاء ليحي من الوجود كمُنظمة.

كان بن غوريون ممتناً لهاريل لعمله النشط ضد الحركة السرية وجَعله مسؤول المُخابرات رقم واحد في البلاد.

كان إيسر هاريل رجلاً قصير القامة وقوياً ومُندفعاً، وقد تأثر بالحركة الثورية البلشفية الروسية والتي تم استخدامها للتخريب واقامة حرب العصابات والاغتيالات، لكنه كره الشيوعية، وعندما كان العمل تحت إشرافه، حافظ الشاباك على المراقبة المستمرة حيث قام بالتجسس السياسي ضد خُصوم بن غوريون السياسيين والأحزاب الاشتراكية والشيوعية اليسارية وحزب حيروت اليميني الذي شكله قدامى المحاربين في إرغون وليحي.

في غُضون ذلك كان بن غوريون ووزير خارجيته موشيه شاريت على خلاف حول السياسة التي ينبغي تبنيها تجاه العرب، وكان شاريت من أبرز قادة إسرائيل الأوائل الذين اعتقدوا أن الدبلوماسية هي أفضل طريقة لتحقيق السلام الإقليمي وبالتالي تأمين الدولة، وحتى قبل

الاستقلال قدم مبادرات سرية للملك الأردني عبد الله ورئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح، اللذين سيكون لهما دور فعال في تشكيل تحالف الغزو العربي، والذي كان بالفعل مسؤولاً إلى حد كبير عن الميليشيات الفلسطينية التي تكبدت خسائر فادحة قبل تأسيس الييشوف، وعلى الرُغم من مُناهضة رياض الصلح وبشدة لليهود والأعمال المُعادية لإسرائيل، إلا أنه التقى سراً مع إلياهو ساسون، أحد نواب شاريت عدة مرات في باريس في أواخر عام 1948 لمُناقشة اتفاقية السلام، وقال ساسون عندما كان شاريت، مُتحمساً لاتصالاته السرية، أخذه لإبلاغ مجلس الوزراء بأنه: "إذا أردنا إقامة اتصالات مع العرب لإنهاء الحرب، يجب أن نكون على اتصال مع هؤلاء الأشخاص الموجودين الآن في السُلطة، مع أولئك الذين أعلنوا الحرب علينا، والذين يواجهون صُعوبة في الاستمرار ".

من الواضح أن تلك المُبادرات الدبلوماسية لم تكن فعالة، ونتيجة لذلك أمر بن غوريون في 12 كانون الأول (ديسمبر) 1948 عُملاء المخابرات العسكرية باغتيال رياض الصلح.

آشر (آرثر) بن ناتان هو شخصية بارزة في الإدارة السياسية بوزارة الخارجية، وهي الذراع المسؤولة عن الأنشطة السرية في الخارج والذي تذكر قائلاً: "كان شاريت يعارض الفكرة بشدة، وعندما طُلب من قِسمنا مساعدة المُخابرات العسكرية في تنفيذ الأمر من خلال اتصالاتنا في بيروت، قام بتجاهل الأمر وقتله فعلياً".

هذه الحادثة بالإضافة إلى عدد من الاشتباكات الأُخرى بين هاريل وشاريت، جعلت دماء بن غوريون تغلي ولقد اعتبر الدبلوماسية بديلاً ضعيفاً لجيش قوي واستخبارات قوية، وكان ينظر إلى شاريت شخصياً، على أنه مُنافس يهدد سيطرة رئيس الوزراء، وفي كانون الأول (ديسمبر) 1949 أزاح بن غوريون الإدارة السياسية من سيطرة وزارة الخارجية ووضعها تحت قيادته المُباشرة، ثم أطلق على الوكالة اسماً جديداً: معهد الاستخبارات والعمليات الخاصة، ومع ذلك الاسم الأكثر شيوعاً كان يُعرف ببساطة باسم "المعهد" الموساد".

ومع إنشاء الموساد اندمجت أجهزة المخابرات الإسرائيلية الثلاث في المجتمع الذي يعيش على نفس الشكل إلى حد ما اليوم: أولاً: أمان وهي ذراع المخابرات العسكرية الذي يُزودِ الجيش الإسرائيلي بالمعلومات، وثانياً الشاباك (the Shin Bet) هو المسؤول عن المُخابرات الداخلية

ومُكافحة الإرهاب والتجسس، وثالثاً الموساد الذي يتعامل مع الأنشطة السرية خارج حدود الدولة.

والأهم من ذلك كان انتصاراً لأولئك الذين رأوا أن مُستقبل دولة إسرائيل يعتمد على جيش قوي ومُجتمع استخبارات أكثر من اعتماده على الدبلوماسية، وتجسد هذا الانتصار في المُمتلكات الحقيقية: من تسليم منازل فُرسان الهيكل السابقة في تل أبيب إلى الموساد والتي كانت قد احتلتها الإدارة السياسية، ويعتبر أيضاً انتصاراً شخصياً لإيسير هاريل، الذي كان مسؤولاً بالفعل عن الشين بيت وتم تنصيبه رئيساً للموساد أيضاً، مما جعله أحد أقوى الشخصيات وأكثرها سرية في تاريخ إسرائيل المبكر.

من تلك النُقطة فصاعداً سيتم تحديد السياسة الخارجية والأمنية الإسرائيلية من خلال التنافس بين تل أبيب حيث توجد فيها القيادة العسكرية العليا ومقر المخابرات، ووزارة الدفاع التي تعتبر المكان الذي قضى بن غوريون معظم وقته فيها وفي القُدس، ووزارة الخارجية التي استوطنت في مجموعة من الأكواخ الجاهزة كمسكن لهم، حيث بقيت ولا زالت تل أبيب دائماً هي اليد العُليا في كل شيء.

أبقى بن غوريون جميع الأجهزة تحت سيطرته المُباشرة، كان الموساد والشين بيت تحت قيادته بصفته رئيس الوزراء، وكانت المخابرات العسكرية تحت سلطته لأنه كان وزيراً للدفاع، ولقد كان هناك تركيزًا هائلاً للسلطة السياسية السرية، لكنه تم إخفاؤها رسمياً منذ البداية عن الجمهور الإسرائيلي، ومنع بن غوريون أي شخص من الاعتراف بها، ناهيك عن الكشف عن وجود هذه الشبكة المترامية الأطراف من المؤسسات الرسمية، وفي الواقع كان ذكر اسم الشين بيت أو الموسادفي العلن محظوراً حتى الستينيات، ولأنه لا يُمكن الاعتراف بوجودها فقد منع بن غوريون إنشاء أساس قانوني لعمليات تلك الوكالات نفسها، ولم يُحدد أي قانون لأهدافهم أو أدوارهم أو مهامهم أو صلاحياتهم أو ميزانياتهم أو العلاقات بينهم.

بعبارة أُخرى احتلت المُخابرات الإسرائيلية مُنذ البداية ما يُسمى بعالم الظل، وهو يُمثل أحد المُؤسسات الديمقراطية القريبة والمُنفصلة في البلاد، تمت أنشطة أجهزة المخابرات في معظمها (الشين بيت والموساد) تحت القيادة المباشرة لرئيس الوزراء، دون أي إشراف فعال من قبل البرلمان الإسرائيلي أو الكنيست أو أي هيئة خارجية مستقلة أخرى.

في عالم الظل هذا تم استخدام "أمن الدولة" لتبرير عدد كبير من الإجراءات والعمليات التي كانت في العالم المرئي، وستخضع للمُلاحقة الجنائية ولأحكام سجن طويلة: المُراقبة المُستمرة للمُواطنين بسبب انتماءاتهم العرقية أو السياسية؛ أساليب الاستجواب التي تضمنت الاحتجاز المطول دون عقوبة قضائية والقيام بالتعذيب؛ الحنث باليمين في المحاكم وإخفاء الحقيقة عن المُحامين والقُضاة.

كان المثال الأبرز هو القتل المُستهدف، ففي القانون الإسرائيلي لا توجد عُقوبة للإعدام، ولكن بن غوريون تحايل على ذلك بإعطاء نفسه سُلطة الأمر بتنفيذ عمليات الإعدام خارج نطاق القضاء.

كان مبرر الحفاظ على عالم الظل هذا هو أن أي شيء آخر غير السرية الكاملة يُمكن أن يُؤدي إلى مواقف من شأنها أن تهدد وجود إسرائيل ذاتها، ولقد ورثت إسرائيل عن الانتداب البريطاني نظاماً قانونياً يتضمن أحكاماً لحالة الطوارئ لفرض النظام وقمع التمردات، وكان من بين تلك الأحكام اشتراط أن تقدم جميع وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة أي تقارير عن أنشطة المُخابرات والجيش إلى الرقيب العسكري، الذي استخدم حق النقض ضد الكثير من المواد، ولم يتم إلغاء حالة الطوارئ حتى وقت كتابة هذه السطور، ولكن كتنبيه لوسائل الإعلام الجائعة كان بن غوريون حاذقاً بما يكفي لإنشاء هيئة تحرير كانت تتألف من رؤساء تحرير الصُحف المطبوعة والإذاعية، ومن وقت لآخر كان بن غوريون نفسه، أو أي شخص يمثله، يمكن أن يظهر أمام اللجنة لتبادل الحكايات السرية بينما يشرح لماذا لا يُمكن إطلاق سراح مثل هذه الحكايات، تحت أي ظرف من الظُروف للجُمهور، وكان المُحررون سُعداء لأنهم اكتسبوا لأنفسهم دُخول عالم من الشفق والتعرف على ألغازه، وامتناناً لهم، فرضوا على أنفسهم مُستوى من الرقابة الذاتية تجاوز حتى تلك التي فرضتها الرقابة الفعلية.

—

في يوليو 1952 افتُتح معرض للوحات للفنان الفرنسي الألماني تشارلز دوفال في المتحف القومي بالقاهرة، كان دوفال شاباً طويل القامة يتدلى من شفته سيجارة بشكل دائم، قد انتقل إلى مصر من باريس قبل عامين، معلناً أنه: "وقع في حب أرض النيل"، وقد نشرت صحافة القاهرة عددًا من المقالات المزيفة عن دوفال وأعماله التي تأثرت بقوة، كما قال النقاد عن بيكاسو أنه سرعان ما أصبح لاعباً أساسياً في المجتمع الراقي، وبالفعل هذا ما حدث فقد حضر وزير الثقافة المصري افتتاح معرض دوفال، بل واشترى لوحتين ثمينتين من اللوحات التي كان يريد تركها على سبيل الإعارة للمتحف حيث كانتا ستُعلقان لمدة 23 عامًا.

بعد خمسة أشهر عندما انتهى عرضه، قال دوفال إن والدته مرضت وكان عليه أن يهرع إلى باريس لرعايتها، وبعد عودته إلى فرنسا، أرسل بضع رسائل إلى أصدقائه القُدامى في مصر ثم لم يُسمع عنه أي شيء بعد ذلك.

كان اسم دوفال الحقيقي شلومو كوهين أباربانيل، وكان جاسوساً إسرائيلياً، كان الأصغر بين أربعة أبناء كان أبوهم حاخام بارز في هامبورغ بألمانيا، في شتاء عام 1933 عندما وصل النازيون إلى السلطة وبدأوا في تطبيق القوانين العِرقية، فرت عائلته إلى فرنسا ثم إلى فلسطين، وبعد أربعة عشر عاماً في عام 1947 عاد كوهين–أباربانيل إلى باريس لدراسة الرسم في سن السابعة والعشرين، فلقد كانت قُدراته الفنية واضحة منذ أن كان طفلاً صغيراً، وبعد فترة وجيزة سمع أفراد استخبارات الهاغاناه عن مواهبه وجندوه لتزوير جوازات سفر وأوراق ليستخدمها يهود أوروبا وشمال إفريقيا الذين يتم تهريبهم إلى فلسطين في انتهاك لقوانين الهجرة البريطانية، وهذه كانت بداية مسيرته الطويلة في مجال التجسس، ووصف نفسه على أنه فنان بوهيمي، قام كوهين–أباربانيل بتشغيل شبكات من الوكلاء في مصر وجند عُملاء جدد في جميع أنحاء العالم العربي، وجمع معلومات عن مُجرمي الحرب النازيين الذين لجأوا إلى الشرق الأوسط، وأبلغ رُؤسائه عن المُحاولات الأولية لعُلماء الصواريخ الألمان لبيع خدماتهم للجيوش العربية، وعندما عاد إلى إسرائيل في عام 1952 دَفَعَ رُؤسائه في جهاز المخابرات الشابة المُوساد إلى استثمار المزيد من الموارد في العُثور على النازيين وقتلهم.

بعد وقت قصير من توليه قيادة الموساد طلب إيسر هاريل من كوهين أباربانيل تصميم شعار رسمي للوكالة، أغلق الفنان على نفسه في غُرفته وخرج بتصميم رسمه باليد، في وسط التصميم كان هُناك الشمعدان ذو السبعة فروع، والمصباح المُقدس الذي كان قائماً في الهيكل في القُدس

والذي دمره الرومان في عام 70 بعد الميلاد، ويحمل الشعار أيضاً أُسطورة الآية 6 من الفصل 24 من كتاب الأمثال، وفقاً لتقاليد اليهود بقلم الملك سُليمان نفسه: "**لأنك بالحيلة تصنع الحرب**" وتم تغيير هذا لاحقاً إلى سطر آخر من الأمثال (الفصل 11، الآية 14)، والذي يقرأ: "عند عدم وجود ما يُسمى بالحيلة تسقط الأمة، لكن في كثرة المُستشارين يكمن الأمان". لا يُمكن أن يكون المعنى الذي يقصده كوهين أباربانيل أكثر وضوحاً من ذلك: فباستخدام الحيل السرية، سيكون المُوساد الدرع الأعلى للكومنولث اليهودي الجديد، مما يضمن عدم إهانة اليهود مرة أخرى وعدم سُقوط يهودا مرة أخرى.

كان ميثاق الموساد الذي كتبه هاريل، يتميز بكونه شاملاً وطموحاً بنفس القدر، وكان هدف المنظمة وفقاً لأوامرها الرسمية هو: "جمع المعلومات بشكل سري (إستراتيجي، سياسي، عملي) خارج حُدود الدولة؛ تنفيذ عمليات خاصة خارج حدود إسرائيل، وإحباط تطوير وحيازة أسلحة غير تقليدية من قبل الدول المعادية؛ منع الهجمات الإرهابية ضد أهداف إسرائيلية ويهودية خارج إسرائيل، والتطوير والحفاظ على العلاقات الاستخباراتية والسياسية مع الدول التي لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وجلب يهود إسرائيل من دول رفضت السماح لهم بالمُغادرة وإنشاء أُطر للدفاع عن اليهود الذين ما زالوا في تلك البلدان" بعبارة أخرى تم تكليفها ليس فقط لحماية إسرائيل ومواطنيها، ولكن أيضاً بالوقوف كحارس للدفاع عن يهود العالم.

كان على **خدمات الاستخبارات الإسرائيلية الشبابية** أن تُقدم رداً على سلسلة من التحديات التي قدمتها الحلقة المكونة من 21 دولة عربية معادية أحاطت بإسرائيل وهددت بتدميرها، وكان هناك من هم في المراتب العُليا في مؤسسة الدفاع ممن اعتقدوا أن أفضل طريقة لمُواجهة هذه التحديات هي استخدام عمليات خاصة محددة بدقة تتجاوز خطوط العدو.

ولهذه الغاية تم إنشاء أمان وهي وحدة يطلق عليها جهاز المخابرات 13 (والذي يعتبر في التقاليد اليهودية رقم الحظ بالنسبة لهم)، ذهب أبراهام دار إلى مصر في عام 1951 وهو الآن أحد ضُباطها البارزين، ولقد ذهب لإنشاء شبكة من العُملاء الذين تم انتقاؤهم من النشطاء الصهاينة المحليين بذرائع مختلفة، بعد ذلك سافر المجندون إلى أوروبا، ثم إلى إسرائيل للتدريب

على التجسس والتخريب، وأوضح دار الذي حدد هدف انشاء شبكته أن: "**المشكلة المركزية التي جعلت مصر معادية لإسرائيل هي الطريقة التي يدير بها الملك فاروق الحكومة، وإذا تمكنا من التخلص من تلك العقبة لكان من الممكن حل العديد من المشاكل**" وبعبارة أخرى لجأ دار إلى المثل الإسباني: "عدم وجود الكلب، يجعل من ظُهور داء الكلب مُستحيلاً".

ثبت أن التخلص من "الكلب" غير ضروري وسرعان ما أُطيح بفاروق في انقلاب، وعلى افتراض أمان بأن الأمور ستكون أفضل عندما يرحل، ولكن تبين أنه على العكس تماماً، ومع ذلك فإن بمجرد التفكير في أن هذه الشبكة المصرية القائمة بالفعل يمكن استخدامها لتغيير مجرى التاريخ في المنطقة كانت ببساطة مغرية للغاية بالنسبة لقادة إسرائيل للتخلي عنه، وقامت أمان باستخدام هؤلاء العملاء المحليين ضد حركة الضُباط الأحرار، والتي أطاحت بفاروق مؤخراً وذلك "بهدف تقويض ثقة الغرب في النظام [المصري] من خلال التسبب في انعدام الأمن العام وإثارة المظاهرات والاعتقالات والأعمال الانتقامية، مع بقاء دور إسرائيل غير مكشوف". لكن العملية برمتها انتهت بكارثة.

على الرغم من التدريب المكثف كان المجندون في أمان هواة وقذرون، وانتهت جميع عملياتهم التخريبية بالفشل، في النهاية تم طرد أحد عشر عُنصراً من قبل السُلطات المصرية، أُعدم بعضهم بعد محاكمات قصيرة، وانتحر أحدهم بعد تعرضه لتعذيب شنيع، وحُكم على المحظوظين بالسجن لمدة طويلة وبالأشغال الشاقة.

أدت الاضطرابات التي أعقبت ذلك إلى نُشوب نزاع سياسي كبير احتدم في إسرائيل لسنوات عديدة، حول ما إذا كانت أمان قد حصلت على موافقة المُؤسسة السياسية لهذه العمليات الفاشلة.

كان الدرس الرئيسي الذي استخلصته إسرائيل هو أنه لا ينبغي أبداً تجنيد اليهود المحليين في دول مُعادية "مستهدفة"، كان من شبه المؤكد أن من يتم القبض عليهم وينتهي بهم الأمر بالموت، وبالتالي مُحاولة تقفي أثر جميع الجنود الآخرين في أنحاء الجالية اليهودية، وعلى الرُغم من شُعور قادة اسرائيل بالإغراء لاستخدام الأشخاص الموجودين بالفعل على الأرض وأنهم لم يكونوا بحاجة إلى إنشاء قصة لتغطية ما حدث، إلى أن اسرائيل لم تفعل ذلك مرة أخرى تقريباً.

ومع ذلك فإن القناعة الأساسية بأن إسرائيل يُمكن أن تتصرف بطريقة أكثر جرأة وتغير التاريخ من خلال عمليات خاصة خلف خطوط العدو ظلت قائمة، حيث تم ترسيخها في الواقع كمبدأ أساسي لعقيدة الأمن الإسرائيلية، وأن هذه الفلسفة التي تنص على أن العمليات الخاصة خلف خطوط العدو يجب أن تكون على الأقل واحدة من الأساليب الأساسية للدفاع الوطني في البلاد، وأنها سوف تسود بين المؤسسة السياسية والاستخباراتية الإسرائيلية على طول الطريق حتى يومنا هذا.

وبينما أبقت العديد من الدول القائمة في العالم على الفصل بين أجهزة الاستخبارات التي جمعت المعلومات ووحدات العمليات التي استخدمت تلك المعلومات لإجراء مهام سرية، كانت القوات الخاصة الإسرائيلية منذ البداية جزءً لا يتجزأ من وكالات استخباراتها، ففي أمريكا على سبيل المثال، تعتبر وحدات العمليات الخاصة Delta Force و SEAL Team Six من مكونات قيادة العمليات الخاصة المُشتركة، وليست وكالة المُخابرات المركزية أو المُخابرات العسكرية، لكن في إسرائيل كانت وحدات العمليات الخاصة تحت السيطرة المُباشرة لأجهزة المُخابرات المُوساد و أمان.

كان الهدف هو ترجمة المعلومات الاستخباراتية المجمعة باستمرار إلى عمليات، بينما كانت الدول الأخرى في ذلك الوقت تجمع المعلومات الاستخبارية أيضًا في وقت السلم، ولم تفعل ذلك إلا لتكون مُستعدة في حالة اندلاع الحرب، أو لتفويض هجمات القُوات الخاصة العرضية، ومن ناحية أُخرى ستستخدم إسرائيل باستمرار استخباراتها لتطوير هجمات خاصة خلف خُطوط العدو على أمل تجنب الحرب الشاملة تماماً.

—

كان التصميم للشعار يُعتبر ميثاقاً وفلسفة عسكرية لشيء واحد، ألا وهو التنفيذ وما تعلمه هاريل قريباً كان شيئاً آخر تماماً لا سيما عندما يتعلق الأمر بالعمل العدواني.

أول عملية كبيرة للموساد انتهت بشكل سيء، في تشرين الثاني (نوفمبر) 1954، نزل نقيب في البحرية الإسرائيلية يدعى ألكسندر يسرائيل، وهو رجل مخادع كان مثقلاً بالديون في خارج البلاد، وكان يحمل جواز سفر مُزيف وقد حاول بيع وثائق سرية للغاية للسفارة المصرية في

روما، ثم أبلغ عميل للموساد رؤسائه، حيث كان يعمل في تلك السفارة في تل أبيب، والذين بدأوا على الفور في وضع خُطة لاختطاف يسرائيل وإعادته إلى إسرائيل لمُحاكمته كخائن.

بالنسبة إلى هاريل كان هذا اختباراً حاسماً سواء بالنسبة لأمن الأمة أو في حياته المهنية، في تلك السنوات التكوينية كان رُؤساء جميع الوكالات يتنافسون على السلطة والمكانة، وقد يكون فشلاً كبيراً واحداً مهلكاً ومدمراً للغاية، ولقد قام هاريل بتشكيل فريق رفيع المُستوى من عُملاء الموساد والشين بيت للقبض على يسرائيل في أوروبا، وعين ابن عمه الثاني رافي إيتان الذي اغتال وهو في سن المُراهقة اثنين من فُرسان الهيكل الألمان، وكان تحت مسؤوليته.

يقول إيتان: "**كان هُناك اقترح للعثور على يسرائيل وقتله في أسرع وقت مُمكن، لكن هاريل دمر ذلك على الفور وقال على لسانه: "نحن لا نقتل اليهود"، وأعلن أن هذه عملية اختطاف**". وقال هاريل نفسه مُبرراً لما فعله: "**لم يخطر ببالي قط أن أصدر أمراً بقتل أحدنا، كنت أرغب في إحضاره إلى إسرائيل ومُحاكمته بتُهمة الخيانة**".

هذه نقطة مهمة فعندما يعتبر كجزء من التقاليد المُتعارف عليها أن الشعور بالمسؤولية يجب أن تكون مُتبادلة في الدولة اليهودية، وأن تكون العلاقة عميقة بين جميع اليهود وكأنهم عائلة واحدة كبيرة، ويُنظر إلى هذه القيم على أنها أبقت الشعب اليهودي على قيد الحياة كأمة طوال ألفي عام في المنفى، وأن قيام يهودي بإيذاء يهودي آخر يعتبر أمراً لا يطاق، وبالعودة إلى أيام الحركة السرية الفلسطينية، عندما كان من المُستحيل فعلياً إجراء مُحاكمات، وكان القضاء على الخونة اليهود يُعتبر أمراً مشروعاً إلى حد ما ولكن ليس بعد قيام الدولة، فأصبحت العبارة: "**نحن لا نقتل اليهود**" قانوناً حديدياً لمُجتمع المخابرات الإسرائيلي، حتى لو كان يُعتقد أنهم يُشكلون خطراً جسيماً على الأمن القومي الإسرائيلي.

تُكشفت الخطة بشكل مثالي في البداية حيث قام إيتان وثلاثة آخرون باختطاف يسرائيل بعد أن أوقفته امرأة أخرى في الموساد عند تقاطع باريس، ثم نُقل الأسير إلى منزل آمن، وحقنه طبيب الموساد بمهدئ ووضعه في قفص يُستخدم عادة لنقل الأسلحة، وقبل خوضه في رحلة طويلة ومُتعددة التوقف على متن طائرة شحن تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، في كُل محطة كان يتم حقن يسرائيل مرة أُخرى إلى أن حطت الطائرة في أثينا، تعرض يسرائيل لنوبة شديدة ومات، وبعد أوامر من هاريل، انتهى الأمر بأحد رجال إيتان بإلقاء الجُثة من مؤخرة الطائرة في البحر.

قام رجال هاريل بمد الصحافة الإسرائيلية بمعلومات كاذبة تفيد بأن يسرائيل بعد أن ترك زوجته الحامل، سرق أموالاً واستقر في مكان ما في أمريكا الجنوبية، وكان هاريل محرجاً للغاية لأن العملية الخاصة به انتهت بموت يهودي، وأعطى أمراً بإخفاء جميع السجلات الخاصة بالقضية في أعماق إحدى خزائن الموساد، ولكن خُصوم هاريل احتفظوا بنُسخة من بعض الوثائق لاستخدامها ضده يوماً ما إذا لزم الأمر.

كما توصل هاريل إلى نتيجة مفادها أن هُناك حاجة مُلحة لتشكيل وحدة خاصة مُصممة خصيصاً للقيام بمهام التخريب والقتل المُستهدف، وبدأ البحث عن (مُقاتلين مُدربين، أقوياء ومُخلصين لن يترددوا في الضغط على الزناد عند الضرورة)، ولقد وجدهم في المكان الأخير الذي كان من المتوقع أن ينظر إليه: قُدامى المحاربين في الإرغون وليحي، الذين قاتل ضدهم ذات مرة وكان صراعاً مريراً آن ذاك.

كان بن غوريون قد منع توظيف أي أعضاء سابقين في العمل السري لليمين في الدوائر الحُكومية، وكان العديد منهم عاطلين عن العمل ومُحبطين ومُتعطشين للعمل، واعتقد الشين بيت أن بعضها كان يُشكل خطراً ويُمكن أن تبدأ تحركات سرية ضد النظام.

كان هاريل يهدف إلى قتل عُصفورين: لتأسيس وحدة العمليات الخاصة به، وجعل المُقاتلين السريين يعملون تحت إمرته خارج حُدود الدولة.

ديفيد شومرون ويتسحاق شامير ورفاقهم في الارغون والليحي، الذين اعتُبروا بأن لديهم من القسوة والجرأة بما فيه الكفاية، قاموا بدعوتهم إلى منزل هاريل في شمال تل أبيب وتأدية القسم، وكان هذا تأسيس لفريق ميفراتس، والتي تعني بالعبرية "الخليج" أو "Bay" بالانجليزية، وكان أول فريق ناجح للموساد.

3

تذكرة رحيل للآخرة

انتهت حرب استقلال إسرائيل في الواقع بعقد اتفاقيات هدنة في عام 1949 ولم يتوقف القتال الغير الرسمي أبداً، وطيلة أوائل الخمسينيات من القرن الماضي كان يتم ترشيح البلاد باستمرار من قبل العرب الذين يعيشون في أجزاء فلسطين التي ظلت في أيدي العرب بعد الحرب (أي قطاع غزة في الجنوب) والذي كانت تحت إدارة مصر، وكانت الضفة الغربية في الشرق تحت إدارة الأردن، وقدر الجيش الإسرائيلي أنه في عام 1952، حدث حوالي ستة عشر ألف تسلل (أحد عشر ألفًا من الأردن والباقي من مصر)، كان بعض هؤلاء المتسللين من اللاجئين الذين فروا خلال حرب الاستقلال، إما طوعاً أو كرهاً، وكانوا يحاولون العودة إلى قراهم وإنقاذ ما تبقى من ممتلكاتهم، لكن هناك كثيرين آخرين كانوا يناضلون من أجل تحقيق هدفهم بقتل اليهود ونشر الرعب بينهم، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم (الفدائيين) وأولئك هم الذين يضحون بأنفسهم.

على الرغم من توقيع المصريين على الاتفاقية، أدركوا بسرعة أن الفدائيين يمكنهم خوض الحرب بالوكالة نيابةً عنهم، فمن خلال التدريب والإشراف المناسبين، يمكن لهؤلاء المقاتلين الفلسطينيين إحداث فوضى كبيرة في إسرائيل بينما يمنحون مصر غطاء الإنكار بشكل لائق.

تم تكليف النقيب الشاب مصطفى حافظ في المخابرات العسكرية المصرية، لتنظيم الفدائيين، ابتداءاً من منتصف عام 1953، بدأ حافظ مع صلاح مصطفى (الملحق العسكري المصري في العاصمة الأردنية عمان) في تجنيد وتدريب فرق حرب العصابات لإرسالها إلى جنوب إسرائيل، حيث تسللت تلك الفرق البالغ عددها ستمائة فدائي لسنوات عديدة عبر الحدود من غزة، ودمرت كل ما في وسعها تدميره، قاموا بتفجير أنابيب المياه وإشعال النيران في الحقول وقصف مسارات القطارات وتفجير الطرق الملغومة؛ وقاموا أيضاً بقتل المزارعين في حقولهم وطلاب المدارس الدينية أثناء الدراسة، تُقدر بمجموع حوالي ألف مدني بين عامي 1951 و

1955، ونشروا الذعر والخوف لدرجة أن الإسرائيليين امتنعوا عن القيادة ليلاً على الطرق الرئيسية في الجنوب.

حققت فرق الفدائيين (فرق التوكيل) نجاحاً كبيراً، ولم يستطع الإسرائيليون تحميل مصر أو الأردن المسؤولية المباشرة، وبدلاً من ذلك قاموا بالمقابل بتجنيد وكلائهم العرب، وتحويلهم إلى مخبرين، وجمع المعلومات الاستخبارية عن أهداف الفدائيين ثم اغتيالهم، وتم تكليف معظم هذه المهام بفريق استخبارات للجيش الإسرائيلي يعرف باسم الوحدة 504.

نشأ بعض رجال الوحدة 504 في الأحياء العربية في فلسطين، وبالتالي كانوا على دراية وثيقة باللغة والعادات الخاصة بالسكان المحليين، وكانت الوحدة 504 تحت قيادة (رحافيا فاردي) وهو بولندي الجنسية، فاردي كان قد عمل ضابطاً كبيراً في استخبارات الهاغاناه قبل تأسيس الدولة، وكان معروفاً بذكائه الحاد وتصريحاته الفظة، قائلاً: "**إن كُل عربي يُمكن تجنيده على أساس واحد من ثلاثة؛ المنصب أو المال أو الجنس**"، ومن خلال تلك الوسائل الثلاثة أو غيرها من الوسائل، قام فاردي ورجاله بتجنيد أربعمائة إلى خمسمائة وكيل، والذين نقلوا معلومات لا تقدر بثمن عن القادة الفدائيين في الفترة ما بين 1948 و 1956، وتم التعرف على العديد منهم وتحديد موقعهم واستهدافهم، ومن عشرة إلى خمسة عشر حالة من تلك الحالات، أقنع الإسرائيليون عملائهم العرب بوضع قنبلة بالقرب من الهدف.

كان ذلك عندما اتصلوا بالوحدة 188، عندما طلبوا خدمات ناتان روتبرج.

قال روتبرج: " لقد كان كل شيء في غاية السرية، لم يسمح لنا بذكر اسماء الوحدات، ولم يُسمح لنا بإخبار أي شخص إلى أين كنا نذهب أو أين نخدم أو حتى بدون أن نقول ماذا كنا نفعل".

كان روتبرج ذو رقبة كثيفة وشارب كثيف، واحدًا من مجموعة صغيرة، كان عددها فقط يتكون من بضع مئات من الرجال، شاركوا في تشكيل الثلاثية الأصلية لأمان والشين بيت والموساد، وفي عام 1951، عندما تم تعيين روتبرج في وحدة كوماندوز بحرية تسمى (شايطيت 13)،

أقامت المُخابرات الإسرائيلية مُنشأة سرية شمال تل أبيب (عمليات الهدم الخاصة) لتعليم وتصنيع قنابل مُتطورة، وتم تعيين روتبرج ضابط المتفجرات في شايطيت 13 لإدارتها.

كان لدى روتبرج وعاء كبير مركب فيه خليط من ال TNT و خماسي اريثريتول رباعي النترات ومواد كيميائية أخرى من مكونات وعناصر مختلفة مميتة، ولكن على الرغم من أن خلطاته كانت مصممة لقتل الناس، إلا أنه ادعى أنه لم يكن يقوم بها بدافع الحقد والكره الذي في قلبه، وقال: "عليك أن تعرف كيف تسامح، عليك أن تعرف كيف تغفر للعدو، وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا القوة أن نغفر لأناس مثل بن لادن، وهذا الذي لا يقدر على فعله سوى الله وحده، وتقتصر مهمتنا على ترتيب لقاء بينهما، ففي مختبري فتحت مكتب متخصص في صنع الثِقَاب، وهو مكتب رُتب لمثل هذه الاجتماعات، ولقد نظمت فيه أكثر من ثلاثين اجتماعا من هذا القبيل".

عندما حدد Rehavia Vardi ورجاله الهدف، كانوا يذهبون إلى روتبرج للحصول على القنبلة، وقال روتبرج: "في بداية عملنا قمنا باستخدام سلال من الخيزران ذات فجوتين عميقتين، وكنت أبطن الجزء السفلي من السلة بورق غير منفذ للخارج وأسكب الخليط في الحوض، ثم أضع الغطاء عليها، وفوق ذلك كنا نملأه بالفواكه والخضروات، لكن بالنسبة لآلية [بدء التشغيل]، استخدمنا أقلام الرصاص وأدخلنا فيها أمبولات مملوءة بالحمض الذي سيقوم بالتآكل بعيدًا حتى يصل إلى المفجر، ثم يتم تنشيط القنبلة، وإطلاق الشحنة لحدوث الانفجار، وكانت المشكلة تكمن في أن الظروف الجوية أثرت على الوقت الذي يستغرقه الحمض في التآكل [الغطاء]، مما أدى إلى عدم انتظام التوقيت في حدوث الانفجار، مما أدى إلى جعل القنبلة تنفجر في قطاع غزة في وقت مختلف عن الوقت الذي سوف تنفجر فيه القنبلة الأخرى في الضفة الغربية، نظراً لبرودة الجو فيها بشكل عام، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى استخدام الساعات التي تكون أكثر دقة في تحديد الوقت".

لكن قنابل التي صممها روتبرج كانت بالكاد كافية لحل مشكلة الفدائيين، وبحسب عدة مصادر قتلت المتفجرات سبعة أهداف فقط بين منتصف عام 1951 ومنتصف عام 1953، بينما قتلت أثناء العملية ستة مدنيين.

واستمرت الهجمات بلا هوادة، بترهيب المدنيين الإسرائيليين وتعرض جيش الدفاع الإسرائيلي للإذلال. وتمكن فاردي ورجاله من جمع معلومات قليلة عن هويات الفدائيين، بالرغم من أنهم

كانوا موهوبين في تجنيد العملاء. وحتى عندما كشفت الوحدة عن أهداف محددة، لم يكن الجيش الإسرائيلي قادرًا على العثور عليهم أو قتلهم، ويقول إيغال سيمون أحد المحاربين القدامى في الوحدة 504 والتي ستكون لاحقاً بقيادته: "كان لدينا حدود أثرت على نسبة نجاح تحقيق الأهداف، فلم يكن لدينا معلومات استخباراتية دائمًا، ولم نتمكن من إرسال عملائنا إلى كل مكان، ولم يُقَدِروا بما فيه الكفاية في الجيش الإسرائيلي، وكان من المهم للقيادة العليا أن تُظهر أن الأيادي اليهودية في جيش الدفاع الإسرائيلي باستطاعتها تنفيذ مثل هذه الأعمال".

حاولت وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي النظامية عدة مرات اختراق قطاع غزة وسيناء والأردن لتنفيذ هجمات انتقامية فيها، لكنها فشلت مرارًا وتكرارًا، وبناءً على ذلك قرر رئيس الوزراء بن غوريون تطوير أي قدرة يفتقر إليها جيش الدفاع الإسرائيلي، ففي اجتماع سري في 11 يونيو/ حزيران 1953 وافق مجلس الوزراء الإسرائيلي على توصيته بأن: "يأذن بن غوريون بنفسه لوزير الدفاع بالموافقة على ... أعمال انتقامية ضد الهجمات والقتل [التي ارتكبها] القادمون من وراء خطوط الهدنة الإسرائيلية الأردنية"، واستخدم بن غوريون السلطة المخولة له ليتصرف بعد ذلك بوقت قصير، وفي 25 مايو / أيار، قُتل حارسان في إيفين سابير، وهي مستوطنة قريبة من القدس، وأمر بوضع تفاصيل سرية خاصة من أجل التخلص من إرهابي فلسطيني كبير اسمه مصطفى صمولي، والذي كان وراء قتل الحراس.

الآن بن غوريون يحتاج فقط إلى الرجل المناسب لقيادتها.

—

أريل شاينرمان، المعروف بشكل أفضل بأريل شارون، والذي كان طالبًا يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا في صيف عام 1953، لكنه كان يتمتع بالفعل بخبرة قتالية واسعة، ولقد أثبت نفسه كقائد منذ أيامه كمستشار لحركة الشباب المراهق وأثبت شجاعته خلال حرب الاستقلال التي أصيب خلالها بجروح بالغة. أريك كما كان يُعرف أيضًا، كان يتمتع بشخصية كاريزمية ووأنه شخص موثوق به، كان محاربًا في أفضل حالاته البدنية، ولم يتردد عندما جندته هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي للقضاء على ساموئيلي، وكتب ابن شارون جلعاد، في سيرة

حياة أربيل: "أبي قال نعم على الفور، حيث كان واثقًا من أنه مع سبعة أو ثمانية رجال طيبين، أصدقاء له خدموا معه في الحرب وبعد ذلك، ومع توفر المعدات المناسبة، يمكنه فعل ذلك".

في ليلة 12-13 تموز (يوليو)، تمكن شارون مع فريق مكون من جنود الاحتياط من دخول قرية ساموبلي في الضفة الغربية وتفجير منزله، ولكن المعلومات الاستخباراتية التي تلقوها كانت خاطئة، فساموبلي لم يكن في المنزل آن ذاك، وتورطت القوة في تبادل لإطلاق النار.

واعتبرت القيادة العليا العملية بمثابة اختراق عميق ناجح لأراضي العدو، وإثباتًا لقدرتها على إصابة الهدف، والعودة إلى القاعدة دون وقوع إصابات، عاد شارون في المقابل منهكا وغير راض تماما، وكان استنتاجه أن مثل هذه العمليات يجب أن يتم إجراؤها من قبل محترفين، وهو أمر مختلف تمامًا عن مجموعة من الأصدقاء العشوائيين الذين قام باصطحابهم معه في تلك الليلة، وأخبر رؤسائه أن هناك حاجة إلى وحدة كوماندوز خاصة، وفي 10 أغسطس، ظهرت الوحدة 101 إلى الوجود.

"تم إنشاء هذه الوحدة لغرض العمليات عبر الحدود، تلك المهام غير القياسية التي تتطلب تدريبًا خاصًا وأداءً عالي المستوى"، ذلك وفقًا لـ "إجراءات العمليات 101" التي كتبها شارون بنفسه.

وكان لشارون الحرية المطلقة في اختيار رجاله من جنود الاحتياط المعاد صقلهم في الجيش وحتى الجنود النظاميين منهم، أراد أن يضعهم في برنامج تدريبي مرهق لمدة عام، ولقد تعلم مقاتلوه كيفية التعامل مع المتفجرات، وكيفية الإبحار لمسافات طويلة، وكيفية إطلاق النار بدقة أثناء الركض فوق تضاريس جبلية، وهي تدريبات طورت مهاراتهم وغرست الشعور بالفخر والثقة لديهم.

عمل القائد الشاب على التأكد من أن رجاله يقفون بعيدًا عن العسكريين النظاميين، حيث قاموا بتسليحهم بسلاح شخصي مختلف عن البندقية التشيكوسلوفاكية القديمة المستخدمة في ذلك الوقت، وبدلاً من ذلك، كانوا يحملون بنادق رشاشة من طراز Carl Gustav، وكانوا أول من جرب سلاح Uzi الإسرائيلي الجديد والذي لا يزال سريًا.

قام شارون بالتخفيف من حدة الالتزام بقواعد اللباس والسلوك، ففي قاعدتهم السرية التي كانت في جبال القدس، غالبًا ما كان رجال الوحدة 101 يعملون طوال الوقت بالزي المدني، بالنسبة لشارون لم تكن المظاهر الخارجية للنظام العسكري ذات أهمية كبيرة، والأهم من ذلك هو أن رجاله يعتقدون أنهم مميزون بل وأنهم الأفضل من الجميع، حيث يثقون بقائدهم: وكانت الإحاطة العملياتية لشارون دقيقة ولا لبس فيها، فقد حارب في مقدمة كتيبته، وغالبًا في أضعف موقع فيها، مجسدًا الشعار المعروف جيدًا لقادة جيش الدفاع الإسرائيلي: "اتبعني!"

كان شارون مشبعًا بدوافع غير محدودة وغير مقيدة لمواصلة العمليات، وأدرك أنه إذا كان عليه الانتظار للحصول على معلومات استخباراتية دقيقة من أمان لتنفيذ عملية القتل المستهدفة، فمن المحتمل ألا يفعل أي شيء أبداً.

وعليه قام شارون وموشيه ديان، رئيس الأركان العامة بتغيير بعض التكتيكات، متخليين عن الدقة الشديدة في اجراء العمليات، واستخدام تكتيك أكثر بدائية، وبدلاً من قتل قادة الإرهابيين الفلسطينيين، فإنهم سينتقمون لمقتل الإسرائيليين من خلال مهاجمة وإرهاب القرى العربية التي انطلق منها هؤلاء الإرهابيون وقاموا بإيذاء اليهود، ومعسكرات الجيش ومراكز الشرطة.

قال ديان في محاضرة عام 1955: "لا يمكننا منع قتل العمال في البساتين والعائلات النائمة في أسرتها، لكن لدينا القدرة على تحديد ثمن باهظ لسفك دمائنا".

شارون الذي كان دائماً متلهفاً للعمل، وضع خططاً لسلسلة من الغارات العقابية ضد أهداف عسكرية ومدنية عربية، ثم ضغط على رؤسائه من أجل الموافقة عليها، ومع ذلك، فإن السؤال المطروح هو كم عدد تلك المداهمات التي كانت عقابية وليست استفزازية؟ وكان شارون مغرما باقتباس مقولة دايان الشهيرة "نحن لا نبدأ المعارك في أوقات السلم". عوزي عيلام، الشخص الذي شغل منصب ضابط مخابرات شارون، يشير إلى أن هذه القاعدة لم تكن صارمة، قائلاً: "كانت هناك حالات كثيرة قمنا فيها، بناء على طلب أريك، باستفزاز العدو عبر الحدود وقمن بالتحريض على الحرب، في تحليل حقيقي لـ "من بدأها" على مدار التاريخ الكامل لردود جيش الدفاع الإسرائيلي، فلن نخرج صريحين تمامًا ".

حتى في الوقت الحقيقي بينما كانوا يكتشفون وجود جوانب سلبية واضحة لتكتيكات شارون، في خريف عام 1953، قتل الفدائيون امرأة شابة وطفليها في يهود، جنوب شرق تل أبيب، وكانت جريمة قتل وحشية صدمت الجمهور الإسرائيلي، وتعهدت الحكومة بالانتقام، فلقد

افترضوا أن المسلحين العرب يستخدمون قرى الضفة الغربية القريبة من الحدود كقواعد لمهاجمة إسرائيل، ثم اختار شارون إحدى تلك القرى مثل قبيا، التي ربما قد تكون متورطة أو غير متورطة في جرائم القتل في يهود كهدف.

في 15 أكتوبر قبل الفجر، قاد شارون قوة قوامها 130 رجلاً من الوحدة 101 وجماعات أخرى، محمّلاً أكثر من 1500 رطل من المتفجرات إلى قبيا، وفي غضون ساعات، دُمرت القرية، وشهد لاحقا أحد مساعدي شارون: "أنه في عملية قبيا فجرنا 43 منزلاً، وكان الجيش الإسرائيلي مزودًا بمصابيح كهربائية صغيرة من مخلفات الجيش البريطاني، وهو شيء بالكاد تستطيع الرؤية من خلاله، دخلنا باستخدام مكبر الصوت، حيث الأضواء المشعة من المصابيح وصرخنا: "إذا كان هناك أي شخص هنا، فاخرج لأننا على وشك تفجير المكان"، نهض البعض وخرج من المكان، ثم وضعنا المتفجرات وفجرنا المنزل، وعندما عُدنا، أبلغنا عن مقتل 11 عربياً، لم يكن الأمر أننا كذبنا بشأن عدد الضحايا، ولكن نحن فقط لم نكن نعلم".

كان عدد القتلى أعلى بستة أضعاف، حيث قُتل ما لا يقل عن 69 شخصاً، معظمهم من النساء والأطفال، حيث أصيب العالم، بما فيه الكثير من المجتمعات الإسرائيلية والجاليات اليهودية بالرعب، وقام مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بإدانة الغارة، ووزارة الخارجية الأمريكية أيضاً فعلت ذات الشيء، التي أعلنت أنها أوقفت بالفعل مساعداتها لإسرائيل بسبب خرقها لاتفاقيات الهدنة عام 1949.

كان التفسير الرسمي لإسرائيل للمذبحة هو أن المدنيين اليهود الفاسدين كانوا هم المسؤولين عنها، حيث قال بن غوريون علناً ليلة الغارة: "كانت جميع وحدات الجيش الإسرائيلي في قواعدها". بينما كرر أبا إيبان سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة كذبة بن غوريون في جلسة عقدت لمجلس الأمن.

في السر قدم بن غوريون لشارون دعمه الكامل، فعلى الرغم من الغضب العلمي إلى أن الوحدة 101 رفعت الروح المعنوية داخل الجيش الإسرائيلي الذي كان منهكاً بسبب العمليات الدفاعية التي لا هوادة فيها، وكانت الوحدة مثالاً للتفاني والجرأة والبراعة الجسدية والقدرة على التحمل العقلي، التي تطمح إليها كل وحدة في جيش الدفاع الإسرائيلي، وكما قال شارون لاحقًا بما يخص الوحدة 101 "أنها صمدت خلال فترة قصيرة، وأنه لا توجد مهمة لا يمكنها القيام بها،

وأن هذه المهام ساعدت في تأمين حدود إسرائيل". هذا الادعاء مفتوحاً للنقاش وهناك تساؤلات جدية حول مدى نجاح غارات الكوماندوز هذه في الحد من هجمات المتسللين، وبعضها لم يحقق حتى أهدافه المباشرة، لكن الجنود الإسرائيليين اعتقدوا أن ذلك صحيح.

وكان ذلك كافياً في أوائل عام 1954، بعد خمسة أشهر فقط من تأسيس الوحدة 101، قام دايان بدمجها مع لواء المظليين مع شارون كواحد من قادة الكتائب، واعتقد دايان أن الوحدة 101 أصبحت نموذجًا للتدريب والانضباط والتفاني والمهارة التي يمكن لشارون تكرارها مع لواء المظليين ثم مع الجيش بأكمله.

كان نشاط شارون داخل المظليين أكثر تحفظا، لأنه لم يعد قائداً لوحدة مستقلة، ولكن أيضاً بسبب التغييرات التي حدثت في القيادة العليا، كان بن غوريون قد استقال واستُبدل كرئيس للوزراء بموشيه شاريت، الذي امتنع بشكل عام عن الموافقة على الهجمات الانتقامية.

لكن الأمر الذي لم يوافق عليه شاريت، أخذه رجال شارون على عاتقهم، فعندما قُتلت شقيقة المحارب الأكثر شهرة في الوحدة 101، (مئير هار تسيون) بوحشية شديدة على يد البدو أثناء قيامهم بنزهة غير قانونية عبر الحدود الأردنية، وانتقاماً لذلك هار تسيون واثنان من رفاقه، بتشجيع من شارون معنوياً ومساعدتهم لوجستياً، ذهبوا إلى مكان الحادث وقتلوا أربعة رعاة من البدو، وطالب شاريت بمحاكمتهم عسكرياً، لكن دايان وشارون، بدعم من بن غوريون أحبطوا ذلك.

كتب شاريت في مذكراته في 11 يناير 1955: "أتساءل عن طبيعة ومصير هذه الأمة، التي لامست روحهم الحساسة الرقيقة، أتكلم عن كمية هذا الحب العميق للإنسانية، عن هذا الشوق الصادق في أعنيهم عن الجمال والرفعة، بينما ينتج في الوقت نفسه من بين صفوفها، شباب قادرين على قتل الناس بعقل صافٍ وبدم بارد، بدفع السكاكين وطعنها في لحم البدو الشاب الأعزل، أي من الروحين اللذان يتجولان بين صفحات هذا الكتاب المقدس، سيتغلب على منافسه الآخر له داخل هذه الأمة؟".

—

على الرغم من جميع الأحداث التي حصلت، مصطفى حافظ كان لا يزال على قيد الحياة.

استمر نقيب المخابرات المصرية وزميله في الأردن صلاح مصطفى في تشكيل فرق من المتسللين الفلسطينيين، وما زال هؤلاء المتسللون يعيثون الفوضى في إسرائيل.

في 17 مارس 1954، نصبت عصابة مؤلفة من 12 إرهابياً عربياً كميناً لحافلة مدنية كانت في طريقها من إيلات إلى تل أبيب عند ممر العقرب، وهو امتداد لطريق متعرج في قلب صحراء النقب، أطلقوا النار من مسافة قريبة، وقتلوا أحد عشر راكباً، ثم قام فتى يبلغ من العمر تسعة أعوام، واسمه حاييم فورستنبرغ، كان مختبئًا تحت المقعد، سأل بعد أن غادروا الحافلة: "هل ذهبوا؟" ولقد سمعه الإرهابيون وعادوا إلى الحافلة وأطلقوا النار على رأسه، نجا الفتى ولكنه أصيب بالشلل حتى وفاته بعد اثنين وثلاثين عاماً من الحادث، بصق العرب على جثث الموتى، وتبين فيما بعد أنهم فلسطينيون من البدو قَدِموا من الأردن وكانوا يدعمهم صلاح مصطفى.

كان شاريت تحت ضغط شديد للرد، لكنه لم يوافق على حدوث عملية انتقامية كنوع من الرد، وكتب في مذكراته: " إن القيام برد فعل على حمام الدم لن يؤدي إلا إلى طمس الأثر المرعب الذي خلفته المذبحة، وسيضعنا ذلك في نفس مستوى القتلة الجماعيين على الجانب الآخر".

وبدلاً من ذلك أرسلت وحدة أمان 504 تفاصيل ثلاثة أشخاص قتلوا من البدو، كانت قد وظفتهم كوكلاء، عبروا الحدود إلى الأردن مدججين بالسلاح ويحملون عبوتين ناسفتين من إعداد ناتان روتبرج، وبعد أن اكتشفوا المكان الذي يعيش فيه أحد الإرهابيين، في قرية جنوب الأردن، قرروا عدم تفجير منزله، وانتظروا حتى أصبح بمفرده وقتلوه بالرصاص، ويروي إيغال سيمون أحد كبار المحاربين المخضرمين 504: "عثر عملاؤنا على بطاقة هوية لسائق حافلة، والتي كانت من بين الأشياء التي تم نهبها وإعادتها إلينا".

تم اعتبار هذه العملية الدقيقة، من العمليات الناجحة للوحدة 504، لكنها لم تحدث فرقًا كبيرًا على الصعيد الأكبر، وعلى الرغم من النجاحات المحدودة لعمليات القتل المستهدف، إلى أنها فشلت في وقف أو حتى مماطلة هذه الهجمات عبر الحدود بشكل ملحوظ، وأثارت الغارات العقابية غضبًا عالميًا لكنها لم تبطئ المذبحة.

في منتصف الخمسينيات، كان حافظ يحرز العديد من الانجازات، بقيام الإرهابيين الذين دربهم بتنفيذ هجمات دموية أكثر من أي وقت مضى في الأراضي الإسرائيلية، عن طريق جمع المعلومات الاستخباراتية وتخريب البنية التحتية وسرقة الممتلكات وقتل الإسرائيليين، وافتقار إسرائيل إلى البنية التحتية المناسبة، بما في ذلك المعلومات الاستخبارية عالية الدقة والخبرة والمعرفة، وقواتها الكبيرة المدربة والمجهزة بما يكفي، لم تستطع الرد إلا بعمليات انتقامية غير محددة بشكل متزايد وقصف مكثف لقطاع غزة.

وظهر اسم حافظ بشكل متكرر في التقارير التي تلقتها الوحدة 504 من مصادرها في الجنوب، ومع ذلك كان شخصية غامضة بالنسبة لهم، متخفي كالظلال، قال يعقوب نمرودي، قائد القاعدة الجنوبية للوحدة: "لم نحصل على صورة له قط، لكننا عرفنا أنه كان شابًا يبلغ من العمر حوالي ثلاثين عامًا، حسن المظهر إلى حد ما وجذاب للغاية، وتحدث عنه سجناءنا وعملائنا بنبرة من الإعجاب والرهبة بنفس الوقت".

حافظ ونمرودي نفسه كان ضابط شاب ذو شخصية كاريزمية، وفقا على جانبي الصراع العربي الإسرائيلي، قال نمرودي: "كان حافظ يعتبر من أفضل العقول في المخابرات المصرية، وقلة هم عملاؤنا الذين تمكنوا من التسلل بين رجاله، وقد تم القبض على العديد منهم والقيام بتصفيتهم، أو أن يصبح بعضهم عملاء مزدوجين بعد المعاملة التي تلقوها منه، وانقلبوا علينا، ففي حرب العقول هذه، كان أفضل طريقة فقط هي الفوز والنجاة ".

بسبب العجز الأمني والضغط الشعبي الشديد، أُجبر شاريت أولاً على قبول بن غوريون وزيراً للدفاع، ثم إعادته إلى رئاسة الوزراء في تشرين الثاني (نوفمبر) 1955، وعاد شاريت إلى كونه وزير الخارجية فقط، وبعد ذلك أُجبر على الاستقالة تحت ضغط من بن غوريون.

شجعت عودة بن غوريون الوحدة أمان على التخطيط مرة أخرى لهجمات أكثر قوة ضد الفدائيين، كانت إحدى هذه الأفكار التخلص من حافظ، وقال نمرودي: "لقد كان رأس الأفعى، وكان علينا قطعها".

قال أبراهام دار، الذي كُلف الآن بصفته رائداً في أمان، بجمع المعلومات الاستخبارية عن حافظ: "لكن هذا كان صعبًا، لثلاثة أسباب؛ أولاً: صعوبة جمع معلومات استخباراتية كافية عنه وعن الأماكن التي يتردد عليها؛ ثانياً: صعوبة الوصول إليه وقتله؛ وثالثاً: المشكلة

الدبلوماسية، كونه ضابطاً كبيراً في جيش دولة ذات سيادة، وقد يُنظر إلى القيام بالقضاء عليه على أنه تجاوز للخط الأحمر في العلاقات مع مصر، مما يؤدي إلى تدهورها ".

فشلت محاولات الأمم المتحدة في الوساطة بين إسرائيل ومصر، واستمرت غارات حافظ حتى عام 1955 إلى ربيع عام 1956.

في 29 أبريل / نيسان 1956 قامت مجموعة من المسلحين الفلسطينيين المدربين على يد حافظ، بفتح النار على مزارعين يعملون في حقول ناحال عوز، مستوطنة كانت على الحدود الجنوبية لإسرائيل.

روي روتبيرج، أول ملازم شاب في احتياطي جيش الدفاع الإسرائيلي، والمسؤول عن أمن المستوطنات، ركب حصانًا لصد المسلحين الفلسطينيين، ثم قاموا بقتله وقلع عينيه، وجروا جسده عبر الحقل والخندق الذي كان يميز الحدود، في محاولة جاهدة للإيحاء بأن روتبرج قد غزا أرضاً أجنبية.

لقد عانى موشيه ديان من موت روتبيرج بشكل خاص، كان قد التقى بالملازم في اليوم السابق فقط، بينما كان يقوم بجولة في المستوطنات الجنوبية، وفي اليوم التالي من 30 أبريل وقف دايان فوق قبر روتبيرج المفتوح وقرأ تأبينًا، ففي السنوات الفاصلة، أصبح يُنظر إليه على أنه المعنى الحقيقي للنزعة العسكرية الإسرائيلية:

قُتل روي أمس في الصباح الباكر، كان الصمت العارم واضحاً لكون الجو ربيعياً، مما أدى إلى أنه لم ير أولئك المنتظرين على حافة الأخدود.

دعونا لا نلقي اللوم اليوم على القتلة، من نحن لنجادل ضد كراهيتهم القوية لنا؟ منذ ثماني سنوات يجلسون في مخيمات اللاجئين في غزة، وأمام أعينهم كنا نحول الأرض والقرى التي عاشوا فيها هم وأجدادهم إلى أن تصبح ميراثاً لنا نحن. . .

نحن جيل الاستيطان، وبدون الخوذات الفولاذية وقذيفة المدفع لن نتمكن من زرع شجرة أو بناء منزل، لن يعيش أطفالنا إذا لم نحفر الملاجئ، وبدون أسوار من الأسلاك الشائكة وبنادق آلية، لن نتمكن من رصف الطرق أو التنقيب عن المياه، الملايين من اليهود الذين أبيدوا لأنه

لم يكن لديهم دولة، ينظرون إلينا من خلال غُبار التاريخ اليهودي ويأمروننا بالاستيطان وإقامة أرض لشعبنا.

... يجب ألا نتوانى عن رؤية الكراهية التي تصاحب وتملأ حياة مئات الآلاف من العرب الذين يعيشون حولنا وينتظرون اللحظة التي يكونون فيها أقوياء بما يكفي ليسيل دمائنا، لن نتجنب أنظارنا لئلا تضعف أيدينا، هذا هو مصير جيلنا.

بعباراتٍ بسيطة، قصد ديان أن اليهود في دولة إسرائيل ربما وصلوا كمستوطنين عائدين إلى وطنهم القديم، لكنهم من وجهة نظر العرب، جاءوا كغزاة، لذلك فإن العرب كرهوا اليهود من وجهة نظرهم، فاستمرار وجود اليهود اعتمد أكثر من أي شيء آخر على قدرتهم بالدفاع عن أنفسهم ضد العرب الذين أرادوا قتلهم، كل ما تبقى من التنمية والاقتصاد والمجتمع، والثقافة كانت يجب أن تكون تابعة وتخضع لاحتياجات الأمن والبقاء، كان هذا من وجهة نظر ديان، فمصير إسرائيل ولد من آلاف السنين من التاريخ اليهودي.

كان يقف فوق القبر بينما كان دايان يتحدث، وكان ابن عم روي هو ناتان روتبيرج صانع القنابل، وما بعد الجنازة، وعد نتان عمه شمرياهو، بأنه سينتقم لابنه روي.

كما حدث، كان دايان مصممًا على الانتقام أيضًا لروي، وجميع الإسرائيليين الآخرين الذين قتلوا وأرهبوا على يد فرق حافظ، هذه المرة، أقنع ديان بن غوريون ليس فقط بشن غارة انتقامية ضد قرية فلسطينية، ولكن للسماح له بتوجيه مجتمع المخابرات لقتل المصريين القتلة الهاربين إلى إسرائيل (العقيدان حافظ وصلاح)، وكان هذا تصعيدًا كبيرًا.

كتب أبراهام دار الأمر التشغيلي، والذي أطلق عليه اسم Eunuch (Saris)، وبقدر ما يمكن التأكد منه، كان هذا أول أمر عملي لقتل مستهدف تمت كتابته وتنفيذه في تاريخ دولة إسرائيل.

وكتب دار: **"في ضوء تنظيم مصر للأنشطة الفدائية في قطاع غزة والأردن، تقرر التحرك ضد منظِميها، مصطفى حافظ في قطاع غزة والملحق العسكري المصري في الأردن، وكان الهدف: القضاء الجسدي على الرجلين المذكورين بقنابل مفخخة، وقرر دار أنه في حالة حافظ: "كان من الواضح لنا أن القنبلة يجب أن تُعطى له من قبل شخص يثق به".**

وجدوا رجلهم من خلال شخص يدعى محمد الطلالقة، شاب بدوي كان يعيش في قطاع غزة وكان يعمل مع كل من حافظ والوحدة 504، لم يكن الطلالقة وحافظ على علم بأن وحدة 504

تعرف أنه عميل مزدوج، وأن وحدة أمان قررت استغلال هذا الأمر وإعطائه شيئاً ما بداخل طرد، وجعله يبدو له مهماً للغاية، لدرجة أنه سيأخذه على الفور إلى حافظ.

ماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟ كتاب يتضمن جميع الشفرات الموجودة في شفرة مورس التي استخدمها الإسرائيليون، والذي سيُطلب من طلالقة من قبل الوحدة 504 بنقله إلى عميل إسرائيلي آخر في غزة.

مرة أُخرى تم استدعاء خدمات ناتان روتبرج، سوف ينتقم بالفعل لمقتل ابن عمه.

قال روتبرج بعد أكثر من خمسة عقود: "اتصل بي صادوق [أوفير، ضابط في القاعدة الجنوبية للوحدة 504] وأخبرني عن الخطة، ولقد فهمت من كان متورطًا وكنت سعيدًا جدًا، قلت لهم أنهم إذا تمكنوا من تسليم الكتاب السميك إلى حافظ، سأعتني بباقي التفاصيل".

"قطعت ما كان بداخل الكتاب وصببت ثلاثمائة جرام من موادي التي صنعتها، وسألت نفسي هل كان ذلك كافيا؟ بالطبع بكل تأكيد، فوزن المفجر يبلغ عشرين جرامًا، وإذا انفجر في يدك فسوف ينتهي بك الأمر بدون أصابع، لذلك ثلاثمائة جرام التي قد تنفجر في وجه الإنسان ستقتله بالتأكيد.

كان الجهاز مبنيًا على ذراع معدني من الرخام ونابض قوي، عندما كان الكتاب مغلقًا، كان داخل غلاف الكتاب مثبت بالعديد من الشرائط، تكون الذراع تحت الضغط ولا تتحرك، وفي اللحظة التي يقوم فيها بفك الشرائط ورفع الغلاف، يتحرر الذراع ويدفع الرخام للأمام مما يثقب المفجر، الذي يؤدي إلى انفجار القنبلة وحدوث الكابوم.! "

عملت الخطة والفخ المتفجر على أكمل وجه، في 11 يوليو / تموز 1956 عبر الطلالقة الحدود وتوجه مباشرة إلى مقر المخابرات العسكرية المصرية في غزة، وسلم الطرد بحماس إلى حافظ، قال شاهد عيان في وقت لاحق لتحقيق مصري سري: "عندما أخرج الكتاب من العبوة، سقطت قطعة من الورق، انحنى العقيد مصطفى حافظ لالتقاطها من على الأرض، وفي تلك

اللحظة وقع الانفجار". أصيب حافظ بجروح قاتلة، وشهد بعض الحاضرين أنه بينما كان مستلقيًا على الأرض، صرخ بأعلى صوته: "لقد ضربتموني، أيها الكلاب".

في الليلة التالية، قام ناتان روتبرج بزيارة إلى عمه، والد روي، لقد أوضح وجهة نظره الخاصة عند ارتدائه لزيه، وقال روتبرج: "قلت له .. يا شمرياهو .. لقد قمتُ بتصفيةِ حسابك الخاص مع مصطفى حافظ، هل جعله ذلك يشعر بتحسن؟ لست متأكدًا، لكنني فعلت ذلك وكنت سعيداً. سكت شمرياهو، وتشكلت دمعة في عينيه وشكرني على اخباري له بآخر المستجدات".

كان المصريون محرجين للغاية من الاعتراف بانتهاكهم الأمني علنًا، في اليوم التالي لوفاة حافظ، ظهر إعلان في صحيفة الأهرام المصرية: "الملازم مصطفى حافظ استشهد، المتمركز في قطاع غزة، بانفجار لغم بمركبته .... كان من أبطال حرب فلسطين وقاتل من أجل تحريرها، ولقد سجل التاريخ أعماله البطولية، ونجح اسمه بزرع الخوف والذعر في إسرائيل ".

في نفس اليوم الذي قُتل فيه حافظ تلقى صلاح مصطفى الملحق العسكري المصري في عمان بالبريد نسخة من كتاب Achtung Pander! بقلم هاينز جوديريان، بطل حرب الدبابات للجيش الألماني وأحد الآباء لمفهوم الحرب الخاطفة، اختار الكتاب أبراهام دار، وهو من هواة التاريخ العسكري والاستراتيجية العسكرية، لأنه كان واثقًا من أن صلاح يعتقد أنه هدية مناسبة له، دخل اثنان من مستارافيم القدس الشرقية، التي كانت تحت الحكم الأردني، وأرسلوا الكتاب بالبريد من هناك حتى لا يثير الختم البريدي الشك، صلاح الذي لم يسمع بعد بالهجوم على نظيره في غزة، فتح الكتاب وانفجر اللغم به وأصابه بجروح قاتلة، توفي لاحقا في المستشفى.

أدرك رئيس الأركان ديان أهمية هاتين الضربتين، وأقام في فناء منزله حفلاً فخمًا للاحتفال بمقتل حافظ وصلاح، حيث وضع أبراهام دار قائمة الضيوف.

4

القيادة العليا بأكملها بضربة واحدة

أصابت عمليات القتل المستهدفة لحافظ وصالح المخابرات العسكرية المصرية، وكان هناك انخفاض ملحوظ في عدد التوغلات الإرهابية داخل إسرائيل، من وجهة النظر الإسرائيلية كان يعتبر هذا نجاحاً باهراً.

لكن سماء المنطقة حُجبت بالغيوم بعد ذلك لسبب مختلف.

في 26 يوليو 1956 قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر بناءً على أجندة مناهضة للاستعمار، بتأميم قناة السويس، وهي حلقة الشحن الحيوية بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية، اللتان كان مواطنوها المساهمين الرئيسيين في الشركة المربحة للغاية التي تدير الممر المائي، غاضبة للغاية، إسرائيل من جانبها، كانت ترغب في استعادة المرور المائي عبر القناة، لكنها في الوقت نفسه رأت أيضًا الفرصة لإيصال رسالة واضحة إلى مصر: وهي أن ناصر سيدفع أخيرًا ثمنًا باهظًا لإرسال مقاتلين من قطاع غزة، لمهاجمة إسرائيل، وأن أطماعه الصريحة بتدمير الدولة ستقابل بقوة ساحقة.

أدى هذا التقارب في المصالح إلى نشوء تحالف سري بين الدول الثلاث، حيث لعب المدير العام الشاب النشط لوزارة الدفاع الإسرائيلية، شيمون بيريز، دورًا رئيسيًا في وضع خطة حرب طموحة، ستغزو إسرائيل بها شبه جزيرة سيناء، مما يعطي الفرنسيين والبريطانيين نصاً أولياً لأزمة تهدد السويس بغزوها أيضاً، ووعدت فرنسا بتزويد إسرائيل بدفاعات جوية ضد هجمات القوات الجوية المصرية.

قبل وقت قصير من يوم النصر، علمت إسرائيل أن وفداً ضم رئيس الأركان المصري القوي، المشير عبد الحكيم عامر، والعديد من كبار المسؤولين الآخرين الذين غادروا القاهرة على متن طائرة متوجهة إلى دمشق، مما أتيحت فرصة القيام بضربة واحدة دقيقة، تمكن لإسرائيل القضاء على القيادة العسكرية المصرية بأكملها تقريباً.

بدأ سلاح الجو بإجراء تدريبات مكثفة في الاعتراض الليلي، كانت عملية صعبة بالنظر إلى القدرات التكنولوجية المتاحة في ذلك الوقت، قرر بن غوريون وديان أن إسرائيل ستفعل كل ما في وسعها لإخفاء تورطها، ومحاولة جعل الأمر يبدو كما لو أن الطائرة تحطمت بسبب حدوث عطل فني.

كانت المُهمة تُسمى بعملية الديك.

كان من المتوقع أن يقوم المصريون برحلة قصيرة من دمشق عائدين إلى القاهرة في طائرتين من طراز إليوشن إيل -14، أسندت أمان مهمة تحديد وتتبع القافلة الجوية لوحدة استخبارات الإشارات (SIGINT)، وحققت الوحدة (المعروفة في الوقت الحاضر باسم الوحدة 8200) بالفعل عددًا من النجاحات البارزة في حرب 1948-1949، وبعد ذلك استثمرت أمان العديد من الموارد في تطوير الوحدة، والتي ستصبح في النهاية الأكبر، والأكثر أهمية كما يقول البعض في جيش الدفاع الإسرائيلي.

أثبت الاستثمار قبل أيام قليلة من مغادرة الوفد القاهرة متوجهاً إلى دمشق، تمكن فنِيّو SIGINT من عزل تردد البث الذي كان من المتوقع أن يستخدمه المصريون في رحلة العودة القصيرة إلى القاهرة، انتظر عشرون شخص اسرائيلي من مشغلي الراديو، الذين كانوا جميعهم دون سن الخامسة والعشرين، وشعروا بضغوط شديدة أثناء وجودهم في المقر الرئيسي في رمات هشارون، شمال تل أبيب، يعملون في نوبات عمل متواصلة على مدار الساعة، وفي انتظار مغادرة المصريين المدرج في دمشق، تعرضت الوحدة لضغوط شديدة من القيادة العليا، حيث تم التخطيط للغزو البري لشبه جزيرة سيناء في 29 أكتوبر، وشكلت معنوياتهم فوضى عارمة لفقدانهم جميع كبار أركانها العسكرية مما سيضع المصريين في وضع غير مؤات، وكان الوقت ينفد من تحت أيديهم.

مرت الأيام ببطء، ينتظر مشغلو الراديو بفارغ الصبر سماع صوتًا في سماعات الرأس التي يلبسونها، بزغ فجر يوم 28 أكتوبر، وما زال المصريون لم يغادروا سوريا، في اليوم السابق لساعة الصفر.

أخيراً في الساعة الثانية بعد ظهر يوم 28 أكتوبر، وتم التقاط الإشارة التي كانوا ينتظرونها: كان طيارو الطائرات من نوع إليوشن إيل 14 يستعدون للمغادرة.

تم اختيار ماتياس "تشاتو" بيرغر، قائد السرب 119 التابع لسلاح الجو وأحد أفضل طياري القوات الجوية في ذلك الوقت، للقيام بهذه المهمة الدرامية، وفي حوالي الساعة 8 مساءً، أبلغت SIGINT سلاح الجو أن واحدة فقط من طائرات الإليوشين المصرية قد أقلعت، ومع ذلك، اعتقدت SIGINT أن جميع الضباط المصريين كانوا على متن الطائرة، حيث أن عملية الديك كانت جاهزة.

صعد شاتو إلى Meteor Mk. 13 " ميتيور مك. 13" طائرة أقلعت مع ملاحه إلياشيف "شيفي" بروش، كانت ليلة مظلمة للغاية بشكل خاص، حتى أن الأفق كاد يختفي في شدة الظلام.

صعد شاتو حوالي عشرة آلاف قدم إلى السماء ثم استقر على هذا الارتفاع، وعندما أخطأ الرادار حول طائرة كانت تقترب، قال شيفي عبر موجة الاتصال الداخلي: "اتصال، اتصال، اتصال! الساعة الثانية سوف نرتفع إلى أعلى ثلاثة أميال في مواجهة بعضنا بعضاً، والانتقال إلى الساعة الثالثة. أربعة! تحرك بجهة اليمين! ثم أبطِئ! أنت تقترب بسرعة كبيرة!"

أمام السماء هائلة السواد، رأى تشاتو توهجات برتقالية صغيرة، كانت ألسنة اللهب المتصاعدة من أنابيب العادم في إليوشن. وقد أبلغ مركز التحكم الأرضي بما رآه "اتصال بالعين".

قال قائد القوات الجوية دان تولكووسكي، الذي كان جالسًا في مركز التحكم: "أريد تحديد هوية المركبة بشكل إيجابي، لا شك فيه، هل تفهم؟"

انحرف تشاتو قليلاً إلى اليسار حتى يرى الضوء من نوافذ مقصورة الركاب، كانت نوافذ قمرة القيادة أكبر من النوافذ الأخرى، (يعتقد تشاتو أن هذا كان تعريفاً إيجابياً، فقط الإليوشن لديه نوافذ من هذا القبيل)، كما جعل أشخاصاً كانوا يرتدون زي الجيش يمشون بين المقاعد.

وقال: "تم تأكيد الهوية!". أجاب تولكووسكي: "تم الإخلاء لفتح النار، فقط إذا لم يكن لديك شك".

رد عليه: "عُلم".

اندلعت قذائف من أربعة مدافع من عيار عشرين ملم مثبتة على مقدمة الطائرة، مما أعمى تشاتو بهذه العبقرية الغير متوقعة: أن وجود شخصاً ما على الأرض، يحاول أن يكون مفيدًا،

وقام بتحميل جولات التتبع في المدافع، لكن الومضات الساطعة في الظلام شبه التام أحرقت عينيه.

استعاد تشاتو بصره، ورأى ناراً في السماء، قال تشاتو للمراقبة الأرضية "عثرت عليه! المحرك الأيسر مشتعل، ويبدو أن هناك ماس كهربائي، لأن كل شيء كان مظلماً."

ضغط شاتو على الزناد مرة أخرى، أدى إلى انفجار الإليوشن، ككرة نارية في الليل، قاذفة شظايا مشتعلة من الحطام، ثم بدأت في الدوران باتجاه البحر.

"هل رأيتها تحطمت؟" سأل تولكوفسكي بينما كان تشاتو يسحب طائرته من الدوران.

أجاب تشاتو: "بالإيجاب، لقد تحطمت".

أحضر تشاتو طائرته بالبخار واستقبله على مدرج المطار رئيس الأركان موشيه ديان والجنرال تولكوفسكي، اللذين أبلغا تشاتو بأن عامر قرر في اللحظة الأخيرة انتظار الطائرة الثانية.

قال تشاتو: "إذا كان هناك وقت، فسنزود الطائرة بالوقود ونخرج مرة أخرى".

ورد دايان: "لقد أخذنا ذلك بعين الاعتبار ولكننا توصلنا إلى نتيجة مفادها أنه سيبدو واضحاً للغاية وسيكون من الممكن الكشف عن مصدر استخباراتنا، وقررنا أن نسمح لـ عامر أن يكون حر.

مع ذلك، في اللحظة التي قضيت فيها الأركان العامة المصرية، ربحت نصف الحرب، دعونا نشرب الشراب فرحاً بنصف هذا النصر".

كانت عملية الديك بلا شك إنجازًا رائعًا ينم عن ذكاء الاستخبارات والحرب الجوية، وبالفعل بدأ المشاركون في عملية الديك لاحقاً يطلقون عليها اسم "إسقاط هيئة الأركان المصرية العامة" وزعموا أن الفوضى التي سادت القيادة العليا في القاهرة قد ساهمت بشكل كبير في انتصار إسرائيل في الحرب التي اندلعت في اليوم التالي.

وسواء كان التأثير كبيرًا كما ادعى هؤلاء الرجال أم لا، فإن الجيش الإسرائيلي سيواصل هزيمة الجيش المصري بسهولة، فلقد لفت انتباه العالم: حيث أصبحت الدولة اليهودية الآن قوة قتالية حازمة، أرسل بن غوريون مؤقتًا في حالة من النشوة، رسالة عامة إلى ضباط وجنود اللواء التاسع يتحدث فيها عن "مملكة إسرائيل الثالثة".

—

جنبا إلى جنب مع شبه جزيرة سيناء احتلت إسرائيل قطاع غزة، وبعد قيام الجيش الإسرائيلي بدخوله للقطاع، أرسل رحافيا فاردي بعضاً من رجاله من الوحدة 504 لتفتيش مبنى المخابرات المصرية في مدينة غزة، حيث قُتل مصطفى حافظ قبل بضعة أشهر من ذلك، عثروا على كنز مخفي في القبو كان قد أهمله المصريون الفارون منه لتدميره: ملف بطاقات سليم لجميع الإرهابيين الفلسطينيين الذين قام بنشرهم حافظ ورجاله ضد إسرائيل في السنوات الخمس التي سبقت حملة سيناء.

كان الأمر كما لو أن المصريين تغاضوا عن قائمة الضربات وتركوها بالقبو، التقى فاردي برئيس الأركان دايان وطلب الإذن منه البدء في قتل الفلسطينيين الواردة أسماؤهم في ملف البطاقة، دايان بدوره نال موافقة بن غوريون، ثم فارداي أمر ناتان روتبيرج، وحاوية المتفجرات الخاصة به بالبدء بسرعة في عملية الاغتيالات.

تم سكب تركيبة روتبرج الخاصة في سلال من الخيزران، وولاعات السجائر والفواكه والخضروات، وحتى قطع الأثاث، قام عملاء الوحدة 504 العرب بإخفاء القنابل في أماكن مناسبة أو تسليمها كهدايا لما يصل إلى ثلاثين فدائيًا فلسطينيًا في غزة، بين تشرين الثاني (نوفمبر) 1957 وآذار (مارس) 1958، عمل رجال فاردي على الملف، وتخلصوا من الرجال الذين أرهبوا الإسرائيليين لسنوات، كانت مهمات القتل المستهدف ناجحة إلى حد كبير من الناحية التكتيكية، ولكن ليس بالضرورة من الناحية الاستراتيجية، حيث قال روتبرج: **"كانت كل عمليات الإقصاء هذه ذات أهمية محدودة للغاية، لأن هناك أشخاص آخرين أخذوا مكانهم ببساطة".**

سرعان ما تحولت المؤامرة السرية لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل إلى كارثة دبلوماسية دولية مدوية، أجبرت الولايات المتحدة إسرائيل على الانسحاب من سيناء وغزة، استسلمت فرنسا وبريطانيا وفقدتا السيطرة على القناة في النهاية، واضطر قادة هاتين القوتين العظميين إلى الاستقالة.

يُنظر إلى النظام المصري الآن على أنه وقف في وجه كل من يتدخل في الاستعمار الغربي، وأجبر قوتين أوروبيتين عظيمتين، وعدوه اليهودي اللدود على التنحي، وتم اعتبار ناصر كبطل وأصبح لجميع الأغراض العملية، زعيماً للعالم العربي.

ومع ذلك، وافق ناصر على السماح للسفن الإسرائيلية باستخدام القناة، والتوقف عن رعاية العمليات الفدائية في غزة، ولقد أدرك أن احتمال حدوث اندلاع عسكري عام مع إسرائيل من هذه العمليات كان أكبر من المزايا التي يمكن الحصول عليها منها.

وأخيرًا، في عام 1957، بدا أن الإرهاب سيتوقف عن التدفق إلى إسرائيل عبر الحدود.

أوضحت الحملة الصينية للدول العربية أن تدمير إسرائيل سيكون صعبًا للغاية، وأعطت إسرائيل أحد عشر عاماً من التحرر من حرب واسعة النطاق، حتى حرب الأيام الستة عام 1967. واستخدم جيش الدفاع الإسرائيلي هذه المرة للتحول إلى قوة عسكرية قوية وكبيرة ومدربة تدريباً جيداً وقائمة على التكنولوجيا، ومجهزة بأسلحة حديثة وتضم ذراع استخبارات "أمان" بقدرات واسعة.

السنوات التي تلت ذلك كانت أيضاً سنوات جيدة للموساد. لقد رعاها "إيسر هاريل" من منظمة وليدة متعثرة في بعض الأحيان إلى وكالة تضم ما يقرب من ألف موظف، مشهورة دولياً بصلابتها ومثابرتها ومشروعها.

كانت إسرائيل قد بدأت بالظهور كقوة استخباراتية في عام 1956، بعد أن ألقى "نيكيتا خروتشوف" حاكم الاتحاد السوفييتي حينها خطاباً سرياً أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي تحدث فيه بصراحة عن الجرائم التي ارتكبها سلفه "جوزيف ستالين" القائد الثاني للاتحاد السوفييتي.

كانت كل جماعة تجسس في العالم الغربي حريصة على الحصول على نص الخطاب، لدراسته بحثاً عن أدلة على عقلية "خروتشوف"، ولكن لم يتمكن أي أحد من اختراق حجاب الاتحاد السوفيتي الحديدي للسرية.

فيما نجحت المُخابرات الإسرائيلية حينها من الحُصول على الخطاب، وأمر "إيسر هاريل" بتسليم نسخة من الخطاب إلى وكالة المخابرات المركزية الامريكية.

أعجب مدير وكالة المُخابرات المركزية الامريكية "ألين دالاس" بالأمر ونقل الخطاب إلى الرئيس "دوايت أيزنهاور"، الذي أمر بعد ذلك بتسريبه إلى صحيفة نيويورك تايمز. وأثار المنشور عاصفة عالمية وأحرج الاتحاد السوفيتي بشكل كبير.

ولد التحالف السري بين المخابرات الأمريكية والإسرائيلية فيما كان يقودها على الجانب الأمريكي "جيمس جيسوس أنجلتون" رئيس فريق مكافحة التجسس في وكالة المخابرات المركزية، وهو أحد مؤيدي إسرائيل الذي اقتنع بمقولة "هاريل" التي تقول "يجب تجنيد جاسوساً سوفيتياً تحت كل سرير" من خلال هذا التحالف تحصل وكالة المخابرات المركزية على قدر كبير من المعلومات الاستخبارية في الشرق الأوسط، وهي ممارسة مستمرة حتى يومنا هذا.

على الرغم من أن حملة سيناء الإسرائيلية عام 1956 كارثة سياسية، إلا أنها عززت مكانة الدولة في العمليات الاستخباراتية في أعقاب تلك الحرب القصيرة، بدأ "هاريل" في نسج شبكة من الاتصالات السرية داخل جميع بلدان أنحاء الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، بما في ذلك الذين وقفوا علناً مع العرب. كان أسلوب العمل هذا معروفاً في الموساد باسم "عقيدة الأطراف"، وقد دعا إلى إقامة روابط سرية مع المنظمات التي تقع خارج حلقة الدول العربية المعادية المحيطة بإسرائيل، أو مع الأقليات داخل تلك الدول التي كانت في صراع مع أعداء إسرائيل.

كان الإنجاز البارز لاستراتيجية الموساد المحيطية عبارة عن تحالف استخبارات ثلاثي، أطلق عليه اسم "ترايدنت" بين إسرائيل وشاه إيران وتركيا، فيما سيجتمع رؤساء وكالات التجسس في الدول الثلاث من وقت لآخر ويتبادلون كميات كبيرة من المواد الاستخباراتية، كما نفذ التحالف عمليات مشتركة ضد السوفييت والعرب.

أقنع "بن غوريون" الرئيس "أيزنهاور" بأن "ترايدنت" كان أحد الأصول القوية للتحالف، وأن وكالة المخابرات المركزية قدمت الأموال لأنشطتها.

أكبر ضربة للموساد، حدثت في عام 1960 عندما تعقب عملاء إسرائيليون "أدولف أيخمان" أحد المهندسين المعماريين والميسرين الرئيسيين لحل هتلر النهائي إلى "بوينس آيرس" حيث كان يعيش لمدة عشر سنوات تحت اسم ريكاردو كليمنت.

يأس المدعي اليهودي الألماني، "فريتز باور" من فرص تقديم مجرمي الحرب النازيين للعدالة في ألمانيا، لذلك بدلاً من ذلك سرب المعلومات التي جمعها حول "أيخمان" إلى الموساد، عندما جاء مسؤول من الموساد لرؤيته، تركه "باور" وشأنه فيما كانت الوثائق السرية ملقاة على سطح المكتب، فهم الإسرائيلي التلميح وقام بنسخ التفاصيل ذات الصلة.

سمح "بن غوريون" لهاريل بالذهاب إلى بوينس آيرس، على رأس فريق كبير، وكان رئيس الوزراء مُصمماً على تصفية الحسابات مع "أيخمان"، الذي أطلق عليه الاسم الرمزي Dyb–buk، من الكلمة العبرية التي تعني الروح الشريرة التي تسيطر على شخص حي. لكن الهدف من العملية كان أكبر بكثير من الانتقام من فرد، مهما كانت تجاوزاته فظيعة. حيث أمر "بن غوريون" هاريل وفريقه بعدم إيذاء "أيخمان" جسدياً، على الرغم من أن قتله كان سيكون الخيار الأسهل، ولكن بدلاً من ذلك خطفه وتقديمه للمحاكمة في إسرائيل.

كان الهدف من العملية إثارة وعي دولي وذاكرة لا يمكن محوها عن الهولوكوست، من خلال كشف أفعال أحد مرتكبيها الرئيسيين.

شارك في العملية العشرات من عملاء الموساد والمتعاونين، بعضهم يحمل جوازات سفر تنقلهم إلى خمس دول وكانوا يغيرونها باستمرار، وانتشروا في عدد من المنازل الآمنة في جميع أنحاء العاصمة الأرجنتينية.

في 11 مايو، تمركز الفريق بالقرب من المحطة حيث نزل الرجل المعروف باسم "كليمنت" من الحافلة ذلك مساء في الساعة 7:40 وسار مسافة قصيرة إلى منزله، وجاءت الحافلة، لكن أيخمان لم يظهر، كانت أوامر الفريق هي الانتظار حتى الساعة الثامنة مساءً على الأكثر، وإذا لم يظهر بحلول ذلك الوقت، يتم اجهاض العملية، حتى لا يثير الشبهات.

في الساعة الثامنة، كانوا يستعدون لحزم أمتعتهم، لكن القائد الميداني "رافي إيتان"، قرر الانتظار لفترة أطول قليلاً. وعندما كان إيتان على وشك الاستسلام ليلاً، توقفت حافلة أخرى. نزل "كليمنت" وبدأ يمشي ويده في جيبه.

كان المفترض أن العميل "مالشين" أول من ينقض على الهدف، وخشي أن يشك "كليمنت" في شيء، وكان على وشك سحب مسدسه، ولكن تمكن من إمساكه من الخلف وسحبه إلى السيارة، كما هو مخطط، ودفعه من الخلف إلى حفرة وقفز فوقه مع إيتان وعميل آخر قريب.

صرخ "كلينت" لكن لم يكن هناك من يسمعه، وفي غضون ثوان تم انهاك طاقته وألقي به في المقعد الخلفي للسيارة.

قام "زفي أهاروني" أحد عملاء الموساد والذي كان جالسًا هناك بتهديده باللغة الألمانية أنه إذا أثار المتاعب فسيتم إطلاق النار عليه على الفور.

بدأ إيتان بالبحث عن علامات دقيقة تشير إلى أنه هو أيخمان بكل تأكيد، الندبة تحت ذراعه بمكان وجود الوشم ذو الرمز SS، مما تم تحديد موقعها بسهولة، وكانت العلامة الأخرى للتأكد هي الندبة الناتجة عن استئصال الزائدة الدودية التي خضع لها أيخمان، والموثقة بدقة في ملف الاستخبارات الخاص به، كان على إيتان أن يفتح حزام بنطال أيخمان ويضع يده على مكان الندبة، بينما كانت السيارة تسير بسرعة والركاب يهتزون من جانب إلى آخر. لكنه وجدها في النهاية وصرخ!! "هذا هو أيخمان" وبرقت عينا إيتان ومالتشين من الفرح وأصبحوا يغنون أغاني المُحاربين باللغة العبرية، التي كُتبت تكريماً لليهود الذين حاربوا النازيين في الغابات، والتي تنتهي بجملة "مسيرتنا تفوق الرسالة: نحن هنا".

تم تخدير أيخمان وتهريبه إلى إسرائيل على متن طائرة تابعة لشركة العال. جذبت محاكمته في القدس اهتمامًا دوليًا غير مسبوق، وذكّر العالم بفظائع الهولوكوست، حُكم على أيخمان بالإعدام وأُعدم شنقًا، وتم حرق جثته وتناثر رماده في البحر .في غضون ذلك، أعطت الاخبار المُتداولة والقليلة حول اكتشاف أيخمان واختطافه أعطت للموساد انطباعاً بأنها عديمة الرحمة وقادرة على كل شيء، وبحلول منتصف عام 1962، كان هاريل يعتبر الرجل الأقوى للمخابرات والدفاع الإسرائيلية .لقد حصل بن غوريون على كل ما كان يأمل فيهمن مجد وشُهرة، ولكن على الرغم من كل هذا، فقد أخطأت وكالة هاريل تماماً عندما غفلت عن تهديداً مُدمراً يتطور في الجوار مُباشرة.

5

"كما لو كانت السماء تتساقط على رؤوسنا"

في صباح الحادي والعشرين من يوليو عام 1962، استيقظ الإسرائيليون على أسوأ كوابيسهم حيث أفادت الصُحف المصرية عن نجاح تجربة إطلاق صاروخين أرضيين من طراز الظافر (فيكتور) واثنين من طراز القاهر، أي نموذج (الفاتح)، عقب يومين من التجربة الأولى، تم عرض صواريخ عشرة من كل نوع، ملفوفة بالعلم المصري في طريق القاهرة على طول نهر النيل، وكان من بين المتفرجين حوالي ثلاثمائة دبلوماسي أجنبي، وكذلك كثير من سكان القاهرة، وتقدم الرئيس المصري جمال عبد الناصر بنفسه العرض من منصة خاصة أمام مبنى حكومي بالقرب من نهر النيل، وأعلن بفخر أن الجيش المصري أصبح الآن قادراً على ضرب أي هدف حتى "جنوب بيروت"، ومعلوم أن كامل أراضي إسرائيل تقع بين مصر من الجنوب، ولبنان وعاصمتها بيروت إلى الشمال، كان المعنى واضحاً.

في اليوم التالي، كان الخطاب الذي تم بثه بالعبرية من محطة الإذاعة المصرية "صوت الرعد من القاهرة" أكثر وضوحاً. "هذه الصواريخ تهدف إلى فتح أبواب الحُرية للعرب، لاستعادة الوطن الذي سُرق كجزء من المؤامرات الإمبريالية والصهيونية".

لم يتضح قلق الجمهور الإسرائيلي العميق إلا بعد أسابيع قليلة فقط، عندما أصبح من الواضح أن فريقاً من العُلماء الألمان لعب دوراً أساسياً في تطوير هذه الصواريخ، حيث كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت قبل سبعة عشر عاماً فقط، وفجأة أفسحت صدمات الهولوكوست، التي غمرتها صور العلماء الألمان بزي الفيرماخت "أي زي القوات المسلحة الموحدة لألمانية"، الطريق أمام تهديد وجودي جديد ومختلف، وهي وُجود أسلحة الدمار الشامل في أيدي عدو إسرائيل.

جمال عبد الناصر الذي اعتبره الإسرائيليون هتلر الشرق الأوسط، كما وصفته الصحافة العبرية وعنونت الخبر الرئيسي بجرائدها بـ"النازيون الألمان السابقون يُساعدون عبد الناصر الآن في مشاريع الإبادة الجماعية المناهضة لإسرائيل".

الموساد وعلى الرغم من ميثاقه الغليظ لمُراقبة وحماية إسرائيل من التهديدات الخارجية، لم يكن على علم بذلك، لقد صُدمت أجهزة الاستخبارات في الدولة اليهودية بذلك، إذا لم تقل شيئاً على لسان قادتها السياسيين والعسكريين، عندما علمت بمشروع الصواريخ المصري قبل أيام فقط من الإطلاق التجريبي، لقد كان تذكيراً مدمراً بهشاشة الدولة الصغيرة والفشل المهين لمدير المخابرات "هاريل" وللموساد، والأسوأ من ذلك أن العُلماء الألمان الذين طوروا الصواريخ المصرية التي يمكن أن تُدمر إسرائيل لم يحجبوا أنفسهم عن المشهد، وكانوا من كبار مُهندسي النظام النازي، الرجال الذين عملوا أثناء الحرب في قاعدة البحث "Peenemunde"، بلدة بينيماندا وهي شبه جزيرة تقع على ساحل البلطيق حيث تم تطوير أسلحة الرايخ الثالث الأكثر تقدماً، لقد ساعدوا في بناء القنبلة الطائرة التي أرهبت إنجلترا والصاروخ الباليستي (V-2)، الذي استخدمه الألمان لتدمير أجزاء ضخمة من مدينتي أنتويرب ولندن والذي كان بمثابة النموذج الأولي لصواريخ الأرض أرض بعيدة المدى اليوم، قال آشر بن نتان مدير عام وزارة الدفاع: "**شعرت بالعجز وكأن السماء تتساقط على رؤوسنا**".

وتحدث بن غوريون مراراً وتكراراً عن الكابوس الذي أبقاه مُستيقظاً ليلاً وهو أنه، أول رئيس وزراء أحضر اليهود الباقين على قيد الحياة من أوروبا إلى دولة إسرائيل، للخضوع الهولوكوست الثاني، عندما يمتلك عدو إسرائيل أسلحة ضخمة.

"الموساد نفسه، في تحقيق داخلي شديد السرية في القضية أُجري عام 1982، لخص الأمر على النحو التالي: "لقد كان أحد أهم الأحداث وأكثرها صدماً في تاريخ مُجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، الذي أدى إلى سلسلة من ردود الفعل التي تولد إجراءات متطرفة."

وضع هاريل جهاز الموساد بأكمله على قدم وساق، اجتاح جو من الأزمة العارمة في كل مكان في الوكالة مما انعكس في الوحدات الداخلية لعدة أشهر، قال المقر الرئيسي في تل أبيب لمحطات الموساد في أوروبا في أغسطس 1962: " **إذا ظهر ألماني يعرف شيئًا عن**

هذا ولم يكن مستعدًا للتعاون، فنحن على استعداد لأخذه بالقوة وحمله على التحدث، يرجى ملاحظة ذلك لأنه يجب علينا الحصول على المعلومات بأي ثمن ".

بدأ عملاء الموساد على الفور باقتحام السفارات والقنصليات الدبلوماسية المصرية في العديد من العواصم الأوروبية لتصوير الوثائق، وتمكنوا أيضًا من تعيين موظف سويسري في مكتب مصر للطيران في زيورخ، وهي شركة كانت تعمل أحيانًا كغطاء لأجهزة استخبارات ناصر، سمح الموظف السويسري لعملاء الموساد بأخذ أكياس البريد ليلاً مرتين في الأسبوع، إلى منزل آمن، تم فتحها وتصوير محتوياتها ثم إغلاقها مرة أخرى من قبل الخبراء الذين لم يتركوا أي علامة على العبث بهم، ثم عادوا إلى مكتب الخطوط الجوية، وبعد فترة قصيرة نسبيًا، كان لدى الموساد فهم أولي لمشروع الصواريخ المصرية ورؤوسه.

بدأ المشروع على يد عالمين معروفين دوليًا هما الدكتور يوجين سانجر وولفجانج بيلز، خلال الحرب لعبوا أدوارًا رئيسية في مركز بينيماندا لأبحاث الجيش، في عام 1954، انضموا إلى معهد أبحاث فيزياء الدفع النفاث، في شتوتغارت، ترأس سانجر هذه الهيئة المرموقة، وكان رؤساء الأقسام هم بيلز واثنان آخران من المتخصصين المخضرمين في ويرماخت، الدكتور بول جويرك والدكتور هاينز كروغ، لكن هذه المجموعة، التي شعرت بأنها عاطلة عن العمل وعديمة النفع في ألمانيا ما بعد الحرب، اقتربت من النظام المصري في عام 1959 وعرضت عليه تجنيد وقيادة مجموعة من العلماء لتطوير صواريخ أرض–أرض بعيدة المدى، حيث وافق ناصر على الفور وعيّن أحد أقرب مستشاريه العسكريين، اللواء عصام الدين محمود خليل، المدير السابق لمخابرات القوات الجوية ورئيس البحث والتطوير بالجيش المصري، لتنسيق البرنامج، وأنشأ خليل نظامًا مجزأًا، منفصلًا عن بقية الجيش المصري، للعلماء الألمان، الذين وصلوا لأول مرة إلى مصر في زيارة في أبريل 1960.

في أواخر عام 1961، انتقل سانجر وبيلز وجويرك إلى مصر وقاموا بتجنيد حوالي خمسة وثلاثين عالمًا وفنيًا ألمانيي الجنسية، من ذوي الخبرة العالية للانضمام إليهم، واحتوت المرافق في مصر على حقول اختبار ومختبرات وأماكن معيشة فاخرة للمغتربين الألمان، الذين تمتعوا بظروف ممتازة ورواتب ضخمة، ومع ذلك بقي كروغ في ألمانيا، حيث أسس شركة تدعى إنترا التجارية، والتي كانت في الواقع الواجهة الأوروبية للمجموعة.

وبمجرد أن فهم الموساد الوضع الأساسي، وصلت المزيد من الأخبار السيئة، ففي 16 أغسطس 1962، جاء الشخص ذو الوجه المشؤوم إيسر هاريل لرؤية بن غوريون، ومعه وثيقة من أكياس بريد المخابرات المصرية التي تم تصويرها قبل يومين في زيورخ.

كان الإسرائيليون في حالة صدمة، فالوثيقة كانت عبارة عن أمر كُتب عام 1962 من قبل بيلز، إلى مديري المشاريع في مصر، وتضمن تفصيلاً للمواد التي يجب الحصول عليها في أوروبا لتصنيع تسعمائة صاروخ، كان هذا رقمًا هائلاً، وبعد تلقيهم لهذا الخبر، وفقًا لتقرير داخلي للموساد، أصيب التنظيم "بجو من الذعر"، والأسوأ من ذلك أن الوثيقة أثارت مخاوف الخبراء الإسرائيليين من أن الهدف الحقيقي للمصريين كان تسليح الصواريخ برؤوس حربية مشعة وكيماوية.

استدعى بن غوريون لعقد اجتماع عاجل على أعلى مستوى.

كان لدى هاريل خطة من نوع ما.

كشفت المعلومات الاستخباراتية التي جمعها الموساد حتى الآن عن أثر لأخيل في مشروع الصاروخ: كانت أنظمة التوجيه غير متطورة بشكل كبير بحيث أصبحت غير وظيفية، مما يعني أن الصواريخ لا يمكن أن تدخل في الإنتاج الضخم، وطالما كان هذا هو الحال، فستحتاج مصر إلى علماء ألمانيين، وبدونهم سينهار المشروع، كانت خطة هاريل إذن هي خطف الألمان أو القضاء عليهم.

في أواخر شهر أغسطس، ذهب هاريل إلى أوروبا لوضع خطته موضع التنفيذ، كان الطقس باردًا مما يبشر بأبرد شتاء عرفته المنطقة منذ سنوات عديدة، وبعد فشل كل الجهود لتحديد موقع بيلز، قرر هاريل العمل ضد كروغ.

يوم الاثنين 10 سبتمبر الساعة 5:30 مساءً، اتصل رجل قدم نفسه على أنه صالح قاهر بمنزل كروغ في ميونيخ، قال إنه كان يتحدث نيابة عن العقيد سعيد نديم، كبير مساعدي اللواء محمود خليل، وأنه كان على نديم أن يقابل كروغ "على الفور في أمر مهم"، وأضاف صالح باستخدام أكثر الأحاديث ودية، أن نديم الذي يعرفه كروغ جيدًا، أرسل تحياته وكان ينتظر

كروغ في فندق أمباسادور في ميونيخ، وقال صالح إن الأمر المطروح هو صفقة من شأنها أن تحقق ربحاً جيداً لكروغ، كان من المستحيل مناقشته في مكتب إنترا بسبب طبيعته الخاصة.

لم يرى هذا على أنه غير عادي، وقبل الدعوة لم يكن صالح سوى يد قديمة في الموساد، "عوديد" ولد في العراق، وكان ناشطاً في الحركة الصهيونية السرية هناك، وهرب من البلاد عام 1949 بعد أن كاد أن يُقبض عليه، لقد ذهب إلى مدارس نظامية في بغداد مع المسلمين، ويمكن أن يتقمص دور العربي بكل سهولة، وقد خدم الموساد في القدرات العملياتية ضد أهداف عربية لسنوات.

التقى "عوديد" في بهو فندق أمباسادور، وقال "أنا العقيد نديم وأنا بحاجة إليكم لوظيفة مُهمة"، في اليوم التالي ذهب "عوديد" إلى مكاتب "إنترا" ليأخذ "كروغ" ويصحبه لمقابلة نديم في فيلا خارج المدينة.

يقول: "جئت في سيارة أجرة، وكان كروغ سعيداً برؤيتي وقدمني لموظفي الشركة، ولم يشك أبداً للحظة أنني لست كما أنا عليه، كان هناك انسجام جيد بيننا، وفي سيارة المرسيدس ونحن في الطريق إلى العنوان الذي قدمته له، تحدثت مع كروغ وأخبرته كيف نُقدر في المخابرات المصرية خدماته ومساهمته، لقد تحدث بشكل أساسي عن سيارة المرسيدس الجديدة التي اشتراها للتو.

وصل الاثنان إلى المنزل حيث اعتقد كروغ أن نديم ينتظره، نزلوا من السيارة وفتحت امرأة الباب الأمامي، ودخل كروغ وكان أوديد خلفه، وأغلق الباب وعاد أوديد، كما هو مخطط إلى الخارج.

كان ثلاثة عناصر آخرين ينتظرون داخل الغرفة، لقد فاجأوا كروغ ببضع ضربات، واستطاعوا تكميمه وقيدوه، عندما جاء إلى هناك، فحصه طبيب فرنسي يهودي جنده الفريق. كان يعتقد أن كروغ كان يعاني من صدمة طفيفة، ولذلك أوصى بعدم إعطائه حقنة مهدئة، قال له أحد عملاء الموساد المتحدث بالألمانية: "أنت سجين، افعل ما نقوله بالضبط أو سنقضي عليك "، وعد كروغ بالامتثال، ووُضع في حجرة سرية في عربة باص فولكس فاجن، والفرقة بأكملها تُرافقه، بما في ذلك "إيسر هاريل"، الذي كان حاضراً طوال الوقت.

انطلقوا إلى الحدود الفرنسية في تلك السيارة مع الاثنين الآخرين، وفي الطريق توقفوا في الغابة، وأخبر "هاريل كروغ" أنهم على وشك عبور الحدود وأنه إذا أصدر صوتاً، فسيقوم سائق السيارة بتنشيط آلية من شأنها أن تضخ قدراً مميتاً من الغاز السام داخل المقصورة.

عندما وصلوا إلى مرسيليا، تم تخدير كروغ بشدة ووضعه على متن طائرة تابعة لشركة العال التي تنقل المهاجرين اليهود من شمال إفريقيا إلى إسرائيل. وقال العاملون في الموساد للسلطات الفرنسية إنه مهاجر مريض.

في الوقت نفسه أطلق الموساد عملية تضليل واسعة النطاق، مع رجل يشبه "كروغ" ويحمل وثائق باسمه يُسافر في جميع أنحاء أمريكا الجنوبية، تاركاً أثراً ورقياً يُشير إلى أن "كروغ" قد سرق الأموال وهرب من مصر، في الوقت نفسه، سرب الموساد معلومات مضللة إلى الإعلام قائلاً إن "كروغ" تشاجر مع الجنرال خليل وشُعبته ويبدو أنه تم اختطافهم وقتلهم.

في إسرائيل تم سجن "كروغ" في مُنشأة سرية للموساد وتعرض لتعذيب قاسي، في البداية ظل صامتًا، لكنه سرعان ما بدأ التعاون، وعلى مدار عدة أشهر سلم الكثير من المعلومات، وفقًا لتقرير صادر عن الموساد "كان لدى الرجل ذاكرة جيدة وكان يعرف كل التفاصيل التنظيمية والإدارية للمشروع الضخم" وكانت الوثائق التي في حقيبته مفيدة أيضاً، وخلص التقرير إلى أن "هذه البيانات جعلت من الممكن بناء موسوعة استخباراتية".

تطوع كروغ للعودة إلى ميونيخ والعمل كعميل للموساد هناك، لكن في النهاية، وبعد أن بدا للمُحققين أن كروغ أخبرهم بكل ما يعرفه، فكر الموساد في ما يجب فعله به، كان من الواضح أن الامتثال لعرضه بالعودة إلى ميونيخ سيكون أمراً خطيراً للغاية، فقد يخون كروغ الموساد، ويذهب إلى الشُرطة، ويُخبرهم كيف اختطف الإسرائيليون مواطناً ألمانياً من الأراضي الألمانية، فاختار "هاريل" الطريق الأسهل للخروج. فأمر (S.G) أحد رجاله بأخذ كروغ إلى مكان مهجور يقبع في شمال تل أبيب وإطلاق النار عليه، وحملت طائرة تابعة لسلاح الجو الجثة وألقتها في البحر.

دفع نجاح عملية "كروغ" "بن غوريون" إلى إعطاء الضوء الأخضر لمزيد من عمليات القتل المُستهدف، ووافق على استخدام المُخابرات العسكرية (أمان) الوحدة 188، وهي جهاز عملياتي سري يضع الجنود الإسرائيليين تحت غطاء كاذب في عُمق دول العدو، كانت قيادة الوحدة

موجودة في مُجمع سارونا في تل أبيب، ليس بعيداً عن مكتب بن غوريون، وكان لديها مرفق تدريب على الشاطئ في شمال تل أبيب، بجوار مُختبر "نتان روتبرغ" الخاص لأعمال الهدم.

استاء "إيسر هاريل " من الوحدة 188، فمنذ مُنتصف الخمسينيات كان يحاول إقناع بن غوريون بنقلها إلى الموساد، أو على الأقل بتكليفه بها، ولكن مع مُعارضة الجيش بشدة، قام بن غوريون بإبعاده عنها.

رئيس جهاز (أمان) اللواء "مئير عميت" لم يعتقد أن العُلماء الألمان كانوا يُشكلون تهديداً خطيراً لإسرائيل كما فعل هاريل، ومع ذلك وبسبب التنافس بين المنظمات والموساد، فقد طالب بالسماح لوحدته 188 بالعمل ضدهم، لأنه على حد تعبيره "يُجب ألا نتجاهل ذلك ويجب علينا القضاء على هذا الأمر في مهده"، وهكذا بدأت المُنافسة الشديدة حول من سيقتل المزيد من الألمان بين الوحدة 188 والموساد.

خلال ذلك الوقت كان للوحدة 188 عميلاً مُخضرماً تحت غطاء عميق في مصر، كان فولفغانغ لوتز "وهو عميل ألماني يعمل لصالح إسرائيل" الخُلد المثالي، حيث أن أمه يهودية، وكان غير مُتخوف ويبدو وكأنه ألماني عادي، قام باختلاق قصة للتستر بها وأنه ضابط سابق في الجيش الألماني فيما يُعرف بالفيلق الأفريقي حينها، وأنه أصبح مُربي خيول وعاد إلى مصر لتأسيس مزرعة خيول.

في غضون وقت قصير أصبح لوتز المُمثل الموهوب جزءاً لا يتجزأ من الدائرة الاجتماعية الألمانية المُتنامية في القاهرة، زود الوحدة 188 بالكثير من التفاصيل حول مشاريع الصواريخ وموظفيها، ومع ذلك لم يستطع أن يأخذ على عاتقه القضاء عليهم في الأعمال التي تتطلب مشاركته المباشرة، خوفاً من تعرضه للكشف عنه، توصل "ياريف" رئيس الوحدة 188، إلى استنتاج مفاده أن أفضل طريقة للتخلص من العُلماء الألمان ستكون باستخدام الرسائل والطرود المُفخخة.

وأمر "ياريف" ناتان روتبرج بالبدء في تحضير القنابل، كما السابق، وقد كان "روتبرج" يعمل على نوع جديد من المتفجرات وهي عبارة عن صفائح رقيقة ومرنة من المواد المُتفجرة، تم تطويرها للأغراض المدنية، والتي كان من المفترض أن تصهر اثنين من صفائح الفولاذ عندما تنفجر، وبذلك ستسمح لجعل الشُحنات أكثر قوة، وقد أوضح "روتبيرج" بأنه علينا تطوير نظام

يُمكن أن يظل غير مُسلح وآمناً أثناء كل عمليات الخلط التي تمر بها الرسالة في نظام البريد، ثم تنفجر في الوقت المناسب.

وهكذا عملت آلية الغلاف بطريقة تجعل القنبلة مُسلحة فقط عند فتحها، مما يجعل الظرف غير متفجراً، إلا عندما يتم سحب المُحتويات، تم إجراء البحث والتطوير بالتعاون مع المُخابرات الفرنسية، في مُقابل المعلومات التي نقلها "لوتس" حول أنشطة جبهة التحرير الوطني الجزائرية السرية في القاهرة، كما ساعدت الوحدة 188 الفرنسيين في تهريب المُتفجرات إلى القاهرة لاستخدامها في اغتيال أعضاء جبهة التحرير الوطني هناك.

كان الهدف الأول الذي تم إرساله بواحدة من الرسائل المفخخة الجديدة هو "ألويس برونر" مُجرم حرب نازي هارب كان نائباً "لأدولف أيخمان" وعمل كقائد لمُعسكر اعتقال في فرنسا، مما أدى إلى مقتل 130 ألف يهودي، رصدته الوحدة 188 في دمشق، حيث كان يعيش ثماني سنوات تحت اسم مستعار، حيث منحت الدول العربية حق اللجوء لعدد قليل من مجرمي الحرب النازيين، مقابل الحصول على خدمات متنوعة، وأيضاً ساعد "برونر" في تدريب وحدات الإرهاب والتعذيب بالأجهزة السرية السورية.

تم العثور عليه بمساعدة "إيلي كوهين" أحد كبار عُملاء الوحدة، والذي كان نشطاً مع المُستويات العُليا في مؤسسة الدفاع السورية، بعد أن قدم بن غوريون موافقته على تصفية "برونر" قرر ياريف تجربة أحد أجهزة التفجير الجديدة على النازي، قال روتبرج: "قمنا بإرسال هدية صغيره له".

في 13 سبتمبر 1962 تلقى برونر مظروفًا كبيراً في دمشق، انفجر بعد أن فتحه وأصيب بجروح خطيرة في الوجه وفقد عينه اليسرى لكنه نجا.

ومع ذلك التشجيع لمن قام بتسليم القنبلة إلى الهدف، كانت الوحدة 188 حريصة على استخدام نفس الطريقة ضد العلماء الألمان، ولكن اعترض الموساد على ذلك كما أوضح رافي إيتان: "أنا أعارض أي عمل لا أتحكم فيه، فيمكن أن يفتح ساعي البريد المغلف، ويمكن للطفل فتح المغلف، من قد يفعل أشياء من هذا القبيل؟! "

واتضح أن الوصول إلى الألمان في مصر أمر معقد للغاية، لأنهم لا يقوموا يتلقي بريدهم بشكل مباشر، وقامت المخابرات المصرية بجمع كل البريد الخاص بالمشروع والعاملين به في مكاتب شركة مصر للطيران، حيث تم إرسالها بعد ذلك إلى القاهرة، وهكذا تقرر اقتحام مكتب شركة مصر للطيران أثناء الليل ووضع المغلفات في أكياس البريد.

باستخدام طريقة جديدة لفتح الأقفال عن طريق مفتاح رئيسي متطور تم تطويره في ورش عمل الموساد، تمكن عملاء الموساد الذين كانوا يساعدون الوحدة 188 من الدخول إلى مكاتب مصر للطيران في فرانكفورت في 16 نوفمبر.

كان الاختصاصي في الاقتحام نصف مختبئ خلف امرأة عاملة بينما كانوا يتكئون على الباب مثل زوجين من العشاق، ودخل الفريق المكتب لكنه فشل في العثور على حقيبة البريد، وفي اليوم التالي حاولوا مرة أخرى، وبينما كانوا مشغولين بالباب ظهر البواب وهو مخمور تمامًا، وفي هذه المرة لم يكن هناك نساء في الفريق، لذلك تظاهر اثنان من الرجال بأنهم شاذون جنسياً، وتمكنوا من الهرب دون إثارة شكوك البواب المخمور، وفي الليلة التالية جرت محاولة أخرى، وهذه المرة سارت بشكل سلس، حيث كانت حقيبة البريد التي سيتم إرسالها إلى مصر على أحد المكاتب، فقام الفريق بإدخال المغلفات المفخخة في الأكياس.

تم اختيار بيلز كهدف رئيسي للإغتيال، أشارت المعلومات الاستخباراتية التي تم جمعها عنه إلى أنه كان يطلق زوجته حتى يتمكن من الزواج من سكرتيرته هانيلور ويندي، عاشت الزوجة في برلين ولكنها استعانت بمحامٍ من هامبورغ، وهكذا تم تصميم الرسالة المفخخة التي تستهدف بيلز لتبدو وكأنها من ذلك المحامي، حيث يظهر شعاره وعنوانه على ظهر الرسالة، قال التقرير النهائي عن العملية: "افترض مخططو المشروع أن مثل هذا العنصر الشخصي من البريد لن تفتحه ويندي، وأنها ستعطيها لبيلز بنفسه".

لكن المخططين كانوا مخطئين، فمن المفترض أن ويندي التي تلقت الرسالة في 27 نوفمبر، التي اعتقدت أنها تهتم بحياتها بقدر اهتمامها بحياة بيلز، قامت بفتحه وانفجر في يديها، ففجر بعض من أصابعها، وعمى إحدى عينيها وأتلف الأخرى وقذف بعض من أسنانها خارج لثتها، أدركت السلطات المصرية على الفور ما كان يحدث وعثرت على عناصر البريد المفخخة الأخرى مع أجهزة الأشعة السينية، ثم سلمتها لتفكيكها والتحقيق فيها من قبل متخصصين من

المخابرات السوفيتية في القاهرة، أرعبت انفجارات القاهرة العلماء وعائلاتهم لكنها لم تجعل أيًا منهم يتخلى عن وظائفه المريحة وذات الأجر الجيد، بدلاً من ذلك استعانت المخابرات المصرية بخدمات ضابط أمن ألماني ذو خبرة عالية، وهو رجل سابق في قوات الأمن الخاصة يُدعى هيرمان أدولف فالنتين، زار مكاتب إنترا والعديد من موردي المشاريع المختلفة، وقدم لهم المشورة بشأن الاحتياطات الأمنية، مثل استبدال الأقفال الخاصة بأبوابهم، وتأمين تسليم بريدهم، كما بدأ التحقيق في خلفية بعض الموظفين.

كان الهدف التالي على قائمة ضربات هاريل هو الدكتور هانز كلاينواتشتر ومختبره في بلدة لورش، والذي تم التعاقد معه لتطوير نظام توجيه للصواريخ، أرسل هاريل وحدة الطيور (تسيبوريم) الشين بيت، والتي استخدمها الموساد أيضًا في أوروبا مع أوامر لبدء التخطيط لعملية القنفذ ضد كلاين واشتر، وكانت أوامر هاريل صريحة: "كلاين واشتر سيُختطف ويُحضر إلى إسرائيل، وإذا لم ينجح ذلك، اقتله".

أسس هاريل بنفسه مقره الرئيسي في مدينة ميلوز الفرنسية، ليتذكر قائده المتنامي رافي إيتان: "إنه في منتصف الشتاء المعروف بالثلج الرهيب والبرد القارس، وبدرجة حرارة عشرون تحت الصفر بالخارج، كان إيسر غاضباً بشدة، جالسًا في منزل داخلي في فرنسا خلف نهر الراين، أظهر لي بعض الصور وقال: "هذا هو الهدف، اقتله".

لقد استنفد عملاء الطيور كل ما لديهم بعد العمليات التي لا حصر لها بما يتعلق بالعلماء الألمان الذين تم تكليفهم بها في الأشهر السابقة، والدعم الذي كانوا يقدمونه للوحدة 188، في النهاية أخبر إيتان هاريل أن الظروف في رأيه لم تكن جاهزة للمساعدة في عمليات القتل المستهدف: "كنا بحاجة إلى الانتظار قليلاً وإنشاء فخ خاص بنا، وليس مجرد إطلاق النار على الناس في الشارع. قلت له: "أعطني شهرًا، سأقوم بالمهمة ولن يعرف أحد أنني كنت هنا".

لكن هاريل لم يستمع ففي 21 كانون الثاني (يناير) طرد "بيردز" واستدعى "مفراتس" وحدة القتل المستهدف في الموساد بقيادة يتسحاق شامير، من أجل القضاء على كلاين واشتر، وما لم يكن يعرفه هاريل هو أن فالنتين أدرك أن كلاين واتشتر سيكون الهدف التالي للموساد، قدم له مجموعة من المساعدات، وتأكد من أنه كان يرافقه باستمرار، وقدم له مسدسًا عسكريًا مصرياً.

في 20 فبراير شوهد مراقب الموساد كلاين واتشتر وهو ينطلق بمفرده على الطريق من لورتش إلى بازل، وقرروا القيام بالضربة عندما عاد. شامير الذي قاد العملية مع هاريل في الميدان، كُلف بمهمة إطلاق النار على قاتل سابق تابع للإرغون يدعى أكيفا كوهين، أرسل هاريل معه شخص يتحدث الألمانية اسمه تسفي أهاروني، انتظروا عودة الهدف في المساء، لكنه لم يحضر وتقرر إلغاء العملية، ثم سارت الأمور على ما يرام، فقد ظهر كلاين واتشتر أخيرًا وتم عكس أمر الإلغاء فجأة، ولكن تنفيذ إجراء العملية بأكمله كان عملاً متسرعًا، منعت سيارة عملاء Mifratz سيارة كلاين واتشر، وكانت الطريقة التي توقفت بها السيارتان على الطريق الضيق قد منعت رجال الموساد من الهروب بعد العملية.

نزل أهاروني من السيارة وصعد إلى كلاين واتشتر، وكأنه يسأله عن الاتجاهات، كانت الفكرة هي جعله يفتح النافذة، وبدأ كلاين يفعل ذلك، وقام كوهين الذي اقترب من أهروني من الخلف بسحب بندقيته وحاول تصويبها عبر النافذة المفتوحة وأطلق النار، لكن الرصاصة أصابت الزجاج وكسرته، ثم أصابت وشاح كلاين واتشتر، ولكنها أخطأت جسده لسبب غير معروف، لم يطلق النار مرة أخرى، وكما تقول إحدى النظريات أن نابض الارجاع قد انقطع، أو أن الرصاصة كانت عديمة الفائدة، أو أن المجلة انفجرت وسقطت، رأى أهاروني أن الخطة قد فشلت وصرخ في وجه الجميع ليهربوا، ولم يتمكنوا من استخدام سيارتهم، فهربوا في اتجاهات مختلفة في محاولة للوصول إلى سيارات الهروب المنتظرة، سحب كلاين واتشتر مسدسه وبدأ بإطلاق النار على الإسرائيليين الفارين، لم يصب أحدا ولكن العملية برمتها كانت فشلاً مدوياً.

ثم أطلق هاريل عدداً من الإجراءات التي تهدف إلى تخويف العلماء وعائلاتهم، بما في ذلك ارسال رسائل مجهولة تهدد حياتهم وتحتوي على معلومات كثيرة عنهم، بالإضافة إلى زيارات فعلية في منتصف الليل لإعطاء تحذيرات مماثلة.

كما فشلت هذه العمليات فشلاً ذريعًا عندما ألقت الشرطة السويسرية القبض على عميل في الموساد يُدعى جوزيف بن غال بعد أن هدد ابنة البروفيسور جوركه هايدي، وتم تسليمه إلى ألمانيا وإدانته وحكم عليه بالسجن لفترة قصيرة، وكان لدى عملاء الموساد بعد المحاكمة تجربة سيئة تتمثل في مشاهدة ضابط أمن مشروع الصواريخ، الشخص الضخم الذي يدعى هيرمان فالنتين، ظهر في الجلسة بابتسامة متعجرفة، ولم يتظاهر حتى بإخفاء مسدسه.

وبحلول ربيع عام 1963، لم يكن موساد هاريل قد تباطأ، ناهيك عن إنهاء تقدم المصريين نحو الصواريخ التي يمكن أن تقضي على إسرائيل، لذا فقد لجأ هاريل إلى الذريعة السياسية وبدأ في تسريب بعض القصص للصحافة والتي كان بعضها حقيقياً، وبعضها منمق، حيث كانت بعض الأكاذيب الصريحة (أن الألمان كانوا يساعدون مصر في إنتاج قنابل ذرية وأشعة ليزر مميتة) حول قيام النازيين ببناء أسلحة للعرب لقتل اليهود، كان هاريل مقتنعًا تمامًا بأن العلماء الألمان كانوا نازيين لا يزالون مصممين على إكمال الحل النهائي، وأن السلطات الألمانية كانت على دراية بأنشطتهم لكنها لم تفعل شيئًا لوقفها، وكانت الحقيقة أنهم كانوا أشخاصًا اعتادوا على الحياة الجيدة في ظل حكم الرايخ الثالث، وأصبحوا عاطلين عن العمل عندما سقط، وهم الآن يحاولون ببساطة جني بعض المال السهل من المصريين، لكن هاريل جر المنظمة بأكملها، وفي الواقع البلد كله، وراء هوسه هذا.

من أجل إثبات مزاعمه، قدم "هاريل" معلومات تم جمعها في القاهرة حول الدكتور "هانز إيزيل" جزار المُعسكر النازي بوخنفالد، الذي شارك في تجارب مُروعة على نزلاء يهود، وقد تم تصنيفه كمجرم حرب لكنه هرب من المُحاكمة ووجد ملجأً مريحاً في جمهورية مصر، حيث أصبح طبيباً للعلماء الألمان، كما وجه "هاريل" أصابع الاتهام إلى عدد من النازيين الآخرين في القاهرة، على الرُغم من عدم انتماء أي منهم إلى مجموعة عُلماء الصواريخ.

كان هدفه هو تشويه سمعة ألمانيا علناً، والتي كانت تحكمها علاقة مُعقدة مع إسرائيل، وهو موضوع نزاع كبير داخليًا، وقد أكد المُعتدلون مثل "بن غوريون" وكبير مساعديه "شيمون بيريز" أنه في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة مُترددة في تزويد إسرائيل بكل المساعدات العسكرية والاقتصادية التي طلبتها، ولم تكن إسرائيل قادرة على تحمل ذلك، رفض المساعدة من حكومة ألمانيا الغربية، والتي جاءت في شكل اتفاقية تمثيل وتعويض وبيع مُعدات عسكرية بجزء بسيط من تكلفتها الحقيقية، من ناحية أخرى ، رفض المتشددون مثل "غولدا مئير" و"هاريل" نفسه فكرة أن جمهورية ألمانيا الاتحادية كانت ألمانيا "جديدة" أو "مُختلفة"، لقد ترك التاريخ في أذهانهم وصمة عار دائمة.

كما استدعى هاريل في لجنة المحررين تلك المؤسسة الإسرائيلية الفريدة، التي كانت تتألف آنذاك من كبار المحررين لوسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية، الذين فرضوا رقابة ذاتية على المواد في منشوراتهم بناءً على طلب الحكومة، طلب هاريل من لجنة المحررين تزويده

بثلاثة صحفيين، جندهم لاحقاً في الموساد، وقد تم إرسالهم إلى أوروبا، على نفقة الموساد، لجمع المعلومات حول الشركات الأمامية التي كانت تشتري مُعدات للمشروع المصري، زعم "هاريل" أنه بحاجة إلى الصحفيين لأسباب تشغيلية، لكن الحقيقة هي أنه أراد استخدام مُشاركتهم والمواد التي جمعوها لغسيل المعلومات التي يمتلكها، وعلى هذا النحو يمكن نشرها لوسائل الإعلام الأجنبية والإسرائيلية لغرض تصنيع تقارير صحفية من شأنها أن تخلق مناخاً يناسب أغراضه.

ولّدت قصص هاريل جنوناً إعلامياً وشعوراً متزايداً بالذعر في إسرائيل، وحاول "بن غوريون" تهدئة "هرئيل" دون جدوى، وقال "عاموس مانور" رئيس الشاباك في ذلك الوقت: "لم يكن في رأيي عاقلاً تماماً، لقد كان شيئاً أعمق بكثير من جلسة، لا يمكن أن يكون لديك محادثة منطقية معه حول هذا الموضوع ".

وانتهى ذلك كما تفعل معظم الهواجس، حيث قام " هاريل " بنفسه بتدمير حملته الدعائية، والقصص الصحفية المسعورة التي زرعها عن أتباع هتلر وهم ينتفضون مرة أخرى، وقد أصابت هذه الترهات بن غوريون بشكل كبير، وهوجم رئيس الوزراء لأنه لم يفعل ما يكفي لإنهاء التهديد الذي يشكله العلماء الألمان العاملون في مصر، وهو تهديد اعتبره المواطنون الإسرائيليون خطراً واضحاً وقائماً على وجودهم، ولقيادته بلاده إلى تسوية مع ألمانيا الغربية، التي بدت الآن مسؤولة بشكل غير مباشر على الأقل عن إصدار جديد من الحل النهائي.

في 25 آذار (مارس) عام 1963، استدعى بن غوريون هاريل إلى مكتبه وطالب بتفسير جزء من الإجراءات التي قام بها هاريل تجاه وسائل الإعلام المحلية والدولية دون موافقة بن غوريون، وقد تحول الحديث إلى خلاف مرير حول سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاه ألمانيا، ذكّر رئيس الوزراء هاريل بأنه من المفترض أن يُنفذ سياسة الحكومة وليس وضع سياساته الخاصة، وبعد أن شعر هاريل بالإهانة قدم استقالته، واثقاً من أن الرجل العجوز لن يتمكن من إدارة شؤونه بدونه، وأنه يتوسل إليه للبقاء.

وعمل بن غوريون خلاف ذلك وقبل الاستقالة على الفور، وانتهت مسيرة "إيسر هاريل" اللامعة ذات مرة بخادعة فاشلة وهزيمة تامة، وعلى الفور تم تعيين مئير عميت رئيساً (لأمان).

لكن كان الوقت مُتأخراً جداً بالنسبة لبن غوريون أيضاً. كانت حملة هاريل ضد العُلماء في مصلحة زعيم المُعارضة بيغن، الذي لم يتخلي أبداً عن هجومه على بن غوريون، حتى داخل حزبه، وصلت الأمور إلى نقطة الغليان، وتشاجر بن غوريون مع غولدا مئير، الداعمة الرئيسية لهاريل.

بعد أقل من شهرين من استبدال هاريل، استقال بن غوريون، مقتنعاً بأنه فقد دعم حزبه له وحل محله ليفي اشكول.

في غضون ذلك كانت مصر لا تزال تعمل على إصلاح أنظمة توجيه الصواريخ التي كان من الممكن أن تتسبب في مقتل إسرائيل.

مئير عميت أحد القادة الشباب اللامعين في جيش الدفاع الإسرائيلي ومُخطط لحملة سيناء عام 1956 والذي كان مسؤولاً عن تقدم مديرية المخابرات العسكرية لعدة أجيال، تولى قيادة الموساد في حالة من الفوضى.

كانت الوكالة محبطة للغاية، منذ أن أعلنت مصر عن تجاربها الصاروخية، لم يعلم الإسرائيليون الكثير عن البرنامج، وكل شيء حاول الموساد وأمان فعله حتى الآن فشل حتى في إبطاء المشروع، ناهيك عن تفكيكه، وحتى الضغط على ألمانيا سواء من خلال حملة هاريل الصحفية التي قد تُضحي بنفسه فشلت.. كل ذلك قد فشل.

لم تختلف الخُطب التي ألقيت في الكنيست، في وقت لاحق من ذلك الصيف، وحتى الرسائل التي حملت رسالة شديدة اللهجة من أشكول إلى المستشار كونراد أديناور فشلت أيضاً في حث الألمان على اتخاذ إجراءات فورية لإعادة العلماء من مصر، كما أشار دبلوماسيون إسرائيليون إلى وزارة الخارجية في القدس، لم يكن بوسعهم سوى افتراض أن "أديناور والقيادة مشغولون بمشاكل أكثر أهمية"، مثل "إدارة الحرب الباردة في فترة ما بعد أزمة الصواريخ الكوبية".

شرع عميت في إعادة بناء المنظمة، وتعزيزها بأفضل الموظفين الذين عرفهم من أمان، حالما تولى منصبه، أمر بوقف أي مسائل يعتبرها دخيلة، وتخفيض جذري في الموارد المُخصصة للبحث عن المجرمين النازيين، مُوضحاً أن الأمر "**مسألة أولويات. قبل كل شيء، علينا إنتاج معلومات عن أعداء دولة إسرائيل في الوقت الحاضر**".

كان عميت يعلم أنه بحاجة إلى إعادة ضبط تكتيكي، وأن على الموساد إعادة التفكير في خيبته جراء مشكلة الصواريخ المصرية وهذا كان أول أمره، وهذا قد دفعه التحول بعيداً عن عمليات القتل المستهدف، وأن تركز الغالبية العظمى من موارده بدلاً من ذلك على محاولة فهم ما كان يجري بالضبط في جانب مشروع الصاروخ.

ولكن وفي السر مع خروج معظم كبار المسؤولين في المنظمة من الحلقة، أعد مشروع قتل مُستهدف خاص به ضد العُلماء، كان أفراد العمليات يُحاولون إيجاد طرق لإرسال طرود مُفخخة من داخل مصر، وبالتالي قصر الوقت بشكل كبير بين إرسال وفتح الطرد، لقد جربوا الطريقة على هدف سهل نسبياً، وهو الطبيب هانز إيزيل ففي 25 سبتمبر، وقع انفجار في مكتب البريد في جوار المعادي الراقي بالقاهرة، عندما انفجرت رسالة مُفخخة كانت مُوجهة إلى الدكتور كارل ديبوش، الاسم المستعار الذي كان يستخدمه إيزيل ، وأصاب عامل بريد بالعمى.

فشل هذه العملية أقنع عميت أن عمليات القتل المُستهدف يجب أن تُستخدم فقط بشكل مُقتصد إن لم يكن كخيار أخير، أو على الأقل بعد التخطيط الدقيق الذي من شأنه أن يمنع الفشل المحرج، ومع ذلك فقد أمر الموساد بإعداد خطط لإطلاق النار على العُلماء أو تفجيرهم أو تسميمهم، في حال لم تنجح الجُهود المبذولة لحل المسألة سلمياً.

أمر عميت بتكثيف عمليات اقتحام جميع المكاتب المُتصلة بمشروع الصواريخ في ألمانيا وسويسرا، وتصوير أكبر عدد مُمكن من الوثائق، كانت هذه العمليات معقدة للغاية وكانت المواقع تحت حراسة شديدة من قبل الوصايا المصرية ورجال هيرمان فالنتين في قلوب المدن الأوروبية المُزدحمة، في البلدان التي يتم فيها تطبيق القانون بصرامة، اقتحم عملاء الموساد السفارات المصرية، وبعثة الشراء المصرية في كولونيا ومكتب إنترا في ميونيخ، اقتحموا مكتب مصر للطيران في فرانكفورت ما لا يقل عن ستة وخمسين مرة بين أغسطس 1964 وديسمبر 1966.

وقد كانت المعلومات التي تم الحصول عليها في عمليات الاقتحام عبارة عن **(تم تصوير حوالي ثلاثين ألف وثيقة حتى نهاية عام 1964 وحده)** ولكنها لم تكن كافية، لذلك كان على الموساد تجنيد شخص من داخل مشروع الصواريخ، وقد تم إسناد هذه المُهمة الحاسمة إلى قسم خاص داخل الموساد، وهو المسؤول عن جلب الجزء الأكبر من استخبارات المنظمة.

على عكس أفلام هوليوود والقصص البوليسية، فإن معظم هذه المعلومات لا يتم جمعها مباشرة من قبل عملاء الموساد الذين يندفعون في الظل الى عُمق أرض العدو، فبدلاً من ذلك يتم الحصول عليها من العملاء الأجانب في بلدانهم الأصلية، يُطلق على ضباط حالة الموساد المسؤولين عن تجنيد وتشغيل هذه المصادر اسم "**ضباط التشغيل**" وهم علماء نفس خبراء، يعرفون كيفية إقناع الشخص بخيانة كل شيء وكل شخص يؤمن به، من أصدقائه وعائلته ومُجتمعه بل وفكره.

لسوء الحظ لم تُفلح هذه الطريقة على أي شخص قريب من البرنامج المصري، وأصبح تجنيد العملاء في الدول العربية أمراً بالغ الصعبة ولكنه ذات أولوية استراتيجية في المنظور القريب، ومع تسارع الزمن، سيتعين على الموساد الحصول على حلقة وصل في مكان آخر.

في أبريل 1964 أرسل عميت رافت إيتان إلى باريس التي كانت بمثابة مركز الأعصاب الأوروبي للمخابرات الإسرائيلية، لإدارة عمليات الاتصال في القارة حتى هذه اللحظة، كانت كل جهود عمليات التجنيد لأحد العلماء بلا جدوى، ويرجع ذلك في الغالب إلى الاحتياطات الأمنية الصارمة التي وضعها فالنتين، من يوم لآخر، كان يُعاني من مشكلة أكبر.

ستؤدي الحاجة إلى التعامل مع فالنتين إلى شباك سميكة أكبر بكثير، خطرت "لأفراهام أهيتوف" مُنسق مفرق بون في بون فكرة، وقدمها إلى إيتان في باريس في مايو 1964، وقد حدد شخصية مُريبة باعت أسلحة ومعلمات لنظام جمال عبد الناصر وكانت أيضاً قريبة من الألمان العلماء، قال أهيتوف "هناك مُشكلة صغيرة واحدة فقط". "اسم الرجل هو أوتو سكورزيني، وكان ضابطاً رفيعاً في "الفيرماخت"(جيش هتلر)، وقائد العمليات الخاصة لهتلر والمُفضل لديه.

قال إيتان: "**وتُريد تجنيد أوتو هذا؟" سأل إيتان ساخراً... "رائع".**

وأضاف أهيتوف: "هناك مسألة صغيرة أخرى". "لقد كان نازيا مخلصا وعضوا في قوات الأمن الخاصة".

في عام 1960 أخبر أهيتوف إيتان أن هاريل أمر حركة أمل، الوحدة التي تولت مُطاردة مجرمي الحرب النازيين، بجمع أكبر قدر مُمكن من المعلومات حول سكورزيني، بهدف تقديمه إلى العدالة أو قتله.

ذكر ملفه إنه كان عضوا متحمسًا للحزب النازي النمساوي في سن الثالثة والعشرين، وقد تم تجنيده في عام 1935 في وحدة سرية تابعة لقوات الأمن الخاصة في النمسا، وشارك فيما يُعرف بضم هتلر (ضم هتلر للنمسا) وفي **ليلة الكريستال**. ارتقى بسرعة في رتبته في الجناح العسكري للحزب النازي، وأصبح رئيسًا لوحدات العمليات الخاصة بها.

"ليلة الكريستال" يُقصد بها غالبا ليلة الزجاج المكسور، وتعود على الموجة العنيفة للمذابح المرتكبة ضد اليهود التي حدثت في 9 و10 نوفمبر 1938 بكامل ألمانيا والنمسا المحتلة ومناطق زوداتنلاند في تشيكوسلوفاكيا المحتلة من قبل القوات الألمانية

هبط ستورمبان فوهرر سكورزيني بالمظلة إلى إيران ودرب القبائل المحلية على تفجير أنابيب النفط التي تخدم جيوش الحلفاء، وتآمر لقتل الزُعماء الثلاثة الكبار تشرشل وستالين وروزفلت. كان لديه أيضاً خطة لاختطاف وقتل الجنرال دوايت دي أيزنهور ، الذي أُجبر على قضاء عيد الميلاد عام 1944 محاطا بالحراسة المكثفة الأكثر شهرة، تم اختيار سكورزيني شخصيا من قبل هتلر لقيادة غارة غران ساسو ، والتي نجحت في تخليص صديق وحليف الفوهرر، الديكتاتور الفاشي السابق بينيتو موسوليني، من فيلا جبال الألب حيث كان محتجزا من قبل الحكومة الإيطالية.

وصفت مُخابرات الحلفاء سكورزيني بأنه "**أخطر رجل في أوروبا**" ومع ذلك لم تتم إدانته بارتكاب جرائم حرب، وقدم استقالته بإحدى المحاكم، وبعد أن أُعيد تسريحه في تهم أخرى هرب بمُساعدة أصدقائه من قوات الأمن الخاصة، ولجأ إلى إسبانيا حيث أقام علاقات تجارية مُربحة مع الأنظمة الفاشية في جميع أنحاء العالم، كما حافظ على اتصاله بالعُلماء الألمان في مصر.

كانت معرفة سكورزيني بالعلماء في مصر وحقيقة أنه كان ضابطا متفوقا على هيرمان فالنتين أثناء الحرب كافية من وجهة نظر إيتان، لتبرير محاولته تجنيده، على الرغم من ماضيه النازي، لم يكن إيتان أحد الناجين من الهولوكوست، وقد تعامل مع الأمر كما كان معتادا، كان يعتقد أنه إذا ساعد إسرائيل، فسيكون بذلك يستحق المغفرة، قال لزملائه "**ويمكننا أن نعرض عليه في المقابل شيئًا لا يمكن لغيره**"، "**الحياة بلا خوف**."

من خلال عدد من الوسطاء أجرى الموساد اتصالات مع زوج الكونتيسة إلس فون فيكنشتاين سكورزيني، حيث كانت بمثابة مدخل للموساد، ووصف ملف الاستخبارات الخاص بالكونتيسة بإنها كانت "من الطبقة الأرستقراطية، وهي ابنة عم وزير المالية الألماني [ما قبل الحرب] هجال مار شاخت .... تبلغ من العمر 45 عاماً وهي امرأة جذابة إلى حد ما، ومليئة بالطاقة".

قال رافائيل (رافي) ميدان عامل الموساد الذي ولد في ألمانيا والذي تم تكليفه بالمهمة: "**لقد شاركت في كل شيء**" لقد باعت ألقاب النبلاء، وكانت لها علاقات بمخابرات الفاتيكان، وباعت الأسلحة أيضا، كانت لديها هي وزوجها أيضا أفكار ليبرالية حول علاقتهما، قال ميدان: "لم يكن لديهم أطفال، وحافظوا على زواج مفتوح، كانت Ilse تبدو دائمًا مذهلة. خضعت كل عامين لعلاج هرموني في سويسرا من أجل الحفاظ على شبابها ".

وبحسب تقرير الموساد حول القضية، فإن ميدان "**كان يتمتع بسمعة طيبة، بسبب مظهره الأوروبي الجيد، وقدرته في التأثير على النساء**" تم تحديد اجتماع في أواخر يوليو 1964 في دبلن، أيرلندا، قدم ميدان نفسه كموظف في وزارة الدفاع الإسرائيلية في إجازة ويبحث عن فرصة في السياحة الدولية، وقال إنه مهتما بالمشاركة في مشروع تنمية جزر البهاما الذي شاركت فيه الكونتيسة، وأحب ميدان الكونتيسة واشتدت علاقتهما عندما انتهى حديثهم عن العمل، دعته إلى حفلة في مزرعتها، كانت هذه بداية سلسلة من اللقاءات، كرحلات صيد برية والنوادي الليلية في جميع أنحاء أوروبا.

وفقًا لإشاعة الموساد التي انتشرت لسنوات عديدة، والتي تم التلميح اليها في التقارير ولكن لم تُذكر صراحةً، فإن "ميدان" ضحى بنفسه من أجل بلده واستغل زواج الزوجين الألمان المفتوح من خلال استمالة الكونتيسة وأخذها في النهاية إلى الفراش (علّق "ميدان" على ذلك بقوله: "هناك أشياء لا يتحدث عنها السادة" ووصف لقاءهم بابتسامة بأنه "جيد وحتى مرضٍ").

في مدريد ليلة 7 سبتمبر/ أيلول، أخبرها "ميدان" أن صديقة له من وزارة الدفاع الإسرائيلية تريد مقابلة زوجها "في أمر مهم للغاية" كان الصديق في أوروبا بالفعل وينتظر الرد.

لم يكن من الصعب إقناع فون فينكشتاين بالتعاون، قبل أربع سنوات فقط عثرت إسرائيل على أدولف أيخمان وحاكمته وأعدمته، كانت هناك قوى قوية في العالم اليهودي، بما في ذلك الصياد

النازي سيمون ويزنتال، الذي شارك في حملات عالمية للعثور على النازيين ومحاكمتهم مثل سكورزيني، لذلك كان "ميدان" قادرا على أن يُقدم لزوج الكونتيسة حياة بلا خوف.

في الصباح عندما كانوا لا يزالون يعانون من الكحول والدخان في النوادي، أبلغت فون فيكنشتاين ميدان بسعادة أن زوجها مستعد لمقابلة صديقه في تلك الليلة إن أمكن.

دعا "ميدان" أهيتوف إلى مدريد وأقام اجتماعا في بهو الفندق ذلك المساء، جاءت الكونتيسة في المرتبة الأولى، وتميزت بالأناقة، بعد خمسة عشر دقيقة ظهر العقيد قدمهم ميدان إلى أهيتوف، ثم وضع فون فينكنشتاين جانبا في "حديث عمل" وبقي سكورزيني مع أهيتوف.

التقرير النهائي للموساد الداخلي حول القضية، على الرغم من كتابته بلغة احترافية جافة لم يستطع التغاضي عن حدة الاجتماع: "فمن الصعب المبالغة في تردد أفراهام أهيتوف العاطفي بشأن هذه العملية، أبراهام ابن عائلة مُلتزمة دينياً، وهو مواطن ألماني تلقى تعليمه في مدرسة يهودية دينية، بالنسبة له كان الاتصال مع وحش نازي تجربة عاطفية صادمة تجاوزت مُتطلبات المهنة ".

في التقرير المفصل الذي قدمه أهيتوف بنفسه، في 14 سبتمبر 1964، وصف المُحادثات التي أجراها في ذلك الأسبوع مع سكور زيني: **كان سكورزيني عملاقا بهيكل رجل، بكُل ما تحمله الكلمة من معنى، على خده الأيسر كانت النُدبة المعروفة من صوره تصل إلى أذنه، وكان قليل السمع في تلك الأذن وطلب مني الجلوس على يمينه.**

صدمتني لحظتان، كان سكورزيني يبحث عن رقم في دفتر هاتفه ليعطيني إياه. فجأة، أخرج عدسة من جيبه ووضعها في تجاعيد عينه اليمنى، مع أبعاده الجسدية والندبة ونظرته العدوانية، جعله يبدو وكأنه نازي كامل.

وقع الحادث الثاني بعد الاجتماع، عندما كُنا نتناول الطعام معا في مطعم بالقرب من مكتبه، وفجأة جاء أحدهم إلينا، ورفع كعبيه معا بصوت عالٍ، ورحب به باللغة الألمانية باسم "جنرالي". أخبرني سكورزيني أنه صاحب المطعم وكان أحد كبار النازيين في تلك الأجزاء.

ليس لدي أوهام حول آرائه الأصلية، حتى زوجته لم تحاول تبرئته، وشددت فقط على أنه لم يلعب أي دور في الهولوكوست، تركزت مُعظم المحادثات في الاجتماع الأول على القضايا

السياسية، والحرب العالمية الثانية والمحرقة، والعلاقات بين الشرق والغرب، والوضع في الشرق الأوسط.

أثار أهيتوف مسألة مُشاركة سكورزيني في مذابح ليلة الكريستال، قام بسحب قائمة طويلة من الأشخاص الذين شاركوا في الهجمات وقدمها إلى سكورزيني.

كان سكورزيني على دراية بالوثيقة، التي تم تخزينها في ياد فاشيم، لأن الاتهام قد أثير ومناقشته خلال محاكمة جرائم الحرب التي تمكن من الفرار منها.

وأشار إلى علامة X تم توقيعها بجانب اسمه. قال: "**هذا دليل على أنني لم أشارك**" على الرغم من أن الصياد النازي ويزنتال فسر العلامة على أنها دليل على العكس تماما، اشتكى سكورزيني من أن فيزنتال كان يطارده وأنه وجد نفسه أكثر من مرة في موقف "يخشى فيه على حياته"، وقرر أهيتوف عدم تمديد النقطة بعيدا ولم يجادل.

في مرحلة معينة سئم سكورزيني من الحديث عن الحرب، "**أوقفني وسألني ما هو عملي؟ كان من الواضح أنه لا جدوى من لعب لعبة الغميضة، قلت له إنني في المخابرات الإسرائيلية، [قال سكورزيني] إنه لم يتفاجأ أننا وصلنا إليه في أوقات مختلفة، كان مرتبطا ببلدان مختلفة، وما زال يحافظ على علاقات ممتازة مع بعضها، لقد كان مستعدا بالتأكيد لتبادل الآراء معنا أيضا** ".

"تبادل وجهات النظر" كانت طريقة سكورزيني الدقيقة للقول إنه وافق على التعاون الكامل والشامل مع إسرائيل، وطالب سكورزيني بثمن مقابل مساعدته، لقد أراد جواز سفر نمساويا صالحا صادرا باسمه الحقيقي، وأمرا بالحصانة مدى الحياة من الملاحقة القضائية، موقعة من رئيس الوزراء إشكول، وإزالته على الفور من قائمة فيزنتال للنازيين المطلوبين، بالإضافة إلى بعض الأموال.

أثارت ظروف سكورزيني جدلاً حادا في الموساد، ورأى أهيتوف وإيتان في نفوسهم "أنهم بمثابة مُشغل بضمان نجاح العملة" جادل مسؤولون كبار في هذه المُطالبات وقالوا بأنها مُحاولة من قبل مجرم نازي لتطهير اسمه، وطالبوا بإلقاء نظرة جديدة على ماضي سكورزيني، كشف هذا التحقيق الجديد عن مزيد من التفاصيل حول الدور الذي لعبه في ليلة الكريستال، "كقائد لإحدى العصابات التي أحرقت المعابد اليهودية في فيينا" وأنه "حتى وقت قريب، كان داعما نشطا لمنظمات النازيين الجدد".

يعتقد مئير عميت وهو الرجل العملي وغير عاطفي، أن إيتان وأهيتوف كانا على حق، لكنه كان بحاجة إلى الدعم المعنوي من رئيس الوزراء، استمع ليفي إشكول إلى عميت واستشار بعض كبار أعضاء الموساد الذين نجوا من المحرقة (على عكس عميت وإيتان وأهيتوف، الذين لم يفعلوا ذلك) وسماع اعتراضاتهم الشديدة، ومع ذلك، وافق أخيرا على منح سكورزيني المال وجواز السفر والحصانة.

كما وافق رئيس الوزراء على الطلب المتعلق بفيزنتال، لكن هذا لم يكن قراره ولا الموساد، كان وينثال رجلاً عنيدا وعنيدا، وعلى الرغم من أنه كان على صلة وثيقة بدولة إسرائيل وحتى الموساد الذي مول بعض عملياته، إلا أنه لم يكن مواطنا إسرائيليا، وكان يعمل خارج فيينا خارج اختصاص إسرائيل.

في تشرين الأول (أكتوبر) 1964، التقى رافي ميدان مع ويزنثال لمناقشة السبب الذي دفع سكورزيني إلى حذفه من القائمة السوداء للمجرمين النازيين ليتم تعقبهم وقتلهم، دون أن يوضح تفاصيل العملية.

يتذكر ميدان تلك الأيام وأن ويزنثال اعترض على ذلك وقال لا يوجد فرصة، هذا نازي ومجرم حرب ولن نشطبه أبدا من قائمتنا. "بغض النظر عما قلته أو كيف حاولت، فقد رفض رفضا قاطعا."

عندما قيل له إنه سيبقى على قائمة ويزنثال، أصيب سكورزيني بخيبة أمل لكنه وافق على الصفقة على أي حال، وهكذا حصل ما لا يُصدق من صديق مُخلص للفوهرر ومطلوب في جميع أنحاء العالم كمجرم حرب نازي أحرق المعابد اليهودية وشارك في عمليات SS، إلى عميلا رئيسيا في أهم عملية شنتها المُخابرات الإسرائيلية في ذلك الوقت.

كانت الخطوة الأولى التي قام بها سكورزيني هي إرسال رسالة إلى أصدقائه من بين العلماء في مصر بأنه كان يعيد إحياء شبكة من قُدامى المُحاربين في القوات الخاصة والفيرماخت "لبناء ألمانيا جديدة" بعبارة أخرى، لتأسيس الرايخ الرابع، لتحضير الأرض كان يقول لهم، على منظمته أن تجمع المعلومات سراً وبالتالي سيُطلب من العلماء الألمان الذين يعملون لصالح جمال عبد الناصر، بموجب قسم الفيرماخت، تزويد منظمة سكورزيني الوهمية بتفاصيل أبحاثهم الصاروخية حتى يمكن استخدامها من قبل القوة العسكرية الألمانية الجديدة قيد الإعداد.

في الوقت نفسه وضع سكورزيني وأهيتوف خُطة للحصول على معلومات من ضابط الأمن الهائل هيرمان فالنتين، الذي كان يعرف كل شيء عن مشروع الصواريخ المصري على عكس تجنيد سكورزيني المحنك وذوي الخبرة، الذي كان يعلم أنه يتعامل مع رجل من الموساد والذي لم يحاول أهيتوف تضليله أبدا، وقرر الاثنان استخدام بعض الحيل في فالنتين.

لعب سكورزيني دوره على أكمل وجه واستدعى هيرمان فالنتين إلى مدريد بحُجة أنه كان يستضيف تجمعا خاصا لمرؤوسيه من "الحرب المجيدة" وضع فالنتين على حساب الموساد في فندق فخم وقدم له خطته المُزيفة لإحياء الرايخ، ثم كشف أن هذا لم يكن السبب الوحيد لدعوته إلى مدريد، وأنه يُريده أن يُقابل "صديقًا مقربًا"، وهو ضابط في المخابرات البريطانية MI6، قال إن البريطانيين مُهتمون بما يحدث في مصر، وطلب من فالنتين مساعدة صديقه.

كان فالنتين متشككا ويسأل "هل أنت متأكد من أن الإسرائيليين غير متورطين؟"

"كن منتبهاً عند الحديث واعتذر!"

رد سكورزيني "كيف تجرؤ على قول شيء من هذا القبيل لضابط المسؤول!"

اعتذر فالنتين لكنه لم يقتنع وكان في الواقع محقًا تماما، لم يكن "صديق" سكورزيني بريطانيا بل كان ضابط مولود في أستراليا ويعمل في الموساد باسم هاري باراك.

وافق فالنتين على مقابلته ولكن ليس على التعاون ولم يؤد الاجتماع بين الاثنين إلى الوصول إلى إتفاق.

سكورزيني الذي يُعد واسع الحيلة توصل على الفور إلى حل، في لقائه التالي مع فالنتين وأخبره أن صديقه من MI6 قد ذكره بأن برقية أرسلها سكورزيني قرب نهاية الحرب، والتي أبلغ فيها هيئة الأركان العامة بأنه يروج لفالنتين.

وهذا ما أضاء عيون فالنتين على الرغم من أن هذه الترقية بأثر رجعي أصبحت الآن رمزية بحتة فمن الواضح أنها كانت تعني الكثير بالنسبة له، وقف وألقى تحية هيل هتلر وشكر سكورزيني بغزارة.

أخبر سكورزيني فالنتين أنه مُستعد لإعطائه وثيقة مكتوبة تؤكد أنه تمت ترقيته، كان فالنتين مُمتنا لصديقه الجديد من المُخابرات البريطانية على المعلومات التي قدمها ووافق على مساعدته بقدر ما يُريد.

في الوقت المناسب دعا سكورزيني ضُباط الفيرماخت السابقين الآخرين المُشاركين في مشروع الصواريخ إلى مدريد، حضروا حفلات فخمة في منزله وصفت بأنها تجمعات قُدامى المُحاربين في القوات الخاصة في WaffenSS، ضيوفه يأكلون ويشربون ويستمتعون بأنفسهم حتى وقت متأخر من الليل دون أن يعلموا أبدا أن الحكومة الإسرائيلية كانت تدفع ثمن طعامهم وشرابهم وتتنصت على مُحادثاتهم.

المعلومات التي قدمها سكورزيني و فالنتين والعلماء الذين جاءوا إلى مدريد حلت مُعظم مشكلة معلومات الموساد فيما يتعلق ببرنامج الصواريخ المصري، حددت بدقة من شارك في المشروع والوضع الحالي لكل مُكون بالضبط.

بفضل الكم الهائل من المعلومات من هذه العملية نجح الموساد في تفكيك مشروع الصواريخ المصري من الداخل، باستخدام الأساليب المُلتوية، كان أحدهما إرسال رسائل تهديد إلى العديد من العلماء الألمان وقد تم صياغتها بمهارة شديدة بناءً على معلومات استخباراتية من الدرجة الأولى قدمها فالنتين، وتضمنت تفاصيل دقيقة عن المُستلمين.

"تذكر أنه حتى لو لم تكن مسؤولاً عن جرائم الأمة الألمانية في الماضي، فلن تتمكن من إنكار مسؤوليتك عن أفعالك اليوم، من الأفضل أن تُفكر بجدية شديدة في محتويات هذه الرسالة، من أجل مستقبلك ومستقبل عائلتك الشابة ".

"**جدعون**" هو اسم المنظمة المجهولة التي وقعت على الخطابات.

في غضون ذلك وبفضل معلومات استخباراتية جديدة من مصادرها وبالأخص فالنتين، تمكن الموساد من تحديد خطة مصرية سرية لتجنيد عشرات العمال من مصنع Hellige للطائرات والصواريخ في فرايبورغ ممن كانوا على وشك الاستغناء عنهم، قرر عميت الاستفادة من الزخم للقيام بخطوة سريعة تهدف إلى منع رحيلهم إلى مصر.

في صباح يوم 9 كانون الأول (ديسمبر)، حمل شمعون بيريز نائب وزير الدفاع آنذاك، ورافي ميدان، قضية مقفولة تحتوي على عدد من الوثائق باللغة الإنجليزية أعدها مكتب مُدير الموساد بناءً على المواد التي قدمها سكورزيني وفالنتين، والعلماء الذين جاءوا إلى مدريد، وسافر إلى

اجتماع تم الترتيب له على عجل مع أحد كبار السياسيين في ألمانيا الغربية وهو وزير الدفاع السابق فرانز جوزيف شتراوس.

كان بيريز وستراوس مُهندسي اتفاقية الاسترداد بين ألمانيا الغربية وإسرائيل، حينها نهض شتراوس من مقعده ليحيي الإسرائيليين، وعانق ستراوس وبيريز بحرارة.

قال بيريز "جلسنا لمدة ست ساعات" وكان شتراوس يشرب النبيذ والبيرة من جميع أنحاء العالم، صحيح انه يمكنني أيضا أن أشرب ولكن ليس بكميات من هذا القبيل؟ ست ساعات ولم نتوقف عن الشرب ".

كانت المعلومات التي قدمها بيريس إلى شتراوس أكثر تفصيلاً، وتم التحقق من صحتها، لقد كانت أخطر من أي شيء تم تقديمه للألمان في السابق، قال بيريز لشتراوس ذلك، والذي لا بد أن يكون قد أدرك ما يعنيه تسرب هذه المواد إلى الصحافة الدولية: "من غير المعقول أن يُساعد العلماء الألمان أسوأ أعدائنا بهذه الطريقة بينما تقف مكتوف الأيدي".

نظر شتراوس في الوثائق ووافق على التدخل، اتصل بلودفيغ بولكو، وهو شخصية تعمل في صناعة الطيران الألمانية، وطلب مساعدته، أرسل بولكو ممثليه لتقديم وظائف لعُلماء ومُهندسين Hellige في ظل ظروف جيدة في مصانعه، طالما أنهم وعدوا بعدم مساعدة المصريين.

عملت الخطة في الاتجاه الصحيح ولم يذهب مُعظم أعضاء المجموعة الجديدة إلى مصر أبدا، حيث كان برنامج الصواريخ في حاجة ماسة إلى مساعدتهم في أنظمة التوجيه غير المُستقرة، وهو تطور أدى إلى شل المشروع بشكل قاتل.

جاءت الضربة القاضية عندما وصل مُمثل عن بولكو إلى مصر لإقناع العُلماء المُستعدين للعمل هناك بالعودة إلى الوطن، تخلوا عن البرنامج واحدا تلو الآخر، وبحلول يوليو 1965 كان بيلز قد رحل، وعاد إلى ألمانيا ليترأس إحدى فرق مكونات الطائرات في بولكو.

كانت قضية العُلماء الألمان هي المرة الأولى التي حشد فيها الموساد كل قواته لوقف ما اعتبرته تهديدا وجوديا من خصم، والمرة الأولى التي سمحت فيها إسرائيل لنفسها باستهداف مدنيين من دول تربطها بها علاقات دبلوماسية، نظرا للمخاطر التي تم رفعها مؤخرا، تمت كتابة تقرير

داخلي سري للغاية عام 1982، يُحلل ما إذا كان من الممكن حل القضية باستخدام أساليب "ناعمة" وعروضاً سخية بالمال من حكومة ألمانيا للعلماء دون "العجز الغامض".

الكمثرى المُتفجرة، أو القنبلة التي شوهت Hannelore Wende"هانيلور ويندي"، أو الرسائل المُفخخة الأخرى والترهيب ".

وخلص التقرير إلى أن ذلك لم يكن ممكناً: اعتقد الموساد أنه بدون التهديد بالعُنف الموجه ضدهم، لم يكن العُلماء الألمان على استعداد لقبول الأموال والتخلي عن المشروع.

6

سلسلة من الكوارث

بعد قصية العلماء الألمان بقي الموساد في حالة تأهب، جلب مئير عميت المزيد من المهنيين من الجيش، وقدم تقنيات جديدة، وعزز الروابط مع أجهزة المخابرات في الخارج كما واصل إطلاق العديد من الإصلاحات التنظيمية.

أراد عميت إنشاء قسم عمليات واحد في الموساد، والذي من شأنه أن يستهدف جميع الوحدات التي تتعامل مع التخريب، بحيث يكون القتل والتجسس على العرب تحت مظلة واحدة، ومن أجل القيام بذلك فعل عميت ما حاول هاريل القيام به لسنوات وقد عارضه عميت، قام عميت بنقل الوحدة 188 من أمان إلى الموساد ودمجها مع شامير ميفراتس وعين يوسف ياريف رئيسا للقسم وشامير نائبا له.

أطلق رئيس الموساد على الفرقة اسم "**قيسارية**" على اسم المدينة الرومانية على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، كمثال آخر على ولع مُجتمع الاستخبارات الإسرائيلي بالأسماء الرمزية المأخوذة من تاريخ البلاد القديم وقد تم تسمية "شبكة أنشطة قيسارية" خارج إسرائيل باسم مجلس الشيوخ.

وكما أراد عميت شعبة المخابرات الخاصة به أن تخدم كلاً من الشاباك والموساد، قرر عميت الآن أنه يريد وحدة مُنفصلة تعمل فقط خارج إسرائيل وللموساد فقط، قام بتجميع بعض أفراد وحدة الطيور لوحدة استخبارات جديدة أطلق عليها اسم **Colossus** "وهو اسم بطل خيالي خارق".

بالإضافة إلى هذه التغييرات البيروقراطية، نفذت الوكالة في عهد عميت عمليات جمعت كميات غير مسبوقة من المعلومات حول الدول العربية وخدماتها العسكرية، واحدة من أبرز هذه العمليات كانت عملية دايموند ، حيث قام جانكشن بتجنيد الطيار العراقي منير رضفا، الذي انشق إلى إسرائيل بطائرته المُقاتلة الجديدة من طراز ميج 21، وهو سلاح الهجوم الأكثر تقدماً

وتهديداً في أيدي الكُتلة السوفيتية في ذلك الوقت أصبح سلاح الجو الإسرائيلي الآن قادرا على الاستعداد لمواجهة أقوى خصم له في القتال الجوي في المستقبل، كان البنتاغون حريصا جدا على معرفة أسرار الطائرة، ولم يمنح عميت للأمريكيين المخططات الخاصة بالطائرة ميج فقط ولكنه جاء بالطائرة نفسها والمجهزة تجهيزا كاملا وبطيار مدرب.

كما عمل عميت بجد على تنمية علاقات إسرائيل السرية مع المغرب، بما يتماشى مع "عقيدة الأطراف" على الرغم من أن المغرب كانت دولة عربية وعلى اتصال وثيق مع أعداء إسرائيل الرئيسيين، إلا أنها كانت أيضا مُعتدلة وليس لديها نزاع إقليمي مع إسرائيل، علاوة على ذلك كان زعيمها هو الملك الحسن الثاني الموالي للغرب.

تلقى المغرب مساعدة استخباراتية وتكنولوجية قيمة من إسرائيل، وفي المقابل سمح الملك حسن لليهود المغاربة بالهجرة إلى إسرائيل، وحصل الموساد على حق إنشاء محطة دائمة في العاصمة الرباط، يمكنه من خلالها التجسس على الدول العربية.

جاء ذروة التعاون سبتمبر 1965 عندما سمح الملك حسن لفريق الموساد بقيادة تسفي مالتشين ورافي إيتان بإحداث خلل في جميع غُرف الاجتماعات والأجنحة الخاصة لقادة الدول العربية وقادتهم العسكريين خلال القمة العربية في الدار البيضاء، وكان الغرض من القمة هو مُناقشة إقامة قيادة عربية مُشتركة في الحروب المُستقبلية مع إسرائيل، لكن علاقات الملك حسن مع بعض الحُكام العرب الآخرين كانت مُتوترة، وكان يخشى أن يقوم بعضهم بعزله، فسمح للموساد بالاستماع.

وقد أعطى ذلك لإسرائيل لمحة غير مسبوقة عن الأسرار العسكرية والاستخبارية لأعدائها الأعظم، وعقليات قادة تلك الدول في تلك القمة، أفاد قادة الجيوش العربية أن قواتهم لم تكن مستعدة لخوض حرب جديدة ضد إسرائيل، وهي معلومات كانت أساس الثقة العُليا للجيش الإسرائيلي عندما حثوا رئيس الوزراء إشكول على خوض الحرب بعد ذلك بعامين، في حزيران (يونيو) 1967 ذكر تقرير للموساد أن **"هذه المادة المُثيرة" كانت "واحدة من أبرز إنجازات المُخابرات الإسرائيلية منذ تأسيسها".**

زودت هذه العمليات الناجحة الجيش الإسرائيلي بالمعلومات الهامة التي يحتاجها للتحضير للحرب القادمة، ولكن بعد ذلك وبوتيرة مُتسارعة ضربت كارثة تلو الأخرى عميت ومُنظمته.

أفضل جاسوس للوحدة 188، والآن قيسارية، كان إيلي كوهين الذي اخترق الدوائر الحاكمة في دمشق وقدم المعلومات التي مكنت الموساد من تحديد موقع النازي ألويس برونر وإرسال رسالة مُفخخة له.

تم تعيين كوهين في الأصل للعمل كعميل نائم، وبدلاً من جمع المعلومات ونقلها، لن يصبح نشطاً إلا إذا اضطر إلى تنبيه إسرائيل إلى أن سوريا كانت تُخطط لشن هُجوم مفاجئ ضدها.

ومع ذلك وتحت ضغط من مشغليه وبعد أن أصبح متورطا بعُمق مع قصة الغلاف الخاصة به وثقته الزائدة، بدأ في بث الرسائل إلى مسؤولي الموساد على أساس يومي، باستخدام جهاز تلغراف كان يخفيه في شقته، تحدث عن منشآت عسكرية سرية ومؤامرة سوريا للسيطرة على مصادر المياه في المنطقة (بمساعدة شركة مقاولات سعودية برئاسة محمد بن لادن، والد أسامة) وعلاقة سوريا مع الاتحاد السوفيتي، وأيضا عن النازيين المتحصنين في دمشق، وشائعات برلمانية وروايات عن صراعات السلطة الحكومية، كان إرسال كوهين لمعلومات من هذا النوع وعلى هذا التردد خطأً فادحا وغير مهني من جانبه ولكن أيضا، والأهم من ذلك من جانب مُشغليه.

قال "موتي كفي" الذي شغل منصب رئيس برنامج التدريب في أوائل الستينيات، من بين وظائف أخرى في الموساد، "كان إيلي كوهين أحد الأشخاص الذين مروا بحياتهم يبتعدون عن الخطر عندما تكون حذراً أحياناً تعتقد أن لا أحد يراك، لكنه كان مخطئاً لأنه أصبح بارزًا جدًا، قلت له أثناء التدريب، "لا تكن أبدا كحياة الحفلة" لكنه فعل العكس ".

تم إرسال الرسالة المفخخة إلى برونر والاهتمام النشط الذي أظهره كوهين بالنازيين الآخرين في محادثاته مع كبار السوريين إلى جانب حقيقة أنه كان "في وضع غير عادي مُهاجر بلا وظيفة في مُجتمع عربي " ومع ذلك" توفر لديه جميع أنواع الترفيه لضيوفه وأصدقائه "وضع أجهزة المُخابرات السورية في حالة تأهب ودفع أحد محاوريه إلى الشك في قصة غلاف كمال أمين ثابت، وهو تاجر سوري ثري عاد إلى وطنه بعد سنوات طويلة من المنفى في بوينس آيرس.

وفي صدفة مأساوية لكوهين خلال الفترة نفسها، تسبب جهاز الإرسال الخاص به في تشويش البث من مقر قيادة الأركان السورية، عبر الشارع من الشقة الفاخرة التي استأجرها، والتي أقام فيها حفلات جامحة لكبار المسؤولين السوريين، وفي حيرة طلب السوريون من المخابرات

العسكرية السوفيتية **GRU** التحقيق، وأرسل الروس سيارات تجول خاصة، والتي تمكنت من حبس الإشارات المُنبعثة من جهاز إرسال كوهين أثناء إحدى عمليات البث الخاصة به.

تم القبض على كوهين وتعرض للتعذيب الوحشي وسرعان ما حُوكم وحُكم عليه بالإعدام وتم شنقه علنا في ساحة وسط دمشق في 18 مايو، تُرك جسده متدليا على المشنقة، ملفوفا بملاءة بيضاء عليها نص حُكم الإعدام كرسالة إلى دولة إسرائيل.

الرجل الذي جند كوهين ودربه وشغّله، جدليا خلف، قال لاحقًا: "**نظرت إليه على التلفزيون السوري، وشاهدت في وجهه العذاب الشيطاني الذي تعرض له، لم أكن أعرف ماذا أفعل بنفسي، أردت أن أصرخ، وأن أفعل شيئا، أو أن آخذ مسدسا واقتحام سجن المزة السوري، أو أن أضرب رأسي بالحائط حتى ينكسر، حتى نتمكن من إنقاذه، وقتلوه ولم يكن بوسعنا أن نفعل شيئا سوى الوقوف هناك والمراقبة**"

الموساد الذي ينتمي إليه عميت، كان حرجاً جدا من حجم الإهانة التي لحقت به ووقف عاجزا، والأسوأ من ذلك أن الموساد قد تم كشفه، كان السوريون قد عذبوا كوهين بشدة ونزعوا أظافره، وكهربوا خصيتيه لدرجة أنه كسر، لقد كشف رموز الاتصال السرية وفك شفرة مائتي رسالة كان قد أرسلها والتقطها السوريون لكنهم لم يتمكنوا من قراءتها، وأخبرهم بما يعرفه عن أساليب التجنيد والتدريب وبناء الغلاف للمخابرات الإسرائيلية.

بعد وقت قصير من القبض على كوهين، تعرضت قيسارية لكارثة أخرى، وولفجانج لوتز جاسوس قيسارية في المجتمع الراقي في القاهرة، وهو عُنصر أساسي في جمع المعلومات الاستخبارية لمحاولات قتل العلماء الألمان في مصر، تم الكشف عنه أيضا، في 10 فبراير 1965، وجاء سقوطه أيضا نتيجة النشاط المُفرط والثقة الزائدة في حياته، قصة الغلاف وعدد من الأخطاء الفادحة التي ارتكبها هو ومساعدوه.

الشيء الوحيد الذي أنقذ لوتس من نفس مصير إيلي كوهين هو تدخل جهاز التجسس الألماني BND، الذي استجاب لطلب إسرائيل وأخبر المصريين أن لوتس كان يعمل معهم أيضا. نجا لوتس وزوجته والترود من المشنقة وحُكم عليهما بالسجن مدى الحياة **(تم الإفراج عنهم لاحقا في عملية تبادل أسرى في أعقاب حرب الأيام الستة عام 1967)** لكن هذه كانت ضربة قاسية أخرى للموساد خوفا من المزيد من الخسائر، أمر يوسف ياريف جواسيسه الآخرين، الذين كلف تدريبهم وتغطية قصصهم سنوات عديدة من الجهد، بالعودة إلى الوطن، حسنها كانت قيسارية بالكاد في مهدها في حالة خراب.

واعتبر رئيس الوزراء إشكول سقوط الجاسوسين كارثة وطنية لكن على الرغم من الحالة السيئة التي كان فيها الموساد، قرر إشكول الموافقة على مهمة قتل مستهدف خاصة من قبل قيسارية في أوروغواي على أي حال، وقبل شهرين عُقد مؤتمر حضره ممثلو وكالات الاستخبارات المختلفة لمُناقشة حالة مُطاردة النازيين، وهي مسألة لم تكن على رأس قائمة الأولويات، رافي ميدان نائب رئيس وحدة أمل التي عالجت القضية، قام بمسح الأهداف المُحتملة للاغتيال في القائمة التي تم محو اسم أوتو سكورزيني منها للتو، عندما جاء إلى اسم هربرت كوكورس، مجرم حرب نازي من لاتفيا تطوع بصفته طيارا، لمساعدة قوات الأمن الخاصة "الغيستابو" وهي البوليس السري الألماني، وبدأ في وصف أفعاله المُروعة، سمع صوت عالٍ وسقط رئيس المخابرات العسكرية أمان اللواء أهارون ياريف واستغرق الأمر بعض الوقت.

وفي الوقت قبل مجيئه اتضح أن كوكورس قد أحرق بعض أقارب وأصدقاء ياريف أحياء، بعد المؤتمر ذهب عميت الذي كان قريبا جدا من ياريف وتأثر بشدة بالحادث، لمُقابلة رئيس الوزراء إشكول وحصل على إذن بإقصاء كوكورز.

قتل كوكورس اليهود من أجل الرياضة أطلق عليهم الرصاص في شوارع المدينة بعد أن طلب منهم الهروب للنجاة بحياتهم، كان قد حبس اليهود في المعابد ثم أضرم النار فيها وشرب الويسكي وهو يستمع إلى الصُراخ، أطلق عليه الناجون من الهولوكوست لقب جزار ريغا، وظهر اسمه مرارا في مُحاكمات جرائم الحرب في نورمبرغ باعتباره متورطا بشكل مباشر في قتل حوالي خمسة عشر ألف يهودي، وبشكل غير مباشر في قتل عشرين ألفا آخرين، لكن بعد الحرب تمكن من الفرار والعثور على ملجأ في البرازيل، حيث طور نشاطا سياحيا وأحاط نفسه بحُراس الأمن خوفا من نفس المصير الذي حلت به أيخمان.

انتحل يعقوب ميداد وهو عامل في قيسارية يتحدث الإسبانية والألمانية، صفة رجل أعمال نمساوي يبحث عن فُرص في صناعة السياحة في أمريكا الجنوبية وتمكن من إقناع كوكورز بالذهاب إلى أوروغواي للقاء مجموعة من المُطورين في قصر فاخر خارج مونتيفيديو، في القصر كان ثلاثة قتلة ينتظرونه، كانت الخُطة أن يدخل "ميداد" أولاً يليه "كوكورز" وأحد القتلة يدفعه إلى الداخل ويُغلق الباب خلفه، وعندما كان فريق الموساد خارج خط النار، أطلق النار عليه، ومع ذلك لم يتم العمل بسلاسة كما هو مخطط له. كان كوكورز في حالة تأهب ويخشى الوقوع في فخ.

في اللحظة التي دخل فيها أدرك ما كان يحدث وأخذ استراحة من أجله، حاول ياريف السيطرة عليه بينما كان إسرائيلي آخر يجره إلى الداخل، قال ميداد: "حقيقة أن كوكورز كان خائفا حتى الموت، وعاش في رعب من هذه اللحظة لمدة عشرين عاما أعطاه قوة خارقة، تمكن من ضرب الرجل أرضا، وأمسك بمقبض الباب، ولولا ثلاثة منا بمن فيهم أنا، تمكنا من إغلاق الباب، لكان بإمكانه الخروج ".

عض كوكورز ياريف بشدة في أحد أصابعه، وقطعت الحافة التي بقيت في فمه، صرخ ياريف من الألم واضطر إلى تخفيف قبضته على رقبة كوكورز، وكاد أن يتحرر لكن في اللحظة الأخيرة، أحد القتلة زئيف عميت (ابن عم مدير الموساد) الذي لم يتمكن من إطلاق النار بسبب الخطر على رفاقه ، اختار مطرقة وضربها في رأس كوكورز مرارا وتكرارا حتى أغمي عليه، ثم أطلق القاتل الثالث، اليعازر سوديتشارون، الرئيس القتيل السابق للإرغون، رصاصتين على القاتل الجماعي، مؤكداً أنه مات.

وضع القتلة الجُثة في حقيبة تركوها في القصر، وأضافوا على رأسها "حكم"، ورقة مكتوب عليها عبارة "**بالنظر إلى مسؤوليته الشخصية عن قتل 30 ألف يهودي بوحشية مُروعة، تم إعدام الرجل المُدان**"

[توقيع] "**أولئك الذين لن ينسوا أبداً** ".

داخل الموساد، اعتُبرت العملية رسميا ناجحة، لكن الحقيقة هي أن التنفيذ غير المهني كان من المُمكن أن يؤدي بسهولة إلى كارثة في كلتا الحالتين، ترك ياريف بنصف إصبع، فيما سُحق رأس كوكورز بمطرقة، عانى زئيف عميت من كوابيس مروعة لبقية حياته مسكونا بصدمة القتل.

—

في 30 سبتمبر 1965 بعد يوم واحد من استلام الموساد للأشرطة المُهمة والحيوية من القمة العربية، اتصل أحد قادة جهاز المُخابرات المغربي أحمد الدليمي، بالموساد وأوضح أن المغاربة يريدون سداد الدين مُقابل المعلومات التي تم تقديمها في أقرب وقت ممكن، ففي عالم الذكاء لا توجد هدايا مجانية.

فقال عميت لإشكول: "من جهة لقد أعطونا هذه الأشرطة، لكن من ناحية أخرى، قالوا "أعط!" إنهم يريدون شيئا بسيطا للغاية، هناك هذا الرجل بن بركة المُعارض للملك ... وقد أصدر الملك أمرا بالقضاء عليه، لقد جاؤوا إلينا وقالوا "أنتم قتلة رائعون ... افعلوها!"

وكان زعيم المُعارضة مهدي بن بركة قد نُفي من المغرب في بداية الستينيات وحُكم عليه فيما بعد بالإعدام غيابيا، حاولت المُخابرات المغربية تحديد مكانه، لكن بن بركة كان حريصا على إخفاء مكانه، والانتقال من مكان إلى آخر باستخدام أسماء مستعارة، طلب رؤساء المُخابرات المغربية من الموساد المُساعدة في العثور عليه واعتقاله وقتله.

يتذكر عميت "لقد واجهنا مُعضلة"، "إما أن تساعد وتتدخل، أو ترفض وتُعرّض الإنجازات الوطنية من الدرجة الأولى للخطر".

بعد سنوات حاول عميت أن يرسم صورة لنفسه بعد أن اختار "السير بين قطرات المطر" وليس التحريض مُباشرة على القتل ولكن "لدمجها [المساعدة المقدمة للمغاربة] في أنشطتنا المُشتركة المُعتادة معهم". لكن نظرة فاحصة على البرقيات والسجلات الداخلية للموساد تظهر أن المُنظمة كانت مُتورطة بشدة.

ساعدت قيسارية وكولوسوس المغاربة على تحديد الكشك في جنيف الذي أرسل إليه بن بركة مجلاته بالبريد، مما مكنهم من وضعه تحت المراقبة، في وقت لاحق اقترحوا خطة يتم بموجبها استدراج بن بركة إلى باريس من قبل رجل يتظاهر بأنه مُخرج أفلام وثائقية مفتون بقصة حياة المغاربة في المنفى ويهتم بصُنع فيلم عنها، زود الموساد المغاربة بمنازل آمنة في باريس، وسيارات وجوازات سفر مزورة، ونوعين مُختلفين من السُم لقتله بالإضافة إلى أدوات حفر و "شيء لإخفاء الآثار".

عندما جاء بن بركة إلى باريس في 29 أكتوبر 1965 اختطفه المغاربة بمساعدة ضُباط الشرطة الفرنسيين الفاسدين، وتم نقله إلى منزل آمن للموساد فارغ حيث بدأ المغاربة في استجوابه بوحشية، مات بعد ذلك بوقت قصير من الاختناق بعد أن غُمر مرارا في حمام من الماء القذر.

لم يكن عُملاء الموساد مُتورطين أو حاضرين عندما وقع القتل، لكنهم أخذوا على عاتقهم التعامل مع الجُثة، وقام فريق مُشترك من قيسارية وكولوسوس بنقلها إلى غابة سان جيرمان القريبة، وقاموا بحفر حُفرة عميقة في الأرض ودفنوا الجُثة، وبعد ذلك قاموا بنثر مسحوق كيماوي، تم تصميمه ليأكل الجسم وينشط بشكل خاص عندما يتم ملامسته للماء، سقطت أمطار غزيرة على الفور، لذلك لم يتبقي من أثر لبن بركة بعدها بوقت قصير، وما تبقى وفقا لبعض الإسرائيليين المعنيين، تم نقله مرة أخرى واليوم يقع تحت الطريق المُؤدي إلى مؤسسة لويس فويتون الحديثة التي شُيدت مؤخرا، أو حتى أسفل المبنى نفسه.

كان عميت قد وعد إشكول، "**لن أتخذ أي خطوات دون أن أخبرك**"، لكنه أخبره بعد ذلك عن جُزء من الحقيقة فقط، وبعد وقوعها فقط في 25 تشرين الثاني (نوفمبر) 1965 قال عميت لإشكول: "**كل شيء على ما يرام**".

لكن في الحقيقة، كل شيء لم يكن على ما يرام، إن حقيقة اختفاء بن بركة في باريس، وتورط رؤساء المخابرات المغربية والمرتزقة الفرنسيين، انفجرت في وسائل الإعلام الفرنسية بضجة كبيرة وظلت تتصدر العناوين لفترة طويلة.

حينها قام الرئيس شارل ديغول بحل أجهزة مخابراته وحاكم بعض المتورطين، عندما رفض الملك حسن تسليم رؤساء وكالات التجسس التابعة له لمحاكمتهم، قطع ديغول العلاقات الدبلوماسية مع المغرب.

استمرت تداعيات العملية لعُقود وتركت بظلالها القاتمة على العلاقات بين المغرب وفرنسا، حيث لا يزال هناك قاضي تحقيق مكلف بالقضية، وأثارت التحقيقات شكوكا ضد موظفي الموساد أيضا، وغادر جميع المُتورطين باريس على عجل، ظلوا لسنوات عديدة عُرضة لخطر المُحاكمة.

كان إيسر هاريل يعمل في ذلك الوقت كمُستشار إشكول للاستخبارات، وكان يشعر بالمرارة والإحباط من الطريقة التي تم إقصاؤه فيها من إدارة الموساد، وحسده لعميت الذي اعتبره ناجحاً، تمسك هاريل بالوثائق ذات الصلة بقضية بن بركة لخوض حربه الخاصة ضد عميت.

وفي تقرير مُطول قدمه إلى رئيس الوزراء، أعلن أن "الموساد ومن خلاله الدولة، مُتورطون في أعمال مُختلفة مُرتبطة باغتيال سياسي مغربي مُعارض لم تكن لإسرائيل مصلحة فيها فحسب، بل يجب ألا تكون كذلك من منظور أخلاقي ودولي، على الإطلاق ".

وطالب هاريل إشكول بطرد عميت وإرسال مبعوث شخصي ليقول الحقيقة لديغول، ورفض إشكول ذلك، واتهم هاريل رئيس الوزراء بالتورط في القتل بنفسه وطالبه بالاستقالة على الفور، وهدد اشكول قائلا ان "أصداء القضية ستلفت انتباه الجمهور والحزب كله (العمل) سيتعرض للعار".

عندما لم يُفلح ذلك سرب هاريل جوهر القصة إلى صحيفة أسبوعية صفراء مُثيرة، وعندما حظر الرقيب النشر، أبلغ أعضاء الحزب رفيعي المُستوى بالتفاصيل وحثهم على التمرد على قيادة إشكول، ثم حاول هؤلاء الأعضاء إقناع غولدا مئير بقيادة انقلاب ضد إشكول، وافقت مائير على ضرورة رحيل عميت، لكنها وضعت خطتها عند الإطاحة برئيس الوزراء "يجب أن أُسقط إشكول وأحل محله؟" وسألت المتآمرين بالشفقة التي اشتهرت بها، "أفضل أن أرمي بنفسي في البحر."

عندما لم تهدأ هجمات هاريل اللاذعة، قرر إشكول وعميت أن يقاوموا الابتزاز بدافع مُضاد، قال عميت لرفاقه المُقربين: "لن يتخلى هاريل عن الموضوع من تلقاء نفسه ... إلا إذا تم التلميح إليه أنه يوجد في ماضيه ما يكفي من المواد لتقويض ادعائه بأنه "الوصي الأخلاقي" للموساد ".

وبالفعل، كان هُناك ما يكفي من المواد، عميت كان قد أحضر ملف الكسندر يسرائيللي من الأرشيف، كان يسرائيل هو ضابط البحرية الذي باع الأسرار لمصر عام 1954 ثم تم اختطافه بقصد تقديمه للمُحاكمة، رُغم أنه توفي أثناء تناول جرعة زائدة من المهدئات، كان هاريل قد أمر بإلقاء جثته في البحر وإخبار عائلته أنه قد استقر في أمريكا الجنوبية.

أعطى عميت ملف يسرائيل إلى أحد قُدامى المحاربين في الموساد الذي احتقر هاريل، وكان ودودا مع عميت، وكان على علم بالأمر، استدعى ذلك الشخص هاريل للقائه "ماذا تعتقد أن يحدث إذا تم الكشف عن هذه القضية؟" سأل الرجل هاريل. "ألا تعتقد أن مثل هذا الأمر الخطير يتطلب دراسة شاملة والفحص والتحقيق المُكثف؟ ... بالطبع، سنُحاول الحفاظ على هدوء القصة، لكننا لسنا الوحيدين الذين يعرفون ذلك، ومن المشين ما يلفت انتباه الصحفيين هذه الأيام ".

لقد فهم هاريل الموقف وبعد ذلك بوقت قصير استقال.

بالنسبة إلى عميت، كان الدرس الرئيسي للقضية هو أنه "يجب ألا نتورط أبدا في القيام بمهام حساسة للآخرين لا نهتم بها بشكل مُباشر، لا سيما الاغتيالات، يجب أن نقتل شخصا فقط إذا كان يُهدد مصالح إسرائيل، وأن يتم الإعدام باللونين الأزرق والأبيض فقط "، في إشارة إلى ألوان العلم الإسرائيلي الذي يقصد به" فقط من قبل الإسرائيليين ".

كل هذه الكوارث تركت الوكالة ولا سيما قيسارية، رأس الحربة فيها كدمات مشوشة، وأنشأ عميت عددا من لجان التحقيق لمُحاولة تحليل الخطأ الذي حدث.

الشخصية المُهيمنة التي أجرت هذه التحقيقات هي مايكل "مايك" هراري، عندما تم الانتهاء من عملهم عُين عميت هراري نائبا لرئيس قيسارية ، خدم هراري في هذا المنصب لمدة خمس سنوات، أولاً في عهد يوسف ياريف ثم تحت قيادة تسفي أهاروني، لكنه كان في المُمارسة العملية هو الروح الحية للفرقة، وفي الواقع قادها في عام 1970، وأصبح رئيسا لمدينة قيسارية، وهو المنصب الذي شغله لمدة عشر سنوات، كانت السنوات الخمس عشرة التي قاد خلالها الفرقة هي الأهم والأكثر اضطرابا في تاريخها، أطلق على هراري لقب قيصر وأصبح الشخصية الأكثر تأثيرا في عالم العمليات الخاصة للموساد.

ولد هراري في تل أبيب عام 1927 قال "حدثان شكلا حياتي" في عام 1936، عندما كان طفلاً، شهد أعمال الشغب العنيفة التي قام بها عرب فلسطين ضد اليهود والبريطانيين، والتي عُرفت فيما بعد بالثورة الفلسطينية، "رأيت الغوغاء المشاغبين وسيارة جيب بريطانية مُحترقة مع جسد الرقيب المُحترق لا يزال يمسك بمقود السيارة،" عندما رأى العرب واليهود يقاتلون كما يقول، لم يتراجع، لكنه ذهب إلى متجر قريب واختار ما يبدو أنه أفضل سلاح – مقبض ثقيل– وذهب للانضمام إلى المعركة ضد العرب.

حدثت التجربة الثانية عام 1942، عندما نزل ليلعب في الشارع ووصل إلى مكان الحادث بعد دقائق قليلة من قتل ضُباط إدارة البحث الجنائي في الشُرطة البريطانية بالرصاص أبراهام ستيرن، قائد جماعة يهودية متطرفة سرية تُدعى "ليحي"، رأيتهم ينزلون الجثة ثم صعدت إلى الطابق العلوي، كنت صبيا ولم يوقفني أحد وذهبت إلى الشقة ورأيت الخزانة التي كان يختبئ فيها .... هذه الأشياء تؤثر عليك. "

في عام 1943 كذب بشأن سنه للانضمام إلى البلماخ، الجيش **السري للييشوف اليهودي في فلسطين**، "كانت تحت الأرض لقد كان سرا، وقد أثار فضولني" شارك في العديد من الأعمال، بما في ذلك تخريب خُطوط السكك الحديدية والجُسور، والهجمات على مراكز الشُرطة البريطانية، وجمع المعلومات الاستخبارية، تم اعتقاله عدة مرات من قبل إدارة البحث الجنائي.

بعد الحرب العالمية الثانية، عندما علمت قيادة الهاغاناه أن هراري يتحدث عدة لُغات، تم إرساله إلى أوروبا للمُساعدة في نقل اللاجئين اليهود الناجين إلى إسرائيل، وشارك في الاستحواذ السري للسُفن واللوجستيات المُعقدة التي ينطوي عليها نقل هؤلاء المُهاجرين غير الشرعيين عبر أنقاض أوروبا إلى القوارب، ثم تهريبهم إلى فلسطين تحت أنوف البريطانيين، "**كانت تلك هي الفترة التي صنعت خلالها لنفسي معايير وأساليب الأنشطة السرية في الخارج، والأدوات التي استخدمتها لاحقًا في الموساد**".

بعد قيام الدولة جند إيسر هاريل هراري في الشاباك ثم الموساد، حيث قام بسرعة قبل تكليفه بالتحقيق في عمليات قيسارية، ما وجده كان وحدة في حالة سيئة للغاية، مع خليط من الأفراد (أعضاء سابقين في الوحدة 188، وحدة العمليات في الشاباك) عقيدة قتالية غامضة وأهداف غير مُحددة.

أدت سلسلة الإخفاقات في قيسارية هراري إلى استنتاج مفاده أنه يجب إعادة بناء قيسارية من الأسفل إلى الأعلى، مع إعادة تحديد أهدافها ومهامها وموظفيها، بعد عدة أشهر من العمل قدم عقيدته إلى رُؤساء الموساد: "**من وجهة نظري للعالم، أعتقد أن أي بلد يُريد أن يعيش يجب أن يكون لديه قيسارية خاصة به، سرية، مجزأة، ونُخبة تكون قادرة على العمل خارج حدود الدولة بأشياء لا تستطيع أي وكالة أخرى في البلاد القيام بها، إنها أداة فريدة يُمكن لقيادتنا استخدامها للعمل ضد أعداء البلاد** ".

حدد هراري أهداف قيسارية الأساسية على أنها عمليات قتل مُستهدفة، وتخريب وجمع المعلومات الاستخبارية في البُلدان "المستهدفة" المُعادية والعمليات الخاصة مثل تهريب المُختطفين عبر الحُدود.

معظم النشطاء الميدانيين في ميفراتس الذين حقق معهم هراري كانوا أعضاء سابقين في الجماعات السرية المُتطرفة المُناهضة للبريطانيين الذين تم تجنيدهم من قبل إسير هاريل بقيادة يتسحاق شامير، وجدهم هراري أقوياء للغاية مع الكثير من الخبرة في القتال والعمليات السرية، وعلى استعداد لضغط الزناد عندما تحين اللحظة، لكن من نواحٍ أخرى وجدهم هراري ضعيفين للغاية: "لقد فشلوا دائمًا في مرحلة الهُروب، لقد أمرت أنه عند التخطيط لعملية ما، يجب إعطاء نفس الوزن للهدف والمهرب، وإذا لم تكن هُناك طريقة للخروج في قطعة واحدة، فلا يتم تنفذه".

أمر هراري بتشكيل "**لجنة أهداف**" والتي من شأنها أن تجري دراسات متعمقة لتحديد من سيكون على قائمة الاغتيال، وحكم بأن القتل لا ينبغي أن يتم عن قُرب، بالسكاكين أو غيرها من الأسلحة "الباردة".

كان الموظفون الميدانيون في القسمين العملياتيين، قيسارية وكولوسوس، يكرهون تسمية النشطاء، والتي بدت لطيفة و روتينية، وتفتقر إلى الانقلاب البطولي المُناسب **(الأسوأ من ذلك هو "وكيل"، وهو مُصطلح شبه ساخر مُخصص للمواطنين الأجانب الذين تم تجنيدهم لخيانة بلدانهم نيابة عن إسرائيل.)** بدلاً من ذلك، كانوا يعتبرون أنفسهم محُاربين (إسلاميين)، مكرسين للدفاع عن أمتهم الفتية والحفاظ عليها.

على الرُغم من أن كلاهما كان مُحاربا إلا أن هناك فرقا جوهريا بين أفراد الفرقتين قد يتعرض الجاسوس العملاق الذي تم اعتقاله في "دولة قاعدة" له علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل، مثل فرنسا أو إيطاليا لخطر السجن في "بلد مستهدف" مثل سوريا أو مصر من المحتمل أن يتعرض محارب قيسارية للتعذيب المُروع والاستجواب ثم إعدامه، يُنظر إلى الكشف عن أحد

عملاء قيسارية وأسره على أنه كارثة وطنية في إسرائيل هذا هو السبب في إصرار هراري على الانضباط الصارم وعدم الأخطاء.

وبالفعل منذ أن أعاد هراري بناء قيسارية حدثت أخطاء قليلة جدا في تاريخ الفرقة بأكملها، كان إيلي كوهين هو العميل الوحيد الذي تم القبض عليه وإعدامه.

يقول "إيتان" الذي كان أحد كبار المسؤولين في الوحدة لسنوات عديدة "لقد تم تحقيق هذا السجل الهائل بفضل ابتكارات هراري وقبل كل شيء قصص التغطية المقاومة للماء".

كانت عملية التوظيف عاملاً رئيسيا في نجاحهم، أوضح إيثان أن "السلاح الرئيسي لعامل قيسارية هو القدرة على العمل تحت غطاء عميق" "يجب تطبيق هذه الاستراتيجية على الجميع، ويمكننا تعليمهم."

تم منح الموساد حق الوصول إلى قاعدة بيانات السكان في إسرائيل والتي بحث عنها خبراء اختيار قيسارية لأنواع معينة من الناس، بالنسبة لهراري كان المكان الطبيعي للبحث أولاً عن أفراده بين أولئك المُجندين أو أولئك الذين خدموا سابقا في الأدوار القتالية في جيش الدفاع الإسرائيلي، لكن هذه كانت مجرد بداية لعملية الفرز ، بعد سقوط إيلي كوهين وكشف استخدام الموساد لليهود من الدول العربية كجواسيس، قرر الاعتماد بشكل أساسي على الأشخاص الذين يمكن أن يتظاهروا بأنهم عاميون من الدول الغربية.

المرشح المثالي هو المظهر الأوروبي الذي يمكن أن يمر كسائح أو رجل أعمال من بلد يرحب بمواطنيه في العالم العربي، تألفت إحدى مجموعات المجندين المحتملين من أبناء العلماء الإسرائيليين أو أعضاء السلك الدبلوماسي الإسرائيلي الذين أمضوا وقتا طويلاً في الخارج بسبب وظائف والديهم، لكن معظم المجندين في قيسارية كانوا مهاجرين عاشوا في بلدانهم الأصلية حتى سن الرشد (في حالات نادرة جدا سوف تجند قيسارية يهوديا لا يزال يعيش خارج إسرائيل) ، لأنهم قدموا ميزة واضحة لم يكونوا بحاجة إلى التدريب على اللعب دور غير إسرائيلي.

من ناحية أخرى أوضح رئيس التدريب السابق كفير أن هناك تعقيدات مقابلة مع هؤلاء المجندين، يخضع جميع الطامحين لفحص أمني شامل من قبل الشاباك بالطبع ولكن إذا لم يتم تقطير المهاجر بشكل صحيح من قبل المجتمع الإسرائيلي، إذا لم يكن قد خدم في جيش الدفاع الإسرائيلي ولم يطور شبكة من الأصدقاء على المدى الطويل، وليس لديه أقارب في الدولة فمن الصعب للغاية التأكد من ولائهم لكل من إسرائيل والموساد، بل من الممكن أن

يكونوا بالفعل جواسيس لبلد آخر وبالتالي فإن فحوصات الخلفية التي تلت اختبارات جهاز كشف الكذب الأولية لمجندي قيسارية ، وهي بالفعل الأكثر صرامة في الموساد أصبحت أكثر صرامة حيث يسافر المحققون في بعض الأحيان إلى الخارج للتدقيق في ماضي المرشح، وهكذا تم استثمار جهد هائل في توظيف كل مرشح.

بمجرد تحديد الاحتمالات تلقوا مكالمات من أشخاص عرّفوا عن أنفسهم بأنهم "**موظفون حكوميون**" واقترحوا عقد اجتماع في أحد المقاهي، حيث وصفوا بطريقة عامة للغاية موضوع كل شيء تلقى الآخرون خطابا غامضا إلى حد ما من مكتب رئيس الوزراء أو وزارة الدفاع يقول الخطاب: "**نقدم لك فرصة المشاركة في عملية تتضمن أنشطة متنوعة وفريدة من نوعها، والتي ستواجهك بتحديات مثيرة و منحك فرصة لمواجهتها مع تحقيق كامل إمكاناتك ورضاك الشخصي**" بالإضافة إلى هذا النهج المباشر، لطالما أجرى الموساد إعلانات طلب غامضة في الصحف الإسرائيلية تشير إلى "**منظمة حكومية**" تبحث عن مرشحين "للعمل الصعب".

من بين تلك المجموعات من المجندين المحتملين بدأ الموساد في فرز المجموعة من خلال مجموعة متنوعة من الاختبارات، حتى تم تركهم فقط مع أولئك المناسبين نفسيا للوظيفة عملية الفرز لجميع الوظائف التشغيلية في الموساد كانت ولا تزال تجري من قبل ضباط التوظيف وعلماء النفس في الموساد، أصر هراري على أن الأخصائيين النفسيين أنفسهم يخضعون لبرنامج تدريبي مرهق بما في ذلك "**تمرين السجين**" المروع، حتى يدركوا الصفات المطلوبة من العميل ويكونوا أكثر قدرة على فحص المرشحين.

كان العثور على عملاء مرشحين يتمتعون بجميع الخصائص المطلوبة تحديا صعبا للغاية، في الموساد لاحظوا بفخر أن معدل القبول هو 0.1 بالمائة قال موتي كفير : "المحارب المطلوب يجب أن يكون صهيونيا يحتاج إلى التماهي مع إسرائيل وأهدافها قبل كل شيء، يجب أن يكون لديه توازن من الخصائص المتعارضة، ويحتاج إلى المبادرة دون أن يكون عدوانيا ويكون شجاع لا يعرف الخوف صادر لكن متحف، يجب أن يكونوا مستعدين لتحمل مخاطر كبيرة

ولكن دون تعريض المهمة والمنظمة للخطر ودون أن يتحول هذا إلى رغبة في الموت، إنهم بحاجة إلى أن يكونوا قادرين على عيش حياة الأكاذيب والخداع مع إرسال تقارير موثوقة وعدم إخفاء أي شيء عن قادتهم، إنهم بحاجة إلى استخدام السحر الشخصي دون إنشاء روابط شخصية " ثم هناك دائما سؤال عن الدافع: لماذا يريد الرجل أو المرأة من أخطر الوظائف في العالم؟

قال كفير "هناك مجموعتان من المحاربين" "واحد يأتي من الاتجاه الإيجابي، الناس الذين يحبون تجربة كل شيء، المجموعة الثانية تأتي من الاتجاه السلبي، الأشخاص الذين يبتعدون عن شيء ما،، أولئك الذين ينتمون إلى الاتجاه الإيجابي ليس لديهم مشكلة في كسب العيش، وليس لديهم زوجات لا يفهمونهم إنهم أناس يأتون لخدمة الصهيونية ويسعون لإشباع روح المغامرة لديهم، يريدون رؤية العالم واللعب لأنهم يحبون اللعبة هؤلاء من الاتجاه السلبي – هم أناس يفرون من شيء ما، ولا يحبون منازلهم ولم ينجحوا في مهنة مدنية.

إنهم أشخاص يحاولون خلق حياة أفضل لأنفسهم ".

الموساد يأخذ كلا النوعين من المحاربين الإيجابي والسلبي، إن أسباب تركهم لحياتهم القديمة أقل أهمية من القدرة على العمل في عزلة تامة في دولة معادية، في ظل هوية مختلفة تماما، يقول كفير: "أنت جندي ولواء" "إنه عبء عاطفي وفكري ثقيل"

على أمل العثور على طريقة لتفادي أو على الأقل تخفيف هذا العبء، بدأ هراري أيضا برنامج توظيف آخر أكثر طموحا بشكل خاص، سمعت أن KGB اعتاد اختيار الأيتام الذين ليس لديهم أي التزامات تقييدية في سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، أخذوهم تحت جناحها ودربوهم في أفضل الظروف الممكنة ليكونوا عملاء يعملون تحت غطاء، اعتقد انها كانت فكرة جيدة" لقد دفع أخصائي علم النفس في قيسارية ليجد صبيا إسرائيليا يبلغ من العمر أربعة عشر عاما بدون أبوين، وأخذته قيسارية تحت جناحها دون أن يعرف من الذي يعتني به الآن، احتفظ عالم نفس واثنان من المعلمين بعلامات تبويب ثابتة عليه، وحصل على تعليم ممتاز ودروس إثراء في الفن والثقافة وتعلم الرياضة والترفيه، يقول هراري: "قلنا له إننا نريده أن يخدم الأمة عندما يكبر".

كل من الاستمالة والتعليم كانت ناجحة أصبح الصبي جنديا ثم ضابطا شابا موهوبا ومثقفا للغاية وقادرا على العمل تحت غطاء كأجنبي لكن المشروع ككل فشل "أصبح من الواضح لي

أنه قد ينجح في دولة شمولية مثل روسيا، ولكن ليس في إسرائيل لا يمتلك اليهودي الإسرائيلي هذا النوع من المثابرة وسرعان ما أراد فتاة أو صديق، مهنة مدنية وراتب جيد، من المحتمل أن تكون لديه تطلعات في اتجاهات مختلفة تماما عما يمكن أن يقدمه عالم الاستخبارات، لم يكن لدينا بديل سوى تركه يسير في طريقه الخاص ".

—

أثبتت سياسات التوظيف الأخرى أنها أكثر نجاحا لأسباب عملية، أصبح الموساد في الواقع رائدا وسباقاً في مجال المساواة بين الجنسين يقول إيثان: "إنها ميزة كبيرة وجود امرأة في الفريق أثناء العملية" "فريق مكون من أعضاء من كلا الجنسين ... دائما ما يوفر قصة تغطية أفضل ويقلل من الشكوك".

إذا نجح المجندون في تجاوز مرحلة الفرز الأولية فإنهم يبدأون بعد ذلك "دورة العملاء" لا يزور معظم طلاب قيسارية مقر الموساد أبدا أثناء تدريبهم وليس لديهم أي اتصال مع المتدربين الآخرين يتعرضون لأقل قدر ممكن من المعلومات، أنه لن يكون لديهم الكثير ليكشفوه إذا تم أسرهم وتعذيبهم أثناء التدريب، تكون قاعدتهم الرئيسية واحدة من عدة شقق في تل أبيب، حتى لا يتعرضوا لموظفي الموساد العاديين الذين يأتون للعمل في المقر كل يوم.

يخضع الطلاب المتدربون للتدريب في مجموعة من مجالات التجسس المشفرة لنقل شفرة مورس **(إلى أن جعلت التطورات التكنولوجية هذا النمط من الاتصال قديما)** والمراقبة وخسارة التغطية، والأسلحة والقتال اليدوي، كما يدرسون الجغرافيا والسياسة والتاريخ في الدول العربية.

يتم صقل المهارات في سلسلة من المهمات التدريبية، تقريبا بالكامل على الأراضي الإسرائيلية، وعادة ما تكون عادية: إدخال جهاز استماع في هاتف في بهو أحد البنوك، واستعادة المستندات غير الضارة، واقتحام المنازل أو الأعمال التجارية لمجرد إثبات أن المجند لديه المهارة.

يتجاوز إنشاء قصة تخفي متقنة والاسم المزيف من المتوقع أن يتعلم المجند سيرة ذاتية خيالية جديدة تماما: أين وُلد وترعرع، ومن كان والديه، والخلفية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي نشأ فيها وهواياته وما إلى ذلك، سيسمح جواز السفر الصادر عن دولة صديقة أو هوية

مزوره للعميل ليتمكن من السفر بحرية، حتى إلى البلدان التي لا تسمح بدخول الإسرائيليين، وفي الوقت نفسه، عادة ما تكون المهنة المزيفة هي المهنة التي تتطلب السفر الدولي المتكرر وقضاء الكثير من الوقت في العمل بمفردك، دون شركاء أو مكاتب أو ساعات عمل منتظمة يعمل مراسل صحفي أو مصور فوتوغرافي على سبيل المثال، أو كاتب السيناريو الذي يُجري بحثا عن سيناريو فيلم، بشكل جيد لأن كلاهما لا يتطلب الكثير من الشرح.

قصة التخفي التي تم تشكيلها بمرور الوقت، تبعد المجند عن حقيقته وتمنحه حياة جديدة في بلد جديد لا يثير أي شك، بعد ذلك يتدرب المجندون على إنشاء قصة تخفي من المستوى الثاني خاصة بحالات فردية، يحتاج المحارب إلى أن يكون قادرا على تفسير سبب وجوده في مكان معين في وقت معين خارج وزارة حكومية، على سبيل المثال مراقبة عدد الأشخاص الذين يأتون ويذهبون إذا أزعجهم ضابط شرطة فضولي، ولكي يكون هذا التفسير قابلاً للتصديق يجب تقديمه بسرعة وهدوء وبأقل قدر ممكن من التفاصيل؛ إن تقديم الكثير من المعلومات يمكن أن يثير الشك بسهولة مثل عدم وجود تفسير على الإطلاق.

سيصعد المدربون الضغط من خلال محاكاة الاعتقال والاستجواب الوحشي، قال عميل قيصري يُدعى كورتز أن هذا هو أصعب جزء من الدورة، أرسلونا في أزواج إلى القدس لتظلل الدبلوماسيين الأجانب، بدا الأمر وكأنه مهمة بسيطة لمجرد متابعتهم وتقديم تقرير، دون إقامة اتصال، "قال. كنا مجهزين بجوازات سفر أجنبية، وكانت تعليماتنا أننا تحت أي ظرف من الظروف لن نكشف لأي شخص عن هويتنا الحقيقية، فجأة ومن العدم توقفت ثلاث سيارات شرطة وقفز علينا عدد قليل من البلطجية الآخرين في ثياب مدنية وأوقعونا أرضًا، قُيدنا وألقينا في العربة.

ونقلونا إلى مركز استجواب الشاباك في المجمع الروسي في القدس أمضينا ثلاثة أيام ونصف اليوم مروعة هناك دون نوم، ومقيدي الأيدي ومعصوبي الأعين في جزء من الوقت تم تقييد أيدينا إلى كرسي وأذرعنا خلفنا في وضع يوتر أجسادنا بالكامل؛ في جزء من الوقت، قيدونا بالسلاسل وأجبرونا على الوقوف على رؤوس أصابعنا أثناء الاستجواب ،ضربنا رجال الشرطة وعناصر الشاباك وبصقوا علينا، سمعت أنهم حتى تبولوا على رجل واحد كان الهدف هو معرفة من سينكسر ومن سينجو بغطائه المزيف ". لم يكسر كورتز. إذا كان قد فعل ذلك، فمن المحتمل أن يكون قد تم فصله من البرنامج.

عند الانتهاء من الدورة يتأهل الطلاب الناجحون ليكونوا نشطاء ويبدأون في القيام بمهام في البلدان المستهدفة.

قدم هراري الانضباط الحديدي إلى قيسارية وطالب بالطاعة المطلقة أي شخص لم يتبع المسار الذي ألقاه وجد نفسه في خارج مكاتب القسم، في الطابق الحادي عشر من شارع كابلان 2، تل أبيب، كانت تُدار بهدوء وبترتيب مثالي، قال إيثان: "جلب مايك معه أجواء أوروبية إلى قيسارية–الكلام – البراعة – الأخلاق – طريقة التصرف، كان مكتبه دائماً نظيفاً ومرتباً، وكذلك كان في سلوكه ولباسه كان دائماً مُهندماً جيداً وحليق الذقن برائحة كولونيا Macassar الفرنسية المفضلة التي تتبعه أينما ذهب، كان هذا مهما، لأنه جعل الوحدة بأكملها معتادة على العمل في أجواء البلدان التي أتينا منها ظاهريًا ".

قال هراري لعميت: "**الذكاء الجيد وقيسارية قوية يكلفان المال**"، وطالب بميزانيات أكبر وأكبر، والتي أنفقها على تدريب الأفراد وتشكيل المزيد والمزيد من الأطر والشبكات التشغيلية افتتح أفراد هراري مئات الشركات التجارية في مجالات ودول لا حصر لها، والتي ستخدم الموساد لسنوات عديدة بعد رحيله لم يكن لمعظمهم استخدام فوري، لكن هراري كان لديه البصيرة ليرى على سبيل المثال أنه سيكون من المفيد يوما ما لقيسارية أن تسيطر على شركة شحن في بلد شرق أوسطي، من المؤكد أنه جاء وقت احتاجت فيه الوحدة إلى سفينة شحن مدنية لتوفير غطاء لفريق الموساد في المياه قبالة اليمن قامت وحدة الموساد بتحميل عبوات من اللحوم على سفينة، وشحنها من مكان إلى آخر أثناء قيامهم بمهمتهم بشكل سري.

في عام 1967 بدأت تغييرات هراري تعطي نتائج ملحوظة، وكان نشطاء قيسارية في البلدان المستهدفة ينقلون معلومات قيمة إلى إسرائيل بشكل يومي، تتعلق في الغالب بأعداء إسرائيل الرئيسيين في ذلك الوقت: سوريا ومصر والأردن والعراق.

لقد خصص الموساد أمان، والحكومة، بشكل مبرر، العديد من الموارد للاستعدادات للمواجهة العسكرية القادمة مع الدول العربية، والتي انتهت بالفعل في يونيو من ذلك العام.

ومع ذلك فشلت المخابرات الإسرائيلية في تحديد التحدي الرئيسي التالي: ملايين الفلسطينيين المستعدين للقتال من أجل عودة وطنهم الأم، موجة من الإرهاب الفلسطيني ضد الإسرائيليين وغيرهم من اليهود سرعان ما اجتاحت الشرق الأوسط وأوروبا.

قال هراري: "لم نكن مستعدين لهذا الخطر الجديد".

7

"النضال المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين"

بين 600.000 و 750.000 فلسطيني إما فروا أو طردوا من الأراضي التي أقيمت عليها دولة إسرائيل والتي احتلتها خلال حرب 1948-1949 تعهد العرب بتدمير الدولة الوليدة، واعتقدت القيادة الإسرائيلية أنه إذا كان لبلدهم الهشاشة والضعيف أي فرصة للبقاء على قيد الحياة، يجب أن يكون هناك أقل عدد ممكن من العرب داخل حدودها، كان هذا هو الأساس المنطقي وإن كان هذا سيشكل موضع تساؤل أخلاقياً وراء كل من عمليات الطرد والرفض الشامل للسماح لأي لاجئ بالعودة على الإطلاق.

تم توطين اللاجئين في غزة (بقطاع مساحته 141 ميلاً مربعا تشكل على طول الساحل الجنوبي الغربي لفلسطين الانتدابية نتيجة حرب 1948-1949، التي تسيطر عليها مصر حتى عام 1967 وإسرائيل منذ ذلك الحين)، والضفة الغربية (الاسم الذي أطلقه الأردن إلى المنطقة التي سيطر عليها بمساحة 2270 مربعاً بعد حرب عام 1948 في فلسطين الانتدابية سابقا؛ استولت إسرائيل على هذه الأرض في عام 1967)، ومخيمات أخرى متداعية في الدول العربية المجاورة حيث صرخت الأنظمة الحاكمة بأنها سوف تمسح الصهاينة من الخريطة في النهاية، وإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم لكن هذا كان في الغالب تشدق خطابياً، في الواقع فرضت تلك الأنظمة ظروفا قاسية خاصة بها على اللاجئين التُعساء، الذين غالبا ما لم يكن لديهم أي حقوق ولا يحكمون على سير حياتهم، ولا يوجد آفاق للتعليم العالي أو العمل اللائق وكانت الظروف المعيشية سيئة وكذلك الصحة العامة وحتى الأمن الغذائي كان معدوم، اللاجئون الذين تدفقوا على قطاع غزة خلال حرب 1948-1949 ضاعفوا عدد سكان المنطقة ثلاث مرات، من 70.000 نسمة في عام 1945، ارتفع العدد إلى حوالي 245.000 في عام 1950، وبحلول عام 1967 كان هناك 356.000 نسمة، وبحلول عام 2015 كان هناك 1.710.000. أصبح اللاجئون عديمي الجنسية، وطردوا من بلادهم ومطلوبين من قبل أي شخص آخر، لكنهم والسكان الفلسطينيين المواطنين في القرى والمدن في الضفة الغربية

وغزة ما زالوا يعتبرون أنفسهم شعباً، وفي المخيمات القذرة نظم المقاتلون الشباب أنفسهم في حركات قومية مدفوعين بفخر الذات وكراهية إسرائيل.

من بينهم طفل يدعى خليل الوزير، ولد في الرملة جنوب شرقي تل أبيب في عام 1935، خلال حرب عام 1948 تم ترحيله هو وعائلته مع العديد من سكان الرملة إلى غزة حيث كانوا يعيشون في مخيم للاجئين.

ومع مرور الوقت بلغ من العمر ستة عشر عاما، كان الوزير بالفعل قائدا لإحدى الجماعات المسلحة، قال الوزير إنه حريصا على الانتقام لترحيل عائلته من الرملة "بحث عن المجاهدين الذين شاركوا في حرب فلسطين [1948] حتى يتمكن من التعلم من تجربتهم الشخصية في المعركة".

هؤلاء المحاربون القدامى في حرب 48 دربوا الوزير وأصدقائه، وقاموا بدورهم بتدريب شبان فلسطينيين آخرين، في عام 1953 عندما كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما فقط، قاد الوزير مائتي شاب جميعهم متحمسون بشغف لمحاربة العدو الصهيوني، في نهاية عام 1954 وبداية عام 1955، بدأ رجال الوزير سلسلة من عمليات التخريب والقتل داخل إسرائيل، المصريون أرسلوا تعزيزات للطلاب الفلسطينيين من القاهرة إلى غزة، وكان من بينهم طالب الهندسة الكهربائية في جامعة القاهرة محمد ياسر عبد الرحمن عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسيني "ياسر عرفات".

مكان ولادة عرفات متنازع عليه، وبحسب الرواية الفلسطينية الرسمية فقد ولد عام 1929 في القدس، كما هو متوقع من زعيم فلسطيني، ومع ذلك فقد قيل أيضا أن عرفات ولد في غزة أو حتى في القاهرة، بغض النظر فقد جاء من عائلة فلسطينية مهمة لها صلات بالمفتي العام الحاج أمين الحسيني، وعبدالقادر الحسيني قائد القوات الفلسطينية عام 1948 وكلاهما كان هدفاً أساسياً للاغتيال في ذلك الوقت.

أصبح عرفات الذي أخذ الاسم الحركي أبو عمار، والوزير الذي أطلق عليه اسم أبو جهاد، شركاء ومقربين، عملوا معا لتقوية الخلايا الفلسطينية في قطاع غزة.

ومع ذلك لم تكن المخابرات الإسرائيلية مهتمة بشكل مفرط بالتشدد المحتدم في مخيمات اللاجئين، قال أهارون ليفران الذي كان ضابطا في أمان في ذلك الوقت: "**بشكل عام يمكن القول إن الشتات الفلسطيني لم يكن مهتما بنا**". "لم يكونوا يشكلون قوة كبيرة في ذلك الوقت"

وبدلاً من أن تكون قضية استراتيجية طويلة الأمد، فقد اعتُبر المسلحون مشكلة تكتيكية فورية ولم يكن مصدر قلق إلا لدرجة أنهم تسللوا عبر الحدود لمضايقة اليهود وإرهابهم، وقد حُلّت هذه المشكلة ظاهريا من خلال حملة سيناء عام 1956: توقفت مصر التي تخشى الانتقام الإسرائيلي وتهتم أكثر بالحفاظ على السلام على الحدود عن رعاية تلك الغارات.

لكن المُسلحين لم يروا الأمور بالطريقة نفسها، أبو جهاد وعرفات بعد أن تعرضا للخيانة عندما منع المصريون المزيد من التسلل، قرروا أن الفلسطيني لا يمكنهم إنهاء محنته إلا من خلال الانخراط في عمليات مُستقلة، أدى الانتصار العسكري الإسرائيلي في حملة سيناء، والتي أوقفت التسلل الإرهابي للفلسطينيين من الأراضي المصرية إلى إنشاء حركة حرب عصابات مُنفصلة عن غير قصد.

بعد سنوات من التجوال من دولة إلى أخرى، انتقل عرفات وأبو جهاد في أواخر عام 1959 إلى الكويت، لقد أدركوا أنه في نظر جمال عبد الناصر، والذي كان يحاول توحيد العالم العربي تحت قيادته، لن يُنظر إلى أنشطتهم إلا على أنها عوائق كانوا يعلمون أنهم طالما بقوا في إحدى الدول العربية الكبرى، فلن يتمكنوا أبدا من إنشاء منظمة فعالة بالكامل للفلسطينيين تحت سلطتهم.

قبل أبو جهاد سيادة عرفات الذي كان يكبره بست سنوات والذي كان يمتلك بالفعل شبكة واسعة من العلاقات عبر الشتات الفلسطيني واعتبر عرفات نفسه القائد، لكنه أوكل على الفور القدرات العملياتية لأبو جهاد، وهو أمر يفتقر إليه عرفات نفسه، لمدة عامين عمل عرفات وأبو جهاد وثلاثة رفاق على تطوير سلسلة من المبادئ والأطر التنفيذية لمنظمتهم، لقد فعلوا ذلك في الخفاء لتجنب إثارة معارضة الدول العربية، أخيرا في 10 أكتوبر 1959 تم تأسيس حركة التحرير الفلسطينية رسميا.

لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن الاختصار العربي لاسمهم حتف، تهجى كلمة تُترجم بشكل مزعج على أنها "موت سريع" فاقترح أبو جهاد الذي كان لديه حساسية خاصة للأمور الرمزية أن يتم عكس الحروف لتشكيل اختصار (فتح).

هذه الكلمة تعني "**نصر مجيد**"

المبادئ الأساسية التي نُشرت في ذلك الوقت على شكل منشورات سيتم التركيز عليها فيما بعد والتعبير عنها في الميثاق الوطني الفلسطيني، تنص المادة 9 على أن "**النضال المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين**"، وتدعو المادة 6 فعليا إلى إبعاد جميع اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين بعد عام 1917 وتشير المادة 20 إلى "ادعاءات بوجود روابط تاريخية أو دينية لليهود مع فلسطين تتعارض مع حقائق التاريخ .... ولا يشكل اليهود أمة واحدة ذات هوية من تلقاء نفسها إنهم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها "، وتنص المادة 22 على أن "الصهيونية ... عنصرية متعصبة بطبيعتها، وعدوانية وتوسعية، واستعمارية في أهدافها، وفاشية في أساليبها". تزعم معظم قيود العهد ضد الصهيونية أنها أداة للإمبريالية الدولية.

—

المخابرات الإسرائيلية مرعوبة من جمال عبد الناصر واقتناعا منه بأن مصر كانت التهديد الأكثر رعباً والأكثر حضوراً، أخطأ تماما في تأسيس حركة فتح ولم يكن الأمر كذلك حتى أوائل عام 1964، بعد أكثر من أربع سنوات على الواقعة، حيث قدم جاسوسان إسرائيليان أول تقارير ميدانية عن التنظيم، حذر أوري يسرائيل (المعروف في الموساد باسم "لادية") وإسحاق ساجيف ("يسرائيل")، اللذين يعملان تحت غطاء رجال الأعمال الفلسطينيين، من أن خلايا الطُلاب التي تعمل بدعم وتأييد فتح تكتسب المزيد والمزيد من الزخم في أوروبا و لا ينبغي التقليل من شأنها، في 6 أبريل 1964 مع ارتباط الموساد بكامله بقضية العلماء الألمان ، كتب "لادية" إلى مسؤولي الموساد محذرًا "**لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن الخطر الذي نواجهه من العلماء والطلاب والمتعلمين [الفلسطينيون] لا تقل أهمية عن تسليح الدول العربية بأسلحة الدمار الشامل** ".

في البداية كان ضباط الموساد غير راضين، ورفضوا عرفات وأبو جهاد وأصدقائهم باعتبارهم "**طلابا ومثقفين أقوى بالكلام وليس بالأفعال**" لكن لدى إسرائيل أصرار وحذر من أن الفلسطينيين كانوا يتحدثون بوتيرة مُتزايدة عن "**الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني**".

وأصروا في تقرير مايو 1964 على أن فتح كانت "شيئا مختلفا تماما عن أي شيء كان موجودا من قبل". "هذان" عرفات وأبو جهاد "قادران على إلهام الفلسطينيين للعمل ضدنا".

—

نفذت فتح أول هجوم إرهابي لها في 1 يناير 1965، في مُحاولة لتفجير ناقل المياه الوطني الإسرائيلي وهو نظام الأنابيب والقنوات الضخم الذي يجلب المياه من بُحيرة طبريا إلى جنوب البلاد القاحلة، لقد كان عملاً رمزياً للغاية يُهدد بقطع مصدر الحياة "الماء" في صحراء الشرق الأوسط التي لامست الرُكن الأساسي لجميع سكان المنطقة، كان بناء نظام القناة قضية خلافية، مما تسبب في إثارة كبيرة في الرأي العام العربي في ذلك الوقت، على الرغم من أن رئيس الوزراء السوري صلاح البيطار أعلن في سبتمبر 1963 أن الدول العربية قررت شن "حملة لا هوادة فيها لمنع [إسرائيل] من تحقيق حلمها" بجلب المياه إلى الصحراء، كانت تلك كلمات جوفاء. كانت حركة فتح وحدها التي ما زالت صغيرة وذات موارد قليلة، هي التي بادرت ونفذت.

كانت العملية التي خطط لها أبو جهاد عملية غير اعتيادية وفشل ذريع لإسرائيل واعتقلت المجموعة التي كان من المفترض أن تنفذ أول عمل عسكري من قبل فتح في غزة قبل أسبوع كامل من موعد الإطلاق، كما تم اعتقال مجموعة أخرى في لبنان قبل أيام قليلة من تاريخ الإطلاق، في النهاية تمكنت مجموعة ثالثة قادمة من الأردن من وضع متفجرات في موقع ناقل المياه الوطني، لكنها فشلت في الانطلاق واكتشفتها دورية أمنية، تم القبض على أفراد الوحدة، رغم هذا الفشل الواضح، ترددت أصداء أنباء العملية في جميع أنحاء العالم العربي، وفي النهاية كانت هناك قوة مستعدة لمواجهة الإسرائيليين، أمان من جانبها لاحظت لكنها لم تفعل أكثر من ذلك بقليل.

في الوقت نفسه أتت علاقات "لادية"، التي نشأت على مدى سنوات من العيش حياة مزدوجة ثمارها، حافظ عرفات وأبو جهاد على اتصال وثيق مع الطُلاب الفلسطينيين في جميع أنحاء أوروبا، وخاصة في شرق وغرب ألمانيا، كان "لادية" لديه صديق فلسطيني، هو هاني الحسن الذي يترأس رابطة الطُلاب الفلسطينيين في ألمانيا الغربية، وكان شقيقه خالد أحد الأعضاء الخمسة المؤسسين لحركة فتح، كان هاني يُعاني من صعوبات مالية، وكان ذلك فُرصة جيدة.

عرض "لادية" دفع إيجار شقة هاني في بيتهوفن – فرانكفورت، والتي كانت أيضا بمثابة المقر الرئيسي لمُنظمة الطُلاب وكان زُعماء فتح يجتمعون هُناك بشكل دوري.

في يناير 1965 زرعت وحدة المُراقبة التابعة للموساد ميكروفونات دقيقة في الشقة، على مدى الأشهر الثمانية التالية، تنصت الإسرائيليون على الجلسات الإستراتيجية للفلسطينيين من موقع عبر القاعة، ويستمعون كلامهم وهم يتعهدوا بـ "محو إسرائيل عن الخريطة"، كما أعلن أبو جهاد في إحدى الجلسات المُسجلة سراً.

كان رافي إيتان، الذي قاد قبل سنوات قيادة قوة الجيش الإسرائيلي التي طردت عائلة أبو جهاد من الرملة، رئيس عمليات الموساد الأوروبية في ذلك الوقت، عند الاستماع إلى المؤامرة، فهم على الفور أن هذه كانت حركة ذات إمكانات، وأن لديها قائدا كاريزميا وخطيرا بشكل خاص، وقال إيتان: "إن طبيعة عرفات الحقيقية كانت واضحة حتى في ذلك الوقت في اجتماعات فرانكفورت". قال الطلاب لعرفات إن هناك خمسة عشر مُنظمة فلسطينية ومن المهم التأكد من أنها تعمل جميعها تحت قيادة واحدة، قال عرفات إن ذلك ليس ضرورياً، وإنه لأمر جيد أن يكون لكل مُنظمة ميليشيا خاصة بها وميزانيتها مُستقلة، وأن القيام بذلك سيضمن "**استمرار النضال ضد الصهيونية حتى نلقي بكل اليهود في البحر**".

خلال النصف الأول من عام 1965، نفذت فتح المزيد والمزيد من هجمات حرب العصابات، وطرق التعدين، وتخريب خطوط الأنابيب، وإطلاق النار على الإسرائيليين بالأسلحة الخفيفة، فشلت معظم هذه الهجمات، لكن صداها وصلت إلى رافي إيتان في باريس، في مايو 1965 طلب إيتان من مُدير الموساد عميت أن يأمر وحدة قيسارية باقتحام الشقة في شارع بيتهوفن واغتيال الجميع هناك، كتب إلى عميت: "**يمكننا القيام بذلك بسهولة**"، "**لدينا الوصول إلى الهدف وهذه فُرصة قد لا نحُصل عليها مرة أخرى** ".

—

لكن عميت الذي كان لا يزال يترنح جراء القبض على نشطاء قيسارية كوهين ولوتس، رفض التوقيع ولم ير في المجموعة أكثر من مُجرد عصابة من البلطجية الشباب ليس لديهم قُدرة حقيقية.

قال إيتان بعد عقود: "من المؤسف أنهم لم يستمعوا إلي"، "كان بإمكاننا توفير الكثير من الجُهد والحزن والأسى."

في الأشهر التي أعقبت ذلك، كان هناك المزيد من الهجمات، وتزايد تواترها بشكل مُتسارع، حيث وصل إلى 39 عام 1965 وكان من الواضح أن عرفات وأبو جهاد كانا مشكلة لن تختفي، قال أهارون ليفران الذي كان آنذاك نائب رئيس قسم جمع المعلومات الاستخباراتية في أمان: "**في البداية كانت هجماتهم الإرهابية سخيفة**"، قال ليفران: "لكن مع مرور الوقت، أصبحوا أكثر جدية في مواجهة هذه المواقف، كان رد فعل مجتمع الاستخبارات بطريقتين نموذجيتين". "أولاً: أنشأوا قسما خاصا للتعامل مع هذه المسألة، ثانيا: ضربوا أعلى الهرم.

أُنشئت "الدائرة الخاصة" وهي لجنة سرية لبحث كيفية مواجهة الإرهاب الفلسطيني، في آب (أغسطس) 1965 وتضم ثلاثة أعضاء هم: ليفران، مايك هراري نائب رئيس قيسارية، وشموئيل جورين، قائد وحدة أمان 504 .

وأصدرت لجنة من ثلاثة أشخاص أوامر للقضاء على عرفات وأبو جهاد، مع العلم أن الكوارث الأخيرة للوحدة جعلت من غير المُحتمل للغاية حصولهم على إذن لعملية قتل مُستهدف باستخدام قيسارية أوصت اللجنة بدلاً من ذلك بالعودة إلى الرسائل المُفخخة، باستخدام المعلومات التي جمعتها "لادية" وإسرائيل، ستُرسل هذه القنابل إلى عدد من مسؤولي فتح في لبنان وسوريا.

في 8 أكتوبر، التقى مدير الموساد عميت برئيس الوزراء ووزير الدفاع ليفي إشكول لتقديم الخطة للموافقة عليها، قال عميت: "لدينا ثلاثة أهداف". "عاد رجلنا [لادية] من العاصمة – تالس [بيروت ودمشق] ، ونريد الإعدام".

بعد تحديد الأهداف، أشار عميت إلى أن "لادية" "جلب كل المعلومات الضرورية، والاقتراح هو إرسال" هدية "لكل واحد منهم، ستبدو الرسائل وكأنها من أشخاص معروفين للأهداف لجعلها تبدو أصلية قدر الإمكان، سيتم إرسالها بالبريد مباشرة من داخل لبنان.

"**ستكون امرأة تفعل ذلك هذه المرة**".

هذا يتطلب الذهاب إلى بيروت وأرسل الرسائل إلى صندوق بريد هناك المرأة من جنوب أفريقيا، بجواز سفر بريطاني، وهي على استعداد للقيام بذلك " كان عميت يتحدث عن سيلفيا رافائيل،

ابنة أب يهودي وأم غيرية، والتي تحمل ولاءً قويا للشعب اليهودي، وهاجرت إلى إسرائيل، وتم تجنيدها من قبل الموساد تدربت على يد موتي كفير وأصبحت أشهر ناشطة في تاريخ قيسارية.

قال عميت لإشكول إنه ستكون هناك موجة كاملة من الرسائل المفخخة، بينما ركز الموساد على أهدافه الثلاثة، أرسل أمان في نفس الوقت من 12 إلى 15 من الأظرف المُفخخة إلى نشطاء فتح في الأردن.

كان إشكول متشككا وقال، مذكرا عميت بأن الرسائل المُفخخة التي تم إرسالها إلى العُلماء الألمان في مصر لم يقتلوهم بل تسببوا في إصاباتهم فقط.

طمأنه عميت قائلاً: "إننا نضع المزيد من المواد المُتفجرة هذه المرة، الآن نضع عشرين جرام".

ومع ذلك، فإن المظاريف المُفخخة لم تعمل هذه المرة أيضا، أصُيب عدد قليل من مُستلمي الرسائل بجُروح طفيفة، ولكن تم اكتشاف مُعظم الرسائل ونزع فتيلها قبل أن يتمكنوا من فعل أي شيء على الإطلاق.

في ذلك الوقت كان عرفات وأبو جهاد في دمشق، التي اتفقت على رعايتها لأنشطة فتح والسماح لوحداتها العسكرية باستخدام بعض مرافق التدريب السورية، كانت احتمالات أي نوع من العمل الإسرائيلي في دمشق محدودة للغاية، خاصة بعد القبض على إيلي كوهين والإخلاء المذعور للعناصر الأخرى.

علاوة على ذلك، فكان من الممكن على فتح تنسيق نضالها ضد إسرائيل بشكل أفضل من خلال سوريا، ودخولها بشكل مُتكرر إلى الضفة الغربية، التي كانت آنذاك تحت الحكم الأردني، وأقامت فتح قواعدها هناك وشنت منها هجمات داخل إسرائيل، كانت مُعظم الهجمات عبارة عن مُحاولات تخريبية لأهداف مدنية، بما في ذلك المنازل الخاصة والمؤسسات والبنية التحتية مثل أنابيب المياه والسكك الحديدية والطرق الترابية.

—

في عام 1966 كان هناك أربعون هجوما من قبل فتح في إسرائيل، رغم أن تكرار الهجمات ظل كما هو في عام 1965، إلا أنه كان هناك اختلاف كبير في الجرأة والجودة، ابتداء من

منتصف عام 1966 بدأت فتح بُمحاولة ضرب أهداف عسكرية إسرائيلية، في إحدى هذه العمليات في 11 تشرين الثاني (نوفمبر) 1966، قُتل ثلاثة جنود إسرائيليين عندما اصطدمت مركبتهم بلغم أرضي. وجاء رد انتقامي بعد ذلك بيومين عندما داهمت القوات الإسرائيلية قرية فلسطينية تقع جنوب مدينة الخليل في الأراضي الأردنية. كان الهدف الأصلي هو هدم منازل القرية على أمل إرسال إشارة تردع الدول العربية وتحفزها على العمل ضد فتح، غير أن الجيش الأردني تدخل، وأسفر عن مقتل ستة عشر جندياً أردنياً ومقتل إسرائيلي واحد، أدى إلى تصاعد حاد وتوتر على الحدود.

ومع ذلك كان الدافع لإخفاء القضية الفلسطينية تحت السجادة قوياً لدرجة أن المؤسسة الإسرائيلية بذلت كل ما في وسعها حتى لا تنطق باسم فتح، قال شلومو غازيت رئيس قسم الأبحاث في أمان من عام 1964 إلى عام 1967 "لم نرد أن ننسب الفضل إلى فتح، وأن نقول إن هذا الهجوم الإرهابي أو ذاك كان من صنعها". "ومن ناحية أخرى كان علينا الرجوع بطريقة ما، لذلك قررنا استخدام مُصطلح مُحايد "، تلك الكلمة كانت "باها" ، الاسم العبري المختصر للنشاط الإرهابي المعادي، على مدى عقود كان هذا هو المصطلح الذي يستخدمه المسؤولون الإسرائيليون عندما أخبروا الجمهور الذي يقف وراء أعمال الإرهاب.

في أوائل عام 1967 تدهور الوضع بسرعة، مع بداية شهر مايو شنت فتح أكثر من مائة هجوم على إسرائيل، عبر الحدود الأردنية والسورية واللبنانية والمصرية، قُتل ثلاثة عشر إسرائيليًا: تسعة مدنيين وأربعة جنود، أدت الهجمات المُتتالية على نطاق صغير إلى قيام الفلسطينيين بغارات عبر الحدود، مما أدى إلى رد إسرائيل على تدهور علاقات إسرائيل الهشة بالفعل مع الدول العربية المجاورة.

في 11 مايو أعلنت إسرائيل أنها حذرت سوريا للمرة الأخيرة من أنها إذا لم تقم بكبح حركة فتح، فإن إسرائيل ستقوم بعمل عسكري واسع النطاق، وأدى هذا التحذير إلى إنشاء قيادة عسكرية مُشتركة بين مصر وسوريا والأردن وتركيز قوات هائلة من جميع الأطراف، اعتقد الكثير من العرب أن الوقت قد حان لتصفية دولة إسرائيل.

في إسرائيل، خشي الكثير من الناس من أن محرقة أخرى وشيكة وساد جو من الكآبة، توقع البعض موت عشرات الآلاف، تم تجهيز مواقع الدفن الجماعية على عجل في الحدائق العامة مثل غان مئير في قلب تل أبيب.

ألقى رئيس الوزراء إشكول خطابا في الإذاعة الإسرائيلية في 28 مايو / أيار 1967، زاد الطين بلة، لأن النص قد تم تغييره في اللحظة الأخيرة تأتأ إشكول في العبارات الرئيسية، لقد فهم الجمهور الإسرائيلي ذلك على أنه عدم وجود تصميم من جانبه، مما أدى إلى تفاقم المخاوف القائمة.

ومع ذلك كان قادة الجيش الإسرائيلي والمخابرات على يقين من قدراتهم الخاصة وضغطوا على إشكول للسماح لهم بالضرب أولاً، سافر رئيس الموساد عميت إلى واشنطن حيث التقى بوزير الدفاع روبرت مكنمارا، فهم عميت من رد مكنمارا أنه حصل على ما وصفه لاحقا بأنه "ضوء أخضر وامض" لإسرائيل لشن هجوم استباقي.

اندلعت حرب الأيام الستة في الساعة 7:45 من صباح يوم 5 يونيو 1967، حيث قصفت القوات الجوية الإسرائيلية بأكملها وهاجمت عشرات المطارات المعادية، بفضل المعلومات الاستخبارية المفصلة والدقيقة التي جمعها الموساد وأمان على مدى سنوات طويلة من التحضير للحرب، تمكن سلاح الجو الإسرائيلي ، في غضون ساعات من تدمير كل طائرة مقاتلة تقريبا تمتلكها مصر وسوريا والأردن، بحلول الوقت الذي انتهت فيه الحرب أي في 10 يونيو كانت إسرائيل تحتل أراض زادت حجمها بأكثر من 300٪، وشملت فتوحاتها شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة.

إضافة الى أكثر من مليون فلسطيني في تلك الأراضي أيضاً، العديد منهم لاجئو عام 1948 الذين احتلتهم الآن نفس القوات التي جردتهم من أراضيهم قبل عشرين عاما، في أقل من أسبوع تغير وجه الشرق الأوسط بالكامل.

أثبتت الحرب أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية وجيشها يتمتعون بتفوق غير منقطع على منافسيهم في الدول العربية، ومع ذلك أدرك بعض الإسرائيليين أن النصر العظيم لم يكن مجرد سبب للفرح، بل كان أيضا فرصة للتوصل إلى هدنة دائمة، قام رئيس أبحاث أمان غازيت بتأليف ورقة سرية خاصة وزعت على قادة الحكومة والجيش، وشمل ذلك تحذيرا من أنه "**يجب ألا نبدو مُتفاخرين، يسخرون من عدو مهزوم، ويحط من قدرنا هو وقادته**". ودعت المذكرة إلى إجراء مفاوضات فورية مع الدول العربية واستخدام الأراضي المحتلة في صفقة مقايضة وانسحاب إسرائيلي وإقامة "**دولة فلسطينية مستقلة**" مُقابل مُعاهدة سلام شاملة ومطلقة ونهائية، في الشاباك أيضا، كان هناك الكثير ممن اعتقدوا أن هذه فرصة تاريخية لإنهاء الصراع القومي

بين اليهود والعرب، حتى الجاسوس الإسرائيلي الأول مئير عميت، أدرك إمكانات السلام لكن نصيحته لم تلق آذاناً صاغية.

إن الانتقال الحاد الذي مر به الجمهور الإسرائيلي وبرلمانيوه ووزراء حكومته من مواطنين وقادة في بلد على شفا الدمار إلى إمبراطورية تبدو وكأنها لا تُقهر، جعل الجميع يتجاهلون حقيقة أنه حتى النصر واحتلال أراضي العدو يمكن أن يستتبعه مخاطر جسيمة.

كان عميت من القلائل الذين فهموا الاتجاه الجديد العميق والخطير في علم النفس القومي، كتب في مذكراته بعد أسبوعين من الحرب: **"ما يحدث الآن هو خيبة أمل خيبة أمل مؤلمة". "أنا متخوف وقلق وخائف من هذا الضياع للنصر .... عندما أرى كيف تجري الأمور، تتعثر يدي ويراودني شعور رهيب."**

بينما كان انتصار عميت يعتبر فرصة للسلام، رأى ياسر عرفات وأبو جهاد الهزيمة الساحقة للدول العربية كارثة يجب استغلالها، لقد أدركوا أن الفشل المشين لقادة الدول العربية سيفسح المجال في الرأي العام للقادة الجدد، الذين سيُنظر إليهم على أنهم شباب وشجعان وغير فاسدين، كما أدرك أبو جهاد أنه سيكون من الأسهل الآن شن حرب عصابات ضد إسرائيل.

في 20 حزيران (يونيو) بعد عشرة أيام فقط من انتهاء الحرب، أعلن عرفات وأبو جهاد من بيروت أن فتح ستواصل نضالها، الآن فقط من داخل الأراضي التي احتلتها إسرائيل للتو، ووفقا لكلمته، بدأ أبو جهاد موجة مدمرة من الهجمات الإرهابية في غزة والضفة الغربية 13 هجمة وقعت خلال سبتمبر 1967، و 10 في أكتوبر، و 18 في نوفمبر، و 20 في ديسمبر، كانت الأهداف بمعظمها مدنية: مصانع ومنازل ودور سينما ونحوها، في أعقاب في تلك الهجمات لم يجرؤ أحد في المخابرات الإسرائيلية على الدعوة إلى التفاوض مع فتح.

رغم أن أبو جهاد كان يخوض الحرب، إلا أنه كان واضحاً للإسرائيليين أن زعيم فتح هو ياسر عرفات، كان هو الذي وضع الخطوط الدبلوماسية والأيديولوجية، وتمكن تدريجياً من توحيد جميع الفصائل الفلسطينية تحت سلطته، كما أنه بدأ في التوسط في العلاقات مع قادة الدول العربية، الذين كانوا ينظرون إلى فتح على أنها تهديد خطير، في عام 1964 أسست الدول العربية منظمة التحرير الفلسطينية ووضعت دمية لها أحمد الشقيري، على رأسها ولكن في

أعقاب الأداء السيئ للمنظمة في حرب الأيام الستة ومع بروز عرفات المتزايد، بدأت فتح بالتدريج في السيطرة على مُنظمة التحرير الفلسطينية، حتى تم انتخاب عرفات رئيسًا لها، أصبح أبو جهاد مُنسق أنشطتها العسكرية، وهو في الواقع الرجل الثاني في القيادة.

عرفات الذي ارتدى غطاء الرأس الكوفية ليبدو وكأنه خريطة فلسطين، أصبح رمزا للنضال الفلسطيني.

كتب يهودا أربيل، قائد الشاباك في القدس والضفة الغربية، كتب في مذكراته: "**يجب على إسرائيل أن تضرب قلب المنظمات الإرهابية ومقرها الرئيسي**" "**تصفية أبو عمار**" **عرفات** "**شرط مسبق لإيجاد حل للقضية الفلسطينية**" وضغط أربيل على لجنة الثلاثة لاتخاذ خطوات لتحقيق هذا الهدف من جهته رسم ووزع مُلصقا للمطلوبين، هو الأول من بين العديد من المُلصقات التي تضمنت الوصف التالي: قصير، 155–160 سم؛ جلد غامق اللون، بناء الجسم: سمين. بقعة صلعاء في منتصف رأسه، الشعر: على الصدغ رمادي، حليق الشارب، السلوك: مضطرب، العيون: تندفع باستمرار ذهابا وإيابا ".

حاولت القوات الإسرائيلية قتل عرفات عدة مرات خلال حرب الأيام الستة وبعدها مباشرة، في الأيام التي أعقبت انتصار إسرائيل حدد مُخبر الشاباك مخبأه في البلدة القديمة في القدس، على مقربة من بوابة يافا، تم إرسال فرقة من الجنود لإخراج عرفات حياً أو ميتاً، لكنه تمكن من الفرار قبل دقائق قليلة من وصولهم، بعد يومين قام الجنود بناء على معلومات أخرى من عميل 504، بمداهمة شقة في بيت حنينا وهي قرية تقع شرقي القدس، لكنهم وجدوا فقط خبزا مليئا بالسلطة والطحينة، مع اختفاء عدد قليل من القضمات، بعد يوم واحد تمكن عرفات من عبور أحد جسور نهر الأردن مرتديًا زي امرأة في سيارة أجرة تابعة لأحد مؤيديه.

في غُضون ذلك أصبحت هجمات منظمة التحرير الفلسطينية الإرهابية ضد إسرائيل أكثر تكرارا وفتكاً، بين نهاية الحرب ومارس 1968 قُتل 65 جنديًا و 50 مدنياً، وأصيب 249 جنديًا و 295 مدنياً، وأدت الهجمات التي شنتها فتح من مقرها في الكرامة جنوب غور الأردن إلى اشتباكات مُتكررة بين الجيش الإسرائيلي والجيش الأردني، وتوترت الحدود الطويلة بين

البلدين مما جعل الحياة الطبيعية في الجانب الإسرائيلي مستحيلة، حث ضُباط الجيش الإسرائيلي أشكول على الموافقة على عملية عسكرية واسعة النطاق لكنه كان متردداً.

كان الموساد محبطًا، يتذكر زعيم قيسارية تسفي أهاروني، "الإذلال الذي سببته الهجمات الإرهابية أنتج شعوراً بالعجز"، "أخبرت الرجال "بأن يفكروا خارج الصندوق، فكروا في فكرة كيف نقتل عرفات ".

الخطة التي توصلوا إليها في كانون الثاني (يناير) 1968 دعت إلى شحن سيارة كبيرة من أوروبا إلى بيروت، حيث ستكون معبأة بالمتفجرات ثم يقودها إلى دمشق رجل قيصري يعمل تحت غطاء رجل أعمال، سيتم إيقافها خارج منزل عرفات وتفجيرها عن بعد في الوقت المناسب، ذهب عميت إلى أشكول للحصول على الموافقة لكنه قوبل برفض صريح، على أساس أن الهجوم سوف يدعو ويبرر محاولات انتقامية على حياة قادة سياسيين إسرائيليين، اعتبر إشكول عرفات إرهابياً ، لكنه كان قد حصل على مكانة زعيم سياسي، وربما كان هذا أفضل دليل على نجاح رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.

لكن الإرهاب الفلسطيني استمر بلا هوادة، في 18 مارس اصطدمت حافلة مدرسية بلغم أرضي، قُتل اثنان من المرافقين وأُصيب عشرة أطفال، الآن استسلم إشكول المتردد للضغط ووافق على أن قتل عرفات سيكون الهدف الأساسي للعملية ضد القوات الفلسطينية في الكرامة وحولها.

في 21 آذار (مارس) 1968 تم نقل وحدة من سيريت متكال، وهي قوة كوماندوز النخبة في جيش الدفاع الإسرائيلي، بطائرة مروحية إلى نقطة انطلاق في الصحراء بالقرب من قاعدة فتح في الكرامة، كانت أوامر الكوماندوز بسيطة وواضحة: "الهجوم في وضح النهار والسيطرة وعزل وقتل الإرهابيين"، في اجتماع لمجلس الوزراء في الليلة السابقة وعد رئيس الأركان العامة اللفتنانت جنرال حاييم بارلي، بـ "عملية نظيفة" لم يقصد بها وقوع إصابات أو تكاد تكون معدومة.

لكن الأمور سارت بشكل خاطئ، واستغرقت المعركة وقتا أطول مما كان مُخططاً له، نهر الأردن مُرتفع في ذلك الوقت من العام، والغطاء النباتي على طول ضفافه كثيف والتضاريس صعبة الوصول، مما أوقف القوات الآلية التي كان من المفترض أن تدعم الكوماندوز ، علاوة على ذلك وبسبب التنسيق الخاطئ، ألقى سلاح الجو منشورات تحذر السكان المدنيين من

الإخلاء في الوقت المحدد، ضاع عنصر المفاجأة وكان لدى قوات فتح مُتسع من الوقت للاستعداد للهجوم وقاوموا بضراوة.

ارتدى عرفات مرة أخرى زي امرأة وأفلت في اندفاع مجنون على دراجة نارية، على الرغم من سقوط ثلاثة وثلاثين قتيلاً إسرائيلياً فضلاً عن 61 أردنيا وأكثر من مائة فلسطيني فضلوا الجيش الإسرائيلي، فللمرة الأولى في معركة وجهاً لوجه نجح الفلسطينيون في الصمود ضد أقوى جيش في الشرق الأوسط، وهذا أظهر من هم المنتصرون الحقيقيون.

عرفات بعد أن أدرك على الفور إمكانات العلاقات العامة لعملية إسرائيل الفاشلة، حولها إلى أسطورة الجرأة الفلسطينية في مواجهة هجوم العدو حتى أنه ذهب إلى حد التباهي (كذباً) بأن قواته أصابت وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه ديان، وبذلك ألهم آلاف الفلسطينيين للانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية، بعد معركة الكرامة لم يشك أحد في وجود أمة فلسطينية حتى لو استمرت إسرائيل في إنكارها رسميا لسنوات عديدة بعد ذلك ولا يمكن لأحد أن يخطئ: ياسر عرفات كان زعيم تلك الأمة بلا مُنازع.

أدى فشل عملية الكرامة إلى تبني إسرائيل سياسة أكثر انضباطاً في غاراتها على الأردن مما أدى إلى إحباط كبير في الجيش الإسرائيلي، تكشف محاضر اجتماعات هيئة الأركان في تلك الفترة عن مدى انشغال كبار الضباط بمنظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات الذي كان يحظى بإعجاب كبير من قبل الشباب الفلسطيني.

استمر الجيش والمخابرات في البحث عن سبل لتحديد مكان عرفات والقضاء عليه، لكن دون جدوى في نهاية المطاف بدافع اليأس كانوا على استعداد لتبني خطة غريبة بشكل خاص، في مايو 1968 سمع عالم نفس ذو شخصية كاريزمية من البحرية السويدية يدعى بنيامين شاليط بطريقة ما عن اللجنة السرية المكونة من ثلاثة رجال واقترح فكرة تستند إلى فيلم عام 1962 المرشح المنشوري، حيث يغسل دماغ منوم استخباراتي صيني أسير حرب أمريكي ويرسله إلى اغتيال مرشح رئاسي للولايات المتحدة.

وزعم شاليط أنه يمكن أن يفعل الشيء نفسه مع عرفات كهدف، قال شاليط للجنة في اجتماع حضره رئيس أمان اللواء أهارون ياريف أنه إذا تم منحه سجين فلسطيني واحد من بين الآلاف في السجون الإسرائيلية بالخصائص المناسبة، فيمكنه غسل دماغه وتنويمه ليصبح قاتلاً

مبرمجاً، بعد ذلك سيرسل عبر الأردن لينضم إلى قوات فتح هناك، وعندما تسنح الفرصة يتخلص من عرفات.

بشكل لا يصدق وافقت اللجنة على الخطة، ووجد الشاباك عدة مُرشحين مناسبين، وقد أجرى شاليط مُقابلات مُطولة معهم، واختار الرجل الأكثر ملاءمة، وُلِد في بيت لحم وكان في الثامنة والعشرين من عمره بُنيته قوية وغامق اللون وليس مشرقا بشكل خاص، ويسهل التأثر عليه، ويبدو أنه غير ملتزم تماما بقيادة ياسر عرفات.

في وقت اعتقاله كان يعيش في قرية صغيرة بالقرب من الخليل وهو ناشط جديد في حركة فتح وقد أطلق عليه الاسم الرمزي الرسمي (فتحي).

تم تعيين وحدة (504) التابعة لأمان لتوفير البنية التحتية اللازمة، لكن عُملاء الوحدة عارضوا الخطة بشدة وكما قال رافي ساتون قائد قاعدة الوحدة في القدس آنذاك "**كانت فكرة حمقاء ومجنونة ذكرني العمل كله بالخيال العلمي الخيال الجامح والأوهام** ".

ومع ذلك تم رفض اعتراضات ساتون وتم وضع مبنى صغير يحتوي على حوالي عشر غُرف تحت تصرف فريق شاليط، هنا أمضى شاليط ثلاثة أشهر في العمل على فتحي، باستخدام مجموعة مُتنوعة من تقنيات التنويم المغناطيسي وغرقت الرسالة في رأس الشاب الطيب: «فتح طيبة. منظمة التحرير الفلسطينية جيدة. عرفات سيء. يجب إزالته ".

بعد شهرين بدا أن فتحي قد استوعب الرسالة في المرحلة الثانية من تدريبه، تم وضعه في غُرفة معدة خصيصاً وحصل على مُسدس، قفزت صور عرفات في زوايا مختلفة وطُلب منه إطلاق النار عليهم على الفور دون التفكير أولاً، بين العينين يطلق النار ليقتل.

رئيس أمان ياريف وأهارون ليفران، جزء من لجنة القتل المستهدف المكونة من ثلاثة رجال وضابط كبير في أمان، ذهبوا عدة مرات لمراقبة عمل شاليط، قال لي ليفران: "وقف فتحي هناك في منتصف الغرفة وتحدث شاليط معه كما لو كانوا يجرون محادثة عادية فقط"، وفجأة ضرب شاليط يده على المنضدة وبدأ فتحي يركض حول الطاولة، لقد تجاوب تلقائيا مع كل أنواع إيماءات شاليط، ثم وضعه في غُرفة وأظهر لنا كيف رفع فتحي مُسدسه إلى موقع إطلاق النار كلما ظهرت صورة عرفات من إحدى قطع الأثاث، كان ذلك رائعاً ".

في منتصف ديسمبر أعلن شليط أن العملية قد تمضي قدما، تم تحديد ساعة الصفر في ليلة 19 ديسمبر، عندما كان من المقرر أن يسبح فتحي عبر نهر الأردن إلى المملكة الأردنية، هبت عاصفة شديدة وكان المطر لا يهدأ، فالأردن الضيق والهادئ عادة فاض على ضفافه، أرادت أمان التأجيل، لكن شاليط أصر على أن فتحي كان في "حالة التنويم الأمثل" وأنه يجب استغلال الفرصة.

ورافق فتحي من القدس حاشية كبيرة، أنزله شاليط وقال بضع كلمات منومة، مشى فتخي في المياه الهائجة مُرتدياً حقيبة ظهر وبها معداته، وبينما كان يخوض في النهر سُرعان ما ألقى به التيار عن قدميه، أمسك بصخرة وهو غير قادر على العبور إلى الجانب البعيد وغير قادر على العودة، قفز عوفاد ناتان، وهو سائق من الوحدة 504 في الماء وكان يتمتع بلياقة بدنية كبيرة وعضلية، استخدم حبلًا لربط نفسه بفتحي وجذبه إلى جانبه، ثم عبر النهر مع فتحي ووضعه في الأراضي الأردنية.

كان رافي ساتون يقف على الضفة الإسرائيلية لنهر الأردن يشاهد فتحي مبللاً ويرتجف وهو يلوح وداعاً لمشغليه **"لقد صنع مسدساً من أصابعه وتظاهر بإطلاق هدف وهمي بين عينيه، لاحظت أن شاليط كان مسروراً بمريضه، كان ذلك بعد الساعة 1 صباحاً بقليل "**

بعد حوالي خمس ساعات تلقت الوحدة 504 بلاغاً من أحد عُملائها في الأردن: شاب فلسطيني، ناشط في فتح من بيت لحم سلم نفسه إلى مركز شرطة الكرامة، وقال لرجال الشرطة إن المخابرات الإسرائيلية حاولت غسل دماغه لقتل عرفات وسلم مسدسه، وأفاد مصدر داخل فتح بعد ثلاثة أيام بأن فتحي سُلِّم إلى المنظمة، حيث ألقى خطاباً مؤيداً لياسر عرفات.

8

مئير دغان وخبرته

بعد الاحتلال الإسرائيلي وجد الفلسطينيون في غزة والضفة الغربية – اللاجئون وأولئك الذين عاشوا هناك دائماً– أنفسهم محكومين من قبل العدو، أي الدولة اليهودية التي تعهدت منظمة التحرير الفلسطينية بتدميرها، الفلسطينيون الذين لم يشاركوا ولا يهتمون بالسياسات القومية أصبحوا الآن مُحاصرين في دوامة من التيارات المُتصارعة وتصميم الإسرائيليين على السيطرة على الأراضي المُحتلة وتصميم مُنظمة التحرير الفلسطينية على طرد الإسرائيليين.

لقد عاشوا جميعا في ظل أنظمة عربية قاسية وديكتاتورية لكن كان بإمكان الفلسطيني أن يختار أن يكون معزولا بالكامل عن الصراع المُسلح الذي كان يدور على الحدود بين الدول العربية وإسرائيل، الآن المخيمات التي نمت إلى أحياء فقيرة مُزدحمة والمدن الفلسطينية الكبيرة غزة ونابلس ورام الله وجنين والخليل – كانت ساحة المعركة الرئيسية حيث حاولت إسرائيل بقوة فرض سُلطتها في مُواجهة نشاط مُنظمة التحرير الفلسطينية الإرهابي.

خضعت مُهمة جيش الدفاع الإسرائيلي وجنوده ولاسيما الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وعشرين عاما، الذين يؤدون خدمتهم العسكرية الإجبارية، والتي كانت سارية منذ عام 1949 لتغيير جوهري أيضا، في حين كانت القوات القتالية قبل ذلك تقوم بدوريات على حدود الدولة، وتحميها من الأعداء الخارجيين، فقد تم إعادة تكليفهم الآن بمُراقبة المُدن والبلدات الفلسطينية، كما أدت الحرب إلى تغييرات عميقة في مُجتمع الاستخبارات، تخلى الموساد المكلف بجمع المعلومات الاستخبارية خارج حدود إسرائيل عن المسؤولية عن الأراضي المحتلة حديثاً، وتقع هذه المهمة على عاتق الشاباك حينها، وهي وكالة صغيرة تضم حوالي سبعمائة موظف كانت مسؤولة في السابق بشكل أساسي عن مُكافحة التجسس والتخريب السياسي.

من عام 1968 حتى عام 1970، بينما كانت هجمات مُنظمة التحرير الفلسطينية على الجنود والمدنيين الإسرائيليين تتزايد بشكل متكرر وفعال وقاتل، كان الشاباك يتوسع بسرعة، لقد حصلوا على الميزانيات والتسهيلات ومخصصات الموظفين وأخذوا العديد من المُتحدثين باللغة العربية

من أمان وخاصة الوحدة 504 التي كانت مسؤولة عن تجنيد المصادر العربية وسرعان ما أصبحت مكافحة الإرهاب الفلسطيني الهدف الرئيسي للمنظمة.

كان مسرح العمليات الأصعب هو قطاع غزة وهو أحد أكثر المناطق كثافة سكانية في العالم، بعد حرب الأيام الستة سافر الإسرائيليون عبر القطاع للوصول إلى سيناء وبحثوا عن صفقات في أسواقها، ونقلوا عُمال المزارع والبناء الفلسطينيين، وفي عام 1970 بدأت إسرائيل في إقامة مُستوطنات يهودية في القطاع وشمال سيناء، وفي كثير من الأحيان تمت مُهاجمة الإسرائيليين، وبلغت ذروتها في عام 1970 عندما تم تنفيذ خمسمائة عملية إرهابية في قطاع غزة، وقتل في هذه الحوادث ثمانية عشر مدنيا إسرائيليا وجرح المئات، بحلول ذلك الوقت كان الجيش الإسرائيلي قادراً على السيطرة فقط على شرايين المواصلات الرئيسية؛ فيما سيطرت مُنظمة التحرير الفلسطينية في كل مكان آخر.

ولقمع الإرهاب في القطاع وضع الشاباك قائمة بأسماء سُكان غزة المُشتبه في تورطهم في هجمات على إسرائيليين، وتم جمع قدر كبير من المعلومات وطالت القائمة كثيراً، سرعان ما أصبح من الواضح أن الشاباك –جهاز جمع المعلومات الاستخبارية– لا يمكنه العمل بمفرده، ومن أجل القبض على المطلوبين أو القضاء عليهم كانت بحاجة إلى القوة البشرية والقوة النارية للجيش، لقد وجدت أذناً صاغية لدى اللواء أرييل "أريك" شارون، الذي تم تعيينه قائداً للقيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي في عام 1969، وبدأ شارون في إدخال المزيد والمزيد من الوحدات العسكرية إلى القطاع لمُساعدة الشاباك في مُطاردة واعتقال أو قتل الإرهابيين، وتم توفير المعلومات الاستخبارية عن هذه الأنشطة بشكل رئيسي من قبل مُخبرين فلسطينيين أو تم انتزاعها من المُعتقلين تحت استجواب قاسي.

لم يتفق الجميع مع نهج شارون العدواني، أكد العميد يتسحاق بونداك– الحاكم العسكري لقطاع غزة والمسؤول عن الشؤون المدنية– أن طريقة كبح الإرهاب الفلسطيني تتمثل في تحسين نوعية الحياة لسُكان المنطقة والسماح لهم بإدارة الشؤون المدنية والبلدية بأنفسهم، مع الحد الأدنى من الوجود العسكري في المناطق المأهولة، قال بونداك: "القتال والقتل من أجل القتل لا يمكن أن يأخذنا إلى أي مكان سوى الانتفاضة" أو الانتفاضة الشعبية.،" [وزير الدفاع] دايان وشارون لم يتوافقا بشأن ما يجب القيام به في القطاع، أراد ديان اتصالات وعلاقات مع

السُكان، في حين كان شارون يُطارد الإرهابيين ولا يراهم إلا من خلال منظار بُندقيته، ولم يكن السُكان مُهتمين به على الإطلاق".

فزعج بونداك من تكتيكات شارون واشتكى بمرارة "سمعت شارون يُعلن أمام كل الضباط،" من يقتل إرهابياً سيحصل على زُجاجة شمبانيا، وأي شخص يأخذ سجينا سيحصل على زُجاجة صودا "

بونداك يتسائل: من يتكلم هكذا؟ بعد كل شيء، إذا لم نُقدم لهم القليل من المساعدة، القليل من الازدهار، فسوف يتجهون جميعا إلى طريق الإرهاب ".

أصر شارون على أنه لا أمل في التسوية مع الفلسطينيين، وأكد أنه يجب الرد على الهجمات الإرهابية بقوة، ولا يوجد أحد على الجانب الآخر للتحدث معه عن السلام، إذا كان هدف عرفات وباقي قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية هو تدمير إسرائيل فماذا بقي للتفاوض؟

—

كان لوحدات الجيش النظامي في القيادة الجنوبية لشارون واجبات أخرى، مثل تسيير دوريات على الحُدود الطويلة مع مصر وخوض المعارك التي اندلعت خلال حرب الاستنزاف التي استمرت ثلاث سنوات على طول قناة السويس، لذلك كان شارون بحاجة إلى وحدة مُهمتها الوحيدة هي مُكافحة الإرهاب، لا يقل أهمية عن ذلك، أن شارون أراد إنشاء هيئة صغيرة ومغلقة من الرجال الذين سيقدمون تقاريره مُباشرة إليه ويعملون وفق نفس العقلية والقواعد.

عندما حان الوقت لتقرير من يُمكنه قيادة الوحدة الجديدة تحول ذهن شارون على الفور إلى مئير دغان، متذكراً حادثة وقعت في شمال سيناء في منتصف عام 1969، وكانت فتح قد وضعت صواريخ كاتيوشا مُتصلة بصمامات موقوتة وسط حقل ألغام ووجهتها نحو قاعدة للجيش الإسرائيلي، لم يجرؤ أي جُندي أو ضابط على الاقتراب من الصواريخ لنزع سلاحها، لكن داغان الذي كان حينها ضابط استطلاع شاب تقدم إلى الأمام، لقد سار ببساطة إلى صواريخ الكاتيوشا بلا خوف ونزع فتيلها، تذكر شارون بنفسه عندما كان ضابطا شابا.

ولد داغان في عام 1945 كان والداه قد هُرباً من بلدة LukS البولندية قبل ذلك بست سنوات، بعد أن حذرهما ضابط روسي من أن الألمان على وشك احتلال المنطقة وأن الأمور لن تكون

في صالح اليهود، وجدوا ملجأ في سهول سيبيريا القاسية، في نهاية الحرب عادوا مع عشرات الآلاف من اللاجئين الآخرين إلى بولندا، غير مدركين أنه لم يبق شيء من منازلهم أو لليهود الذين لم يتمكنوا من الفرار، وُلدت مائير في إحدى محطات قطار الشحن في مكان ما في أوكرانيا، كانت فُرصه في البقاء على قيد الحياة ضئيلة في سيارة شحن باردة وضيقة، لكن العناية المتفانية لوالديه بالإضافة إلى قوته الجسدية الفطرية على ما يبدو أنقذوه.

قال دغان: "والداي لم يتحدثا قط عن تلك الفترة"، "كان الأمر كما لو أن شخصاً ما قد محى تلك السنوات من عام 1939 إلى عام 1945 من التقويم، صحيح أنهم نجوا وأنقذونا، لكن الحرب تركتهم معنويات محطمة لم يتعافوا أبداً منها "، مرة واحدة فقط كان والده مستعداً لإخباره عن العودة إلى مسقط رأسهم المُدمر، وجد وادي الموت حيث تم ذبح اليهود ودفنهم في مقبرة جماعية، وأراد إقامة نُصب تذكاري في ذاكرتهم دفع المال لأحد الأغيار البولنديين من القرية لمساعدته، أخبره هذا الرجل أنه خلال إحدى جولات الجستابو الأخيرة لليهود، طلب منه الألمان التقاط صور فوتوغرافية، لقد نسوا أخذ الفيلم عندما غادروا المنطقة، وأعطاها الرجل لوالد مئير، عندما حمض الفيلم وجد أن إحدى الصور كانت لوالده أي جد مئير، قبل لحظات من إطلاق النار عليه وإلقائه في المقبرة الجماعية.

وشوهد الجد دوف إرليش بلحيته الطويلة والرعب في عينيه راكعا أمام جُنود ألمان مُبتسمين يلوحون ببنادقهم وقال: "من المُناسب لنا أن نعتقد أن الفاشيين المُتطرفين هم القتلة"، "الحقيقة خلاف ذلك: الكتيبة التي نفذت هذه المذبحة كانت وحدة إعادة تشيلون فيرماخت، كانت الوحدات القتالية في المقدمة، هؤلاء الرجال كانوا محامين وتجار أناس عاديون، الاستنتاج فظيع: يُمكنك أن تأخذ أي شخص وتحوله إلى قاتل "، كان الدرس الثاني لدغان أكثر أهمية: "دعونا نعترف بالحقيقة: مُعظم اليهود في الهولوكوست ماتوا دون قتال، يجب ألا نصل إلى هذا الوضع مرة أخرى راكعين، دون القدرة على القتال من أجل حياتنا ".

بعد خمس سنوات في بولندا، تعلم خلالها مئير اللغة، التي استخدمها بعد عُقود كمدير للموساد لكسر الجليد في اجتماعات مع نظرائه البولنديين، شقت العائلة طريقها إلى إيطاليا حيث استقلوا سفينة ماشية كانت موجودة، تكيفت لنقل المُهاجرين إلى إسرائيل، يقول صديق كان مع داغان على القارب إنه حتى ذلك الحين في ظروف بائسة ومكتظة "تصرف كما لو كان قد ولد ليكون جنديًا"، في الطريق كادت العاصفة أن تغرق السفينة وواجه مئير الموت مرة أخرى، مُنتظراً

على ظهر السفينة، مُرتدياً حزام نجاة ويمسك برتقالة، هذا ما يتذكره: الثمرة في يده، قال: "هناك على متن السفينة كانت المرة الأولى التي تذوق فيها البرتقال، وأتذكر الفخر الهائل الذي أعطاني به والدي الفاكهة قائلاً: إنها من أرض إسرائيل."

بعد شهر في البحر وصلوا إلى حيفا، هناك أرسل مسؤولو الوكالة اليهودية الرُكاب إلى معسكر مؤقت حيث ناموا في خيام مُتهالكة، ثم إلى مساكن مُؤقتة في مُعسكر للجيش البريطاني تم إخلاؤه بالقرب من اللد، عاشت ست عائلات في كل غرفة، ولا يفصل بينها سوى ستارة، كان هناك دش واحد لكل ثكنة، وبعيداً عن ترتيبات المعيشة الصعبة، كان على المُهاجرين التعامل مع الموقف المهين للمحاربين القُدامى الجُدد، كما كان يُطلق على الإسرائيليين المولودين، عاملوا اللاجئين اليهود بازدراء، وبدلاً من محاربة النازيين، اتهم الجُدد يهود أوروبا بالتقدم بهدوء إلى غرف الغاز مثل حمل الحملان للذبح.

ترك داغان المدرسة الثانوية في سن السابعة عشرة وتجنّد في سايرت ماتكال، وهي قوة النخبة التي نفذت مهام سرية على خطوط العدو (وكانت أيضاً الصياغة التي ظهر منها العديد من القادة العسكريين والمدنيين الإسرائيليين لاحقاً). من بين الثلاثين مجنداً في جيش الدفاع الإسرائيلي الذين تطوعوا في سايرت ماتكال في آب (أغسطس) 1963، أكمل أربعة عشر فقط البرنامج التدريبي الشاق الذي دام خمسة وسبعين أسبوعاً. أحد أولئك الذين بدأوا الدورة مع داغان كان داني ياتوم الذي خدم لاحقاً في عدد من المناصب العُليا في الجيش الإسرائيلي وكان رئيس الموساد أحد أسلاف داغان، تذكر ياتوم انزعاجه عندما قابل داغان لأول مرة، قال: "كان يخرج سكين الكوماندوز خاصته ويقذفها في كل جذع شجرة أو عمود هاتف"، "فكرت في نفسي أنني قد وصلت إلى وحدة قتلة حقيقيين وأنه ربما لم يكن لدي أي فرصة للبقاء على قيد الحياة في مثل هذا المكان،" قطع ياتوم لكن داغان لم يفعل، قال داغان: "بالنظر إلى الماضي وهذا مجرد تخميني أعتقد أنني لم أكن مناسباً لذلك، ليس صبرا، ليس كيبوتزنيك. ليس من الوادي "وادي يزرعيل، شرق حيفا موقع العديد من الكيبوتسات، حيث أشادت نسبة عالية من مجندي سيرت متكال، "لقد فكروا في أنفسهم" من هذا الغريب الغريب الذي يحاول الدخول بيننا؟ "

تم تعيين داغان للمظليين وخدم في وحدة إعادة اللواء، خضع لدورة ضابط مُشاة وتم تسريحه برتبة ملازم في عام 1966 في حرب الأيام الستة تم استدعاؤه للخدمة الاحتياطية وعمل كقائد لسرية المظليين، حارب أولاً في سيناء ثم في مرتفعات الجولان.

يقول: "وجدنا أنفسنا فجأة في خضم سلسلة من الحروب غير المنقطعة" "من أين شعرت أن وجود إسرائيل غير مضمون؟ فقط عبر قدمي فقط من خلال كل هذه المعارك " بعد حرب الأيام الستة، انضم مرة أخرى إلى الجيش النظامي وتم إرساله إلى سيناء كضابط عمليات حيث التقى به شارون أولاً وشجاعته، مما أدى إلى نزع فتيل الكاتيوشا.

في عام 1969 أصبح قائداً لوحدة شارون الخاصة الجديدة، كانت قوة صغيرة 150 جندياً في أوجها وسرية للغاية، مُعترف بها في الوثائق الداخلية للجيش الإسرائيلي برقم 5176 بشكل غير رسمي، كانت تُعرف باسم Sayeret Rimon the Grenade Rangers لأن شاراتها كانت تحتوي على قنبلة يدوية وسكين ومظلي أجنحة، بالنسبة للقاعدة استولى دغان على فيلا مهجورة على الشاطئ جنوب مدينة غزة مباشرة، كان يستخدمها الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

قال أحد جنوده إن داغان "أصيب بخلل خطير في آلية الخوف لديه" لقد كان بكل المقاييس جريئاً بشكل استثنائي ومركزا وعدوانيا، ومن الملائم إذن أن قوته الجديدة كانت تمتلك القليل من السمات المُرتبطة عادةً بوحدة عسكرية. كانت مجانية وحشية ومهتمة بشيء واحد فقط: إجراء أكبر عدد ممكن من العمليات، كل صباح كان داغان يخرج من غرفة نومه، عاري الصدر ويتوجه إلى الفناء برفقة دوبيرمان باكو، كان يسحب مسدسه ويطلق النار في علب الصودا التي تركها رجاله متناثرة حول الأرض، ثم يقوم فريق من المساعدين بإعداد إفطاره وتلميع حذائه. اختار دغان جنوده شخصياً وقام بإعدامهم من الوحدات الأخرى، بحثاً عن رجال كانوا على استعداد للمتابعة أينما كان يقودهم.

لا يزال داغان في منتصف العشرينيات من عمره، وقد بدأ في تطوير عقيدته القتالية والتي تشبه بشكل لافت للنظر تلك التي لا يزال يتبعها جيش الدفاع الإسرائيلي ووكالات التجسس الإسرائيلية حتى اليوم، كان المبدأ التوجيهي للعقيدة هو أن إسرائيل يجب أن تتجنب الحروب الكبيرة، لأن "الانتصار الكبير والسريع في حرب الأيام الستة لن يتكرر مرة أخرى"، وقال إنه للمضي قدماً يجب ألا تدخل إسرائيل في مواجهة عسكرية شاملة "ما لم يكن السيف في

حناجرنا"، وبدلاً من ذلك، كان يعتقد أن العرب يمكن أن يتعرضوا للضرب في سلسلة من الاشتباكات الدقيقة المحدودة، وبناءً عليه يجب ملاحقة قادة العدو والنشطاء الميدانيين المُهمين بلا رحمة ومطاردتهم والقضاء عليهم.

—

مع اقتراب نهاية عام 1969 بعد حوالي نصف عام من التجنيد والتدريب وبناء وحدته قرر داغان أن الوقت قد حان للذهاب إلى الميدان، سلمه الشاباك ملف مطلوبين في قطاع غزة، قال أفيغدور إلدان أحد أوائل المجندين في الوحدة الجديدة: "لكن المنشور كان يكبر" ربما كان الشاباك يعرف من كان يبحث عنه لكن مع نقص القوة النارية للوكالة، لم يتمكن من وضع يده عليهم، احتوى الملف على أكثر من أربعمائة اسم.

قسم الشاباك قائمة المطلوبين إلى فئتين، كان المستهدفون "السود" في الغالب من النشطاء الصغار الذين لا يعرفون أنهم مطلوبون للاستجواب، حاول رجال داغان مسح هذه الأهداف بما أسماه بعثات "إعادة تحديد الهوية"، سيتم استجواب عنصر "أسود" في منظمة التحرير الفلسطينية أسير من قبل الشاباك، وإذا رفض التعاون يتم تعذيبه، ثم يتم وضعه في سيارة أجرة محصوراً بين رجلين من رجال داغان، مُسلحين بمسدسات ويطلب منه أن يشير إلى أماكن الاختباء، والعائلات التي ساعدت منظمة التحرير الفلسطينية، والطُرق التي سلكها المسلحون والمزيد من المعلومات، تحركت الوحدة في سيارات الجيب على الفور بناءً على المعلومات التي تم الكشف عنها واعتقلت كل شخص أشار إليه المُخبر.

من ناحية أخرى عرفت الأهداف "الحمراء" أنهم مطلوبون مما يعني أنهم كانوا أكثر حذراً، وهاربين بالفعل، وعادة ما يكونون مُدججين بالسلاح، ويتطلب التخلص من اللون الأحمر عموماً الاقتراب بدرجة كافية منهم وقتلهم بسرعة، وبناءً على ذلك أرسل دغان أفضل رجاله إلى أعماق أحياء غزة مُرتدين زي العرب برفقة مُتعاونين فلسطينيين، مما وفر لهم غطاءً مقنعاً.

هذه المجموعة التي تشكلت مع الشاباك، أطلق عليها اسم زيكيت (الحرباء)، تم اختيار ثمانية جنود من النخبة القتالية في البداية، كان مشروع كاميليون سرا للغاية لدرجة أنه في البداية "لم

نكن نعرف ما الذي يدربوننا عليه"، قال إلدان، "كل ما كنا نعرفه هو أنهم مزقوا مؤخراتنا ولا تنسوا أننا كنا نقاتل بالفعل عندما وصلنا إلى هناك."

حملت الحرباء صحف محلية مزورة وفرها "الشاباك"، كانوا قادرين على التسلل إلى قلب المناطق المُكتظة بالسكان دون أن يتم رصدهم حتى سحبوا بنادقهم.

قال دغان: "لقد استغلنا نقطة الضعف الرئيسية لهذه الخلايا الإرهابية"، "بسبب خلفيتهم الماركسية، فقد مارسوا مستوى عالٍ جداً من تقسيم" الحاجة إلى المعرفة "، كان كل رجل يعرف أعضاء زنزانته فقط وليس أعضاء الخلايا الأخرى، إذا ظهرت كمحلي مُسلح ويمكنك التحدث بلغة الهدف، فليس لديه أي وسيلة لمعرفة أنها في الواقع خدعة حتى فوات الأوان".

على سبيل المثال قال موشيه روبين، العضو المخضرم في الوحدة "لقد أدركنا أن المُنظمات الإرهابية كانت تحصل على أسلحتها وأموالها عبر السُفن من لبنان، كانوا يبحرون في سفينة من بيروت، وبعيدا في البحر قبالة ساحل غزة، ويستقلون قوارب صيد صغيرة ويتجهون إلى الشاطئ، قلنا لانفسنا لماذا لا نصل نحن أيضاً على متن سفينة من لبنان؟ "

لذلك في نوفمبر 1970 صعد ستة رجال من الحرباء على متن قارب صيد، قامت البحرية الإسرائيلية بجره إلى نقطة قبالة ساحل غزة.

وضم الفريق ثلاثة جنود يهود برئاسة دغان، وانضم إليهما اثنان من المتعاونين الفلسطينيين، أحدهما كان قد هرب من مذبحة رجال منظمة التحرير الفلسطينية التي ارتكبها الملك حسين ملك الأردن قبل شهرين وكان ممتناً للإسرائيليين لإنقاذه، والآخر الذي يحمل الاسم الرمزي غواصة، قتل أحد أقاربه عن طريق دفع خنجر في جمجمته وأطلق الشاباك سراحه مُقابل تعاونه، العضو الأخير كان ضابطاً بدوياً إسرائيلياً في جيش الدفاع الإسرائيلي كانت وظيفته مُراقبة إرسال أجهزة الميكروفون التي يحملها الفلسطينيون، والذين كان من المفترض أن يتقدموا على الآخرين ويقيموا اتصالاً مع الرجال المطلوبين ثم إخبار الآخرين بما كان يحدث، كان لدى البدو مُهمة أخرى أيضاً: إبلاغ دغان إذا كان الفلسطينيان يعتزمان خيانته.

وصلت فرقة كاميليون إلى الشاطئ واختبأت في سقيفة التعبئة المهجورة في بستان لعدة أيام، مع قيام المتعاونين بمغامرات عرضية إلى مخيمات اللاجئين المحيطة، وزعموا أنهم أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قدموا من لبنان.

في البداية لم يأت أحد، يتذكر أحد أعضاء الوحدة "لقد كانوا خائفين منا ليس لأنهم اعتقدوا أننا إسرائيليون ولكن لأنهم كانوا مقتنعين بأننا رجال منظمة التحرير الفلسطينية".

لم يكن الإرهابيون المطلوبون دائماً لطيفين جداً مع السكان المحليين، كانوا يبتزونهم في كثير من الأحيان، ويطلبون المزيد والمزيد من الطعام واغتصاب النساء، في بساتين الحمضيات، غالباً ما وجدنا جثثًا لعرب لم نقتلهم، بل تم قتلهم على أيدي رجال مطلوبين، قاموا بتسوية حسابات شخصية بحجة إعدام متعاونين مع إسرائيل ".

في عملية مُنظمة لإثبات المصداقية، "تم اكتشاف" المجموعة من قبل دورية تابعة للجيش الإسرائيلي فتحت النار وتظاهرت بالمطاردة، وفر داغان ورجاله إلى مُنطقة كثبان رملية جنوب مخيم بيت لاهيا للاجئين.

أثارت الخطوبة اهتمام السكان المحليين، تمكن "الغواصة" من ترتيب لقاء بين الحرباء وامرأة كان من المعروف أنها مُرتبطة بأعضاء مطلوبين كبار في الجبهة الشعبية، قتل الحرباء دجاجة ولطخت بدمائها، قاموا بلف الضمادات حول حناجرهم، لشرح سبب عدم قدرتهم على الكلام، وتركوا الحديث للمتعاون، قال للمرأة: "جئنا لنساعدك" "أحضر كبار القادة إلى الكثبان الرملية."

بعد يوم ظهر الإرهابيون، يتذكر داغان قائلاً: "كان هناك ثلاثة منهم رجلان وامرأة مسلحون، من كبار القادة"،بعد تبادل التحية، همس دغان بكلمة الرم، أطلق الجنود الثلاثة النار من مسافة قريبة من مسدسات بيريتا عيار 9 ملم، مما أسفر عن مقتل الرجلين، تم ضرب كل منهم من خمس عشرة إلى عشرين مرة.

قال دغان بارتياح: "المرأة لم تُضرب"، يتذكر إلدان أنه "بعد ذلك انزلق مئير بسرعة على الكثبان الرملية العالية التي كنا نتجه نحوهم، وأخذ مُسدس ستار الذي تمكن أحدهم من اشهاره واستخدمه في إطلاق النار علينا، ونفذ" فحصاً "رصاصتين أخريين في الرأس لكل واحد من الرجال، أخذ دغان النجمة لنفسه وأعطى الحافظة لإلدان.

ثم أخذوا المرأة معهم وسلموها إلى الشاباك لاستجوابها.

———

في صباح يوم سبت دافئ في أوائل يناير 1971 اصطحب مدير إعلانات يبلغ من العمر ثلاثين عاما يُدعى بوب أرويو عائلته للتنزه في التلال المطلة على بحيرة البردويل، على ساحل البحر الأبيض المتوسط في شبه جزيرة سيناء، وُلد أرويو في مالطا ونشأ في إنجلترا وانتقل إلى إسرائيل في عام 1969 مع زوجته بريتي وطفليه مارك وأبيجيل، واستقروا في ضاحية صغيرة شرق تل أبيب، كان الأطفال لا يزالون صغارا، وكان مارك في السابعة من عمره، وأبيجيل في الخامسة من عمره، لذا خطط أرويو لجولة قصيرة لطيفة؛ كانوا يقودون سياراتهم جنوبا ليوم واحد في الشمس والهواء النقي، ثم يتوجهون إلى المنزل لتناول عشاء مبكر، كلا الطفلين كانا جميلين بشكل مُذهل ووجوههما كانت مألوفة في إسرائيل، لأن والدهما استخدمهما في بعض الإعلانات التي صممها.

بحلول الساعة 3 مساءً انتهى Aroyos من ارتفاعه وصعد إلى سيارة فورد متجهة إلى المنزل، توجهوا شمالاً عبر العريش قبل دخولهم قطاع غزة، حيث مروا بالقُرى الفلسطينية ومخيمات اللاجئين على طول الطريق السريع الرئيسي، في ذلك الوقت كان الإسرائيليون المتجهون إلى سيناء لا يزالون يتنقلون في كثير من الأحيان عبر القطاع لأنه كان أقصر الطرق وأسهلها، وحتى ذلك الحين كان آمنا تماماً.

شمال مدينة غزة بالقُرب من مصنع سفن أب، تم توقيفهم عند حاجز مؤقت على الطريق، ركض مُراهق صغير نحو السيارة وألقى بقُنبلة يدوية في المقعد الخلفي، أودى ذلك إلى انفجار مُعظم الجزء الداخلي للسيارة، مما أدى إلى انفجار كُرة نارية، زحف أرويو المُصاب إلى الخارج وتوسل إلى شابين يقفان في مكان قريب لطلب النجدة، لكنهم فقط ضحكوا وسخروا، ماتت أبيجيل في السيارة، مات مارك في المستشفى، وجروح بريتي أودى بها معوقة بشدة لبقية حياتها، بعد ذلك بيومين دُفن أطفال أرويو في قبر واحد في مقبرة القدس القديمة على جبل الزيتون، في احتفال حضره عشرات الآلاف من الإسرائيليين وقدم كبير قسيس الجيش الإسرائيلي اللواء الحاخام شلومو غورين تأبيناً حزن كل إسرائيل.

بعد أسبوعين ألقى الشاباك القبض على الجناة، كان الطفل الذي رشق القنبلة شاباً يبلغ من العمر خمسة عشر عاما يُدعى محمد سليمان الزكي من حي الشجاعية في غزة، كان شركاؤه شخص في السادسة عشر وواحد سبعة عشر عاماً، وكان الثلاثة طلابا في ثانوية فلسطين في

المدينة تم تجنيدهم للعملية من قبل ناشط بارز في فتح، لم يكن الهجوم على عائلة أرويو مهمتهم الأولى.

كان مقتل مارك وأبيجيل أرويو بمثابة نُقطة تحول في الرد على فيضان الهجمات الإرهابية التي أعقبت حرب الأيام الستة، قال مئير دغان: "**لقد قررنا أن الأمور لا يُمكن أن تسير على هذا النحو**"، "بعد مقتل هؤلاء الأطفال، أخذ أريك [شارون] قضية الإرهاب في قطاع غزة على عاتقه بنفسه". لم يعد شارون يكتفي بتلقي تقارير من دغان، رغم أنه لا يزال يثق به بالكامل، من تلك النقطة فصاعداً، شارون "كان يحضر في الفيلا في كثير من الأحيان ويشترك في تخطيط مهامنا ودورياتنا، حتى أدق التفاصيل."

كما أدت عمليات القتل في أرويو إلى إنهاء الجدل داخل مؤسسة الدفاع الإسرائيلية حول كيفية التعامل مع السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، انتصر نهج شارون وتوغلت قوات حاشدة في قطاع غزة، وبتعليمات من شارون هُدمت المنازل من أجل فتح طرق وصول واسعة عبر مخيمات اللاجئين المزدحمة، ذات ليلة في كانون الثاني (يناير) 1972 أمر شارون بطرد آلاف البدو من منطقة مساحتها 2500 فدان جنوب رفح، أصيب الجنرال شلومو غازيت المسؤول عن الأنشطة الحكومية في المناطق المحتلة بالصدمة، لقد استشاط غضباً عندما سمع عن الفعل في صباح اليوم التالي وهدد بالاستقالة، قال لاحقًا: "**لا توجد طريقة أخرى لوصف هذا العمل غير التطهير العرقي وجريمة الحرب**".

تم إطلاق العنان لشارون لاستخدام القوات الخاصة والوحدات السرية لاكتشاف وقتل الإرهابيين قبل أن يتمكنوا من ضرب إسرائيل.

في غضون ذلك ابتكر دغان ورجاله أساليب جديدة للعثور على هؤلاء الفلسطينيين المطلوبين والتخلص منهم، كان أحد التكتيكات نصب كمين لهم في بيوت الدعارة، وآخر كان الاختباء في الأشجار في بساتين الحمضيات عندما علموا أن الإرهابيين كانوا يخططون للقاء هناك، والتواصل عن طريق سحب حبل الصيد الممتد بينهم من أجل التزام الصمت المُطلق، عندما وصل الإرهابيون قُتلوا جميعاً بالرصاص.

وكثيرا ما استخدموا متعاونا فلسطينيا لبيع قنابل مُفخخة لجيش التحرير الفلسطيني، عن طريق تغيير التأخير المُعتاد في صاعق القُنبلة من ثلاث ثوان إلى نصف ثانية، مما يضمن أن كل

من يستخدمها سيفجر نفسه، وفي إحدى المرات استعير داغان من عملية Mince-meat، وهي حيلة بريطانية في الحرب العالمية الثانية، فقد اعتاد أن يكون جثة وحمله رفاقه اثنان منهم متعاونون فلسطينيون والآخرون متنكرين بزي العرب في مخبأ للإرهاب، وبمجرد دخولهم قتلوا الجميع.

بعد شهر من مقتل أرويو في 29 يناير/ كانون الثاني 1971 كانت سيارتان جيب تحت قيادة دغان تتحرك على الطريق الممتد بين مخيم جباليا للاجئين ومدينة غزة، على طول الطريق واجهوا سيارة أُجرة محملة بالركاب الذين يقودون في الاتجاه المعاكس، حدد دغان اثنين من "الحمرين" بين الركاب: فوزي الرحيدي ومحمد الأسود، المعروف أيضا باسم أبو نمر، وأمر داغان سيارات الجيب بالاستدارة ومُطاردة الكابينة، اقتربت سيارات الجيب وأغلقت الطريق وقفز جنود دغان وأحاطوا بسيارة الأجرة، واقترب داغان من السيارة مشهراً مسدسه، قفز أبو نمر إلى الخارج حاملاً قنبلة يدوية، مشدوداً الدبوس، صاح: "إذا اقتربت أكثر، سنموت جميعاً!" توقف داغان لثانية أو ثانيتين، ثم صرخ "قنبلة يدوية!" وهاجموا أبو نمر وأمسك بيده ممسكاً بالقنبلة ونطحه في رأسه بخوذته، كان أبو نمر ينزف بغزارة وفقد وعيه، وأزال دغان القنبلة بهدوء وحذر من قبضته، ووجد الدبوس على الأرض وأعاد إدخاله، هذا العمل الشجاع أكسب داغان ميدالية من رئيس الأركان، كما أعطت الفرصة لشارون أن يصوغ وصفه للضحك الأسود لداغان: "أعظم خبرته هي فصل العربي عن رأسه".

في الواقع هناك مجال ضئيل للجدل حول فعالية الأساليب التي اختارها دغان، الشاباك والقوات الخاصة التابعة للجيش الإسرائيلي بقيادة رينجرز رينجرز وبدعم من شارون، قضت بشكل أساسي على الإرهاب في قطاع غزة بين عامي 1968 و 1972، ولم يكن للمُنظمات الفلسطينية أي رد على تكتيكات داغان، لم يتمكنوا من معرفة كيف علم الشاباك أسرارهم، أو كيف يمكن للجنود الإسرائيليين في زي عربي الظهور فجأة دون أن يتم اكتشافهم، لإلقاء القبض على مقاتليهم وقتلهم، تم تقليص قائمة الشاباك المكونة من أربعمائة رجل مطلوب (والتي تُضاف إليها أسماء جديدة باستمرار) إلى عشرة في عام 1972، في ذلك العام نشأ سبعة وثلاثون هجوماً إرهابياً فقط في قطاع غزة، بانخفاض المئات في كل عام من السنوات

السابقة، وسيستمر هذا الرقم في الانخفاض في كل سنة متتالية لمدة أربع سنوات، ولكن كان هناك ثمن يجب دفعه مقابل هذه الأساليب أيضاً.

يتذكر يتسحاق بونداك لاحقا أنه قرأ تقريرا قدمته الوحدة جاء فيه: "مجموعاتنا كانت تطارد إرهابيا مطلوبا في الشاطئ [مخيم للاجئين في غزة]، ركض إلى أحد المنازل، اقتحمت الوحدة من بعده ونزع سلاحه وقتلته في المنزل "، يقول بونداك إنه لفت انتباه ضابط مخابرات إلى احتمال أنه إذا وصل مثل هذا التقرير إلى الأمم المتحدة أو الصليب الأحمر فإنه سيتسبب في فضيحة دولية، "إذا ما هي المشكلة؟" قال الضابط بحسب بونداك: "دمروا التقرير".

نقل بونداك هذه القصة إلى قائد المنطقة الجنوبية شارون، وعندما رفض إجراء مزيد من التحقيق، يتذكر بونداك، قال لشارون "أنت كاذب، محتال، وسهل"، نهض شارون ورفع يده وكأنه يصفع بونداك، لكن بونداك لم يخاف، قال: "**إذا قمت بذلك، فسوف أكسر عظامك هنا في مكتبك**". جلس شارون يقول بونداك إنه حيا، وأعلن "الآن أعلم أنك جبان أيضاً"، وغادر الغرفة.

جمع العديد من الصحفيين روايات من رجال لم يكشف عن أسمائهم في دغان قالوا إنهم أطلقوا النار على الناس بعد أن استسلموا وأياديهم في الهواء ونقل عن أحدهم قوله إنه وجنود آخرون ألقوا القبض على فلسطيني كان مطلوبا لقتله ضابطا في الجيش الإسرائيلي، يُزعم أن عميلاً في الشاباك كان برفقتهم قال إنه لا يمكن أبداً تقديم الرجل إلى المحاكمة، لأن المخابرات ستُجبر في المحكمة على تسمية المتعاون الذي قدم المعلومات التي أدت إلى اعتقاله، ترك الجنود الأسير "يهرب" ثم أطلقوا النار عليه وهو يجري.

قال أحد قدامى المحاربين في وحدة أخرى، "كان الأسير سيُنقل من المنزل الذي تم أسره فيه إلى زقاق مظلم بعيدا عن المنزل، حيث يترك الجنود مسدساً أو قنبلة يدوية بطريقة معينة تجعل من المغري جداً بالنسبة له الوصول لذلك، عندما فعل أطلقوا النار عليه، في بعض الأحيان كانوا يقولون له، "لديك دقيقتان للركض"، ثم يطلقون النار عليه على أساس أنه سيهرب ."

قال رينجرز رينجرز السابقون الآخرون إنه عندما تعلق الأمر بقائمة الأهداف الحمراء، ألغى داغان من جانب واحد قاعدة الجيش الإسرائيلي التي تقضي بإعطاء المشتبه بهم فرصة للاستسلام قبل أن يُقتلوا، تحت قيادة داغان كان اللون الأحمر هدفاً للاغتيال في الأفق، يؤكد

داغان ذلك لكنه يقول إنه كان مبرراً: "كل المزاعم حول كوننا فرقة موت أو عصابة قتلة هي هراء، كنا نتصرف في ظروف قتالية، معنا ومع المطلوبين في ثياب مدنية ومسلحين بذات الأسلحة، ليس هناك ولا يمكن أن يكون من وجهة نظري، إجراء اعتقال لشخص مسلح، وكان كل المطلوبين تقريبا في ذلك الوقت مسلحين، أي رجل يحمل سلاحاً سواء كان يستدير أو يركض أو يهرب ولكنه لا يزال يحمل سلاحاً– فأنت تطلق النار عليه، لم يكن هدفنا قتلهم ولكن لم يكن الانتحار أيضاً. كان من الواضح أننا إذا لم نطلق النار أولاً فسيطلقون النار علينا ."

بعد إحدى عمليات الاعتقال في 29 نوفمبر 1972 والتي انتهت بوفاة المطلوب، طالب بونداك بمحاكمة نائب دغان، شموئيل باز، عسكرياً، وأفيد في المحاكمة أن باز أطلق النار من مسافة بعيدة على الرجل الذي كان يحمل بندقية فسقط، تقدم باز نحوه وأطلق النار طوال الوقت للتأكد من موته "وماذا تريدني بالضبط؟" سأل باز "حقيقة سقوط الرجل لا تعني أنه لا يقوم بفعل ما أو أنه مجروح فقط ولا يزال قادراً على إطلاق النار علينا. قال داغان: "لا توجد طريقة أخرى للتصرف في مثل هذا الموقف".

حصل باز على حق الشك وتمت تبرئته، تم وضع جميع الشكاوى والشائعات والشهادات الأخرى لعدم قول أي شيء عن الجثث العديدة في خزانة، وتم إغلاقها بإحكام لمنع أي تحقيق خارجي.

بلا شك كانت وحدة دغان قاسية وعملت وفقاً لقواعدها الخاصة، يمكن للمرء أن يجادل بشكل معقول بأن هذه كانت بداية نظام قانوني خارج نطاق القضاء موازٍ للقانون الجنائي في إسرائيل، وهو نظام تطور بهدوء وسرية تامة، كانت وحدة دغان، لأول مرة تقضي على الناس في الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل، بدلاً من اعتقالهم ومحاكمتهم، كما يقتضي القانون الدولي. قال داغان: **"من أجل حماية مواطنيها، يجب على الدولة أحياناً القيام بأعمال تتعارض مع الديمقراطية".**

كل هذا تبنته السلطات المدنية الإسرائيلية، رغم أنها غضت الطرف ظاهرياً، ما أراده قادة الدولة في المقام الأول كان الهدوء في المناطق المحتلة، سمح هذا الهدوء للحكومات الإسرائيلية بالاستمتاع بالعمالة الفلسطينية الرخيصة والواردات الرخيصة من المناطق، فضلاً عن سوق للصادرات وهو أمر مهم لدولة محاطة بدول معادية لا تربطها بها علاقات تجارية.

علاوة على ذلك مكنت من بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة، يعتقد اليمين الإسرائيلي أن على إسرائيل أن تتمسك بالمناطق التي احتلتها عام 1967 من أجل الحفاظ على الميزة الاستراتيجية، بالإضافة إلى ذلك يعتقد العديد من اليهود المتدينين أن غزو يهودا والسامرة التوراتية كان تدخلاً إلهياً، وأعاد الأمة إلى وطنها التاريخي والإسراع بقدوم المسيح، تأمل كلتا المجموعتين في أن إنشاء أكبر عدد ممكن من المستوطنات من شأنه أن يعيق إنشاء دولة فلسطينية في المستقبل.

في ظل غياب الهجمات الإرهابية، فسرت القيادة السياسية الهدوء الذي حققه الشاباك والجيش الإسرائيلي على أنه انتصار كامل وتبرير، وكأن التاريخ قد توقف ولم يكن هناك حاجة للتعامل مع القضية الفلسطينية.

9

منظمة التحرير الفلسطينية تتصدر العالمية

الساعة 10:31 مساءً MMT في 23 يوليو 1968 أقلعت الرحلة رقم 426 من مطار روما ليوناردو دافنشي– مطار فيوميتشينو ، طائرة بوينج 707 على متنها ثمانية وثلاثين راكباً ، اثني عشر منهم إسرائيلياً وعشرة من أفراد الطاقم الإسرائيليين، وكان من المُقرر أن تهبط الطائرة في تل أبيب في الساعة 1:18.

بعد حوالي عشرين دقيقة من الإقلاع، اقتحم أحد الإرهابيين الفلسطينيين الثلاثة الذين كانوا على متن الطائرة قمرة القيادة، في البداية اعتقد الطيارون أن الرجل مُجرد من السلاح وطلبوا من مضيفة خلعه، لكنه أخرج مُسدساً، فيما قام مُساعد الطيار "ماعوز بورات" بضرب يد الارهابي، على أمل أن يُسقط المُسدس، ولكن لم يستطع ذلك، قام الإرهابي بضرب بورات على رأسه، ثُم أطلق رصاصة باتجاهه لكنها أخطأت، وأخرج قُنبلة يدوية، لكن قُبطان الطائرة رد بسرعة وقال له إنه سيهبط بالطائرة أينما شاء، في الساعة 11:07 تلقى بُرج المُراقبة في روما رسالة مفادها أن الطائرة التي كانت على ارتفاع 33000 قدم كانت تُغير مسارها وتتجه إلى الجزائر العاصمة، حيث هبطت في الخامسة والثلاثين دقيقة بعد مُنتصف الليل، بموافقة السلطات الجزائرية، وفي الطريق أذاع الخاطفون إشارة نداء الطائرة إلى (تحرير فلسطين 707).

عند الوصول تم إطلاق سراح جميع غير الإسرائيليين وكذلك جميع النساء والأطفال، واحتُجز باقي أفراد الطاقم السبعة وخمسة رُكاب رهائن في مُنشأة تابعة لشُرطة الأمن الجزائرية بالقُرب من المطار حيث سُجنوا لمدة ثلاثة أسابيع، إلى أن تم إطلاق سراحهم مُقابل أربعة وعشرين أسيراً فلسطينياً كانوا مُعتقلين في السُجون الإسرائيلية.

كان الاستيلاء على الرحلة 426 هجوماً جريئاً بشكل مُذهل من قبل فصيل جديد، ألا وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد تأسست في كانون الأول (ديسمبر) الماضي في دمشق من قبل اثنين من اللاجئين الفلسطينيين، جورج حبش من

اللد، ووديع حداد من صفد وهو طبيب أطفال يعتنقون الفكر الماركسي الأرثوذكسي، في ضربة واحدة سريعة فازت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بانتصار تكتيكي واستراتيجي قصير المدى، مما يدل على أن لديها قُدرة مُروعة على الاستيلاء على طائرة رُكاب مدنية إسرائيلية ونشر القضية الفلسطينية في جميع أنحاء العالم، كما أجبرت القُدس على التفاوض مع مُنظمة رفضت الاعتراف بها وهو تنازل مهين، والأسوأ من ذلك اضطرت إسرائيل في النهاية إلى الموافقة على تبادل الأسرى وهي إهانة أعلنت أنها لن تحدث أبداً.

لكن الرحلة 426 كانت مُجرد مُقدمة، على الرغم من الجُهود الحثيثة التي يبذلها الجيش الإسرائيلي وجهاز الشين بيت لكي تجعل الهجمات المُسلحة داخل حُدود إسرائيل وعلى طولها تزداد صعوبة، إلا أن عرفات وأتباعها الذين يُشكلون مجموعات لا حصر لها من مجموعات نظامية أو مُنشقة التي يُمكن أن يعترف بها أو يتبرأ منها عرفات، اعتمادًا على احتياجاته اللحظية، الا أن إسرائيل أدركت أن العالم أكبر بكثير من مسرح قطاع غزة والضفة الغربية.

يمكن أن ينفجر الإرهاب في أي مكان وكانت أوروبا الغربية غير مُستعدة تماماً لإيقافه: كانت الحُدود سهلة الاختراق والحواجز في المطارات والموانئ تم تفاديها بسهولة، وقوات الشرطة كانت مترهلة وعاجزة، وحركات الطُلاب اليساريين عززت تعاطاً مع الفلسطينيين ذوي الميول الماركسية، والراديكاليون في أوروبا مثل (عصابة بادر مانهوف في ألمانيا) على سبيل المثال، أو الألوية الحمراء في إيطاليا عرضوا التعاون اللوجستي والتشغيلي للفلسطينيين.

كل هذا شكل تحدياً هائلاً لمُجتمع الاستخبارات الإسرائيلي، فطالما ظلت المُشكلة الفلسطينية محصورة في الأراضي التي احتلتها إسرائيل بعد حرب الأيام الستة، كانت الأمور سيتكون بسيطة نسبياً، ولكن الآن أصبح العالم بأسره خط المواجهة، وكان اليهود وخاصة الإسرائيليون هم المُستهدفون.

—

بعد أكثر من عام على الرحلة القاتلة، حلت كارثة 426...

أقلعت رحلة TWA رقم 840 من لوس أنجلوس مُتجهة إلى تل أبيب وعلى متنها 120 راكباً فقط ستة منهم إسرائيليون وسبعة من أفراد الطاقم، وكالمُعتاد توقفت في نيويورك ثم هبطت في

روما للتزود بالوقود، بعد نصف ساعة من إقلاعها في آخر توقف لها في أثينا، بدأ أربعة فلسطينيين كانوا على متن الطائرة في روما في اعتراض طاقم الطائرة، حيث أجبر أحدهم مُضيفة تحت تهديد السلاح على فتح باب قمرة القيادة، اندهش مُساعد الطيار، هاري أوكلي عندما رأى أن وراء الرجل كانت هناك امرأة وفي يدها قنبلة يدوية.

تتذكر مارغريتا جونسون مُضيفة الطيران التي كانت على متن الطائرة، **"كانت ترتدي ملابس أنيقة للغاية كلها بيضاء، قبعة بيضاء مرنة، وسترة بيضاء، وبنطلون أبيض"، (السيدة غير الجذابة)** كما وصفها أحد المُضيفين الذكور، أمرت القبطان بإعادة توجيه الطائرة لتُحلق فوق حيفا، قائلة إنها مسقط رأسها، وهو ما لم يسمح لها الصهاينة بالعودة إليه.

وُلدت ليلى خالد بالفعل في حيفا عام 1944 بعد الانتصار اليهودي في المعركة المريرة لتلك المدينة الساحلية، حيث هربت عائلتها إلى لبنان بنية العودة عندما تهدأ الحرب، لكن دولة إسرائيل المنشأة حديثاً منعت عودة اللاجئين، ونشأت ليلى خالد في مُخيم مُكتظ للاجئين في مدينة صور بجنوب لبنان، لقد طورت وعياً سياسياً حاداً، وبحلول سن الخامسة عشرة كانت بالفعل عضواً في الفرع الأردني للحركة الاشتراكية العلمانية العربية التي يرأسها لاحقاً المؤسس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جورج حبش.

لم يكن TWA 840 أول هُجوم لليلى خالد على الطيران المدني، ففي 18 فبراير 1969 ساعدت في التخطيط لهُجوم على طائرة من طُراز بوينج 707 عندما كانت على وشك الإقلاع من مطار زيورخ، حيث قام أربعة من أعضاء الجبهة الشعبية بإلقاء قنابل يدوية وإطلاق النار من بنادق كلاشنيكوف، يجاه قمرة القيادة واصابتها بالرصاص وإصابة مُساعد الطيار بجروح قاتلة، كما شاركت بشكل مُباشر وحتى خلف الكواليس، في عدة هجمات أُخرى، لكن اختطاف TWA 840 جعلها مشهورة.

بعد التحليق التوضيحي للطائرة فوق إسرائيل، برفقة مُقاتلين إسرائيليين لم تستطع تلك الطائرتين المُقاتلتين فعل شيء خوفًا من إلحاق الأذى بالركاب، وهبطت الطائرة بسلام في دمشق، حيث تم إطلاق سراح جميع الرُكاب وأفراد الطاقم، باستثناء إسرائيليين ظلا مُحتجزين كرهينة لمدة ثلاثة أشهر ثم أطلق سراحهم مقابل جنود سوريين، فجّر الخاطفون أنف الطائرة الفارغة وأبعدتهم المخابرات السورية إلى بر الأمان.

وفي غُضون ذلك أصبحت ليلى خالد رمزاً لذلك العصر وأشهر إرهابية في العالم، تم تصويرها في مئات المقالات وتم الإعلان عنها في أغاني المدح لمُقاتلي الحرية، ظهرت صورتها على الملصقات، وأبرزها كانت تمسك ببندقية AK-47، وبتلبس بِذة سوداء تتدفق من تحت كوفيتها، وخاتم مُذهل على إصبعها، قالت "أنها صنعته من رصاصة ودبوس قنبلة يدوية".

في 6 سبتمبر 1970 حاولت ليلى خالد وزملاؤها اختطاف طائرة تابعة لشركة العال من أوروبا، لكنهم فشلوا، حيث كان القبطان أوري بارلي، طيار مُقاتل سابق في سلاح الجو الإسرائيلي، وضع الطائرة في هُبوط مُفاجئ مما خلق قوة سلبية ودفع الخاطفين إلى الأرض، أطلق رجل مُتخفي من الشاباك النار وقتل شريكة ليلى خالد، بينما جاء آخر من داخل قُمرة القيادة وتغلب عليها، تم تسليمها إلى الشُرطة في لندن عندما هبطت الطائرة.

لكن أربع فرق أخرى للجبهة الشعبية كانت أكثر نجاحاً، حيث اختطفت طائرات Pan Am و Swissair و TWA في ذلك اليوم (وبعد ثلاثة أيام، طائرة BOAC)، وهبطت بها في الأردن، وطالبت بالإفراج عن ليلى خالد والعديد من رفاقها.

وأفرج عن الرُكاب باستثناء خمسة وخمسين يهودياً وأحد أفراد الطاقم الذين تم نقلهم إلى حي فلسطيني في عمان، وقام الخاطفون بتفجير الطائرات الفارغة بينما كانت كاميرات التلفزيون تبث الصور للعالم، وصفته وسائل الإعلام بأنه "أحلك يوم في تاريخ الطيران".

كما كان يوماً أسوداً لملك الأردن حسين، الذي صورته وسائل الإعلام الدولية على أنه ملك غير كفء فقد السيطرة على مملكته، وكان الفلسطينيون يُشكلون غالبية سُكان الأردن، وكان حسين يخشى الفلسطينيون، كما كان عرفات وأتباعه يتصرفون كما لو كانت البلاد ملك لهم، آخذة في الازدياد وأنهم يخططون لسرقة مملكته، بعد الإحراج العالمي للطائرات المخطوفة ومُحاولة اغتيال الملك من قبل خلية فلسطينية، كان رده سريعاً وشديداً، ففي منتصف سبتمبر/ أيلول، أمر الجيش الأردني والشُرطة والمُخابرات بشن هُجوم وحشي على أتباع عرفات، وذبحهم دون تمييز، في سلسلة من العمليات خلال شهر، حيث أطلق الفلسطينيون عليها اسم "أيلول الأسود"، قُتل آلاف الفلسطينيين، واضطرت مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى الانتقال إلى لبنان، حيث بدأ ما تبقى من قيادتها المُنهارة في إعادة البناء.

سُرعان ما أعادت فتح وفصائلها تجميع صفوفها وأطلقت موجة وحشية من الإرهاب الدولي، وأوضح بسام أبو شريف، من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن الهدف هو "إظهار أن الطرد من الأردن لم يضعفنا على الإطلاق".

في 28 نوفمبر 1971 بعد أكثر من عام بقليل من أمر رئيس الوزراء الأردني وصفي التل بالاعتداء على الفلسطينيين، قُتل بالرصاص في القاهرة، وبعد أسبوعين حاولت مجموعة من المُسلحين اغتيال السفير الأردني في بريطانيا زيد الرفاعي، وبعد ذلك بشهرين أعدم فلسطينيون خمسة مواطنين أردنيين في ألمانيا، بتُهمة التعاون مع إسرائيل ثُم قصفوا مكاتب شركة غاز هولندية وشركة إلكترونيات ألمانية، متهمين إياهم بالتجارة مع إسرائيل.

تم تنفيذ جميع هذه الهجمات من قبل مُنظمة غير معروفة حتى الآن تُدعى "إيلول الأسود"، وسُميت بهذا الاسم إحياءً لذكرى المذبحة في الأردن، ربما كان الاسم جديداً لكن هذه لم تكن مُنظمة جديدة، فسرعان ما اكتشف الموساد أن أيلول الأسود هو أحد فصائل فتح التي تتطور باستمرار، بقيادة صلاح خلف (الاسم الحركي: أبو لياد) القائد السابق لفرع استخبارات مُنظمة التحرير الفلسطينية، وهو الراصد الذي كان يُحاول الحفاظ على مكانته الإرهابية وسط الاقتتال الداخلي المُتكرر، من أجل العمل ضد مجموعة واسعة من الأهداف، أعاد خلف تعريف أعداء الشعب الفلسطيني، بدءً من "الولايات المتحدة" الإمبريالية، مروراً بالأنظمة العربية المرتبطة بها، وتنتهي بإسرائيل".

في 8 مايو 1972 اختطف أربعة إرهابيين (ثلاثة من أيلول الأسود وواحد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) طائرة رُكاب من طُراز سابينا تحمل أربعة وتسعين راكباً وسبعة من أفراد الطاقم من بروكسل إلى تل أبيب، وكان أكثر من نصف الرُكاب إسرائيليين أو يهود، عندما هبطت الطائرة في مطار اللد (الآن بن غوريون) طالب الخاطفون بالإفراج عن 315 من رفاقهم الإرهابيين المسجونين في إسرائيل.

تم تقديم خُطتي رد مُختلفتين إلى وزير الدفاع موشيه ديان، اقترح مئير داغان وأعضاء من وحدة الحرباء أن يحلقوا رؤوسهم ويتظاهروا بأنهم سُجناء عرب، ويختلطون مع الأسرى الآخرين المفرج عنهم حديثاً، ويصعدوا معهم على متن الطائرة ثم بمجرد أن يُصبح الرهائن بأمان، يستخرجوا أسلحتهم المُخبأة ويقضون على الإرهابيين، كما اقترح داغان على القيادة العُليا اطلاق النار على السَّجناء اذا لزم الأمر..

فضُل ديان الخُطة التي طرحها إيهود باراك قائد وحدة الكوماندوز سايريت ماتكال، اقترب باراك وفريقه من الطائرة المخطوفة مُتنكرين بطاقم المطار، يرتدون وزرة بيضاء ويحملون مسدسات بيريتا 22 مخفية، ثم اقتحموا الطائرة وقتلوا وجرحوا جميع الإرهابيين، وقُتلت راكبة في الاشتباك واصيب اثنان اخران، كما أُصيب جندي شاب اسمه بنيامين نتنياهو بجروح طفيفة برصاصة أطلقها أحد المُهاجمين الآخرين.

اتخذت عملية سابينا أبعاداً أسطورية في إسرائيل، ولكن على الرُغم من نجاحها، فقد تحقق الهدف الاستراتيجي الرئيسي للفلسطينيين أيضاً، قال أحد قادة أيلول الأسود: "اليوم كامل حبس الثوار في جميع أنحاء العالم أنفاسهم ليروا ما سيحدث في مطار فلسطين المُحتلة كان العالم كله يُشاهد "

سُرعان ما احتشد العديد من هؤلاء الثوار من أجل القضية الفلسطينية، أدت الموجة الجديدة من النشاط الإرهابي إلى زيادة هائلة في طلبات الانضمام إلى المُنظمات السرية.

وفقًا لأحد أعضاء "أيلول الأسود" احتوت جميع طلبات الانتساب الى رسالة تحمل نفس المضمون "لقد وجدت أخيراً طريقة لجعل صوتنا مسموعاً في العالم".

تم استخدام هؤلاء المُجندين الجُدد لتأثير مُدمر في 30 مايو 1972 قام ثلاثة أعضاء من الجيش الأحمر الياباني من اليساريين السريين الذين تم تدريبهم من قبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كوريا الشمالية ولبنان، بالطيران على متن طائرة تابعة للخُطوط الجوية الفرنسية من روما إلى مطار اللد، داخل الجبهة الشعبية، كان هناك بعض الشك فيما إذا كانت أيديولوجيتهم الماوية متوافقة مع ماركسية الجبهة لكن الفلسطينيين أُعجبوا باستعداد اليابانيين– أو الأصح، رغبتهم الشديدة – للموت من أجل القضية الفلسطينية.

لم يجذبوا أي اهتمام في المطار كانت أجهزة الفرز التي نشرها الشاباك حول مكاتب شركة العال تبحث عن سُكان شرق أوسطيين مُتوترين، وليس سُياح آسيويين، سحب الرجال اليابانيون الثلاثة بنادق من طراز AK-47 وبعض القنابل اليدوية من أمتعتهم وبدأ إطلاق النار بشكل عشوائي على المحطة المُزدحمة، يتذكر أحد الشهود قائلاً: "رأيت خمسة وعشرين شخصاً مُتكدسون في بركة من الدماء بالقُرب من حزام النقل رقم ثلاثة"، "وقف أحد الرجل بالقرب من الحزام بمدفع رشاش وأطلق النار على طول الغرفة، وألقى آخر قنابل يدوية كُلما رأى الناس في مجموعات كبيرة ".

ملأت أصوات سيارات الإسعاف شوارع تل أبيب لساعات، قُتل ستة وعشرون شخصاً، سبعة عشر منهم من الحجاج المسيحيين البورتوريكيين إلى الأرض المُقدسة، وأصيب ثمانية وسبعون بجروح.

في مؤتمر صحفي عقده في بيروت، دافع المُتحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (وزوج ليلى خالد) بسام زايد، عن مذبحة الحجاج، وأعلن أن جميع القتلى مُذنبون وانه لا يوجد أبرياء، ساد شُعور بالندم المرير مؤسسة الدفاع الإسرائيلية على الفشل في منع المجزرة.

—

من خلال هذه الموجة الجديدة من الرعب كافح رائيل للتوصل إلى استجابة مُناسبة في البداية وفي غياب أي معلومات استخباراتية مُحددة، أمر رئيس الوزراء ليفي إشكول بعملية عقابية ضد هدف سهل نسبياً مثل اسهداف الطيران المدني العربي، واستند ذلك إلى الحُجة القائلة بأن الأنظمة العربية التي كانت تُسيطر على هذه الخُطوط الجوية كانت مسؤولة عما كان يحدث وكانت تدعم مُنظمة التحرير الفلسطينية.

في ديسمبر 1968 داهمت فرقة عسكرية المطار الدولي في بيروت وفجرت 14 طائرة فارغة تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط، والخُطوط الجوية اللبنانية الدولية، وخطوط ترانس ميديترينيان الجوية، نجحت العملية في أنها دمرت الطائرات دون وقوع إصابات في صفوف الإسرائيليين، لكن لم يكن لها تأثير حقيقي في ردع الهجمات الإرهابية المُستقبلية على الطيران المدني الإسرائيلي، وكان رد الفعل الدولي على الغارة الإسرائيلية على أهداف مدنية شرساً، إلى جانب إدانة مجلس الأمن الدولي، شدد الرئيس الفرنسي ديغول حظر أسلحة بلاده على إسرائيل وألغى بيع خمسين طائرة مُقاتلة.

مزيداً من الفشل سوف يتبع ذلك حيث حددت المعلومات الاستخباراتية التي حصل عليها جانكشن مكتباً معيناً في مدينة بيروت كمقر لمُنظمة التحرير الفلسطينية، في 2 فبراير 1970 أطلق نشطاء قيسارية أربعة صواريخ آر بي جي من قاذفات مُزودة بأجهزة توقيت على نوافذ المكاتب اتضح أن المبنى شغل بشكل أساسي وظيفة إدارية، قال ناشط في قيسرية: "أصيب بعض السكرتارية بجروح واحترقت بعض الأوراق"، لكن الأمر لم يتعلق بذلك، كانت هذه واحدة

من أولى عمليات مُكافحة الإرهاب التي وافقت عليها رئيسة الوزراء الإسرائيلية الجديدة جولدا مئير، التي قد تولى رئاسة الوزراء بعد وفاة ليفي إشكول في فبراير 1969.

محاولات قتل مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم تكن أكثر نجاحاً، استطاع اثنان من نُشطاء قيسارية الحُصول على عنوان الشقة الواقعة في 8 شارع محي الدين في بيروت، والتي كان وديع حداد يستخدمها كمكتب ومسكن، كان حداد يتصرف مثل صاحب القصر في بيروت، قال تسفي أهاروني رئيس قيسارية: "لم تكن هناك مُشكلة في العثور عليه، لم يكن خائفاً ولم يتخذ أي احتياطات"، في 10 يوليو نزلت قوات الكوماندوز البحرية الإسرائيلية (الوحدة 707) من قارب سريع وهبطت على الشاطئ بالقُرب من كازينو بيروت، وتسلم افراد قيسارية قاذفين قنابل، وقاموا أفراد الفرقة باستئجار شقة مقابل حداد، في الساعة 9 صباحاً، صُوب أحدهم الصواريخ على نافذة غرفة رأى حداد بعد أن شاهده جالساً في الغرفة، وضغط على زر العداد الذي تم ضبطه على ثلاثين ثانية وهرب من المكان.

قال مايك هراري " دخل حداد إلى الغُرفة الأخرى، حيث كانت زوجته وأطفاله جالسين، انفجر الصاروخ، ونجا حداد بأعجوبة، كانت غولدا قد أمرت بعدم إيذاء أي شعر على رأس بريء.

في غضون ذلك حدد وكيل إسرائيلي في لبنان فيلا جورج حبش في بسابا، وهي منطقة جبلية جنوب شرق بيروت، حتى أنه صور حبش جالساً على شُرفة منزله مع بعض رجاله، في 15 يوليو/ تموز، شن سلاح الجو الإسرائيلي هجوماً لقصف المنزل، لكنه أصاب منزل مُجاور وهدمه بدلاً من ذلك ونجا حبش بعد اصابته بجراح بسيطة.

بعد ذلك بوقت قصير استقال أهاروني من رئاسة قيسارية، ويرجع ذلك جزئياً إلى الانتقادات الموجهة إليه لعدم القضاء على قادة الإرهاب، وخلفه بعد ذلك مايك هراري.

هراري ذهب مُباشرة إلى الهدف الأول: ياسر عرفات، كانت عملية الصحراء البيضاء خُطة هراري لاغتيال زعيم مُنظمة التحرير الفلسطينية في احتفال للعقيد معمر القذافي في ليبيا في 1 سبتمبر 1970 تم إنشاء منصة لكبار الشخصيات بجوار سُور مدينة طرابلس القديمة، تم طرح عدة أفكار في قيسارية، وضع قذيفة هاون مُتصلة بجهاز توقيت على الجانب الآخر من الجدار ثم قصف المنصة حيث يجلس عرفات والقادة الآخرون، أو وضع مُتفجرات أسفل المنصة وتفجيرها بعد الحُصول على تأكيد بذلك، عرفات كان هناك في النهاية توصلنا إلى نتيجة مفادها أن هذه كانت عملية ذات إشكالية لأنه مع عرفات سيتم قتل 120 روحاً أخرى،

لذلك قررنا الذهاب مع قناص "، سافر هراري وطاقمه إلى ليبيا عدة مرات لاستكشاف المكان واستئجار منازل آمنة والتخطيط لطرق الهروب.

كان كُل شيء جاهزاً عندما قدم مُدير الموساد زفي زامير الخُطة إلى رئيسة الوزراء جولدا مئير للحصول على موافقتها النهائية، وخشية أن تكون العملية مُركزة على إسرائيل وأن تؤدي إلى انتقادات دولية شديدة ومُحاولات اغتيال قادة إسرائيليين تم إلغاء الخطة.

بخيبة أمل أرسل هراري عميلين إلى أوروبا مع أوامر لإعادة تنشيط إعداد الرسائل المُفخخة، وقال موتي كفير إن لهذه القنابل "ميزتين واضحتين"، "كان من السهل إيصالها إلى البُلدان المُستهدفة، لأنها بدت غير مؤذية، ووفرت وقتاً طويلاً للفرار على عكس إطلاق النار، الأمر الذي يجذب الانتباه الفوري"، تمكن الإسرائيليون من تشويه اثنين من المُسلحين بهذه القنابل، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يتعلم موظفو مُنظمة التحرير الفلسطينية أن يكونوا أكثر حرصاً مع بريدهم الإلكتروني.

وظلت فتح وفروعها دون رادع، وأهداف الموساد الأساسية هي عرفات، أبو جهاد، حبش، حداد بقي كل واحد منهم حياً، مُعافى، وخطر دائم.

في الجلسات المُغلقة للقيادة الإسرائيلية وجهت أصابع الاتهام إلى أجهزة المُخابرات لفشلها في وقف الهجمات الإرهابية أو ردع الهجمات المستقبلية، قال هراري: "عندما انفجرت حافلة في القدس، نظروا إلي"، "لماذا لا أفجر أربع حافلات في بيروت أو القاهرة؟ بعد كل شيء، كل ما فعلوه هُنا في إسرائيل كان بإمكاننا أن نفعله بهم في القاهرة أو دمشق أو عمان أو في أي مكان يريده أي شخص، كان بإمكاني فعلها في وقت واحد، لكنني لم أكن مُستعداً للقيام بهذا النوع من العمليات، لكي لا نغرق إلى مستواهم، لم نكن يائسين إلى هذا الحد لقد بحثنا عن الضربة الانتقائية، تلك التي كان الإرهابيون يعرفون أنها إسرائيلية لكنها لن تترك أي بصمات".

من أجل القيام بذلك سيتعين على هراري التغلب على عقبتين مُهمتين، أولاً: كانت جميع مقرات التنظيمات الإرهابية موجودة في عواصم الدول العربية، مما منحها حق اللجوء في أماكن يصعب عليها العمل ضمن صلاحيات قيسارية، ثانياً: لم يكن رجال قيسارية في ذلك الوقت مُناسبين لهذه المهمة، تميل أفلام جيمس بوند وأمثالها إلى تصوير الجواسيس على أنهم مجموعة مُتجانسة، يمكن أن يكون الشخص نفسه خلداً، وقاتلًا، وفناناً مُحطماً، وخبير مُراقبة، حيث يجمع المعلومات الاستخباراتية ويُحللها لصانعي القرار، الواقع مُختلف جداً، وخاصة في

الموساد، تم تدريب عُملاء قيسارية على تنفيذ مهام طويلة الأجل تحت غطاء عميق، كان من المفترض أن لا يجذبوا أي اهتمام، وأن يكون لديهم أقل قدر ممكن من الاحتكاك مع الجهات الفاعلة المحلية، وأن يجمعوا أكبر قدر مُمكن من المعلومات، بحيث يكون لإسرائيل إشعار مُسبق بأي حرب مقبلة، قال هراري: **"فريقي لم يكونوا كوماندوز، كنت أبحث عن شخص يُمكنه قضاء بعض الوقت في القاهرة كعالم آثار ودعوة جمال عبد الناصر في جولة في الحفريات، أو امرأة يُمكن أن تعمل كمُمرضة في مُستشفى عسكري في دمشق، هؤلاء الناس لم يتلقوا التدريب على إخراج مطلوب أو استخدام مُسدس أو رمي السكين، من أجل محاربة الإرهاب، كنت بحاجة لأشخاص مُختلفين وأنواع أخرى من الأسلحة ".**

كما خلق انتقال مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى النشاط العالمي تحدياً سياسياً للإسرائيليين، الدول الأوروبية لم تُحارب الإرهاب بنفسها خلال تلك السنوات، كما أنها لم تسمح للإسرائيليين بالقيام بذلك داخل حدودها، نظر الأوروبيون إلى الصراع في الشرق الأوسط على أنه بعيد وغير مُهم، ولم يكن لديهم أي حافز للتحرك، جمع الموساد مئات النصائح حول العمليات الإرهابية المُخطط لها ضد أهداف إسرائيلية ويهودية في أوروبا، ولكن للتعامل معها احتاج إلى مُساعدة أجهزة استخبارات أوروبية صديقة، "تبلغهم بذلك مرة، مرتين، أوضحت غولدا مائير في اجتماع سري للجنة الخارجية والدفاع في الكنيست، **"ثلاث مرات أو خمس مرات، ولم يحدث شيء".**

كان الإحباط يتنامى داخل الموساد، "لا أفهم لماذا نجلس هُنا بهدوء بينما كل يوم يُخطط الإرهابيون لقتل اليهود"، خلال اجتماع في مقر الموساد، اشتكى أفراهام "روني" ضابط المُخابرات في قيسارية، وقال "نحن نعرف أين هم، مكاتبهم في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وقبرص معرفة عامة. إنهم لا يحاولون حتى الاختباء. دعونا نفجر أحد مكاتبهم مقابل كُل عملية اختطاف للطائرة، وستستريح الأرض لمدة أربعين عاماً"، كما قال، مُقتبساً من كتاب قضاة الكتاب المقدس.

كان الحل الذي قدمه هراري هو إنشاء فريق خاص داخل قيسارية لم يكن مُكلفاً بجمع المعلومات الاستخباراتية قبل الأعمال العدائية، ولكنه ركز بدلاً من ذلك على "العمل في الخفاء والقيام بتحديد ومُراقبة وتنفيذ الأهداف البشرية وعمليات التخريب"، ستطلق على الوحدة الاسم الرمزي

كيدون (Bayonet) أي الحربة وهي السكين التي تكون في مُقدمة السلاح، وستعمل بشكل أساسي في أوروبا الغربية وفي البُلدان الديمقراطية في أماكن أخرى.

بدأت نواة الحربة في الظُهور في مُنتصف عام 1969، تحت قيادة عميل يُدعى داني ولكن لسنوات عديدة لم يستطع هراري توظيفها في الميدان واضطر إلى اقتصار أنشطتها على التدريب فقط ووضع عقيدة قتالية، غولدا مائير رغم حذرها من الدول الغربية الا انها تحترم سيادتها، لقد فهمت أن الدول الصديقة لن تتعاون أبداً مع إسرائيل إذا نفذت عمليات قتل مُستهدفة في أراضيها دون إذن منها على حد تعبيرها، فإن أجهزة المُخابرات الأوروبية "يمكنها أن تقرر ما هو مسموح وما هو محظور على أراضيها، هُناك دُول صديقة تقول" لن تفعل ذلك هنا؛ ها نحن السادة كل هذا ليس بسيطاً إنه ليس بلدنا ".

هراري التي كانت مُقتنعة بأن مئير ستغير رأيها في النهاية، أمرت بايونيت بالهدوء ومواصلة تدريبها، قال هراري لزامير "**في النهاية لن يكون لدينا بديل سوى قتلهم في أوروبا**". وافق زامير على ضرورة استمرار التدريب. "**احترمنا سياسة رئيس الوزراء وبالتالي قُمنا فقط بجهود جمع المعلومات وأعدنا الأفراد والأسلحة التي ستكون مطلوبة في المستقبل**".

كان نظام التدريب والإعداد هذا شاقاً، كان على المُجندين أن يكونوا ماهرين في الحركة السريعة، وقيادة السيارات أو الدراجات النارية والخطف والتخلص من الآثار، واقتحام المباني، والقتال اليدوي، كان عليهم أيضاً أن يكونوا قادرين على العمل بهدوء في ظل مجموعة مُتنوعة من ظُروف القتال، وقد تم تدريبهم على الرماية بالمُسدس مع التركيز على طريقة تعرف باسم الرماية الغريزية، تم تطويره جزئياً بواسطة أحد المُحاربين القُدامى في الجيش الأمريكي المُسمى ديف بيكرمان، والذي ساعد في تحرير داخاو، وهو يعتمد على الحركة السريعة من الثبات إلى موقع إطلاق النار أو تحقيق أقصى قدر من الدقة أثناء إطلاق النار أثناء الحركة.

ثم يحتاج المُجندون إلى التدريب على مهارات أخرى: مثل المكياج، نظراً لأن مُعظم مهام الحربة ستكون قصيرة الأجل، ويمكن استخدام أشكال مختلفة من التنكر لتغيير الهويات، وفقاً ليارين شاحاف، الذي يقوم حالياً بتدريب عُملاء الموساد على اتقان المكياج، فهذه مُهمة مُعقدة: "فعليك التأكد من أن الشارب لن يسقط حتى أثناء القتال وأن الباروكة مُتماسكة ولن تطير حتى في مُطاردة فوق أسطح المنازل، يجب أن يعرف المُحارب كيفية ارتداء ملابس واكسسوارات التنكر بحيث يبدو معقولاً، وكذلك أن يُنظف نفسه بسرعة إذا اضطر إلى الهروب ".

أخيراً يخضع المُجند لاختبار أخير حيث ستعيده الوكالة إلى منزله وحيه ودائرته الاجتماعية، متخفياً وباسمه المستعار، فإذا كان بإمكانه أن يتنقل هناك بين أولئك الذين يعرفونه جيداً، دون أن يتم تحديد هويتهم فقد تم اعتباره قادراً على العمل في دولة مُعادية من الغرباء.

في وقت مُبكر من يوليو عام 1972 وصل ثمانية من أعضاء "أيلول الأسود" إلى مُعسكر تدريب في الصحراء الليبية بقيادة محمد يوسف النجار رئيس جهاز الأمن والمعلومات في فتح، كان الثمانية جميعهم من نُشطاء فتح وتم اختيارهم لأسباب مُختلفة كان لدى البعض خبرة قتالية واسعة، وآخرون على دراية بأوروبا بشكل عام وألمانيا بشكل أكثر تحديداً، ومن بين هؤلاء الرجال محمد مصالحة من مواليد 1945 وهو نجل أول رئيس لمجلس قرية الجليل في دبورية، يتقن اللغتين الألمانية والإنجليزية وأكبر من الآخرين، ولكن لم يكن مقاتلاً، بل عمل كراصد ومتحدث باسم الجماعة، وأطلق عليه اسم عيسى، سرعان ما أصبح مشهوراً في جميع أنحاء العالم.

في المعسكر الليبي إلتقى الرجال الثمانية مع صلاح خلف (أبو لياد) مؤسس أيلول الأسود، ومحمد عودة (أبو داود) وهو ناشط في فتح منذ فترة طويلة، حيث كان أبو داود موثوقاً به ومُخلصاً لأبو إياد، أبلغهم الأخير أنهم على وشك المُشاركة في عملية بالغة الأهمية دون أن يكشفوا بالضبط ماهية تلك العملية، خلال الأسابيع القليلة التالية خضعت المجموعة لتدريب على الأسلحة النارية، بما في ذلك المُسدسات والرشاشات والقنابل اليدوية بالإضافة إلى القتال اليدوي واللياقة البدنية، تم وضع قُيود خاصة على التنكر وتم إعطاؤهم أسماء مُشفرة وجوازات سفر ليبية مُزورة وطُلب منهم إخفاء وجوههم طوال العملية وتغيير ملابسهم بشكل مُتكرر، لإعطاء من يُشاهدونهم انطباعاً بوجود عدد أكبر من أعضاء المجموعة.

أخطأت المُخابرات الإسرائيلية تماماً في رصد هذه الاستعدادات في ليبيا، في 7 يوليو حذر عميل فلسطيني يُدعى لوسيفر الموساد من أن "أيلول الأسود" تُخططون لشن هُجوم في أوروبا" وأفاد في 5 أغسطس أن "أيلول الأسود" يستعد لعملية ذات طابع دولي"، لكنه لم يكن لديه

تفاصيل، فظهرت العديد من التنبيهات التي كانت تُغرق قسم الأبحاث في الموساد، ولكن لسبب ما تم تجاهل بعضها، كان العميل لوسيفر من بين أولئك الذين سقطوا من خلال برامج الاسقاط.

في 3 و 4 سبتمبر قام مقاتلو أيلول الأسود الثمانية برحلات جوية مُنفصلة إلى ألمانيا الغربية، والتقوا في ميونيخ، حيث كانت دورة الألعاب الأولمبية لعام 1972 جارية، وشاهدها مئات الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم، وقد طلبت مُنظمة التحرير الفلسطينية، نيابة عن الفلسطينيين الذين لا يحملون الجنسية، المشاركة في الألعاب الأولمبية، لكن اللجنة الأولمبية الدولية رفضت ذلك، وقال خلف في وقت لاحق: "على ما يبدو بأن هذه اللجنة ذات السمعة الطيبة والتي تتظاهر بأنها غير سياسية، لم نكن نحن الفلسطينيون موجودين". "قررت قيادة أيلول الأسود أن تأخذ الأمور على عاتقها".

عشية العملية في مطعم بالقُرب من محطة سكة حديد ميونيخ، أخبرهم عودة بالخُطة أخيراً، وضع الرجال الثمانية وصية أخيرة مُشتركة لهم وانضموا إلى عودة لجمع الأسلحة والمُتفجرات التي تم تهريبها من إسبانيا والسويد وإخفائها في خزانة في محطة السكة الحديد، استلم عودة جوازات سفرهم وأرسلهم إلى البوابة رقم A25 بالقرية الأولمبية، صعدوا بسهولة فوق السياج وساروا إلى شارع كونولي 31، حيث تم إيواء الوفد الإسرائيلي إلى الألعاب في ذلك الوقت ، كان هناك اثنان وثلاثون شرطياً في المنطقة، اثنان منهم يحملان مُسدسات لكن البقية غير مُسلحين، لأن المُضيفين الألمان أرادوا خلق جو سلمي قدر الإمكان، ولم يُلاحظ أي منهم ما كان يحدث.

في حوالي الساعة 4 صباحاً في 5 سبتمبر، اقتحمت مجموعة أيلول الأسود مقر الفريق الإسرائيلي، وتمكن أحد الرياضيين من الفرار، حاول مُدرب المُصارعة موشيه واينبرغ ورافع الأثقال يوسف رومانو مُقاومة الإرهابيين لكنهم قُتلوا بالرصاص، تُركت جثثهم مُلقاة على الأرض لمُدة تسع ساعات على مرأى ومسمع من أعضاء الفريق التسعة الآخرين الذين احتُجزوا كرهائن، وفي وقت لاحق تم العثور على علامات تشويه شديد على جُثة رومانو.

أجرى (عيسى) مُفاوضات مع مُمثلي شرطة ولاية بافاريا والحُكومة حيث شاهد هذه الاحداث مئات الملايين من المُشاهدين في جميع أنحاء العالم، في ذلك الصباح في القدس أُبلغت غولدا مائير الكنيست بحزن، "القتلة يُطالبون بالإفراج عن مائتي إرهابي من السجون الإسرائيلية مُقابل إطلاق سراح الرهائن".

كما فعلت في كُل قضية خلال فترة عملها كرئيسة للوزراء، اعتمدت مئير على حُكم مؤسستي الدفاع والاستخبارات، بشرط واحد لا لبس فيه: لن تكون هُناك مُفاوضات مع الإرهابيين تحت أي ظرف من الظروف.

رفض الألمان بشدة وقف الألعاب، مُعتبرين أن تلفزيون ألمانيا الغربية ليس لديه برامج بديلة، كتب جيم موراي من صحيفة لوس أنجلوس تايمز: "بشكل لا يصدق هم مستمرون في ذلك"، "الأمر يكاد أن يكون مثل الرقص في داخاو".

بدأ فريق سيرت متكال على الفور في التحضير لعملية إنقاذ، لكن ما أثار دهشة إسرائيل أن الألمان رفضوا السماح للإسرائيليين بدخول البلاد، رُغم أن الألمان أقل خبرة في مثل هذه الأمور، سُمح لاثنين من كبار المسؤولين وهم رئيس الموساد تسفي زامير، ورئيس دائرة استجواب الشاباك فيكتور كوهين، بمُراقبة المُفاوضات فقط من مسافة بعيدة.

كان كوهين وهو سوري الأصل ويتحدث اللغة العربية بطلاقة ولديه قدر كبير من الخبرة في استجواب الإرهابيين الرجل الذي تفاوض مع خاطفي طائرة سابينا في سبتمبر الأسود، يتذكر كوهين: **"في قضية سابينا، سمحوا لي بالعمل بشكل صحيح من خلال المحادثات مع الخاطفين، تمكنت من تعلم الكثير: من لهجاتهم، ومن أين أتوا؛ من اختيارهم للكلمات، بالضبط ما كانوا فيه؛ من الطاقة التي شعرت بها، وكم كانوا يقظين، عندما شعرت أنهم كانوا مُتعبين، أخبرت سايرت ماتكال أن الوقت قد حان للاقتحام ".**

لكن في ميونيخ تم رفض عُروض كوهين وزامير لتقديم المشورة للألمان حول كيفية التعامل مع الإرهابيين بشكل مُتكرر، وبدلاً من ذلك شاهدوا أعضاء الفريق الناجين وهم يُقتادون من مبنى المهجع تحت تهديد السلاح إلى طائرتي هليكوبتر عسكريتين من طراز Bell UH-1 كانتا مُتوقفتين في مكان قريب، ترك الحدث بأكمله انطباعاً عميقاً في ذهن زامير: "مشهد الرياضيين وهم يقودون إلى المروحيات، لن أنسى ذلك أبداً حتى يوم وفاتي، على جانبي الطريق الذي كان نوعاً من العُشب، وقف عشرات الآلاف من الأشخاص من عدد لا يحصى من البلدان، صمت عميت، وقفت إلى جانب [وزير الداخلية الألماني هانز ديتريش] جينشر و

[فرانز جوزيف] شتراوس، وفيكتور بجانبي، وشاهدنا الرياضيين الإسرائيليين، وأيديهم مُقيدة، ومُحاطين بالإرهابيين، وكلهم ساروا بخطوة واحدة نحو طائرات الهليكوبتر، لقد كان مشهداً مروعاً، خاصة بالنسبة ليهودي على الأراضي الألمانية، في ميونيخ ".

وأخذت المروحيات الرهائن إلى مطار عسكري قريب حيث كان من المُفترض أن تقلهم طائرة من ألمانيا فور إبرام صفقة إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين وأعقبت الإرهابيين والرهائن مروحيات إضافية كانت على متنها زامير وكوهين والمسؤولون الألمان على متنها.

ابتكرت ألمانيا عملية إنقاذ في المطار العسكري لكن القوات التي نشرتها كانت غير مُدربة وغير منظمة، وكانت تفتقر إلى المعلومات الاستخباراتية المطلوبة عن الإرهابيين، ومعدات القناصة والدعم لمثل هذه المهمة، أطلقوا النار بطريقة غير مُنسقة ولم يُصبوا أو يقتلوا ما يكفي من الإرهابيين لتحييد الفرقة.

قال زمير: "**أطلق الإرهابيون النار على المبنى الذي كُنا فيه"، ركضنا أنا وفيكتور على الدرج، نتلمس طريقنا في الظلام، ونبحث عن قادة العملية، مع استمرار إطلاق النار طوال الوقت، رأينا أن الإرهابيين أطلقوا النار على طياري المروحية فأسقطوهم على وجوههم، عندما حددنا موقع القادة الألمان للعملية، طلبت الصعود إلى السطح للتحدث إلى الإرهابيين وتحذيرهم من أنه إذا استمر إطلاق النار، فلن يخرجوا أحياء، رفض الضباط ذلك، وأصررنا نحن على ذلك حتى وافقوا على شرط أن نتحدث العربية وليس الألمانية** ".

أخذ كوهين مُكبر الصوت وبدأ بمُحاولة إقناع الإرهابيين بالاستسلام، "لكن الوقت كان قليلاً جداً ومتأخر جداً، وكل ما حصلت عليه هو رصاصات كثيفة من الارهابيين وكاد أن يقتل كلانا".

سأل زمير الألمان عن سبب عدم وُجود قوة تقتحم الإرهابيين، فقيل له إن الشُرطة كانت تنتظر العربات المُدرعة التي كانت عالقة في طريقها إلى المطار وسط ازدحام مُروري أحدثه كُل المُتفرجين الفضوليين.

وراقب زامير الإرهابيين وهم يلقون قنابل يدوية على المروحيات حيث كان الإسرائيليون محتجزين، رآهم مشتعلين بالنيران بعد انفجار القنابل اليدوية، عندما ركض إلى الطائرة المشتعلة، وجد جُثث الإسرائيليين التسعة، مُقيدة اليدين، متفحمة، وبعضها لا يزال مشتعلاً.

بالنسبة إلى زاميرٍ كان سُلوك الألمان لانقاذ الرهائن يقول: "**لم يبذلوا حتى أدنى جُهد لإنقاذ الأرواح، ولن يأخذوا الحد الأدنى من المخاطر لإنقاذ الناس لا شعبنا ولا شعبهم**"، قال إنه رأى أحد الطيارين الألمان يطلب النجدة، "أخبرت الشرطة الألمانية، " **بحق الله هُناك أنُاس ينزفون في المروحية، زحف أحد أفراد الطاقم الجريح مائتي متر، لاخراجه من هناك! "لقد زحف على أربع، ولم يتحرك أحد لإنقاذه".**

وفقاً لكوهين "علمنا لاحقاً أن بعض رجال الشُرطة الذين كان من المُفترض أن يشاركوا في عملية الإنقاذ اتخذوا قراراً قبل أن يبدوا بأنهم غير مُستعدين للمُخاطرة بحياتهم من أجل الإسرائيليين".

بعد الساعة الثالثة صباحاً، وبعد ثلاث وعشرين ساعة تقريباً من الهجوم الإرهابي الأول، اتصل زامير بمئير، الذي هنأه على نجاحه" مُستهزئاً" لقد أخطأت مصادرنا بأن جميع الإسرائيليين في أمان بأمان، قال لها "يؤسفني أن أخبرك بهذا يا غولدا، لكن لم يتم إنقاذ الرياضيين، لقد رأيتهم جميعاً يموتون لم ينج أحد منهم ".

على الفور تم رسم أوجه تشابه في هذه الاحداث، تم ذبح اليهود على الأراضي الألمانية بينما استمر باقي العالم في العمل كالمعتاد وكأن شيئاً لم يحدث، والأسوأ من ذلك أن السلطات الألمانية جعلت دولة إسرائيل عاجزة وأجبرت على أن تُراقب فقط بشكل سلبي بينما كان الإرهابيون يذبحون مواطنيها، في إسرائيل توقفت الحياة فعلياً لعدة أيام، بعد ذلك تم إلغاء احتفالات رأس السنة في جميع أنحاء البلاد وانتشر مزاج من الكآبة بين السكان.

اعتبر الفلسطينيون العملية ناجحة حيث احتلت قضيتهم مركز الصدارة في اهتمام الرأي العام العالمي، كتب أحد أعضاء مُنظمة التحرير الفلسطينية، "قنبلة في البيت الأبيض، لغم أرضي في الفاتيكان، موت ماو تسي تونغ، زلزال في باريس لا يُمكن أن يكون له صدى أكبر مع كل شخص في العالم من ذلك الذي تسبب فيه مجموعة أيلول الأسود في عملية ميونيخ، كان الأمر أشبه برسم اسم "فلسطين" على قمة جبل يُمكن رؤيته من جميع أنحاء العالم ".

في أعقاب ذلك مباشرة لم يكن هُناك الكثير مما يمكن أن تفعله حكومة مئير، وأصدرت إعلاناً شكلياً مفاده أنه "في حالة من الغضب والاشمئزاز، تستنكر حكومة إسرائيل مقتل أحد عشر إسرائيلياً على يد إرهابيين عرب"، كما أمر مائير بشن ضربات جوية على عشرات "القواعد

والمُعسكرات والمقار الرئيسية للإرهابيين في سوريا ولبنان، القصد هو إيذاء الإرهابيين وليس المدنيين ".

ولكنها فقط كانت البداية.

في مساء يوم 6 سبتمبر عاد زامير من ميونخ، في رسالتين كان من المُفترض أن يكون لهما تأثير كبير على سياسة إسرائيل المُستقبلية بشأن الإرهاب، وصف بانفعال الهجوم ورد الفعل الألماني، رفض ألمانيا قبول المُساعدة أو النصيحة، والفوضى والافتقار إلى الاحتراف واللامبالاة التي أظهرتها القوات الألمانية.

قال: "**العار الألماني لا يقاس**"، وقال لمجلس الوزراء المصدوم إن كل ما أراده الألمان هو إخراج القضية من الطريق حتى تستمر الألعاب.

مع تداول رواية زامير ازدادت حدة الغضب تجاه المُنظمات الإرهابية التي سفكت دماء اليهود وكذلك تجاه السُلطات الألمانية التي فشلت فشلاً ذريعاً ورفضت تحمل المسؤولية، في اجتماع سري للجنة الكنيست قال أحد المُشاركين: "يجب ألا نُدافع عن أنفسنا فحسب، بل يجب أن نواصل الهجوم أيضاً، علينا البحث عن الإرهابيين وقتلهم، علينا تحويلهم من صيادين إلى فريسة"، فيما اقترح مناحيم بيغن قصف ليبيا.

مائير التي تعرضت لانتقادات شديدة بسبب فشل أجهزة المُخابرات تحت قيادتها في الكشف عن مذبحة ميونيخ ومنعها من الوقوع، وخوفها على فُرص إعادة انتخابها ظهرت الآن، قررت مئير وحكومتها أنه إذا لم يُحاول الأوروبيون إيقاف الإرهابيين على أراضيهم، فسيحصل الموساد على الضوء الأخضر للقيام بذلك.

في 11 سبتمبر أذن مجلس وزراء الاحتلال، لرئيس الوزراء بالموافقة على الأهداف حتى في الدول الصديقة دون إخطار السلطات المحلية، قالت مئير للكنيست في 12 سبتمبر: "انتقام أو لا انتقام، في أي مكان يتم فيه التخطيط لمؤامرة ضد اليهود سوف يجدونا هناك لضربهم قبل إلحاق الضرر بنا".

كان هراري مُحقاً: غيرت مئير رأيها، سيتم إدخال الحربة في الخدمة على الفور.

10

"ليس لدي مشكلة مع أي شخص قُمت بقتله"

"لقد غادرت سارة الجميلة المبنى وتشق طريقها إلى منزلها ".

كانت هذه هي الرسالة التي تم نقلها عبر شبكة راديو فريق الحربة في روما ذات ليلة في أكتوبر 1972 "**حسنًا، تحرك، استعدوا للاشتباك** "، وهذه هي رسالة مُشفرة تكون بمثابة أمر من مايك هراري من موقع قيادته.

لم تكن "الجميلة سارة" امرأة لكنها كانت الاسم الرمزي لرجل طويل ورفيع يرتدي نظارة له شعر أسود لامع ووجه معبر للغاية، اسمه الحقيقي وائل زعيتر، وهو فلسطيني عمل بدوام جُزئي في السفارة الليبية في روما كمُترجم، أوشك زويتر على الانتهاء من ترجمة ألف ليلة وليلة من العربية إلى الإيطالية، وأمضى الأمُسية في منزل صديقته جانيت فين براون الفنانة الأسترالية، يناقش بعضاً من أدق التفاصيل في ترجمته للأوصاف الملونة في الكتاب، عند الباب أعطت مُضيفة زعيتر رغيف خُبز كانت قد خبذته له. وضعه في الظرف الذي احتفظ فيه بمخطوطته.

بعد مُغادرته توجه إلى شقته في 4 ساحة أنيباليانو استقل حافلتين، وعندما نزل من الحافلة الثانية ذهب إلى حانة، يحمل طوال الوقت مظروفاً أبيض يحتوي على الفصول الأخيرة من ترجمته.

كان فريق مُراقبة الحربة يُراقب زعيتر طوال الوقت، اعتقد الموساد أنه لم يكن مُجرد مترجم أن هذا العمل كان مُجرد غطاء وأنه كان في الواقع، قائد عمليات أيلول الأسود في روما، كانت إيطاليا دولة ضعيفة بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بإنفاذ قوانين ومكافحة الإرهاب، وأصبحت

روما المركز الأوروبي للنشاط الإرهابي الفلسطيني في ذلك الوقت، اعتقد الموساد أن زعيتر مسؤول عن تهريب الأفراد والأسلحة واختيار الأهداف.

كما اشتبه الموساد في أن زعيتر كان العقل المُدبر لمحاولة زرع قُنبلة في سبتمبر على متن طائرة تابعة لشركة إل عال قادمة من روما، كانت لدى السُلطات الإيطالية شكوكها أيضاً، ففي أغسطس / آب، احتجزته الشرطة لفترة وجيزة فيما يتعلق بهجمات سبتمبر الأسود ضد شركات النفط التي تُتاجر مع إسرائيل.

غادر زعيتر المقهى وتوجه إلى منزله، وأجرى فريق المُراقبة اتصالاً لاسلكياً مع اثنين من رفاقهم مؤكدين اقتراب الهدف، صعد زعيتر إلى بهو مبنى شقته وكانت الإضاءة خافته وضغط على زر المصعد، لم ير القاتلين مُختبئين في الظل تحت الدرج حتى فات الأوان، أخرجوا مُسدسات بيريتا بكواتم صوت مُثبتة في البراميل وأطلقوا النار على زعيتر 11 مرة، اندفع للخلف بسبب تأثير الرصاص واستضم بصف من النباتات وسقط على الأرض، مُمسكاً بمخطوطة ألف ليلة وليلة، ومات هُناك على الأرض.

في غُضون ساعات، غادر جميع النُشطاء السبعة عشر من إيطاليا إلى إسرائيل، لم يتم القبض على أي منهم وسارت العملية كما هو مُخطط لها بالضبط.

كان زعيتر هو الأول فقط في قائمة طويلة جداً من المًقاتلين وموظفي مًنظمة التحرير الفلسطينية الذين كانوا على وشك الموت.

—

كان التغيير في موقف غولدا مائير تجاه الدول الأوروبية الصديقة فورياً وشديداً، ولدت في كييف وترعرعت في ميلووكي، ورأت العالم من منظور مباشر وأحياناً صارم: كانت الأشياء إما سوداء أو بيضاء، جيدة أو سيئة، في ذهن مئير، كانت هُناك صلة مباشرة بين أفعال الإرهابيين الفلسطينيين والفظائع التي ارُتكبت في الحرب العالمية الثانية: "أولئك الذين يؤذون اليهود أولاً ثم الشعوب الأخرى فيما بعد؛ هكذا كان الأمر مع هتلر، وهذا هو الحال مع الإرهابيين العرب"، قالت لناشر جديد يعمل صحفي في نيورك تايمز، آرثر سولزبيرجر.

كانت ستعلن بلا مبالاة أنها لا تفهم الكثير عن الشُؤون العسكرية والاستخبارات بالاعتماد على وزير الدفاع موشيه ديان، والوزير يسرائيل جليلي، ورئيس الموساد زفي زامير، لكن بعد مذبحة

ميونيخ أدركت بوُضوح أن إسرائيل لا تستطيع الاعتماد على دول أُخرى لحماية أمنها، ومواطنيها، وبدلاً من الإذعان لسيادة أي دولة، الآن ستقتل إسرائيل الناس أينما ومتى توصلوا إلى استنتاج أن ذلك ضروري، للحفاظ على الدم اليهودي.

كان لهذا التغيير في السياسة تأثير كبير على عمليات قيسارية، فقبل مذبحة ميونيخ، كانت عمليات القتل بأمر مائير محدودة للبلدان "المستهدفة"، تلك الدول التي كانت معادية لإسرائيل رسمياً، مثل سوريا ولبنان، لكن كان من الصعب على نُشطاء قيسارية قتل أي شخص في تلك البلدان بسبب البيئة الخطرة، إن استخدام أسلوب البندقية أو بندقية القنص التي تتطلب اتصالاً وثيقاً بالهدف لفتت الانتباه السريع دائماً من قبل السلطات المحلية، وحتى لو هرب القتلة بهدوء من مكان الحادث، فمن المُرجح أن يتم وضع ضوابط صارمة على الحدود ناجمة عن جريمة قتل بارزة قبل أن يتمكنوا من مغادرة البلاد، كان من المُرجح أن يموت قاتل إسرائيلي تم أسره في بلد مستهدف، وذلك بعد تعرضه للتعذيب الوحشي، ربما كانت عمليات القتل عن بعد أكثر أماناً، لكنها كانت أيضاً أقل فعالية وعرضة للعديد من المتغيرات، ومن المحتمل جداً أن تقتل الأبرياء أو تشوههم.

كان العمل في ما يسمى ببلدان القاعدة تلك التي تربطها علاقات ودية باسرائيل، والتي تشمل أوروبا الغربية كلها أكثر ملاءمة، فعلى أكثر تقدير قاتل يتم القبض عليه سيقضي عُقوبة السجن. علاوة على ذلك، طور قسم الكون تيفيل في الموساد والمسؤول عن الاتصال بهيئات المُخابرات الأجنبية، شبكة من العلاقات الوثيقة مع العديد من أجهزة المخابرات الأوروبية، والمعروفة بلغة الموساد باسم "الوسائد الناعمة" لأنها يُمكن أن توفر جهات اتصال محلية للمُساعدة في تسهيل الأمور مقابل خدمات، خلاصة القول هي أنه في أوروبا كان من الأسهل قتل رجل والإفلات بفعلته.

كان هناك الكثير من الرجال على قائمة القتل، تتألف قائمة الضربات الأولى من أحد عشر اسماً: وهم إرهابيون متورطون في مذبحة ميونيخ، سُرعان ما اتضح أنهم مُحاطون في دول عربية أو دُول أوروبا الشرقية، وسيكون من الصعب الوُصول إليهم، ومع ذلك بدأت الكثير من المعلومات تتراكم في غُضون ذلك حول أهداف أُخرى كانت أقل أهمية ولكنهم كانوا يقيمون في أوروبا، بعد ميونيخ أي شخص يشتبه الموساد في تورطه مع أيلول الأسود أو انتمائه إلى

منظمة التحرير الفلسطينية بشكل عام هدفاً شرعياً، وهذا ما جعل من قائمة الأهداف تطول أكثر.

قال أحد العاملين في قيسارية: "أردنا إحداث تأثير صاخب"، "اغتيال حقيقي من مسافة قريبة، من شأنه أن يُثير الخوف والرعشة، وهو الفعل الذي لو أنكرت إسرائيل أي علاقة به، سيكون من الواضح أن إصبع إسرائيلي ضغط على الزناد".

هذا الاصبع ينتمي الى الحربة، في منتصف سبتمبر 1972 ظهر تسفي زامير في مركز تدريب فريق الحربة، وقال للنشطاء: "**إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي وسوف نحصل على الأشخاص الذين فعلوا ذلك وستكون الذراع الطويلة للمكتب** ".

قال ناشط في قيسارية يُدعى كورتز: "**هذه الكلمات أثارت إحساساً بالفخر فينا**"، في غضون عام من ميونيخ قُتل 14 ناشطاً فلسطينياً.

كان قائد فرق الحربة وقائد بعض عملياتها هو نحميا ميري، أحد الناجين من المحرقة النازية لعائلة يهودية تقليدية في قرية دمبلين بجنوب بولندا، كان يبلغ من العمر اثني عشر عاماً عندما قام الجستابو بجمع يهود قريته ونقلهم إلى غابة قريبة، وأمر اليهود بحفر حُفرة وأجبروا على الاصطفاف على طول حافتها، ثم تم إطلاق النار عليهم جميعاً، ولأن الطفل ميري قوي الحيلة، غاص في الحُفرة لجزء من الثانية قبل إصدار الأمر بفتح النار ولم يلاحظ الألمان ذلك، وبقي بهدوء بين جُثث عائلته وجيرانه حتى انتهى القتل، عندما رحل الألمان زحف من القبر الجماعي غارقاً في الدماء.

في وقت لاحق من الحرب بعد أن تم القبض على ميري وإجباره على العمل الشاق في مهبط للطائرات، أنقذ حياة ضابط كبير في وزارة الحرب النازية عندما تحطمت طائرته على مُدرج الطائرات، حيث صعد ميري إلى الطائرة المحترقة وأنقذ الطيار الفاقد للوعي، وبالتالي اشترى لنفسه سنوات من الحماية، بعد الحرب هاجر إلى فلسطين على متن سفينة الهجرة غير الشرعية الشهيرة "الخُروج"، حارب في حرب الاستقلال عام 1948 وتم أسره، ونجا مرة أخرى بأعُجوبة بعد أن بدأ جُندي أردني في جز أسرى الحرب.

بعد ذلك انضم إلى الشاباك وخدم في الحرس الشخصي لبن غوريون، لاحظ زملائه ورؤسائه أنه كان فاترا وليس لديه أي مخاوف أخلاقية بشأن قتل أي شخص يؤذي اليهود.

يتذكر أحد أعضاء فريقه: "**اعتاد نحميا الاستيقاظ في الصباح حاملاً سكيناً بين أسنانه**".

كان ميري عضو في فريق العمليات المُشترك بين الموساد والشين بيت، وشارك في اختطاف الإسكندر يسرائيل، المخادع الذي حاول بيع أسرار إسرائيل، وشارك في حملة اغتيال وترهيب العُلماء النازيين الذين يصنعون صواريخ ناصر، في وقت لاحق تم نقله إلى قيسارية وتم تعيينه قائداً لفريق الحربة، قال إيتان هابر أحد أشهر الصحافيين في إسرائيل، والذي شغل منصب رئيس مكتب إسحاق رابين، إنه وبخ زامير ذات مرة لوضعه ميري في موقع الحربة، قال هابر إنه كان غير أخلاقي، "استغلال أهوال الهولوكوست من أجل خلق آلة قتل".

لكن لم يكن لدى ميري أي مشكلة في أن يكون في الحربة، ولا يندم على ما فعله أثناء خدمته في الوحدة على مر السنين، سأل الأشخاص الذين يعرفون حياته السرية عما إذا كانت تُطارده صور الأشخاص الذين قتلهم، أو إذا كان لديه كوابيس عنهم، فأجاب ميري: "أحلم بالليل بأسرتي"، "أحلم بوادي الذبح هناك، بجوار ديمبلين في بولندا؛ أحلم بـ "ميزلمان" (وهو مُصطلح استخدم لوصف سجناء الحرب العالمية الثانية في معسكرات الاعتقال النازية)، هذه هي الأشياء التي تزعجني، ليس لدي مُشكلة مع أي شخص قتلته، كل واحد منهم كان يستحق رصاصة في الصدر واثنتين في الرأس".

كان ميري أحد الرجال الذين أطلقوا النار على زعيتر حتى الموت في روما، بعد أسبوعين تم تحديد الهدف التالي: محمود الهمشري الرجل الثاني المزعوم في أيلول الأسود.

ألقى الموساد باللوم عليه لاستخدام البريد الجوي الدولي لزرع القنابل، حيث فجروا قنابل على الطيران من أوروبا إلى إسرائيل، انفجرت إحدى هذه القنابل في فبراير 1970 بعد وقت قصير من إقلاعها من فرانكفورت في رحلة متجهة إلى فيينا، لكن الطيار تمكن من الهبوط اضطرارياً، كما حاول طيار الرحلة 330 من زيورخ إلى هونج كونج مع توقفه في تل أبيب الهبوط بعد انفجار قُنبلة في مقصورة الشحن الخاصة به لكنها تحطمت في غابة، قُتل جميع الرُكاب وأفراد الطاقم السبعة، اعتقد الموساد أن همشري كان على صلة بمحاولة فاشلة لاغتيال بن غوريون أثناء زيارته للدنمارك في مايو 1969 وأن شقته في باريس كانت بمثابة ترسانة أسلحة أيلول الأسود.

اكتشف نشطاء الحربة الذين كانوا يُراقبون همشري في باريس أنه قضى جزء كبير من وقته مع زوجته وطفلته في المنزل، والباقي يقابل أشخاص مختلفين، معظمهم في الأماكن العامة المُزدحمة.

كونك محاطاً بالعديد من الأبرياء ذلك يُمثل مُشكلة وكانت مائير شديدة الحساسية تجاهها، دعت هراري إلى منزلها وأعدت له كوبا من الشاي، قالت: "**مايك، تأكد من عدم تساقط شعرة من رأس مواطن فرنسي ولا حتى شعرة واحدة هل تفهمني؟**"

على الرغم من استعدادها الجديد لقتل الناس في أوروبا، ما زالت مائير تُدرك أنه يجب اتباع بروتوكولات معينة، كما أنها ظلت غير مُرتاحة لتحملها وحدها المسؤولية عن الحُكم على الرجال بالإعدام، كلما طلبت منها زمير التوقيع على "الصفحة الحمراء" حيث تم استدعاء أمر القتل بسبب لون الورقة المكتوبة عليها، كانت تعقد اجتماعاً لمجموعة مُختارة من وزرائها للتداول معها بما في ذلك وزير الشؤون الدينية زيراش ورهافتيج ،الذي كان يمسح كل مهمة بختم ديني للموافقة.

إذاً كان يجب قتل الهمشري عندما يكون بمفرده داخل شقته، وضعت ميري ورومي الخطة التشغيلية، التي دعت إلى مشاركة وحدة إضافية خروجاً عن البروتوكولات المعتادة في قيصرية، والتي عملت عموماً كوحدة مستقلة داخل الموساد.

في 3 كانون الأول (ديسمبر) اقتحم فريق من قوس قزح (كيشيت بالعبرية، الاسم الجديد لـ العملاق، الوحدة المسؤولة عن الاختراق السري) شقة همشري والتقطوا عشرات الصور، مع التركيز بشكل خاص على منطقة عمله، ثم نُقلت تلك الصور جواً إلى إسرائيل ودرسها يعقوب رحافي، في الدائرة الفنية للموساد، لاحظ أن الهاتف كان على قاعدة رخامية، صنع هو وطاقمه قاعدة متطابقة محشوة بالمتفجرات.

في 7 كانون الأول (ديسمبر) اتصل رجل قدم نفسه على أنه صحفي إيطالي يُدعى كارل، لكنه في الواقع كان نحميا ميري، اتصل هاتفياً مع همشري وأقام مُقابلة في مقهى بالقُرب من منزله في اليوم التالي أثناء إجراء المقابلة اقتحم فريق "قوس قزح" مرة أخرى منزل همشري واستبدل قاعدة الهاتف، بعد وقت قصير من عودة الهمشري إلى منزله، رن هاتفه، "هل هذا السيد الدكتور همشري؟" وعندما جاء التأكيد تم الضغط على زر على مُفجر بعيد وانفجرت

القاعدة الرُخامية، وقال كيرتس، الذي شارك في العملية إن همشري "تقطعت جُثته إلى نصفين"، وتوفي بعد عدة أسابيع في أحد مُستشفيات باريس.

—

كرس موظفو الموساد وأمان الذين يُنسقون عمليات القتل المُستهدف وقتاً طويلاً وتفكيراً لأخلاقيات كل عملية، كان من المهم أن يُنظر إلى مثل هذه الأعمال على أنها أخلاقية، على الأقل في نظر القتلة أنفسهم، حتى بعد أربعين عام وصف هراري وعُملائه بأن هناك قناعة عميقة لديهم في كل من الغاية والوسائل، "في قيسارية لم يكن هُناك قتلة بالولادة، قال لي هراري: "لقد كانوا أناس عاديين مثلك ومثلي، لو لم يأتوا إلى قيسرية، لما وجدتهم يعملون كقاتلين مُتعاقدين في العالم الخفي، مُحاربي قيسارية في كل مهمة لهم بأي دولة، كانوا يعلمون أن شخصاً ما يجب أن يموت لأنه قتل يهوداً وإذا استمر في العيش فسيقتل المزيد من اليهود، وبالتالي فعلوا ذلك عن قناعة، لم يكن لدى أي منهم أي شك حول ما إذا كان يجب القيام بذلك أم لا، لم يكن هناك حتى أدنى تردد في القتل".

عرف رئيس الموساد زامير أن دعم مئير كان مهماً لمُحاربيه، كان يعرف كيف يعمل عقل رئيس الوزراء، لذلك كان يجلب معه دائماً واحداً أو اثنين من عملاء الحربة، عندما التقى بها أخبرها أحدهم عن مدى أهمية معرفة أن قائدهم مئير، هو "**شخص يتمتع بعالم من القيم الأخلاقية وحسن التقدير،" وبسبب ذلك يشعر القتلة براحة أكبر مع كل ما فعلوه، حتى لو كانت هُناك علامات استفهام في بعض الأحيان".**

ابتسمت مئير من السعادة، وقالت بعد اجتماع آخر مع محاربي قيسرية: "وأنا أجلس في معهم يُراودني إحساس مليئة بالدهشة لشجاعتهم ورباطة جأشهم وقدرتهم على تنفيذ المهام، إنهم يجلسون بين فكي العدو، لا أستطيع أن أشرح لنفسي كيف أنعم علينا نحن اليهود بمجموعة مثل هذه ".

على الرُغم من هذا الإعجاب المتبادل والاقتناع المُشترك في أخلاقيات أفعالهم، كان هُناك في الواقع عدد من الأسئلة حول الدوافع وراء العديد من عمليات القتل المُستهدف بعد ميونيخ، وما إذا تم اختيار الأهداف المُناسبة.

قال ضابط في قيسرية: "**بعض العرب الذين قتلناهم في تلك الفترة لم نكن نعرف لماذا قتلناهم، وهم أيضاً لا يعرفون حتى يومنا هذا لماذا ماتوا، زعيتر لا علاقة له بقتل الرياضيين، ربما باستثناء أن طائرتهم حلقت فوق روما في طريقها إلى ميونيخ**".

اعترف مسؤول كبير في الموساد نظر في ملف زعيتر بعد فوات الأوان بأن "قتله كان خطأً فادحاً"، في الواقع أصر الفلسطينيون منذ فترة طويلة على أن زعيتر كان مُثقفاً مسالماً يمقت العنف، (تم التأكيد من ذلك وتم تقديم ادعاءات مُماثلة حول كُل هدف آخر من أهداف الحرية تقريباً من تلك الفترة).

لكن بالنسبة للبعض لم يكن ذلك مهماً، قال ضابط في أمان تعامل مع تحديد أهداف لضربات الموساد: "لنفترض أنه زويتر كان مُجرد مُمثل منظمة التحرير الفلسطينية في روما، وهو أمر لا خلاف حوله"، لقد نظرنا إلى التنظيم ككيان واحد، ولم نقبل التمييز أبداً بين الأشخاص الذين تعاملوا مع السياسة وأولئك الذين تعاملوا مع الإرهاب، كانت فتح مُنظمة إرهابية كانت تقتل اليهود، يجب على أي شخص كان عضوا في مثل هذه المُنظمة أن يعرف أنه هدف مشروع للموساد".

في الواقع من الصعب أن نُحدد بأثر رجعي ما إذا كان قتل الزعيتر خطأً أم جزء من نهج كان له ومازال، العديد من الانتقادات، أتباع المخابرات الإسرائيلية يعتبرون كل عضو في منظمة إرهابية حتى لو لم تكن وظيفته مُرتبطة بشكل مباشر الإرهاب هو هدف مشروع.

كانت المُشكلة المتأصلة في هذا النهج هي أنه سمح للموساد بقتل الأشخاص الذين يستطيع قتلهم، وليس بالضرورة أولئك الذين اعتقدت الوكالة أنه في الدائرة، على الرغم من أن الموساد اعتبر حملة القتل المستهدف ناجحة، إلا أنه بحلول أوائل عام 1973 كان من الواضح أنها لم تُلحق الضرر بالمُستويات العُليا في مُنظمة التحرير الفلسطينية، كانت هذه الأهداف تحتمي في بيروت، كان هذا هو المكان الذي سيتعين على إسرائيل أن تضربه وستكون هذه مُهمة أكثر صعوبة.

في 9 أغسطس 1972 وصلت رسالة مُشفرة في قاعدة أمان المسؤولة عن الاتصالات مع وكلاء إسرائيل في الشرق الأوسط، هذه القاعدة التي تقع على سلسلة من التلال تطل على البحر وتحيط بها الكثبان الرملية، في واحدة من أجمل المناظر الطبيعية في إسرائيل، تم توظيف المئات من الجُنود هناك، لتلقي وفك تشفير وترميز ونقل الرسائل السرية.

نصت الرسالة في تلك الليلة على "نموذج يطلب اجتماعاً عاجلاً".

كان النموذج هو الاسم الرمزي لكلوفيس فرانسيس، أحد أكثر الوكلاء قيمة على الاطلاق في الموساد، والذين عملوا في لبنان، لقد كان رجلاً لبنانياً مهذباً من عائلة مسيحية ثرية ومترابطة، وقد خدم إسرائيل بأمانة لعقود، كان يُرسل رسائل مُشفرة منذ الأربعينيات، عندما اعتمد على الحمام الزاجل، باستخدام كاميرا مُثبتة في باب سيارته زود المخابرات الإسرائيلية بحوالي 100 ألف صورة على مر السنين، وثّق كُل رُكن من أركان البلاد، وزار إسرائيل بشكل دوري، مستخدماً غواصة أو سفينة بحرية لاطلاع كبار مسؤولي المخابرات، لكنه لم يطلب الدفع، وقال إنه يتجسس لأنه "كنت أؤمن بتحالف بين لبنان وإسرائيل، ولاحقاً، لأنني رأيت أنشطة الفلسطينيين في لبنان خطراً كبيراً على بلدي".

بعد ثلاثة أيام من رسالته التي طلبت عقد اجتماع، انزلق زورق مطاطي في عتمة الليل إلى شاطئ بالقُرب من صور في جنوب لبنان، صعد الهدف ونُقل إلى زورق صاروخي على البُخار إلى حيفا، كان كبار ضُباط الوحدة 504 ينتظرون هناك لسماع ما سيقوله، العميل لم يخيب الظن، وأحضر معه عناوين منازل أربعة مسؤولين كبار في منُظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، وهُم، محمد يوسف النجار رئيس جهاز استخبارات منظمة التحرير الفلسطينية، الذي شارك في عمليات التخطيط والموافقة على عملية ميونيخ؛ كمال عدوان مسؤول العمليات السرية لفتح داخل اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة، كمال ناصر المُتحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وأبو جهاد الرجل الثاني في قيادة عرفات، عاش الثلاثة الأوائل بالقرب من بعضهم البعض في مبنيين شاهقين في شارع فردان.

تم نقل المعلومات إلى رومي ضابط استخبارات قيسارية، وعقد سلسلة من الاجتماعات في مقر قيسارية في 2 شارع كابلان في تل أبيب، بالإضافة إلى المعلومات حول مساكن رجال منظمة التحرير الفلسطينية، تم تجميع كميات كبيرة من المعلومات عالية المستوى على أهداف

إضافية لمنظمة التحرير الفلسطينية في ورش الأسلحة ومراكز القيادة والمكاتب في لبنان، قال هراري إنه يعتقد أن "هناك عملية قتل مستهدف هُنا".

ولكن لا يزال هُناك الكثير من الثغرات في المعلومات حتى يتمكن من المضي قدماً، قال هراري: "لقد كانت قاعدتي، أنه إذا لم تكن هُناك معلومات استخباراتية فلن تكون هناك عملية"..

من أجل سد هذه الثغرات في المعلومات، قررت قيسارية إرسال ناشطة إلى بيروت.

يائيل (يمكن نشر اسمها الأول فقط) ولدت في كندا عام 1936 ونشأت في نيو جيرسي في أسرة يهودية دون أي صلة بإسرائيل، في وقت لاحق تطورت علاقة عاطفية تجاه الدولة الفتية، وقررت أن "الصهيونية الحقيقية تعني الهجرة إلى إسرائيل والتخلي عن وسائل الراحة في أمريكا" في ذلك الوقت قبل حرب الأيام الستة، "أثارت إسرائيل في داخلي تعاطفاً كونها المستضعف، منذ الطفولة، كنت منجذبة إلى الأشخاص المعرضين للخطر، والذين يتعرضون للتمييز"، بعد الهجرة والعثور على عمل لأول مرة كمُبرمجة كمبيوتر، تم تجنيدها في النهاية من قبل قسم موظفي الموساد في دورة تدريبية طويلة وعُينت في قيسارية، بمرور الوقت أصبحت معروفة بأنها عاملة موهوبة وباردة بشكل استثنائي، استخدمت جاذبيتها الهادئة ومظهرها الجذاب كسلاح قوي، عندما أرسل هراري يائيل إلى بيروت، قال لها: "بأنوثتك ولطفك وجمالك، من يشك فيك؟"

يائيل التي تحمل الاسم الرمزي نيلسن في الموساد ومساعدوها قاموا بصياغة قصة تمويه لشخص جاء إلى لبنان لكتابة مُسلسل تلفزيوني عن حياة السيدة هيستر ستانهوب، وهي امرأة بريطانية أرستقراطية تحدت القيود المحافظة في القرن التاسع عشر وأصبحت ناشطة سياسية واجتماعية رائدة. سافرت ستانهوب كثيراً وأمضت سنواتها الأخيرة في لبنان وسوريا.

وصلت يائيل إلى لبنان في 14 كانون الثاني (يناير) 1973 وقامت بتسجيل الوصول في فندق لو بريستول، وبعد أيام قليلة استأجرت شقة في مبنى فخم مُقابل المبنيين اللذين تعيش فيهما الأهداف الثلاثة، سُرعان ما أقامت صداقات مع كُل من السكان المحليين والأجانب في بيروت، الذين وافقوا على مُساعدتها في بحثها عن المُسلسل التلفزيوني عن الليدي ستانهوب، مكنتها قصة التمويه الخاصة بها من التنقل بحُرية وقدمت ذريعة مشروعة للسفر إلى أي مكان في البلاد تقريباً.

بدأت تتجول في مناطق الهُبوط المحتملة والمباني المُستهدفة، وهي تحمل حقيبة يد بها كاميرا بداخلها قامت بتشغيلها عن طريق الضغط على زر في الخارج، كتبت يائيل لاحقاً في إحدى المجلات: "كل التفاصيل كانت مهمة"، وصف لروتين النهار والليل في الشقق الثلاث، عندما تُضاء الأنوار وتنطفئ، وما يُمكن رُؤيته من خلال النوافذ في أي وقت، وتفاصيل عن سياراتهم، ومن جاء لاستدعائهم وما إذا كان المكان به حراسة".

مع عمل يائيل الاستطلاعي المكثف في متناول اليد، عرف الموساد الآن من سيضربهم ومكان ضربهم، ولكن لا تزال هُناك عقبات هائلة، كانت منازل كبار رجال مُنظمة التحرير الفلسطينية في كُتل مكتظة بالسكان في بيروت، لذا لا يمكن استخدام المُتفجرات، فاحتمال قتل المدنيين الأبرياء كان كبيراً بشكل غير مقبول، يجب أن تكون هذه ضربات قريبة، لكن المُشكلة كانت أن لبنان كانت دولة مستهدفة مُعادية لإسرائيل، حيث سيواجه القاتل الأسير التعذيب والموت بالتأكيد، وهذا يعني أن مُحاربي قيسارية الذين تم زرعهم بالفعل في بيروت لم يتم تدريبهم على القتال بل على المُراقبة العميقة طويلة المدى، وكان محاربو الحربة، الذين يُمكنهم تنفيذ عملية قتل نظيفة، يفتقرون إلى قصص التغطية المُقنعة للوصول إلى بلد مُستهدف والبقاء هُناك لفترة كافية للقيام بالمهمة، حتى لو فعلوا ذلك، فإن الخروج من البلاد بُسرعة بعد إصابة ما يصل إلى سبعة أهداف من مُنظمة التحرير الفلسطينية وثلاثة رجال وأربع مُنشآت سيكون مستحيلاً.

توصل رومي وهراري إلى نتيجة حتمية: قيسارية لا تستطيع تنفيذ مثل هذه المهمة بمفردها، الجيش الإسرائيلي فقط من كان لديه القوات والموارد اللازمة لعملية مداهمة ناجحة، كان هذا اقتراحاً جديداً –حتى تلك اللحظة– فيما لم يتعاون الموساد والجيش الإسرائيلي أبداً في عمليات الهُجوم على أرض الواقع لتصورهم أنها تحمل مخاطر خاصة، فيما نفت إسرائيل بشكل روتيني مسؤوليتها عن إصابات الموساد، ففي اللحظة التي ستبدأ فيها قوة عسكرية كبيرة في قتل الناس وحتى لو لم يكن الجنود يرتدون الزي العسكري، فسيكون من المُستحيل على إسرائيل أن تدعي أنها لم تشارك.

كانت الخطة الأولية للجيش الإسرائيلي عبارة عن خلق فوضى عارمة في مكان العملية وهذا يستغرق وقتاً طويلاً، بحيث تطلب مجموعة من مائة رجل اقتحام المباني الشاهقة ودفع السكان إلى الشارع، فيما سيتم تنظيم نوع من تشكيلة الشرطة من أجل تحديد الأهداف الذين سيتم قتلهم بعد ذلك.

كان دافيد العازر، رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، لديه شكوك جدية بشأن الخطة، وسأل إيهود باراك قائد وحدة استطلاع الأركان العامة في جيش الدفاع الإسرائيلي سيريت ماتكال، عن بعض الأفكار الجديدة.

تم إنشاء فرقة سيرت متكال في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي بهدف إنشاء قوة النخبة القادرة على الاختراق السري لأراضي العدو، والتي "سيتم تدريبها على تنفيذ عمليات قتالية وتخريب وجمع معلومات استخباراتية "على حد تعبير آمر تأسيسها" حتى السبعينيات من القرن الماضي تخصصت الوحدة بشكل أساسي في الاختراقات العميقة خلف خطوط العدو من أجل تثبيت أجهزة استماع ومُراقبة متطورة للغاية، وكانت ولا تزال تُعتبر أفضل وحدة في جيش الدفاع الإسرائيلي، حيث تتلقى دائماً كريم المُجندين الجدد، الذين يخضعون بعد ذلك لدورة تدريبية لمدة عشرين شهراً، حيث صرح البعض بأنها الأصعب في العالم.

إيهود باراك الذي كان أول ضابط نشأ في سايريت وأصبح قائدها في عام 1971، كيبوتسبورن، قصير القامة، لكنه رياضي ومفتول العضلات، جسد باراك جميع الصفات الخاصة التي تتطلبها الوحدة، لقد كان أيضا سياسي ماهر يعرف كيف يتعامل مع رؤسائه، وكان طموح بلا حدود ويحافظ دائماً على رباطة جأشه، منذ اللحظة التي تولى فيها القيادة دفع باراك إلى أن تكون سايريت ماتكال جزءاً أكبر من عمليات الجيش الإسرائيلي، بما يتجاوز جمع المعلومات الاستخبارية خلف خطوط العدو.

لذلك عندما طلب إلعازر مساعدته في التخطيط لاغتيال بيروت، قال أحد ضباطه: "انتشرت نظرة رضا على وجه باراك مثل نظرة على وجه طاهٍ بدأ بطهي طبق غير عادي" فحص باراك المعلومات الاستخباراتية الكاملة، ونقاط الحبكة على خريطة بيروت، وخطة المئة رجل السابقة، قال باراك لإيلعازر: "يا رئيس: هذا ليس جيداً"، "قوة من هذا الحجم تدخل بيروت وقد تضطر إلى قضاء وقت طويل هناك، حتى يتم الانتهاء من" تشكيلة الشرطة، سُتشارك في تبادل إطلاق النار ويمكن أن يكون هناك العديد من الضحايا والقتلى، من جانبنا ومن جانبهم وضحايا من المدنيين أيضاً ".

سأله إلعازر: كيف تفعل ذلك؟

أجاب باراك: "بمُجرد التأكد من أن الأهداف الثلاثة في المنزل، سندخل المدينة بقوة صغيرة جداً، لا تزيد عن خمسة عشر رجلاً، ونصل إلى الشقق ونقتحمها ونُطلق النار عليهم وننسحب،

كل ذلك في بضع دقائق، بالتخطيط والوسائل الصحيحة والتدريب المُناسب، يُمكننا الدخول والخروج قبل وصُول قوات العدو الإضافية إلى الموقع، وبحلول الوقت الذي يفهمون فيه ما حدث سنكون قد رحلنا، الأهم: الحفاظ على عُنصر المُفاجأة ".

ابتسم إلعازر وأعطى باراك الضوء الأخضر لبدء التخطيط.

بعد أيام قليلة في خُطة عمليات ربيع الشباب تم تحديد غارة بيروت، وتتلخص في وحدة الكوماندوز البحرية، شايطيت13 ، ستنزل بفريق المُداهمة على الشاطئ، حيث ينتظر عُملاء قيسارية مع السيارات المُستأجرة.

ثم يقود فريق المُوساد القوات إلى شارع فردان، حيث يفاجئون قادة فتح في شققهم ويقتلونهم، ثم يعودون إلى الشاطئ ويهربون إلى إسرائيل، في الوقت نفسه ستُهاجم فرق كوماندوز أُخرى أربعة أهداف مُختلفة في لبنان.

كان من الواضح أنه بعد العملية سيكون من الصعب للغاية تنفيذ عملية أُخرى، وبالتالي أراد الإسرائيليون ضرب أكبر عدد ممكن من الأهداف، قال باراك: إن إحساسه هو أن إيلعازر لم يكن واثقاً من أن السايرت ستنجح في ضرب كبار رجال مُنظمة التحرير الفلسطينية الثلاثة، وأنه يُريد "تقليل خطر الفشل بوضع أهداف إضافية".

كان هذا تمريناً معقداً حيث تضمن التنسيق والتكامل بين الوحدات المُختلفة، لذلك أشرف إلعازر على بعض الدورات التدريبية بنفسه، وأثار القلق من أن تحرك مجموعة من الرجال في مُنتصف الليل عبر وسط بيروت قد يثير الشكوك، واقترح أن يرتدي بعض الرجال ملابس نسائية، قال إلعازار مُبتسماً: "بهذه الطريقة ستتمكن أيضاً من إخفاء المزيد من الأسلحة".

بعض أعضاء سايريت لم يُحبذوا مشاركة قائدهم للوحدة في عملية تجاوزت جمع المعلومات الاستخبارية، قبل المداهمة اندلع جدال داخلي، جادل اثنان من ضُباط باراك، أميتاي نحماني وأميت بن حورين، وكلاهما من أعضاء الكيبوتس في حركة هاشومير هاتزاير اليسارية، بأن الوحدة لم يتم تأسيسها كفرق موت وأنهم لم يكن لديهم نية أن يُصبحوا قتلة، حاول باراك إقناعهم لكنهم طلبوا رؤية سُلطة أعلى منه، وعقد باراك لقاء مع رئيس الاركان العازر الذي تحدث إليهم عن أهمية الحرب على الارهاب وحقيقة أن الدم اليهودي قد سفكته حركة فتح في اسرائيل

وفي الخارج، قال إنه من واجبهم الرد "بقوة وصرامة"، وافق الاثنان على التفسير وتم تعيينهما للفريق الرئيسي،

وقال باراك إنه رأى الحُجة على أنها "دليل على قوة الوحدة، ليس فقط الجنود المُحترفين المُتفوقين، ولكن أيضاً الرجال ذوي الآراء والرجال الذين يطرحون الأسئلة، والذين لا يكتفون بمُجرد أمر التنفيذ ولكنهم يطالبون أيضاً بمعرفة المنطق وراء ذلك".

بينما كان الكوماندوز البحري ووحدة سيرت و شايطيت 13 يتدربون على الإنزال، واصلت يائيل جمع المعلومات الاستخبارية، اختارت يائيل موقعاً مُناسباً لهُبوط الشاطئ الخاص بفندق الرمال، حيث تم اختياره لأن الوصول كان مقيداً لنُزلاء الفُندق وكان قريباً من موقف السيارات الخاص بالفندق، ثم تجولت في الشوارع المجاورة، وهي امرأة صغيرة ترتدي تنورة طويلة ونظارة شمسية وتحمل حقيبة يد، صورت يائيل الطريق الكامل لفرقة المُداهمة على الشاطئ، والشوارع التي كانوا سيسيرون فيها، وصندوق الهاتف الذي ربما يتعين عليهم تفجيره حتى لا يمكن استدعاء التعزيزات، والمباني في شارع فردان، والبواب عند المدخل.

جمعت يائيل تفاصيل حول مركز الشرطة القريب، والذي كان على بعد حوالي ستمائة قدم فقط من المنازل السكنية، والدوريات التي أجرتها الشرطة والمدة التي سيستغرقونها للوُصول إلى مكان الحادث إذا تم الاتصال بهم.

قبل إبلاغ رئيس الأركان بأن القوة كانت جاهزة للانطلاق، أصر العميد إيمانويل شاكيد رئيس المُشاة والمظلات والقائد العام للعملية، على مقابلة أفراد قيسارية الذين كانوا سيقودون رجاله من الشاطئ إلى الأهداف والعودة مرة أخرى، جاء زمير وهراري ورومي مع فريق قيسارية للقاء إلعازار وشاكيد وباراك في مُنشأة تدريب سايريت.

ووصفت شاكيد الاجتماع بأنه "لا يقل عن كارثة"، طُلب من فريق قيسارية تقديم أنفسهم ووصف تجربتهم القتالية السابقة، وتم سؤالهم "متى كانت آخر مرة حملت فيها مسدساً واستخدمته؟" ما أرعبه أن مُعظمهم لم يحمل سلاحاً قط، وقد خدم بعضهم فقط في الجيش الإسرائيلي، أولئك

الذين حصلوا على نوع من التدريب العسكري لم يفعلوا سوى الحد الأدنى المطلق ويفتقرون إلى أي نوع من المهارات القتالية.

انفجرت شاكيد بغضب واستدارت إلى زامير قائلة: أخرج عصافيرك من الغرفة، أخبر شاكيد هراري أنه "لم يكن مستعداً للسماح للعملية وبالمضي قُدماً مع هؤلاء الأشخاص، الذين ليسوا جنوداً مُقاتلين".

رد هراري غاضباً: "لو كانوا جنوداً مقاتلين لما كُنا بحاجة إلى جيش الدفاع الإسرائيلي على الإطلاق"، تدخل إيلعازر وقبل وعد زامير بأنهم "**مُحاربون من أعلى المستويات في الساحة التي يُطلب منهم العمل فيها، لتمكين جنود الجيش الإسرائيلي من القيام بعملهم**".

في 6 أبريل/ نيسان، ذهب عناصر قيسارية الستة إلى بيروت من مطارات أوروبية مُختلفة حاملين جوازات سفر ألمانية وبلجيكية وبريطانية مزورة، قاموا بتسجيل الوصول بشكل مُنفصل في فُندق الرمال، واستأجروا سيارات كبيرة أمريكية الصُنع، وأوقفوها في ساحة انتظار الفندق.

بعد ظُهر يوم 9 أبريل / نيسان، نُقلت القوات الإسرائيلية في حافلات إلى قاعدة البحرية الإسرائيلية في حيفا، في التوصية النهائية قالت لهم شاكيد: "**لا تطلقوا النار على هدفكم وتغادروا، لا تغادر الشقة إلا بعد أن تتأكد من أنه لن يقوم مرة أخرى** ".

في الساعة 4 مساءً وفي البحر الأبيض المتوسط الهادئ، أبحرت ثمانية زوارق صواريخ إسرائيلية باتجاه الشمال اثنا عشر ميلا قُبالة بيروت، أوقفوا محركاتهم وأسقطوا المرساة، في الخامسة مساءً التقى أحد نُشطاء قيسارية مع ياعيل في فُندق الفينيقيين، وأكدت أن الأهداف الثلاثة كانت في المنزل، وافترقوا وأرسل الراصد القوة المنتظرة: "الطيور في أعشاشها".

نزل تسعة عشر زورق مطاطي كل منها مُحملة بالجنود، واحد وعشرون من سايريت ماتكال، وأربعة وثلاثون من الكوماندوز البحري، وعشرون جندياً من وحدة الاستطلاع المظلي، تم دعم وحدات النُخبة القتالية هذه بثلاثة آلاف فرد إضافي، كانت واحدة من أكبر عمليات القتل المُستهدف في القرن العشرين إن لم تكن أكبرها، كان هراري وزامير ورومي وإليعازر ووزير الدفاع دايان في مُخبأ تحت كيريا سارونا، حي تل أبيب تمبلر القديم الذي كان يضم قيادة الجيش الإسرائيلي، يراقب العملية، أيضا في بور العبرية لـ "الحفرة"، كما يُعرف المخبأ بشكل

غير رسمي كان رئيس أمان إيلي زيرا، يعلم أنه على الرغم من تعبئة البحرية الإسرائيلية بالكامل تقريباً ، فإن ربيع الشباب كان "**عملية لم يكن هناك خيار إنقاذ لها**".

زحفت القوارب نحو أضواء بيروت، عندما وصلوا إلى الشاطئ حمل رجال شايطيت13 أعضاء مجموعة المُداهمة إلى أرض جافة حتى لا يبتلوا ولن يفسد تنكرهم مع الحرص على انتحال الشخصية بشكل كبير في الفريق، كان عناصر الموساد ينتظرون في موقف السيارات التابع للفُندق.

باراك التي كانت ترتدي زي إحدى النساء في الفريق، كانت في المقعد الأمامي لإحدى السيارات الثلاث، وقالت "اذهب!" لكن لم يحدث شيء، كان سائق الموساد يتصبب عرقا وجسمه كله يرتجف، اعتقدت باراك أنه إما مريض أو مُصاب بالحُمى، لكنه كان خائفا فقط، اعترف "**لم أذهب إلى أي مكان حيث يوجد إطلاق نار**"، قمت باستطلاع آخر للمنطقة، ويقوم اثنان من رجال الشرطة مُسلحين ببنادق رشاشة بدوريات في الشارع القريب من المباني " قامت باراك وموكي بيتسر، وهم مقاتلي سايريت منذ فترة طويلة بتهدئة السائق وقالا له بأنه لن يكون هُناك إطلاق نار.

"اذهب!" كررت باراك أمرها، بعد أن قرر عدم إبلاغ شاكيد عن الشرطة، التي بقيت في زورق القيادة الصاروخي خوفاً من إلغاء العملية.

السيارات الثلاث دخلت حي رملة البيضاء الراقي في بيروت، على بُعد شارعين من الهدف، نزل الفريق وبدأ في المشي على شكل نسق مُعين يقترنان معا، كان الوقت مُتأخراً، حوالي الساعة 11 مساءً، لكن هُناك عدد قليل من الناس في الشارع، كان هناك اثنان من رجال الشُرطة المُسلحين يقفان هناك، كان الملل والتدخين يُسيطر عليهم وتجاهلوا الأزواج الذين مروا بجانبهم.

وضع موكي بيتسر ذراعه حول باراك، وكان الاثنان مُجرد زوجين آخرين في نُزهة رومانسية، همس بيتسر لباراك: "إنه يذكرني بروما".

في أحد المباني كان النجار نائما في المبنى الآخر، في شقتين منفصلتين كان الاثنان الآخران، عدوان وناصر نائمين عند مداخل المبنيين، انفصل الزوجان وقسمت القوة ثلاثة تفاصيل لكل من الأهداف الثلاثة وأخرى بأمر من باراك تشمل طبيب لتغطية الشارع.

كان حُراس مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين كانوا يتوقعونهم في ردهات الكُتل السكنية نائمين في سياراتهم، وبدأ الجنود السير دون عوائق، في صعود الدرج، وعدوا الرحلات الجوية لأنفسهم أثناء صعودهم حتى لا يقتحموا الشقق الخطأ، عندما وصلت كُل الفرق إلى هدفها، اتخذ الرجال مواقعهم ووضعوا عبوات ناسفة صغيرة بجوار الباب، ونقر كُل قائد ثلاث مرات على ميكروفون الراديو الخاص به، عندما سمع باراك النقرات الثلاث من كل من الفرق الثلاثة، أجاب بخمس نقرات، وهو ما يعني "تنفيذ"، في الوقت نفسه أشار لشاكيد أن الهجمات الأُخرى في أماكن مُختلفة في لبنان يمكن أن تبدأ، وتطلب الحفاظ على عُنصر المفاجأة بأن يتم اختراق الشقق قبل أن تبدأ.

تسببت العُبوات الناسفة الصغيرة في فتح الأبواب الثلاثة، وقُتلت امرأة حيث استيقظت واختلست من فتحة بابها عندما فتح الانفجار بابها أيضاً، خرج النجار من غُرفة نومه واستوعب ما يحدث، وحاول حبس نفسه في غُرفة أخرى، قام بيتسر برش الباب بنيران آلية مما أدى إلى مقتله هو وزوجته، الهدف الثاني كمال ناصر، اختبأ تحت سريره وأطلق النار من مسدسه فأصاب أحد الإسرائيليين في ساقه، قلب المغيرون السرير ورأوا ناصر وقتلوه بنيران طويلة.

داخل الشقة الثالثة خرج كمال عُدوان من بابه حاملاً بندقية AK-47 في يديه، لكن يبدو أنه كان مرتبكاً لرؤية ما يبدو وكأنه رجل وامرأة يواجهانه وتردد لثانية، كلفه ذلك حياته عندما أطلق الإسرائيليون النار من رشاشات عوزي مخبأة تحت ملابسهم.

في الوقت نفسه استيقظ أحد حُراس مُنظمة التحرير الفلسطينية، الذي كان من المفترض أن يحمي الأهداف لكنه نام في سيارته رينو دوفين، وخرج من السيارة ماسكاً مسدسه، قام باراق وعميرام ليفين أحد كبار الضباط، بإطلاق النار عليه بمسدساتهم الصامتة، أصابت رصاصة السيارة وانطلق بوقها، أيقظ هذا الجيران الذين اتصلوا بالشرطة، يقول بيتسر: "دليل إضافي على أن هُناك دائماً مُفاجأة جديدة"، "غير المُتوقع هو الشيء الأكثر توقعاً."

وسُرعان ما جاءت الشُرطة من المحطة المُجاورة نحو شارع فردان، حيث كان الإسرائيليون لا يزالون ينهبون الشقق للحصول على الوثائق، أخيراً تسابقت الأطراف المهاجمة في الطابق السفلي، تاركة وراءها رجل، يوناتان نتنياهو، شقيق بنيامين، الآن كان عليهم الاشتباك مع شرطة بيروت، وقف ليفين في منتصف الشارع، وشعره المستعار الأشقر اللون لا يزال على رأسه، فيما يتأرجح سلاحه العوزي يميناً ويساراً، ويطلق الرصاص، وقف باراك على الطريق

يُطلق النار على رجال الشرطة، أطلق بيتسر النار على سيارة لاند روفر تابعة للشُرطة وغطت ليفين ذلك، اقتربت سيارة جيب على متنها أربعة جُنود لبنانيين واصطدمت بالجدار وسط تبادل إطلاق النار، أطلق الإسرائيليون النار عليها، وألقى بيتسر عليها قنبلة يدوية مما أدى إلى مقتل ثلاثة من ركابها، أصيب السائق بجُروح طفيفة، رأته يائيل من نافذتها جالساً على الرصيف وهو يبكي لساعات قبل نقله إلى المُستشفى.

صد القتلة رجال الشرطة وتكدس الجنود في سياراتهم المستأجرة واندفعوا عائدين إلى الشاطئ، نثروا خلفهم حوامل فولاذية صغيرة حادة، مما تسبب في ثقب إطارات سيارات الشُرطة التي تُطاردهم، وصل باراك إلى الراديو ودعا الكوماندوز البحريين لاصطحابهم، على الرغم من الفوضى، ظل هادئاً وتمكن من فصل نفسه للحظة، قال: "**أتذكر أنني كُنت أنظر في دهشة إلى الشوارع**"، **لم أكن في مثل هذه الشوارع الرائعة من قبل، ولم أر مثل هذه المنازل السكنية الجميلة من قبل، لقد كان معياراً للبناء لم نكن نعرفه في إسرائيل** ". كان شعره المستعار ساخناً، ففتح النافذة وشعر بنسيم بارد يداعب وجهه، استرخى، ركض رجل إلى الرصيف وهو يصرخ طالبا إبطاء السيارة، قال لبيتسر "**أطلق عليه النار يا موكي**".

"إنه عامل محطة وقود، وليس شرطي"، لم يطلق بيتسر النار.

كانت القوة المداهمة الثانية قوات استطلاع المظليين التي كانت تقصف مبنى في حي آخر في بيروت أقل حظاً، قتلوا الحراس عند مدخل مبنى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي كانوا يستهدفونه، لكنهم لم يعرفوا عن موقع حراسة ثان، أطلق فلسطيني النار مما أدى إلى إصابة ثلاثة جنود إسرائيليين بجروح بالغة، تم إجلاء اثنين منهم إلى سيارة كانت تنتظر، وأصيب الثالث ييغال برسلر بأربع عشرة رصاصة، حمله أحد رجال الكوماندوز البحري وركض نحو السيارة لكن رجل من منظمة التحرير، كان يعتقد على ما يبدو أن بريسلر فلسطيني، حاول إنقاذه، وتصارع مع الكوماندوز الثلاثة سقطوا على الأرض في كومة، أصيبت إحدى ذراعي بريسلر بالشلل، لكنه تمكن من ضرب مسدسه بأسنانه، هرب الفلسطيني وطارده الكوماندوز، واعتقد بريسلر أنه قد تُرك بمفرده، كان يُفكر في تفجير نفسه بقنبلة عندما عاد الكوماندوز والتقاطه مرة أخرى، كان الهواء ينفجر بالنيران والانفجارات والصراخ، انطلقت الأضواء في المباني المجاورة.

وبدلاً من الانسحاب على الفور، أمر قائد الفرقة رجاله بإعادة التوجيه وتنفيذ مهمتهم وربط المتفجرات بالمبنى.

قال ليبكين شاحاك: "أصعب لحظاتي لم تكن أثناء القتال الفعلي، ولكن عندما عُدنا إلى المركبات، لقد فوجئت باكتشاف أن السيارة التي كانت تقل الجرحى لم تكن موجودة "، وعلق هو ورجاله بمن فيهم برسلر المُصاب بجروح بالغة، في قلب بيروت بسيارتين فقط، والثالث ، كان يقودها ناشط في قيسارية وعلى متنه اثنين من المُصابين بجروح خطيرة وقد اختفى، لم تكن أجهزة الراديو تعمل على عجل.

قالت ليبكين شاحاك: "كان الأمر مقلقاً للغاية"، لم يكن يُريد الانسحاب دون معرفة مكان جرحى رجاله لكن لم يكن لديه خيار، أعطى الأمر بالتكدس في السيارتين والتوجه إلى الشاطئ، بعد انطلاقهم مباشرة سمعوا دوي انفجار قوي ورأوا المبنى المُستهدف ينهار، فيما بعد علموا أن حوالي خمسة وثلاثين من نشطاء الجبهة الشعبية دفنوا تحت الأنقاض.

عندما وصلوا إلى الشاطئ وجدوا الرجل القيساري جالساً في سيارته، واثنان من رفاقهما في المقعد الخلفي، أحدهما ميت بالفعل بسبب فقدان الدم، كان السائق مُغطى بالعرق يدخن سيجارة بأصابعه المرتجفة، قال ليبكين شاحاك: "سألته عما حدث لماذا لم ينتظرنا؟ ولماذا لم ينتظر طبيب الوحدة لمُعالجة الجرحى؟ لقد كان مرتبكاً بعض الشيء ولكن إذا فهمته بشكل صحيح، فقد سمع إطلاق النار في بداية الغارة واعتقد أننا لن نخرج أحياء، لذلك قرر الخُروج والذهاب إلى الشاطئ ".

غضب رجال ليبكين شاحاك، قال أحدهم: **"كان من الخطأ السماح لأشخاص ليس لديهم خبرة قتالية بالمشاركة في هذا، هذا الرجل من قيصرية رأى أننا في ورطة وقد هرب".**

الفريق بأكمله استقل الزوارق وعادوا إلى القارب، توفي رجل آخر من الجرحى أثناء عملية جراحية على القارب، واثنان من المظليين لم يتمكنوا من كبح جماح أنفسهم وبدأوا بالصراخ في الناشط في قيسارية بأنه مسؤول عن مقتل رفيقيهما، صرخ مرة أخرى وصفعه أحد الجنود، ولكمه واندلع قتال على ظهر السفينة حتى فصلهم الآخرون.

لكن مع بزوغ الفجر، عاد كل المهاجمين إلى إسرائيل، عندما عاد باراك إلى المنزل، كانت زوجته نافا لا تزال نائمة، وضع حقيبته على الأرض واستلقى بجانبها منهكا وهو يرتدي حذاءه، وعندما استيقظت، تفاجأت بوجود زوجها وهو نائم بجانبها وعلى وجهه آثار مكياج وآثار أحمر شفاه ساطع اللون.

في صباح اليوم التالي في بيروت وسط حطام الليلة السابقة، لم ينتبه أحد للمرأة النحيلة التي جاءت إلى مكتب البريد في شارع مدام كوري، كانت يائيل قد كتبت رسالة إلى مسؤول قضيتها أظهرت صدمتها بسبب ما رأته من نافذة شقتها.

عزيزي اميل:

ما زلت أرتجف من الليلة الماضية، فجأة في مُنتصف الليل أيقظتني دوي انفجارات كثيرة مدوية، ... لقد أصابني الذُعر أن الإسرائيليين يهاجمون !...كان الأمر مريعاً .

وفي الصباح كل شيء بدا وكأنه مُجرد حلم سيئ، لكنها لم تكن كذلك! هؤلاء الإسرائيليون الرهيبون كانوا هُنا حقاً... لأول مرة أستطيع أن أرى سبب وجود الكثير من الكراهية لهذا البلد ولليهود.... حقاً هذه منطقة جميلة وهادئة وسكنية بها أُناس طيبون ولُطفاء للغاية.

قالت يائيل لـ "إميل" إنها أرادت أن تأتي لرؤيته في إجازة لتهدأ وأنها "أفتقدته كثيراً (أكثر مما كنت أتوقع)"، وأضافت بحبر غير مرئي: "لقد كان عرضاً رائعاً في الليلة الماضية، القُبعات!"

من أجل تفادي الشُبهات، بقيت يائيل في بيروت أسبوعاً آخر، على الرغم من الخوف المُتزايد من أنها قد تتعرض للانكشاف بسبب الإجراءات الأمنية المُشددة التي تم اتخاذها، بعد العملية.

"عندما أقلعت الطائرة وتركت العجلات الأرضية، استرخيت في مقعدي، شعرت بضغوط حمل شخصية الغلاف الخاصة بي بالقرب من كل عضو من أعضاء جسدي وأخذت روحي تضعف تدريجياً وتمزقني قطعة قطعة، عندما هبطت في مطار هيثرو، كانت ذراعي مُترهلة وكان من

الصعب الخروج من مقعدي، كنت بحاجة لبضع ثوان أخرى قبل أن أتمكن من مغادرة الطائرة ."

بالعودة إلى إسرائيل، كان ربيع الشباب يُعتبر نجاحاً باهراً، وقد تم تحقيق جميع أهدافها، قُتل ثلاثة من كبار مسؤولي مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى جانب حوالي خمسين آخرين، جميعهم تقريباً أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية، تم إنقاذ صلاح خلف (أبو لياد) القائد الأعلى لـ "أيلول الأسود" عن طريق الصُدفة لأنه قبل وقت قصير من المُداهمة غادر إحدى الشُقق المُستهدفة حيث كان يقضي وقتاً في عيادة طب الاسنان على بُعد أربع مباني من الشقة المَستهدفة.

تم تدمير ورشة لتصنيع الأسلحة وتم مُصادرة عدد كبير من الوثائق من شقة عدوان والتي اعتبرها الفلسطينيين كارثة، لقد زودوا الشاباك بتفاصيل عن خلايا مُنظمة التحرير الفلسطينية في الأراضي المُحتلة وأدى ذلك إلى عدد من الاعتقالات مما أدى إلى تدمير شبكة فتح هناك.

وبسبب هذا النجاح لم يتم إيلاء اهتمام في إسرائيل للسُلوك غير المهني لسائقي الموساد، وكلاهما من أفراد وحدة النخبة في قيسارية في هراري، وحقيقة أنهما منعا العلاج الطبي لرجلين ماتاُ متأثرين بجراحهما، وكان من المُمكن أن يتسبب في كارثة أكبر.

تركت العملية لبنان في حالة صدمة، فيما استقالت الحكومة اللبنانية بسبب عجزها أمام «العدوان الإسرائيلي»، كان العالم العربي في حالة اضطراب، وفي مصر علقت صحيفة الأهرام اليومية الرائدة أن الهدف من العملية كان "**دفع قلوب العرب للإحساس بأن إسرائيل تُسيطر على المنطقة**". بفضل عملية ربيع الشباب بدأت أسطورة الموساد وأنه يُمكن أن يضرب في أي مكان وفي أي وقت تكتسب المصداقية في العالم العربي.

11

"التعريف الخاطئ للهدف ليس فشلاً... بل غلطة"

نجاح العملية

لم يكن ربيع الشباب يعني توقف سلسلة عمليات القتل المُستهدفة للموساد في أوروبا، ففي الأيام الأخيرة من التحضير لغارة بيروت، كانت ميري وعامل آخر في باريس في انتظار باسل الكبيسي أستاذ القانون في جامعة بيروت وناشطاً صغيراً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وللانتهاء منه قدموا له عاهرة قبل قتله بالرصاص، "قررت أنه، مثلما قدموا لرجل مُدان آخر طلب، فإن هذا الرجل أيضاً يستحق بعض الجنس قبل وفاته"، حسب ما قال ميري.

ثم بعد ساعات فقط من عودة قوات ربيع الشباب إلى إسرائيل، سافر هراري وميري وخمسة نُشطاء إضافيين إلى أثينا، حيث قتلوا زيد محاسي بقُنبلة مزروعة في مرتبة سريره بالفندق، كان موشاسي قد عُين لتوه مُمثلا عن فتح في قبرص، حيث استبدل حسين عبد شير الذي قتله الموساد أيضاً في 24 يناير بقُنبلة في مرتبة فندق في نيقوسيا.

في 10 يونيو/ حزيران وردت معلومات تُشير إلى أن وديع حداد أرسل اثنين من رجاله إلى روما لتنفيذ هجوم على مكتب شركة طيران العال، جاءت المعلومات من عميل تعمل في داخل منظمة حداد، هذا المُجند الجديد والواعد الذي سيوصف في التقرير السنوي لـ أمان بأنه "**مصدر بارز يتمتع بإمكانية وصول مُمتازة وحصرية إلى منظمة حداد**" والذي وافق على التجسس مُقابل المال، حصل على الاسم الرمزي Itzavon، بالعبرية " لحزن " بدأ فريق بقيادة "كارلوس"، أحد عملاء الحربة ، في تعقب الرجلين اللذين كانا يقودان السيارة حول روما في سيارة مرسيدس تحمل لوحات التسجيل الألمانية.

في ليلة 16-17 يونيو، زرع فريق الحربة قنبلة تحت السيارة، وفي الصباح عندما صعد أحد الرجال الفلسطينيين إلى السيارة وبدأ في القيادة بعيداً، تبعته سيارة الموساد وكان هراري يقودها وكارلوس في مقعد الراكب ممسكاً بجهاز تحكم عن بعد بحجم صُندوق الأحذية، من أجل تفجير القنبلة، يجب الحفاظ على مسافة قريبة بين السيارات، بعد بضع دقائق توقف الفلسطيني في السيارة ليأخذ شريكه الذي كان يُقيم في عُنوان آخر، ثم انطلق مرة أخرى، كان كارلوس على وشك الضغط على الزر تماماً عندما دخلت السيارة ساحة بربريني، موقع نافورة تريتون، وهو عمل مُهم للنحات الشهير جيان لورينزو بيرنيني.

عرف هراري روما جيداً منذ الأيام التي تلت الحرب العالمية الثانية عندما كان يعمل لمُساعدة اللاجئين على الهجرة إلى إسرائيل، وكان شخص يُقدر الفن، "لا! قف! التمثال ... إنه برنيني! لا تُنفجر! " صرخ في كارلوس، ثم شرع في شرح أهمية العمل له.

بعد ثوانٍ عندما ابتعدت السيارة التي كانت تقل الفلسطينيين عن النافورة، تم الضغط على زر التفجير، انفجر الجُزء الأمامي من السيارة وأصُيب الرجلان بجُروح بالغة وتوفي أحدهم في وقت لاحق في المستشفى، عثرت الشرطة على أسلحة في السيارة وفسرت الانفجار على أنه "**حادث عمل**" على افتراض أن الاثنين كانا إرهابيين كانا يحملان قنبلة في السيارة وتعاملوا معها بشكل غير صحيح.

كما تحدثت "حزن" عن نشاطات محمد بودية رئيس عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أوروبا، كان بودية مزيجاً غنياً بالألوان من الثوري الجزائري ثُنائي الجنس، إلى المُغامر والرئيس الإرهاب العسكري وعمل مع حداد وعمل مع أيلول الأسود، واستخدم المسرح الصغير الذي أداره في باريس كغطاء لخططه لمهاجمة الإسرائيليين واليهود.

بفضل تقارير حزن تمكن الشاباك من إحباط بعض خططه قبل تنفيذه، أحدهما كان للانفجارات المتزامنة لقنابل TNT القوية في أكبر سبعة فنادق في تل أبيب في ليلة عيد الفصح عام 1971،

خلال يونيو 1973 ذكرت Sadness "حُزن" أن بودية كان يُخطط لهجوم كبير آخر، تبعه فريق مُكون من ثلاثين من عُملاء الحربة و قوس قزح إلى باريس قبل أن تسنح الفرصة، عندما أوقف سيارته في شارع دي فوسيس سان برنارد، في الحي اللاتيني عندما عاد وبدأ تشغيلها مرة أخرى، انفجرت قُنبلة حساسة للضغط وضعت تحت مقعد سيارته وقتلته.

غرست سلسلة انتصارات الحرية شعوراً بالنشوة في جميع أنحاء المنظمة بأكملها، قال أحد المُحاربين القدامى في قيسارية: "بدا الأمر كما لو لم يكن هناك شيء لا يستطيع الموساد فعله، وأنه لم يكن هناك أحد لا يمكننا الوصول إليه".

بعد قولي هذا ظل حساب سبتمبر الأسود مفتوحاً، بعد تسعة أشهر من المذبحة المروعة في ميونيخ كان الهُجوم الذي أدى إلى تصعيد عمليات القتل المستهدف كبار أعضاء سبتمبر الأسود ما زالوا طلقاء، لقد قتل الموساد الكثير من الناس لكن ليس الأحد عشر رجلاً الذين أرادهم أكثر، وكان من بين هؤلاء المُشاركين الثلاثة الناجين من العملية والذين سُجنوا ثم انطلقوا بعد أن اختطفت طائرة لوفتهانزا في سبتمبر الأسود وأجبرت الألمان على إطلاق سراحهم، تم تحديد الثمانية الآخرين من قبل الموساد على أنهم مُرتبطون بمفهوم أو قيادة أو تنفيذ الهجوم.

على رأس تلك القائمة كان علي حسن سلامة ضابط عمليات سبتمبر الأسود، كان والد علي سلامة السيد حسن سلامة، أحد قائدي القوات الفلسطينية عام 1947 عندما اندلعت الحرب بعد قرار الأمم المتحدة بشأن قيام دولة إسرائيل، حاولت الهاغاناه مراراً وتكراراً اغتياله وفشلت حتى قُتل أخيراً في القتال.

حسن سلامة حمل ابنه عبئاً ثقيلاً حيث قال علي: "**أردت أن أكون على طبيعتي، لكن كنت دائماً على وعي بحقيقة أنني ابن حسن سلامة وكان علي أن أرتقي إلى مُستوى ذلك، حتى دون أن يتم إخباري كيف ينبغي أن يعيش ابن حسن سلامة**" قال علي سلامة في واحدة من المُقابلتين الوحيدتين اللتين أجراهما، تربيتي كانت مُسيسة، "**عشت القضية الفلسطينية في وقت كانت القضية تدور في حلقة مُفرغة، لقد كانوا شعباً بلا قيادة، تفرق الناس وأنا جُزء من التشتت، أرادت والدتي أن أكون حسناً آخر**".

لكن بحلول مُنتصف الستينيات كان الضغط من عائلة علي وياسر عرفات كافياً، استسلم علي وقدم نفسه في مكتب التجنيد في فتح، ويتذكر ذلك قائلاً: "**لقد أصبحت مرتبطًا جدًا بفتح**"، **لقد وجدت ما كنت أبحث عنه.**"

قال هراري: "سرعان ما أصبح المُفضل لدى عرفات".

في عام 1968 أرسله عرفات إلى مصر لتلقي التدريب في مجال المُخابرات وصناعة المتفجرات، أصبح مُساعداً لأبو لياد الذي كلفه بالإشراف على تحديد وتصفية العرب الذين تعاونوا مع الإسرائيليين.

كان سلامة شاباً كاريزمياً ثرياً، ووسيم، وكان يتمتع بالحياة الرفيعة التي ترافقت مع العُضوية في رصد ذراع المخابرات السرية لفتح، جمع بين حُبه للنساء والأحزاب وأنشطته الإرهابية بطريقة "أثارت الدهشة في فتح" بحسب تقرير للمخابرات العسكرية الإسرائيلية عنه.

يعتقد الموساد أن سلامة مُتورط في قائمة طويلة من الهجمات الإرهابية، بعضها ضد الأردن والبعض الآخر ضد إسرائيل بما في ذلك اختطاف طائرة سابينا، أشارت الوثائق التي تم الاستيلاء عليها في شُقة النجار في بيروت إلى أن مسؤوليات سلامة تشمل الاتصال بالمُنظمات الإرهابية الأوروبية، وأنه دعا أندرياس بادر أحد مؤسسي مجموعة بادر مينهوف الألمانية، إلى مُعسكر تدريب فلسطيني في لبنان، قال شمشون يتسحاقي رئيس وحدة مكافحة الإرهاب في الموساد: **"لقد عرضنا الوثائق على الألمان، لتوضيح لهم أن خطر الإرهاب الفلسطيني كان مصدر قلقهم أيضًا".**

لا يوجد خلاف حول هذه الاتهامات لكن الموساد كان مُقتنعاً أيضًا بأن "سلامة" مُتورط في التخطيط لمجزرة ميونيخ وتنفيذها، وأنه كان حاضراً في مكان ليس بعيداً عن مكان الحادث عندما تم إرسال فرقة الإرهاب إلى شارع كونوليستراس 31 في القرية الأولمبية، ومع ذلك أكد محمد عودة (أبو داود) أن "سلامة" لم يُشارك على الإطلاق، وأن "عودة" خطط للعملية وقادها كما أُثيرت الشكوك حول دور "سلامة" في كتابين حول هذا الموضوع "الجاسوس الجديد" "أرون كلاين يضرب من جديد" **Aron Klein's Striking Back**.

لكن حتى يومنا هذا لا يزال يتسحاقي واثقاً: بأن حقيقة أن أبو داود وبعد سنوات من الحدث عندما لم يعد "سلامة" على قيد الحياة، أراد أن يأخذ كل الفضل لنفسه، وهذا لا يشكل فرق كبير، لم يكن "علي سلامة" حاضراً عندما وقع الهجوم في ميونيخ لكنه شارك بعُمق عن طريق التخطيط وتجنيد الأفراد، مما نتج عنه ارتكاب جريمة القتل المروعة تلك ".

على أي حال كان "سلامة" رجلاً مرموقاً، قال هراري: "كان علي حسن سلامة الهدف رقم واحد"، لقد طاردناه لفترة طويلة." لم يكن لدى الموساد سوى صورة واحدة حديثة له، لكنهم

استخدموها دون جدوى في محاولة تحديد مكانه، نقلت المعلومات عن نُشطاء الحرية إلى هامبورغ وبرلين وروما وباريس وستوكهولم ومدن أوروبية أخرى، وفي كل مرة بدا أنهم قد فقدوا آثاره قبل لحظات.

وجاء الاختراق في منتصف يوليو/ تموز 1973 بعد أن غادر جزائري يدعى كمال بن أمين، كان يعمل لدى فتح وكان على صلة بـ "أيلول الأسود"، شقته في جنيف في رحلة إلى كوبنهاغن وانتظره هناك، كان لدى الموساد سبب للاعتقاد بأنه كان يُخطط لهجوم مع "سلامة" وقد تمت متابعته، ورأى الإسرائيليون أنه إذا تمكنوا من البقاء بالقرب من بنامين، فسيصلون إلى "سلامة" ويكونون قادرين على قتله.

رأى رجال قيسارية الذين خلفوا بنامين أنه لم يغادر مطار كوبنهاغن بل ذهبوا إلى منطقة للركاب العابرين ثم صعدوا على الفور إلى رحلة إلى أوسلو، ومن هناك استقل القطار إلى ليلهامر، طوال الوقت تبعه عملاء الموساد خلص هراري ورومي إلى أنه سيحقق هدفهما في المدينة النرويجية الهادئة.

قام هراري بقيادة فريقين من فريق الحربة بمهام في أماكن أخرى في أوروبا وسرعان ما شكل فريق عمل، كان الفريق المكون من اثني عشر بقيادة نحميا ميري ويتألف من مزيج من القتلة المُدربين ونُشطاء آخرين وعاملين في قيسارية ممن يتحدثون النرويجية وكانوا جاهزين للمهمة، كانت إحدى أعضاء الفريق هي سيلفيا رافائيل الناشطة التي سافرت إلى العالم العربي متنكرة أنها مصورة صحفية كندية مُناهضة لإسرائيل تُدعى باتريشيا روكسبيرغ وجمعت الكثير من المعلومات القيمة عن الجيوش في المنطقة.

وكان من بين الأعضاء الآخرين في الفريق أفراهام جيهمر الذي كان ضابط تدريب رافائيل، دان أربيل رجل أعمال إسرائيلي دانمركي شارك في بعض عمليات الموساد في الدول العربية، حيث ساعد في الخدمات اللوجستية واستئجار السيارات والشقق؛ وماريان جلادنيكوف مُهاجرة من السويد وموظفة سابقة في الشاباك انضمت مؤخراً إلى الموساد وتتحدث اللغات الاسكندنافية بطلاقة.

ما سيحدث بعد ذلك هو مسألة خلاف على الأرجح والأكثر دقة، فقد فريق مراقبة قيسارية أثر بنامين في ليلهامر، ثم بدأوا في استخدام "طريقة التمشيط" وهي تقنية ساعد ميري في ابتكارها في الخمسينيات من القرن الماضي عندما كان يبحث عن عملاء KGB في إسرائيل، مما مكّن فريق البحث من تغطية مناطق حضرية كبيرة وتحديد موقع هدفهم بسرعة، بعد يوم من البحث ركزوا على رجل يجلس مع مجموعة من العرب في مقهى في وسط المدينة، قال الجنرال أهارون ياريف الرئيس السابق لأمان الذي أصبح الآن مستشار رئيس الوزراء مئير لمكافحة الإرهاب، إنه بدا كما اعتقدوا تماماً مثل الرجل الموجود في صورة سلامة التي كانوا يحملونها "مثل شقيقين يشبهان بعضهما البعض". .

في رواية أُخرى لم يكن الرجل الذي عُرف باسم سلامة يجلس مع بعض العرب المعروفين في مقهى فحسب، بل شُوهد بالفعل في اجتماع مع نُشطاء معروفين من فتح، في هذه النسخة رأى الإسرائيليون أن المُشتبه به كان على صلة بإرهابيين معروفين آخرين، وبالتالي كان لديهم مؤشر إضافي بخلاف الصورة، على الأرجح أن هذا هو الرجل الذي كانوا يبحثون عنه.

في كلتا الحالتين تم إرسال تقرير إيجابي لمقر الموساد يفيد بأنه تم التعرف على سلامة في شارع شاؤول هاملش في تل أبيب، لكن قيل لهراري إنه لا يمكن أن يتحدث إلى المُدير زفي زامير، لأنه قرر السفر إلى ليلهامر بنفسه ليكون هُناك عندما تم تنفيذ الضربة، أمر هراري فريقه بالاستمرار في المُراقبة.

سرعان ما اكتشفوا أن الرجل الذي اعتقدوا أنه سلامة عاش حياة هادئة في ليلهامر، كانت لديه صديقة نرويجية شقراء كانت حاملاً بشهرها الخير، وذهب إلى السينما وإلى مسبح داخلي في المدينة لم يكن قلق من أن الموساد ربما يبحث عنه، اشترت ماريان جلادنيكوف ملابس سباحة وذهبت إلى المسبح لمُشاهدته ومراقبته، ما رأته جعلها تتساءل فقط عما إذا كان هذا الرجل هو بالفعل الإرهابي الفلسطيني والمطلوب الأول.

لم تكن ماريان الوحيدة التي تشك بأنه الهدف المنشود "سلامة" ولكن عندما عبر جلادنيكوف وآخرون عن شكوكهم لهرارى وناقشوا ذلك مع زامير الذي تواجد حينها في أوسلو، ولذلك تم استبعادهم وهم في طريقه إلى ليلهام، وقال ناشط يُدعى شاؤول: **"قلنا لهم إننا نعتقد أن هذا ليس رجلنا"**. **لكن مايك وزفيكا [زامير] قالا إن ذلك لم يُحدث فرقًا، قالوا: حتى لو لم يكن**

سلامة، فمن الواضح أنه عربي آخر له صلات بالإرهابيين، لذلك حتى لو لم نقتل سلامة، فإن أسوأ ما سنفعله هو قتل إرهابي أقل أهمية".

كان لهراري رأيه الخاص: "يقوم سبعة عملاء بالتعرف الإيجابي بين الصورة والرجل الذي رأيناه في الشارع، وأقلية فقط تعتقد أنه ليس هو، وعلينا أن تقرر حينا ونذهب مع الأغلبية، وهذا أسهل شيء هو أن تقول "لا تضغط على الزناد وبهذه الطريقة لن نخسر شيء ".

تم وضع الهدف تحت المراقبة، في مكالمة هاتفية يوم السبت 21 يوليو، أمر زامير الذي لم يتمكن من ركوب القطار إلى ليلهامر مع هراري لتنفيذ عملية الاغتيال، في تلك الليلة غادر الرجل وصديقته شقتهما واستقلوا الحافلة إلى السينما، لم يتركهم فريق الحربة واستقلوا السيارات ومشروا على الأقدام وأعينهم لا تغيب عنهم، في حوالي الساعة 10:30 غادر الزوجان المسرح واستقلوا الحافلة إلى المنزل، عندما نزلوا من الحافلة توقفت سيارة فولفو رمادية اللون في مكان قريب، ونزل منها شاؤول و Y ، قام الاثنان بسحب مُسدسات بيريتا بكاتم الصوت وأطلقوا النار على الرجل ثماني مرات، تركوا المرأة التي لم تُصب جاثية على ضحيتهم وهي تصرخ وتحتضن رأسه المُلطخ بالدماء.

توجه فرق الحربة إلى مكان اجتماع تم الترتيب له مسبقاً حيث كان ينتظرهم بعض أعضاء الفريق الآخرين ومايك هراري، أفاد شاؤول أن العملية كانت ناجحة، لكنهم أضافوا أنهم رأوا امرأة كانت قد شهدت القتل تدون رقم رخصة فولفو أثناء توجهها بعيداً.

أخبر هراري رجل الخدمات اللوجستية أربيل، بإيقاف السيارة في شارع جانبي وإلقاء المفاتيح في مصرف مياه الأمطار، ثم كان على أربيل وجلادنيكوف أن يستقلوا قطاراً إلى أوسلو ويسافرون إلى لندن ثم إسرائيل، كان على النشطاء الآخرين الانتظار في شقق مُستأجرة لبضع ساعات ثم غادروا، في هذه الأثناء كان هراري وفريق القتل يتوجهون جنوباً إلى أوسلو، حيث كانوا يستقلون العبارة إلى كوبنهاغن.

قام شاؤول و واي برحلات مُنفصلة من الدنمارك، استقل هراري طائرة مُتوجهة إلى أمستردام، واثقاً من نجاح العملية، كان إقصاء سلامة هو الدرجة الأخيرة على سُلم صُعود هراري إلى منصب مُدير الموساد بُمجرد انتهاء فترة زمير، في أمستردام أثناء مُشاهدة الأخبار على التلفزيون أدرك أخيراً أن كارثة قد حدثت للتو.

الرجل الذي قتله الإسرائيليون في ليلهامر لم يكن علي حسن سلامة، ولكنه أحمد بوشيكي، مغربي يعمل نادلاً ورجل تنظيف في حمام السباحة، كان متزوجا من امرأة تُدعى توريل، كانت حامل في شهرها السابع، وصفت ما حدث:

"سقط زوجي فجأة ولم أفهم ما حدث، ثم رأيت هذين الرجلين، كانوا على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار منا، كان أحدهم سائق السيارة والثاني كان من الركاب، وقفوا خارج السيارة من الجانبين يطلقون النار من المسدسات وسقطت على الأرض، وبالتأكيد أرادوا قتلي أيضاً، واعتقدت أنني سأموت في لحظة، لكن بعد ذلك سمعت أبواب السيارة وهي تغلق وابتعدت، زوجي لم يصرخ. . .. نهضت وركضت بأسرع ما يمكن إلى أقرب منزل وقلت لهم أن يتصلوا بالشرطة وسيارة الإسعاف، عندما عدت كان هناك بالفعل أشخاص حول زوجي يُحاولون مساعدته، وجاءت سيارة إسعاف وتوجهت مع زوجي إلى المستشفى، وهناك قالوا لي إنه مات".

حاول رئيس الموساد زامير رفض الكارثة: **"فلا أحد منا لديه الوسائل لاتخاذ القرارات الصحيحة فقط، التحديد الخاطئ للهدف لا يُعتبر فشلاً انها غلطة."** ألقى زامير بعض اللوم على سُلوك الضحية: **"لقد تصرف بطريقة بدت مُريبة لأفرادنا الذين كانوا يتابعونه، لقد قام برحلات كثيرة يصعب معرفة الهدف منها ربما كان يتعامل في المخدرات ".**

لم يكن ميري في مكان الحادث لأنه أُصيب بتمزق في الرباط في اليوم السابق وأعاده هراري إلى إسرائيل، في روايته للأحداث شوهد بوشيكي وهو يلتقي الناشط المعروف في فتح كمال بن أمين، وأصر على أن العملية لا تزال ناجحة، "يغضبني أنه يُنظر إليه على أنه فشل "

قال: "ما الفارق إذا قتلت رئيس الأركان أو نائبه؟"

لكن لا يوجد دليل جوهري على أن بوشيكي كان نائباً لأي شخص، في الحقيقة لم يكن له أي صلة بالإرهاب على الإطلاق، ولم تكن قضية ليل هامر سوى القتل البارد لعامل بريء في المسبح.

وكانت مشاكل الحربة قد بدأت للتو بحسب شاؤول، أثناء انتظار تنفيذ العملية، اشترى دان أربيل صنبوراً وبعض الأشياء الأخرى لمنزل كان يبنيه في إسرائيل، وضع الاغراض في

صُندوق سيارة الفولفو الرمادية – وبعد انتهاء العملية أخبرته هراري أن يتخلص منها لأن شاهداً حصل على رقم اللوحة، لكن أربيل لم يرغب في تحمل مُشترياته الثقيلة إلى حد ما، لذلك بدلاً من التخلص من فولفو قادها إلى المطار في أوسلو مع جلادنيكوف.

كانت الشُرطة تنتظر عند عودة السيارة المُستأجرة في المطار، انهار أربيل بسُرعة أثناء الاستجواب بسبب رهابه من الأماكن المُغلقة، قال شاؤول: "فقط بعد العملية قرأنا في ملف أربيل عن خوفه من الأماكن المُغلقة ومدى خوفه من القبض عليه واستجوابه، كان سلوكاً غير مهني للغاية من جانب قيسارية، رجل يكتب تقريراً صادقاً ولا يقرأه أحد، إذا كانوا قد قرأوه، لكان قد تم إيقافه على الفور من واجباته التشغيلية ".

أخبر أربيل الشُرطة بمكان العثور على أفراهام جيهمر وسيلفيا رافائيل، وأدى البحث في مخبأهم إلى القبض على اثنين آخرين من النُشطاء، لقد كان من الواضح بالفعل أن هذه كانت عملية قتل مُستهدفة وأن الموساد كان وراءها، أدت الوثائق التي تم العُثور عليها بحوزة المحتجزين (والتي كان من المفترض أن يقوم النُشطاء بحرقها بعد قراءتها) إلى اكتشاف جميع منازل أوروبا الآمنة والمُتعاونين وقنوات الاتصال والأساليب التشغيلية، كما ساعدت هذه المعلومات السلطات الأمنية الإيطالية والفرنسية في تحقيقاتها في عمليات القتل المُستهدف التي تمت في بلديهما.

قُدموا المعتقلون الستة للمُحاكمة وتصدروا عناوين الصُحف في جميع أنحاء العالم وتسببوا في إزعاج شديد في إسرائيل، كان الأمر المُحرج بشكل خاص هو تخلي أربيل عن كل شيء، حتى رقم هاتف الموساد في تل أبيب، لم تعترف إسرائيل بمسؤوليتها عن قتل بوشيكي، لكن الدولة قدمت دفاعاً قانونياً ومُساعدات أُخرى للأسرى، وجدت المحكمة أن الموساد كان وراء جريمة القتل وأُدين خمسة من الستة وحُكم عليهم بالسجن لمُدد تتراوح بين عام وخمسة أعوام ونصف، لكن تم الإفراج عنهم جميعاً بعد أن قضوا فترات قصيرة فقط بسبب التوصل إلى اتفاق سري بين حكومتي إسرائيل والنرويج، عند إطلاق سراحهم من السجن تم الترحيب بهم كأبطال عائدين في إسرائيل.

احتفظ هراري وزامير بوظيفتيهما على الرغم من أن هذه العملية كلفت هراري حلمه في أن يصبح رئيساً للموساد، قال موتي كفير المُحارب القديم في قيسارية: "شكل ذلك ليلهامر فشلاً

حقيقياً على فأولئك الذين قاموا باستغلال ذلك الإخفاق لصالحهم للإطاحة به خارج الموساد ولكن ذلك لم يحدث وخرجوا بأقل ضرر ممكن بل بمُعجزة حقيقية.

تلك المعجزة كانت جولدا مائي المُعجبة الأكبر للموساد، زعم هراري أنه وزامير اعترفا بمسؤوليتهما عن الكارثة وأننا "قدمنا استقالاتنا الفورية لغولدا مائير، فيما لم تسمع جولدا بذلك وقالت إن هناك أشياء مُهمة يجب القيام بها، وأننا نحتاج إليها ويجب علينا البقاء " خلال الأسابيع التي تلت ذلك بينما كان هراري يحاول إخراج رجاله من السجن دعته رئيس الوزراء إلى شقتها المُتواضعة في شمال تل أبيب، وقالت على حد قول هراري "**أعدت لي الشاي في مطبخها وحاولت بشدة أن تشجعني.**"

ومع ذلك أدى الفشل في ليلهامر إلى سياسة قيسارية الأكثر حذراً، في 4 سبتمبر كان هراري مسؤولاً عن عملية واسعة النطاق قامت بها قيسارية ورينبو في روما، مُتتبعاً فرقة أيلول الأسود برئاسة أمين الهندي، وهو شخص آخر من الشخصيات المُدرجة على قائمة الأحد عشر الذين أرادوا قتلهم بسبب أدوارهم في الارهاب ومذبحة ميونيخ، كانت هذه الفرقة تعمل نيابة عن الحاكم الليبي معمر القذافي، الذي زودهم بستة صواريخ مُضادة للطائرات من طراز SA-7 Strela، كانوا يُخططون لإسقاط طائرة من طراز العال، بعد إقلاعها من مطار فيوميتشينو مُباشرة، تبعهم هراري وفريقه وهم ينقلون الصواريخ إلى شُقة في أوستيا إحدى ضواحي روما والتي كانت "مقلاع من الُمدرج" على حد تعبير هراري، كانوا يعتزمون إطلاق الصواريخ من سطح المبنى.

وهم جالسان في حديقة مع أطفال يلعبون حول أمهاتهم، جلس هراري وزامير يتجادلان مع ميري التي توسلت "دعني أدخل. سأضربهم جميعاً في دقيقة وأخذ الصواريخ".

ولكن بعد فشل ليلهامر، كان زامير حذراً، قال زامير وسط اعتراضات ميري الصاخبة، "ليس هذه المرة، سُنبلغ المُخابرات الإيطالية وندعهم يعتنون بها ".

"وماذا سنخرج من ذلك؟" سأل ميري، "العرب سيختطفون طائرة إيطالية أو يهددونهم بطريقة أخرى، وسيطلقون سراح هؤلاء الرجال".

رد هراري: "إذا كانت طائرة تابعة لشركة إل عال في خطر مُحدق، فإننا لن نسحق الشقة فحسب بل المبنى بأكمله، ولكن لا يزال هُناك ساعات طويلة قبل أن يخططوا لإطلاق الصواريخ"، "علاوة على ذلك عندما قُمنا بتفجير الهمشري، علمنا أن القُنبلة ستصيب المُصباح والمكتب ورأسه فقط، لكن هنا؟ كيف يُمكنني السماح لك ببدء معركة بالأسلحة النارية في مبنى

من ستة طوابق عندما لا أعرف من هم جيرانهم ومن سيتأذى من المدنيين؟ ربما رئيس وزراء ايطاليا يسكن في شقة عبر الصالة؟ ربما جدة رئيس الوزراء؟ "

لم يتم إقناع ميري، تصاعد غضبه عندما أمره زامير بأن يكون مُمثل الموساد ليذهب مع الشُرطة الإيطالية ويُشير إلى الشقة، لأنه الشخص الذي يتحدث الإيطالية بشكل أفضل، واشتكى ميري: "إذا رأوني، فسيُكشف أمري ، ولن أتمكن أبداً من المُشاركة في عملية أخرى".

حاول هراري تهدئته، "لا تقلق يوجد بعض جراحي التجميل المُمتازين في إسرائيل، سنمنحك وجهاً جديداً حتى أفضل مما لديك الآن اذهب ودُلهم عن مكان الشقة ".

اعتقل الإيطاليون جميع أفراد فرقة الهندي، لكن كما توقع ميري بالضبط تم إطلاق سراحهم بعد ثلاثة أشهر بسبب ضغوط من القذافي.

تم حل الحربة في الواقع بسبب قضية ليلهامر، تم الكشف عن جواز السفر الإيطالي المُزيف الذي استخدمه ميري في العملية أثناء التحقيق من قبل الشرطة النرويجية، وتم تقييد رحلاته إلى الخارج بشدة وغادر الموساد بعد ذلك بوقت قصير.

12

الكبرياء

على الرغم من ذلك بقي المزاج العام في المؤسسة الدفاعية مبتهج بعد عملية ربيع الشباب، كان هناك شعور جديد بالثقة، ولم يقتصر الأمر على الموساد، بل انتشر عبر كل القيادة الإسرائيلية،

بعد يومين من العملية صعد وزير الدفاع موشيه ديان إلى قمة قلعة مسعدة الجبلية، هنا قام المُتعصبون اليهود المُتمردين على الإمبراطورية الرومانية بقتل أنفسهم وعائلاتهم بدلاً من أسرهم، مما خلق الأسطورة البطولية الرئيسية للأمة، أعلن ديان "سنقيم إسرائيل جديدة بحدود واسعة، ليست مثل تلك التي حدثت في عام 1948". تفاخر رئيس الأركان إليعازر في رسالة إلى زامير، بأنه بعد ربيع الشباب "ارتفعت هيبة الجيش الإسرائيلي إلى آفاق جديدة وزاد مجدها"، وكتبت غولدا مائير، في 15 أبريل 1973، "ربما سيأتي اليوم الذي تُروى فيه في إسرائيل قصص البطولة والبراعة والتضحية والتفاني لهؤلاء المُحاربين، وسترويها الأجيال لمن يتبعهم مع الإعجاب والفخر بصفتها فصلاً آخر في تراث بطولة أمتنا ".

ومع ذلك يمكن للثقة أن تنزلق بسهولة إلى الثقة المُفرطة والتي لم تكن اخفاقاتها مقصورة على قيسارية وإخفاق ليلهامر، بعد أربعين عام من الغارة أشار إيهود باراك قائد فريق الضربات في بيروت ورئيس الأركان فيما بعد ورئيس الوزراء ووزير الدفاع، إلى أن هذه الغطرسة كانت لها عواقب وخيمة على الأمة بأكملها، قال: "بالنظر إلى الماضي يبدو لي أننا عُدنا من بيروت في تلك الليلة وأن قادة البلاد استخلصوا استنتاجات خاطئة من نجاح العملية، لقد أوجد ثقة بالنفس تفتقر إلى الأساس، من المُستحيل أن نتوقع من غارة كوماندوز جراحية دقيقة على قدرات الجيش بأكمله، كما لو أن الجيش الإسرائيلي يمكنه فعل أي شيء، فنحن قادرون على كل شيء.

لقد رأونا رئيس الوزراء ووزير الدفاع وكل الباقين، السايريت والموساد، حصلوا على الأمر، وفي غضون أسابيع قليلة اتخذوا إجراءات بشأنه وعملنا على ذلك بشكل جيد، أعطاهم هذا الشعور بأن هذه القدرة كانت مشتركة بين الجيش بأكمله، لكن نجاحاتنا سواء في حرب الأيام الستة أو في العمليات التي تلتها، نشأت من التخطيط الدقيق والاستخدام الأمثل لعنصر المفاجأة، كنا نحن من بدأ ونحدد الجداول الزمنية وكذلك النتائج.

"ومع إحساسنا الجديد بالأمن جاء الرضا عن النفس، لم نعتقد أنهم يمكن أن يفاجئونا، لأنهم يمكن أن يلحقوا الضرر بنا بنفس القدر ".

الإيمان الراسخ بالقوات المُسلحة والاعتقاد بأن الفُروع الثلاثة لمؤسسة الدفاع، جيش الدفاع الإسرائيلي والشين بيت والموساد، يمكن أن تُنقذ إسرائيل من أي خطر على الإطلاق، مما دفع قيادة الدولة إلى الشعور بعدم وجود حاجة مُلحة للوصول إلى تسوية دبلوماسية مع العرب، عارضه آخرون خارج إسرائيل.

في عام 1972 أطلق مُستشار الأمن القومي الأمريكي هنري كيسنجر مُبادرة دبلوماسية سرية تهدف إلى تحقيق اتفاقية سلام، أو على الأقل اتفاقية عدم عدوانية، بين إسرائيل ومصر، لقد أدرك أنه طالما احتفظت إسرائيل بالأراضي المصرية التي احتلتها عام 1967 فإن مصر ستفعل كُل ما في وسعها لإعادة احتلالها، وأن الحرب القادمة في الشرق الأوسط ستكون مجرد مسألة وقت.

جاءت ذروة المُبادرة خلال اجتماعات درامية في منزل آمن لوكالة المُخابرات المركزية في أرمونك نيويورك في 25 و 26 فبراير 1973، بين كيسنجر ومبعوث مصري، وأعلن المبعوث أن مصر مُستعدة لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل، وبموجبها اعتراف إسرائيل بسيادة مصر على شبه جزيرة سيناء، مع الاحتفاظ بالقوات الإسرائيلية هناك، مع تراجع كامل لاحقاً مُقابل إقامة علاقات دبلوماسية، بين البلدين بشكل غير مسبوق لصالح إسرائيل.

ومع ذلك حذر الرئيس المصري أنور السادات من أنه إذا لم يتم قبول عرضه بحلول سبتمبر فسوف يذهب إلى الحرب.

رفضا مئير ذلك وقال لكيسنجر: "سوف نمرر هذا".

وافق ديان وقال: "أُفضل شرم الشيخ بدون سلام، على السلام بدون شرم الشيخ".

بحلول هذا الوقت كانت مصر وسوريا قد انخرطتا بالفعل بشكل محموم في إعداد قواتهما المسلحة للحرب: تحرك ضخم للقوات باتجاه الخُطوط الأمامية ثم بعيداً عنها؛ تدريبات للقوات الجوية بالتزامن مع أنظمة صواريخ أرض–جو المتقدمة التي زودهم بها السوفييت؛ تدريب قوات الكوماندوز على استخدام صواريخ ساغر المُضادة للدبابات؛ ومُناورات واسعة للاستعداد لعُبور قناة السويس بقوة كبيرة، كانت هذه كلها استعدادات واضحة للحرب، ولكن بدون أي معلومات استخبارية تؤكد صراحة هذه الحقيقة، ولذلك رفضتها مؤسسة الدفاع الإسرائيلية باعتبارها مجرد ألعاب حربية.

كان إيلعازر مُقتنعاً بأن الموساد و أمان سيكونان قادرين على إعطاء إسرائيل ما لا يقل عن ثمانية وأربعين ساعة تحذير قبل اندلاع الحرب، أي ما يكفي من الوقت لتعبئة الاحتياطيات، لم يكن هو وزملاؤه قلقين كثيراً من ذلك وعلى أي حال هم واثقين من أن العرب كانوا خائفين من إسرائيل ولن يجرؤوا على شن حرب، وإذا فعلوا ذلك فإن الإسرائيليين كانوا مُتأكدين من أننا "سنكسر عظامهم" في وقت قصير.

في 6 أكتوبر عند الساعة 2 مساءً شن الجيشان المصري والسوري هجمات مُفاجئة مُكثفة ومُنسقة ضد إسرائيل، حيث كان يوم الغفران وهو يوم الكفارة اليهودي، عندها كان الإسرائيليون حتى غير المُتدينين، يُسارعون ويذهبون إلى الكنيس أو يبقون في منازلهم، لذلك كانت القوات على الخُطوط الأماميةُ منتشرة بشكل ضئيل، ألقى المصريون 2200 دبابة و 2900 ناقلة جند مدرعة و 2400 قطعة مدفعية وكميات كبيرة من الأسلحة المُضادة للطائرات والمضادة للدبابات ومئات الآلاف من المُشاة وقوات الكوماندوز في المعركة، معظم هذه القوات عبر قناة السويس، في هضبة الجولان اجتاح السوريون الأراضي الإسرائيلية بـ 60 ألف جندي و 1400 دبابة و 800 بندقية. كما قام كلاهما بتنشيط الجُزء الأكبر من قواتهما الجوية والبحرية، كانت الوحدات الإسرائيلية التي تواجههم مُكونة من بضع مئات من الرجال معظمهم من جُنود الاحتياط الذين تم إبقائهم هناك للسماح للقوات النظامية بالعودة إلى ديارهم في اليوم المُقدس.

خلال الأيام القليلة الأولى حققت الجيوش العربية انتصارات ملحوظة ضد الإسرائيليين الذين قرأوا ذلك بشكل خاطئ، بالإضافة إلى المُفاجأة تكتيكات من الطرف الآخر، أقام المصريون شاطئاً هائلاً على جانب سيناء من القناة، وتوغل السوريون في أعماق مُرتفعات الجولان وكانوا يُهددون باجتياح وادي الأردن والجليل.

ومع ذلك وبفضل الجهود والتضحية الهائلة تمكن الإسرائيليون من وقف الغزوات، وبعد تسعة عشر يوم من الهُجوم المضاد، قلبوا الطاولة على العدو، تم طرد المصريين من رأس الجسر بأكمله تقريباً، اجتازت الوحدات القتالية الإسرائيلية القناة وبعد مُحاصرة قوات العدو على الجانب الغربي من الممر المائي تقدمت باتجاه القاهرة، ووصلت إلى نُقطة تبعد ستين ميلاً فقط عن العاصمة المصرية، تم طرد السوريين من الجولان، وتقدمت القوات الإسرائيلية حتى أصبحت في مرمى نيران دمشق.

لكن النصر جاء بتكلفة باهظة، فقد قُتل أكثر من 2300 جندي إسرائيلي في حرب يوم الغفران، وهي حرب كان من المُمكن منعها من خلال المُفاوضات، أو على الأقل الاستعداد لها بمعلومات استخبارية مُسبقة وكافية.

اجتاحت موجة من الاحتجاجات المجتمع الإسرائيلي، مما أدى إلى تشكيل لجنة تحقيق والاستقالة القسرية لرئيس الأركان إليعازر ورئيس أمان زيرا، إلى جانب كبار المسؤولين الآخرين، بددت الحرب أحلامهم على الأقل مؤقتاً، فعدما تفاخر الإسرائيليين بوجود التفوق العسكري والتجسس، الا انا لم تغني عنهم ذلك من إراقة دماء الكثير من الإسرائيليين، على الرغم من أن اللجنة لم تلوم مئير أو ديان صراحة، بسبب الضغط الشعبي الشديد قدمت رئيسة الوزراء استقالتها في 11 أبريل.

بعد شهر حوالي الساعة 4:30 صباحاً في صباح يوم 13 مايو 1974 تسلل ثلاثة أعضاء من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وهي مجموعة مُنشقة عن مُنظمة التحرير الفلسطينية غير مُرتبطة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عبروا الحدود اللبنانية إلى إسرائيل، اختبأوا في كهف حتى حُلول الظلام، وجدت دورية تابعة لشرطة الحدود الإسرائيلية آثار أقدامهم لكنها لم تتمكن من تعقبهم، تحت جنح الظلام بدأ الثلاثة يشقون طريقهم نحو معلوت وهي بلدة تبعد حوالي ستة أميال عن الحُدود يسكنها مُهاجرون جدد، في الطريق نصبوا كمينا لمركبة تقل نساء في طريقهن إلى المنزل من العمل، مما أسفر عن مقتل واحدة وإصابة أخرى، وفشلت القوات الإسرائيلية التي تم استدعاءها إلى مكان الحادث في إلقاء القبض على الإرهابيين.

في الساعة 3:30 صباحاً جاء الثلاثة إلى منزل على أطراف البلدة، اثنان منهم من سُكان حيفا الأصليين ويمكنهما التحدث بالعبرية، وأخبرا الناس داخل المنزل أنهم شرطة يبحثون عن إرهابيين، عندما فتح الباب اقتحموا المنزل وقتلوا يوسف وفورتونا كوهين وابنهما موشيه البالغ من العمر أربعة أعوام وجرحا ابنتهما بيبي، لم يلاحظوا يتسحاق البالغ من العُمر ستة عشر شهرا وهو أصم أبكم لم يصدر أي صوت، ولدى خروجهم من المنزل ركض الفلسطينيون إلى يعقوب كادوش، موظف في الحكومة المحلية وطالبوه بإعلامهم بالطريق إلى المدرسة، فعل ذلك ثم أطلقوا النار عليه وأصابوه.

وصل الثلاثة إلى مدرسة نتيف مئير وكانوا يعتزمون الانتظار حتى يصل الأطفال في اليوم التالي، لم يتوقعوا العُثور على خمسة وثمانين مُراهقاً تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر وسبعة عشر عام، وعشرة بالغين كانوا ينامون بالفعل هُناك، كان الأطفال من مدرسة دينية في صفد وكانوا في رحلة ميدانية ليلية في منطقة معلوت، وعندما وصلت القوات الأمنية إلى المكان صاح الإرهابيون قائلين إنه إذا لم يتم الإفراج عن عشرين من رفاقهم في السُجون الإسرائيلية بحلول الساعة 6 صباحاً فسوف يقتلون جميع رهائنهم.

كانت غولدا مائير العدوانية مُستعدة للتنازل عن مطالب الإرهابيين، بعد صدمة حرب يوم الغفران واستنتاجات التحقيق، والمُظاهرات الاحتجاجية الغاضبة ضدها، لم ترغب مائير في أن يكون آخر عمل لها كرئيسة للوزراء من شأنه أن يُعرض حياة الأطفال للخطر، وافق مجلس الوزراء على توصيتها لكن وزير الدفاع دايان الذي كان على وشك أن يتم استبداله، اختلف معها، بسبب تداعيات حرب يوم الغفران الذي كان له تأثير مُعاكس عليه، فبعد أن طالب آلاف المُتظاهرين في تل أبيب باستقالته، رأى دايان مسيرته السياسية على حافة خاتمة مُذلة وأراد إظهار العزيمة والسلطة، والطريقة الوحيدة للتعامل مع الإرهابيين هي عدم منحهم ما يُريدون وعدم السماح لهم بالخروج من هنا أحياء، وحث رئيس الوزراء "علينا قتلهم"، في النهاية أعطت مائير موافقتها، وفي الساعة 5:15 صباحاً صدر الأمر لسيريت ماتكال لاقتحام المدرسة.

هذه المرة أثبتت وحدة السيرت متكال عدم كفاية المهمة، القناص الذي أطلق الرصاصة الأولى أصاب هدفه بشكل طفيف، ودخلت قوة بقيادة أميرام ليفين الغرفة الخطأ في الطابق الخطأ،

ورد الإرهابيون بإطلاق النار وإلقاء القنابل اليدوية على حُجرة الدراسة التي كان يُحتجز فيها الرهائن.

ولأن الرهائن كانوا مُتدينين فقد كانوا يجلسون مُنفصلين حيث كان الأولاد يجلسون على طول الجُدران، بينما أخذت الفتيات في المُنتصف وكان لهم نصيب كبير من الاضرار، في الثلاثين ثانية التي سبقت تمكن الساير من الوصول إلى الإرهابيين وقتلهم، قُتل اثنان وعشرون طفلاً، ثمانية عشر منهم فتيات وأربع رهائن بالغين وجندي واحد، واصيب 68 شخص بجروح.

لقد كانت نهاية كئيبة لمسيرة مئير السياسية ففي 3 يونيو 1974 تم استبدالها برئيس أركان حرب الأيام الستة يتسحاق رابين، والسفير السابق للولايات المتحدة، كان رابين يبلغ من العمر 52 عاماً وأصغر شخص يشغل منصب رئيس الوزراء في ذلك الوقت، كان مختلفاً تماماً عن مئير، فبينما امتنعت مائير تماماً عن التدخل في توصيات مستشاريها العسكريين والاستخباراتيين، تورط رابين في أدق التفاصيل في جميع العمليات العسكرية وعمليات مكافحة الإرهاب، التي كان هُناك العديد منها في المستقبل.

كان هُجوم مالوت بداية جولة جديدة من الإرهاب وهو انعكاس آخر لعملية ربيع الشباب، خضعت مُنظمة التحرير الفلسطينية لعدد من التغييرات التنظيمية والهيكلية بعد وفاة قادتها الثلاثة في بيروت، واعتقد الموساد أن العملية كان لها تأثير مُخيف، فقال شمشون يتسحاقي: **"لقد زرع فيهم خوفاً كبيراً".**

وأضاف هراري: **"أجبرهم ذلك على الاختباء والهرب، لقد تمكنا من تعطيلهم، لم يكن لشيء أن عرفات لم ينام في نفس السرير لليلتين متتاليتين ".**

من جهة أخرى عزز ربيع الشباب يد أبو جهاد، الذي كان معظم خصومه الداخليين بعيدين عن الطريق الآن بفضل جهود إسرائيل، بعد ربيع الشباب قرر عرفات وأبو جهاد إنهاء فعاليات أيلول الأسود ووقف الهجمات على أهداف خارج إسرائيل والأراضي المحتلة، يعتقد بعض الصحفيين والمؤرخين بمن فيهم فلسطينيون بارزون أنهم فعلوا ذلك لأنهم أدركوا أن أعمال الإرهاب ضد الإسرائيليين أو اليهود في الدول الغربية تنتهي بإيذاء القضية الفلسطينية أكثر من مُساعدتها، كما أنهم أدركوا أنه في اللحظة التي ارتكبوا فيها أعمالاً إرهابية في أوروبا، أضفوا الشرعية على عمليات القتل المُستهدف الإسرائيلية ضد شعبهم في تلك القارة، مما جعل ثمن كل هجوم إرهابي باهظاً للغاية.

ويرى آخرون إلى حقيقة أن مُنظمة التحرير الفلسطينية حصلت على مكانة دولية في عام 1974 عندما دُعي عرفات لإلقاء كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بصفته رئيس المجلس العسكري الأعلى لمنظمة التحرير الفلسطينية، أمر أبو جهاد باستئناف جميع الهجمات الإرهابية داخل "الوطن الأم المحتل"، تسلل المسلحون إلى البلاد عبر المطارات والموانئ البحرية من أوروبا وعبروا الحدود الأردنية أو شنوا غارات من لبنان، مثل الإرهابيين الثلاثة الذين هاجموا معالوت.

عكست عملية معالوت التي دبرتها الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين استراتيجية أبو جهاد، كان هذا الهجوم الأكثر فتكاً بالفلسطينيين منذ ميونيخ وأسوأ هجوم على الإطلاق عبر الحدود إلى الأراضي الإسرائيلية، لكنها لم تكن الأخيرة بل مجرد إشارة إلى ما سيأتي بعدها.

حوالي الساعة 11 مساءً في 5 مارس 1975 أبحر ثمانية من رجال أبو جهاد في المياه الإسرائيلية على متن سفينة مُتنكرة في هيئة سفينة تجارية مصرية، في ظلمة ليلة غاب عنها القمر صعد الإرهابيون إلى زورق مطاطي وهبطوا على شاطئ في تل أبيب، ساروا عبر الرمال باتجاه الشارع، ثم رشوا متنزه هربرت صموئيل بنيران آلية.

صُنعت سفينتهم لتبدو مصرية لأن الإرهابيين أرادوا تخريب زيارة مُرتقبة للمُنطقة لوزير الخارجية هنري كيسنجر الذي لم يتخل عن محاولاته لإحلال السلام بين إسرائيل ومصر.

استولى الإرهابيون على فندق سافوي وهو عبارة عن مُؤسسة صغيرة تقع على بعد مبنى سكني من الشاطئ، اقتحم الرجال الردهة وقتلوا موظف الاستقبال وجمعوا الضيوف الذين وجدوا في غرفة واحدة.

ذكر تقرير عسكري سري عن الحادث بعد وقت قصير من انتهائه أن هذه كانت "المرة الأولى التي ينجح فيها الإرهابيون في دُخول فرقة إلى قلب البلاد، كان الإرهابيون قريبين جداً من مُجمع كيريا حي تمبلر السابق حيث كان مقر الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية، حتى أن رصاصة طائشة من طراز AK-47 طارت عبر نافذة وسقطت في غُرفة اجتماعات حيث تجمع كبار قادة الجيش الإسرائيلي.

داخل سافوي قام الإرهابيون الثمانية المُسلحين ببنادق هجومية من طراز AK-47 وقاذفات قنابل يدوية بوضع سلسلة من العبوات الناسفة حول الغُرفة التي كانوا يحتجزون فيها الرهائن الأحد عشر (كان ثمانية مدنيين آخرين مُختبئين في مكان آخر بالفندق) وهددوا بقتلهم جميعاً ما لم يتم الإفراج عن عشرين أسيراً فلسطينياً في غُضون أربع ساعات.

بالإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من مرور ما يقرب من عامين أعلن الفلسطينيون أن مُداهمتهم كانت انتقاماً من عملية ربيع الشباب.

استمرت المفاوضات طوال الليل من خلال إحدى الرهائن وهي شابة تتحدث العربية تُدعى كوخافا ليفي، أعطت الإسرائيليين الكثير من المعلومات القيمة حول ما كان يحدث داخل الفندق، كما أقنعت الإرهابيين بالسماح لها بأخذ سائحة ألمانية أُصيبت بجروح بالغة، والتي فقدت ساقها في تبادل إطلاق النار وكانت مُلقاة في بهو الفندق خارج المبنى، وعلى الرُغم من أنها كان بإمكانها البقاء في الخارج، إلا أنها بشجاعة عادت للمُساعدة في المفاوضات.

لكن إسرائيل لم تكن لديها نية إطلاقا لإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، وبدلاً من ذلكو بينما توقف المفاوض الإسرائيلي لبعض الوقت، خططت قوة من سيريت ماتكال لعملية إنقاذ، في الساعة 5:16 صباحاً، اقتحم أربعة وأربعون فرداً من الكوماندوز الفندق، قتلوا سبعة من الإرهابيين ثم أسروا واحداً فيما بعد، ولكن تم انقاذ 11 من الرهائن فقط، قُتل ثمانية مدنيين عندما أدرك الإرهابيون تعرضهم للهجوم وفجروا العبوات الناسفة، كما قُتل ثلاثة جنود من بينهم ضابط أركان كان قائداً سابقاً للوحدة وكان قد تبع من قاموا بالإغارة على الفندق.

كان يُنظر إلى هذا على أنه فشل كبير آخر في حلقة لا نهاية لها على ما يبدو، قال عمر بارلي جندي سايريت ماتكال الذي شارك في مُداهمة الفندق وترقى ليُصبح قائد الوحدة: **"لقد كانت فترة مروعة، كل بضعة أسابيع كُنا نندفع في منتصف الليل وتضعنا مروحية للذهاب إلى مكان هجوم إرهابي آخر، كنت تعلم أنه في الساعات القليلة التي مررت بها قبل الفجر، كان عليك التخلص من المشكلة، على الرغم من أن كُل هذا كان يحدث داخل إسرائيل، إلا أن طبيعة العمليات كانت مُختلفة عما استُخدمت فيه الوحدة في كل مبادرة، وكل عنصر المفاجأة وكل التخطيط كان جانباً آخر مُخيف بشكل رهيب. "**

—

مع استمرار الهجمات بلا هوادة كان واضحاً أن إسرائيل بحاجة إلى مُضاعفة جهودها للقضاء على قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية ولكن حتى عندما كانت الحربة تعمل بكامل قوتها، وجد الموساد صُعوبة في العمل في بُلدان مستهدفة مثل لبنان، حيث يعيش قادة المُنظمة الإرهابية الفلسطينية علاوة على ذلك تم تشديد الاحتياطات الأمنية بشكل كبير بعد عملية ربيع الشباب. أصبح استخدام عُملاء الموساد للقضاء على قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية الآن غير عملي إن لم يكن مستحيلاً.

وبدلاً من ذلك لجأت إسرائيل إلى سلاحها الجوي، في منتصف آب (أغسطس) 1975 أفاد أحد أعضاء الموساد داخل فتح أن مُنظمة التحرير الفلسطينية كانت تُخطط لتجمع حاشد في ملعب المدينة الرياضية في جنوب بيروت، في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) وقبل ساعة واحدة من ذلك التجمع ستجتمع قيادة فتح بأكملها في مكتب قريب، وقد اعتبرت هذه فُرصة مثالية للتخلص من ياسر عرفات وخليل الوزير (أبو جهاد) وفاروق القدومي وهاني الحسن ووديع حداد، والعديد من كبار المسؤولين الآخرين دفعة واحدة، أمر رئيس الوزراء يتسحاق رابين بوضع خُطة على الفور.

وبينما كان رئيس الأركان والسلاح الجوي يؤيدان الهجوم، عارضه رئيس أمان الجنرال شلومو غازيت بشدة، "قلت لوزير الدفاع شيمون بيريز يجب ألا نتورط في شيء مفتوح كهذا، كنت على استعداد لمحاربة الإرهاب بكل قوة ولكن فقط في عمليات سرية لم تترك بطاقة اتصال، كان هُناك بعض الإسرائيليين الذين لم يخجلوا من عمليات القتل المستهدفة، كان موقفي عكس ذلك: شعرت بالخجل وجلست بهدوء ولم أتفاخر بهم ".

تم نقض اعتراضاته وبدأ التخطيط، تم تعيين الرائد أفييم سيلا النجم الصاعد في سلاح الجو لتنسيق العملية، ومن المُقرر أن تُشارك ثماني طائرات هجومية من طراز A-4 Skyhawk وطائرة قاذفة مقاتلة من طراز F-4 Phantom. تم تجهيز طائرات الهليكوبتر في حالة إسقاط أو تحطم أي طيار وتحتاج إلى الإنقاذ، كان كُل شيء يسير وفقا للخطة.

في صباح يوم العملية جاء تقرير الطقس، وكانت التوقعات لغيوم كثيفة فوق بيروت ولأن القنابل الإسرائيلية في ذلك الوقت كانت تفتقر إلى آليات توجيه دقيقة والعمل في جميع الأحوال

الجوية، فلن يكون هُناك يقين من إصابة الهدف، قال الرائد سيلا: "لكنها كانت عملية جذابة للغاية، ولمرة واحدة في العمر"، وكل تلك الاستعدادات الواسعة كان جُزء كبير من سلاح الجو في حالة تأهب عملي وقررنا أن نجربها، أخبرت بيني [بيليد قائد القوات الجوية] "هيا دعونا نغتنم الفُرصة لإرسال الطائرات لأعلى وربما تحدث معجزة."

أقلع الطيارون على أمل أن تُصبح السماء صافية ولازالت سماء بيروت مُلبدة بالغيوم عندما وصلت الطائرات إلى المدينة.

لكن سيلا "لم يأخذ في الاعتبار دوافع الطيارين" كما اعترف لاحقًا، طُلب من الطيارين عدم إسقاط قنابلهم إذا لم يتمكنوا من رؤية الهدف، وهذا لا يزال يمنحهم قدر كبير من حُرية التصرف، لقد عرفوا طبيعة الهدف وأدركوا مدى أهمية القضاء على قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية لإسرائيل.

غاص الطيارون تحت الغطاء السحابي إلى ارتفاع أقل مما تسمح به أوامرهم، عندما رأوا أنهم فوق الهدف أطلقوا قنابلهم التي تحتوي على جهاز تسليح يتم تشغيله بواسطة كابل مُتصل بالطائرة، لكن بما أنها كانت تحُلق على ارتفاع أقل مما كان من المُفترض أن تكون، ظلت الصمامات غير مسلحة، وسقطت القنابل على الأرض وأسطح المباني دون أن تنفجر، "مثل دفعة من البيض المهجور"، على حد تعبير سيلا.

فقط سائق أبو جهاد قتل في الغارة الجوية وسحقته إحدى القنابل غير المُنفجرة، في اليوم التالي نشرت صحيفة لبنانية رسما كاريكاتيرياً يظهر فيه فتى فلسطيني يتبول على قُنبلة إسرائيلية، أمر أبو جهاد بفتح تحقيق لمعرفة من سرب المعلومات الاستخبارية عن الاجتماع.، بعد ثلاثة أشهر تم الكشف عن عميل آخر للموساد وتم تصفيته.

بينما كانت فتح تركز أنشطتها الإرهابية داخل إسرائيل، واصلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هجماتها القاتلة ضد أهداف يهودية وإسرائيلية في الخارج ولا سيما في أوروبا، قصفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين معابد يهودية ومُفوضيات إسرائيلية ومكاتب صحفية، وخطف مقاتلوها طائرات مُتجهة إلى إسرائيل، وهي تقنية نما فيها الكثير من المهارة.

كان جورج حبش لا يزال قائداً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لكن العقل التشغيلي الأكثر ذكاءً في التنظيم كان وديع حداد وهو نائب جورج حبش.

وقال إيلان مزراحي الذي كان يُدير عمُلاء داخل منظمة حداد، "كان لدى حداد موهبة بارعة في النقل السري للمتفجرات إلى موقع الهجوم وإخفائها هناك". قال شمشون يتسحاقي رئيس مكافحة الإرهاب في الموساد: " في بعض الأحيان فضل عمليات نوعية بعيدة عن عمليات ذات تخطيط دقيق". "التدريب الذي قدمه لرجاله في قاعدة في جنوب اليمن كان مختلفاً عما اعتدنا عليه".

كما أُعجب آخرون ببراعة وديع حداد لقد منحه الـ KGB، الذي أطلق عليه الاسم الرمزي Nationalist مساعدة سخية من أجل "الوصول إلى بعض أهدافنا من خلال أنشطة PLFP مع الحفاظ على السرية اللازمة" كما كتب رئيس تلك الوكالة يوري أندروبوف، إلى الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف في عام 1969، قام حداد بالقضاء على المُنشقين السوفييت وهاجم أهدافًا مُرتبطة بوكالة المُخابرات المركزية وفي المُقابل تلقى التمويل والتدريب والأسلحة المُتقدمة والاستخبارات منKGB و Stasi.

كان حداد مستقلاً وحازماً عندما أعلن حبش داخلياً أنه كان يوازن الامتثال ولو بشكل مؤقت، لطلب عرفات بتعليق الأعمال الإرهابية خارج الشرق الأوسط أعلن حداد أن حبش يُمكنه أن يفعل ما يشاء لكنه ورجاله سيواصلون طريقتهم الخاصة.

لسنوات عديدة خطط حداد لهجوم كبير من شأنه أن يصدم العالم، استثمر الكثير من الوقت في التخطيط وجمع المعلومات الاستخبارية لكنه استمر في تأجيلها بسبب عقبات تشغيلية مختلفة، كان من أصعب التحديات أنه كان بحاجة إلى العثور على عُملاء يبدون أوروبيين المظهر، وفي مُنتصف عام 1975 ظهر الحل.

تتمتع مُنظمة التحرير الفلسطينية بعلاقات مُمتازة مع عدد من المُنظمات اليسارية المُتطرفة المُتشددة في أوروبا، بل إنها أقامت مُعسكرات تدريب لها في لبنان وجنوب اليمن اللتين كانت لهما علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتي واتخذت خطاً مُتطرفًا مُناهضاً لإسرائيل.

كان حداد على علاقة جيدة مع فصيل الجيش الأحمر في ألمانيا الغربية، والمعروف أيضاً باسم عصابة بادر ماينهوف، اعتنق أعضاؤها أيديولوجية ماركسية أناركية ومارسوا تكتيكات

حرب العصابات الحضرية ضد تطبيق القانون في ألمانيا والشركات الكبرى، لقد رأوا في إسرائيل بقمعها للفلسطينيين جبهة أُخرى في الحرب ضد شرور الإمبريالية.

تسلل عُضوان من مجموعة تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني وهُما توماس رويتر وبريجيت شولز من ألمانيا وذهبا إلى مُعسكر تدريب للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالقُرب من عدن، حيث انضموا إلى رفاق آخرين، هؤلاء هم الغربيون الذين احتاجهما حداد.

صدرت أوامر لثلاثة من رجال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالانتظار خارج المطار في نيروبي، كينيا، لطائرة إل عال القادمة بينما كان الألمان يُشاهدان منضدة شركة الطيران في المبنى للتأكد من موعد وصول الرحلة النهائية وتنبيه الفرقة المُنتظرة في الخارج.

مُباشرة بعد تحليق الطائرة فوقهم كان من المُفترض أن يقوم رجال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بإسقاطها بصواريخ ستريلا سام 7 المحمولة على الكتف.

في الشهرين السابقين للعملية كان الرجال قد تدربوا على إطلاق النار من طراز ستريلا ودرسوا الرسومات التخطيطية لمطار نيروبي التي رسمها عناصر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين أجروا استطلاعاً أولياً للمكان، وحددوا معاً منطقة خارج المطار بالغرب منه قليلاً، وهي منطقة مليئة بمجموعة من الأشجار العالية والصبار، بين طريق مومباسا الرئيسي وسياج حديقة نيروبي الوطنية، من هذا المكان كان هناك خط رؤية واضح لمُدرج المطار.

قبل أسبوع من العملية تم تهريب صاروخين من طراز ستريلا إلى حداد من قبل KGB إلى كينيا، ودخل أعضاء الفرقة الثمانية كينيا بشكل مُنفصل بجوازات سفر مزورة قبل تسعة أيام، ونزلوا بفندق في وسط المدينة.

كان كُل شيء جاهزاً للهجوم لكن الموساد تلقى أخبار عن هذه العملية من خلال وكيله Junction Sadness وتعني "مُفرق الاحزان".

اندلع شجار داخل الوكالة حيث أراد رئيس الوكالة شموئيل غورين توفير الحماية للعميل المُلقب "الحزن" خوفًا من أنه إذا كشف الموساد عن تفاصيل الهُجوم المُخطط له للسلطات الكينية وساعدها في إحباطه، فإن حداد سيُدرك أن المجموعة مُخترقة من قبل عميل للموساد، وكان من الممكن أن يعني ذلك نهاية الحُزن، اقترح غورين إحباط المؤامرة باستخدام "العمالة العبرية" أي القتل المُستهدف للجُناة من قبل الحربة "دون مُشاركتها مع السكان المحليين".

على الجانب الآخر عارض رئيس قسم العلاقات الخارجية في الموساد ناحوم أدموني الذي كان مسؤولاً عن عمليات الوكالة في إفريقيا لفترة طويلة وكان يعرف الرئيس جومو كينياتا ورؤساء مخابراته جيداً، عارض بشدة تنفيذ مثل هذا الإجراء تحت أنوف "السكان المحليين".

كانت هُناك اعتبارات تشغيلية، فقد بدأت الحربة لتوها في إعادة التنظيم بعد قضية ليلهامر الكارثية، وشعروا أن التعامل مع العديد من الأشخاص في وقت واحد وبينما كانوا يحملون صواريخ في أيديهم، قد يكون أمراً مُعقداً للغاية،" قال مسؤول الموساد السابق إليعازر تسافرير.

الجنرال السابق يتسحاق هوفي الذي تولى منصب مُدير المُوساد من زامير في عام 1974 كان يزود نظرائه في وكالة المخابرات المركزية في لانغلي بالمعلومات وأبلغهم بالتطورات، حيث بعث برسالة مُشفرة إلى رابين مع توصيته بالتعاون مع السُلطات الكينية وعدم استخدام الحربة.

قال يتسحاقي " **من المُستحيل أن تصطدم بالناس كل يوم، فعمليات القتل المستهدف تحتوي على مخاطر جسيمة ورُبما تقي شعبك من خطر إفساد العلاقات مع الدولة التي تنفذ فيها هذه الجرائم في هذه الحالة، كينيا على سبيل المثال هي قاعدة العملات ويجب أن تقوم بتنفيذ عملية نظيفة، لأن الهدف الأسمى هو التأكد من عدم حدوث أي شيء لطائرة العال وفي نفس الوقت حماية أمن مصدرنا على أكمل وجه ممكن** ".

لذلك بدلاً من مُحاولة قتل فرقة الإرهاب، استعان الإسرائيليون بقوات الأمن الكينية، في يوم الجمعة 23 يناير 1976 في وقت مُتأخر من الليل، طار فريق مكون من سبعة عشر إسرائيلي من قاعدة سلاح الجو الإسرائيلي رقم 27 مُتوجهة إلى نيروبي، كانت العملية تُسمى الحموضة المعوية، يتذكر تسافرير، الذي كان أحد أعضاء الفريق على متن الطائرة ويقول: "كان هناك قلق كبير فالكثير من الأرواح على المحك ويجب الاعتماد علينا لنجاح العملية".

بمجرد وصول الفريق الإسرائيلي التقى أدموني بضُباط وكالة المخابرات الكينية لإبلاغهم بالهجوم الوشيك، أصيب الكينيون بالصدمة، كان الرئيس كينياتا غاضباً بشكل خاص عندما أدرك أن الصومال مُتورطة، وافق الكينيون عن طيب خاطر على التعاون، وكانوا سُعداء لأن الموساد لم يكن يتصرف بمُفرده تحت أنوفهم، لقد أصروا على معرفة هوية مصادر الموساد من أجل التأكد من أنهم كانوا على وشك التصرف على أساس معلومات موثوقة لكن أدموني رفض بأدب.

وسرعان ما تمكن فريق موساد وكيني مُشترك من تحديد موقع الألمان والفلسطينيين ووضعهم تحت المراقبة الدقيقة، كما تم تحديد موقع الحافلة الصغيرة البيضاء، التي تحمل لوحة ترخيص KPR338، والتي تم إيداع الصواريخ فيها، لاحقاً تبع الفريق الفلسطينيين الثلاثة عندما انطلقوا لاستكشاف موقع الإطلاق.

في 25 يناير كان من المُقرر أن تُقلع رحلة إل عال رقم LY512 من جوهانسبرج في طريقها إلى تل أبيب، وكان من المقرر أن تتوقف الطائرة وهي من طُراز بوينج 707 وعلى متنها حوالي 150 شخص، في نيروبي الساعة 5 مساءً، قبل وقت قصير انطلق الفلسطينيون الثلاثة والألمان في حافلتهم البيضاء الصغيرة وسيارة أُخرى مُستأجرة، كانت محطتهم الأولى هي إنزال الألمان في المحطة، ثم غادروا المطار وصعدوا إلى الطريق الرئيسي، قبل الانعطاف يميناً في المسار التُرابي في اتجاه موقع الإطلاق المخطط له، ولكن قبل أن يتمكنوا من الوصول إليها، هاجم عُملاء المخابرات الكينية المجموعة؛ بعد ذلك مباشرة التقوا مع الألمان بالقرب في المحطة، وتم استلام الصواريخ والإرهابيين دون صُداع.

حتى الآن كان الكينيون مُتعاونين تماماً مع الإسرائيليين، لكنهم لم يرغبوا في نشر أي شيء على الملأ خوفاً من الضغط العربي الكبير الذي سيتعين عليهم مواجهته في منتديات العالم الثالث والأفريقي إذا ظهرت القضية، واقترحوا اثنين من الحلول: "إما أن نأخذهم إلى الصحراء ونُطعمهم للضباع لتناول طعام الغداء"، أو يُمكن أن يحصل عليهم الإسرائيليون، على أساس أنهم لن يفصحوا أبداً عن أن السُجناء كانوا في أيديهم.

كان الإسرائيليون يأملون في أن يتمكنوا من انتزاع مزيداً من المعلومات من السجناء عن حداد وأنشطته، لذلك اختاروا الخيار الثاني: "إخفاء" الإرهابيين بشكل فعال عن طريق نقلهم إلى إسرائيل، حيث سيتم احتجازهم في عزلة، بظروف قاسية ثم يواجهون مُحاكمة سرية، ربما كانت هذه هي الحالة الأولى للغرب المُتورط في نشاط مُعادي، بعد 11 سبتمبر أطلقت عليه وكالة المخابرات المركزية "التسليم" النقل السري والموثق خارج نطاق القضاء للمُشتبه بهم من دولة إلى أخرى.

سافر المُحققون من الوحدة 504 التابعة لـ أمان والمسؤول الطبي بالوحدة إلى نيروبي، تم تقييد الأسرى الخمسة على نقالات وتم تخديرهم قبل الرحلة التي تستغرق ست ساعات إلى إسرائيل.

في غضون ذلك في تل أبيب كان البعض يُعيد النظر في حكمة جلب الأسرى إلى الأراضي الإسرائيلية، اقترح الجنرال رحبعام زئيفي مُستشار رئيس الوزراء لمُكافحة الإرهاب والاستخبارات، بديلاً لإسحق رابين: "دعونا نلقي الأرواح الخمسة الصالحة في البحر الأحمر ونتخلص من المشكلة"، قال: "التزم الكينيون الصمت بشأن القصة بأكملها ولا أحد يعلم أنه تم القبض عليهم، لدينا معلومات تفيد بأن وديع حداد وعدهم بأنه إذا تم أسرهم، فسوف يخطف طائرة لإطلاق سراحهم، إذا أحضرناهم إلى إسرائيل وخرجت فلن يؤدي ذلك إلا إلى موجة أخرى من الإرهاب ضدنا، دعونا ننهيها الآن ".

نظر رابين إلى زئيفي وظل صامتا لفترة طويلة، ثم طلب من أحد مُساعديه عقد اجتماع عاجل للمنتدى الوزاري حول عمليات القتل المستهدف.

"ماذا تقول؟" سأل رابين الوزراء المُجتمعين بعد أن استمعوا إلى اقتراح زئيفي، واتفقوا جميعاً على أن إحضار الأسرى الخمسة إلى إسرائيل من شأنه أن يُعرض المُسافرين الإسرائيليين للخطر في كل مكان في العالم، كان حداد خاطفاً مُحنكاً سيفعل ما بوسعه لتحرير شعبه، وافق رابين على هذا التقييم، لكنه مع ذلك رفض التوقيع على إعدام السُجناء المُخدرين "ما لم يوافق المُدعي العام على ذلك"، على حد قوله: "اتصل بأهارون الآن".

أهارون باراك الذي أصبح فيما بعد رئيس المحكمة العُليا في إسرائيل والقاضي الأكثر شُهرة في البلاد، استمع بصمت إلى وصف العملية السرية واقتراح إلقاء الجُناة في البحر، "هل انتهيت؟" سأل زئيفي عندما انتهى عرضه، قال بغضب: "هذا جيد لأنني أعتقد أنك مجنون، هذان مواطنان ألمانيان تريد قتلهما وهما مُقيدان ومُخدران على متن طائرة عسكرية إسرائيلية، لا يمكنني بأي حال الموافقة على هذا ".

هبط الفلسطينيون الثلاثة والألمان بسلام في إسرائيل وتم نقلهم إلى مرفق استجواب سري للوحدة 504 في قاعدة تحمل الاسم الرمزي ستالك جنوب شرق تل أبيب، تم وضعهم في زنازين مُظلمة ذات جدران عارية، وتلقوا جُرعات من المُهدئات طوال الوقت، عندما بدأوا في الاستيقاظ "قررنا أن نلعب معهم ألعاب الأشباح"، كما قال رئيس قسم الاستجواب في الشاباك، أريبه هدار، "لبسنا أقنعة وكأنهم ماتوا وأصبحوا في الدار الآخرة."

كان الإسرائيليون مُتحمسين للغاية لمعرفة أكبر قدر مُمكن من المعلومات حول هيكلة وأساليب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأي شيء عن مكان العثور على وديع حداد.

المُحقق الكبير في 504 ، Y. ، وهو ضابط برُتبة مُقدم كان يرتدي قلنسوة يهودي أرثوذكسي وكان معروفاً بكونه يميناً سياسياً، تم تعيينه مسؤولاً عن الفلسطينيين الثلاثة، كان Y. هو الرجل الذي أجرى تدريبات أسير الحرب للقوات الخاصة في جيش الدفاع الإسرائيلي، مع مُحاكاة ظروف الأسر القاسية والتعذيب، قبل وقت قصير من وصول الخمسة مخطوفين في نيروبي، تسبب في إصابة دائمة في العمود الفقري لرجل من سايريت ماتكال بضربه بهراوة، بعد ذلك ببضعة أشهر، انهار أحد الفلسطينيين الذين كانوا يخضعون لاستجواب Y. وتم نقله على وجه السُرعة إلى المستشفى حيث توفي.

"نعم، لم يقتله. لم يقتله. قال إيغال سيمون، قائد 504 في ذلك الوقت، "مات، لقد كان استجواب طويل، طويلاً جدا. تعرض للضرب، ولكن ثبت أن موته ليس له علاقة بهذا وقد أثبت تشريح الجُثة ذلك ".

عندما تم إحضار النُشطاء العرب الثلاثة من كينيا، عمل Y. "بُجهد كبير" بحسب أحد عُملاء الشاباك، أصيب أحدهم بجروح بالغة ونُقل إلى المستشفى لكنه تعافى.

كان السُجناء الألمان يتمتعون بمُعاملة مُختلفة تماماً وتم استجوابهم بأدب من قبل عناصر الشاباك، وزار الجنرال شلومو غازيت مركز الاستجواب، قالت "السيدة [شولز] والتي تركت انطباعاً رائعاً". "امرأة قوية جدا تتحكم في نفسها ومُحيطها بيد من حديد" في النهاية استحوذ هدار، الذي أجرى الاستجواب بطريقته الهادئة والمكر، على شولتز بكلامه اللطيف ومظهره غير المؤذي.

واعترف الألمان وأقروا بالذنب، وقدموا معلومات عن حداد، قال هدار: "لقد أخبرونا بالكثير بما في ذلك خُطط لهجمات إرهابية في المُستقبل"، "طوال هذا الوقت، كانت المرأة من الموساد [المترجمة الألمانية-العبرية] تجلس هُناك وتقول لي بالعبرية، 'أود أن أقتلها،' " قبل أن نفترق، أخذت يد شولز وسألتها، لنفترض أنك في يوم من الأيام عدت إلى ألمانيا وأخبرك أصدقاؤك أنه عليك قتل هاري، "ماذا ستفعلين؟" وأجابت دون أن ترمش، "لم أستطع قتلك، قال هاري: بعد كُل ما فعلته من أجلي".

هاري"وقد سرني هذا الجواب، واعتقدت أنه ربما تُغير شيء ما فيها للأفضل، لكنها أضافت بعد ذلك، "**سأطلب من شخص آخر أن يطلق عليك النار**".

في 27 يونيو 1976 بعد ستة أشهر من إحباط الهُجوم الكيني، اجتمع رابين وحكومته في مكتب رئيس الوزراء في كيريا سارونا في تل أبيب.

كان الوزراء يُناقشون اقتراح وزير الدفاع شيمون بيريز لزيادة رواتب جنود الجيش الإسرائيلي عندما دخل السكرتير العسكري الساعة 1:45 بعد الظهر الغرفة وسلم رابين مُذكرة، فجأة أصبح وجهه قاتما، حمحم حلقه لجذب انتباه الجميع، وقال: "قبل أن نمضي قدماً، لدي خبر سأقوله لكم". انقطع الاتصال بطائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية أقلعت من اللد في الساعة 9:50 على ما يبدو أنه تم اختطافها، يبدو أن الطائرة تطير في الاتجاه الآخر، وعلى متن الطائرة هناك حوالي ثلاثة وثمانين إسرائيليا ".

قال المُساعد العسكري إفرايم بوران، لرابين إن أجهزة المُخابرات لم تعرف بعد من الذي نفذ عملية الاختطاف وأنه سيطلعه على المعلومات فور ورود المزيد من المعلومات.

كان هناك أربعة مختطفين اثنين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واثنان ألمانيان من المتطرفين اليساريين، كانوا قد استقلوا الطائرة المُتجهة إلى باريس أثناء توقفهم في أثينا وبعد إقلاعها، نهضوا وسحبوا البنادق واقتحموا قُمرة القيادة، وأمروا الطيار بالسفر أولاً إلى بنغازي للتزود بالوقود والتقاط ثلاثة إرهابيين آخرين، ثم إلى عنتيبي أوغندا.

أثبت وديع حداد مرة أُخرى أنه أفضل استراتيجي في عالم الإرهاب، لقد تعلم من أخطائه وأخطاء الآخرين وأجرى عملية واسعة النطاق تستند إلى ذكاء دقيق، واستعدادات دقيقة وتنسيق عالي، اثنان من الطغاة، الليبي معمر القذافي وعيدي أمين الأوغندي، وكلاهما قدم المُساعدة اللوجستية واللجوء للخاطفين، بعيدا عن مُتناول إسرائيل.

كان أمين وهو لاعب إكس بوكسر ورقيب في الجيش البريطاني، قد سيطر على أوغندا بمُساعدة الموساد ووزارة الدفاع الإسرائيلية، التي حافظت على علاقات سرية مع البلاد، في

مُقابل الرشاوى التي تلقاها أمين في حقائب ذات قاعين مُزدوجين، منح إسرائيل عقوداً عسكرية ومدنية كبيرة وأطلق سراح الموساد في أوغندا.

لكن إراقة الدماء والوحشية التي مارسها أمين لم يقابلها سوى شهوته للمال، وفي عام 1972 عندما بدأ القذافي يُقدم له رشاوى أكبر من تلك التي قدمتها إسرائيل، طرد ممثليها وأصبح عدواً صريحاً له، وافق على استضافة الخاطفين ورهائنهم في عنتيبي، على بُعد 2200 ميل من إسرائيل.

اعتقد حداد أن إسرائيل لن يكون أمامها بديل سوى التفاوض معه، في عنتيبي أطلق عملاءه سراح 209 ركاباً من غير الإسرائيليين وغير اليهود وطاقم الخُطوط الجوية الفرنسية الاثني عشر، على الرغم من أن الطاقم في عمل تضامني شجاع أصر على البقاء مع الركاب الثلاثة والثمانين الُمتبقين الإسرائيليين وثمانية رُكاب يهود غير إسرائيليين، ثم طالب الخاطفون بالإفراج عن 53 "مناضلاً من أجل الحُرية" مُقابل الرهائن الإسرائيليين واليهود، جاء هذا المطلب عبر عيدي أمين، الذي أجرى اتصالات هاتفية مع إسرائيل بنفسه، وشملت قائمة "المُناضلين من أجل الحرية" المطران هيلاريون كابوتشي، وهو رجل ثياب استغل وضعه الدبلوماسي لتهريب شُحنة كبيرة من الأسلحة في سيارته المرسيدس إلى خلايا فتح في القدس، كوزو أوكاموتو أحد مُنفذي مجزرة مطار اللد عام 1972؛ والإرهابيون الخمسة الذين كانوا في مهمة نيروبي، والذين كان حداد متأكداً من أنهم في أيدي كينية أو إسرائيلية.

كان الموساد في حالة اضطراب، وهناك الآن الكثير ممن أعربوا عن أسفهم لعدم إلقاء الخمسة في نيروبي في البحر، قال تسافرير في اجتماع للقيادة، "يريدون الخمسة؟ بكل سرور، دعونا نطير بهم إلى أوغندا وننزلهم من الطائرة على سطح المبنى حتى يدرك حداد أن هذا كل ما سيحصل عليه منا ".

في غضون ذلك خطط الجيش الإسرائيلي لعملية إنقاذ تضمنت قوة ضخمة تهبط في منطقة بحيرة فيكتوريا، ثم تؤمن المطار بأكمله ومساحة واسعة من الأرض حوله، استمع رابين للخُطة وازداد غضبه كل دقيقة.

قال غاضباً: "في الوقت الذي يستغرقه تأمين المنطقة بأكملها، سيذبح الخاطفون جميع الرهائن وسيكون لدى عيدي أمين الوقت لإحضار تعزيزات".

قال رابين للجيش الإسرائيلي إنه يريد أن يرى خُطة لن تنقضي فيها أكثر من ثلاث دقائق من لحظة هُبوط القوات حتى بدء عملية الإنقاذ"، لكن من هذه المسافة، وبدون أي معلومات استخباراتية بدا هذا طلباً مستحيلاً.

في غياب أي بدائل قابلة للتطبيق كان رابين يميل إلى الامتثال لمطالب الخاطفين، على الرُغم من أنه يكره الفكرة إلا أنه لم ير أي طريقة أُخرى لإنقاذ حياة أكثر من مائة شخص بريء، لكن هذا الإجراء سوف يستتبع خرقاً للقانون الصارم الذي وضعته جولدا مائير وقبلت بعد ذلك كسياسة إسرائيلية: لا مُفاوضات مع الإرهابيين، مدير الشاباك أفراهام أهيتوف طالب بأنه إذا لم تكن هُناك طريقة أخرى فعندئذ على الأقل، يجب ألا يتم تبادل الرهائن، وهي عبارة تم الاستشهاد بها مراراً وتكراراً في مواقف مُماثلة، بعبارة أخرى يُمكن النظر في إطلاق سراح صغار مُوظفي مُنظمة التحرير الفلسطينية، الذين لم يُشاركوا مُباشرة في إراقة الدماء الإسرائيلية، قال أهيتوف: "كل من قتل يهودياً، يجب إما القضاء عليه أو أن يموت في سجن إسرائيلي بعد أن يُحكم عليه بالسجن المؤبد".

لمدة أربعة أيام استمر النقاش، واندلعت مُظاهرات أقارب الرهائن خارج بوابات كيريا على مرمى سمع مكتب رابين، وكانت ابنة مُدير المفاعل النووي الاسرائيلي احدى الرهائن، تمكن من الوصول إلى رابين ومارس عليه ضغوطاً شديدة للتوصل إلى حل وسط مع الإرهابيين.

إذا لم يكن كل ذلك كافياً فقد تلقى رابين بعد ذلك تقريراً سرياً من مكتب الرقابة العسكرية يفيد بأنه منع نشر، في صحيفة يومية إسرائيلية، قصة تضمنت كل تفاصيل عملية الحموضة المعوية، أبلغ أهيتوف رابين أنه أمر بالتنصت على هاتف الصحفي لكنه لم يتمكن حتى الآن من تحديد مصدر التسريب، كان رابين غاضباً: "لقد صدمت حقًا ... لأنه من المُستحيل في هذا البلد أخذ مُراسل عسكري وحبسه واستجوابه حول من أين حصل على معلومات ... هذا تسريب المعلومات هو ستكون كارثة بالنسبة لنا ".

لقد فهم رابين أن كسر وعد إسرائيل لكينيا بالسرية التامة بشأن الخمس ارهابيين في نيروبي سيؤدي إلى أزمة في علاقتهم مع كينيا، والأهم من ذلك أن الكشف عن القضية قد يصور إسرائيل التي كانت تطلب دعم العالم ضد الخاطفين كدولة قرصنة تستخدم أساليب إرهابية من ناحية أخرى، كيف يُمكن لإسرائيل أن تتفاوض مع الإرهابيين بينما نفت كينيا واسرائيل أي معرفة بمكان وجودهم؟

في النهاية توصلت قيسارية إلى حل لا يتطلب تبادل الرهائن مُقابل الأسرى، قبل خمس سنوات قرر هراري أنه بحاجة إلى عميل يمكنه أن يُمثل طياراً، لماذا بالضبط؟ كانت إجابته المُعتادة على أي أسئلة حول الاستعدادات التي أجراها دون أي سبب مُباشر: "رُبما سنحتاجه يوماً ما"، أقنع زامير بالقيام بالاستثمار المالي في ذلك، وخضع الناشط المُسمى ديفيد لتدريب مُطول في إسرائيل وأوروبا.

الآن أتى الاستثمار ثماره، استأجر ديفيد طائرة في كينيا وحلّق في محطات ومطار عنتيبي، والتقط صوراً من الجو، عندما هبط تظاهر بأنه صياد إنجليزي ثري ومُدلل يعيش في بلد في وسط إفريقيا ويحتاج إلى مُساعدة برُج المراقبة في عدد من الأمور، تعاون المراقبون الجويون الأوغنديون عن طيب خاطر حتى أنهم تناولوا معه مشروب، وشاركوا انطباعاتهم عن "الفوضى العارمة في الأيام القليلة الماضية" وعن حالة الرهائن في المحطة المُجاورة.

بعد اثنتي عشرة ساعة عندما أحضر هراري تقرير ديفيد المُفصل ومئات الصور التي التقطها لرابين أضاء وجه رئيس الوزراء وقال "هذا ما احتاجه بالضبط، هذه هي مخابراتنا العاملة" كانت الطلقات التي أطلقها الجنود الأوغنديون حول المعبر مُهمة بشكل خاص لرابين، والتي اعتبرها دليلاً على أن رجال وديع حداد لم يُفخخوا المبنى، قال: **"لم يكن عيدي أمين ليسمح لرجاله بالتواجد هناك"**، كما اتضح من الصور أن القوة الأوغندية التي تحرس المعبر كانت صغيرة جداً.

ولكن على الرُغم من أن الغارة على عنتيبي كانت بمثابة نصر تكتيكي كبير، إلا أن الرجل الذي أمر باختطاف، وقعت غولدا مائير أمر قتله منذ أكثر من ست سنوات، وهو الإرهابي الذي أُصيب بجُروح طفيفة بسبب وابل من قذائف الآر بي جي، أطلق النار من خلال نافذة مكتبه في بيروت، المتعصب الذي نجا من قنبلة ألقيت على ملعب بيروت في عام 1974 والذي تصدّر قائمة الأهداف الإسرائيلية، والذي كان هدفاً لعدد من خطط الاغتيال التي لا تزال على لوحات الرسم – كان لا يزال على قيد الحياة ما زال طليقا، طلب رابين من الموساد ألا يدخر أي جهد فيجب أن يموت وديع حداد.

13

معجون الأسنان سلاح قاتل

في مايو 1977 خسر حزب العمل الإسرائيلي الذي حكم البلاد مُنذ تأسيسها في عام 1948 الانتخابات الوطنية لأول مرة، هزمه حزب الليكود وهو حزب يميني قومي بقيادة مناحيم بيغن القائد السابق لمنظمة إرغون، الحركة السرية المناهضة لبريطانيا، مزيج بين العوامل المختلفة التمييز والإهانة التي يعاني منها المهاجرون اليهود من الدول العربية، وكشف الفساد في حزب العمل، وأوجه القُصور في حرب يوم الغفران، بيغن مكنته قدرته الكاريزمية على الاستفادة من هذه العوامل.

كان العديد من القادة الأجانب وكبار المسؤولين المحليين ينظرون إلى بيغن على أنه مُتطرف ومُثير للحرب، كان بعض رؤساء الأجهزة العسكرية والاستخباراتية في إسرائيل مُقتنعين بأنه سيتم استبدالهم قريباً بأنظار الحكومة الجديدة.

لكن خطوات بيغن الأولية كرئيس للوزراء فاجأت الجميع في الخارج والداخل، في اجتماع قمة دراماتيكي مع الرئيسين جيمي كارتر وأنور السادات في كامب ديفيد عام 1978 وافق على اتفاقية سلام مع مصر تنص على انسحاب إسرائيل الكامل من شبه جزيرة سيناء، انسحاب الجيش وتفكيك المستوطنات والتخلي عن حقول النفط والمُنشآت السياحية عارضها اليمين الإسرائيلي بشدة، لكن بيغن الذي خاطر بمكانته السياسية، أجبر حزبه على الامتثال لذلك كما أنه عزز بشكل كبير التحالف الأمني مع الولايات المتحدة وعزز السُلطة الشاملة للمحكمة العُليا الإسرائيلية.

داخلياً لم يكن هناك تغيير مناصب، في الواقع طلب بيغن من رجلين تربطهما علاقات قوية برئيس الشاباك أفراهام أهيتوف ورئيس الموساد يتسحاق هوفي البقاء في وظيفتيهما، قال هوفي: **"كان الأمر غريب جداً بالنسبة لنا"، كان حزب العمل متشدداً وعملياً عندما يتعلق الأمر بشؤون الجيش والاستخبارات، قال هوفي: "لكن بالنسبة لبيغن كان الجيش شيئاً مُقدساً".**

من الناحية العملية كان هذا يعني أن بيغن أعطى الجيش ووكالات الاستخبارات تفويضاً مُطلقاً، لقد حصل على وصول محدود للغاية إلى مجتمع الاستخبارات عندما كان يقود المُعارضة البرلمانية وكان لا بد من تعليمه الكثير، قال نائب رئيس الموساد ناحوم أدموني: "**كان الأمر كما لو كان يحوم فوقنا على ارتفاع ثمانين ألف قدم**".

وقّع بيغن دون سؤال على جميع أوامر القتل المُستهدفة التي قدمها الموساد على الصفحة الحمراء، لم يصر رئيس الوزراء حتى على إجراءات التشغيل المعيارية المُتمثلة في قيام أحد مُساعديه بتسجيل الاجتماعات مع رئيس الموساد للموافقة على عمليات التخريب والقتل المُستهدف، هذا فاجأ هوفي الذي قال:"**رابين سيطرح القضية للموافقة عليها أمام مجلس الوزراء الداخلي، لكن بيغن وقع على العمليات وجهاً لوجه بدون كاتب اختزال وبدون مساعده العسكري، نصحته أنه من المهم كتابة الأشياء**".

كانت نُقطة الخلاف الوحيدة بين بيغن ورُؤساء استخباراته تتعلق بالتظليل والأولويات، في أول لقاء له مع هوفي، قال: إنه يريد من الموساد إطلاق حملة قتل مُستهدفة واسعة النطاق ضد مُجرمي الحرب النازيين الكبار، قال هوفي: "قلت له، يا رئيس الوزراء، لدى الموساد اليوم مهام أخرى تتعلق بأمن إسرائيل الآن وفي المستقبل، وأنا أعطي الأولوية لليوم وغداً قبل الأمس، لقد فهم ذلك لكنه لم يُعجبنا، في النهاية قررنا أننا سنُركز على هدف واحد، [جوزيف] مينجيل، لكن بيغن كان شخص عاطفي للغاية وكان محبطاً ".

لكن في الوقت نفسه فهم بيغن وجهة نظر هوفي، قال شلومو ناكديمون الصحفي الإسرائيلي البارز الذي كان مقرباً من بيغن وعمل كمُستشار إعلامي له عندما كان رئيساً للوزراء: "على عكس الإسرائيليين الآخرين الذين رأوا المحرقة كارثة تاريخية في وقت من الأوقات، لقد آمن بيغن من كُل قلبه بأن درس الهولوكوست هو أن الشعب اليهودي يجب أن يحمي نفسه في بلده من أجل منع تجدد التهديد لوجوده ".

لقد ساوى بيغن بين ياسر عرفات وأدولف هتلر واعتقد أن العهد الفلسطيني الذي دعا إلى تدمير الدولة اليهودية، لم يكن أقل من كفاحي الثاني، "نحن اليهود والصهاينة، مُسترشدين بالتجربة لن نسلك المسار الذي سلكه القادة في أوروبا وفي جميع أنحاء العالم في الثلاثينيات"، قال بيغن في خطاب فادح في الكنيست في 9 يوليو 1979 مُهاجماً ألمانيا الغربية والمستشاران النمساويان ويلي برانت وبرونو كريسكي لعلاقاتهما بياسر عرفات.

"نحن نأخذ كفاحي الثاني على محمل الجد وسنفعل كل ما في وسعنا وبعون الله سنتمكن من منع تحقيق الوعد الذي قاله ابن الشيطان (عرفات)، زعيم مُنظمة خسيسة تتكون من القتلة، لم يكن مثلها موجوداً منذ النازيين ".

—

في عام 1974 مع انحسار هجمات الإرهاب في أوروبا ، كان عرفات يُركز بشكل خاص على الجُهود السياسية في الساحة الدولية للحصول على اعتراف دبلوماسي بمُنظمة التحرير الفلسطينية ولتقديم نفسه كشخص مُستعد للتفاوض مع إسرائيل، على الرغم من اعتراضات إسرائيل الصاخبة، فُتحت بعثات دبلوماسية رسمية وعلنية لمُنظمة التحرير الفلسطينية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أوروبا، في ذروة هذه الحملة في تشرين الثاني (نوفمبر) 1974 مثّل عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وألقى خطاباً تم قبوله عموماً على أنه معُتدل نسبياً.

علاوة على ذلك أدت جُهود عرفات للظهور كمُدافع عن حل سياسي للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني إلى ذوبان الجليد في العلاقات بين مُنظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة، كانت المخابرات الإسرائيلية قلقة للغاية بشأن التقارب المُحتمل بين حليفها الرئيسي وعدوها الرئيسي، ورقة في ديسمبر 1974 أعدتها الرابطة آنذاك، حذر رئيس الوزراء رابين من أن " للولايات المتحدة مصلحة في الحُصول على أقصى قدر من النفُوذ داخل مُنظمة التحرير الفلسطينية حتى لا تظل معقلاً سوفييتياً حصرياً"، كما ذكرت الصحيفة عن وزير الخارجية هنري كيسنجر ، الذي كان يُعتبر من الموالين لإسرائيل، "لا نجد في كلماته نفياً مُطلقاً لمُنظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بالمُستقبل".

مُجتمع المخابرات الإسرائيلي لم يقتنع بدبلوماسية مُنظمة التحرير الفلسطينية، بالنسبة إلى أمان لم يكن الأمر أكثر من "مسودة استراتيجية لتصفية إسرائيل"، وبينما كان عرفات يتودد لدبلوماسيين أميركيين وكان في الأمم المتحدة، كان شعبه يواصل مُهاجمة المواطنين الإسرائيليين، عرفات كان النقيض التام لمظهره المُضحك، قال اللواء عاموس جلعاد وهو شخصية بارزة في المُخابرات العسكرية منذ فترة طويلة "لقد كان نوعً من العبقرية"، وكان له نائبان لإدارة العمليات الإرهابية، أبو جهاد وأبو لياد، لكن باستثناء هجوم واحد، لن تجد أي صلة مُباشرة بعرفات، إنه مثل حارس حديقة حيوان يترك أسداً جائعاً في الشوارع ويأكل

شخصاً.. فمن المسؤول؟ الأسد؟ من الواضح أنه حارس الحديقة، تلقى أبو جهاد التوجيهات من حيث المبدأ، ويقوم بالباقي بنفسه، عرفات لم يرغب في التقارير، ولم يُشارك في التخطيط للاجتماعات ولم يوافق على العمليات ".

أدى بروز عرفات المُتزايد على المسرح العالمي إلى نقاش حاد بين الموساد وأمان حول ما إذا كان لا يزال هدفاً مناسباً للاغتيال، جادل العميد بيجال برسلر، رئيس قسم أمان آنذاك الذي تعامل مع أهداف الاغتيال، بحماس بأنه يجب ترك عرفات على رأس القائمة: "إنه إرهابي يداه ملطختان بدماء اليهود ويأمر شعبه بمواصلة تنفيذ الهجمات الإرهابية، يجب عمل كُل شيء للتخلص منه".

رئيس جهاز مُكافحة الارهاب في الموساد شمشون يتسحاقي اختلف في الرأي: "بعد خطاب عرفات في الامم المتحدة، أصبح شخصية سياسية، إنه رأس الأفعى لكن العالم منحه الشرعية، وقتله سيضع إسرائيل في مأزق سياسي لا داعي له ".

في النهاية فاز الرأي الأخير، وهذا يعني إزالة اسم عرفات من قائمة القتل ودفع اسم وديع حداد إلى القمة.

لمُدة ثمانية عشر شهراً بعد مُداهمة عنتيبي عاش وديع حداد بأمان ورفاهية في بغداد وبيروت.

كان الموساد متخوفاً من استخدام الأسلحة النارية في العواصم العربية مثل بغداد ودمشق وبيروت، لأن خطر القبض عليه كان ببساطة أكبر من اللازم، ولذلك تم البحث عن طُرق اغتيال أكثر صمتاً، تلك التي لها توقيع أقل وضوحاً وجعلت الوفاة تبدو طبيعية أو عرضية، على سبيل المثال، مرض أو حادث سيارة، في مثل هذه الحالات حتى لو كان هُناك اشتباه في وجود لعبة خبيثة، بحلول الوقت الذي يمكن فيه فعل أي شيء سيكون القتلة قد ذهبوا بعيداً، بينما في حالة الإصابة باستخدام الأسلحة النارية، سيكون من الواضح على الفور أن القتلة لا يزالون في المناطق المجاورة.

قرر الموساد استغلال اختراقه الاستخباراتي العميق لتنظيم حداد وتخصيص مُهمة تصفيته إلى مفرقعات الطرق، تم تكليف العميل الحزن الذي كان يتمتع بدرجة عالية من الوصول إلى منزله ومكتبه، باغتيال وديع حداد باستخدام السُم.

في 10 كانون الثاني (يناير) 1978 قام موقع الحُزن بتحويل معجون أسنان حداد إلى أنبوب مُماثل يحتوي على سُم قاتل، والذي تم تطويره بعد جُهد مُكثف في المعهد الإسرائيلي للبحوث البيولوجية في نيس زيونا جنوب شرق تل أبيب، وهو أحد أكثر المواقع حراسة مُشددة في اسرائيل. تم تأسيسها في عام 1952 وما زالت تعمل كمُنشأة تطور فيها إسرائيل عوامل الحرب البيولوجية الدفاعية والهجومية، في كل مرة يُنظف فيها حداد أسنانه، تخترق كمية دقيقة من السُم القاتل الأغشية المُخاطية في فمه وتدخل إلى مجرى الدم، إن التراكم التدريجي في جسده عندما يصل إلى كتلة حرجة سيكون قاتلاً.

بدأ حداد يشعر بالمرض وتم نقله إلى مُستشفى حكومي عراقي، أخبر الأطباء هُناك أنه في منتصف شهر يناير بدأ يُعاني من تقلصات شديدة في البطن بعد تناول وجبة من السَّم تلاشت شهيته، وخسر أكثر من خمسة وعشرين رطلاً.

تم تشخيصه لأول مرة على أنه يُعاني من التهاب الكبد، ثم نزلة برد شديدة، عالجه الأطباء بالمُضادات الحيوية القوية، لكن حالته لم تتحسن، بدأ شعره يتساقط وارتفعت درجة حرارته، كان الأطباء في بغداد في حيرة من أمرهم، كانوا يشتبهون في أن حداد قد تسمم، أمر عرفات أحد مُساعديه بالتواصل مع جهاز المُخابرات الستاسي في ألمانيا الشرقية لطلب المُساعدة، في السبعينيات من القرن الماضي زودت ستاسي المُنظمات الإرهابية الفلسطينية بجوازات سفر واستخبارات ومأوى وأسلحة، اعتبر زعيم ألمانيا الشرقية إريك هونيكر وآخرون في ذلك البلد، عرفات على أنه ثوري حقيقي مثل فيدل كاسترو وكانوا على استعداد لمساعدته.

في 19 مارس 1978 تم نقل حداد جواً إلى مُستشفى مرموق في برلين الشرقية وهو مستشفى يخدم أعضاء مُجتمعات المُخابرات والأمن، قام مساعدوه بتعبئة حقيبة له مع أدوات النظافة الخاصة به، بما في ذلك أنبوب من معجون الأسنان القاتل.

المواد الاستخباراتية التي وصلت إلى الموساد بعد أن استقل الطائرة من بغداد إلى برلين تبعث على الرضا، "كان حداد قد انتهى تماماً عندما وصل إلى ألمانيا" هكذا قرأ تقرير في اجتماع للقيادة يوضح: "خبراء المعهد البيولوجي يقولون إنه رجل ميت يمشي".

تم قبوله تحت اسم مستعار أحمد الدكلي 41 سنة، خمسة أقدام وست بوصات، لقد كان بالفعل في حالة سيئة، نزيف في العديد من الأماكن، بما في ذلك تحت الجلد، وفي لسانه ، ولوزتيه، وأغشيته الجنبية، وداخل جمجمته، مع وجود كميات كبيرة من الدم في بوله، تم إعاقة عمل نخاع العظام، مما أدى إلى انخفاض في عدد الصفائح الدموية الحمراء في دمه، على الرغم من مُعاملته كمريض مُتميز، استمرت حالة حداد في التدهور، الأطباء العسكريون أفضل الأطباء في ألمانيا الشرقية، يضعون مريضهم في كُل اختبار يمكن تصوره: الدم والبول ونخاع العظام والأشعة السينية، كانوا يعتقدون أنه قد تسمم، إما بسم الفئران أو ببعض المُعادن الثقيلة، ربما الثاليوم، لكنهم لم يتمكنوا من العُثور على دليل مادي، وبحسب معلومات وصلت إلى إسرائيل من وكيل في ألمانيا الشرقية، ترددت صرخات الألم التي أطلقها حداد في جميع أنحاء المستشفى، وأعطاه الأطباء جُرعات مُتزايدة من المهدئات والمهدئات.

توفي وديع حداد في عذاب شديد في مُستشفى برلين الشرقية في 29 مارس، بعد عشرة أيام من وصوله، بعد ذلك بوقت قصير تلقى رئيس Stasi إريك ميلكي تقريراً كاملاً، بما في ذلك نتائج تشريح الجُثة الذي أجراه البروفيسور أوتو بروكوب، من جامعة هومبولت في برلين الشرقية، وهي إحدى الهيئات الرائدة في العالم في مجال الطب الشرعي، وكتب أن السبب المُباشر للوفاة هو "نزيف المُخ والالتهاب الرئوي بسبب اعتلال العمود الفقري" وأنه في ضوء الأعراض والتشخص قيد المناقشة، كان هُناك مجال للشك في أن أحدهم قد اغتاله، لكن في الطب، كان يعترف في الواقع أنه ليس لديه فكرة عما قتل حداد.

في وقت وفاته كان وديع حداد يقود فعلياً مُنظمة مُنفصلة تماماً عن تلك التي يقودها جورج حبش، لكن حبش حزن على رحيل رفيقه، ولم يكن لديه شك في أن إسرائيل كانت وراء ذلك.

شعر الموساد وقادة جهاز الدفاع الإسرائيلي بسعادة غامرة نتيجة العملية، لقد تم تحييد أحد أقوى أعداء إسرائيل وأكثرها فاعلية، بعد خمس سنوات من فشل ليلهامر، عاد الموساد إلى عمليات القتل المُستهدف وقام بذلك بطريقة مُتطورة للغاية، ربما كانت هذه هي المرة الأولى التي تدخل فيها عبارة "**توقيع منخفض**" لوصف عملية اغتيال يبدو أن الوفاة فيها طبيعية أو مُصادفة، قد دخلت في مُفردات الموساد.

قال شمشون يتسحاقي: "**كنت سعيداً جداً عندما سمعت أن حداد قد مات**" ولأن إسرائيل لم تعترف قط بأنها قتلت حداد، شدد على "**لا تأخذوا كلامي كتأكيد على تورطهم في القضية**"

لكنه أعلن أن "كل من تلطخت يده بدماء يهودية محكوم عليه بالموت، بدون حداد، بالمناسبة لم تكن منظمته موجودة كانت تعمل بالفعل بشكل مُنفصل عن جورج حبش، وانقسمت بين نواب حداد ثم استمرت في الانقسام حتى تلاشت ".

—

مع القضاء على حداد انتقل الموساد إلى هدفه التالي: علي حسن سلامة، أسباب موت سلامة موضع خلاف، اعتقدت المُخابرات الإسرائيلية أنه خطط ونفذ مذبحة الفريق الأولمبي الإسرائيلي في ميونيخ، رغم أن الأشخاص الذين عملوا مع سلامة ينفون بشدة هذا الاتهام، على أي حال من المحتمل أن تكون الرغبة في القضاء عليه قد اشتدت بسبب حقيقة أن مُحاولة اغتياله في ليلهامر قد تحولت إلى الفشل الذريع الأكثر إحراجاً في تاريخ الموساد، قام سلامة بصب الزيت على النيران بنفسه من خلال السُخرية من الوكالة لإفسادها العملية النرويجية، قال سلامة في مُقابلة مع صحيفة الصياد اللبنانية: "عندما قتلوا بوشيكي، كنت في أوروبا"، "كان بوشيكي موظفاً في حمام السباحة، وجهه وشكله لا يتطابقان معي " قال سلامة إنه تم إنقاذه "ليس بسبب مهاراته في التنكر، ولكن بسبب ضعف المُخابرات الإسرائيلية".

تم توزيع هذه المُقابلة على رُؤساء مجتمع المخابرات من قبل قسم أمان الذي يتعامل مع استخبارات المصادر المفتوحة وكان هراري قد طلب من الوحدة جمع كل التفاصيل المُمكنة عن سلامة، قال لشعبه عندما تمت قراءة المُقابلة في اجتماع في قيسارية، توعدوا وقالوا: "لا تخف" "سيأتي يومه".

لا شك أن سلامة ارتبطت بعدد من الأعمال الإرهابية ضد أهداف إسرائيلية وعربية، وهو نفسه اعترف بالتورط في عمليات أيلول الأسود في المُقابلتين اللتين أجرياهما، لكن أيلول الأسود لم يعد موجوداً في عام 1978 وتولى سلامة عدد من الأدوار الداخلية في فتح تاركاً الأنشطة الإرهابية للآخرين، هل كان الانتقام مما فعله في الماضي سبباً كافياً لإخراجه؟

قال يائير رافيد الذي كان قائد المنطقة الشمالية للوحدة 504 وأحد كبار الخُبراء في هجمات مُنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، "كان مقتل سلامة في المقام الأول مسألة إغلاق حساب ميونيخ" "من وجهة نظرنا لم يكن البادئ بهجمات إرهابية" في أواخر السبعينيات، ومع ذلك

أصر نشطاء قيساريون آخرون في ذلك الوقت على أن سلامة ظل يُمثل تهديداً كقائد للقوة 17 التابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، وحدة الحرس الشخصي لعرفات، قال أحد المُحاربين القُدامى في قيسارية: "علينا أن نتذكر أن القوة 17 لم تكن تحرس عرفات فحسب، بل نفذت عمليات إرهابية مُختلفة".

لكن كان هناك دافع أعمق.

في 10 يوليو 1978 خلال اجتماع رفيع المستوى في الموساد، ذكر رئيس قيسارية مايك هراري أنه كان هناك "تقدم كبير" نحو هدف القضاء على سلامة، لكن ديفيد كيمشي رئيس يونيفرس (تيفيل) فرع الموساد المسؤول عن العلاقات مع وكالات الاستخبارات في البُلدان الأخرى قال إن نُظرائه في وكالة المُخابرات المركزية قد ألمحوا إلى أن سلامة كان أحد أصولهم، "لم يقولوا صراحة إنهم يُريدون حمايته، ولكن يجب أن يكون هذا مطروح على الطاولة، وعلينا أن نسأل أنفسنا ما إذا كانت علاقاتنا مع" هيلجا "وهو لقب الموساد لـ CIA" يجب أن تغير موقفنا تجاهه ".

وقد رد شمشون يتسحاقي بحدة: "وماذا في ذلك؟ لنفترض أنه مُرتبط بالأمريكيين، هذا الرجل يداه ملطخة بدم يهودي، كان متورط في ميونيخ ولا يزال يعمل ضدنا، أنا لا أبالي إذا كان عميلاً أمريكياً ".

في الواقع لم يكن سلامة مُجرد مصدر لوكالة المخابرات المركزية، بل كان MJTRUST / 2، كما تم تسميته من قبل مراقبيه في لانجلي، أحد أهم جهات اتصال وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط، علاوة على ذلك كان يتصرف بمعرفة وموافقة تامة من ياسر عرفات، وكان بمثابة قناة للتبادلات بين الأمريكيين ومُنظمة التحرير الفلسطينية.

قال "دومينيك" وهو مسؤول كبير في المُوساد شارك في مُطاردة سلامة، إنه طوال السبعينيات علم الموساد بعمق العلاقات بين وكالة المُخابرات المركزية وسلامة، اعتبر الموساد ورئيس الوزراء رابين وبيغن أن هذه العلاقات "ليست أقل من خيانة من جانب حليف، أي طعنة في الظهر".

وفقًا لـ مُذكرات الجاسوس الجيد، وهي سيرة ذاتية موثوقة لروبرت سي أنيس، أحد أذكى عُملاء وكالة المُخابرات المركزية في الشرق الأوسط، التقى سلامة وآنيس لأول مرة في عام 1969 في مقهى ستراند في بيروت، واستمرا في التلاقي مراراً في منازل آمنة لوكالة المخابرات المركزية في نفس المدينة، أبلغ أنيس وكالة المُخابرات المركزية الأمريكية أن عرفات يُقدر سلامة كثيراً.

اعتُبرت مُنظمة التحرير الفلسطينية رسمياً مُنظمة إرهابية من قبل الولايات المتحدة، لكن وكالة المُخابرات المركزية أرادت الحفاظ على قناة خلفية، في عام 1973 بموافقة كيسنجر، أصبحت لهذه القناة صلة سرية لكن رسمية بين الولايات المتحدة وعرفات، على مر السنين التقى الاثنان في أوروبا وبيروت عدة مرات، استمر الاتصال حتى بعد أن تولى سلامة دور قيادي في أيلول الأسود، لقد اختلف الأمريكيون والموساد على تقييم دور سلامة ومسؤوليته في الأنشطة الإرهابية.

اعترف سلامة لـ أنيس بأنه جند محمد بودية في أيلول الأسود وهو صاحب المسرح الباريسي الذي أرسل عمُلاء لتفجير فُندق في إسرائيل. اعتبر أنيس هذا "ذكاءً مثيراً للاهتمام" بل إنه أعرب عن تعاطفه مع القضية الفلسطينية وقد كتب في رسالة إلى الوسيط الذي نقل الرسائل بينه وبين سلامة: "إنني على دراية كاملة بأنشطة صديقنا، وعلى الرغم من أنني لا أتفق معهم جميعاً، يمكنني أن أتعاطف مع شُعور منظمته بضرورة تنفيذها ".

فعل أنيس كل ما في وسعه لإقناع سلامة بأننا " لسنا في الخارج من أجل الحصول على منظمته، على عكس مُعتقداته فنحن لسنا مجموعة عمل مثل مجموعته، كما استمر في طمأنته من أجل الحفاظ على التواصل معه على قيد الحياة: "يجب أن يعرف صديقنا أنه لا يزال لديه أصدقاء في مناصب عالية تدعمه في قضيته".

كانت النقطة الوحيدة التي رأى أنيس أنه من المناسب توجيه اللوم فيها إلى سلامة كانت احتمال أن يعمل أيلول الأسود في الولايات المتحدة: "أنشطته في أوروبا، الموثقة بالكامل، وخططه في أراضينا التي نعرفها تماماً، هي النقاط الوحيدة التي نختلف عليها ".

بمعنى آخر طالما كان سلامة حريص على عدم إلحاق الأذى بالأميركيين أو التصرف على الأراضي الأمريكية، فيمكنه مواصلة مُهاجمة أهداف أخرى دون خوف من انتقام الولايات المتحدة. حتى أن أنيس ذهبت إلى أبعد من ذلك ليعرض عليه "يمكنني ترتيب سفر آمن إلى أبعد نقطة أوروبية إذا رغب في ذلك".

من خلال وسيط أنيس سلامة تم ترتيب لقاء بين نائب مُدير وكالة المُخابرات المركزية فيرنون والترز وكبار مسؤولي فتح وعُقد اللقاء في الرباط– المغرب، في 3 نوفمبر 1973، أصبح التفاهم القائم بين أنيس وسلامة موقفاً رسمي، فتح لن تؤذي الأمريكيين وستبقى قناة الاتصال السرية مفتوحة.

لم يكن أنيس حاضراً عندما سافر سلامة مع عرفات لحضور الجمعية العامة في نيويورك عام 1974 لكنه نظم الزيارة ورتب لقاءات في والدورف أستوريا، قال دومينيك: **"شاهدناه وهو يُرافق عرفات في أنحاء نيويورك، كان هذا إهانة وجرح، وكأنهم قد وخزوا إصبعاً في أعيننا".**

حاول سلامة كمبعوث لعرفات الحصول على اعتراف أمريكي رسمي بُمنظمة التحرير الفلسطينية كمُمثل وحيد للفلسطينيين، لم يحدث ذلك، لكن وجود قناة الحوار بحد ذاته كان انجازا مهما من وجهة نظر عرفات، في المُقابل ساعد سلامة أنيس بمُختلف أنواع المعلومات حول التطورات في لبنان وفي مُنظمة التحرير الفلسطينية، وعن خُصوم مُنظمة التحرير الفلسطينية للولايات المتحدة.

نشأت صداقة عميقة بين أنيس وسلامة، وبسبب مكانة أميس المتصاعدة في الوكالة أثرت بشكل تدريجي على موقف الإدارة الأمريكية تجاه مُنظمة التحرير الفلسطينية، بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في عام 1975 تحولت بيروت إلى منطقة حرب، أرسل سلامة رجاله لحراسة السفارة الأمريكية، ونظر الإسرائيليون مُندهشين من ذلك.

الارتباط مع سلامة لم يكن مُبادرة أميس الخاصة أو عملية مارقة، على الرغم من أن الأمريكيين كان لديهم مواقف انتقادية حادة تجاه إسرائيل، كان في الواقع مشروع ذا أولوية عالية لوكالة المُخابرات المركزية بأكملها، في أواخر عام 1976 أرسل مُدير الوكالة جورج دبليو بوش، دعوة رسمية إلى سلامة عبر أميس، للحضور إلى لانجلي، جمعت الزيارة التي تمت في يناير 1977 بين العمل والمُتعة، حيث أخبر سلامة أميس أنه "يحتاج حقاً إلى إجازة، فقد تزوج للتو ملكة جمال الكون السابقة، ملكة الجمال اللبنانية جورجينا رزق، وأراد تحقيق حُلمها بقضاء شهر العسل في هاواي وديزني لاند، وقد وعد أميس بالعناية بها.

نظمت وكالة المُخابرات المركزية الرحلة، ورافق مسؤول كبير الزوجين أينما ذهبوا، بما في ذلك جميع الألعاب في مدينة ملاهي كاليفورنيا، استمتعت رزق كثيرا، وكره سلامة ديزني لاند لكنه

كان سعيد جد بالهدية التي تلقاها من ضابط عمليات وكالة المُخابرات المركزية آلان وولف، وهي عبارة عن حافظة جلدية رائعة للكتف لمسدسه.

استذكر تشارلز ويفرلي مُرافق وكالة المُخابرات المركزية، الزيارة قائلاً: "كل ما أراد سلامة فعله حقاً هو أكل المحار، كان يعتقد أنهم مثيرون للشهوة الجنسية، كنت في غُرفة الفندق المُجاورة لذلك سمعت النتائج في المساء ".

بسبب العلاقة بين مجتمعي المُخابرات الإسرائيلية والأمريكية واعتماد إسرائيل الكُلي على الولايات المتحدة، امتنع الموساد عن العمل على الأراضي الأمريكية، عرف سلامة أنه لم يتعرض للتهديد هناك، كان هذا يعني أنه يُمكن للزوجين قضاء عُطلة حقيقية، دون أن يعيقهم الحُراس الشخصيون.

ومع ذلك كان نادراً ما يُغادر سلامة بيروت، وأحاط نفسه بأمن مُشدد، كان يتنقل في قافلة من المركبات المُحملة بحُراس شخصيين مُسلحين، مع مدفع رشاش ثقيل من نوع دوشكا عيار 22 ملم مثبتاً على شاحنة بيك آب من طُراز تويوتا ويصل المؤخرة.

لم يتأثر أميس وزميله في وكالة المخابرات المركزية، يذكر بيرد في كتابه أن سام وايمان، أحد ضباط ارتباط وكالة المُخابرات المركزية مع سلامة في بيروت، سأل ذات مرة سلامة: "كيف سيحمي هذا المدفع اللعين؟ إنه يُعلن للجميع عن مكانك، ضحك سلامة وقال: "أوه.. هذا جيد".

يُلاحظ بيرد أن سلامة تلقى عشرات التنبيهات من وكالة المُخابرات المركزية، بعضها بنبرة صارمة للغاية بأن الموساد كان في طريقه للتغلب عليه.

قال وايمان: "لقد حذرته" "قلت له:" أيها الأحمق سوف يأخذونك بالطريقة التي تقود بها في بيروت، إنها فقط مسألة وقت .... أنت تنتهك كُل مبدأ من مبادئ مُمارسة الذكاء الجيد، يعرف الإسرائيليون من أنت، وهم يعرفون ما فعلته، ولذا يجب أن تكون حذراً ".

حتى أن وكالة المخابرات المركزية زودت سلامة بُمعدات اتصالات مُشفرة لتعزيز أمنه، وفكرت في إرسال سيارة مصفحة لحمايته من الإسرائيليين.

بالنسبة لدومينيك، كانت هُناك طريقة واحدة فقط يُمكن من خلالها تفسير هذه العلاقة: "تخيل أننا الموساد، أنشأنا علاقة سرية مع أسامة بن لادن، ليس لأننا جندناه كجاسوس يعمل مُقابل المال ولكن علاقة ودية، تقريباً مثل الحُلفاء وتبادل المعلومات والمصالح المُتبادلة، تخيل أننا قُمنا بدعوته في زيارة إلى مقرنا في تل أبيب، وأعربنا عن تفهمنا وتعاطفنا لهجوم البُرجين التوأمين، وأخبرناه أنه من المقبول له أن يستمر في تفجير السفارات الأمريكية طالما أنه لم ينفجر فينا، لقد قدمنا له ولزوجته الضيافة الملكية، وفعلوا كل شيء لحمايته من فقمات البحرية القادمة لقتله، كيف سترى أمريكا ذلك؟ "

توصل الموساد في النهاية إلى استنتاج مفاده أن "قطع هذه القناة كان مهم للغاية، لإظهار أنه لا يوجد أحد مُحصن ولإعطاء الأمريكيين تلميحاً إلى أن هذه ليست طريقة للتصرف تجاه الأصدقاء" أبلغ مدير الموساد هوفي رئيس الوزراء بيغن عن العلاقة بين سلامة والأميركيين ولكن حتى مع هذه المعرفة قبل توصية الموساد باغتياله.

في يونيو 1978 بعد ثلاثة أشهر من مقتل وديع حداد، بدأت عملية (الموقد) مطاردة سلامة، في حالة تأهب قصوى، لأول مرة منذ عملية ربيع الشباب، قيسارية تقتل شخص ما في بلد مُستهدف: "مُهمة زرقاء وبيضاء لضمان إنجاز المُهمة"، على حد تعبير هراري، طُلب من وكيل أمان الوحدة 504 الذي يحمل الاسم الرمزي رومينيجه، على اسم نجم كُرة قدم ألماني في ذلك الوقت.

كان رومينيجه هو أمين الحاج، وهو فرد من إحدى العائلات الشيعية البارزة في لبنان وتاجر ذو علاقات جيدة، سهّل تجنيده كراهيته للفلسطينيين ورغبته في الحصول على إذن لنقل بضاعته بحُرية في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأحياناً عبر إسرائيل (التي يقول البعض إنها تحتوي على الكثير من المُخدرات غير المشروعة) دون عوائق من قبل البحرية الإسرائيلية، عادة ما تُعقد الاجتماعات بين رومينيجه ومُراقبته على متن قارب صاروخي إسرائيلي قُبالة سواحل لبنان.

استخدم الحاج شبكته من المصادر للتوصل إلى عدد كبير من التفاصيل حول روتين سلامة اليومي، واكتشف أنه قضى الكثير من الوقت في الجيم والمُنتجع الصحي في فندق كونتيننتال في بيروت وأنه كان يتقاسم شُقة مع رزق في الصنوبرة الراقية حي المدينة.

كان هراري مسرورا، وقال "سلامة كان بطبيعته فتى مُستهتر وشخصية بارزة في الطبقة الاجتماعية البراقة في بيروت، من السهل الاقتراب في مثل هذه الدوائر.

ذهب أحد العاملين في قيسارية إلى بيروت وحجز غُرفة في فندق كونتيننتال بهوية أوروبية مُزيفة، وسجل في صالة الألعاب الرياضية، كان يذهب إلى هُناك كل يوم، ويُصادف بين الحين والآخر سلامة، كان يعلم أن سلامة يهتم بشدة بالساعات الفاخرة والملابس العصرية، وكان يرتدي ملابسه وفقاً لذلك في غُرفة خلع الملابس، ويقف دائماً على مقربة من الفلسطينيين قدر الإمكان.

في أحد الأيام هنأ بعض أعضاء الصالة الرياضية الآخرين سلامة على جائزة تلقاها رزق في إحدى الحفلات الليلة السابقة، انضم الناشط في قيسارية وأجرى مُحادثة مع سلامة، قال هراري: "كان هُناك بعض الترابط بين الذكور".

أصبح الاثنان ودودين ويتجاذبان أطراف الحديث بين الحين والآخر، قال مصدر مُشارك في العملية: "الفكرة في مثل هذه اللقاءات هي السماح للهدف ببدء الاتصال وإلا فسيبدو الأمر مُريباً خاصة بالنسبة لشخص مُطارد مثل سلامة".

قال هراري عندما عاد العامل في قيسارية إلى إسرائيل، تمت مُناقشة اغتيال على سلامة، وطرح إمكانية اغتياله عن طريق "وضع بعض السُم في معجون أسنانه أو صابونه أو غسول ما بعد الحلاقة"، لكن الخطر بالنسبة للعميل، إذا تم اكتشافه بدا أكبر من اللازم.

البديل الآخر وهو وضع عبوة ناسفة في خزانة سلامة في صالة الألعاب الرياضية، تم رفضه خوفاً من إصابة أحد المارة الأبرياء، في النهاية قرر هراري التخلي تماماً عن فكرة أخذه إلى صالة الألعاب الرياضية أو مكتبه أو منزله، بسبب الإجراءات الأمنية المُشددة في تلك المواقع.

الحل الذي تبناه هراري كان جديداً على الموساد: قُنبلة في شارع عام تُصيب هدفا مًتحركاً، سيتم إرسال سلامة أثناء قيادته عبر بيروت، برفقة شاحنة تويوتا مع مدفع رشاش ثقيل وسيارة

ثالثة يشغلها حُراس شخصيون، في مكان ما على طول الطريق، مع مرور السيارات الثلاث سيتم تفجير عُبوة ناسفة كبيرة من قبل أحد عناصر الموساد المُتمركز بشكل غير ملحوظ على مسافة آمنة.

قام ياكوف رحافي وهو عالم سابق في وكالة ناسا عينه الموساد لرئاسة قسم التكنولوجيا، بإنشاء جهاز خاص للعُملاء لمُمارسة تنفيذ العملية، في التمرين كان على المُشغل أن يضغط على الزر في اللحظة التي يمر فيها هيكل السيارة على عجلات معدنية، تجره مركبة أخرى، بنُقطة معينة لم يكن هناك انفجار، فقط إشارة إلكترونية توضح ما إذا كان الزر مُتزامناً بدقة مع مرور السيارة.

ذكر العُملاء الذين شاركوا في التدريبات أن رحافي واثنين من النُشطاء الذكور الآخرين لم يتمكنوا من تحديد التوقيت الصحيح، سألت إحدى العاملات في مكتب مُكافحة الإرهاب والتي كانت حاضرة في التدريبات: "ربما ستدعني أحاول"، ابتسم رحافي وسلمت لها جهاز التحكم عن بعد، لقد قامت بضبط توقيتها بشكل مثالي، ومع عدة تدريبات مُتتالية وفي النهاية جربوها باستخدام المُتفجرات، مع عارضات أزياء في نافذة المتجر في السيارة، ومرة أخرى كان توقيت المرأة مثالياً.

قالت هراري: "طالما كان الرجال يضغطون على الزر، كان هناك جو من اليأس، ولكن بعد أن تفوقت عليه مراراً وتكراراً، في ظروف الإضاءة المُختلفة، أدركت أن النساء على ما يبدو أفضل من الرجال وأنا اتخذ قراراً وفقاً لذلك" ناشطة اسمها رينة تضغط على الزر في بيروت، قال هراري: "لم يكن هذا قرارًا سهلاً، كان علينا تغيير جميع قصص الغلاف وإنشاء شيء يُناسب المرأة التي قد تضطر إلى البقاء لساعات طويلة في موقع يطل على الشارع، لم يكن كافياً لها فقط أن تعرف كيف تضغط على الزر، لم يغادر سلامة منزله في نفس الأوقات كل يوم، في بعض الأحيان كان من الضروري أن تكون في حالة تأهب لمدة ثمانية عشر ساعة، وفي بعض الأحيان كان عليها أن تُغلق عينيها أو تذهب وتختلس النظر، الأمر ليس بالأمر السهل ".

—

الاسم الحقيقي لرينه هو إيريكا تشامبرز، ولدت في إنجلترا عام 1948 وهي ابنة ماركوس تشامبرز، المُهندس الذي صمم سيارات السباق وقضى مُعظم حياته في حلبات السباق، وزوجته لونا مُغنية ومُمثلة من عائلة يهودية تشيكوسلوفاكية ثرية، قُتل معظمهم في الهولوكوست، درست إيريكا في جامعة ساوثهامبتون في الستينيات، حيث كان يتذكرها بشكل واضح لقيادتها البرية. سافرت إلى أستراليا ثم إلى إسرائيل، حيث التحقت ببرنامج الماجستير في علم المياه في الجامعة العبرية، في أوائل عام 1973 اتصل بها أحد المُجندين في الموساد، لقد أحببت فكرة الجمع بين المغامرة وبين ما وصفته بـ "تقديم مُساهمة كبيرة في أمن الدولة"، اجتازت جميع اختبارات الفحص، وتم إدخالها إلى قيسارية، ثم خضعت لبرنامج التدريب الشاق، في منتصف عام 1975 غادرت إسرائيل واتخذت هوية بريطانية مزورة، وبدأت في القيام بمهام في الخارج، وتم اختيار رينة ورجلين لاغتيال سلامة.

دعت الخُطة المُعقدة مرة أخرى إلى تعاون وثيق مع الوحدات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، الذين كان من المُقرر أن يُنفذوا تلك الجوانب من العملية التي لم يستطع الموساد تنفيذها بنفسه،

وصلت رينة إلى بيروت في تشرين الأول / أكتوبر 1978 وقدمت نفسها على أنها مُوظفة في مُنظمة غير حكومية مُهتمة بمُساعدة الأيتام الفلسطينيين في ملجأ في مُخيم تل الزعتر للاجئين، عاشت في المدينة لمدة شهرين تقريباً، وجمعت مع عميل آخر معلومات عن تحركات سلامة، في وقت مُبكر من العام الجديد، استأجرت شُقة في الطابق الثامن من مبنى شاهق في شارع بيكا، تطل على شقة سلامة، في 16 كانون الثاني (يناير)، وصل النُشطاء الآخران إلى بيروت بشكل مُنفصل، أحدهما بجواز سفر بريطاني والآخر بجواز سفر كندي.

في 18 كانون الثاني عبر فريق من سيرت ماتكال الحُدود إلى الأردن، في منطقة عربة جنوب البحر الميت كان بحوزته مائة كيلوغرام من المُتفجرات البلاستيكية وعبوة تفجير، على الجانب الآخر من الحُدود، كان عميل 504 ينتظر، وضع المتفجرات في سيارته وتوجه إلى بيروت، في 19 كانون الثاني (يناير)، في مرآب للسيارات تحت الأرض، قابل النُشطاء الرجلين، قال كلمة السر وهي كلمتين باللغة الإنجليزية وأعطوا الرد الذي تم ترتيبه مُسبقاً بكلمتين، ثم قام العميل بتسليم المُتفجرات وجهاز التفجير وغادر المكان بعد أن أتم دوره في العملية.

حمل العناصر القُنبلة في سيارة فولكس فاجن كانوا قد استأجروها قبل يومين، وفحصوا جهاز التفجير، وأوقفوا السيارة في الشارع المُقابل لمُجمع سلامة السكني.

هراري بنفسه سافر إلى بيروت للإشراف على تتويج عملية مافير، فهو لا يُمكن أن يسمح لنفسه بفشل آخر مثل ليلهامر، ترك سيارة فولكس فاجن التي تحتوي على القُنبلة مُتوقفة في شارع مُزدحم لفترة طويلة كانت مُشكلة يُمكن أن تُثير اشتباه مُفتش وقوف السيارات، الحل: "للتبديل بين السيارات، في الوقت الذي كُنا على يقين من أن سلامة لن يمر، مجرد التأكد من احتفاظنا بالمكان الصحيح لوُقوف السيارات كان عملية في حد ذاتها "، في 21 يناير 1979 غادر هراري رياند اسرائيل وسافر للتأكد أنه سيكون هُناك أقل عدد مُمكن من النُشطاء في الميدان.

في اليوم التالي بعد الساعة الثالثة مساءً بقليل، انتهى سلامة من تناول الغداء مع زوجته، وقبلها قُبلة الوداع وغادر، ركب سيارته شيفروليه وانطلق في الساعة 3:23 باتجاه مكاتب القوة 17 وكان حرُاسه الشخصيون يُسافرون في سيارة لاند روفر أمامه وسيارة تويوتا خلفه، كان قد قطع حوالي ستين قدماً فقط عندما تعادل تشيفي مع فولكس فاجن، وتم الضغط على زر التفجير، هز انفجار هائل بيروت، وتحولت شيفروليه إلى كُرة من النار، روى أحد النشطاء الذي كان يُراقب من مسافة بعيدة، في وقت لاحق لأصدقائه أن سلامة تمكن من الخُروج من السيارة، وملابسه مُشتعلة، وسقوط على الأرض، وتمتم أحد الفريق، "مت أيها اللعين! موت!"

ركض قائد عملية ميونيخ في أيلول الأسود والذي كان يمر بالُصدفة وحاول المُساعدة، رأى قطعة معدنية ضخمة استقرت في جُمجمة سلامة، تم نقل سلامة إلى مُستشفى الجامعة الأمريكية، حيث تُوفي على طاولة العمليات.

كما قُتل ثمانية آخرون في الانفجار: سائق سلامة وحارسان شخصيان وثلاثة لبنانيون وألماني وبريطاني، واعترف هراري بأن عملية مثل هذه، بتفجير عبوة كبيرة في منطقة تعج بالمارة لن تتم الموافقة عليها في دولة غير عربية.

انتظرت رينة والعناصر الآخران على الشاطئ بالقُرب من جونيه شمال بيروت، زورق مطاطي يديره شايطيت13 ، وقام رجلاً باصطحابهم في مُنتصف الليل، قام جُندي بحري شاب برفع رينة إلى القارب، وكان الرجل في مهمته الأولى هو هوليداي، الذي سيصُبح يوماً ما رئيساً لقيسارية، التقى الزورق بقارب صاروخي تابع للبحرية كان ينتظر في البحر وفي غُضون ساعات كان فريق الضربة في حيفا.

كان مقتل سلامة بمثابة ضربة مُروعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، **"لقد حذرتهم!" وصرخ عرفات بغضب شديد في مُقابلة تلفزيونية بعد ذلك بوقت قصير، "حذرت إخواني، انتبهوا! سيُطاردنا الموساد، واحداً تلو الآخر، قائداً بعد قائد"**، "في جنازة سلامة الضخمة أخذ عرفات حسن، ابن القتيل الذي سُمي على اسم جده، القائد الفلسطيني في حرب عام 1948 على ركبته مُمسكاً بُندقية من طراز AK-47 تماماً كما حمل على نفسه في نصب تذكاري لوالده قبل خمسة وعشرين عاماً.

كتب فرانك أندرسون رئيس محطة وكالة المُخابرات المركزية في بيروت إلى حسن رسالة تعزية عاطفية: "في مثل عُمرك فقدت والدي، اليوم فقدت صديقاً كُنت أحترمه أكثر من الرجال الآخرين، أعدك بتكريم ذكرى والدك والاستعداد لأكون صديقك " أغلقت إسرائيل حسابها مع علي سلامة، لكنها لم تنجح في قطع العلاقات بين الولايات المُتحدة ومُنظمة التحرير الفلسطينية، كان روبرت أميس حزيناً جداً لوفاة صديقه، وحاول جاهداً إقامة العلاقات مع الرجل الذي عينته مُنظمة التحرير ليحل محله وهو هاني الحسن، بعد القتل تبنى أميس مواقف اعتبرت مُؤيدة للفلسطينيين، وكان شخصية رئيسية في صياغة خُطة ريغان، والتي كانت في الواقع أول اعتراف أمريكي رسمي بحق الفلسطينيين في إقامة دولة خاصة بهم. .

14

مجموعة من الكلاب البرية

قبل أسبوع من دخول وديع حداد وهو يتألم من سم الموساد إلى مستشفى في ألمانيا الشرقية، علم الشاباك من أحد مصادره، والذي يُطلق عليه اسم Housemaid " خادمة المنزل" عن تدريب فرقة من مُنظمة التحرير الفلسطينية لشن غارة على إسرائيل، عاموس جلعاد من وحدة أمان التي تعاملت مع الإرهاب الفلسطيني، التقى بخادمة منزلية في منزل آمن لـ "الشاباك" في القدس وغادر الاجتماع وهو يشعر بقلق شديد: **"لقد فهمت أنهم كانوا يُخططون لشيء فظيع، وأرادوا التسبب في أكبر عدد ممكن من الضحايا "**.

المعلومات التي أكدتها عمليات التنصت على مكاتب مُنظمة التحرير الفلسطينية في قبرص، كانت مُحددة للغاية عرف الشاباك أسماء الإرهابيين والموقع الدقيق لقاعدتهم على شاطئ الدامور في لبنان، كانوا يعرفون أن الإرهابيين كانوا يُخططون لهُجوم من البحر، وأن الهُجوم كان يهدف إلى تعطيل مُحادثات السلام التي بدأها بيغن مع مصر، كان عرفات وأبو جهاد قد أمروا بذلك لأنهم كانوا يخشون، أن تؤدي الهُدنة بين مصر وإسرائيل إلى ترك الفلسطينيين في مأزق، حيث كانت مصر حتى الآن المُدافع الرئيسي عنهم، كانت الغارة مهمة للغاية بالنسبة لمُنظمة التحرير الفلسطينية لدرجة أن أبو جهاد نفسه قد اختار المُقاتلين، إلى جانب قائد عملياته في لبنان، عزمي زرائير.

جلعاد أراد الضربة أولاً للقضاء على التهديد بشن هجوم استباقي على القاعدة الإرهابية، في 5 مارس 1978 نفذ الكوماندوز البحري، شايطيت13 عملية الرجل المحظوظ (BarMazal) كان الهدف هو القضاء على جميع الإرهابيين في قاعدة الدامور، لكنهم في الواقع قتلوا فقط من كانوا في بناية واحدة، في حين أن من كانوا في مبنى قريب ولم يخرجوا ولم يُطلقوا النار لم يصاب بأذى، كانت الخادمة قادرة على الإبلاغ عن هذا أيضاً.

طالب جلعاد بأن تعود فرقة الكوماندوز مرة أخرى لإنهاء المُهمة، لكن وزير الدفاع عيزر وايزمان قال: "**انسوا كل هذه الغارات الخاصة، أنا ذاهب إلى واشنطن غداً ولن يؤدي ذلك إلا إلى إفساد زيارتي**".

احتج جلعاد بشدة: "**يعرف أبو جهاد الآن أننا نعلم أنه يعد شيئاً، لن يؤدي ذلك إلا إلى تحفيزهم على التحرك في أسرع وقت ممكن وسيكون هناك هجوم قاتل** ".

ربما كان وايزمان مُحقاً في أن العناوين الرئيسية حول عمل عسكري إسرائيلي في منطقة ذات سيادة لدولة أخرى ستلقي بظلال قاتمة على زيارته الأولى للبنتاغون كوزير دفاع لكن اتضح أنه قرار مُكلف.

في 11 مارس 1978 الساعة 2:30 مساءً نزل أحد عشر رجلاً من فتح على الشاطئ بالقرب من كيبوتس ماغان ميخائيل، جنوب حيفا، في محمية طبيعية مُحاطة بأحواض تُربية الأسماك حيث تتوقف قُطعان الطيور المُهاجرة في طريقها من وإلى أفريقيا، كانت مُصورة الطبيعة الأمريكية تُدعى جيل روبن تلتقط صوراً للطيور عندما عثر عليها فريق المداهمة، كان الفلسطينيون على وشك اليأس بعد ثلاثة أيام مُرهقة وخطيرة في البحر، غرق خلالها اثنان من الفريق، لأن المياه كانت شديدة العاصفة وجرفتها أميال إلى البحر، فقدوا اتجاهاتهم واعتقدوا أنهم هبطوا في قبرص، شعروا بالارتياح عندما أخبرهم روبين أنهم في إسرائيل، في مُنتصف الطريق بين حيفا وتل أبيب، شكروها وأردوها قتيلة.

ثُم قطع المُهاجمون الطريق الساحلي، الطريق بين حيفا وتل أبيب، وتحت تهديد السلاح خطفوا سيارة أجرة ثم حافلة وأخذوا السائقين والرُكاب كرهائن، وأمروا سائق الحافلة بالتوجه جنوباً باتجاه تل أبيب، كان أبو جهاد قد أمرهم بالاستيلاء على فُندق، لكن المُهاجمين الذين أصبحوا الآن في معنويات عالية بسبب وجود عشرات الرهائن في أيديهم، قرروا تغيير طبيعة العملية، حيث أشار التقرير السري للجيش الإسرائيلي حول ما تلاه إلى أن "ارتجال الإرهابيين أدى إلى أسلوب جديد للهجوم– هجوم أثناء التنقل (على طول طريق يزيد طوله عن 50 كيلومتر) كان مُفاجأة ولم يكن هُناك انتشار على الإطلاق من جانب قوات الأمن "، أطلق الإرهابيون النار من نوافذ الحافلة على سيارات على الطريق وأوقفوا حافلة أخرى واحتجزوا ركابها كرهائن أيضاً، وبسبب الطبيعة الجديدة للهجوم، وجدت القوات الأمنية صُعوبة في قراءة الموقف والحفاظ على تقييم محدث، وأخذ زمام المبادرة مما أثر على مسار الحادث ونتائجه".

على الرغم من أن الشرطة تمكنت من إيقاف الحافلة في الضواحي الشمالية لتل أبيب إلا أن الارتباك أدى إلى فوضى مُطلقة، "كان العامل الغالب هو الافتقار إلى السيطرة المركزية، سواء بين الإرهابيين الذين كانوا يُحاولون الدفاع عن أنفسهم بإطلاق النار بكل الاتجاهات، وبين قوات الأمن ".

ووضع أحد الإرهابيين يده التي تحمل مسدسه على رأس ابنة أحد الرهائن، أفراهام شامير وشاهد شامير الرجل مصاباً، فهاجمه وأخذ مسدسه وأطلق النار على إرهابي يقف في مقدمة الحافلة، ثم أطلق ثلاث رصاصات على إرهابي آخر، حذر رهينة "انه خلفك!" واستدار شامير ليرى أحد العرب يُصوب سلاحه نحوه، أطلق كلاهما النار في نفس الوقت وأصاب كُل منهما الآخر، رأى شامير الشجاع الذي لا يزال يعمل، أن الرجل الذي أمسك بندقيته كان مُلقى على الأرض يتمتم ووجهه مُغطى بالدماء، كان يحمل قُنبلة يدوية في يده، ونزع دبوس الأمان، حاول شامير منعه من إسقاطه، لكنه فشل وسقطت القنبلة على الأرض، حاول استخدام جسد الإرهابي لصد الانفجار، لكن ذلك لم ينجح، وانفجرت القُنبلة مما أدى إلى إصابة عين شامير بجُروح خطيرة وقُتل الإرهابي وخمسة رهائن، أشعل الانفجار النار في الحافلة، وتمكن بعض الإرهابيين والرهائن من الفرار، لكن مُعظمهم تم حرقهم أحياء.

في المجموع قُتل خمسة وثلاثون إسرائيلي، ثلاثة عشر منهم أطفال، وجُرح 71 قتل تسعة من الإرهابيين، وتم القبض على أحدهم في مكان الحادث، والآخر تم العُثور عليه في مُستشفى حيث نُقل الجرحى، قال أريبه هدار كبير مُحققي الشاباك: "أراه مستلقياً هناك مصاباً بجُروح طفيفة ولكن مع أنبوب تغذية وحقن في الوريد وهو يسخر منا في وجهنا، لقد فهم الطبيب ما حدث، وأدار ظهره لنا وقال: "ستفعل ما تفعله، وسأفعل ما أفعله"، سحبنا الأنابيب وصرخ قليلا من الألم وبدأ يتحدث على الفور، قال: "أبو جهاد أرسلنا".

مذبحة الطريق الساحلي كما أصبحت معروفة في إسرائيل هي واحدة من الهجمات الإرهابية القليلة، من بين الآلاف التي عانت منها إسرائيل، والتي تم تصنيفها في الوعي الجماعي، وزير الدفاع وايزمان الذي يشعر بالندم لأنه منع هجوم استباقي، هرع إلى المنزل وأمر الجيش الإسرائيلي بشن غزو واسع النطاق لجنوب لبنان "عملية الليطاني" بعد ثلاثة أيام من المجزرة عبرت المُدرعات والمظلات الإسرائيلية إلى لبنان بهدف قتل أكبر عدد مُمكن من مُقاتلي مُنظمة

التحرير الفلسطينية، وتدمير قواعدهم في جنوب لبنان ودفعهم شمال نهر الليطاني، على بعد خمسة عشر ميلاً شمال الحدود الإسرائيلية.

لم يُحقق التوغل سوى القليل من أهدافه، قُتل نحو ثلاثمائة من عناصر مُنظمة التحرير الفلسطينية ودمرت قواعدهم واستولوا على مستودعات الأسلحة، بالإضافة إلى ذلك تم تشكيل قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) ونشرها في المنطقة وتم إنشاء ميليشيا موالية لإسرائيل، معظمها مسيحيون هي الجيش اللبناني الحر، ولكن مع مرور الوقت لم تستطع حتى كل هذه القوات الجديدة منع إطلاق صواريخ الكاتيوشا على إسرائيل أو الاختراق عبر الحدود من قبل فرق مُنظمة التحرير الفلسطينية.

وبسبب الغضب الذي أحدثه ذبح المدنيين وارتكب الجنود الإسرائيليون بعض أعمال قتل الأسرى والنهب خلال عملية الليطاني التي استمرت أسبوعاً، مرة أخرى تلقت إسرائيل إدانة دولية حادة.

أدرك وايزمان أن العمليات واسعة النطاق في لبنان كانت غير واردة، في غضون ذلك، تطلبت عمليات الموساد شهوراً عدة من التحضير، من حيق معرفة كيفية الوصول إلى حالة الهدف تحت هوية مًستعارة، وتنفيذ ضربة والخروج دون أن يتم اكتشافك، بدلاً من ذلك اختار وايزمان الغارات الدقيقة والقتل المُستهدف من قبل وحدات القوات الخاصة الأقل تعقيد والأسرع ولا تتطلب قصة تغطية يقوم بها الكوماندوز في مُعدات قتالية كاملة، وحدة الكوماندوز البحرية شايطيت13 كانت هي الفرقة المُختارة لتنفيذ معظم هذه المهام .

—

كان رجل وايزمان المسؤول عن العمليات في لبنان هو الجنرال رافائيل "رافول" إيتان، الذي أصبح رئيس الأركان في أبريل 1978، إيتان وهو مزارع ونجار كان مظلياً قوياً لم يعرف أي خوف أثناء المعركة وكان صقراً سياسياً من الذين "آمنوا بنقل الحرب ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى مؤخرة العدو لمضايقتهم في قواعد انطلاقهم".

لم ير إيتان نفسه ملزماً بقواعد الاختيار السياسي، ورداً على إلقاء الفلسطينيين للحجارة في الضفة الغربية اقترح على الكنيست إنشاء مُستوطنات يهودية جديدة هناك حتى يتمكن العرب من "الركض مثل حشرات مُخدرة في زجاجة"، وكانت إحدى خطواته الأولى كرئيس للأركان

هي العفو عن مُجرمي جيش الدفاع الإسرائيلي المُدانين (Y) الذي قتل الفلسطيني الأسير الذي كان تحت إشرافه والذي اعتبره مشتبه به بجرائم الارهاب، وتم نقل أسير آخر كان متورطاً في مؤامرة نيروبي إلى المستشفى جراء تعامل المُحقق (Y) ، وكذلك العفو عن المُلازم دانيال بينتو الذي عذب وقتل سجينين أثناء عملية الليطاني وألقاهما في بئر.

خاطب إيتان وهو رجل يشبه الدب، ولا يتكلم سوى القليل وتحدث الى الكوماندوز البحري في قاعدتهم في عتليت بعد فترة وجيزة من توليه منصب رئيس الأركان وقال: "**أنتم يا وحدة شايطيت13 ، مثل كُرات الكاهن، لم تُستخدم ولكن من الجيد أنكم موجودون هنا**" توقف للحظة ونظر حوله ليتأكد من أن الجميع يبتسمون في حكمته الفجة والمثل الذي تحدث به، ثم أصبح جادا، ونظف حلقه، ووجه الرسالة الرئيسية: "**كُل هذا سيتغير**".

تأسست شايطيت13 في أواخر عام 1949 كوحدة كوماندوز سرية مسؤولة عن عمليات الاختراق والتخريب وعمليات القتل المُستهدف عبر البحر، الشعار الذي اختاره المؤسسون يُلائم هذه الروح: "**مثل خفاش من الظلام– ومثل شفرة تقطع في صمت– ومثل قُنبلة يدوية تتطاير بزئير**"، شارة الوحدة هي أجنحة الخفافيش مع شعار البحرية الإسرائيلية في المُنتصف، كان برنامجها التدريبي لمدة ثمانية عشر شهراً وشاق مثل برنامج تدريب سيرت متكال، إن لم يكن أكثر من ذلك، قرب نهاية الدورة التدريبية، يخضع المجندون لمُحاكاة أسير حرب جهنمي.

بين عامي 1978 و 1980 نفذ شايطيت 13 ثلاث وعشرين غارة ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية في الأراضي اللبنانية أو في البحر، وأسفرت هذه العمليات عن مقتل نحو 130 من الأعداء وجرح المئات وتدمير مخازن أسلحة وذخائر، كانت بعض الهجمات تهدف إلى القضاء على فرق إرهابية بأكملها كانت تتدرب تستعد للهُجوم داخل إسرائيل، واستهدف أفراد بعينهم وخاصة رجال أبو جهاد.

تحت إشراف إيتان بدأت قواعد الاشتباك القديمة في الاختفاء، خلال المراحل الأولية للاغتيال المُستهدف لقائد العمليات الكبير في أبو جهاد، عزمي زرائير الذي كان مسؤولاً عن العديد من الهجمات ضد الإسرائيليين، بما في ذلك تلك التي وقعت في فندق سافوي والطريق الساحلي، اكتشف رومينيجه وشبكة مصادره أنه عمل من خارج المنطقة، في مُخيم اللاجئين في مدينة صور الساحلية واجتمع بانتظام مع مساعد في مقهى على شاطئ البحر هناك.

في 5 أغسطس 1980 كان على الكوماندوز ركوب زوارق مطاطية إلى نُقطة على بعد كيلومتر واحد من الشاطئ، ثُم السباحة تحت الماء حتى السور البحري، ومن هناك استخدموا بنادق القنص لإخراج زرير ومساعده، أمر إيتان رجاله بتطويق السور البحري بسلك تفجير وعبوة ناسفة، من أجل وقف أي مُحاولة لمطاردة القناصين وإطلاق النار عليهم.

اعترض عامي أيالون قائد القافلة 13 على ذلك التفخيخ، ويتذكر أيالون ذلك: "قلت له: سيدي لن نترك أفخاخاً مُفخخة قد يأتي الأطفال أو ربما زوجين رُومانسيين لكن رافول أصر على وضع أفخاخ ولم يحاول حتى تبرير أمره ".

ثم ذهب إيتان أبعد من ذلك وأمر قائلاً: "بعد أن تقتل زرير قُم برش الرصيف بأكمله بمدافعك الآلية الخفيفة للتأكد من عدم رد أحد على إطلاق النار".

"قلت له: اسمع أين المنطق هنا؟ "تابع أيالون من نقتل؟ كل المدنيين هناك؟ لماذا تُرسلنا لاصطحاب شخص ما؟ أرسل القوة الجوية، وسوف يسقطون قنبلة بوزن ألف كيلوجرام على الرصيف وسوف ينتهي كُل شيء".

أوامر إيتان لم تكن مُهمة في النهاية، في يوم الغارة ردت وحدات الجيش الإسرائيلي على الحُدود على إطلاق الصواريخ من لبنان بقصف مُخيم صور للاجئين، بسبب الذعر هناك لم يذهب أحد إلى الميناء لتناول القهوة.

لكن الجدال بين أيالون وإيتان وُلد من واقع إشكالي جديد أوجده النشاط الإسرائيلي في لبنان، عندما استهدف الموساد أفراد مُنظمة التحرير الفلسطينية في أوروبا، اتبع سياسة صارمة لتجنب إيذاء المدنيين الأبرياء، تم إسقاط الكثير من الخُطط لأن المدنيين رُبما تعرضوا للخطر، لكن طالما كانت الأهداف موجودة في دول معادية، وطالما كان المدنيون الأبرياء عرباً، فإن الإصبع على الزناد أصبح أسرع، علاوة على ذلك كان لابد من موافقة رئيس الوزراء على عمليات الموساد، وهو مدني مسؤول عن السياسة والذي كان يُشارك في العادة إلى حد ما في التخطيط، من ناحية أخرى كانت بعض عمليات جيش الدفاع الإسرائيلي فقط تتطلب موافقة على المستوى السياسي، بعد أن تم إبرامها داخل الجيش، حتى في ذلك الوقت كانت سُلطة الموافقة عادة هي وزير الدفاع وليس رئيس الوزراء، اعتبرت عمليات التوغل في لبنان أعمال حرب وأكثر من ذلك بكثير مسموح به في الحرب، لا سيما على الأراضي العربية، أصبحت مسألة الخسائر الجانبية أقل أهمية.

بدأت معايير السُلوك السائدة في لبنان في إصابة الإسرائيليين الذين ذهبوا إلى هناك ليقتلوا من أجل حماية مواطنيهم، حيث ترأس إيتان هذا الاتجاه وشجعه، قال ديفيد شيك نائب قائد شايطيت 13 في ذلك الوقت: "كان موقف رافول هو أنه لم يحدث فرق بين الفلسطينيين الذين قتلناهم في لبنان– إما أنهم إرهابيون أو سيُصبحون إرهابيين أو ساعدوا إرهابيين ذات مرة ، انضم إلينا رافول على متن قارب صاروخي في طريقه إلى الغارة وسأله أحد الضباط عن كيفية تحديد الإرهابيين. أجاب رافول: "إذا لم يحصلوا على بالونات [حفلة عيد ميلاد] فهم إرهابيون"، واستذكر قائد بحري سابق آخر عملية أفاد المُتحدث باسم الجيش الإسرائيلي بعدها أن "ثلاثين إرهابياً قُتلوا"، لكن في الواقع قُتل المغيرون حيث صدمت شاحنة بالخطأ وكان العديد من رُكابها من النساء والأطفال.

بالإضافة إلى عمليات الكوماندوز الدموية المتزايدة سمح وايزمان لإيتان بتكثيف أنشطة وحدات المُخابرات في لبنان بشكل كبير، ولا سيما تلك التابعة لـ 504 من أمان، ولكن في المُحصلة كان كُل شيء مُباح في لبنان أواخر السبعينيات، في عدة مناسبات سمحت 504 لعُملائها بقتل الناس دون إذن، أو حتى إذن رؤساء الوحدة ذاتها، على سبيل المثال في كانون الأول (ديسمبر) 1978 اشتبه عميل باسم محمد عبد الله أن رجلاً رآه يبث إلى إسرائيل، قال يائير رافيد قائد المنطقة الشمالية للوحدة: "في الليلة نفسها مات ذلك الرجل لأسباب طبيعية عن طريق ابتلاع وسادة". وفي حالة أُخرى في تموز 1979 هدد ناشط سوري يُدعى قاسم حراش بفضح عُملاء إسرائيليين "عقدنا جلسة للمحكمة الخاصة، وكان رافيد "معي بصفتي القاضي والمُدعي العام ومُحامي الدفاع وحكمت عليه بالإجماع بالإعدام، دون حق الاستئناف"، قتل عميل من 504 يُطلق عليه اسم البرازيلي، حيث قام عُملاء من عام 504 بإحضار جثته إلى إسرائيل ودفنوه في المقبرة، ووجههم لأسفل في ضربة أخيرة من الانحطاط.

كانت المُخابرات الإسرائيلية تقيم تواجداً دائم في لبنان لجمع المعلومات عن عرفات ولزعزعة استقرار مُنظمة التحرير الفلسطينية، وبدعم قوي من بيغن أقاموا تحالفاً سرياً مع الكتائب، وميليشيا المُسيحيين المُوارنة اللبنانيين ألد أعداء الفلسطينيين، كان للمسيحيين مصادرهم الخاصة، وقد تبادلوا المعلومات التي جمعوها مع إسرائيل، تحت حماية الكتائب، تمكن الموساد

من إنشاء قاعدته الخاصة بالقرب من بيروت، وتمكن ضُباط الجيش الإسرائيلي من إجراء أحزاب استطلاعية في جميع أنحاء لبنان، وجمع معلومات استخبارية مُهمة حول مُنظمة التحرير الفلسطينية والقوات السورية.

ومع ذلك جاءت هذه الشراكة بثمن أخلاقي، قال عوزي ديان ابن شقيق موشيه دايان وقائد سايريت ماتكال في ذلك الوقت: إن الكتائب كانت وحشية بشكل استثنائي، وهي عبارة عن عصابة فاسدة من القتلة تذكرني بمجموعة من الكلاب البرية".

لقد زينوا أحزمتهم بآذان مقطوعة عن الأشخاص الذين قتلوا، وكانت هناك جوائز حرب شنيعة، حيث تفاخروا بالمجزرة التي نفذوها في مخيم اللاجئين الفلسطينيين بتل الزعتر، في آب/ أغسطس 1976 "حيث قُتل وجُرح ألف فلسطيني، كما قال الكتائب، وكان هذا كشعار حرب".

لم تقتصر وحشية الكتائب على الفلسطينيين، فقد قال جلادهم وهو ناشط ماروني تلقى تدريباً في إسرائيل ويُدعى روبرت حاتم إنه قتل أو أشرف شخصياً على مقتل ثلاثة آلاف شخص، كانت الكتائب قد استولت على مسلخ أبقار قديم في حي الكرنتينا في بيروت، وتم نقل السجناء إليه، قال حاتم: "لم يبقَ على قيد الحياة أي شخص جاء إلى هناك للاستجواب، فقد اعتدنا على إطلاق النار عليهم في الرأس وإلقاء جثثهم في حفر الجير، السوريين والشيعة والفلسطينيين وضُباط الجيش اللبناني، كل من أراد قتلنا، قتلناه أولاً ".

وقال حاتم إن ضباط الموساد وافقوا على قتل عدد قليل من السُجناء، بينهم أربعة دبلوماسيين إيرانيين تعرضوا للتعذيب قبل إطلاق النار عليهم وإلقائهم في الحفر، لكن من الواضح أن هياج الكتائب الأوسع نطاقاً قد تم بدعم قوي من الإسرائيليين.

قال رؤوفين مرهاف مسؤول الموساد الذي يرأس الوحدة التي كانت على اتصال مع الكتائب اللبنانية: **"في بداية علاقتنا معهم، تناولت حبة دواء ضد الغثيان واستمررت في العمل، ولأن عدو عدوي هو صديقي، وقد ساعدونا حقًا ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية، ولكن كلما مرت الأيام توصلت إلى استنتاج مفاده أن الارتباط بأشخاص مثل هؤلاء يُمكن أن يؤدي فقط إلى كارثة** ". ترك مرهاف الموساد احتجاجاً على استمرار العلاقة لكن تحالف الوكالة الاستراتيجي مع المارون قد تعمق.

قام قادة الكتائب بقياس طبيعة بيغن العاطفية بدقة وأدركوا كيفية حشد دعمه، قال مردخاي زيبوري: "**رأى بيغن نفسه على أنه مُنقذ المظلومين ومُساعد الناس في محنتهم**".

كان قد خدم في عهد بيغن في الإرغون وكان صديقاً مُقرباً له مُنذ تلك الأيام، وأصبح ضابطاً كبيرًا في الجيش الإسرائيلي ونائباً لوزير الدفاع في حكومة بيغن، لم يكن على دراية جيدة بتاريخ الشرق الأوسط أو تسييره، وكان مقتنع بأن الكتائب كانوا أقلية مسيحية غربية أرادت مُنظمة التحرير الفلسطينية القضاء عليها، تماماً كما رآنا اليهود في إسرائيل ".

كان زيبوري السياسي الوحيد في الإدارة الذي وقف في وجه الموساد والجيش الإسرائيلي، وحاول إقناعهم وإقناع وبيغن بأنه "يجب ألا نكون رُعاة الكتائب وأن نُساندهم في صراعاتهم" لكنها كانت عبثا، بهجة المآدب الفخمة في جونيه (حيث كان مقر الكتائب) أفسدت حكم ضُباط الجيش".

ومع ذلك على الرغم من كل الجُثث التي تم القائها في حُفر الجير، تمكنت ميليشيات مُنظمة التحرير الفلسطينية المُختلفة من تعزيز مواقعها في جنوب لبنان، وأطلقوا قذائف وصواريخ على بلدات إسرائيلية على طول الحدود، ورد الجيش الإسرائيلي بقصف المعاقل الفلسطينية بالمدفعية ومن الجو، خلال عام 1979 استقر الطرفان على نمط روتيني لا نهاية له من تبادل الضربة مُقابل الضربة.

في 22 أبريل 1979 قرابة منتصف الليل هبطت فرقة إرهابية تابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أبو عباس في زورق مطاطي على الشاطئ في نهاريا، وهي مدينة إسرائيلية على بُعد سبعة أميال جنوب الحدود اللبنانية، كان سمير القنطار أحد أعضائها الأربعة، وكان عمره حينها ستة عشر عاماً ونصف، بعد محاولتهم اقتحام منزل وخوفهم من إطلاق النار، وبعد مقتل شُرطي حاول اعتقالهم، اقتحم الأربعة شُقة عائلة حاران وأخذوا الأب داني وابنته اينات التي كانت تبلغ أربعة أعوام كرهائن، قاموا بجرهم إلى الشاطئ حيث انتشر الجُنود والشُرطة بالفعل، وتبع ذلك تبادل لإطلاق النار،. أطلق القنطار النار على داني ثم أمسك اينات من شعرها وحطم رأسها بكُل قوته في صخرة مراراً وتكراراً حتى ماتت.

اختبأت سمادار زوجة داني في مكان مُزدحم في شُقتهما مع ابنتهما يائيل البالغة من العمر عامين، غطت سمادار فم الطفلة بيدها لمنعها من الصُراخ والسماح للمُهاجمين بالعثور عليهم، وكتبت في مقال في صحيفة واشنطن بوست، يهدف إلى إثارة غضب العالم: "كُنت أعرف أنه إذا صرخت يائيل، فإن الإرهابيين سيرمون قُنبلة يدوية علينا وسنُقتل، لذلك أبقيت يدي فوق فمها على أمل أن تتنفس، بينما كنت مستلقياً هُناك، تذكرت والدتي وهي تُخبرني كيف كانت تختبئ من النازيين أثناء الهولوكوست قلت لنفسي "هذا تماماً مثل ما حدث لأمي".

وأثناء ذُعرها ضغطت سمادار بشدة على فم ابنتها... لقد اختنقت ابنتها الصغيرة.

وصل قائد المنطقة الشمالية في جيش الدفاع الإسرائيلي، اللواء أفيغدور "يانوش" بنجال، إلى مكان الحادث بعد وقت قصير من الحادث، لقد رأى رأس اينات المُحطمة، وجسد يائيل المهمل، وسمادار تصرخ من الألم بعد أن أدركت أنها فقدت كل شيء عزيز عليها، قال بن غال: "لا يُمكنك تخيل أبعاد الفظائع"، في جنازة داني وطفليه، اقتبس رئيس الوزراء بيغن جُملة من شاعر إسرائيل الوطني، حاييم نحمان بياليك: "الشيطان لم ينتقم بعد من دم طفل صغير".

كان من المُقرر أن تُصبح جريمة القتل المُروعة في نهاريا علامة فارقة أخرى في تدهور الصراع بين إسرائيل ومُنظمة التحرير الفلسطينية إلى حرب شاملة، أعطى رئيس الأركان إيتان لبنغال أمرًا بسيطًا: "اقتلهم جميعًا"، أي جميع أعضاء مُنظمة التحرير الفلسطينية وأي شخص مُرتبط بالمُنظمة في لبنان.

لم تتم الموافقة على مثل هذه السياسة من قبل حكومة إسرائيل، لا توجد طريقة لمعرفة إلى أي مدى كان وزير الدفاع وايزمان على علم بذلك والذي كان ذات يوم من الصُقور ولكنه كان أكثر اعتدالاً في هذا الوقت، "كان لدينا الكثير من الخلافات حول العديد من الأمور الحالية" كانت الطريقة التي وصف بها إيتان علاقتهما، كنت مع القيام بأعمال انتقامية ضد الإرهابيين في لبنان. كان وايزمان يُغير مواقفه من أجل الحُصول على استحسان واسترضاء الرأي العام، بخصوص عيزر ببساطة لم يفهم العرب .... التنازلات للعرب تُعتبر من قبلهم علامة على ضعف وتعب النضال ... عيزر لم يقبل رأيي ولم أقبل رأيه. "

بمُباركة إيتان عيّن بن غال الرجل الذي أسماه "أخصائي الجيش الإسرائيلي الأول في العمليات الخاصة"، الرجل الذي قمع الإرهاب في غزة قبل عشر سنوات مئير دغان، عينه لرئاسة وحدة جديدة تُعرف باسم مُنطقة جنوب لبنان (SLR) تمت ترقية دغان إلى رُتبة عقيد، فأخذه بن

جال إلى قمة أحد التلال المطلة على جنوب لبنان، قال له: "من الآن فصاعداً، أنت إمبراطور هُنا، افعل ما تُريد. "

حدد بنجال وإيتان هدف داغان: التخويف والردع والتوضيح أن إسرائيل ستكون عدوانية في الهجوم، وليس مُجرد رد الفعل على الدفاع، وبشكل أكثر تحديداً، كان الهدف من العمليات السرية خلال المرحلة الأولى هو ضرب قواعد مُنظمة التحرير الفلسطينية في جميع أنحاء جنوب لبنان، فضلاً عن منازل السُكان الذين ساعدوا الإرهابيين وقدموا لهم مأوى قبل بدء العمليات ضد إسرائيل.

بناءً على هذا التوجيه فعل داغان ما يشاء، في مقر SLR في مرجعيون أنشأ هو وعدد من رجال المُخابرات والعمليات مُنظمة سرية تتبعه مباشرة، قال بن جال: "لقد أجرى عملياته السرية بحُرية كاملة، وأحب مئير أن يتورط على نطاق واسع، في الظل والأماكن المظلمة، في أنشطة التجسس ونسج المؤامرات، صغيرة كانت أم كبيرة، هذا هو موطنه، إنه رجل شُجاع جداً ومبدع جداً، عنيد جداً، ومُستعد لتحمل مخاطر كبيرة، كنت أعرف ما كان يفعله لكني تجاهلت ذلك، ففي بعض الأحيان عليك أن تغض الطرف ".

كان ديفيد أغمون رئيس أركان القيادة الشمالية وهو أحد القلائل الذين شاركوا في عمليات داغان السرية، وقال: "**كان الهدف إحداث الفوضى بين الفلسطينيين والسوريين في لبنان، دون ترك بصمة إسرائيلية لإعطائهم الشُعور بأنهم يتعرضون للهُجوم باستمرار، ولغرس شعورهم بعدم الأمان**"، من أجل عدم ترك بصمات إسرائيلية قام دغان وطاقمه بتجنيد اللبنانيين المحليين والمسيحيين والمسلمين الشيعة، الذين كرهوا عرفات وغضبوا من طريقة مُعاملة الفلسطينيين للبنان وشعبه، كما لو كانت أرضهم، باستخدام تلك "الفرق العملياتية" كما كان يُطلق عليها، بدأت كاميرا SLR التابعة لـ داجان سلسلة من عمليات القتل والتخريب في الجنوب لبنان.

قال بن جال: "لقد اعتدت أنا ورافول على القيام بالمهام بغمزة بسيطة، كنت أقول له،" رافول لدينا مُهمة يجب القيام بها، "كان يقول،" حسناً، لكن لا شيء بشكل رسمي، إنه بيني وبينك أمر شخصي .... لا أريد أن يُصبح معروفاً، "لم نتحرك من خلال البيروقراطية العسكرية، لأن كلانا فعلنا ولم نقم بهذه الأعمال، استخدمناهم [السكان المحليين] كوكلاء ومُرتزقة، وضعنا الحافز فيهم المسيحيين والشيعة والسنة ولعبنا معهم ضد بعضهم البعض ".

كانت الطريقة الأساسية المُستخدمة في تلك الهجمات هي المُتفجرات المُخبأة في عُلب الزيت أو المواد المحفوظة، نظراً لأن النشاط لم يُقره الجيش الإسرائيلي بشكب رسمي وكان يجب إخفاؤه عن بقية الجيش فقد طلب بن غال من سكرتارية كيبوتس مهنايم، حيث كان يعيش في ذلك الوقت، الإذن باستخدام مُشغلات ديوك المعدنية، (بالطبع أعطيناه المُفاتيح ودعماً كاملاً" قال أحد الأمناء، "كان هذا هو الرئيس، كان مثل الملك بالنسبة لنا).

تم توفير المُتفجرات من قبل وحدة تفكيك القنابل التابعة للجيش الإسرائيلي، والتي أمر إيتان قائدها بالتعاون دون معرفة الغرض منها، وتخصصت الوحدة في إبطال مفعول الصواريخ القديمة غير المُنفجرة والألغام والقنابل اليدوية بما في ذلك الغنائم التي استولى عليها الإسرائيليون، باستخدام مثل هذه المواد المتفجرة تمكن الجيش الإسرائيلي من تقليل فُرصة الكشف عن أي صلة بإسرائيل إذا سقطت العُبوات الناسفة في أيدي العدو.

قال بن جال: "كُنا نأتي إلى هناك في الليل أنا ومائير وبقية الرجال، مع كبير مهندسي القيادة الشمالية الذي أحضر المُتفجرات، وسنملأ تلك البراميل الصغيرة ونربط الصمامات،" ثم تم إرسال هذه الطرود عبر السُعاة عبر حقائب الظهر الكبيرة، أو على الدراجات النارية أو الدراجات الهوائية أو الحمير إذا كانت كبيرة جداً، سُرعان ما بدأت القنابل تنفجر على منازل المُتعاونين مع مُنظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان مما أسفر عن مقتل الجميع هُناك وكذلك في مواقع ومكاتب مُنظمة التحرير الفلسطينية، ومعظمها في صور وصيدا ومُخيمات اللاجئين الفلسطينيين المُحيطة بها، مما تسبب في أضرار جسيمة وإصابات.

بالنسبة لبينغال وداغان فإن إجراءات التخفي لتصنيع القنابل في كيبوتس في ظلام الليل، ونشر القوات اللبنانية غير النظامية كانت ضرورية للحفاظ على سرية عملياتهم ليس فقط من مُنظمة التحرير الفلسطينية ولكن من الحكومة اللبنانية، وحتى زُملائهم في الجيش الإسرائيلي، لقد شنوا حملة سرية وغير مُصرح بها على أرض أجنبية، وأبلغت قيادة المنطقة الشمالية أمان التي كان من المُفترض أن تُشارك في مثل هذه الأمور، وكذلك إدارة العمليات التابعة لهيئة الأركان العامة التي كان من المُفترض أن توافق عليها، قال بن جال: "لكننا أبقيناهم خارج الحلقة تماماً" وفقا لداغان، أمان "كانت تتدخل معنا طوال الوقت ولكنهم لم يفهموا ما هي العملية السرية ومدى أهمية هذا النشاط ".

لنكون أكثر دقة اختلف فرع المُخابرات العسكرية حول أهمية عمليات القتل غير المصرح بها. كان رئيس أمان في ذلك الوقت اللواء يهوشوا ساغي، رجلاً حذراً شكك في فعالية نوع العملية التي كان دغان يُديرها، لم ير الوضع في لبنان باللون الأسود، كما فعل إيتان وحذر مراراً وتكراراً من أن إسرائيل يُمكن أن تتورط في شيء أكبر من أن تتواجد هناك، يتذكر ساجوي قائلاً: "لقد حاول بن جال منعي من دُخول مقر القيادة الشمالية أو زيارة المنطقة".

قال عاموس جلبوع من أمان: "كان هُناك صراع مُستمر مع القيادة الشمالية، لقد تجاوزونا وعملوا خلف ظهورنا، كذّب يانوش [بنجال] علينا طوال الوقت، لم نُصدق أيا من تقاريرهم، ما جعل الأمر أكثر خُطورة هو أنه تم بموافقة رئيس الأركان الذي أبقى النشاط سراً عن هيئة الأركان العامة، كانت هذه واحدة من أبشع الفترات في تاريخ البلاد ".

وفقاً لبينغال أدرك ساغي أن شيئاً غير مُنتظم كان يحدث وحاول اكتشاف الحقائق، أمر ساجوي وحدته الأمنية الميدانية وكان اسمها " النسر" بالمسؤولية عن ضمان عدم إفشاء الجنود لأسرار عسكرية على خُطوط غير آمنة للاستفادة من هواتف القيادة الشمالية، قال بنجال فخوراً باكتشافه "مؤامرة أمان": "لكن ضابط اتصالات القيادة الخاص بي أمسكهم وهم يتصلون بلوحة المفاتيح الخاصة بي وألقيت بهم في السجن".

كان لدى بنجال اتصال مُشفر أُقيم بين مكتبه في الناصرة ومراكز قيادة دغان على الحُدود الشمالية وداخل لبنان، يتذكر إفرايم سنيه الذي كان ضابط كبير في القيادة الشمالية في ذلك الوقت قائلاً: "**كان هذا هو أول ما أراه لي**" واصفاً المرة الأولى التي أبلغه فيها بنجال بالنشاط السري، "أشار إلى جهاز الهاتف وقال:" هذا حتى لا يتمكن يهوشوا [ساجوي] من الاستماع إلينا، ويمكن لـ أمان القفز في البحُيرة ". قال سنيه إن بنجال وإيتان" كانا على حق في موقفهما لساغي، الذي كان يحاول سحق أي مُبادرة بينهما ".

بعد فترة وجيزة ذهب ساجوي إلى رئيس الوزراء بيغن ليشتكي من أن بنجال طلب من داغان تفخيخ جُثث الإرهابيين الذين قُتلوا في المعارك من أجل إخراج رفاقهم عند انتشال الجثث، خلص بنجال من هذا إلى أن أمان تمكنت على ما يبدو من اختراق هاتفه المشفر.

قال " لم يكن لدينا خيار للحفاظ على أسرارناسوى عن طريق المقالات الشخصية" من وقت لآخر مرة واحدة في الأسبوع، كان إيتان يقود سيارته من تل عدشيم، القرية الزراعية التي كان

يعيش فيها، إلى مقر القيادة الشمالية القريب بالقرب من الناصرة، لمقابلة بنجال والتخطيط للخطوات التالية في حرب الظل.

حتى مع ذلك لا يمكن إبقاء كل شيء طي الكتمان، في أوائل عام 1980 بدأت عناصر مُختلفة في الجيش الإسرائيلي، برئاسة ساجوي بإبلاغ نائب وزير الدفاع زيبوري أن بنجال كان يقوم بعمليات مارقة داخل لبنان، التفتوا إليه لأنهم عرفوا أنه السياسي الوحيد الذي تجرأ على التحدث عما يجري هُناك، "أخبروني عن الانفجارات في لبنان وحتى أن يانوش كان يُلغم الطُرق التي اتخذتها قوات الجيش الإسرائيلي، لجعل الأمر يبدو كما لو كانت مُنظمة التحرير الفلسطينية وراءها".

في يونيو سمع تسيبوري أن النساء والأطفال قد قتلوا في عملية قبل شهرين عندما انفجرت سيارة مُفخخة على طريق رئيسي في القطاع الغربي من جنوب لبنان، بهدف إصابة أفراد مُنظمة التحرير الفلسطينية، قال ينجوي: **"لم يُقدم رافول الأمر إلى مسؤوليه للموافقة عليه، لأننا كُنا نخشى ألا نحصل على إذن لشيء من هذا القبيل"**، زعمت قيادة المنطقة الشمالية في تقارير الجيش الداخلية وعلناً أن العملية نفذتها إحدى مليشيات جنوب لبنان المحلية، وهو أمر كان مُمكناً ولكنه في الحقيقة غير صحيح على الإطلاق، "تمكنت إحدى السيارات من الابتعاد، فليما اشتعلت النيران في السيارات وانفجرت، هل يمكنني أن أخبرك أنه كان هناك نجوم كبار هناك؟ لا، لم يكن هناك، قال بنجال: "لكننا قُمنا بتفعيل بعض النشطاء.

قال زيبوري: "اعتقدت أنه أمر فظيع" وطالب بيغن الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع، بطرد بنجال وداغان من الجيش (استقال وايزمان في مايو) ، مناحيم: ، نحن دولة ذات سيادة كل ما يفعله الجيش لا يُمكنه أن يفعله إلا بإذن من مجلس الوزرا، وفي مجلس الوزراء إذا تم طرح مثل هذا الشيء للنقاش فسأُعبر عن رأيي لكنها لم تُطرح ولم يأذن بها أحد ".

تم استدعاء بنجال إلى مكتب وزير الدفاع في تل أبيب، حيث كان ينتظره بيغن وزيبوري وإيتان وساقوي، أنتم تقومون بأعمال غير مُصرح بها في لبنان، واتهم زيبوري "في هذه الأنشطة بقتل النساء والأطفال".

أجاب بنجال: "هذا الكلام غير صحيح قتل أربعة أو خمسة إرهابيين... من يتجول في لبنان بسيارة مرسيدس الساعة 2 صباحًا؟ انهم الإرهابيون فقط ".

احتج تسيبوري على الفور، وقال: "يجب إقالة قائد المنطقة الشمالية الذي يقوم بأشياء دون موافقة هيئة الأركان" أنا نائب وزير الدفاع ولم أكن أعرف شيىء، أنت السيد بيغن رئيس الوزراء ووزير الدفاع ولا تعرف شيئاً؟ رئيس الأركان لم يكن يعلم ".

قام بنجال بحركات صغيرة بيده، مشيراً إلى إيتان بأنه يجب أن يقف ويقول إن كل شيء قد تم بموافقته، لكن إيتان الذي أدرك أنه لا يستطيع توريط نفسه، تجاهله وهو يلعب بساعة يده التي كان قد خلعها وكان يقلبها مراراً وتكراراً.

أخيراً تحدث بيغن قالاً: "الجنرال بنجال، أريد أن أسألك كضابط وتُجيب بكلمتك الفخرية: هل حصلت على موافقة على العملية من أي شخص فوقك؟"

"نعم رئيس الوزراء حصلت على الموافقة، أعتقد أن قائد المنطقة الشمالية، جنرال في الجيش لن يكذب، "بيغن قال: "المسألة مغلقة، بموجب هذا،،، أنهي هذا الاجتماع ".

هل كان بيغن على علم بما يدور حوله؟ زيبوري، الذي لا يزال يرى بيغن قائداً مُنتفعاً وقائداً محترماً، يعتقد أن العسكريين خدعوا رئيس الوزراء مراراً وتكراراً، مستغلين موقفه الرومانسي تجاه الجنرالات، يعتقد البعض الآخر أن بيغن السياسي المُخضرم أدرك الموقف تماماً لكنه فضل الاحتفاظ بإنكاره للأنشطة الفظيعة، في كلتا الحالتين أدرك كبار الضُباط أنه لا جدوى من مُطالبة رئيس الوزراء بتصحيح الوضع.

على الرُغم من استمرار الاقتتال الداخلي بين أمان والقيادة الشمالية، وعلم أمان لاحقاً من مصادرها في لبنان عن تفجير سيارات القيادة الشمالية والحمير، قرروا في النهاية التخلي عن القضية، قال جلبوع: "كان هُناك الكثير من العمليات التي كان يُنظر إليها على أنها صغيرة وتكتيكية نوعاً ما، لذلك قررنا إسقاطها"، "قلنا،" ربما يكون من الأفضل ألا نعرف، طالما أنه لا يُسبب ضرراً سياسياً، **"شيء مثل" دع الشباب ينهضون ويلعبون أمامنا** "، اقتباس جلبوع من الكتاب المقدس، 2 صموئيل 2:14، وهذا يعني، أساساً، **"دع الأطفال يستمتعون"**، كانت أهداف بنجال من نشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية من المستوى المنخفض، وكانت مهماته أكثر بقليل من مناوشات تكتيكية، لم يتأثر أي من قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية في حربه السرية، قال إن العمليات كانت بمثابة لعبة بالنسبة لداغان، قال بنجال: **"مثلما كان لديه هواية الرسم وهو يرسم بشكل جيد للغاية، فهذه هي الطريقة التي كانت عليه مع هذه العمليات"**، "قد كانوا هواية مثير ".

وتابع بنجال: "**كان من المُلائم بالنسبة لي أن تتم الأنشطة في منطقة رمادية في بعض الأحيان لا يتعين على المرءِ أن يعرف بها، هُناك مواضيع لا يجب أن تكون في العلن، فقط دع الأمور تتدفق، واعرف كيف تدعم داغان إذا ساءت الأمور، صحيح أن داغان كان رجلاً متوحشاً، لكن الحصان الشاب البري الذي يقفز على الأسوار وأحياناً يكسر ساقه أفضل من بعض البغال التي عليك ضربها بسوط لجعله يأخذ خطوتين للأمام** ".

في 5 آب / أغسطس 1981 عيّن رئيس الوزراء مناحيم بيغن أرييل "أريك شارون" وزيراً لدفاع إسرائيل كان بيغن معجب جداً بالجنرال السابق "قائد الجيوش المجيد" كما وصفه بأنه "استراتيجي دولي" – رغم أنه كان خائف إلى حد ما من عدوانية شارون وعدم رغبته في قبول سلطة رؤسائه، "شارون قد يُهاجم الكنيست بالدبابات" قال بيغن ذلك مازحاً قبل عامين.

ومع ذلك اعتقد بيغن أنه الرجل المُناسب للإشراف على الانسحاب من سيناء في أعقاب مُعاهدة السلام مع مصر، وهي مُهمة أنجزها شارون دون إراقة دماء على الرغم من بعض المُظاهرات العنيفة من قبل المُستوطنين واليمين المُتطرف.

لكن في الوقت نفسه استغل شارون صلاحيات منصبه لبناء المزيد من المُستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة، التي تخضع كأراضي مُحتلة لسلطة وزارة الدفاع، كما أنه غرس روح مشاكسة وجريئة في جميع أنحاء المؤسسة الدفاعية، لقد رأى كل من شارون وإيتان اللذان خدما في الخمسينيات من القرن الماضي كضابط تحت قيادة شارون في لواء المظليين التابع للجيش الإسرائيلي، أهمية قصوى في مُحاربة مُنظمة التحرير الفلسطينية وقواعدها في لبنان وأمرا الجيش بالبدء في التخطيط لحملة عسكرية كبيرة هناك.

قال افرايم سنيه "**تم الكشف عن خطط شارون لنا ببطء شديد جداً في البداية أمرنا بالتحضير لاختراق عسكري محدود في لبنان، وفي وقت لاحق فقط لرسم خرائط لاجتياح واسع ، حتى طريق بيروت– دمشق**" قال ديفيد عجمون رئيس أركان القيادة الشمالية إن شارون أمره في مرحلة لاحقة بالتخطيط لاحتلال كل لبنان وحتى أجزاء من سوريا، قال سنيه: "كان من الواضح لنا أننا لا نعرف كل شيء وأن الحكومة كانت تعرف أقل مما نعرفه".

لكن حتى شارون أدرك أن إسرائيل لا تستطيع ببساطة غزو لبنان واحتلال أجزاء منه، في تموز 1981 توسط المبعوث الخاص للرئيس ريغان إلى الشرق الأوسط فيليب حبيب، في وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومُنظمة التحرير الفلسطينية في الساحة اللبنانية، وعارض شارون وإيتان بشدة الاتفاق الذي لم يتضمن تعهد مُنظمة التحرير الفلسطينية بالامتناع عن شن هجمات ضد الإسرائيليين في أماكن أخرى مثل الأراضي المحتلة أو أوروبا، بالنسبة لشارون القيت قنبلة يدوية على كنيس يهودي في باريس كان يجب اعتباره خرقاً لوقف إطلاق النار، علاوة على ذلك اعتبر بيغن وشارون عرفات مسؤولاً عن أي عمل يقوم به أي فلسطيني في أي مكان في العالم، حتى لو كان ينتسب إلى مُنظمات غير تابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، لكن العالم الخارجي رأى الأمور بشكل مختلف، وأوضح حبيب للإسرائيليين أن الولايات المتحدة ستدعم توغلًا برياً في لبنان فقط رداً على الاستفزاز الجسيم من قبل مُنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد اعتقد شارون محقاً أن كل يوم يمر بسلام يمنح عرفات وشعبه هدية من الوقت لتدعيم موقعهم في لبنان وتحسين انتشارهم العسكري هناك، قرر تسريع الأمور قليلاً حتى يتمكن من تنفيذ خطته، وتفعيل جهاز داغان السري في القيادة الشمالية "الهدف من المرحلة الثانية من هذا النشاط" بحسب سنيه، "كان زرع مثل هذه الفوضى في المناطق الفلسطينية في صور وصيدا وبيروت بحيث يكون هُناك سبب حقيقي وقابل للغزو الإسرائيلي".

كما أرسل شارون رافي إيتان كمبعوث شخصي لمُراقبة الأنشطة السرية في الشمال، إيتان قاتل فرسان تل أبيب، آسر أيخمان وقائد العمليات ضد العلماء الألمان في مصر– ترك المنظمة في حالة من الغضب عندما تم تخطيه لمنصب الإدارة، في عام 1981 كان يعمل مستشار لرئيس الوزراء لمكافحة الإرهاب ورئيسًا لـ Lakam ، وهو ذراع تجسس تابع لوزارة الدفاع يتعامل بشكل أساسي مع التكنولوجيا العسكرية.

بحلول منتصف أيلول (سبتمبر) 1981 كانت السيارات المُفخخة تنفجر بانتظام في الأحياء الفلسطينية في بيروت والمدن اللبنانية الأخرى، انفجرت إحداها في حي الفاخاني ببيروت في 1 أكتوبر/ تشرين الأول، مما أسفر عن مقتل ثلاثة وثمانين شخص وإصابة ثلاثمائة بجروح، بمن فيهم العديد من النساء اللواتي حوصرن في حريق في مصنع ملابس مملوك لمُنظمة التحرير الفلسطينية، وانفجرت قذيفة أخرى بالقرب من مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية في صيدا

فقتلت 23 شخص، في كانون الأول (ديسمبر) 1981 وحده، انفجرت 18 قنبلة في السيارات أو الدراجات النارية أو الدراجات الهوائية أو الحمير بالقرب من مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية أو التجمعات الفلسطينية مما تسبب في مقتل العشرات.

وتولت منظمة جديدة وغير معروفة تطلق على نفسها اسم جبهة تحرير لبنان من الأجانب المسؤولية عن كل هذه الحوادث، كانت المتفجرات الآن معبأة في أكياس مسحوق الغسيل اريل بحيث إذا توقفت السيارات عند حواجز الطرق، ستبدو الحمولة كبضائع بريئة، قام الإسرائيليون في بعض الحالات بتجنيد النساء للقيادة لتقليل احتمالية القبض على السيارات في طريقها إلى المنطقة المستهدفة.

تم تطوير السيارات المُفخخة في قيادة العمليات الخاصة في جيش الدفاع الإسرائيلي (معراخ هاميفتسايم هـ-ميوشاديم) واشتملت على استخدام أحد الأجيال الأولى من الطائرات بدون طيار، ستنقل هذه الطائرات بدون طيار الحزمة التي من شأنها أن تطلق جهاز آلية تفجير، كان أحد وكلاء داغان المحليين يقود السيارة إلى الهدف، تحت المراقبة الجوية أو الأرضية، ويوقفها هناك، ثم يُغادر، عندما حدد المراقبون اللحظة التي كانوا ينتظرون فيها، كانوا يضغطون على زر وتنفجر السيارة.

كان شارون يأمل أن تكون هذه العمليات تُثير استفزاز عرفات للهجوم على إسرائيل، والتي يمكن أن ترد بعد ذلك بغزو لبنان أو على الأقل أن تجعل مُنظمة التحرير الفلسطينية تنتقم من الكتائب، وعندها ستكون إسرائيل قادرة على القفز بقوة كبيرة للدفاع عن المسيحيين.

كما بدأت جبهة تحرير لبنان من الأجانب بمهاجمة منشآت سورية في لبنان، بل وأعلنت مسؤوليتها عن عمليات ضد وحدات الجيش الإسرائيلي، قال دغان: **"لم نكن مُرتبطين بأنشطة ضد قواتنا، لكن الجبهة تحملت المسؤولية من أجل خلق المصداقية كما لو كانت تعمل ضد جميع القوات الأجنبية في لبنان".**

ياسر عرفات لم ينخدع بهذه الحيلة، واتهم الموساد بالوقوف وراء التفجيرات و"الجبهة"، هذا لم يكن صحيح تماماً، في الواقع كان الموساد يعارض بشدة ما كان يفعله بنجال ودغان.

قال أحد ضباط الموساد في ذلك الوقت "بدعم شارون، تم القيام بأمور فظيعنة أنا لست نباتياً، وقد أيدت وحتى شاركت في بعض عمليات الاغتيال التي نفذتها إسرائيل، لكننا نتحدث هُنا

عن القتل الجماعي من أجل القتل، ولزرع الفوضى والقلق بين المدنيين، منذ متى نُرسل الحمير مُحملة بالقنابل لتفجير الأسواق؟ "

قال رجل آخر من الموساد كان في لبنان في ذلك الوقت: **"رأيت من مسافة سيارة واحدة تنفجر وتهدم شارعاً بأكمله، كنا نعلم اللبنانيين كيف يُمكن أن تكون السيارة المُفخخة فعالة، كل ما رأيناه لاحقاً مع حزب الله نابع مما رأوه حدث بعد هذه العمليات ".**

نفى دغان وبنجال بشدة أن تكون الجبهة في أي وقت مضى لإيذاء المدنيين، قال بنجال: "كانت الأهداف دائماً أهدافاً عسكرية"، قال دغان إنه لا يوجد بديل لاستخدام الوكلاء، "أنا على استعداد لذرف دموع لا حصر لها على قبر لبناني قُتل في مهمة لنا، طالما أنه لا يوجد يهودي في خطر". لكنه أضاف أن استخدام المُرتزقة له عيوبه، يمكنك إعطائه متفجرات وإخباره بالذهاب لتفجير مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية في مكان ما لكن لديه حساباته الخاصة، والآن لديه قنبلة لتسويتها، لذلك في بعض الأحيان حدث أنه انفجر في مكان آخر ".

أدرك عرفات أن شارون كان يحاول إقناع الفلسطينيين بخرق وقف إطلاق النار حتى يتمكن من شن غزوه وبذل عرفات جهد حقيقي لعدم إلزامه، بما في ذلك محاولة ناجحة جزئياً لوقف العنف في الأراضي المحتلة، في مواجهة هذا الانضباط الفلسطيني قرر قادة الجبهة الارتقاء الى المستوى.

كان شارون قد أعاد عرفات إلى قائمة المطلوبين التي تمت إزالته منها في عام 1974 عندما توصل الموساد إلى استنتاج مفاده أنه سيصبح شخصية سياسية، وبالتالي يجب على إسرائيل ألا يكون هو نفسه، وفي أواخر عام 1981 بدأ بنجال وداغان في التخطيط العملية التي توقعوا أن تُغير مسار تاريخ الشرق الأوسط، كانت عملية أوليمبيا، التي أطلق عليها اسم مطعم شهير في تل أبيب، عبارة عن خطة لإحضار شاحنات مُفخخة مُحملة بما يشبه طُنين من المُتفجرات وتُحيط بمسرح في شرق بيروت حيث كان من المُقرر أن تُقيم مُنظمة التحرير الفلسطينية مأدبة عشاء احتفالية في ديسمبر، انفجار واحد هائل سيقضي على قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية بأكملها، ولكن تم التخلي عن الفكرة، وتم إلغاء أولمبيا 1 لصالح أولمبيا 2، هذه الفكرة دعا عملاء إسرائيليين إلى زرع مجموعة ضخمة من القنابل تحت منصة لكبار الشخصيات قيد الإنشاء في ملعب بيروت حيث كانت مُنظمة التحرير الفلسطينية، في الأول من كانون الثاني (يناير) 1982 تحتفل بذكرى تأسيسها، بضغطة زر واحدة سيحدث تدمير بالجملة.

لم يعد بنجال رئيس للقيادة الشمالية في الوقت الذي دخلت فيه هذه الخطة مرحلتها التشغيلية. شارون لم يكن له فائدة تذكر، الجنرال الذي كان يُخطط لتفجير عشرات الفلسطينيين والذي شن حرباً سرية في لبنان كان، في نظر شارون رقيق القلب ويفتقر إلى العزيمة، في كانون الأول (ديسمبر) 1981 تم إقالة بنجال من قيادة المنطقة الشمالية وعيّن شخصاً أكثر رواجاً له في خطوة أنذرت بخطط شارون الخاصة بلبنان.

في هذا الوقت انتقلت أولمبيا 2 إلى حالة تأهب قصوى، في 20 ديسمبر 1981 ،ثلاثة عملاء جندهم دغان تمكنوا من الوصول إلى منصة كبار الشخصيات وزرع كميات كبيرة من المُتفجرات تحت المكان الذي ستجلس فيه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وكلها مرتبطة بجهاز تفجير يتم التحكم فيه عن بعد، بالإضافة إلى ذلك في إحدى قواعد الوحدة على بعد ثلاثة أميال من الحدود، تم تجهيز ثلاث شاحنات مُحملة بطن ونصف من المُتفجرات وسيارتين مرسيدس بوزن 550 رطلاً لكل منهما، وكان من المُقرر أن يقود هذه المركبات إلى بيروت ثلاثة أعضاء شيعيين من جبهة تحرير لبنان من الأجانب ووقفوا بالقرب من جدار الملعب خلف منصة كبار الشخصيات، سيتم تفجيرها بواسطة جهاز التحكم عن بعد، وبعد حوالي دقيقة من تفجير المتفجرات تحت المنصة، عندما كان الذعر في ذروته وكان الأشخاص الذين نجوا يحاولون الهرب، كان من المُتوقع أن يكون الموت والدمار هائلاً جداً، على حد تعبير ضابط كبير في قيادة المنطقة الشمالية.

في مذكرة أرسلها رافي إيتان إلى إفرايم سنيه في اجتماع حول العملية المخطط لها، كتب: "إذا نجح هذا، فسوف نُلام نحن [إسرائيل] على الفور" لم يُكتب هذا الخوف، بل بالأمل، لأنه كما قال سنيه لاحقاً "إن قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين لم يُقتلوا في الانفجار في الملعب سيعرفون على الفور ما يجب عليهم فعله: مهاجمة إسرائيل، وخرقها وقف إطلاق النار، وإعطاء شارون، الذي كان يائسا لغزو لبنان ذريعة للقيام بذلك ".

كان كل شيء على ما يُرام ولكن بعد ذلك سرب شخص ما الخطة إلى ساجوي، الذي أبلغ نائب وزير الدفاع زيبوري بما يجري، وقال ساجوي لزبوري: "من المُرجح أن يكون الدبلوماسيون الأجانب على منصة مع عرفات، ولا سيما الكسندر سولداتوف السفير السوفيتي في لبنان".

كان زيبوري يكره شارون وكان دائماً يشك في نواياه لذلك اتصل بقائده القديم في التنظيم السري، الإرغون: بيغن، قال زيبوري: "كانت مسألة السفير خطيرة بما يكفي في حد ذاتها"،

لكن الأخطر بكثير، والأكثر خطورة أنهم كانوا ينفذون مثل هذه الأعمال مرة أخرى دون موافقة مجلس الوزراء.

في وقت مبكر من صباح يوم 31 كانون الأول (ديسمبر) قبل يوم واحد من موعد أولمبيا 2، دعا رئيس الأركان إيتان داغان، يتذكر داغان: "فجأة سمعت أن شارون يأمرنا بالذهاب إلى رئيس الوزراء لتقديم الخطة والحصول على موافقته النهائية على العمل "لقد كان يوم ممطراً جداً، يخبرنا رافول أنه من أجل الحفاظ على السرية، سيأتي إلى مقر القيادة الشمالية لاصطحابي ويطير بنا معاً إلى بيغن ".

في مكتب بيغن حدق بهم رئيس الوزراء مُستفسراً، قال بيغن: "**يقولون إنه من الممكن أن يكون السفير السوفييتي هناك على المنصة**".

قال داغان: "هذا ببساطة غير صحيح"، هناك احتمال ضعيف للغاية أن يكون هو أو أي دبلوماسي أجنبي آخر هُناك.

سأل بيغن ساجوي عن رأيه، وقال ساغي إنه من المُرجح أن يحضر دبلوماسي سوفيتي. قال: "إذا حدث له شيء فإننا مُعرضون للدخول في أزمة خطيرة للغاية مع الاتحاد السوفيتي".

بعد سنوات قال صفوي: "كان واجبي بصفتي رئيس أمان الاهتمام ليس فقط بالجوانب العملياتية والعسكرية ولكن بالجانب الدبلوماسي، أخبرت بيغن أنه من المُستحيل قتل ملعب كامل بهذا الشكل، وماذا سيحدث في اليوم التالي بعد هذه المجزرة؟ العالم كله سيتراكم فوقنا، لن يكون هُناك فرق إذا لم نعترف بالمسؤولية، سيعرف الجميع من وراء ذلك ".

حاول دغان وإيتان وشارون إقناع بيغن قائلين إن هذه فرصة لن تتكرر، لكن رئيس الوزراء أخذ خطر التهديد الروسي على محمل الجد وأمرهم بالإجهاض.

وقال دغان: "في النهاية، بالطبع، تبين أنني كنت على حق ولم يكن هُناك سفير سوفيتي أو أي دبلوماسي أجنبي آخر، لكن ماذا يمكننا أن نفعل؟ قال رئيس الوزراء إجهاض، فنحن نجهض، كان هناك عمل مُمتثل للغاية بعد ذلك، وهو إخراج المتفجرات ".

ابدأ بسرعة بخطة بديلة أخرى، خطة تحمل القليل من مخاطر بدل إيذاء الدبلوماسيين أو المدنيين، كشفت مراقبة كبار قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية أنهم غادروا بيروت مرة في الشهر

في قافلة من سبع أو ثماني سيارات مرسيدس سيدان فاخرة وانطلقوا بسرعة نحو سوريا، ومن هناك إلى الأردن، حيث عقدوا اجتماعات قيادية، كان العمل والسرور على حد سواء، وكثيراً ما انضم عرفات إلى الوفد.

ذات ليلة في أوائل شباط (فبراير) 1982 جاءت فرقة من نُشطاء قيسارية إلى أحد التقاطعات الرئيسية التي مرت بها القوافل كل شهر، قاموا بتفكيك الجزء العلوي من إحدى إشارات المرور واستبدالها بأخرى مصنوعة في قسم التكنولوجيا في الموساد، كانت تحتوي على كاميرا لنقل الصور إلى مقر الموساد، في يوم الجمعة، 5 آذار / مارس، الساعة 3 صباحاً، قبل ساعات قليلة من مرور موكب مُنظمة التحرير الفلسطينية، وصلت فرقة قيسارية أخرى أكبر حجماً إلى المفترق، ومعها كمية كبيرة من المُتفجرات التي بدؤوا بزرعها في خنادق على جانبي الطريق، طريق متصل بسلك تفجير ومربوط لاسلكياً بالمقر، وفقا للخطة فإن أفراد الموساد سيُغادرون المكان بعد وضع القنابل والعودة إلى إسرائيل، وسيُراقب العُملاء المحليون القافلة بعد مغادرتها بيروت، عندما تتجاوز نُقطة مُعينة، وتم وضع علامة على إحدى الأشجار وتظهر بوضوح في الصور المنقولة، سيتم تفجير القنابل وتصفية قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية.

سارت الأمور على ما يرام حتى الفجر عندما رأى شرطي محلي السيارتين اللتين وصل الفريق الإسرائيلي والرجال راكعين بالقرب منهما، "ماذا تفعل هناك؟" سأل الشرطي باللغة العربية، "لقد ذهبنا إلى حفل زفاف وقدموا طعاماً سيئاً، توقفنا لتفريغ بطوننا"، كان اثنان من الفريق قد قاما بالفعل بسحب مسدسيهما خلسة لقتله، لكن الشرطي قرر المضي في طريقه.

تساءل العملاء عما إذا كان قد صدقهم أم أنه ذهب للحصول على تعزيزات، قررت HQ عدم تحمل أي مخاطر، اتفق رئيس الوزراء ووزير الدفاع على وجوب إجهاض المهمة، وعاد الفريق إلى إسرائيل، مرة أخرى تم التقيد الصارم بالقانون الحديدي الذي ينص على وجوب التضحية بأي مهمة إذا كان من الممكن أن يسمح للعملاء بالوقوع في الأسر.

ماذا كان سيحدث لو سمح بيغن لداغان بالمُضي قدماً في أولمبيا، أو إذا لم يكن الشرطي العربي يقودها؟ جادل داغان بأن التاريخ كان من شأنه أن يسير في مسار مُختلف تماماً، "لو سمحوا لنا أن نتحرك وقيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية قد خرجت من اللعبة " قال،" كنا جميعاً لنتجنب حرب لبنان بعد ستة أشهر، والكثير من المشاكل الأخرى ".

من المُستحيل معرفة ذلك على وجه اليقين، يشعر آخرون أن شارون وإيتان لن يكونا راضين حتى ذلك الحين، وأن لديهم استراتيجية كبرى لخلق نظام جديد ليس فقط في لبنان، ولكن في الشرق الأوسط كله.

في الوقت الحالي التزموا الصمت في انتظار الذريعة الحتمية للحرب.

15

"أبو نضال ، أبو شميدك"

في كل ربيع في لندن، تستضيف شركة دي لا رو، وهي شركة بريطانية لطباعة العملات وأنظمة الأمن، مأدبة عشاء سوداء للدبلوماسيين ورجال الأعمال التنفيذيين في المدينة، في عام 1982، أقيم في ليلة 3 يونيو في فُندق دورشيستر الفاخر، استمتع أربعة وثمانون من السُفراء والرُؤساء التنفيذيين من جميع أنحاء العالم بالثرثرة والتواصل الشبكي وتبادل القيل والقال.

عندما انتهى الأمر بعد الساعة 10 مساءً بقليل، وبدأ الضيوف في التجول، توقف سفير إسرائيل في محكمة سانت جيمس، شلومو أرغوف، في بهو الفندق للتحدث مع دبلوماسي آخر وناقشا الهدايا التي ستمنحها دولتهما للطفل الأول للأمير تشارلز والأميرة ديانا، الذي كان من المُقرر أن يولد في غضون أسبوعين، بعد ذلك عند المخرج مباشرة، صافح أرغوف قطب الصحافة روبرت ماكسويل وشكره على الموقف الودي لأوراقه تجاه إسرائيل.

لم يُسمح لوحدة حماية الشخصيات المُهمة التابعة للشين بيت بالعمل في المملكة المتحدة، لذلك كان أرغوف محمياً من قبل حارس شخصي بريطاني، المحقق كولين سيمبسون خرج الرجلان من الفندق وسارا بسرعة 30 قدم إلى سيارة فولفو سيدان السمراء المُدرعة، فتح سيمبسون الباب الخلفي لأرجوف، لم ير أي منهما القاتل على الرصيف حتى فات الأوان.

كان حسين غسان سعيد جزء من خلية سرية تابعة لجماعة أبو نضال الإرهابية، كان هو واثنان من رفاقه ينتظرون، يراقبون الباب الأمامي لدورشيستر لمدة ساعة ونصف، قال سعيد: **"في اليوم السابق للعملية جاءني قائدنا روسان وأخبرني أن الغد سيكون يوم عظيم للأمة الفلسطينية، وأننا سنقتل صهيونياً مهماً".**

كان يحمل مدفع رشاش صغير بولندي الصنع WZ-63، اقترب من أرجوف من الخلف قال: "اقتربت منه، وبدأ في ركوب السيارة، أخرجت سلاحي من حقيبتي وأمسكت به بكلتا يدي، كما

تعلمت، فتح الرجل الآخر الباب له، اقتربت، حتى صرت على بعد أمتار قليلة، ثم أطلقت النار عليه، رصاصة واحدة في رأسه ".

دفع سيمبسون أرغوف إلى السيارة وأخبر السائق الذي سيقود إلى المستشفى، وأصيب الباسادور بجُروح خطيرة، ثم طارد سيمبسون سعيد، الذي كان يفر في بارك لين باتجاه سيارة كان صديقان ينتظرانه فيها، وشهد المُحقق في وقت لاحق أنه عند ناصية شارع ساوث، على بعد عدة بنايات من دورشيستر، استدار سعيد وأطلق النار عليه، فاته الأمر، وأصابت الرصاصة سيارة تعود لأحد أفراد العائلة المالكة، كانت ملابسه مُغطاة بالزجاج المُهشم، في نفس اللحظة تقريباً، أطلق سيمبسون النار من مسدس عيار 0.38 وأصاب سعيد في رقبته أسفل أذنه اليمنى، مما أدى إلى سقوطه، قال سعيد: "بدأت أركض باتجاه السيارة، سلاحي تعطل فجأة شعرت بضربة رهيبة في رقبتي وسقطت على الأرض ".

تم القبض على رفقاء سعيد بعد أربعين دقيقة من الحادث، كان لدى المخابرات البريطانية عميل مزدوج داخل خلية أبو نضال، لكنهم فوتوا معلوماته حول مُحاولة الاغتيال المُخطط لها وأدركوا بعد فوات الأوان ما كان يحدث، نجا أرغوف لكنه أصيب بالشلل وعانى من أمراض خطيرة أدت إلى وفاته في عام 2003، بعد وقت قصير من محاولة الاغتيال علمت المخابرات الإسرائيلية أن أبو نضال، عدو عرفات اللدود، واسمه الحقيقي صبري البنا، "أمر بالهجوم نيابة عن برزان التكريتي رئيس المُخابرات العراقية، قال إيغال سيمون، القائد السابق للوحدة 504، الذي كان وقتها يخدم في فرع الموساد بلندن.

كان الأخ غير الشقيق لبرزان ورئيسه، الطاغية صدام حسين، يأمل في أن يؤدي الاغتيال إلى صدام عسكري واسع النطاق بين سوريا ومُنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، خصومه الثلاثة في الشرق الأوسط، وربما حتى تورط أكبر مُنافس على الإطلاق: إيران.

كما حدث كان لصدام وشارون مصالح مُتشابهة، في اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي في صباح 4 حزيران (يونيو) 1982 أعلن رئيس الوزراء بيغن أن "الاعتداء على سفير هو بمثابة هجوم على دولة إسرائيل، وسنرد"، لم يستمع إلى أفراد مخابراته، الذين حاولوا إخباره بأن مُنظمة التحرير الفلسطينية كانت تتصرف مُنذ عام، مُنذ وقف إطلاق النار الذي بدأته الولايات المتحدة في الصيف الماضي، وأن أرغوف قد أطلق النار عليه من قبل عضو في جبهة مُعارضة، جماعة فلسطينية هي نفسها أرادت القضاء على عرفات، وأعلن بيغن: "كلهم مُنظمة التحرير

الفلسطينية"، كان رئيس الأركان إيتان أقل دقة: "أبو نضال، أبو شميدال،، علينا ضرب مُنظمة التحرير الفلسطينية ".

وافق مجلس الوزراء على قصف جوي مُكثف لقواعد بيروت ومُنظمة التحرير الفلسطينية، من الواضح أن عرفات لم يستطع السماح لهذا بالمرور دون رد فعل، بعد فترة وجيزة، تعرضت 29 بلدة في شمال إسرائيل لقصف مدفعي كثيف من مُنظمة التحرير الفلسطينية.

في لندن حُكم على سعيد بالسجن ثلاثين عام، في المقابلات والرسائل الهاتفية، قال إنه لا يعتقد أن رصاصته هي التي بدأت الحرب الإسرائيلية في لبنان، قال: "كان سيحدث على أي حال". ربما يكون قد أثر على توقيت الغزو لكن رافول وشارون أرادوا احتلال لبنان في أي حال، لقد استخدموا ما فعلته كذريعة ".

ربما كان على حق، على كل حال كانت الحرب في لبنان مشتعلة.

أرييل شارون قدم خُطة للانتقام لإطلاق النار على أرغوف وإسكات قوات مُنظمة التحرير الفلسطينية في، أطلق عليها اسم عملية سلام الجليل، وهو اسم مُصمم لإعطاء الانطباع بأن هذه كانت مُهمة شبه مُترددة لحماية الذات، وصرح شارون لمجلس الوزراء بأنه سيكون توغلاً محدوداً يهدف فقط إلى إزالة التهديد الذي تُشكله مدفعية مُنظمة التحرير الفلسطينية على المُجتمعات الإسرائيلية، لن يتقدم الجيش الإسرائيلي إلى لبنان أكثر من أربعين كيلومتراً، وهو مدى أكبر ميادين مُنظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت.

الوزير الوحيد الذي عارض الخطة كان مردخاي زيبوري، الذي يشغل الآن منصب وزير الاتصالات، كان يشك في أن شارون لديه أهداف أكبر بكثير، وبفضل خلفيته العسكرية، أدرك زيبوري أن توغلاً بهذا العمق على طول جناح القوات السورية في لبنان، سيؤدي بالضرورة إلى اشتباك بين القوات الإسرائيلية والسورية، لكن بيغن رفض اعتراضات زيبوري وأعلن: "لقد قلت إننا لن نُهاجم السوريين".

ومع ذلك فإن شُكوك زيبوري كانت مبررة تماماً مرة أخرى، كانت هذه في الواقع مُجرد بداية خُطة شارون الفعلية، جنباً إلى جنب مع رئيس أركانه إيتان، الذي كان لديه أجندة سرية كانت أكثر تعظيمًا بكثير: كان ينوي استخدام دبابات الجيش الإسرائيلي لإعادة تشكيل الشرق الأوسط بأكمله، وبحسب رؤيته فإن القوات الإسرائيلية وحلفائها من الكتائب سيحتلون لبنان من الحدود إلى بيروت، ويُدمرون جميع قوات مُنظمة التحرير الفلسطينية ويلحقون أضراراً جسيمة بالوحدات السورية المُنتشرة هُناك، مع تأمين العاصمة، سيُنصب الإسرائيليون زعيم الكتائب بشير الجميل، كرئيس وبالتالي تحويل لبنان إلى حليف موثوق، بعد ذلك سيطرد الجميل الفلسطينيين إلى الأردن، حيث سيكونون أغلبية قادرة على إقامة دولة فلسطينية بدلاً من المملكة الهاشمية، ورأى شارون أن هذا سيقضي على المطلب الفلسطيني بدولة في يهودا والسامرة والضفة الغربية – التي ستُصبح بالتالي جزءاً من إسرائيل.

في تلك الخطة الخيالية كان هناك عنصر حاسم آخر: قتل ياسر عرفات، اعتقد شارون أنه في الحرب ضد مُنظمة إرهابية كانت الشعارات والرموز لا تقل أهمية عن إحصاء الجُثث لإرسال إشارة لسحق الروح الفلسطينية، كان هو وإيتان مُصممين على الوصول إلى بيروت والعثور على عرين عرفات وقتله.

ولهذه الغاية تم تشكيل فريق عمل خاص، أطلق عليه اسم Salt Fish ، أي(سمك مُملح)عين شارون خُبرائه في العمليات الخاصة مئير داغان ورافي إيتان لإدارتها، قال دغان: "اعتقدت أن ضربه سيُغير كل شيء".

لم يكن عرفات زعيم فلسطيني فحسب بل كان نوعاً من الأب المؤسس للأمة الفلسطينية، إن قتله سيُطلق العنان لجُزء كبير من الصراعات الداخلية داخل مُنظمة التحرير الفلسطينية ويُعيق بشكل كبير قدرتهم على اتخاذ أي قرارات استراتيجية مُنذ ذلك الحين ".

رئيس أمان اللواء يهوشوا صقوي، ورئيس الموساد يتسحاق هوفي، جنرال سابق في جيش الدفاع الإسرائيلي، كلاهما عارضا بشدة غزو لبنان، لأنهما كانا يعلمان ذلك وراء وعود شارون وإيتان بـ "توغل لا يزيد عن أربعين كيلومترًا" كانت هناك خطة خفية أخرى من شأنها أن تضع إسرائيل في موقف مُدمر، قال هوفي: "كنت أعرفهما كليهما، وعرفت أنهما لم يتخلّيا عن طُموحهما وبأنهما سيحاولان بطريقة ما تحقيق ما يريدانه دائماً" للوصول إلى بيروت وقتل عرفات، حذر هوفي بيغن من أن غزو لبنان "سيكون حرب يوم الغفران على يد الليكود"، وأن

حزب بيغن سيكون كارثة على الدولة وعلى حياته المهنية، تماماً كما أنهى صراع 1973 هيمنة حزب العمل.

لكن بيغن رفض اعتراضات أجهزة المُخابرات، وفي 6 حزيران (يونيو) اقتحم الجيش الإسرائيلي لبنان.

تقدم جيش قوامه 76000 جندي و 800 دبابة و 1500 ناقلة جند مدرعة شمالاً على ثلاثة محاور مع هبوط قوة رابعة من البحر.

كانت البداية واعدة من وجهة نظر شارون، حققت القوات الإسرائيلية معظم أهدافها، بفضل قوتها النارية المتفوقة إلى حد كبير، ولكن بفضل المعلومات الاستخبارية رفيعة المستوى التي زودتها بها أمان والموساد بعد التوغل العميق في مُنظمة التحرير الفلسطينية الفاسدة، كان أداء رجال الميليشيات أسوأ مما توقعته أمان، فر مُعظم كبار القادة تاركين رجالهم ليموتوا.

وكما تنبأ زيبوري رد السوريون على الاستفزاز الإسرائيلي الفاضح، استغل إيتان الذي كاد السوريون اجتياح قواته في مرتفعات الجولان في عام 1973، الفرصة لتصفية الحساب وأمر بشن هجوم مُضاد، كما ذبل السوريون تحت نيران الإسرائيليين.

ولكن إلى جانب الانتصارات العسكرية سُرعان ما أصبح واضحاً لوزراء الحكومة الإسرائيلية أن "التوغل الذي يبلغ طوله 40 كيلومترًا" ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية الذي وعدوا به أصبح شيئاً مختلف تماماً، وأمر شارون الجيش الإسرائيلي بمواصلة التقدم، مُدعيا أن ذلك كان ضرورياً لأسباب عملياتية مُختلفة، في مواجهة شخصيته الكاريزمية والمُتغطرسة، لم يبد الوزراء أي اعتراض تقريباً.

قال السكرتير العسكري لبيغن العميد عزرييل نيفو: "لقد رأيت بسرعة كبيرة أن خُطة الأربعين كيلومترا كانت تتلاشى، والجيش الإسرائيلي كان يتوغل في عمق لبنان"، شارون كذب وضلل بيغن والحكومة، كانت عظمة شارون أنه عرف كيف يصف بأوضح طريقة، لماذا كان من الضروري التقدم بضعة كيلومترات أخرى، وإلا فإن الجيش السوري سيجلس صباح الغد على تلة ويُعرض قواتنا للخطر، هذه هي الطريقة التي تُمكن من الحصول على إذن من مجلس الوزراء للغزو الزاحف ".

في 25 حزيران / يونيو أكمل الجيش الإسرائيلي تطويقه لبيروت، أبعد بكثير من المدى الذي تم الاتفاق عليه، وشرع في حصار وقصف مروّعين للأحياء الغربية من المدينة.

كان شارون يأمل أن تُساعد الكتائب المسيحية المارونية في مُحاربة مُنظمة التحرير الفلسطينية، لتكون بمثابة وقود لمدافع إسرائيل، لا سيما في المناطق المُكتظة بالسكان، كان لدى الكتائب أفكار مُتشابهة، لكن العكس هو الصحيح: أن الإسرائيليين سيُفعلون القتال من أجل ترسيخ هيمنتهم في لبنان، "الموساد الذي كان يُدير الاتصال مع الكتائب، كان مخطئ تماماً في الطريقة التي يقرأ بها الوضع في لبنان وقدرة ونوايا المسيحيين، قال نيفو: "لقد قادونا إلى طريق الحديقة.

وحث قادة الكتائب الإسرائيليين على احتلال المزيد والمزيد من الأراضي، ووعدوا بالمساعدة العسكرية التي لم تتحقق، في اجتماع مع رئيس الأركان إيتان في 16 يونيو، طالب زعيم الكتائب بشير الجميل الجيش الإسرائيلي بغزو بيروت، وقال الجميل: "تصريحاتك لن تدخل بيروت .. لا تساعد لأنها تقوي الروح القتالية للفلسطينيين والمُسلمين وتُعرقل العملية السياسية"، في الوقت نفسه، كان لدى الجميل نصيحة حول كيفية التعامل مع مسقط رأسه: "يجب أن تستمر في القصف الجوي، لأن القصف المدفعي لا تأثير له، لأنهم معتادون عليه بالفعل".

شارون وإيتان والكتائب كانوا يخططون سراً لكيفية الاستيلاء على بيروت في عملية مُشتركة أطلق عليها اسم سبارك، خلال لقاء في منزل شارون في الأول من آب، حضره رؤساء الجيش الإسرائيلي والموساد، سأل شارون الجميل، "هل يُمكنك قطع المياه مرة أخرى؟" مما يعكس رغبته في مُمارسة أكبر قدر مُمكن من الضغط لحمل مُنظمة التحرير الفلسطينية والسوريين على الانسحاب.

قال الجميل: نستطيع فعل ذلك بغطائك.

قال شارون: "حسنًا"، "ولكن علينا ترك المياه مفتوحة يوم الاثنين، عندما [الولايات المتحدة وزير الخارجية جورج] شولتز يلتقي [وزير الخارجية يتسحاق] شامير.

ولم يسمع وزراء الحكومة الإسرائيلية ذلك إلا بعد إعطاء شارون أوامره بالغزو لأول مرة في تاريخ إسرائيل، طوال الحرب لم يتوقف شارون أبداً عن التأكيد لمجلس الوزراء والكنيست والأمة أنه "لا توجد نية لدخول بيروت"، مُكرراً هذا الوعد مرات عديدة، لكن الأمر الذي أعطاه شارون للجيش الإسرائيلي كان واضح تماماً: "علينا إنهاء الجُزء الجنوبي" من بيروت، حيث توجد

مُخيمات اللاجئين وقواعد مُنظمة التحرير الفلسطينية، كما قال في اجتماع بمكتبه في 11 يوليو، "لتدمير أي شيء يُمكن تدميره ... لهدمها بالأرض ".

—

خلال الغزو الشامل للبنان سيصبح حصار بيروت مستنقعاً لإسرائيل، وهذا احتلال سيستمر على الأقل في الجنوب لمدة ثمانية عشر عاماً أخرى.

العالم كله حتى الرئيس رونالد ريغان، الذي كانت تربطه علاقة جيدة ببيغن، وقف ضد إسرائيل. قال ريغان في مُكالمة هاتفية غاضبة مع بيغن: "أنت تتسبب في محرقة في بيروت"، أجاب بيغن، ليس أقل غضباً، "أرجوك سيدي الرئيس، لا تعلمني عن المحرقة، أنا وشعبي يعرفون جيداً ما تعنيه "المحرقة" ".

حاول الموساد موازنة الصورة عن طريق التسريب إلى وثائق "لندن أوبزرفر" التي تزعم أنها تظهر أن مُنظمة التحرير الفلسطينية لديها مخزون من الأسلحة لـ 100،000 رجل، والتي كانت في الواقع مخازن الطوارئ التابعة للاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، كما زعموا أن الاتحاد السوفياتي يعتزم إرسال جنود كوبيين للقتال إلى جانب الفلسطينيين، ولاحتلال الجليل وتدمير المستوطنات اليهودية وإقامة دولة مستقلة هناك، من المشكوك فيه أن تكون هذه الحكايات تحتوي حتى على ذرة من الحقيقة، وهي بالتأكيد لم تُغير رأي العالم لصالح إسرائيل، مرة أخرى كان يُنظر إلى صراع الشرق الأوسط على أنه قصة لطالوت وجالوت – ولكن مع إسرائيل باعتبارها العملاق القوي والوحشي، والفلسطينيون هم المُستضعفون الذي يرثى له.

المدى الكامل للخداع الذي مارسه شارون ضد الحكومة والجمهور في إسرائيل لم يظهر إلا بشكل تدريجي، لكن الزيادة المطردة في عدد الضحايا الإسرائيليين، والأهداف غير الواضحة والمُتقلبة، وقصص الدمار والمُعاناة في لبنان التي أعادها الجنود إلى الوطن، بدأت في إثارة الاحتجاجات والمعارضة.

أدرك رئيس أركان شارون، إيتان أن مُعظم تحركات الجيش الإسرائيلي في لبنان تتم دون موافقة مجلس الوزراء، لذلك تعمد التغيب عن اجتماعات تلك الهيئة، زاعماً أنه مع القوات المُقاتلة،

ترك مهمة التقسيم والإخفاء لشارون، الذي تجاهل ببساطة كل المُعارضة ومضى قدماً (إنه لا يتوقف على الأحمر" كانت أغنية كتبها عنه موسيقي الروك الرائد في إسرائيل، شالوم حنوك).

من غير الواضح بالضبط مدى معرفة بيغن بُخطة شارون المُعقدة، وبمرور الوقت سيُقاضي شارون صحفياً كتب أنه كذب على بيغن وأخفى معلومات عنه، شارون خسر القضية.

أما بالنسبة لخطة التخلص من ياسر عرفات، فلا توجد نُصوص كاملة لجلسات مجلس الوزراء أو اجتماعات شارون مع بيغن، لذلك من المُستحيل أن نقول بالضبط ما عرفه بيغن ووزيره الآخر، إن وجد عن عملية "السمك المُملح".

ومع ذلك مهما كان بيغن على علم بالتفاصيل، فهو لم يخفِ رأيه حول الحاجة الأكبر للتخلص من عرفات، في رسالة إلى ريغان في 2 أغسطس كتب بيغن أنه شعر كما لو "لقد أرسلت جيشاً إلى برلين للقضاء على هتلر في المخبأ"، وفي خطاب ألقاه في الكنيست في الأسبوع نفسه، نادى عرفات مرة أخرى "**بهذا الرجل الحقير ذو الشعر على وجهه، قاتل أطفالنا**".

واصلت فرقة عمل (السمك المُملح) التي شكلها مئير داغان ورافي إيتان، العمل خارج نطاق قيادة الحرب الأوسع، وكان معظمها مكونًا من جنود سايريت ماتكال بقيادة الرئيس المنتهية ولايته لتلك الوحدة ، المقدم عوزي ديان، ومع ذلك كانت مهمتها مُعقدة بسبب حقائق حرب المدن، لم يستطع الفريق ببساطة إرسال فصيلة من الجنود لاقتحام بيروت لقتل رجل واحد، وهو تكتيك كان سيحدث دماراً لا يُمكن تصوره.،قال دايان: "لذا كانت المُهمة الرئيسية هي تحديد موقع (السمك المُملح) ووضعه في مرمى قنابل سلاح الجو"، "لكن دون التسبب في الكثير من الأضرار الجانبية".

تم استدعاء الكولونيل يوسي لانجوتسكي أحد الآباء المؤسسين لوحدة أمان التكنولوجية، إلى بيروت في يونيو للاستفادة من جميع أنظمة الاتصالات التابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، بفضل المُكالمات التي تم اعتراضها، والتي تم فحصها مُقابل المراقبة العميقة السرية التي قامت بها قوات سايريت والمعلومات من عملاء الموساد، كان لدى فرق (السمك المُملح) وفرة من المعلومات حول المخابئ التي يستخدمها عرفات.

قال ديان: "**كانت مهمة معقدة للغاية، كان علينا جمع المعلومات من المصادر المختلفة، لفهم المبنى أو الكهف الذي كان مناسب، وتحديده على الخريطة، وتضييقه إلى عشرة**

إحداثيات، ونقلها إلى القوات الجوية، ومنحهم الوقت الكافي لوضع طائرة في الهواء وقصفها".

كانت الأيام والليالي الطويلة في مركز قيادة (السمك المُملح) في الغالب أوقاتاً مُحبطة حيث هرب عرفات مراراً وتكراراً، كان لانجوتسكي ودايان يسمعون الحُراس الشخصيين يُرتبون وصول عرفات إلى مكان وزمان مُعينين ويُعطون القوات الجوية الإحداثيات بسُرعة، وذات مرة سمعوا عرفات نفسه على الهاتف وأرسلوا قاذفتين مقاتلتين دمرت المبنى، لكن عرفات غادر "قبل ثلاثين ثانية" بحسب ديان.

لقد فهم الزعيم الفلسطيني أنه لم يكن من قبيل المُصادفة أن القنابل تتساقط بشكل مُتكرر على الأماكن التي دخلها للتو أو غادرها للتو، قال لشعبه إن شارون في بيروت يتصرف مثل "الذئب الجريح" ويُريد قتله انتقاماً للطريقة التي استمرت فيها الحرب، بدأ في اتخاذ المزيد من الإجراءات الاحترازية، ورتب عدة اجتماعات في نفس الوقت في أماكن مُختلفة، قام بنشر معلومات مُضللة بين مساعديه، كام يشُك في أن أحدهم قد يكون عميلاً للموساد، وكان يتنقل طوال الوقت.

قال موشيه يعالون ضابط في شركة (السمك المُملح): "ظل عرفات يكسر روتينه، لم يكن هناك نمط مُنتظم في سلوكه، لا شيء يُمكن أن يمكّن من التحضير لغارة برية ضد ملجأ أو منزل."

الفريق الذي يزداد يأساً، جاء بأفكار لا حصر لها، في 3 يوليو، عبر مُحرر المجلة اليسارية الإسرائيلية أوري أفنيري خط المواجهة في بيروت لإجراء مُقابلة مع عرفات (مع المُراسل ساريت يشاي والمصور أنات ساراغوستي) في قلب المدينة، كان الاجتماع مثيراً للجدل إلى حد كبير في إسرائيل، كان يُنظر إلى عرفات على أنه ألد أعداء البلاد، وكانت هذه المرة الأولى التي يلتقي فيها بإسرائيلي، قال أفنيري: "كان هدفي في البدء في تمهيد الطريق إلى السلام الإسرائيلي الفلسطيني من خلال تغيير طريقة تفكير الإسرائيليين"، لم يُعجب فريق (السمك المُملح) بشكل خاص بهذه المُبادرة (قال يعالون: **"لن أبدأ حتى في قول ما أفكر فيه بشأن أفنيري وعمله الفظيع**"، لكنهم قرروا الاستفادة من فُرصة تعقب الإسرائيليين الثلاثة ليقودوا مجموعة من القتلة مباشرة إلى عرفات.

دار نقاش بين أعضاء فريق (السمك المُملح) حول ما إذا كان من الجائز تعريض حياة الإسرائيليين للخطر، أو ربما قتلهم أثناء قيامهم بمهمتهم، أفنير أزولاي، ممثل الموساد في

مُنتدى (السمك المُملح)، لخص نتيجة هذا النقاش: "إذا كانت الظُروف مناسبة من الناحية العملياتية، فمن المعقول أن نفترض أن عرفات وهؤلاء اليهود الثلاثة الأعزاء ما كانوا ليبقوا على قيد الحياة. "

لكن عرفات الحذر على الدوام يشتبه في أن الموساد ربما يراقب أفنيري والصحفيين معه، اتخذ حُراس عرفات الأمنيون إجراءات مُضادة خادعة صارمة، وفقد فريق (السمك المُملح) أثره في أزقة جنوب بيروت.

مع مرور الأيام ورفض واقع الحرب الأهلية الفوضوية التي أثيرت الانصياع لخطة شارون وإيتان المفرطة في الطُموح لإعادة هيكلة منطقة بأكملها من الكوكب، مارس الصقور ضُغوطاً مُتزايدة على القوات الجوية وفرق (السمك المُملح) للحصول على عرفات، منذ بدء حصار بيروت اكتسب موضوع قتل عرفات أهمية كبيرة، قال الميجر جنرال ديفيد ايفري الذي كان قائداً للقوات الجوية في ذلك الحين **"كان الشعور هو انه شيء شخصي بالنسبة لشارون، بين الحين والآخر، كان يظهر أشخاص من الموساد أو أمان في كناري" مركز قيادة القوات الجوية، في مخبأ تحت الأرض عميق تحت تل أبيب "ويخبروننا أن عرفات كان هنا أو هناك، سيأمرنا شارون أو رافول بقصف تلك الأماكن على الفور** ".

وتابع إيفري: "اعتقدت أنها كانت فوضوية مع وجود خطر إلحاق الأذى بالمدنيين"، لم أكن على استعداد لقبول حفلة تفجير كهذه دون الحصول على أمر كتابي من فرع عمليات هيئة الأركان العامة. كنت آمل ذلك، إن وضع الأمر في إطار مُنظم لتبادل المعلومات واتخاذ القرار من شأنه أن يؤدي إلى حُكم أفضل، في الواقع لم تأت الكثير من الأوامر كتابياً، لقد اختفوا في مكان ما على الطريق ".

كان لدى عوزي ديان نفس الهواجس، قال: **"لقد أنقذ عرفات شيئين، حظه اللامتناهي وأنا، اعتقدت أن عرفات هدف مشروع، لكنني لم أعتقد أن ضرب الهدف يُبرر بأي وسيلة، إذا رأيت أن ذلك ينطوي على قتل مدنيين على نطاق واسع حتى لو علمنا أن عرفات كان هناك لم أوافق على قصف مكان** ".

تابع دايان: "اعتاد رافول أن ينفجر بغضب، كان يتصل بي ويقول،" أتفهم أن لديك معلومات عن كذا وكذا مكان، لماذا لا تُحلق الطائرات في الجو؟ أجبته أن ذلك مُستحيل لأن هُناك الكثير من الناس حولنا، قال رافول، "انس الأمر، سأتحمل المسؤولية عن ذلك، "لم أكن مستعد للسماح بذلك، لن يعلمني رافول أخلاقيات الحرب ".

كان رفائيل إيتان يذكر دايان بأنه غير مُخول ليُقرر ما إذا كان سيرمي قنبل، ولكن كما أوضح دايان، "**كل ما كان على فعله هو الإبلاغ عن الوقت الذي كان الهدف فيه ناضج من وجهة نظر الذكاء، لذا من تلك النقطة فصاعداً، في كل مرة علمنا فيها أن القصف سيؤدي إلى خسائر مدنية هائلة، أبلغنا أن الهدف لم يكن ناضجاً من زاوية الاستخبارات** ".

في مساء يوم 11 أغسطس / آب طلب إيتان من رئيس قسم العمليات الجوية أفيم سيلا، الحضور لرؤيته، كان الاثنان على علاقة وثيقة، وكان إيتان لديه نقطة ضعف لسيلا، وهو ضابط واعد للغاية يعتبر قائد محتملاً للقوات الجوية.

استقبل إيتان سيلا وأخبره أنه في اليوم التالي لن يعمل في كناري كالمعتاد، لكنه "سيذهب في رحلة".

"أي شيء مثل رحلتنا الأخيرة معًا؟" وتساءل سيلا، في إشارة إلى زيارة بيروت في أيار، استعداداً للغزو وعملية اغتيال عرفات.

أجاب إيتان "شيء من هذا القبيل، لكن من فوق، قابلني صباح الغد في حتسور [قاعدة جوية في الجنوب]، ستطير بالطائرة، وسأبحر وأقوم بتشغيل أنظمة القتال، سنقصف بيروت "، وكان الهدف مبنى كان من المفترض أن يكون عرفات داخله في صباح اليوم التالي، بحسب المعلومات التي حصلت عليها عملية (السمك المُملح).

علم سيلا أن إيتان لديه رخصة طيار لطائرة خفيفة، لكنه لا يزال مقتنع بأنه لم يكن يسمع جيداً، "لقد كان جنونياً تماماً"

قال، "كنت في حالة صدمة، لو أخبرني أحدهم أن رئيس الأركان، وهو ليس طياراً حقيقياً، كان يأخذ رئيس قسم عمليات القوات الجوية في استراحة أثناء إدارة الحرب أثناء قصفهم لبيروت من أجل المُتعة لما كنت أصدق أبدًا ذلك. "

لكن رئيس الأركان إيتان كان مهووساً بقتل عرفات، في اليوم التالي التقى الاثنان في حتسور، كانوا جزء من رُباعية من فانتوم في رحلة استكشافية لتفجير مبنى مكاتب الصانع، في غرب بيروت حيث كان من المُفترض أن يحضر عرفات اجتماعاً، "كان أداء رافول سوسو؛ أعتقد أنه كان يشعر ببعض المرض، فعلت الملاحة الخاصة بي، قام بتشغيل أنظمة الذخائر، والتي كانت بمصطلحات اليوم بدائية إلى حد ما، نفذنا قصفين فوق الهدف، ثم قصف آخر لنرى ما إذا كنا سنضربه، كان رافول سعيداً، وسافرنا بالطائرة إلى إسرائيل ".

مرة أخرى أنقذ عرفات بمعجزة: دمرت القنابل جزء من المبنى قبل وصوله بقليل، عاد سيلا من حتسور إلى تل أبيب لإدارة عمليات سلاح الجو، واستقل إيتان طائرة مروحية إلى بيروت، يتذكر سيلا: "في المساء، رأيته على شاشة التلفزيون، تجري مقابلته في ضواحي بيروت، وأعلن أن إسرائيل تمتنع عن قصف أهداف في مُحيط مدني وهو بالضبط ما كان يفعله بنفسه في ذلك الصباح ".

كانت مُشكلة عملية (السمك المُملح) لشارون وإسرائيل، أن العالم بأسره كان يُراقب، مع كل محاولة اغتيال فاشلة، بدت إسرائيل أكثر فأكثر وكأنها قوة عسكرية تطغى على دولة ذات سيادة في سعي وحشي لقتل رجل واحد.

عرفات بدلاً من أن يُنظر إليه على أنه إرهابي متعطش للدماء، أصبح الآن الزعيم المُطارد لأمة من اللاجئين الذين داستهم آلة الحرب الإسرائيلي، لقد حقق شارون بالضبط عكس ما أراد.

هدفه الرئيسي الآن هو موضوع التعاطف العالمي، غرق الغزو بشكل أعمق في مُستنقع من المُغامرة العسكرية، كان لا بد من كسر الجمود وتم إنقاذ شبه تام، في 1 آب / أغسطس بدأ الجيش الإسرائيلي في مُمارسة ضغوط شديدة على قوات مُنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت (عملية كينغ كونغ) بقصف مدفعي مُتواصل استمر 72 ساعة بهدف إقناع عرفات بالانسحاب من لبنان، نفذ سلاح الجو الإسرائيلي أكثر من مائة رحلة استكشافية في فترة عشر ساعات، استمر وابل من الجو والبر والبحر بعد ذلك ووصل ذروته في 12 أغسطس، والذي أصبح يُعرف باسم الخميس الأسود بسبب الدمار الهائل الذي أحدثه.

الضغط عمل في 13 آب، وبتوسط أميركي، وافق عرفات على إخلاء بيروت بقواته، غادر عوزي ديان المدينة وغادر فريق (السمك المُملح)، أمر دير يعالون بمشاعر مختلطة، وقال: "لم أقض بقية حياتي في الحداد، لكنني اعتقدت حينها وما زلت أعتقد اليوم أنه من المؤسف أن المُهمة لم تنفذ"، من ناحية أخرى كانت الحرب أمراً مؤلماً للغاية من وجهة نظر إنسانية، شاهدنا السُكان اللبنانيين من حولنا، الفقر والدمار الناجم عن القتال بيننا، بين القوات المُقاتلة، كان هناك جدال كبير، كُنت أعرف أصدقاء، رفاق في السلاح، اعتقدوا حقاً أنه يجب على شخص ما أن يقتل شارون الذي فكر بالفعل في اغتياله، انقاذ دولة إسرائيل، لقد دعمت الحرب منذ البداية، لكنني أدركت أيضاً أن هناك مأزقًا، وأن الحرب لن تسير في أي مكان، كان شارون ورافول يخدعان الجميع، غادرت بيروت وأنا أشعر بارتياح كبير ".

في 21 آب أخلت قُوات مُنظمة التحرير الفلسطينية بيروت بحراً، كانت علاقة اسرائيل بالولايات المتحدة مُتوترة جداً بالنظر الى غزو لبنان وحصار بيروت، كان رئيس الوزراء بيغن حريصاً على تهدئة الأمور، عندما تم التوقيع على اتفاق الإخلاء، وعد الوسيط الأمريكي فيليب حبيب بعدم إلحاق أي ضرر بالذين تم إجلاؤهم، كان الوفاء بهذا الوعد نذيراً لبيغن، وأصدر تعليماته الحازمة لشارون بالتخلي عن أي خُطط تم وضعها لاستغلال الانسحاب كوسيلة لتصفية الحسابات مع عرفات.

بقي فريق (السمك المُملح) في بيروت، وفي 30 آب / أغسطس، اتخذوا مواقع، مع ضباط "الشاباك" والموساد، على الأسطح المجاورة لشركات النفط والطاقة الوطنية اللبنانية، المطلة على الميناء، يتذكر أحد عناصر الشاباك "من مسافة رأينا قافلة كبيرة من السيارات"، وفجأة رأينا الكوفية الشهيرة على الرأس الشهير لشخص مطلوب يخرج من إحدى السيارات، لقد وقف وسط حشد من الناس، وكأنه مُحاط بسرب من النحل ".

كان من السهل قتله، قال يعالون "كنا على بعد 180 مترا، في هذا النطاق، مع بندقية القنص التي كان فريقنا يحملها، من الصعب تفويتها، ويتذكر الآخرون الذين كانوا هناك أن عرفات كان في مرمى خمسة قناصين على الأقل في نفس الوقت.

كان أحد القادة على اتصال لاسلكي مع رئيس الأركان إيتان في مخبأ القيادة في تل أبيب، وإبلاغه بالوقت الذي سيكون فيه عرفات خارج النطاق، "نحن نستطيع فعلها، نحن نضعه في

أعيننا، هل لدينا إذن؟ " تأخر إيتان، وتابع الضابط: "إنه على وشك الدخول، في غضون عشر، تسع ثوان، يرجى إعطائنا إذنًا ثماني، سبعة ..."

أخيراً، رد إيتان بصوته الأنفي بخيبة أمل مسموعة: "سلبي"، قال، أكرر: سلبي، لا يوجد إذن..."

بعد أربع وعشرين ساعة أعطى بيغن حبيب صورة لعرفات في مرمى بندقية قنص ليثبت أن إسرائيل، رغم الفرصة كانت مُلتزمة بكلمتها وبحلول ذلك الوقت، كان عرفات قد وصل بالفعل إلى أثينا، في طريقه إلى المحطة التالية لمُنظمة التحرير الفلسطينية في تونس، كان هدف بيغن المُتمثل في "القضاء على هتلر في ملجئه" كما أعلن لريغان، هو مُشاهدة هتلر يُنقل جواً من برلين.

16

الراية السوداء

وعد شارون بسحب الجيش الإسرائيلي من لبنان بمجرد مغادرة منظمة التحرير الفلسطينية، لكنه بدلاً من ذلك ظل يُركز على خطته الكبرى لإعادة تشكيل الشرق الأوسط، مع ترسيخ القوات الإسرائيلية بقوة وممارسة الموساد ضغوطاً شديدة، صوّت البرلمان اللبناني في 23 آب (أغسطس) 1982 على تنصيب زعيم الكتائب بشير الجميل رئيساً للبلاد، في خيال شارون، كان الجميل يطرد الفلسطينيين من لبنان.

على الفور أراد شارون القضاء على ما أسماه "نواة الإرهاب [ميليشيا مُنظمة التحرير الفلسطينية] والقوى اليسارية [الشيوعية وغيرها من الجماعات اليسارية المُتحالفة مع مُنظمة التحرير الفلسطينية]، والمسلحة بأسلحة ثقيلة وتبقى في بيروت الغربية".

كان شارون يعلم أن الأمم المُتحدة ستنشر قريباً قوة حفظ سلام مُتعددة الجنسيات في بيروت، وبمجرد حُدوث ذلك، لن يكون قادراً على فعل ما يشاء، في لقاء مع رئيسي الموساد والشين بيت، تساءل بصوت عالٍ، "كيف سنكون قادرين على رعاية الإرهابيين عندما تكون القوة المتعددة الجنسيات نشطة؟ ستكون هذه طرقاً مُختلفة تماماً ... سيتعين علينا التأكد من أن المُشكلة قد تم حلها، مع كل خطوة نتخذها اليوم تجعل الأمور أسهل بعد ذلك ".

شارون لم يرغب في وضع الجيش الإسرائيلي في قلب مُخيمات اللاجئين الفلسطينيين، لذلك اقترح أن يذهب الكتائب إلى بيروت الغربية "لضمان قتل أو اعتقال أي شخص [من مُنظمة التحرير الفلسطينية]"، أحب بيغن هذه الفكرة ووافق على إعطاء الوظيفة للكتائب، لأن "أولادنا لن يراقوا دمائهم بشأن هذه المسألة".

الموساد حبذ هذا الاقتراح، قال أفنير أزولاي، مُنسق المُوساد مع المليشيا المارونية: "لدينا قائمة طويلة من أسماء النُشطاء اليساريين الأوروبيين الذين كانوا مع الفلسطينيين"، كانت الفكرة هي تسليمها إلى الكتائب حتى يتمكنوا من العثور عليهم وقتلهم، بعد ذلك، سيتمكن الموساد من إبلاغ الدول الأوروبية التي جاء منها هؤلاء اللصوص، مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، بأن مشكلتهم قد تم حلها، وبهذه الطريقة سيكونون مدينين لنا ".

كما حدث قُتل الجميل بدلاً من ذلك بعد ثلاثة أسابيع مع عدد كبير من رفاقه، في انفجار قنبلة زرعها عميل سوري، ودمرت مقر الكتائب في بيروت رداً على ذلك حصلت الميليشيات المسيحية اللبنانية على إذن من الإسرائيليين للبحث عن مُقاتلي مُنظمة التحرير الفلسطينية في مُخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا.

في صباح يوم 16 سبتمبر / أيلول، كان يائير رافيد رئيس فريق المفرق في بيروت، في مقر الكتائب، حيث وضع الموساد محطته في بيروت، قال رافيد: "فجأة، رأيت صبية إيلي [حبيقة قائد الكتائب العسكرية] يشحذون سكاكينهم، ويقولون لي،" اليوم جاء دور "السلاح الأبيض"، وهو ما يسميه اللبنانيون الذبح بالسكاكين، لم يقولوا ضد من بالضبط، لكن كان واضح لي أنهم سيقطعون أعناقهم، لم أستفسر بأكثر من ذلك، كنت مجرد ضيف عندهم "، لم يبلغ رافيد رؤسائه بما رآه.

يتذكر روبرت حاتم جلاد حبيقة، أنه عندما انطلق رجال الكتائب الـ 350 في مهمتهم، "أخبرنا حبيقة،" اللعنة على الجميع هناك، امسح المخيم، "لقد أخذنا [جرافة] D9 لهدم كل شيء."

قال حاتم: "كان المُخيم مُكوناً من أكواخ من الصفيح، عندما أطلقنا النار، انهار كل شيء، أطلقنا النار في كل الاتجاهات، لم نتحقق لمعرفة من كان وراء تلك الجُدران".

كان نصيب الأسد من الضرر كان من قبل مجموعة بقيادة ماروم مشلاني، قال حاتم: "أعضاؤها بمن فيهم القائد، تعاطوا الكثير من المخدرات، لم يميزوا بين المُقاتلين وغير المُقاتلين ولا بين الرجال والنساء، أطلقوا النار عليهم جميعاً ".

وكانت النتيجة مجزرة مروعة، يقول الإسرائيليون إن عدد القتلى متنازع عليه 700، والفلسطينيون يقولون 2750، ادعى شارون لاحقاً أن "القوات اللبنانية [أي الكتائب] ستلتزم باتفاقيات الحرب عندما كان الجيش الإسرائيلي يسيطر عليها أو يشرف عليها أو ينسق أعمالها

... والنتيجة الرهيبة هي في طبيعة انهيار غير متوقع وغير مُفسر. " بعبارة أخرى، قال شارون إنه لا يُمكنه توقع ما حدث.

ومع ذلك تثبت وثائق الجيش الإسرائيلي والموساد السرية أن نمط السلوك البربري للكتائب كان معروفاً منذ فترة طويلة من قبل رؤساء جهاز الدفاع الإسرائيلي، كان الافتراض السائد هو أنه بعد إجلاء مُنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت مباشر، "ستجد الكتائب طريقة للتحرك، لتصفية حسابات أن القتل سيبدأ في بيروت من اليوم الأول".

شارون نفسه تحدث بازدراء عن أي مُساهمة عسكرية مُحتملة يُمكن أن تُقدمها الكتائب، مؤكدًا: "انسوا الأمر، لن يفعلوا أي شيء، ربما لاحقًا، عندما سيكون من الممكن النهب والقتل والاغتصاب. نعم، عندها سيغتصبون وينهبون ويقتلون ".

لم يُساهم الجيش الإسرائيلي والموساد بشكل مباشر في المجزرة، لكن المحسوبية التي قدموها للقوات المسيحية وفشلهم في حماية الفلسطينيين المُحتلين شوه اسم إسرائيل، حالما اكتشف الإسرائيليون ما فعله الكتائب، أمروهم بالتوقف وأعربوا عن غضبهم، لكن في الوقت نفسه، بدأوا في تقديم المشورة للميليشيا المارونية بشأن ما ستقوله لجحافل الصحفيين الذين يغطون الآن الفظائع.

قادة المعارضة اسحق رابين وشمعون بيريز، تراجعوا عن دعمهم للحرب عندما علموا بحجم القتل.

كان رد شارون نموذجياً، أدلى بشهادته خلف أبواب مُغلقة أمام لجنة الرقابة التابعة للكنيست عام 1982 على الأجهزة السرية، وقرأ من حزمة من الوثائق السرية حول مذبحة الفلسطينيين التي ارتكبها المارون في مُخيم تل الزعتر للاجئين عام 1976، عندما كان رابين وبيريز يديران الجريدة. أسهب شارون في الحديث مطولاً عن المذبحة المروعة للأطفال، الشفرات التي قطعت بطون النساء الحوامل.

أجاب بيريز بغضب: "من كان يعلم [ماذا يحدث]؟"

أجاب شارون: "أفاد الصليب الأحمر أنه خلال تلك الأيام من المجزرة، منعت سفننا دخول السفن التي تحمل مُساعدات طبية ... لقد بنيت العلاقة واستمرنا فيها ... كما ساعدتهم بعد

المجزرة، لم نشتكي لكم حينها، وما كنت لأثير الموضوع إذا لم تتصرف بالطريقة التي تتصرف بها أنت، السيد بيريز، بعد تل الزعتر لا يحتكر الأخلاق ".

كانت لهجة شارون التهديدية واضحة، ألمح أحد مساعديه لرؤساء حزب العمل إلى أنهم إذا ضغطوا من أجل تحقيق رسمي في مجزرة صبرا وشاتيلا، فإن هذه الوثائق السرية حول أفعالهم خلال مذبحة تل الزعتر سيتم تسريبها إلى وسائل الإعلام الدولية أيضاً، وتلاشى الانتقاد الذي وجهه حزب العمال كما ينبغي.

ومع ذلك لا تزال الاحتجاجات العامة تتصاعد مع ارتفاع العدد الرسمي للجنود الإسرائيليين الذين قتلوا في لبنان كل يوم، وخرجت مُظاهرات خارج منزل رئيس الوزراء وردد المتظاهرون هتافات ورفعوا لافتات تدين بيغن وشارون، في كل يوم، كان المُتظاهرون يحدّثون لافتة عملاقة في مواجهة مقر إقامة بيغن تحصي عدد الجنود القتلى من حرب شارون الفاسدة.

يبدو أن شارون كان غير مبال بالاحتجاجات، لكن بيغن كان مريضاً، لقد غرق أعمق وأعمق فيما أصبح اكتئاباً سريرياً، وفقد تدريجياً القدرة والرغبة في التواصل مع من حوله، وعزل نفسه بالكامل تقريباً عن جهاز الحكم.

قال نيفو: "شاهدت بيغن يذبل مبتعداً، ينكمش على نفسه"، لقد أدرك أن شارون خدعه، وأنه دخل في مُستنقع لم يرغب في دخوله، قتله الضحايا والاحتجاجات، كان الرجل شخصاً حساس للغاية، وربما كان شديد الحساسية ".

تدهورت حالته لدرجة أن مساعديه امتنعوا عن إبلاغه بالأخبار السيئة خوفاً من أن ينزلق من فوق الحافة.

قال ناحوم أدموني، الذي أصبح رئيس الموساد في سبتمبر 1982 "لقد رأيته خلال فترة تدهوره". "خلال لحظات يكون مُستيقظاً وبعد بضع دقائق أرى عينيه مغلقتين ولا أعرف ما إذا كان يستمع لما أقوله، سواء كان نائم أم مستيقظ، موقف محرج جداً محرج جداً. سألت عزريل [نيفو]، مساعده العسكري، "هل تعتقد أنني يجب أن أستمر في الحديث أم أتوقف؟" ... لم نحيل المشكلة إلى أي شخص آخر، لكن الجميع يعرف، كان الجميع يعلم أن هذا هو الوضع".

ومع ذلك على الرغم من أن كل من حول بيغن كان يعلم أنه بالكاد يعمل، ناهيك عن أنه غير لائق لإدارة دولة في حالة حرب، فبدلاً من الانتقال لاستبداله، قرروا التستر عليه، وعمل

مساعدوه على إخفاء حالته الحقيقية عن عامة الإسرائيليين، كان السكرتارية في مكتبه يكتبون جدول أعمال رئيس الوزراء كل يوم، لكنه كان فارغاً، قال نيفو: "لإخفاء ذلك، طلبت منهم تصنيف الجدول" سري للغاية "حتى لا يتمكن أحد من رؤيته"، مضيفاً أنه يعتقد أنه وموظفي المكتب الآخرين "كانوا مجرمين، وقد ارتكبنا جريمة خطيرة.

لا يُمكنك إخفاء حقيقة أن رئيس الوزراء لا يعمل بالفعل، ويتصرف كما لو كان كذلك، إنه يستدعي إلى أذهان الأنظمة المُظلمة ".

مع غياب بيغن أصبح شارون الآن حراً في فعل ما يشاء مع الجيش، خلال هذه الفترة بأكملها، في الواقع، كان شارون يدير الدولة بشكل فعال، بشكل غير دستوري وبدون أي قيود، حتى أنه تولى مسؤولية الموساد، على الرغم من أنه يخضع رسمياً لسلطة رئيس الوزراء، يتذكر أفييم سيلا رئيس عمليات القوات الجوية: "كان عملياً قائداً أعلى للجيش، يُعطي أوامر لرئيس الأركان إيتان". "لا أحد يستطيع الوقوف في وجهه."

قال أدموني: "لقد هيمن شارون على اجتماعات [مجلس الوزراء]، لم يقدم أبدًا صورة دقيقة أو كاملة سواء في الجلسات العامة لمجلس الوزراء أو في جلسات مجلس الوزراء الداخلي [الذي كان من المفترض أن يقرر قضايا الدفاع]، كانت هناك أوقات كان يطرح فيها شارون موضوعاً، وكان مجلس الوزراء يناقشه، ويتخذ قراراً، وكان شارون يتصل بنا بعد الاجتماع – رئيس الأركان [إيتان]، وأنا والضباط الآخرون ويقولون: لقد قرروا ماذا قرروا، الآن أقول لكم أن تفعلوا هذا أو ذاك، "وهو ما لم يكن بالضبط ما قرروه".

مع صورته الحسنة– التي يستحقها والتي هي أيضاً المصقولة بعناية عن جورج باتون– مثل بطل الحرب، وتحرره من الشكوك أو الهواجس بشأن الحصول على ما يُريد على المُستوى الشخصي أو الوطني، عُرف شارون في إسرائيل باسم "الجرافة"، ساخر وعديم الرحمة، ومهدد في بعض الأحيان، ولكنه غالباً ما يكون ساحراً ومتناسقاً، لم يكن لديه أي مانع من تحريف الحقيقة عندما يرى ذلك ضرورياً، اعتاد أنصار "أريك، ملك إسرائيل" على الغناء عنه، وخلال هذه الفترة حصل على حُكم شبه ملكي.

بالرغم من قوته التي جمعت حديثًا، كان شارون واقعياً، وسرعان ما أدرك بعد وفاة بشير الجميل أن تطلعاته للبنان لن تكون كذلك.

أمين الجميل الذي تم انتخابه رئيساً بدلاً من شقيقه بشير، كان أقل ارتباطاً وإلتزاماً بإسرائيل، وبعد فترة قصيرة ألغى اتفاقية السلام التي أجبرته إسرائيل على الانضمام إليها، لم يكن زعيماً قوياً بشكل خاص: فقد كان يفتقر إلى الكاريزما والعدوان اللذين يتمتع بهما شقيقه، فضلاً عن القدرة أو الرغبة في طرد جميع الفلسطينيين من لبنان.

خطط شارون لقتل ياسر عرفات لم تتعثر ولو ثانية واحدة، بعد انتهاء المعارك في بيروت وإجلاء قادة وقوات مُنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، قال العميد عاموس جلبوع رئيس قسم الأبحاث في أمان، "كان أريك ورافول [إيتان] يموتان، ببساطة يموتان لقتله"..

أدرك شارون أنه في هذه المرحلة، كان عرفات شخصية مشهورة لدرجة أن الاغتيال العلني لن يؤدي إلا إلى جعله شهيداً لقضيته، لذلك أصدر تعليماته لأجهزة المُخابرات بتكثيف مُراقبتها لعرفات ومعرفة ما إذا كان بإمكانهم إيجاد طريقة أكثر دقة للتخلص منه.

تحولت عملية (السمك المُملح) إلى عملية Gold fish (السمك الذهبي) لكن المُهمة بقيت كما هي، وأمر شارون بإعطائها أولوية قصوى، كل يوم وأحيانًا مرتين في اليوم، كان فريق (السمك الذهبي) يجتمعون في مكتب إيتان، قال جلبوع: "كان لدينا ألف مسألة كانت أكثر أهمية بمئة مرة"، لكن شارون أصر.

في ذلك الوقت كانت أي معلومات استخباراتية حول تحركات زعيم مُنظمة التحرير الفلسطينية جزئية في أحسن الأحوال، وقت الحرب ليس مكاناً مثالياً لجمع المعلومات، ولأن مُنظمة التحرير الفلسطينية لم تجد بعد قاعدة دائمة لتحل محل القاعدة الموجودة في بيروت، كان مسؤولوها ورجالها يتنقلون باستمرار، ويعيشون خارج الحقائب في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا، كان عرفات يُسافر بشكل كثيف، ويلتقي بالقادة ويحشد الدعم، ويعقد المقابلات، ويحول الأموال، قال أحد ضُباط استخبارات قيسارية لمُنتدى (السمك الذهبي): "عندما يكون شخص ما على هذا النوع من الروتين، ومع ذلك تحت حماية مشددة، يصعب علينا التخطيط لعملية ضرب ضده".

الموساد أخبر شارون بذلك في ظل هذه الظروف كان من المُستحيل عليهم الوصول الى عرفات. في أحسن الأحوال يمكنهم الإبلاغ عن مكان وجوده في أي بلد كان يزوره في ذلك

اليوم أو أي رحلة طيران كان على متنها في اليوم التالي، وأبلغت أمان وزير الدفاع أن عرفات كان يستخدم في كثير من الأحيان طائرة تنفيذية قدمتها السعودية وأن الطيارين كانا يحملان جوازي سفر أميركيين، لم يكن هناك شك في إسقاطه، قال عاموس جلعاد من أمان: "لا أحد يمس الأمريكيين". خلاصة القول هي أن أمان لم ير أي إمكانية لاغتياله في ذلك الوقت، قال ممثل أمان في منتدى (السمك الذهبي)، "علينا أن ننتظر حتى يستقر في مكان دائم، ثم نبدأ في التخطيط لعملية هناك."

لكن شارون كان في عجلة من أمره وكان عرفات يستخدم أحياناً طائرات خاصة أخرى من حين لآخر كان يطير تجارياً إلى أي مكان، كان تفكير شارون تفخيخ طائرة من السماء، خاصة فوق المياه العميقة، حيث يصعب العثور على الحطام، طريقة مقبولة تماماً للتعامل مع هذه القضية.

كانت المُشكلة التالية هي كيفية التأكد من أن عرفات كان في رحلة مُعينة، طالب الجنرال جلبوع باتخاذ عدد من الخطوات العملية للتأكد مما إذا كان: "من وجهة نظري، لن يكون تحديد الهوية إيجابياً إلا إذا استطعنا الاستعداد مُسبقًا، قبل وصوله إلى المطار، وكان هُناك شخص ما هناك يقف عند باب الطائرة ليقول لنا: هذا هو؛ رأيته بأم عيني ثم أستطيع أن أقول، "الأجراس تدق"، عبارة استخباراتية تعني شبه يقين تام.

بمُجرد تسوية اساسيات الخطة، ضغط شارون بقوة من أجل تنفيذ المُهمة، أصدر تعليماته لقائد القوات الجوية اللواء ايفري يبقي الطائرات المُقاتلة جاهزة لاعتراض طائرات عرفات، أدرك إيفري احتمالية حُدوث كارثة في مثل هذه العملية وأبلغ رئيس الأركان إيتان مرة أخرى أنه غير مُستعد لتلقي الأوامر مباشرة من شارون، وأن لوائح جيش الدفاع الإسرائيلي تتطلب أن تأتي جميع الأوامر عبر مُديرية العمليات التابعة لهيئة الأركان العامة، لم يكن هذا عقبة كبيرة لشارون، والأوامر التي سُرعان ما جاءت عبر القنوات المُناسبة كانت مُتشابهة إلى حد كبير، على الرغم من حذف كلمات مثل "إسقاط" و "تدمير" و "القضاء".

أخيراً وجدوا مُبتغاهم في اليونان، وكان عرفات يطير بين الحين والآخر عبر أثينا بموافقة السكان المحليين، يقول أدموني: "لم تتخذ السلطات اليونانية إجراءات صارمة ضد الإرهاب، وقد فعلت مُنظمة التحرير الفلسطينية بشكل أو بآخر ما تريده هناك".

في 22 أكتوبر / تشرين الأول 1982 أفاد اثنان من عُملاء العاملين أن عرفات سيُقلع في اليوم التالي على متن طائرة خاصة من أثينا إلى القاهرة، أرسل الموساد على الفور اثنين من نشطاء قيسارية لمعرفة المزيد من التفاصيل، استغل النُشطاء التراخي الأمني في مطار أثينا ووصلوا إلى المنطقة التي توقفت فيها الطائرات الخاصة بحثاً عن عرفات.

بالعودة إلى تل أبيب واصل شارون الضغط المُستمر على العملية للمضي قدماً، ووضعت القوات الجوية طائرتين من طراز F-15 في حالة تأهب للإقلاع الفوري من قاعدة تل نوف الجوية جنوب شرق تل أبيب، لكن إيفري، الذي كان حذراً دائماً، أطلع الطيارين بنفسه، لقد فهم المخاطر، كان واضحا له كم ستكون كارثية إذا أسقطت إسرائيل الطائرة الخطأ، قال لأطقم المقاتلات: "لا تطلق النار بدون موافقتي"، "واضح؟ حتى إذا كانت هُناك مُشكلة في الاتصال، إذا لم تسمع طلبي"، أكد على هذا الجزء: اسمع طلبي -" لا تفتح النار ".

في الثانية مساءً اتصل أحد نُشطاء قيسارية في أثينا بمقر الموساد وقال، "إنه هنا، معرّف موجب". كانت حماسته مسموعة، وذكر أنه شاهد زعيم مُنظمة التحرير الفلسطينية ورجاله وهم يقومون بالاستعدادات النهائية لركوب طائرة DHC-5 Buffalo (طائرة شحن كندية ذات محركين) ذات ذيل مطلي باللون الأزرق مع علامات بنية، ورقم التسجيل 1169.

بالنسبة إلى إيفري بدا أن شيئاً ما قد توقف، قال: "لم أفهم هذه القصة كاملة"، لم يكن واضحاً لي لماذا يُسافر عرفات إلى القاهرة، وفقاً للاستخبارات، لم يكن لديه ما يبحث عنه هناك في ذلك الوقت، وإذا كان ذاهباً إلى هناك، فلماذا في هذا النوع من طائرات الشحن؟ ليست كريمة إطلاقا بما يكفي لرجل في مكانته، طلبت من الموساد التحقق من أنه الرجل ".

أصر النشطاء على أنهما على يقين، أفادوا: "لقد نما الهدف لحية أطول للتضليل"، لكنهم أعادوا تأكيد هويتهم الإيجابية.

في الساعة 4:30 مساءً أفادوا بأن الطائرة أقلعت، تم إبلاغ إيفري وكذلك إيتان الذي أمر بإسقاطها، طلب إيفري من طياريه الإقلاع، تعتبر بوفالو طائرة بطيئة للغاية، خاصة عند مقارنتها بطائرة F-15، لكن مسار الرحلة كان بعيداً بعض الشيء فوق البحر الأبيض المتوسط ، بعيداً عن مدى الرادار الإسرائيلي، أقلعت الطائرات وتوجهت إلى نُقطة الاعتراض المُتوقعة، ولكن على مسافة مُعينة من الساحل الإسرائيلي، كان عليهم الاعتماد فقط على الرادار الموجود على متنها، مع نطاقه المحدود.

لا يزال إيفري يشعر بألم الشك، وطلب من مُساعده الاتصال بالموساد والمُطالبة بتفعيل المزيد من الوسائل للتأكد من وجود عرفات على متن الطائرة، لم يكن يظهر أي انفعال كالعادة معه، قال أحد مرؤوسيه الذي كان هناك: "لكننا رأينا أنه قلق للغاية".

احتاج إيفري لكسب الوقت، مع العلم أنه كان يعلم أن الطيارين قد يكونون أكثر من طاقتهم، وأنهم في بعض الأحيان سيبحثون عن سبب لإطلاق النار على هدف، ويُفسرون اندفاعاً لاسلكياً ثابتاً على أنه تأكيد للاطلاق، على سبيل المثال، كان بحاجة إلى تهدئة أصابع الزناد المتوترة، "أوقفوا نيرانكم" ذكّر طياره عبر الراديو، "إذا لم يكن هناك اتصال لاسلكي، فلا تفتح النار."

لم يكن شارون وإيتان في المخبأ لكن إيتان استمر في الاتصال بإيفري لمعرفة ما كان يحدث ومعرفة ما إذا كان قد تم إصدار الأمر بإسقاط الطائرة، أعطى إيفري نفس الرد في كل مرة: "رافول، ليس لدينا بعد تأكيد إيجابي على أنه هو"، هذا على الرغم من حقيقة أن الموساد قد أكد بالفعل ثم أعاد تأكيد هوية إيجابية.

بشكل منفصل أخبر إيفري أمان والموساد أن التعريف البصري لم يكن كافياً وطالب بتأكيد آخر للتحقق من أن عرفات كان على متن الطائرة.

التقطت شاشات الرادار من طراز F-15 وميض بوفالو على بعد 370 ميلاً في المجال الجوي للبحر الأبيض المتوسط، أغلق المقاتلون بسرعة وحلقت دوائر مُحكمة حول الهدف المثقل، قرأوا رقم الذيل، ورأوا العلامات الزرقاء والبنية، كانوا على يقين من أنهم وجدوا الطائرة المُناسبة.

قام الطيار الرئيسي بتشغيل جهاز الراديو الخاص به، "هل لدينا إذن للمشاركة؟"

كان إيفري، في مخبأ الكناري، يعلم أن الإجابة بكل المقاييس يجب أن تكون نعم، كان لدى مقاتليه هوية بصرية إيجابية ولقطات واضحة في سماء مفتوحة فوق محيط فارغ، كانت وظيفته هي القضاء على الأهداف وليس تحديدها.

لكن شكوك إيفري تغلبت عليه، أجاب الطيار المقاتل في الراديو: "سلبي" "أكرر: سلبي عند إطلاق النار."

كان لا يزال يُماطل لبعض الوقت لكنه كان يعلم أنه لن يتمكن من فعل ذلك لفترة أطول، كان تبريره لتأجيل الهجوم بأنه كان ينتظر معلومات إضافية من الموساد و أمان يضعف في

مواجهة رئيس الأركان يطالب مباشرة عبر الهاتف بإصدار أمر الهجوم، لقد فهم إيفري أنه إذا لم يفعل ذلك في القريب العاجل، فسيتعين عليه أن يشرح لإيتان عن سبب ذلك، والأكثر إثارة للقلق، لشارون.

كان التوتر يتصاعد في الكناري، استمر ذلك دقائق.

وبعد ذلك قبل خمس دقائق من الساعة الخامسة صباحاً، بعد خمس وعشرين دقيقة فقط من إقلاع المقاتلين، رن الهاتف في كناري، كان الخط المُشفر المتصل مباشرة بالموساد، قال الصوت على الخط بحرج: "نشأت شكوك"، كان نفس ضابط المُخابرات الذي أكد من قبل أنه تم التعرف على هوية عرفات أثناء صعوده إلى الطائرة.

وكان لدى الموساد مصادر أُخرى أصرت على أن عرفات لم يكن في أي مكان بالقرب من اليونان، وأن الرجل على متن الطائرة لا يمكن أن يكون في غياب أمر آخر، استمر طائرتا F-15 في الدوران حول الجاموس، حمل إيفري سماعة الهاتف مرة أخرى وكرر أوامره، "نحن في انتظار المزيد من المعلومات، ابق عينيك على الهدف وانتظر ".

في الساعة 5:23 وصل تقرير آخر إلى كناري، وقالت مصادر من الموساد و أمان ان الرجل على الطائرة هو فتحي عرفات الشقيق الاصغر لياسر عرفات، كان طبيباً ومؤسس الهلال الأحمر الفلسطيني، وكان على متن الطائرة التي كان برفقته ثلاثون طفلاً فلسطينياً جريحاً بعضهم من ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا، كان فتحي عرفات يرافقهم إلى القاهرة لتلقي العلاج.

تنفس إيفري الصعداء، "التف مفتاح الراديو حوله، وأمر بالعودة الى المنزل".

قتل طبيب وثلاثين طفلاً مصاباً لم يُثني يد شارون عن فكرة استهداف عرفات في الهواء، في الواقع أصبح أكثر تهوراً، عندما أفاد الموساد بأن عرفات كان يُطير المزيد من الرحلات الجوية التجارية، مع قيام مُنظمة التحرير الفلسطينية في كثير من الأحيان بشراء مقصورة الدرجة الأولى أو درجة رجال الأعمال بالكامل له ولمساعدوه، قرر شارون أن أحد هؤلاء سيكون هدفاً مشروعاً،

أمر إيتان وسلاح الجو وفرع العمليات بوضع خطة لإسقاط طائرة نفاثة مدنية.

رسم شارون الخطوط العريضة للمعايير العامة، يجب إسقاط الرحلة فوق البحر المفتوح، بعيداً عن الساحل حتى يستغرق المحققون وقت طويلاً للعُثور على الحطام وتحديد ما إذا كان قد أصيب بصاروخ أو تحطم بسبب عطل في المُحرك، ويفضل استخدام المياه العميقة لجعل التحقيق أكثر صعوبة.

لم يصدق أفيم سيلا أذنيه، قال: "لقد كان أمراً مباشراً وواضحاً منه: أسقط الطائرة"، لم أجد مُشكلة في قتل عرفات الذي يستحق الموت في رأيي، كانت المشكلة في إسقاط طائرة ركاب مدنية على متنها ركاب أبرياء، هذه جريمة حرب ".

وقال سيلا إنه على عكس صورته الوحشية، كان إيتان رجلاً حذراً للغاية من الناحية السياسية، وكان من الواضح أنه لا يُريد المُشاركة في مثل هذه المغامرة، لكن شارون كان مستبداً لدرجة أنه لم يستطع أحد الوقوف في وجهه، وضع سلاح الجو خطة مُفصلة لإسقاط طائرة، أوضح ممثلوها في منتدى Gold fish أنهم اختاروا موقعاً محدداً على الطريق الجوي التجاري عبر البحر الأبيض المتوسط ، حيث لم تكن هناك تغطية رادارية مُستمرة من قبل أي دولة وحيث يكون البحر أسفله عميقًا على عمق ثلاثة أميال، ستكون عملية الإنقاذ هناك صعبة للغاية، وربما مُستحيلة، مع التكنولوجيا في ذلك الوقت، وضعت هذه الخطة المُعقدة معايير صارمة للمكان الذي يمكن فيه للطائرات الإسرائيلية إسقاط طائرة عرفات دون أن يتم كشفها، مما يعني أنه ستكون هناك فرصة ضيقة إلى حد ما لتنفيذ الهجوم.

نظراً لأن العملية ستتم بعيداً عن المجال الجوي الإسرائيلي، خارج نطاق الرادار والراديو الإسرائيلي، كان على القوات الجوية إنشاء مركز قيادة محمول جواً، على شكل طائرة بوينج 707 مزودة بالرادار ومُعدات الاتصالات، سيقود سيلا العملية من هذه الطائرة.

وبناءً على أوامر شارون المباشرة تم الحفاظ على مُراقبة عرفات بشكل مُستمر، وتم وضع أربعة مُقاتلات من طراز F-16 و F-15 في قاعدة رامات ديفيد الجوية في حالة تأهب للاعتراض، على مدار تسعة أسابيع، من تشرين الثاني (نوفمبر) 1982 إلى أوائل كانون الثاني (يناير) 1983، سارعت هذه الطائرات خمس مرات على الأقل لاعتراض وتدمير طائرات يعتقد أنها كانت تقل عرفات، ليتم استدعاؤها بعد وقت قصير من إقلاعها.

أعرب الجنرال جلبوع عن معارضته الشديدة لهذه العمليات مراراً وتكراراً، "كان من الواضح لي أن القوات الجوية ستنفذها كما ينبغي، وستختفي الطائرة إلى الأبد، يفعلون ما قيل لهم، وإذا أعطيتهم أمراً ببناء خط أنابيب لنقل الدم من حيفا إلى النقب، فسيفعلون ذلك بشكل مُمتاز ولن يسألوا للحظة من هذا الدم، لكن كان لدي المزيد من المسئولية."

كرئيس لأبحاث أمان كانت مهمة جلبوع هي تقييم التأثير السياسي لكل عملية "لقد أخبرت رئيس الأركان إيتان أنه يمكن أن يدمر الدولة دولياً إذا عُرف أننا أسقطنا طائرة رُكاب مدنية".

في إحدى المرات مع طائرة تجارية يُعتقد أنها تقل عرفات من عمان إلى تونس عبر البحر الأبيض المتوسط، واقتراب الطائرات الإسرائيلية منها، سأل إيتان جلبوع عما إذا كان يعتقد أن هدفهم كان بالتأكيد على متن الطائرة، كان الاثنان يقفان في الفضاء المركزي داخل كناري.

"رئيس الموظفين هل تريد حقاً سماع ما أفكر به؟" قال جلبوع، نعم...

شعر جلبوع بقلبه يخفق في صدره، توقف موضحاً جميع الأسباب العديدة للاعتقاد بأن عرفات قد يكون على متن الطائرة، ثم عدّد جميع الأسباب العديدة للشك في وجوده على متن الطائرة.

نفد صبر إيتان، نادى "جلبوع"، "نعم أو لا؟"

قال جلبوع: "إن شعوري الغريزي هو هذا هو ليس على متن الطائرة ".

استدار إيتان وتوجه إلى الهاتف المُشفر باللون الأحمر على جانب الغرفة، قال لوزير الدفاع وهو ينتظر بفارغ الصبر في مكتبه: "أريك" الإجابة بالنفي، سنضطر إلى الانتظار ليوم آخر".

—

هناك درس يتم تدريسه في تدريب جيش الدفاع الإسرائيلي درس مهم للغاية بحيث تكون الأساسيات إلزامية لكل مُجند، كما أن التفاصيل جزء مهم من برنامج تدريب الضباط، يعود الدرس إلى 29 أكتوبر / تشرين الأول 1956 عندما قامت وحدة من حرس الحدود الإسرائيلية، فرضت ظاهرياً حظر التجول في قرية كفر قاسم، باعتقال مجموعة كبيرة من السكان أثناء عودتهم من العمل، ثم أطلقوا النار عليهم، وقتلوا ثلاثة وأربعين شخصاً، بينهم تسع نساء وسبعة عشر طفلاً، ادعى رجال الشرطة أنهم كانوا يطيعون أمر إطلاق النار على مُنتهكي حظر التجول، لكن القاضي بنيامين هاليفي، في أحد أهم الأحكام القضائية في إسرائيل، قال إنه

يجب على الجنود عدم الانصياع لأمر غير قانوني بشكل واضح، كتب هاليفي أن "العلامة المُميزة للأمر غير القانوني الواضح هي أنه فوق مثل هذا الأمر يجب أن يطير، مثل العلم الأسود، وهو تحذير يقول:" محظور! " بل شرعية تطعن العين وتغضب القلب، إذا لم تكن العين عمياء والقلب غير بليد أو فاسد.

كان هذا الدرس المُتأصل في كل جندي، بلا شك أحد الأسباب الوحيدة لعدم ارتكاب جريمة حرب، على الرغم من حقيقة أنه في خمس مناسبات مُختلفة، تم استدعاء مقاتلات F-16 و F-15 لاعتراض وتدمير الطائرات التجارية التي تحمل عرفات، في الواقع عرقلت قيادة القوات الجوية عمدا هذه العمليات، رافضة الانصياع للأوامر التي يُعتقد أنها غير قانونية بشكل واضح، قال سيلا: "عندما تلقينا الأمر، ذهبت مع إيفري لرؤية إيتان، قلت له "رئيس الأركان لا ننوي القيام بذلك، إنه ببساطة لن يحدث، أفهم أن وزير الدفاع هو المُسيطر هنا، لا أحد يجرؤ على الوقوف في وجهه، وبالتالي سنجعل الأمر مُستحيلًا من الناحية الفنية، "نظر رافول إلي ولم يقل أي شيء أبداً، اعتبرت صمته بمثابة موافقة ".

في كل مرة من المناسبات الخمس حددت الطائرات الإسرائيلية هدفها فوق البحر، بحسب سيلا، لكن المُهمة تعرضت للتخريب، ذات مرة تم إسكات أجهزة الراديو في موقع قيادة الطيران، طائرة بوينج 707 التابعة للقوات الجوية، من خلال ضبطها على ترددات خاطئة، مما أدى إلى تعتيم الاتصالات لفترة كافية لجعل العملية برمتها مُستحيلة، للمرة الثانية قرر جلبوع في اللحظة الأخيرة أنه لا توجد أدلة كافية على أن عرفات كان على متن الطائرة المُستهدفة، في المرة الثالثة أبلغ سيلا إيتان، كذباً أن الطائرة المُستهدفة قد تم تحديدها بعد فوات الأوان وأن هناك خطراً من أن يتم اكتشاف الاعتراض من قبل دولة بحرية قريبة، في مناسبات أخرى، "قُمنا ببساطة بقضاء المهلة حتى غادرت الطائرة المناطق التي كان من المُمكن ضربها فيها دون تمييز ما حدث".

في النهاية رغم ذلك فإن خطط شارون لجريمة حرب مُتعمدة خرجت عن مسارها أخيراً بسبب انعدام الضمير في الماضي، تحت ضغط مُكثف من الجُمهور الإسرائيلي وبعد انتقادات دولية شديدة، اضطر بيغن إلى فتح تحقيق قضائي في المذبحة في مُخيمات اللاجئين في بيروت، كان يرأسها رئيس المحكمة العُليا، القاضي يتسحاق كاهان، لكن القوة الحقيقية وراءها كانت أهارون باراك، المُدعي العام صاحب الرأي والضمير الذي منع قتل الإرهابيين في نيروبي ومُنذ

ذلك الحين تم تعيينه قاضيا للمحكمة العليا، لمدة ثلاثة أشهر استمعت اللجنة إلى أدلة من جميع الإسرائيليين المُتورطين وأمعنت النظر في آلاف الوثائق.

أحدث هذا التحقيق وجلسات الاستماع صدوعه الأولى في قوة شارون المتجانسة، بعد الاستماع إلى أسئلة باراك الثاقبة، لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى أدرك رؤساء دوائر الدفاع والاستخبارات أن حياتهم المهنية كانت على المحك، وسرعان ما استعانوا بمحامين أمروا عملاءهم بإلقاء اللوم على باب شخص آخر، سُرعان ما تحولت اللجنة إلى مشهد من الاتهامات المُتبادلة.

نشرت لجنة كاهان نتائجها وتوصياتها في 7 شباط (فبراير) 1983 وتبين أن الكتائب مسؤولة بشكل مباشر عن المذبحة، لكن اللجنة قضت بضرورة مُحاسبة بعض الإسرائيليين أيضاً: "نعتقد أن الخوف من مجزرة في المُخيمات إذا تم إدخال القوات المُسلحة للكتائب هناك ... كان ينبغي إثارة أي شخص له علاقة بما كان يحدث في بيروت "وجدت اللجنة أن رئيس الوزراء بيغن يتحمل "درجة مُعينة من المسؤولية"، لكنها ألقت مُعظم اللوم على وزير الدفاع شارون، رئيس الأركان إيتان، ورئيس أمان ساجوي، إلى جانب بعض كبار الضُباط الآخرين ومُدير الموساد أدموني، وأوصت اللجنة بإقالة شارون على الفور.

رفض شارون الاستقالة فأقاله بيغن ووزرائه.

ثم في 15 سبتمبر 1983 استقال بيغن بنفسه من رئاسة الوزراء وحل محله إسحاق شامير.

في الوقت الحالي تم إلغاء مُطاردة عرفات، تداعيات مُطاردة شارون الدؤوبة له، والأضرار الجانبية الهائلة التي أحدثتها المطاردة، رفعت مكانة عرفات أكثر، كان عرفات الآن رجلاً ذا شهرة دولية ومكانة عالية يعتبره الكثير من العالم الآن رجل دولة وليس مُجرد إرهابي، وقال جلبوع: "تدريجياً، ازداد الوعي بأن عرفات كان مسألة سياسية، ويجب ألا يُنظر إليه على أنه هدف للاغتيال".

وتابع جلبوع: "بالطبع كان كُل شخص تحت قيادته في منظمته أمراً مُختلفاً تماماً".

17

انقلاب الشاباك

السفر جنوباً من تل أبيب إلى عسقلان على الطريق 4، حيث يتحرك السائق على طول طريق سريع رئيسي مؤلف من ثلاثين طابقاً، وتفسح مناظر البحر الأبيض المتوسط الخضراء المجال تدريجياً للنباتات المُتناثرة مع اقتراب صحراء النقب، يمتد الطريق 4 بالتوازي مع ساحل البحر الأبيض المتوسط، بعد موقع مدينة أشدود الفلسطينية القديمة، حيث بنى الإسرائيليون مدينة ساحلية جديدة، تم تطوير الكثير من مناظر الكُثبان الرملية التي كانت تُهيمن على الأرض، وصولاً إلى قطاع غزة.

في 12 أبريل 1984 الساعة 6:20 مساءً انطلقت حافلة إلى عسقلان من المحطة المركزية في تل أبيب، كان هُناك أربعة وأربعون راكباً، من بينهم أربعة فلسطينيين، جالسين مُنفصلين عن بعضهم البعض مُتظاهرين بأنهم لا يعرفون بعضهم البعض، ويُخفون توترهم وهم يستعدون لاختطاف الحافلة إلى غزة واحتجاز الرُكاب كرهائن.

كانت هذه أيام صعبة بالنسبة لإسرائيل، كانت الدولة لا تزال تلعق جراحها من الحرب في لبنان، وما زالت تحتل جزء من ذلك البلد، كان المزيد والمزيد من الجنود يعودون بأكياس جُثث ضحايا الاشتباكات المُتكررة مع المُسلحين هنُاك، داخل إسرائيل ساد العُنف، في 2 أبريل، قام ثلاثة إرهابيين من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، دخلوا إسرائيل كسائحين بإطلاق النار من رشاشات وقنابل يدوية في شارع مُزدحم في وسط القدس، مما أدى إلى إصابة 48 شخصاً، توفي أحدهم لاحقاً، ولم يتم إيقافهم إلا بفضل الإجراءات التي اتخذها مدنيون مُسلحون، كما كانت هُناك أعمال إرهاب يهودية ضد العرب، هاجم مُتطرفون يمينيون رُؤساء بلديات فلسطينيين، وأحرقوا منازل، وخططوا لتفجير خمس حافلات مُزدحمة، قبض عليهم الشاباك قبل أن يُنفذوا الهُجوم الأخير.

لقد تم القبض على الإرهابيين العرب الأربعة الشباب الذين كانوا على متن الحافلة 300 في دوامة العنف هذه، كانوا من منطقة خان يونس في غزة، وكان قائدهم جمال محمود قبلان، عشرين عاماً، الابن الأكبر لعائلته، لقد تحمل عبء معيشتهم مُنذ وفاة والدهم، حيث عمل نظافة للأطباق في العديد من مطاعم تل أبيب، كما أمضى سنة في سجن إسرائيلي لارتكابه مُخالفات إرهابية بسيطة، رفاقه الثلاثة هم محمد بركة، تسعة عشر عاماً، واثنان من أبناء عمومته، مجدي وصبحي أبو جمعة، وكلاهما طالب ثانوي لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وكان قبلان قد أقنعهم بالانضمام إليه في عملية الاختطاف التي كان يأمل أن تثير صدى دولياً واسعاً، لكن بغض النظر عن حماسهم القومي، لم يكن لهم أي صلة بأي مُنظمة، ولا أي أسلحة نارية باستثناء قُنبلة يدوية وحيدة، وبدلاً من ذلك، حملوا سكاكين، وزجاجة من سائل أصفر يبدو كما لو أنه قد يكون حامضاً أو مادة قابلة للاشتعال، وعلبة ملحقة بها بعض النتوءات، والتي لم تكن في الواقع أكثر من ذلك، على الرغم من أنهم أبلغوا رهائنهم أنها تحتوي على قنبلة مصنوعة حتى صاروخين من نوع RPG.

بعد أربعين دقيقة من تل أبيب، عندما وصلت الحافلة إلى مفترق أشدود، اكتشف أحد الركاب السكين الذي كان أحد العرب ينهض بسيارته، طلب من السائق التوقف مُتظاهرًا بأنه مريض ويريد التقيؤ، وعندما نزل من الحافلة صرخ "إرهابيون!" وقفز منها، أدرك الأربعة أنهم كُشفوا، وركض قبلان إلى السائق، وضغط بسكينه على حلقه، وأمره بالعبرية أن "اذهب بسرعة".

الراكب الذي هرب اتصل بالشرطة التي وضعت حواجز على طول طريق الحافلة، لكن الحافلة سارعت عبرها جميعاً، ووصلت إلى نُقطة بالقُرب من دير البلح وسط قطاع غزة، حيث تمكنت القوات الأمنية من ثقب إطاراتها وإيقافها أمام جدار حجري، وأُصيب عدد من الرُكاب بجروح جراء إطلاق النار، واختلطت صيحاتهم مع صرخات الرهائن الآخرين والخاطفين، قفز السائق من السيارة وصرخ للركاب ليفعلوا الشيء نفسه، نجح البعض، لكن قبلان أغلق الأبواب، وعلق معظمهم بالداخل.

وسرعان ما تم تطويق الحافلة من قبل الجنود والقوات الخاصة، بالإضافة إلى كبار ضُباط الجيش الإسرائيلي وكبار رجال الشاباك، كما وصلت وسائل الإعلام بقوة إلى مكان الحادث، وكذلك حشد من المتفرجين الفضوليين، وصاح قبلان انه لن يطلق سراح الرهائن الا بعد الافراج عن خمسمائة اسير فلسطيني من السجون الاسرائيلية.

من أجرى المُفاوضات كان كبير خبراء الشاباك في الشؤون العربية نحمان التل، سُرعان ما أدرك من يتعامل معه، كما أعلن في إفادة لاحقة، "فهمت على الفور أنهم ليسوا أشخاصاً جادين ولا يُشكلون خطراً"، لدى إيهود باراك رئيس المخابرات العسكرية آنذاك انطباع بأنه إذا تمكن الشاباك من إنهاء المُفاوضات لساعات قليلة أخرى، "سيوافق الخاطفون على إطلاق سراح الرهائن مُقابل بعض الشطائر".

ومع ذلك لا يزال الإسرائيليون يشعرون أنه إذا كان من المُمكن تحرير جميع الرهائن على الفور باستخدام القوة، فلا ينبغي أن تكون هُناك مُفاوضات، في الساعة 4:43 صباحاً، أمر رئيس الأركان الفريق موشيه ليفي، الذي كان في الموقع، سايرت ماتكال باقتحام الحافلة، قام قناص على الفور بقنص قبلان، الذي كان يقف في مُقدمة الحافلة، وسقط ميتاً على عجلة القيادة، وهو يطلق بوق السيارة، كما قتل حريق صيرة راكبة شابة، كما أطلق الجُنود النار على بركة قتيلا ووجدوا أبناء عم أبو جمعة مُختبئين بين الرُكاب، في البداية أمر قائد السايراتٍ شاي أفيتال بقتلهم، لكن عندما أدرك أنهم ليسوا خطرين، ألغى الأمر على الفور، "لأنني، رأيت ذلك مُنذ اللحظة التي انتهى فيها القتال، كانوا أسرى حرب وكان قتلهم ممنوعاً ".

نُقل الاثنان من الحافلة، وبعد استجواب قصير من قبل العميد يتسحاق مردخاي قائد المظليين والمشاة، للتأكد من وجود مُتفجرات أو إرهابيين آخرين على متن الحافلة، تم تسليمهم إلى الشاباك، الذي تواجد عناصره معاً في حقل قمح قريب.

ميخا كوبي أحد كبار مُحققي الشاباك، كان يستجوب كلاهما، لكن الظُروف لم تكن مثالية، قال كوبي: "كنت أحاول القيام بالأشياء بهُدوء، لكن الجميع كان في حالة جنون".

ثم ظهر أفراهام شالوم.

كان شالوم رئيس الشاباك وكان منذ أربع سنوات نجل اليهود النمساويين الذين فروا من النازيين، انضم إلى ميليشيا البلماح السرية عندما كان في الثامنة عشرة من عُمره، بعد قيام الدولة انضم إلى وحدة عمليات الشاباك، في أوائل الستينيات تعاون مع يتسحاق شامير رئيس وحدة القتل المُستهدف في الموساد، في جهود إسرائيل لمنع العُلماء الألمان من العمل في برنامج الصواريخ المصري، أصبح الاثنان صديقين سريعين، عندما استقال مناحيم بيغن وأصبح شامير رئيساً للوزراء في عام 1983 قال كارمي جيلون، الذي ترأس الشاباك في

التسعينيات، "أصبح شالوم أهم شخص في المؤسسة الأمنية وأعتقد أن ما حدث لأفروم هو أنه شعر كما لو كان بإمكانه فعل ما يشاء".

أدار شالوم المُنظمة بدون القُيود، واعتبره العديد من مرؤوسيه ديكتاتوراً مُتلاعباً لا يرحم، قال يوفال ديسكين الناشط في عهد شالوم، الذي سيترأس الوكالة بعد عشرين عام، "لم يكن هُناك أي رهبة تجاه أفرام، كان هناك خوف، كُنا نخافه، لقد كان رجلاً قوياً وحشياً وذكيًا وعنيدًا جدًا ولا هوادة فيه".

بمُجرد انتهاء اقتحام الحافلة، تشاور شالوم مع رئيس الأركان ليفي قبل أن ينضم إلى رجاله في حقل القمح.

قال كوبي: "كان أفرم [شالوم] يحمل مُسدساً"، وسلطعه بكل قوته على رأس أحد الإرهابيين، لقد رأيت مؤخراً يدخل الجمجمة بالفعل ".

قال آخر من الشاباك: "لقد كان في حالة جنون"

أعلن رجل كوبي أنه غير مُستعد لمواصلة الضجة الجارية في مكان الحادث وطالب بنقل الأسرى إلى مركز استجواب الشاباك في غزة، قام أعضاء وحدة عمليات الوكالة الذين كانوا يحرسون السجينين، بإخراجهما من الميدان، أشار شالوم إلى قائد الوحدة إيهود يتوم، ليأتي معه وقال له بهدوء: "أوقفوهم".

شالوم لم يكن يُريد محاكمة الإرهابيين أمام محكمة، كان يعتقد أن السماح للرجال الذين اختطفوا الحافلة بتلقي مُحاكمة مُناسبة لن يؤدي إلا إلى تشجيع المزيد من الإرهاب.

ومع ذلك لا يمكن إعدام مُجرمين بإجراءات موجزة على طريق عام، على مرأى ومسمع من الجنود والمُراسلين والمُدنيين، لذلك قاد ياتوم وفريقه الاثنين إلى حقل فارغ ومعزول على بُعد أميال قليلة، تم اصطحاب صُبحي ومجدي من السيارة وإجبارهما على الاستلقاء على الأرض بعد تعرضهما للضرب والذُهول من أحداث الليل، شرح ياتوم لثلاثة آخرين ما يجب فعله، والتقط صخرة كبيرة وأسقطها بقوة على رأس مجدي انضم الآخرون.

قاموا بضربهم حتى الموت بالحجارة والقُضبان الحديدية وهي طريقة وحشية تم اختيارها بحيث يبدو أنهما قُتلا على أيدي جُنود ومدنيين غاضبين (وغير معروفين) مُباشرة بعد الغارة على الحافلة.

كان كوبي ينتظر في مركز الاستجواب في غزة عندما أُبلغ أن الإرهابيين قد لقوا حتفهم في الطريق جراء الضرب الذي يُفترض أنهم تلقوه من المدنيين والجنود، قال كوبي: **"لقد أدركت بالضبط ما حدث" كانت سياسة أفاروم هي أن الإرهابيين الذين يُنفذون هُجوماً يجب ألا ينتهي بهم الأمر أحياء، لم أتفاجأ عندما قالوا لي إنهم لن يأتوا للاستجواب، ذهبت إلى المنزل للنوم اعتقدت أن الأمر برمته قد انتهى ".**

اعتقد كوبي أن مثل هذه الحوادث عادة ما تكون قد انتهت وانتهت بمجرد أن أصبحت الجُثث باردة، على مر السنين مع تضاعف الهجمات الإرهابية ازداد الضغط الشعبي على الحكومة والقوات المُسلحة لتبني إجراءات أكثر صرامة لمُكافحة الإرهاب، لكن مع اشتداد رُدود الفعل الإسرائيلية، ضعفت الضوابط على تلك الردود تدريجياً، عاد استخدام القتل المُستهدف– الذي كان يُمارس يوماً ما بشكل مُقتصد بعيدًا عن حُدود البلاد، وخاضعاً لترخيص رفيع المُستوى، بشكل مُتكرر أكثر، وأقرب بكثير من دولة اسرائيل، وبإشراف أقل بكثير، "المخالفات" المعزولة التي ارتكبتها وحدات قليلة عديمة الضمير أثناء حرب الأيام الستة على سبيل المثال وما بعدها، أصبحت مُمارسة مقبولة بحُلول مُنتصف السبعينيات وإن كانت مشكوكاً في شرعيتها.

استخدم الشاباك المسؤول عن إحباط هجمات مُنظمة التحرير الفلسطينية في الأراضي المحتلة تكتيكات غير قانونية مُنذ الستينيات، كان مُحققو الشاباك يخشون–ليس بدون سبب– من أنهم إذا لم يستخرجوا المعلومات من ألسنتهم، فسوف يُقتل المزيد من الإسرائيليين ما بدأ على أنه ترهيب وإهانة أثناء الاستجواب تطور إلى تعذيب جسدي ونفسي صريح: إعدامات وهمية ،الحرمان من النوم، وإجبار السُجناء على تحمل أوضاع إجهاد مؤلمة ودرجات حرارة شديدة وبُرودة شديدة، كان السجناء يُعطَون أحياناً "مصل الحقيقة" المُفترض الذي كما قيل للأشخاص يُسبب العجز الجنسي.

غرف الطابق السفلي المُظلمة والقذرة حيث أجرى الشاباك استجوابه اتخذت طابعاً شريراً لدرجة أن **"الشخص العادي الذي تجاوز هذه العتبة سيكون مستعداً للاعتراف بقتل يسوع"** قال جيلون.

حتى أفراهام شالوم قال إنه صُدم مما رآه عندما زار مركز الاعتقال في الخليل بصفته رئيس الطيور– وهي وحدة الاستجواب داخل الموساد– وشهد استجواب "عربي كان في عيني مُسناً، كان حينها في الخامسة والخمسين من عمره، لكنه بدا أكبر منه بكثير، وكان الرجل الذي يعرف العربية يصرخ في وجهه، **"لماذا تكذب؟"** العربي كان متهالكاً عجوزًا، بائساً، وبدأت أشعر بالأسف تجاهه. سألته، **"لماذا يصرخ عليه؟"** وأخيراً أخذ المُحقق كرسياً، وكسر الكُرسي على الأرض، وأخذ إحدى ساقي الكُرسي، وضرب يده، قال: **"ضع يدك على المنضدة" وحطم كُل أصابعه"، وفي مناسبة أخرى، قال شالوم: "رأيت محققًا يقتل عربياً ليس بالضربات، كان يقذفه من جدار إلى آخر، من جدار إلى آخر، ومن جدار إلى آخر ... ثم أخذ رأسه وكاد يكسر الجدار برأس ذلك العربي، وبعد أسبوع مات العربي مُتأثراً بنزيف في الدماغ، لقد تم تعتيمها ".**

مات بعض السُجناء أثناء تعرضهم للتعذيب ودُفع بعضهم إلى الانتحار وفي حالات أخرى، عُثر على نُشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين احتُجزوا للاستجواب مُتوفين دون حتى الوصول إلى مركز احتجاز.

بين الحين والآخر يختفي ناشط من مُنظمة التحرير الفلسطينية، كانت عائلاتهم تشتبه في أنهم مُحتجزون لدى إسرائيل، وسيطلبون من الشُرطة المساعدة، تنشر الشُرطة بعد ذلك صورة الشخص المفقود في إحدى الصحف– وهو إجراء قياسي في مثل هذه الحالات ويسألون الشاباك إذا كان لديهم أي معلومات، قال يوسي جينوسار مسؤول كبير في الشاباك: «اعتدنا أن تكون لدينا صيغة ثابتة في ذلك الوقت، "ذهب:" لا توجد معلومات في المؤسسة الأمنية حول مكان وجود هذا الشخص "، هذا ما قُلناه للشرطة في كُل مرة يسألوننا فيها على الرُغم من أننا نعرف جيداً أين الحفرة التي دُفن فيها".

قُتل بعض هؤلاء المُختفين كجُزء من رمز البرنامج السري– المسمى Weights –الأوزان– في إحدى عمليات الأوزان، قام رجال أبو جهاد بتهريب كميات كبيرة من الأسلحة إلى الأراضي الاسرائيلية، والتي تم تخزينها في مخابئ حتى يتمكن النُشطاء الفلسطينيون الآخرون من تسليمها لفرق الهجوم، واكتشف الشاباك موقع المخبأ ووضعه تحت المُراقبة، وانتظر وصول فريق الالتقاط، واعتقلهم، لكن في مُناسبات عديدة قام الشاباك بتفخيخ المخابئ بمُتفجرات قوية، والتي سيتم تفجيرها عن بعد عند ظهور فرق صغيرة.

قال مصدر من الشاباك إن "**الفكرة الأساسية وراء الأوزان مأخوذة من المفهوم المستورد من [النشاط العسكري الإسرائيلي في] لبنان والذي قال إن هناك أوقاتًا لا يجب فيها أخذ أسرى، القيام بذلك يُشكل مخاطرة أكبر لقواتنا ويجعل الطرف الآخر يُريد أخذ رهائن لمُقايضة التبادلات، وعلى أية حال، فإنهم يستحقون الموت، بالطريقة التي رأينا بها الأشياء، أيا كان من جاء إلى مخبأ الأسلحة لأخذ الأسلحة واستخدامها لقتل اليهود، فمن الأفضل أن يكون لديهم حادث عمل** ".

عمليات الإعدام بإجراءات موجزة للمشتبه بهم الذين لم يشكلوا أي تهديد مُباشر، وانتهاك قوانين إسرائيل وقواعد الحرب لم تكن أعمالاً مُرتدة من قبل النشطاء المارقين، تمت المُصادقة عليها رسمياً بعمليات قتل خارج نطاق القانون، اقترحها كبار قادته على رئيس الشاباك، ثُم وافق عليها رئيس الوزراء رابين أولاً ثم بيغن وشامير.

تم تنفيذ بعض التفجيرات في عمليات الأوزان من بعيد عن طريق شُعاع الذي يحمل الاسم الرمزي –لوحة– والتي تعتبر ابتكاراً تقنياً مُتقدم في ذلك الوقت، قال ضابط كبير في الشاباك شارك في هذه العمليات: "**هذا جيد جداً من الناحية النظرية، لكن هذه المخابئ كانت تُخفى أحياناً بشكل سطحي للغاية، تحت كومة من حُطام البناء أو تحت صخرة كبيرة، في بعض الأحيان كان رجل من مُنظمة التحرير الفلسطينية يأتي لجمع الأشياء، ولكن في بعض الأحيان كان الراعي يرفع الصخرة، أو يثير فضول الزوجين في نُزهة رومانسية في الريف، وقتل أكثر العديد من الأبرياء في مثل هذه الحوادث** "، كان سلاح القساوسة في الجيش الإسرائيلي ينقل الجثث ليلاً ويأخذها لدفنها في مقبرة لسقوط العدو.

نفذ الشاباك سياسة صارمة لقول الحقيقة داخل التنظيم وأضفى الكذب المؤسسي على العالم الخارجي، اشتكى السُجناء في المحكمة من أنهم لم يعترفوا إلا بعد تعرضهم للتعذيب لكن هذا لا يهم، عندما تم استدعاء المُحققين للإدلاء بشهادتهم، كانوا ينفذون ما يُسمى داخل الشاباك مناورة "دعه ينظر في عيني"، عند سؤالهم عما إذا كانوا قد ضربوا السجين أو عذبوه بأي شكل من الأشكال، كانوا ينظرون إلى القاضي ثم إلى السجين، ثم يعودون إلى القاضي ويقولون: "لم ألمسه، دعه ينظر في عيني الآن ويقول إننا فعلنا أي شيء له ".

قال آرييه هدار رئيس قسم التحقيق في ذلك الوقت: "**لقد أنكرنا كل شيء، صدقنا القضاة بالطبع، لأن بعض العرب يميلون إلى المُبالغة في وصفهم لما فعلناه، فإن دحض كل ذلك لم يكن مُشكلة على الإطلاق** ".

أصر هدار وكل عضو في الشاباك تمت مقابلته في هذا الكتاب على أن المواد التي أنتجتها الاستجوابات أنقذت حياة العديد من الإسرائيليين من خلال تجنب الهجمات الإرهابية، كما زعموا دائماً أن المُذنب فقط هو من تعرض للإساءة، قال: "**لم نُلفق أدلة قط، لم نبتدع حقائق لم نكن نعتقد أنها صحيحة، لم نحضر أبداً إلى المحكمة إذا لم نكن مُقتنعين بنسبة ألف في المائة بأن الشخص مُذنب حقًا** ".

تم إلغاء برنامج الأوزان في 8 أبريل 1979 بعد أن قتلت قُنبلة مُعيبة أحد عناصر الشاباك، تم تعيين ابراهام شالوم رئيس الشاباك عام 1980 وأعاد الحملة على الفور، بشكل مُتزايد.

—

رهان شالوم اللامع استخدم تكتيكات عدوانية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ولبنان، لكنه كان يُدرك جيداً أن الاحتلال في نهاية المطاف مُشكلة لا يُمكن حلها بالقوة، قال: "**كل ما فعلناه هو السيطرة على الحرب، يمكننا إبقاء الشُعلة عند مُستوى معين حتى تتمكن الدولة من فعل ما تريد، وهذا مهم لكنها لم تحل مشكلة الاحتلال** ".

لم يكن وحده في هذا الرأي، بل تبنى جميع رؤساء أجهزة المخابرات وجهات نظر يسارية ليبرالية بشأن القضية الفلسطينية وأيدوا حلاً سياسي ينطوي على تسوية تؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مُستقلة، ولكن إذا تحدثوا عن هذا الأمر فسيكون ذلك بصوت ناعم للغاية، على الرغم من آرائه الشخصية حول الاحتلال، لم يتراجع شالوم عن رؤسائه بل استمر في تطبيق سياسة منع الإرهاب بكفاءة عالية.

في ذلك الوقت كان الشاباك يجد صعوبة في التعامل مع اندلاع أعمال إرهابية ضد قوات الجيش الإسرائيلي في لبنان، وهي أرض لا تخضع فيها الوكالة لأي قوانين وبالتالي استخدم أساليب وحشية بشكل خاص، وقال شمعون روما الذي ترأس عمليات الوكالة في ذلك البلد،

إن "**اللبننة أثرت على الشاباك، مع عدم وجود مدنيين أو صحفيين يتنقلون، كان الشعور بحرية العمل بدون كل ذلك الدخول إلى وسائل الإعلام رائعةً، وكان لذلك تأثير**".

لقد أثرت حرية التصرف على أفراهام شالوم، قال يوسي جينوسار: "**كانت هُناك عملية فساد على جميع المستويات بسبب لبنان، لذلك من المُمكن أن يكون أفروم الذي شارك في ما كان يجري في لبنان بأكثر الطرق حميمية، قد أعطى تعليمات بأنه يمكنه الإفلات في لبنان لكنه لم يعمل في الواقع الإسرائيلي**".

بحلول وقت هجوم عسقلان كان شالوم قد أشرف بالفعل على العمليات في الشاباك مع الإفلات من العقاب لمدة أربع سنوات، لم يكن هُناك سبب للشك في أن اثنين آخرين من القتلى الفلسطينيين سوف يُسببون مشكلة.

لكن أحد الأشخاص الذين اندفعوا نحو الحافلة عندما بدأت عملية الإنقاذ وكان يقف بجوارها مُباشرة عندما انتهت، كان مصوراً صحفياً إسرائيلياً يُدعى أليكس ليفاك.

في الاضطرابات التي تلت ذلك صور ليفاك كل من حوله. رأى رجلان قويان البنية يقودان شاباً أقصر أسود الشعر بعيداً، في البداية لم ير أنه مقيد اليدين، "عندما التقطت تلك اللقطة، لم أكن أعرف من هو، في البداية اعتقدت أنه كان أحد الرُكاب الذين تم إنقاذهم، "لكن عندما اقتحمني أحد المرافقين في غضب، اعتقدت أنه اعترض على تصويرهم لأن الرجل كان عميل سري،" في الواقع، كان مجدي أبو جمعة مع اثنين من نُشطاء الطيور.

وشهد أحدهم: "جرناه بعد بضعة أمتار كان هُناك وميض، صاح أحد المُرافقين، أُحصل على الفيلم!"

لم يكن ليفاك قد أدرك بعد ما كان يحدث بالضبط، لكنه أدرك أن هُناك شيئاً مهماً في صورته الأخيرة، لذلك في الوقت الذي قبل أن يصل إليه عامل الطيور ويطالب بالفيلم، سُرعان ما قام بتبديل الفيلم في كاميرته واخفائه في ملابسه.

وأعلن الجيش الإسرائيلي أن "الإرهابيين قُتلوا عندما هاجمت القوات الحافلة فجر اليوم، بعد عشر ساعات من احتلالها على الطريق السريع الساحلي"، أدرك المُحررون في جريدة ليفاك التي يعملون لصالحها، أن لديهم السبق الصحفي وأرادوا طباعة الصورة، لكن الرقيب العسكري أوقفهم، لكن شخصاً ما سربه إلى الصحف الأجنبية، بما في ذلك الصحيفة الأسبوعية الألمانية

شتيرن التي طبعته، في وقت لاحق تحدت حداشوت الرقابة ونشرت القصة على أي حال، نقلاً عن صحيفة نيويورك تايمز ثم عرضت الصورة.

وتعرّف أقارب وجيران في قطاع غزة على مجدي أبو جُمعة على أنه الرجل الظاهر في الصورة، لا توجد جُروح ظاهرة، وعيناه مفتوحتان وهو مُقيد اليدين، ولا يبدو أن العملاء يساندونه، مما يُشير إلى أنه يقف بمفرده.

أثار نشر الصور بعد الإعلان الرسمي عن مقتل جميع الإرهابيين خلال المُداهمة ضجة عامة تزامنت مع انعدام الثقة بالسُلطات التي خلقتها حرب لبنان، وأدى إلى اعتداء عام على الحكومة من قبل عدة أشخاص في وسائل الإعلام الليبرالية.

عارض رئيس الوزراء شامير وشالوم إجراء تحقيق في القضية لكن طلباتهم لم تلق آذاناً صاغية، أمر وزير الدفاع موشيه أرينز بتشكيل لجنة تحقيق، وبعد ذلك تم تشكيل لجنة أخرى من قبل وزارة العدل.

في 28 أبريل / نيسان بعد يومين من إعلان التحقيق الأول، أمر أفراهام شالوم عشرة من رفاقه من موظفي بيردس الذين شاركوا في عمليات القتل، والمستشارين القانونيين للوكالة، وغيرهم من كبار المسؤولين، بما في ذلك يوسي جينوسار بالتجمع في بُستان بُرتقال بالقرب من نتانيا، شمال تل أبيب، اختار مُكانا مُنعزلاً لن يراهم فيه أحد، بعيدا عن مُنشآت الشاباك، التي كانت مُغطاة بأجهزة تنصت، عادة ما تخدم هذه الأجهزة أغراض المُنظمة، الآن على الرغم من ذلك، يخشى شالوم أن يُعطلوا خططه.

في تلك الليلة تحت النجوم أقسم شالوم ورجاله ألا يكشفوا الحقيقة أبداً، وأن يفعلوا كل ما يتطلبه الأمر لإخفاء هذه القضية، لأنهم إذا لم يفعلوا ذلك، قال لهم شالوم:" **سيتم الكشف عن أمن الدولة وأسرار الشاباك**".

كانوا يعرفون أنهم إذا قالوا الحقيقة أو إذا تم الكشف عن الحقيقة من خلال هذه التحقيقات، فيمكن محاكمتهم بتهمة التعذيب، حتى بتُهمة القتل قال رؤوفين حزاك نائب شالوم: "لقد أقسموا

لبعضهم البعض ببساطة أنهم لن يتركوا هذا الشيء يخرج من ألسنتهم، ليس موضوع Krenk ["المرض" باللغة اليديشية، الاسم الرمزي للقتل] ولا مسألة التغطية.

في بُستان البرتقال وفي اجتماعات لاحقة في منازلهم، وضعوا خطة وصفها حزق، الذي حضر بعض الاجتماعات، في وقت لاحق بأنها "حملة مخطط لها مُسبقاً ضد مُؤسسات القانون وحكومة الولاية".

تتكون الخطة من جزأين مترابطين، أولاً: اقترح شالوم على أرينز وشامير أن يتم تعيين مُمثل عنه كعضو في لجنة التحقيق، بحيث "يتم تمثيل منصب الشاباك والتأكد من أن أسرار التنظيم لن تتضرر"، تم قبول هذا الاقتراح الذي يبدو أنه بريء، ولأمان يوسي جينوسار كعُضو في تحقيق وزارة الدفاع.

كان جينوسار بمثابة حصان طروادة لشالوم، لقد كان أحد الرجال الذين أقسموا اليمين السرية في بستان البرتقال، وكان هو نفسه قد شعر بالإهانة من وجود اللجان، **"ماذا حدث؟ قتل اثنان من الإرهابيين الذين اختطفوا حافلة وقتلوا ركابها"، احتج في وقت لاحق "لهذا تحطمون العالم كله؟ النفاق! لسنوات كنا نقوم بتنظيف مياه الصرف الصحي في إسرائيل، والجميع يعرف بشكل أو بآخر كيف يتم تنظيف مياه الصرف الصحي ".**

قال جينوسار: "لم يكن لدي ولا مشكلة أخلاقية مع قتل الإرهابيين"، كانت مُشكلته "مع الحقائق على الأرض، كان هُناك الكثير من المُمثلين خارج الشاباك "، حله: "القاعدة الأسمى بعد عملية فاشلة هي محو بصمات دولة إسرائيل، عدم قول الحقيقة جزء لا يتجزأ من إزالة المشكلة".

خلال النهار جلست اللجنة في غُرفة اجتماعات وزارة الدفاع واستمعت إلى شهود عيان من الجُنود ونُشطاء الشاباك ومدنيين ورهائن والمصور أليكس ليفاك، ثم في الليل، تسلل جينوسار للقاء شالوم ودائرته الداخلية في منزل المُستشار القانوني، لتزويدهم بتفاصيل جلسة ذلك اليوم والمُساعدة في إعداد الشهود لليوم التالي.

هذا الجزء الثاني من مؤامرة شالوم: اتهام جنود إسرائيليين أبرياء بجرمتي القتل التي أمر بها، إلى جانب جينوسار، المُستشارين القانونيين للشين بيت، وأعضاء فرقة الطيور، وضع شالوم خُطة معقدة لتحويل مزاعم القتل من أنفسهم إلى الرجال الذين وضعوا أيديهم على الفلسطينيين أولاً: جنود الجيش الإسرائيلي تحت قيادة العميد الجنرال اسحق مردخاي.

كانت هذه الخُطة تخطف الأنفاس في غدرها، لقد تطلب الحنث باليمين والتآمر وخيانة عميقة ومُذهلة لرجل وصديق شريف، كان جينوسار ومردخاي مُقربين منذ أن تعاونا خلال غزو لبنان عام 1982 حتى أن جينوسار قد منح مردخاي وسام الشاباك الخاص في 27 يونيو 1982 كرمز لمساعدته الشاباك على قتل عزمي زرائير ضابط عمليات فتح في جنوب لبنان.

نسج جينوسار شبكة مُعقدة من الأكاذيب، لقد فهم جيداً ما تطلبه اللجنة، قال في إحدى التجمعات السرية: "**يا رفاق لا توهموا أنفسكم، شخص ما يجب أن يُدان هنا، وإلا فإن هذه اللجنة لم تقم بعملها .... الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون مُذنبا هو السيد يتسحاق مردخاي** ".

الشهادة الأساسية كانت شهادة قائد فريق الطيور إيهود يتوم، تدرب شالوم وجينوسار والآخرون مع ياتوم مراراً وتكراراً في الليلة السابقة، قال للجنة: "وصلت أنا ورئيس الشاباك إلى مكان الحادث، رأيت مجموعتين من الناس على بُعد حوالي عشرة أمتار من بعضها البعض، كان هُناك ما بين عشرين إلى ثلاثين شخصاً في كل مجموعة، [عندما دخلت في طريقي، رأيت مجموعة من الناس تذكرني اليوم بأوصاف الفلاحين السوريين الذين هاجموا طيارينا [الذين أسقطوا فوق سوريا] ، كانوا يفعلون ما يشعرون به بأيديهم وأقدامهم، عندما رأيت الإرهابي، صفعته أيضاً، لقد جذبتني أجواء غضب الغوغاء ". قال إنه لم ير رجال الشاباك في الغوغاء، لكنه رأى الجنرال مردخاي يضرب أحد الإرهابيين بمسدسه.

قال ياتوم للجنة إنه عندما تم تسليم الإرهابيين إليه كانوا في حالة سيئة للغاية، ونقلهم إلى المستشفى حيث أعلن عن وفاتهم، رئيس التحقيق اللواء المتقاعد مئير زوريا كان مُتأثرا بشدة بأمانة ياتوم، كان الشاهد الوحيد الذي اعترف، حتى أنه أعرب عن أسفه لصفعه لإرهابي، كان المقصود من هذا "الاعتراف" بالطبع التستر على سر أكبر بكثير.

"**من الذين رأيتهم يضربون؟**" سئل مسؤول آخر في الشاباك خلال شهادته، بعد أن وصف المشهد الذي شاهده بأنه إعدام خارج نطاق القانون، أجاب: "إنه أمر معقد للغاية ويصعب تذكره، الشخص الوحيد الذي يمكنني تمييزه هو إيتسيك [يتسحاق] مردخاي، صرخت ضرباته إلى السماء، وقال شاهد آخر من الشاباك "رأيت إيتسيك يضربهم على الرأس ضربات قوية" ، لكنه لم يستطع التعرف على أي شخص آخر، وحذو حذوه جميع شُهود الوكالة.

حاول المُتآمرون حمل كوبي على الحنث باليمين بنفسه أيضاً، قال كوبي: "جاءني جينوسار للتأكد من أنني سأشهد أنني رأيت مردخاي يضربهم حتى الموت، قلت له إنني لم أر ذلك، ومضى وسألني من وجهة نظري ما إذا كان أفاروم غير موجود أثناء تعرض الإرهابيين للضرب، قلت في الواقع كان هُناك وكان أول من ضربهم، قال: "إذا كان الأمر كذلك فمن وجهة نظري لم تكن هناك على الإطلاق"، بعد ذلك أرسلوني في مهمة دائمة في إيطاليا، أدركت أنهم يريدونني بعيدًا عن لجان التحقيق " لجنة التحقيق بوزارة العدل ومع ذلك أصر على استجواب كوبي، كان مُسافر سرا إلى إسرائيل، وفي لقاء حاد مع أبراهام شالوم، قال لرئيسه إنه لن يدعم روايته للأحداث، صاح شالوم: "هذه غدر!"

كوبي الذي واجه خطراً شديداً عدة مرات خلال الثلاثين عام التي قضاها في الشاباك، قال إنه لم يكن أبداً خائف على حياته أكثر من تلك اللحظة، قال: "كنت أخشى ألا أخرج من هُناك حياً"، لقد فعل ذلك لكن مشاعره كانت تدل على العمق الذي غرق فيه الشاباك.

في النهاية تم التوصل إلى حل وسط بين كوبي وشالوم وجينوسار والمستشار القانوني، شهد كوبي زوراً بأنه كان مشغولاً بالاستجواب ولم ير من ضرب الإرهابيين.

شهادات الشهود الآخرين التي نسجها حرفيون بارعون في الحيلة والتعتيم، وتم التدرب عليها عدة ساعات وتم التحقق منها بشكل مثالي مع بعضهم البعض، التأثير التراكمي لثلاث عشرة رواية مُتطابقة من رجال شُرفاء ظاهرياً ترك انطباعاً قوياً على لوحات التحقيق.

في 20 مايو أصدرت لجنة التحقيق النتائج التي توصلت إليها: "لقد ظهر بوضوح من مواد التحقيق أن قوات الجيش الإسرائيلي وعناصر الشاباك لم يتم إعطاؤهم أي أمر يُمكن أن يفهم منه أن الإرهابيين اللذين بقيا على قيد الحياة يجب أن يكونا قتلى أو متضررين ".

أعطى التحقيق مصداقية كاملة لشهادة أبراهام شالوم وأشار إلى أن شهادة مردخاي وادعائه بأنه لم يكن الشخص الذي قتل الإرهابيين "لا تتوافق جزئياً مع عدد من الشهادات التي سمعناها ومدعومة بتفاصيل مُعينة من قبل جهات أخرى".

ولم تُحدد اللجنة من قتل السُجناء لكنها أوصت بأن تجري الشُرطة العسكرية تحقيقاً ضد موردخاي، أدى ذلك إلى توجيه الاتهام إليه بتهمة القتل غير العمد، في يوليو 1985 توصل تحقيق وزارة العدل إلى نتائج مُماثلة.

نجحت مؤامرة شالوم، رجل بريء سيحاكم على جرائمه.

نفى مردخاي بشدة المزاعم الموجهة إليه لكن لم يُصدقه أحد تقريباً.

قال إيهود باراك: "أي رجل آخر في مكان مردخاي كان سيقتل نفسه".

قال مردخاي: "لمدة عامين مررت أنا وعائلتي بالجحيم".

لحسن حظه على الرغم من ذلك، فقد شارك مُدافع عسكري شاب وحيوي اسمه مناحيم فينكلشتاين، الذي كان مُمثل الجيش في لجنة تحقيق وزارة العدل، في وقت لاحق في عملية الحكم على ما إذا كان ينبغي توجيه لائحة اتهام لمردخاي.

قام فينكلشتاين وهو يهودي أرثوذكسي لديه عزيمة لفصل الشعر التلمودي والتشكيك، والذي أصبح فيما بعد قاضي محكمة محلية بارز، بفحص الأدلة وشعر أن هناك شيئاً ما خطأ، "من ناحية كانت شهادة عناصر الشاباك واضحة"، قال: "كان من غير المعقول أن يكذب أي منهم، لكن هذه المُحاولة لإلقاء اللوم على مردخاي بدت غريبة بالنسبة لي ".

اعترف مردخاي أنه عندما اقتيد الإرهابيان من الحافلة قام بضربهما مرة واحدة أثناء استجوابهما، لكن الفحص الدقيق لجميع الأدلة يُشير بوضوح إلى أن أبناء عمومة أبو جمعة قد تم تسليمهم إلى الشاباك في حالة أفضل بكثير، مما ادعى نشطاءه، قاتل فنكلشتاين ضد الشاباك ووزارة العدل، وكلاهما كان يضغط من أجل محُاكمة مردخاي بتُهمة القتل، وحصل على شهادة خطية من الطب الشرعي تُشير إلى أنه لا يوجد احتمال بأن ضربات مردخاي قد تسببت في مقتل الإرهابيين اللذين بدا أنهما أن تكون في حالة جيدة.

لم تستطع جهود فينكلشتاين منع توجيه الاتهام لمردخاي في تهمتين بالقتل غير العمد وكان على موردخاي أن يُحاكم في محكمة عسكرية خاصة، لكن عمله القانوني الدقيق كان له دور فعال في المحاكمة نفسها، وبعد جلسة واحدة وجلسة استماع قصيرة للأدلة برأت المحكمة مردخاي.

يبدو أن هذا هو نهاية قضية عسقلان، تم جر رجل طيب في الوحل وشوه اسمه، رغم أنه تم تطهيره في النهاية، لم يتم الكشف عن أي أسرار لـ "الشاباك" ولم يُحاسب أحد على جرائمه.

كان من المُمكن أن يتم نسيان الأمر برمته بشكل كامل ولكن لثلاثة من كبار مسؤولي الشاباك الذين أثار ضمائرهم القلق، أحدهم كان رؤوفين حزاك نائب المدير الذي كان من المُقرر أن يحل محل شالوم كرئيس للشين بيت قريباً، في البداية حاول الرجال الثلاثة تحذير شالوم من الكذب، قال فالج راداي لشالوم إن "نيكسون لم يسقط بسبب الاختراق الغبي ولكن بسبب التغطية"، ولم يرد شالوم، على الرغم من أن حزاك كان مُتورطاً عندما بدأت مؤامرة الحنث باليمين، فقد توصل لاحقاً إلى استنتاج مفاده أنه لا يمكن الحُصول على الإغلاق إلا إذا استقال جميع المتآمرين، بمن فيهم هو، وقد رفض شالوم ذلك.

في 29 تشرين الأول (أكتوبر) 1985 تمكن حزاك من مُقابلة رئيس الوزراء شيمون بيريز، الذي حل محل شامير في سبتمبر 1984 بموجب اتفاق تناوب، لأن حزبيهما قد تعادلا في انتخابات الكنيست، استمع بيريز بانتباه إلى حزاك، الذي جاء بصفحة من المُلاحظات التي لم تدخر أي تفاصيل في وصفها لعمليات القتل أو التغطية، وقال حزاك لبيريز: "الأساس الأخلاقي الذي اعتمد عليه الشاباك في أداء واجباته انهار".

أجاب بيريز: "عادة ما أُفكر قبل أن أتخذ أي قرار".

غادر هزاك بشعور من الارتياح، وشعر أن لوائح الاتهام قد تم أخذها على محمل الجد وأن الرد المُناسب سيكون وشيكاً، لكنه كان مُخطئ، كان شالوم أكثر تكتيكاً وأكثر حنكة، كان قد التقى بيريز في وقت سابق ووضع سيناريو مُختلف تماماً لرئيس الوزراء: كانت هذه مُحاولة تمرد من قبل ثلاثة من خارج القانون، وكان هدفهم الإطاحة به والاستيلاء على الشاباك.

وبدعم كامل من بيريز طرد شالوم المبلغين الثلاثة، لقد رحلوا في عار عن الخدمة التي ضحوا بحياتهم لها منفصلين عن جميع زملائهم الذين ظنوا بأنهم خونة.

لكن المُبلغين عن المُخالفات، في وقت مُتأخر من ليل 9 آذار (مارس) 1986 جاء الثلاثة إلى المكتب الرئيسي لوزارة العدل شبه المهجور في القدس الشرقية ودخلوا مكتب المُدعي العام يتسحاق زامير.

استمر الاجتماع ثلاث ساعات ونصف وقد عرض المُبلغون الثلاثة القصة الكاملة ليس فقط عن مقتل الفلسطينيين ومُحاولة تأطير مردخاي، ولكن عمليات الإعدام خارج نطاق القضاء والتعذيب والحنث باليمين التي مارسها الشاباك لعقود.

وجدت نائبة المُدعي العام دوريت بينيش صعوبة في تصديق أن بيريس سمع القصة وفشل في التصرف: "**في لقائك مع رئيس الوزراء هل تحدثت عن التستر؟**"

قال حزق: "**ظهر كل شيء**".

قال يهوديت كارب نائب المُدعي العام للمهام الخاصة: "**شعرت وكأن السماء قد هبطت،لا يمكن المُبالغة في ما حدث هُناك لقد كان تقويضاً صارخاً لسيادة القانون وفساداً لجميع الأنظمة، لا أتذكر حدثاً ذا خُطورة مُماثلة في تاريخ دولة إسرائيل** ".

ثم بدأ تحقيقان جديدان: تحقيق للشرطة في قضية عسقلان وتحقيق أوسع في مُمارسات الشاباك من قبل لجنة برئاسة كارب.

بالنسبة لشالوم كانت هذه كارثة، لقد نجا من تحقيقين من خلال الحنث باليمين والكذب المُطلق، وتم طرد المبلغين الثلاثة، لكن الخاطفين الفلسطينيين القتلى استمروا في العودة لمُطاردته، والآن بعد أن انكشفت المؤامرة الكاملة، سيكون من الصعب عليه إقناع المُحققين بسيناريو آخر مختلق.

ومع ذلك لم يتراجع شالوم وحلفاؤه، وبدلاً من ذلك، شنوا "حملة واسعة من الأكاذيب والنميمة والتشهير ضد المُبلغين الثلاثة وضد وزارة العدل"، على حد قول كارب، تم وضع مسؤولي الوزارة تحت المُراقبة وتم التنصت على هواتفهم في مُحاولة لجمع معلومات للابتزاز ومُحاولة التفوق على خصومهم، تم توجيه تهديدات مجهولة المصدر إلى مسؤولي الوزارة في ظلام الليل وتم منح زامير حُراساً شخصيين على مدار الساعة، في إحدى الليالي تم إرسال سيارة إسعاف للعناية المُركزة إلى منزله، على الرغم من أنه كان بصحة جيدة، وتم إرسال إكليل جنازة هناك

أيضاً، وقالت مصادر الشاباك للصحفيين إن أحد المُبلغين كان على علاقة رُومانسية مع نائب المُدعي العام للدولة بينيش.

قال بينيش: "الشيء المُذهل الذي ظهر خلال تلك الفترة هو الصلاحيات غير المُقيدة للشاباك، فعندما كُنا نتعامل مع الأمر، أدركنا أن هذه السُلطة يُمكن أن تستهدف أي شخص، حتى النظام القانوني، وإذا لزم الأمر على المستوى السياسي أيضاً، وجدنا أنفسنا مُلوثين، مكشوفين ومُهددين ".

لكن بينيش وكارب ومُحققي الشرطة لم يتراجعوا، استمرت التحقيقات في أبريل ومايو من عام 1986 على الرغم من التشهير ومحاولات الترهيب.

في النهاية لجأ شالوم إلى الكذب تحت القسم، وعندما استجوبته الشرطة، ادعى أولاً أن وزير الدفاع موشيه أرينز أمره بقتل خاطفي عسقلان، عندما التقى أرينز به في 16 أبريل 1986، ونفى ذلك بشكل قاطع اعتذر شالوم وقال: "**كان لدي انطباع بأنك أعطيت مثل هذا الأمر ولكن الآن بعد أن أتحدث معك أرى أنني كُنت مخطئاً، لم يكن الأمر كذلك** ".

بعد ذلك ألقى باللوم على شامير، الذي كان رئيس الوزراء في ذلك الوقت، وزعم شالوم أن شامير أعطى أمراً بضرب الفلسطينيين حتى الموت، ثم أمر أو على الأقل وافق على التستر الذي أعقب ذلك، شامير أيضاً نفى أي شيء من هذا القبيل بعد أن تم القبض عليه مرة أخرى، تلاشى شالوم وزعم أن شامير أخبره في اجتماع في نوفمبر 1983 أنه يجب قتل الإرهابيين الأسرى، نفى شامير ذلك أيضاً، في النهاية تحول شالوم إلى الإصرار على منحه سُلطة شاملة لتقرير ما يجب فعله مع الإرهابيين حتى قبل الهُجوم إذا لم يتمكن من الوصول إلى رئيس الوُزراء للحُصول على التوجيه.

بحلول مايو 1986 كان المُدعي العام يتسحاق زامير يُصر على مقاضاة جميع المُتورطين في القضية بتُهم القتل العمد وإفساد مسار العدالة والحنث باليمين وأي عدد من التهم الإضافية.

حُشر شالوم في الزاوية ولم يتبق لديه سوى بطاقة واحدة للعب.

—

في أواخر مايو التقى شالوم مع يوسي جينوسار ومستشاريهم القانونيين في غرفة جينوسار في فندق جراند بيتش في تل أبيب، بدأوا معاً في تجميع قائمة الموتى لقد عملوا من ملفاتهم ومن ذاكرتهم، وكتبوا أسماء وأماكن وتواريخ الأشخاص الذين قُتلوا على يد الموساد وآمان والشين بيت في السنوات التي سبقت اختطاف عسقلان.

"جلسنا هُناك لفترة طويلة، قال جينوسار : "**ذهب كل شيء في الوثيقة بموافقة أفرم** ".

وكان على القائمة أربعة دبلوماسيين إيرانيين سمح الموساد بتعذيبهم وإعدامهم في بيروت على يد الجزار الكتائبي روبرت "الكوبرا" حاتم، كانت هناك أهداف الوحدة 504 التابعة لـ أمان الذين "ماتوا بشكل طبيعي عن طريق ابتلاع وسادة" ودُفنوا ووجههم لأسفل، كانت هُناك عملية الشاباك في حُزيران/ يونيو 1984 في قرية بيديا، حيث وصل خمسة عشر عنصراً في ثلاث سيارات مرسيدس سيدان إلى المرآب الذي يملكه القائد الشيعي المحلي مرشد نحاس، الذي تم اقتياده إلى إحدى السيارات وقيل له: وفقاً لشاهد عيان، "**يمكنك اختيار كيف تموت**" وعُثر في وقت لاحق على جُثته المليئة بالآثار على أطراف القرية، تم تدوين أسماء الأشخاص الذين اختفوا ببساطة من الأراضي المُحتلة، وكذلك أسماء جميع الرجال الذين قُتلوا في برنامج الأوزان.

لم تكن بأي حال من الأحوال قائمة كاملة بثلاث صفحات فقط وسبعة وستين اسما ولم تشمل أسماء الوفيات في لبنان والضفة الغربية وغزة، لكنها كانت مجموعة مُدمرة.

أطلق جينوسار على الملف اسم ملف الجماجم، ظاهرياً كانت وثيقة قانونية تهدف إلى إثبات أن أمر شالوم بقتل خاطفَي عسقلان كان روتينياً ومقبولاً في الوقت نفسه، كجزء من برنامج القتل خارج نطاق القانون، في الواقع كان ابتزازاً محض، تهديداً ضمنياً بأنه إذا تم توجيه الاتهام لشالوم وحلفائه، فسيأخذون آخرين معهم بمن فيهم رؤساء الوزراء.

قال وزير سابق بالحكومة: "**لقد فهمنا جيداً أهمية ملف الجماجم الذي وضعوه على الطاولة، كان من الواضح لنا أنه يتعين علينا وقف الهستيريا العامة والتأكد من أن عناصر الشاباك المُتورطين لن يضطروا للذهاب إلى المحكمة.**"

لقد كانت مناورة صادمة لكنها كانت فعالة، قال شالوم "**قدمت استقالتي إلى شامير**" (وزير الخارجية وجزء من الثلاثي الذي يُدير الدولة)، "قال لي:" لا تجرؤ، "كان يخشى أنه إذا فعلت ذلك، فسيتعين عليه أيضاً، فذهب [شامير] لمُقابلة [رئيس الوزراء] شمعون بيريز ورابين، الذي

كان وزيرا للدفاع وقال: **"لقد أعطيت مثل هذه الموافقات، لذا إذا تخلت عنا الليكود فإننا سنجرك معنا إلى الأسفل ".**

في نهاية المطاف تم التوصل إلى اتفاق مشكوك فيه، اقترحه لأول مرة مُحام مُؤثر للغاية كان يُقدم المشورة لكل من رئيس الوزراء ورؤساء الشاباك، رئيس الدولة حاييم هرتسوغ سيصدر عفواً شاملاً لعناصر الشاباك المُتورطين، ويغطي جميع الإجراءات ضدهم، وهكذا تم تبرئة أحد عشر رجلاً قبل توجيه الاتهام إليهم، لن يُحاسب أي شخص على مذبحة عسقلان أو أي شخص آخر، في المقابل كان المطلب الوحيد أن يستقيل شالوم من الشاباك.

حتى بعد رحيله عن سكوت فري، تشبث شالوم بفبركاته، كتب أنه تصرف **"بإذن وسُلطة"**، مُتمسكاً بزعمه أن شامير هو الذي أصدر الأمر بقتل الخاطفين الفلسطينيين، في أعقاب هذه القضية تقرر أن جميع الاجتماعات بين رؤساء أجهزة المُخابرات ورئيس الوزراء سيحضرها سكرتيره العسكري وكاتب الاختزال الذي سيقوم بتسجيل الإجراءات.

في اليوم التالي لتوقيع هرتسوغ على العفو قدمت صحيفة حداشوت اليومية وصفًا لما حدث: "لذا جلس هؤلاء الأشخاص، وفي عمل مشابه لاجتماع المجلس العسكري في بعض الولايات النائية في أمريكا اللاتينية أزالوا حبل المشنقة من حول أعناقهم "، دافع الرئيس هرتسوغ الرئيس السابق لـ أمان عن هذا الإجراء في بيان لوسائل الإعلام، لكن القليل منهم فقط أدرك ما كان يُلمح إليه: "إن عملية التحقيق في القضية كانت ستقتضي الكشف عن طريقة عمل الشاباك لسنوات، بهذه الطريقة ربما كان من المُمكن ظهور ستين إلى ثمانين قضية من الماضي، هل كان ذلك مفيداً للبلد؟ "

18

ثم حصلت شرارة

في تونس وتحديداً في منتجع سياحي ليس ببعيد عن مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية، تدرب ثمانية وعشرون شخصاً من أفضل مقاتلي أبو جهاد لمدة عام لشن هجوم كبير، كانت الخُطة هي الإبحار في سفينة كبيرة من الجزائر العاصمة إلى البحر قُبالة تل أبيب، ثم يُسافرون في زوارق مطاطية إلى الشاطئ في بات يارن إحدى ضواحي جنوب تل أبيب، حيث سيأتون إلى الشاطئ مطلع الفجر، ويختطفون حافلة أو اثنتين ويجبرون السائقين على نقلهم إلى مقر قيادة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي، في مُجمع حكومة كيريا بتل أبيب أطلقوا النار على الحراس عند البوابة واقتحموا المجمع واندفعوا نحو مكاتب رئيس الأركان ووزير الدفاع، حيث قتلوا أكبر عدد مُمكن من الناس على طول الطريق، ثم قاموا بخُطو من شأنها أن تُسيطر على أحد المباني من خلال سد المدخل والمخارج إلى أحد شوارع المُجمع واحتجاز أكبر عدد مُمكن من الرهائن وتهديدهم بالقتل إذا لم تتم تلبية مطالبهم بإطلاق سراح إرهابيي مُنظمة التحرير الفلسطينية من السُجون الإسرائيلية.

سيكون الهجوم في 20 أبريل 1985 بعد يومين من ذكرى المحرقة، وهو أحد الأيام الأكثر أهمية في التقويم الإسرائيلي، عندما يقف جميع مواطني إسرائيل في حالة تأهب لمدة دقيقتين مع انطلاق صفارات الإنذار في جميع أنحاء البلاد لتكريم جُنود الوطن الذين سقطوا وضحايا الإرهاب، أراد أبو جهاد أن يُعطي شيء جديد للإسرائيليين: **"نريد تحويل ضُوء النهار إلى ليلة مُظلمة في تل أبيب"** هذا ما قاله أبو جهاد لمقاتليه خلال لقائه الأخير معهم قبل انطلاقهم.

بعون الله سيكون يوم السبت هذا يوماً أسود في تاريخ تل أبيب وكذلك يوم الأحد في هذا اليوم ستغلق تل أبيب بأكملها، وتشهد أنهاراً من الدم والخراب والدمار. "

نشر أبو جهاد خريطة للساحل الإسرائيلي جنوب تل أبيب عليها ثلاثة أسهم تُوضح مواقع إنزال الزوارق الثلاثة: **"سُنهاجم مقارهم بعون الله ثُم نُغلق الشوارع، في شارع واحد على سبيل**

المثال سوف نسجن خمسمائة شخص- خمسمائة شخص في وقت واحد وبعد ذلك سنكون قادرين على استخدامها كورقة مُساومة ".

حدد القائد العسكري الأعلى للشعب الفلسطيني هدفاً واضحاً لمُقاتليه: "**بعون الله سنُدمر شارون ونُرسله إلى جهنم نحن نعلم كيف يبدو**".

ضحك أحد المُقاتلين قائلاً: "لديّ تابوت له".

قال أبو جهاد: لديهم خشب كثر للتوابيت لشارون، بعون الله تسقط قنبلة على رأسه، لا شيء بعيد عن الله يا رجال".

لابد أن أبو جهاد كان يعلم أن هذه أمنية لا طائل من ورائها، فقد أُطيح بشارون من منصب وزير الدفاع قبل ذلك بعامين واحتمالات أن يكون في ذلك اليوم في الوزارة التي طُرد منه خجل كانت ضئيلة لكن شارون كان تجسيداً للشر في عُيون الفلسطينيين، ولا بد أن أبو جهاد كان يعتقد أن هذه هي أفضل طريقة لتشجيع رجاله.

لقد مر أكثر من عشرين عام مُنذ صُدور أمر القتل الأول للمُوساد ضد أبو جها، الذي استقر في العاصمة تونس، بعد إخلاء مُنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت في صيف عام 1982 عاش أبو جهاد في فيلا مُستأجرة ليست بعيدة عن الشاطئ، على بعد حوالي خمسة وعشرين ميلاً من أنقاض مدينة قرطاج القديمة، تابعت المُخابرات الإسرائيلية مُراقبته أثناء سفره إلى سوريا والأردن ودول أخرى في الشرق الأوسط، لإصدار الأوامر وتنظيم وتشجيع قواته والتخطيط لعمليات ضد إسرائيل، بصفته القائد العسكري لمُنظمة التحرير الفلسطينية.

جاء أبو جهاد في المرتبة الثانية بعد ياسر عرفات، وكان مسؤولاً عن أعمال إرهابية مُتعددة ضد الإسرائيليين، أكثر من أي ناشط فلسطيني آخر، لقد ظل مُشبعاً بالحماسة القومية الثورية التي تعززها الآن الرغبة في أن يُثبت لإسرائيل أن مُنظمة التحرير الفلسطينية رحلت لكنها لم تخرج، وأنها ما زالت قادرة على الرد وإلحاق أضرار جسيمة، ولهذه الغاية اتخذ قراراً بالبدء مرة

أخرى في التخطيط لشن هجمات في الدول الغربية خاصة في أوروبا، حيث لم يعمل هو وعرفات منذ مُنتصف السبعينيات، وشدد على العمليات البحرية التي تتم على السفن أو بالقرب من الموانئ.

ولتحقيق ذلك نشر القوة 17 وهي الوحدة الخاصة المُدربة جيداً لحراس عرفات الشخصيين، جنباً إلى جنب مع فرقة العمليات الخاصة ورجال قطاع غزة وفتح البحرية.

تم تطوير خطة إسرائيلية لقتل أبو جهاد في عمان في عام 1983 ولكن تم تأجيلها عدة مرات وذلك لأسباب عملياتية، لكن الموساد خطط بالفعل لعمليات تستهدف رجال أبو جهاد بعد استئناف الأنشطة العملياتية لفتح في أوروبا، استأنف الموساد العمل العدواني ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية في شبه القارة الهندية.

منذ كارثة ليلهامر كانت قيسارية مُنشغلة في إعادة بناء وحدة القتل المُستهدف الحربة، قال مايك هراري الذي أجرى العديد من التغييرات على الوحدة قبل تقاعده عام 1980: "**اعتدت أن أسميها شحذ السيف**"، لعب العديد من الأدوار القيادية لفترة أطول، خرّج نجوم مرموقة في عالم الموساد، وهم الآن من خريجي وحدات قتالية في جيش الدفاع الإسرائيلي يتمتعون بخبرة كبيرة جراء المهمات التي خاضوها، ولديهم مخزون كبير من الشجاعة والاستعداد إن لم يكن الشغف للضغط على الزناد.

رأس الحربة الجديدة "كارلوس"، وهو ناشط في قيسارية وصل إلى الموساد عبر مهمة قتالية في لواء المظليين بقيادة أريئيل شارون. قال زملاؤه إن كارلوس نفذ عمليات القتل ببرودة ومنهجية، وأن قلبه لم يفوت أي نبضة.

في آب 1983 أرسل أبو جهاد نائب قائد وحدته البحرية مأمون مريش إلى اليونان لشراء سفينة وأسلحة لاستخدامها في هجوم إرهابي على حيفا، وبينما كان في طريقه لإتمام الصفقة في أثينا، ظهرت دراجة نارية بجانب سيارة مريش عند إشارة المرور، قام كارلوس الرجل الذي كان على مقعد الراكب بالدراجة النارية بسحب مُسدس كاتم الصوت واطلاق الرصاص على مريش حتى تأكد من وفاته، كل هذا كان على مرأى ومسمع من أطفاله الثلاثة الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أعوام وثلاثة عشر عاماً، حيث بدأوا في الصراخ من الرعب حينها.

في 16 أغسطس 1984 وصل زكي الحلو عُضو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش إلى مدريد على متن رحلة جوية من بيروت، اعتقد الموساد أنه هو أيضاً كان في مُهمة

لأبو جهاد الذي جنده في إحدى عملياته المُخطط لها في أوروبا، بعد ذلك بيوم بينما كان هيلو يسير في الشارع في وسط مدريد، مرت دراجة نارية من أمامه وأطلق رجل عليه النار عدة مرات نجا الحلو من الإصابة لكنه فقد استخدام ساقيه.

منذر أبو غزالة قائد سلاح البحرية لحركة فتح كان هدفا لعدد من مُحاولات القتل المستهدف من قبل الحربة قبل 21 أكتوبر 1986 عندما أوقف سيارته في إحدى ضواحي أثينا، ظهر له "ايلي" –وهو قاتل تم اختياره مسبقاً مُتخصصا في العبوات الناسفة– عندما توقفت سيارة أبو غزالة عرف ايلي ما عليه فعله، حيث ألقى إيلي جسده الممتلئ أسفل السيارة وألصق إحدى القطع التي أسمها "إليارس" وهي قنبلة قاتلة من تصميمه، دخل أبو غزالة السيارة وضغط إيلي على المُفجر، وانفجرت السيارة بالهدف وبسائقها.

في أعقاب هذه الضربات وكذلك عمليات مُنظمة التحرير الفلسطينية الأخرى في أوروبا التي تم إحباطها بعد أن أبلغ الموساد الشرطة المحلية بعدة تفاصيل، توصل أبو جهاد إلى استنتاج مفاده أن للإسرائيليين عُملاء داخل شبكاته الأوروبية، ثم قرر القيام بعملية بحرية تتم بالكامل من داخل مقره في تونس ومن قاعدة تدريب في الجزائر في ظل سرية تامة، وهي عمليه خاصة للاستيلاء على مبنى الأركان العامة وأخذ أكبر عدد ممكن من الرهائن.

في ربيع 1985 شرع أبو جهاد على متن سفينة شحن مؤجرة تزن 498 طناً تعمل بالديزل تحمل علم بنما وتُسمى أتافيروس، وكان أبو جهاد قد خطط لرحلة طويلة لقوات الكوماندوز التابعة له، من ميناء وهران بالجزائر غرباً إلى المحيط الأطلسي حول رأس الرجاء الصالح أعلى الساحل الشرقي لأفريقيا عبر مضيق باب المندب وصولاً إلى البحر الأحمر، من هناك كانوا يأملون أن يتسللوا دون أن يُلاحظهم أحد عبر قناة السويس في قافلة تجارية حتى وصلوا إلى المياه الإسرائيلية.

لكن دون علم أبو جهاد كان للوحدة 504 التابعة لـ أمان شبكة من العُملاء داخل جهاز القطاع الغربي الجناح العسكري لأبو جهاد، لمدة عام تقريباً، كانت إسرائيل تعلم أنه تم التخطيط لهُجوم من نوع ما في ذكرى يوم الذكرى؛ في 24 أبريل أبحرت فرقة عمل مُكونة من أربعة زوارق صاروخية وقوات الكوماندوز شايطيت 13 مسافة 1800 ميل وفجرت سفينة ثانية كانت تُسمى "ضوء القمر" كانت مُؤجرة للعملية عندما كانت فارغة ورست في الجزائر، وعندما وصلت أتافيروس إلى البحر الأبيض المتوسط في 20 أبريل، كانت ترصدهم طرادات صواريخ إسرائيلية

كان على متنها وحدات كوماندوز بحرية تابعة لـ شايطيت 13 على بعد ثلاثين ميلاً من بورسعيد.

رفض نُشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية على السفينة النداء الإسرائيلي للاستسلام وفتحوا النار على إحدى السُفن الإسرائيلية، ورداً على ذلك أغرقت القوات الإسرائيلية السفينة الفلسطينية وقتلت عشرين شخصاً كانوا على متنها.

تم القبض على ثمانية آخرين وتم اقتيادهم إلى مرفق الاستجواب تحت الأرض التابع للوحدة 504، والمعروف باسم "معسكر 1391" شمال تل أبيب، الموقع غير محدد على الخرائط ويمنع القانون الإسرائيلي نشر موقعه.

تم تجريد السُجناء من ملابسهم وتغطية رؤوسهم ثم ربطهم بالحائط، انفجرت في زنازينهم موسيقى صاخبة، مما جعل النوم مُستحيل عليهم، كما تعرضوا للضرب بين الحين والآخر.

بعد أربعة أيام اعترف الأسرى بتفاصيل خطة أبو جهاد ووصفوا كيف كانوا يُخططون للاستيلاء على مبنى الأركان العامة وأخذ وزير الدفاع ورئيس الأركان كرهينتين، لولا استخبارات أمان الدقيقة لكان الأمر "**كارثة على نطاق لم نعرفه بعد**" كما قال عوديد راز أحد كبار مسؤولي أمان، لم يعد الاعتماد على الاستخبارات لمُجرد منع الهجمات الجارية بالفعل خياراً مقبولاً.

بعد الاعترافات وبشكل فوري – أمر وزير الدفاع إسحاق رابين الجيش الإسرائيلي بالتخطيط لعمليتين ضد قاعدة أبو جهاد في تونس من قبل مُحققي الوحدة 504، رابين الذي كان أحد الأهداف الرئيسية لهجوم أبو جهاد الفاشل أراد خيارين للاختيار من بينهما، وكلاهما سيكون كبيراً وصاخباً، كان أحدهما عبارة عن توغل بري واسع النطاق سيشمل قوات من شايطيت 13 وسيرت متكال و شلداخ (وحدة الكوماندوز الخاصة بالقوات الجوية). إجمالاً سيكون هُناك حوالي مائة مُحارب تحت قيادة العميد إسحق مردخاي، الرجل الذي كادت حياته أن تُدمر بسبب محاولة الشاباك لإيذائه، كل هؤلاء الرجال سيهبطون على الشاطئ التونسي في زوارق تنطلق من سفن البحرية، ويغزون مُجمع مُنظمة التحرير الفلسطينية ويقتلون أبو جهاد ورجاله.

الاحتمال الآخر كان قصف من قبل الطائرات الإسرائيلية، بدأ كل من مردخاي والقوات الجوية التدريب على ذلك بانتظار موافقة مجلس الوزراء.

كانت هناك مُشاكل تكتيكية واستراتيجية مع كلا البديلين، تبعد تونس مسافة طويلة عن إسرائيل بمقدار 1280 ميلاً، أي أبعد مما وصلت إليه جميع عمليات الجيش الإسرائيلي من قبل، بالنسبة للهجوم البري المُركب بعيداً عن إسرائيل كان هذا يعني أنه ستكون هُناك احتمالات محدودة للغاية لاستخراج القوات جنوباً إذا سارت الأمور بشكل جيد، كما أن التسلل عبر مدينة كبيرة يعني أن خطر وقوع إصابات بين المُقاتلين الإسرائيليين سيكون مرتفع بشكل غير مسبوق.

من ناحية أخرى كان إرسال القاذفات محفوفاً بالمخاطر، حيث عانت إسرائيل من ندرة المعلومات الاستخباراتية بشأن الدفاعات الجوية في كُل من تونس وليبيا المجاورة.

منذ أن انتقل مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس وقبل ذلك بعامين طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة المعلومات معلومات حول مُنشآت الرادار والانتشار العسكري والبحري للبلدين، لكن طلب إسرائيل قُوبل بالرفض، كان الأمريكيون قلقين بشكل مُبرر من تداعيات هجُوم إسرائيلي خارج مُحيطهم المباشر.

وبما أنها لم تستطع الحصول على المعلومات بشكل شرعي فقد سرقتها إسرائيل ببساطة، جوناثان بولارد وهو يهودي أمريكي لديه أحلام وهمية في أن يُصبح جاسوساً ويؤثر على مجرى التاريخ، حاول التجنيد في وكالة المُخابرات المركزية ولكن تم رفضه بسبب "عدم الاستقرار العاطفي الكبير"، ومع ذلك لم تُشارك الوكالة تقييمها مع الفروع الأخرى للاستخبارات الأمريكية وتم تعيين بولارد من قبل البحرية الأمريكية حيث كان يُعتبر محللاً لامعاً ومُوظفاً مُتميز.

ادعى بولارد لاحقاً أنه شهد "مواقف مُعادية لإسرائيل بين زُملائه، ودعم استخباراتي أمريكي غير كاف لإسرائيل" لذا حاول إقناع كُل من لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية والموساد بتجنيده كجاسوس، تم رفض طلبه بشدة من قبل كلتا المُنظمتين، لكنه تمكن بعد ذلك من التجنيد من قبل "لاكام" ذراع التجسس بوزارة الدفاع –من الاختصار العبري لـ "مكتب العلاقات العلمية"– كان هذا الجهاز السري المعروف لمجموعة صغيرة جداً من الناس، يرأسه رافي إيتان الذي كان يشعر بالمرارة لأنه لم يتم تعيينه رئيساً للموساد، قال إيتان: "**كانت المعلومات التي قدمها بولارد جيدة جداً لدرجة أنني لم أستطع مُقاومة الإغراء**"، قال إن رؤسائه رُؤساء الوزراء

ووزراء الدفاع كانوا على علم بالوضع لكنهم غضوا الطرف عن مُحيط المعلومات التي قدمها لهم بولارد.

منذ اللحظة التي تم فيها تجنيده بدأ بولارد في تسريب كميات هائلة من الوثائق من مكان عمله وأخذها لتصويرها في منزل آمن في واشنطن ثم أعادها، تم إرسال هذه الوثائق المُشفرة بـ "المواد الخضراء" إلى إسرائيل وتم تخزينها في خزائن كبيرة في قسم الأبحاث في أمان وفي المخابرات الجوية.

في يونيو 1985 طلب يوسي ياغور عامل بولارد في لاكام، طلب من جاسوسه جميع المعلومات المُتاحة عن مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية خارج تونس وعن الدفاع الجوي الليبي والتونسي.

ذهب بولارد إلى المُخابرات البحرية واستعار جميع المعلومات المطلوبة، حيث وجدت طريقها إلى إسرائيل في غُضون أيام، ونال ياجور شكر بولارد من "**أعلى مُستويات الحكومة الإسرائيلية**" على دعمه الاستخباراتي المُتميز للغارة القادمة.

على الرُغم أن لديهم الآن المعلومات الاستخباراتية اللازمة إلا أن شمعون بيريز واسحق شامير اللذين كانا يتناوبان كرئيس للوزراء، ما زالا مُترددين في إعطاء الضوء الأخضر للعملية، وكذلك وزير الدفاع رابين، حاول مردخاي إقناع رابين بدعم اقتراح سيلاند لأن "**هناك فرق بين الغارة الجوية والتأثير الذي يحدث عندما تصطدم بشخص يحمل بندقية في رأسه**"، لكن رابين كان خائف من حدوث خطأ غير مُتوقع، قال مردخاي: "**لم أستطع أن أعده بأن مثل هذا الشيء لن يحدث**" .

على النقيض من ذلك فإن القصف الجوي سيشكل خطر ضئيل نسبياً على الطيارين خاصة مع المعلومات عالية الجودة التي قدمها بولارد، لكن إسرائيل تُشارك الأمريكيين مخاوفهم الاستراتيجية تونس ليس لها حُدود مع إسرائيل ولا نزاعات حالية، إن غزو بلد مُحايد ظاهرياً عن طريق الجو أو البر يُمكن أن يكون له تداعيات دولية خطيرة.

كان هُناك عامل خارجي آخر للتأخير ألا وهي عمليات القتل المُستهدف لا سيما تلك التي تنطوي على أهداف بارزة مثل أبو جهاد، ليست مُجرد عمليات عسكرية أو استخباراتية، إنها أدوات سياسية، وعلى هذا النحو غالباً ما تكون مدفوعة بمخاوف سياسية، وهي طريقة مُفيدة إما لتهدئة الرأي العام أو حشده، على سبيل المثال في عام 1981 توقعت استطلاعات الرأي

تحقيق أغلبية كبيرة لحزب العمل اليساري في الانتخابات المُقبلة حتى أمر رئيس الوزراء بيغن وهو من حزب الليكود اليميني، بقصف المُفاعل النووي بالقُرب من بغداد حيث كان صدام حُسين يحاول تطوير أسلحة نووية، وكان هذا كافيا لترجيح كفة الميزان لصالح الليكود.

في الوقت الحالي كانت السياسة الداخلية مُستقرة حيث لم تكن هناك حملة انتخابية تتطلب إثارة العسكرة البراقة للجمهور، ولم يكن هُناك أي مطلب من الجمهور للانتقام الفوري، إذن بدا أن التأخير لمُدة غير محددة هو الخيار الواضح، لأن المخاطر التكتيكية والدبلوماسية للعملية كانت عالية للغاية والفُرص غير مؤكدة للغاية، لكن كُل ذلك سيتغير بعد بضعة أشهر فقط.

—

طوال هذه الفترة نشطت مُنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل بشكل خاص في قُبرص وفي البحر بين تلك الجزيرة ولبنان، استخدم أبو جهاد قُبرص كطريق رئيسي لإعادة مُقاتليه إلى لبنان وكقاعدة لوجستية لمنطقة البحر الأبيض المتوسط بأكملها، أصبحت الجزيرة الصغيرة خلية للنشاط الإرهابي والتهريب والتجسس، وبعد ذلك نشط فيها عمليات القتل المُستهدف.

استغل الموساد التمرد الذي قام به بعض عناصر فتح والذين حصلوا على دعم من سوريا في قتالهم ضد عرفات وقيادته، وبدأ في تنفيذ عملية بضربة ذكية، حيث كان أحد عناصره يتظاهر بأنه فلسطيني يُريد أن ينتقم من عرفات وعرض خدماته على المُخابرات السورية، رجل الموساد هذا زود محطة المُخابرات السورية في لارنكا بُقبرص، بمعلومات عن عودة مُقاتلين فلسطينيين إلى لبنان، قال يوني كورين ضابط في أمان في ذلك الوقت: **"السوريون الذين كانوا في ذلك الوقت يُسيطرون على البحر والمطارات في البلاد انتظروا وصول الفلسطينيين، وأخذوهم ولم يتم رُؤيتهم مرة أُخرى"**، لقد كانت عملية ناجحة بشكل ملحوظ كان السوريون سُعداء للغاية لدرجة أنهم بدأوا يدفعون لنا الكثير، حيث تمكنا من التخلص من حوالي 150 شخص من مُنظمة التحرير الفلسطينية".

أوقف الإسرائيليون بأنفسهم بعض السُفن المُبحرة من قبرص إلى لبنان، في 9 أيلول (سبتمبر) 1985 جاءت معلومات استخبارية مفادها أن مجموعة من الفلسطينيين رفيعي المستوى ستُبحر

في اليوم التالي من ليماسول متوجهة إلى لبنان، على متن سفينة تُدعى "Opportunit y" بمعني "**فرصة**" كان على متن هذه السفينة رجل طالما أرادت إسرائيل القضاء عليه: انه نائب قائد القوة 17 فيصل أبو شراح، الذي تورط في عدد من الهجمات الإرهابية كان أخطرها لو حدثت في نوفمبر 1979، حيث كانت القوة 17 تُخطط لاستخدام حاوية شحن تُغادر من ميناء بيرايوس باليونان إلى حيفا، تحمل عدة أطنان من الزبيب لإيصال كمية هائلة من المُتفجرات التي ستنفجر عند تفريغ الحاوية، أرسل أبو شراح أحد كبار مُساعديه ويُدعى سمير الأسمر لتولي العملية، لكن فرقة مفرق الموساد اعترضتها وتمكنت من تحديد موقع الحاوية والفريق الفلسطيني، وذهبت فرقة من الحربة إلى بيرايوس وقتلت الأسمر، بعد شهر أي في 15 كانون الأول (ديسمبر) تخلصت فرقة الحربة من عضو آخر في الفريق، وهو إبراهيم عبد العزيز بعد وصوله إلى قبرص وعضو البعثة الدبلوماسية لمُنظمة التحرير الفلسطينية هناك وهو سمير طوقان، الذي كان من المفترض أن يكون أبو شراح معهم، ولكن تم إنقاذ حياته بفضل تغيير في جدول اجتماعاته في ذلك اليوم، واستمر في العمل لمدة خمس سنوات أخرى حتى وجده الإسرائيليون في الفرصة.

صعد الكوماندوز شايطيت 13 على متن السفينة قُبالة الساحل اللبناني وأسروا أبو شراح وثلاثة من كبار رجال القوة 17، ثم نقلوا السُجناء إلى الوحدة 504، قال أبو شراح لاحقًا "**أجبروني على الوقوف ويدي على رأسي وشدوا شعري وضربوا رأسي بالحائط وقالوا لي أن أزحف على الأرض، وجردوني من ثيابي بالكامل، ولعقت الأرض بلساني، وبقيت عارياً وسكبوا الماء البارد فوقي وضربوني على خصيتي وجلدوهما بأسلاك مطاطية**". ووفقاً للوثائق الطبية التي قُدمت إلى المحكمة، فإن الضرب والركلات التي تعرض لها كانت شديدة لدرجة أن كيس الصفن انفجر.

أراد عرفات أن ينتقم من أسر أبو شراح ورجاله فرد بالمثل، بعد أسبوعين في 25 سبتمبر 1985، داهمت الخلية 17 يختاً إسرائيلياً كان راسخاً في مرسى لارنكا، وخطفت ثلاثة مدنيين، وطالبت بإطلاق سراح رفاقهم الفلسطينيين، لكن بعد ذلك وبدلاً من انتظار الاستجابة لمطالبهم ودون سبب واضح، قاموا بقتل الرهائن الثلاثة واستسلامهم للسلطات القُبرصية.

وقال وزير سابق بالحكومة: "**قتل الأوغاد ثلاثة إسرائيليين بدم بارد وأطلقوا عليهم النار في أعناقهم من الخلف، بالطبع الرأي العام الإسرائيلي لم يكن ليتسامح بذلك إذا جلسنا وأذرعنا مطوية**".

تم عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء الإسرائيلي، وبإلحاح من وزير الدفاع رابين تمت الموافقة على عملية الساق الخشبية لاغتيال أبو جهاد وقائد القوة 17 أبو الطيب، وقصف القطاع الغربي ومباني القوة 17 في تونس.

كان الهدف من ذلك كما قال رابين هو توضيح **أنه "لا حصانة لأي عنصر من مُنظمة التحرير الفلسطينية في أي مكان في العالم، وستكون الذراع الطويلة للجيش الإسرائيلي قادرة على الوصول إليهم ومعاقبتهم، وستُحدد إسرائيل طريقة القتال ومكان الهجوم وفقاً لاعتباراتها الخاصة فقط ".**

عيزر وايزمان الوزير بدون حقيبة في الحكومة والقائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلي والذي أصبح فيما بعد رئيس الدولة، عارض ذلك، في ذلك الوقت كان يجري مُحادثات سرية غير مُصرح بها مع مُنظمة التحرير الفلسطينية، وقال في اجتماع مجلس الوزراء "الملك حسين (الأردن) والرئيس (المصري) حسني مبارك موجودان في الولايات المُتحدة الآن، هناك جهود جارية لدفع عملية السلام قُدماً نحو الامام، وكان توقيت هذه العملية خاطئ ".

رد بيريز بسُخرية: "وفي غضون أسبوع أو أسبوعين، هل الوقت مناسب؟"

بدأت الاستعدادات للهُجوم على الفور، وفي 1 أكتوبر طار عشرة طائرات من طراز F-15 إلى تونس، مُسلحين بقنابل موجهة من طُراز GBU15، كما كانت في الجو ناقلتان من طُراز بوينج 707 ستزود المُقاتلات بالوقود مرتين، عملت بوينغ أخرى كقيادة ومُراقبة واتصالات محمولة جواً. تم تكليف طائرتا تجسس من طراز Hawkeye بتشويش مُنشآت الرادار في تونس وليبيا والجزائر.

أسقطت طائرات F-15 قنابلها ثم عادت باتجاه إسرائيل، تم إصابة جميع الأهداف بما في ذلك الأهداف الرئيسية: مكاتب جهاز القطاع الغربي والقوة 17، قُتل أكثر من ستين من مُوظفي مُنظمة التحرير الفلسطينية والعاملين المحليين التونسيين وجرح سبعون آخرون.

قال أحد الطيارين: "**عندما استدرنا إلى الخلف كان هُناك شعور رائع بالإفراج، أطلقت صُراخ هائلاً في المقصورة لتخفيف التوتر، كانت رحلة العودة إلى الوطن أكثر أهمية من المُعتاد، رأيت شواطئ إسرائيل بعُيون مُختلفة، لقد كُنت مليئا بالغبطة التي لم أشعر بها من قبل** ".

قال رئيس الوزراء بيريز متحدثا في مدرسة ثانوية في جنوب إسرائيل بعد صدور التقارير الأولية عن الغارة: "**مقار الإرهاب ليست مُحصنة فلدينا الحق في مُهاجمتهم، لا يُمكن السماح للقتلة ذوي الدم البارد بالإفلات من العقاب، كُل عمل من أعمالهم له يد إرشادية ومُنظمة** ".

ياسر عرفات الذي تجول في المباني المُهدمة بعد ظهر ذلك اليوم، انتهز الفرصة لتضخيم الأسطورة القائلة بأن حياته كانت دائما تُنقذ بالمُعجزات، قال بأسلوبه المسرحي: "**خلصت بمُعجزة من موت محقق، كُنت في طريقي إلى مكتبي في المقر الرئيسي في حمام شط، على بُعد ربع ساعة بالسيارة، طلبت من السائق أن يستدير في الطريق وأن يتوجه إلى مقر آخر، وهُناك سمعت عن الضربة الجوية، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بالقاهرة وعمان وقلت إنني لم أُصب وأستمر في توجيه النضال** ".

في الواقع أظهرت المعلومات التي بحوزة إسرائيل أنه لم يكن من المُفترض أن يكون في الموقع خلال وقت الغارة، وقالت يوني كورين من أمان "**كُنا نعرف مكان إقامة عرفات لكننا قررنا أنه ليس مستهدفاً ولم نقترحه على الحكومة**".

ومع ذلك فإن الشُعور العام بالغبطة في إسرائيل مُختلط ببعض خيبة الأمل الحادة.

لم يكن أي من قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية في مكاتبهم عندما سقطت الصواريخ، أبو لياد قائد أيلول الأسود، الذي بادر بالعملية ضد الفريق الأولمبي الإسرائيلي في ميونيخ والذي كان اسمه على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل، رافق عرفات في زيارته إلى الموقع وكأنه نكاية من الإسرائيليين أكثر.

قُتل مسؤول كبير واحد فقط وهو نور علي وكان يُعتبر مُعتدلاً للغاية، كان في الواقع على اتصال مع المسؤولين الإسرائيليين في مُفاوضات سرية حول تبادل الأسرى وكان أحد مسؤولي مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين أجروا اتصالات سرية مع وزير الدفاع وايزمان، أما أبو جهاد فقد كان في اجتماع في منزله ليس بعيد جداً، وسمع القنابل تنفجر.

أدى الفشل في القضاء على المزيد من قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى قيام الموساد بإطلاق قيادته الخاصة، بما تُسمى عملية التحديد، بدأت في التخطيط "لمُعاملة سلبية" وهي تعبير مُلطف عن عمليات القتل المُستهدف التي كان يستخدمها الموساد بشكل شائع في ذلك الوقت ليتم توجيهها في تونس إلى أبو جهاد، لأكثر من عام ونصف استكشفت قيسارية مجموعة مُتنوعة من الخُطط والأفكار، بما في ذلك استهداف منزله بصواريخ يتم التحكم فيها عن بعد، وبيع سيارة ليموزين مُفخخة من خلال عميل مُزدوج، ووضع قناص في وسط تونس لإطلاق النار عليه في طريقه إلى العمل.

تم تجاهل كُل هذه الأفكار إما بسبب الخطر الكبير لقتل مدنيين أبرياء في الهجوم أو بسبب الخطر على النُشطاء أنفسهم، اعتبرت تونس "دولة مستهدفة" وطالبت بأشد احتياطات السلامة صرامة أثناء عمل أفراد قيسارية هُناك مما يعني أنه بعد عمليات القتل المُستهدف، لن يكون إخراج العناصر المتورطة أمراً سهلاً.

وخلصت قيادة قيسارية في النهاية إلى أنها ستحتاج إلى قوة نيران الجيش الإسرائيلي وقُدرات النقل، طلب الموساد المساعدة من سايرت ماتكال ومن القوات الخاصة البحرية، كما فعلت في عملية ربيع الشباب في بيروت عام 1973، استدار الموساد إلى رئيس أمان اللواء أمنون ليبكينشاك، الذي كان مسؤولاً عن سيرت متكال ، كان هو نفسه قد قاد إحدى قوات ربيع الشباب وبعد ذلك أصبح ضابط كبير معروفاً بضبط النفس والحذر، لقد عارض بشدة مُشاركة سايريت في المُهمة. كان يعتقد أن الموساد يمكنه وينبغي له أن يُنفذ المهمة بنفسه وأنه "ليست هُناك حاجة لتعريض هذا العدد الكبير من الجُنود للخطر"، في مقابلة قبل وفاته ببضعة أشهر في عام 2013 قال ليبكين شاك: "**كان من الواضح لي أننا نستطيع فعل ذلك لكنني اعتقدت أن قوة صغيرة من الموساد لن تترك بصمة وجود وحدة الكوماندوز، مما يجعل ذلك واضحاً أن إسرائيل كانت وراء ذلك** ".

تسببت خُطط اغتيال أبو جهاد والسؤال العالق حول مُشاركة الجيش في قدر كبير من التوتر بين الجيش الإسرائيلي والموساد، لا يمكن اتخاذ القرار النهائي إلا من قبل السياسيين، لكن في الوقت الحالي امتنع رئيس الوزراء شامير ووزير الدفاع رابين عن التدخل، ثم تحولت الخطط برمتها.

2.5 مليون فلسطيني تقريباً (لم يجر أي تعداد عام خلال تلك الفترة) يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث يخضعون للحُكم الإسرائيلي مُنذ ذلك الحين.

في عام 1967 كان إحباطهم ومرارهم يتزايدان عاماً بعد عام، فتحت إسرائيل أبوابها أمام العُمال الفلسطينيين، وعبر حوالي 40 بالمائة من القوة العاملة الحدود يومياً للعمل في إسرائيل، لكن الوظائف المُتدنية فقط كانت متاحة، مُقابل أجر الاستغلال وفي ظُروف صعبة، شاهد عُمال البناء وغسالة الصحون الفلسطينيون باستياء ازدهار الإسرائيليين ووُصولهم إلى مُستوى أوروبا الغربية من الازدهار الاقتصادي.

داخل الأراضي المحتلة نفسها نمت البطالة، وكان هُناك عدد قليل من الوظائف المُتاحة لذوي التعليم العالي، كانت المُدن مُكتظة بشكل لا يُطاق، ولم تفعل السلطات الإسرائيلية شيئاً لتحسين الخدمات البلدية، ولم توفر الأرض للبناء والزراعة لتلبية احتياجات السكان الفلسطينيين المُتزايدين.

ومع ذلك قامت إسرائيل بمُصادرة الأراضي الفلسطينية وتوطين أعداد مُتزايدة من مواطنيها هناك، وهو انتهاك صارخ للقانون الدولي، كان العديد من هؤلاء المُستوطنين مدفوعين أيديولوجياً، معتقدين فكرة أن "إسرائيل الكُبرى" هي مُلك لليهود، كان آخرون يسعون ببساطة إلى مُستوى معيشي أفضل والاستفادة من الإسكان المدعوم بشدة.

بعد تحمل هذه التفاقمات والظروف البائسة والظلم المرئي لسنوات كانت الضفة الغربية وقطاع غزة على وشك الانفجار، لكن هذا شيء لم تستطع المُخابرات الإسرائيلية رؤيته أو لم ترغب في رؤيته. كان التركيز مُنذ فترة طويلة على الحرب الدقيقة ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية وقادتها قد أخفى الغضب المُتضخم للشعب الفلسطيني عن مُجتمع المُخابرات الإسرائيلي وسياسيها، إن الإنجازات التكتيكية للإسرائيليين وقدرتهم على تحديد مواقع قادة ومقاتلي مُنظمة التحرير الفلسطينية والقضاء عليهم في أي مكان في العالم، أعطتهم الإحساس بأن إسرائيل يُمكن أن تفرض سيطرتها إلى الأبد على ملايين الفلسطينيين في الأراضي المُحتلة دون عواقب.

كما أغفلت المُخابرات الإسرائيلية تطوراً دراماتيكياً آخر: لقد تطورت طبقة قيادية شابة ونابضة بالحياة وجذابة في "فلسطين المحتلة" وكانت تعمل بشكل مُستقل ومُنفصل عن عرفات وأبو جهاد وقيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية، أيدت الغالبية العُظمى في الضفة الغربية وقطاع غزة الأعمال الإرهابية المُذهلة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، لكن الكثيرين وجدوا أن عروض العنف المسرحية هذه أقل ارتباطاً بمُشاكلهم اليومية، كان عرفات لا يزال يُنظر إليه على أنه قائد الأمة، لكن أفعاله، وخاصة تلك التي تم اتخاذها الآن من تونس البعيدة، لم يكن من المُرجح أن تُحقق الاستقلال الذي وعد به في أي وقت قريب.

ثم جاءت شرارة، في 4 تشرين الأول (أكتوبر) 1987 هرب خمسة إرهابيين خطرين ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية من سجن غزة التابع للجيش الإسرائيلي، بعد يومين قام الشاباك بمساعدة عُملاء محليين كان يديره في غزة، بتحديد موقع الإرهابيين في مخبأ في شقة في حي الشجاعية، قام فريق من وحدة الطيور بالوكالة متنكرا بزي العرب بمُراقبة الشقة، وفي الجوار استعدت القوات الخاصة من يمام، ووحدة مكافحة الإرهاب التابعة للشرطة، للعمل تحت قيادة ديفيد تسور، "رآهم رجال الشاباك يركبون سيارتين من طُراز بيجو 404 إحداهما بيضاء والأخرى زرقاء فاتحة ومُدججة بالسلاح الذي كان أن يسقط منها قمنا بربطهم، وفي اللحظة التي رصدوا فيها المطلوبين فتحوا النار، بجوار ملعب كرة القدم " قُتل أربعة من الإرهابيين بالضربة الأولى التي أطلقتها يمام، وأطلق الرصاص على رجل خامس فر من السيارات، كما قُتل فيكتور أرزوان ناشط في وحدة الطيور في تبادل لإطلاق النار.

تحولت جنازات الفلسطينيين الخمسة إلى مُظاهرة عاصفة، وصاح المُتظاهرون في الشوارع بأن الخمسة قتلوا، كانت أعمال الشغب أعنف من أي شيء شهده الجيش الإسرائيلي في الأراضي المُحتلة حتى الآن.

قال تسور الذي أصبح فيما بعد نائب المُفوض في الشرطة الإسرائيلية ورئيس منطقة تل أبيب، "**من وجهة نظر عملياتية كان تحديد موقع الإرهابيين الخمسة وتصفيتهم نجاحاً واضحاً لليامام**". لكن تسور اعترف أيضاً بأن هذا الإنجاز التكتيكي وغيره من مثله على مر السنين، أعمى المُخابرات الإسرائيلية عن رؤية الصورة الكبيرة وجعلها "تُفوت التطور الدراماتيكي الذي كان على وشك الحُدوث"، حتى الجنازات العنيفة لم يُنظر إليها على أنها أكثر من نوبات غضب محلية.

في 8 كانون الأول (ديسمبر) فقد سائق ناقلة دبابات تابعة للجيش الإسرائيلي السيطرة واصطدم بصف من السيارات التي تقل فلسطينيين في طريق عودتهم إلى قطاع غزة من العمل في إسرائيل. قُتل أربعة وجُرح سبعة، سرعان ما انتشرت الشائعات الكاذبة بأن الحادث كان في الواقع عملاً انتقامياً متعمداً بعد طعن إسرائيلي لقاتل قبل يومين، تحولت جنازات العُمال القتلى مرة أُخرى إلى احتجاجات جماهيرية.

اجتاحت موجة من المُظاهرات الضفة الغربية وقطاع غزة في كانون الأول (ديسمبر) 1987 إيذانا ببدء الانتفاضة الفلسطينية ضد الحكم الإسرائيلي، الانتفاضة! لقد أُصيب الشاباك والجيش الإسرائيلي والحُكومة بالذهول، "لقد فشلوا لأسابيع في إدراك أهمية الاحتجاجات لدرجة أنها لم تخطر ببال وزير الدفاع رابين عندما بدأت، أنه يجب عليه تقليص رحلته إلى الخارج ويقول السكرتير العسكري لرئيس الوزراء الجنرال نيفو: اعتقد الجيش الإسرائيلي مُنذ سنوات أنه يستطيع السيطرة على الفلسطينيين بأقل عدد من القوات، لكن عندما ألقى الغوغاء المشاغبون الحجارة على مفارز صغيرة من الجنود الذين لم يكن لديهم مُعدات لتفريق الحُشود أو مُعدات واقية، رد الجنود بإطلاق النار، فقُتل أكثر من ألف فلسطيني، وأُصيب عدد أكبر، وانخفضت مكانة إسرائيل الدولية، في كل مساء شاهد العالم على شاشة التلفزيون كيف قمعت القوات الإسرائيلية بشدة جُموع الفلسطينيين المُطالبين بالاستقلال السياسي وإنهاء الاحتلال، لقد انعكست مُعادلة المُستضعفين تماماً: إسرائيل هي الآن جالوت والعرب الفلسطينيون، في نظر المُجتمع الدولي، هم ديفيد، بمقلاعه وحجاره، قال مُدير الموساد آنذاك ناحوم أدموني: "**إن الانتفاضة تسببت في الكثير من الأذى السياسي والضرر لنا أكثر من كُل ما نجحت مُنظمة التحرير الفلسطينية في فعله طوال فترة وجودها**".

في ظل غياب الرد المُناسب على الانتفاضة ودون فهم حقيقي لأسبابها لجأت إسرائيل مرة أخرى إلى السلاح الذي كانت مألوفة له، والذي اعتقد الكثيرون أنه يُمكن أن يُغير مجرى التاريخ: القتل المستهدف، أبو جهاد الذي نجا بالفعل من المُحاولات الإسرائيلية المُتكررة لاغتياله، كان مرة أُخرى الهدف الأساسي، في مقابلة مع راديو مونت كارلو في يناير / كانون الثاني 1988 قال مُتفاخراً وزعم أنه أعطى الأمر ببدء الانتفاضة، كررت مُنظمة التحرير الفلسطينية ذلك في بعض مطبوعاتها، صفق العالم العربي وقبلت القيادة السياسية الإسرائيلية تصريحاته على أنها الحقيقة المُطلقة، اعترف رؤساء أجهزة المخابرات أو على الأقل لم يتعارضوا بصدقهم.

لكن أبو جهاد كان يكذب، لا هو ولا عرفات قد أعطيا أي أمر ببدء الانتفاضة، لقد فاجأتهم كما فاجأت المُخابرات الإسرائيلية، في الحقيقة كانت انتفاضة شعبية وكان الشباب في أواخر سن المُراهقة وأوائل العشرينات، الذين تصرفوا بشكل مُستقل عن القادة في تونس هم من أشعلوا النار، لكن وقائع الأمر لم تهم رُؤساء مُنظمة التحرير الفلسطينية أو الإعلام العربي أو المُخابرات الإسرائيلية.

علاوة على ذلك فإن هذه "الحقيقة" المقبولة بشكل مُفرط، مهما كانت خاطئة كانت جذابة للإسرائيليين، إذا كانت الانتفاضة ناجمة عن الاستياء المُتراكم بين السُكان الفلسطينيين في الأراضي المُحتلة على مدى سنوات طويلة من الحُكم العسكري التعسفي والتعدي الإسرائيلي على أراضيهم، فلا بد من مُعالجة أسبابها الجذرية، إذا كانت كلها مؤامرة مُنظمة التحرير الفلسطينية فيمكن إنهاؤها ببساطة بقتل الرجل الذي يقف وراءها.

بعد اندلاع الانتفاضة أمر وزير الدفاع رابين الجيش الإسرائيلي بإعطاء الموساد كُل المُساعدة التي يحتاجها للتخطيط لاغتيال أبو جهاد، رئيس أمان ليبكينشاك "كان غير مُقتنع بعد أن مثل هذه العملية الكبيرة والمُعقدة كانت ضرورية" لكنه أدرك أن الظُروف السياسية قد تغيرت وسحب اعتراضاته على الأقل خلال مرحلتي التخطيط والتدريب، في غضون ذلك حاول أبو جهاد وعرفات ركوب موجة التعاطف الدولي وبذلك ولدت الانتفاضة وبينما كانت الاستعدادات السرية للهجوم على منزل أبو جهاد في تونس جارية، بدأ هو وعرفات عمليتهما السرية، وهي عملية علاقات عامة ذكية، أطلقوا عليها عملية "سفينة العودة"، كانت الفكرة هي الإبحار بسفينة إلى حيفا تحمل 135 مُرحلاً فلسطينياً من المناطق الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية، وكذلك العديد من الصحفيين وأطقم التصوير التي تقبل الدعوة لتغطية الرحلة ونهايتها الدرامية، أراد قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية أن تبدو رحلة "سفينة العودة" مثل رحلة الخروج، السفينة البخارية المعروفة التي نقلت بشكل غير قانوني مُهاجرين يهود إلى فلسطين تحت الانتداب البريطاني في عام 1947، حاولت فتح إبقاء الخُطط سرية حتى اللحظة الأخيرة ولكن فشل، وتلقى الموساد إعادة التنظير، كان الفلسطينيون قد استأجروا سفينة في بيرايوس، لكن أصحاب السفينة ألغوا ذلك بعد أن حذرتهم إسرائيل من أنهم إذا سمحوا للمشروع بالمضي قدماً فلن يُسمح لسفنهم

بالرسو في إسرائيل مرة أخرى، وبدلاً من ذلك اشترت مُنظمة التحرير الفلسطينية سفينة عبّارة يابانية الصنع تُدعى Sol Phryne في قبرص مقابل 600 ألف دولار.

تمت الدعوة لعقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء الإسرائيلي لمُناقشة الموضوع ووافقوا على عملية سرية مُشتركة بين الجيش الإسرائيلي والموساد لإغراق سول فريني، "حتى قبل أن تتمكن من الإبحار من ميناء ليماسول" **كان الأمل في أن يؤدي إفشال الخُطة وقتل المُشاركين فيها إلى "إحساس باليأس في القيادة الفلسطينية، وتقليص التغطية الإعلامية في الأراضي المحتلة، وتوجيه ضربة لدوافع استمرار الانتفاضة"** على حد قول أحد الوزراء الذين شاركوا في الاجتماع.

في صباح 15 شباط (فبراير) 1988 ثلاثة من نشطاء مُنظمة التحرير الفلسطينية استقلوا سيارتهم، كانوا قد أرسلهم أبو جهاد إلى قبرص لتنظيم رحلة سفينة العودة على مسافة ليست بعيدة من الفُندق الذي كانوا يُقيمون فيه، "روفر" رئيس الحربة، وإيلي كانا يجلسان في سيارة أخرى، يراقبونهما، وبعد ساعات طويلة من المُراقبة المشددة، حيث كادت الشُرطة المحلية أن تُلقي القبض على الإسرائيليين، عندما صعد الفلسطينيون الثلاثة إلى سيارتهم وبدأوا تشغيلها، ضغط إيلي على زر فجر قنبلة أخرى من قنابله وقُتل ثلاثة فلسطينيين.

بعد ثمانية عشر ساعة غاصت قوات الكوماندوز البحرية تحت السفينة Sol Phryne وربطت لُغم صغير بهيكلها، مما أحدث حُفرة في جانب السفينة التي بدأت بالغرق، في رحلة سفينة العودة الفلسطينية انتهى النزوح قبل أن يبدأ، قال يوآف جالانت قائد الكوماندوز البحري، وهو يتسلق من البحر الأسود في الثالثة صباحاً: "**اسمع التاريخ يلعب ألعاباً غريبة**"، كان زورق الصواريخ الإسرائيلي في انتظاره، وكان يشير إلى رحلة والدته التي هاجرت قبل سنوات الى إسرائيل هرباً من النازيين والمحارق.

في 14 مارس اجتمع مجلس الوزراء الأمني الإسرائيلي برئاسة رئيس الوزراء شامير مرة أُخرى لمُناقشة مقتل أبو جهاد، الموافقة المسبقة على إقالته من قبل العديد من رُؤساء الوزراء على مر السنين بما في ذلك ليفي إشكول، وغولدا مئير، وإسحاق رابين، لم تكن صالحة في ظل رئيس وزراء مُختلف، وحتى لو كان نفس الرجل يترأس الحُكومة، فلا يزال يتعين على قوات

الأمن السعي للحُصول على موافقة مُتجددة إذا مر وقت طويل، لأنه من المُحتمل أن تكون الظروف السياسية قد تغيرت أو أن رئيس الوزراء قد غير رأيه، كان لابد من إعطاء الموافقة على الفور قبل تنفيذ عملية الاغتيال المُستهدفة لحظة الوصول إلى الجاهزية العملياتية، حتى لو كانت قد أُعطيت الضوء الأخضر في وقت سابق.

في مواجهة الأمور يقول نيفو: "**كان بإمكان شامير الاكتفاء بأمره الخاص بالتخلص من أبو جهاد**"، لكن شامير كان يُدرك أن أبو جهاد ليس هدفاً عادياً، وأن ردود الفعل على ضربه قد تكون خارجة عن المألوف، وقرر عدم تحمل المسؤولية بمفرده وبدلاً من ذلك عرض الأمر على مجلس الوزراء الأمني للموافقة عليه، كان لكل من الليكود والعمل خمسة وزراء في اللجنة، أعلن شيمون بيريز رئيس حزب العمل ثم وزير الخارجية أنه يُعارض بشدة الاغتيال، قال: "**كانت معلوماتي أن أبو جهاد كان مُعتدلاً، اعتقدت أنه سيكون من غير الحكمة قتله**"، أعضاء حزب العمل الأربعة الآخرون بمن فيهم رابين الذين وافقوا بالفعل على قتل أبو جهاد في وقت سابق، أعربوا عن مخاوفهم من الإدانة الدولية التي ستوجه إلى إسرائيل، وكذلك الخطر على الجُنود الإسرائيليين ونُشطاء الموساد، وانضموا إلى بيريز في مُعارضة العملية، صوّت شامير ونواب الليكود الأربعة لصالحه، وهذا التعادل يعني أنه لن تكون هناك عملية.

وزير المالية موشيه نسيم من الليكود قرر مُحاولة الإقناع، وطلب من رابين الانضمام إليه خارج غُرفة الاجتماع، قال: "**انظر إلى ما تفعله الانتفاضة بنا، مزاج الجمهور يائس للغاية، نفذ الجيش الإسرائيلي في الماضي أعمالاً كثيرة بحنكة كبيرة وتفكير إبداعي، لكن ذلك لم يحدث مُنذ فترة طويلة، علينا أن نُجدد الإحساس من قِبل العالم، في المجتمع الدولي ولكن أولاً وقبل كل شيء، وبين مواطني إسرائيل أن جيش الدفاع الإسرائيلي هو نفس جيش الدفاع الإسرائيلي الذي قام بأشياء رائعة على مر السنين، علينا القيام بهذه المُهمة من أجل رفع الروح المعنوية الوطنية**"، السياسة التي تسببت في إضعاف الروح الوطنية، طالبت بالتضحية بالدم، قتل أبو جهاد على الأقل بالطريقة التي رآها موشيه نسيم كان عملاً رمزياً أكثر من كونه عملياً.

تم إقناع رابين وعاد إلى غرفة مجلس الوزراء مع نسيم وأعلن أنه يُغير صوته، بأغلبية 6 أصوات مقابل 4 أصوات تم إعطاء الضوء الأخضر لعملية الدرس التمهيدي.

نسيم الذي كان ابن كبير حاخامات إسرائيل، لن يندم أبداً على أنه أقنع.

قال رابين: "**في العالم بأسره لا يوجد جيش آخر دقيق مثل جيش الدفاع الإسرائيلي فيما يتعلق بقيم وقواعد السُلوك ويضمن عدم إصابة الأبرياء، لكن هناك وصية تلمودية: "إذا أتى رجل ليقتلك فانهض باكراً واقتله أولاً"** .

يعتقد عُملاء المُخابرات الإسرائيلية أن منزل أبو جهاد في تونس كان المكان المثالي لقتله، كان يقع في واحدة من أجمل المناطق الحضارية ففيها أجمل منازل وهي منازل خاصة وحصرية ويتم العناية بها، وذات وشوارع واسعة ونظيفة، وتقع على بعد بضعة آلاف أمتار من الشاطئ مما أتاح لفريق من القتلة الوُصول بسهولة نسبياً، يجب تجنب دوريات الشُرطة التونسية أو تشتيت انتباهها، ولكن بخلاف ذلك كان أبو جهاد محمياً من قبل رجلين فقط، قال ناحوم ليف نائب قائد سايريت ماتكال: "**لقد كان موقعاً مُنعزلاً نسبياً ولم يكن يخضع للحراسة إلا بشكل قليل**"، علاوة على ذلك كان أبو جهاد يعود إلى هُناك كل ليلة عندما كان في البلاد، كان مكان رائع لنصب كمين، ببساطة لم يُصدق أبو جهاد أن أحداً سيصل إليه هناك، كان الموساد قد عمل في بيروت أو سوريا أو أوروبا، لكن لم يكن يعمل في تونس لذلك شعر أبو جهاد بالأمان نسبياً ".

اعتقدت المُخابرات الإسرائيلية أن قتل أبو جهاد في منزله سيكون أيضاً تهديداً مُناسباً مما يوحي للفلسطينيين بأنه لا يوجد أحد بأمان في أي مكان حتى في غرفة نومه.

كانت خُطة اغتيال أبو جهاد في تونس قد وضعتها قيسارية خلال العام الماضي، قام ثلاثة نشطاء في قيسارية مُتنكرين بزي رجال أعمال عرب باستكشاف طرق من الشاطئ ورسموا خرائط للحي بالتفصيل، تتبعت وحدات الموساد وأمان أمان 504 و 8200 تحركات أبو جهاد، ورسمت أسفاره ولاحظت عادته في شراء التذاكر على عدة رحلات جوية لجعل من الصعب معرفة متى سيُسافر وأين، تمت مُراقبة خطوط هاتف منزله ومكتبه، قال عوديد راز الذي كان وقتها ضابطاً في قسم أبحاث أمان الذي يتعامل مع الإرهاب: "**من خلال مُتابعة أبو جهاد تعرفت على الرجل الذي كُنا نواجهه وأحترمه، صحيح أنه كان إرهابيا لكنه كان أيضاً رجل عائلة نموذجي وقائد حقيقي كان يُفكر في مصلحة أمته** ".

ومع ذلك أرادت القيادة السياسية والاستخباراتية الإسرائيلية قتله كان خير الأمة الفلسطينية بالنسبة لعقولهم، ويمثل تهديداً مُباشراً لاسرائيل فلا جدال حول الرجل الذي يقف وراء مقتل مئات اليهود.

وزير الدفاع رابين الرجل العسكري الدؤوب، أبدى قلقه بشأن تفاصيل كثيرة عن طريق الهُروب وسلامة القوات لا يقل أهمية عن ذلك، فقد أراد أن يعرف ماذا سيحدث "**بمُجرد وُصولنا إلى تونس مع هذا الأسطول بأكمله، واقتحمنا المنزل ومن ثم لم يكن –المريض– موجود على الإطلاق؟** " شرح رجال الموساد خطتهم للتأكد من أن أبو جهاد سيعود إلى المنزل قبل إعطاء الإشارة لبدء الهجوم، رابين كان راضيا والأراضي المُحتلة في حالة من الفوضى وأبو جهاد عن صواب أو خطأ، يدعي الفضل في الانتفاضة، وعملية الدرس التمهيدي تمت الموافقة عليها أخيرا.

نائب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيهود باراك كان القائد العام للعملية، وقبل وقت قصير من الموعد المُقرر لبدء العملية، قاد اجتماعاً تخطيطياً في مقر هيئة الأركان العامة في تل أبيب. أطلعه ضُباط أمان على نموذجهم المُصغر لحي أبو جهاد، أشار باراك فجأة إلى المنزل الُمقابل لمنزل أبو جهاد.

"من يعيش هُناك؟" سأل باراك.

أجاب أحد ضُباط أمان: "أبو الهول،رئيس الأمن الداخلي لمُنظمة التحرير الفلسطينية".

سأل باراك: "ومن يعيش هنا؟" مُشيراً إلى منزل قريب ولكن ليس بجوار منزل أبو جهاد.

أجاب أحد عُملاء الموساد، مُستخدماً الاسم الحقيقي والاسم الحركي لمسؤول كبير آخر في مُنظمة التحرير الفلسطينية، "محمود عباس أبو مازن" يسكن هُنا..

قال باراك متأملاً: "إنه قريب جداً.. لماذا لا نزوره أيضاً؟ فماذا مع ذهاب هذا الأسطول الضخم إلى تونس، اثنان طيور بحجر واحد ".

وتدخل مسؤول كبير في الموساد قائلاً: "**هذا يؤدي إلى تعقيد العملية أكثر مما هي عليه**" مُناقشة قصيرة وحرجة بين المؤيد والمُعارض، أصر باراك على استغلال الفُرصة للقضاء على هدفين، وأكد أن مثل هذه الضربة ستؤدي إلى تدهور معنويات مُنظمة التحرير الفلسطينية وقد يكون لها تأثير مرغوب فيه على موجة الاضطرابات في المناطق، عارض مُمثلو الموساد و

أمان بشكل قاطع، وقالوا: "لا يُمكننا ضمان عودة كلا الهدفين إلى المنزل في نفس الوقت، أنت القائد، لكننا نوصي بالبقاء مع أبو جهاد وحده، وهذا يكفي إذا أعطيناه ما يستحق ".

في النهاية استسلم باراك، وهكذا كانت حياة محمود عباس، الرجل الذي سيخلف عرفات كرئيس للسُلطة الفلسطينية والذي اعتبره باراك، من بين آخرين، في الوقت المناسب شريكاً جريئاً في جهود السلام.

وقال باراك "**من الصعب الحُكم على مثل هذه الأمور بأثر رجعي، في الوقت الفعلي من وجهة النظر التشغيلية كان الأمر مُغرياً للغاية، من ناحية أخرى كان من الواضح أن توجيه ضربة على هذا المُستوى ضد قادتهم من شأنه أن يُشرعن الهجمات على قادتنا من قبلهم** ".

وصلت ست عمليات من قيسارية إلى تونس يوم 14 أبريل على أربع رحلات مُختلفة من أوروبا، رجلان وامرأة يسافرون بجوازات سفر لبنانية مزيفة ويتحدثون الفرنسية المثالية دفعوا مبالغ نقدية لاستئجار سيارتين من طراز فُولكس فاجن ترانسبورترز وسيارة بيجو 305 وجميعهم أبيض اللون وكل منهم من شركة مُنفصلة، سيتم استخدام هذه المركبات لنقل رجال سايرت ماتكال من الشاطئ إلى منزل أبو جهاد ثم العودة مرة أُخرى، كان العناصر الثلاثة الآخرون عبارة عن ظلال: وجدوا مجموعة من الأشجار يمكنهم من خلالها مُراقبة المنزل والتأكد من وجود أبو جهاد في الداخل، سيتم إخلاء السائقين عن طريق البحر مع فريق القتل، في حين أن الظلال ستُغادر تونس على متن خُطوط جوية تجارية بمُجرد انتهاء العملية.

في غضون ذلك كانت خمسة زوارق صاروخية إسرائيلية تُبحر باتجاه تونس، تحمل فريق المداهمة ومُستشفى مُتنقل ومُعدات اتصالات قوية، كانت هناك سفينة أكبر تم تجهيزها كحاملة طائرات هليكوبتر ولكنها مُتخفية لتبدو وكأنها سفينة شحن عادية، لديها وحدة احتياطية من سايريت، كانت جاهزة للطيران في حالة حدوث خطأ ما.

توقفت القافلة على بعد 25 ميلاً من الساحل التونسي بعيداً عن المياه الإقليمية للبلاد، في 15 أبريل، أسفل الماء فرت الغواصة الإسرائيلية غال حراسة هادئة وغير مُرئية، في الأعلى

كانت طائرة بوينج 707 تابعة للقوات الجوية بمثابة محطة تقوية اتصالات، بينما كانت تُراقب الترددات التونسية بحثاً عن أي مُشكلة، كانت قادرة على التشويش على الرادار التونسي والتحكم الجوي إذا لزم الأمر، كانت طائرات F-15 الإسرائيلية تقوم بدوريات قُبالة الساحل أيضاً وعلى استعداد للتدخل إذا لزم الأمر.

كانت الشمس تغرق في المياه إلى الغرب عندما مرت قوارب مطاطية على جوانب قوارب الصواريخ، كان لكل منهما اثنين من قوات الكوماندوز البحرية وستة جنود من سيريت ماتكال، تحركوا بهدوء نحو الشاطئ وتحول الغسق إلى الظلام في ليلة بلا قمر على بُعد ثلث ميل من الشاطئ، غطس سبعة من أفراد قوات الكوماندوز شايطيت 13 من الزوارق وسبحوا تحت الماء باتجاه الشاطئ، أول من تطأ قدمه التراب التونسي كان قائد القوة المداهمة لـ شايطيت 13 يوآف جالانت، كان الشاطئ مهجور، أقامت الكوماندوس مُحيط نصف دائري واسع لتأمينه مع إقامة اتصال لاسلكي مع القوارب وعناصر الموساد المُنتظرين في سياراتهم، طلب الكوماندوس من عمُلاء الموساد الاقتراب من خط الماء، ثم أخبروا ستة وعشرين رجلاً في القوارب أنه من الآمن القدوم إلى الشاطئ، اندفع رجال سايريت إلى العربات القيصر المنتظرة، حيث بدلوا ملابسهم إلى ملابس جافة أحضروها في أكياس واقية من المطر، كانوا في طريقهم للتسلل إلى حي أبو جهاد مُتنكرين على أنهم مدنيون بعض الذكور وبعض الإناث ثم اقتحموا منزله وقتلوه، ومع ذلك فقد حملوا جميعاً بطاقات أسرى حرب لإثبات أنهم جنود في حالة أسرهم.

انتشرت قوات الكوماندوز البحرية للحفاظ على الشاطئ آمناً حتى عودة فرقة سايريت، نشطاء قيسارية الثلاثة الذين كانوا يُراقبون المنزل شاهدوا من خلال منظار قوي سيارة أبو جهاد توقفت بعد منتصف الليل بقليل، دخل معه حارسان شخصيان أحدهما السائق، بقي السائق لفترة وجيزة ثم عاد إلى السيارة ونام، جلس الآخر في غُرفة المعيشة لبضع لحظات، ثُم نزل إلى الطابق السُفلي ونام في غُرفة نوم أخرى، نام طفل أبو جهاد نضال في سريره، زوجته انتصار وابنته حنان البالغة من العُمر ست سنوات كانتا تنتظرانه في غُرفة النوم، تذكرت انتصار حديثهما :سألته إذا كان متعباً، فقال لا، طلبت منه أن يأتي للنوم، وقال إن لديه الكثير من العمل لإكماله، جلس على الطاولة في غرفة نومنا وكتب رسالة لقيادة الانتفاضة، كانت حنان معنا في الغُرفة، سألها ماذا فعلت خلال النهار؟ قالت إنها ذهبت لركوب الخيل ثم تذكرت أنها تُريد أن تخبره عن حلم رأته في الليلة السابقة، حلمت أنها كانت في القُدس مع عدد قليل من

الأصدقاء، وصلّوا في مسجد، وفجأة طردهم جنود الاحتلال وطاردوهم، ركضت وركضت حتى خرجت خارج أسوار المدينة، ثم رأت والدها، سألته إلى أين هو ذاهب فقال أبو جهاد إنه ذاهب إلى القُدس، سألته كيف يُمكنه دخول القدس لأنها مليئة بالجنود الإسرائيليين؟ قال إنه سيركب حصاناً أبيض".

بعد أن انتهت من إخباره بالحُلم، خلع أبو جهاد نظارته وقال: "أوه حنان، نعم، أنا في طريقي إلى القُدس".

رن الهاتف في الفيلا والتقط أبو جهاد السماعة، فيما استمع العملاء الإسرائيليون إلى الخط، حيث أخبره المُساعد الذي تعامل مع ترتيبات سفره أن لديه مقعداً على متن رحلة مُتجهة إلى بغداد تُغادر تونس بعد 3 أيام.

كانت هذه مُشكلة للإسرائيليين، فقد خططوا لدخول منزل أبو جهاد حوالي الساعة 1:30 صباحاً، للتأكد قدر الإمكان من أن الجميع سينامون، لكن إذا انتظروا حتى ذلك الحين فمن المُحتمل أن يكون هدفهم بالفعل في طريقه إلى المطار.

لم يستطيعوا الانتظار كل هذا الوقت، كان يجب أن تتم العملية على الفور، يفتاح ريشر رئيس العمليات الخاصة التنفيذي الذي كان في مركز القيادة البحري، دعا قائد سايريت موشيه يعالون في الراديو، تحدثوا بالشفرة وباللغة الإنجليزية، في حال تم التقاط المُحادثة.

رايشر: "**بوغارت هذا ريتشارد، يُمكنك مُغادرة المحطة، يُمكنك مُغادرة المحطة، افعلها بسُرعة... أقول مرة أخرى: افعلها بسُرعة** ".

ثم أدرك رايشر أنه نظراً لأن أبو جهاد كان يستعد للرحلة، فمن المُحتمل أن يكون هو وطاقمه مُستيقظين، قال: "بوغارت، هذا ريتشارد، لأن الرئيس يغُادر، أُريد أن أُخبرك أن هُناك أشخاص لا ينامون في المكتب ".

يعالون: حسناً ريتشارد، فهمت.

اتصل رايشر بأحد عُملاء قيسارية الذين كانوا يُراقبون المنزل من الأشجار: "ويلي هل هُناك شيء جديد بالقُرب من المكتب، بما في ذلك السيارة الحمراء؟"

ويلي: "سلبي".

رايشر: "بوجارت في طريقه، قبل دخول المكتب سوف يتصل بك، إذا كان هُناك أي تغيير في الموقف، أخبره لأنه يحتاج إلى الموافقة، أنت بخير. "

نقلت الناقلة ستة وعشرين رجلاً من سيرت متكال، مُسلحين بمُسدسات Micro Uzi و Ruger 0.22 مُزودة بكواتم للصوت ومؤشرات ليزر إلى الحي، قام اثنان من نُشطاء قيسارية، رجل وامرأة بقيادة بيجو مسافة رُبع ميل لاستكشاف الطريق والتأكد من أن القوة الرئيسية لن تصطدم بأي شيء غير مُتوقع.

توقفت السيارات الثلاث على بُعد حوالي 500 متر من المنزل، بدأت قوات الكوماندوز في الزحف إلى الأمام، لكن لا يزال يتعين إجراء تحديد نهائي إيجابي، وشاهد رجال المُراقبة سيارة أبو جهاد تصل، حيث شاهدوا أبو جهاد وحراسه يدخلون المنزل، لكن بحسب البروتوكول الذي وقعه رابين، لم يكن ذلك كافيا، ثلاثة من المُتحدثين باللغة العربية بطلاقة من الوحدة 8200 الذين تم اختيارهم في الموساد للمُهمة قضوا مئات الساعات في دراسة صوت أبو جهاد ومراوغات الكلام، كانوا يرتدون سماعات الأذن، وجلسوا في مخبأ القيادة في تل أبيب بينما أجرى الفنيون مُكالمة هاتفية إلى مقر إقامة الوزير عبر تبادل في إيطاليا، بالطريقة التي كان يتواصل بها بشكل عام مع الأراضي المُحتلة.

قام الفنيون بتشغيل ضوضاء الجماهير في الخلفية، صاح أحد خُبراء الصوت في جهاز الاستقبال: "يا أبو جهاد، لقد ألقوا القبض على أبو رحمة! والآن يُريد أبناء العاهرات أخذ الأسرة بأكملها إلى السجن! " وأضاف لعنة عربية: "إن شاء الله يشربو وريدات النساء.!" ("نرجو أن يشربوا دم الحيض!") حاول أبو جهاد تهدئة المُتحدث حتى يتمكن من الحُصول على مزيد من التفاصيل، في غضون ذلك واصل الفنيون في تل أبيب المُحادثة حتى رفع الخُبراء الثلاثة أيديهم للإشارة إلى أنهم حددوا الصوت بشكل مُؤكد.

"درس تمهيدي، لديك ضُوء أخضر" هذا ما قاله مخبأ القيادة في تل أبيب لاسلكياً إلى مركز القيادة الأمامي في البحر، تم نقل هذه الرسالة على الفور إلى القوة الموجودة على الأرض، ذهب ناحوم لي وجُندي آخر يرتدون زي امرأة أولاً، كان لي يحمل صندوقًا كبيراً، وكان يبدوا عليه صُندوق من الحلوى، ولكن كان بداخله مُسدساً به كاتم صوت، مشى إلى الحارس الذي كان جالساً في سيارة بجوار المنزل، وأطلعه على كُتيب الفُندق، وسأله عن كيفية الوصول إلى هناك، درس الحارس الكتيب، سحب لي الزناد وأطلق النار على الرجل في رأسه.

أشار Ley إلى بقية الفريق، تم تحريك جزء صغير للأمام باستخدام رافعة هيدروليكية لفتح الباب بالقوة، في الحصص التدريبية فُتح الباب بصمت، الآن وفي المُهمة أصدر ذلك صوت صرير، احتدم المقاتلون، لكن لم يكن هُناك رد فعل من داخل المنزل النائم، أشار أحد الفريق إلى الرجال في السيارات الأخرى أن الساحل خالٍ، اتخذ باقي المُقاتلين مواقع حول المنزل، أحد التفاصيل تدور في الفناء الخلفي.

اقتحم رجال سايريت ماتكال الباب ووصلوا الصالة الأمامية، واندفع عدد قليل منهم إلى الطابق السُفلي، حيث استيقظ الحارس الشخصي الثاني لتوه، أطلقوا النار عليه قبل أن يُتاح له الوقت لتصويب بُندقيته، ثم رأوا رجلاً نائماً آخر، وهو بُستاني العائلة التونسي، الذي قرر قضاء الليل في المنزل، أطلقوا عليه الرصاص، قال لي: "لم يفعل أي شيء حقًا ،ولكن في مهمة مثل هذه، ليس هُناك خيار، عليك التأكد من تحييد أي مُعارضة مُحتملة ".

في الطابق العلوي استيقظت انتصار زوجة أبو جهاد على صوت رجال يصرخون في الأسفل، كان أبو جهاد جالساً بجانب مكتبه دفعها إلى الوراء، وقام بسُرعة وأخذ مُسدسه من الخزانة.

"ماذا حدث؟" سألته انتصار، "ماذا حدث؟"

رجل سايريت ماتكال، يرتدي ملابس سوداء، ووجهه مُقنع، يحد من أعلى الدرج لي القائد، تبعه خلفه، دفع أبو جهاد زوجته إلى غرفة نومهما.

أطلق الإسرائيلي الأول النار عليه، سقط أبو جهاد، ثم أطلق Ley رشقة طويلة من الرصاصات مات أبو جهاد.

زحفت انتصار إلى زوجها حيث إلتفت الأسلحة من حولها، قام أحد رجال الكوماندوز بوضع مسدس في ظهرها ودفعها بقوة إلى الحائط، كانت مُتأكدة من إطلاق النار عليها، بدلاً من ذلك تم إبعادها عن الطريق حتى لا يقوموا بقتلها.

دخل قائد ثالث وأطلق النار على أبو جهاد مرة أخرى، وقف جانبا وأطلق إسرائيلي رابع النار عليه مرة أخرى.

كان الطفل نضال مستيقظاً ويصرخ، كانت انتصار مُتأكدة من إصابته أيضاً، كان صوت في الطابق السفلي يصرخ "عليك! عليه.! " بسرعة! بسرعة!

أخيراً، وقف المُقدم يعالون فوق الجسد وأطلق النار، وهو خامس رجل يفعل ذلك.

"ببأس!" بكت انتصار بشكل كثيف!

قُتل أبو جهاد باثنين وخمسين رصاصة، بعد ثلاثة وعشرين عاماً من توقيع جولدا مائير على أول ورقة حمراء في حياته، مات.

قال يعالون وزير الدفاع في ذلك الوقت مُتذكرا الاغتيال، بعد سنوات عديدة، في عام 2013، "**اسمع، بالتأكيد لم يكن مشهداً لطيفاً، كانت المرأة تقف هُناك تريد الاندفاع إلى الأمام، وفقط لأن أحد الرجال كان يصوب مسدساً نحوها لم تتحرك، ونحن نطلق النار على زوجها مراراً وتكراراً، من المستحيل أن أقول إن ذلك لم يُزعجني أو يجعلني أشعر بعدم الارتياح الشديد، من ناحية أخرى كان من الواضح لي أنه يجب القيام بذلك رغم أنه كان أمام الزوجة والابنة**".

لكن يعالون لم يندم، ووصف العملية بأنها "الضربة المثالية" وأضاف بسُخرية مُميزة: "لا أفهم لماذا يقولون لماذا نحن في إسرائيل، نخسر الحرب من أجل العقول، إذا وضعت رصاصة بين عيني أبو جهاد، في منتصف عقله ألا يعني ذلك أنني فزت؟ "

جميع الإسرائيليين الذين فروا من تونس تضرروا، كانت الشُرطة المحلية مشغولة بالرد على تقارير مُتعددة ومُزيفة من قبل عُملاء قيسارية عن أسطول من السيارات تتسابق من حي أبو جهاد باتجاه وسط مدينة تونس في الاتجاه المُعاكس تماماً للاتجاه الذي اتخذه القتلة، وأقامت الشُرطة حواجز على الطرق وفتشت عشرات السيارات، بعد ثلاث ساعات وجدوا سيارات فولكسفاغن وبيجو المُستأجرة مهجورة على الشاطئ.

بعد ظُهر اليوم التالي سأل أحد المراسلين شامير عن تورط إسرائيل في عملية الاغتيال، قال بهدوء: "**سمعت عن ذلك في الراديو**".

ودُفن أبو جهاد بعد أيام بموكب عسكري، لقد استشهد.

ياسر عرفات سار خلف التابوت مع الأرملة انتصار وابنها البكر جهاد.

في ذلك الوقت اعتبر الإسرائيليون مقتل أبو جهاد نجاحاً هائلاً، قال موشيه نسيم: "**شكرني رابين لاحقًا على إقناعه" قال لي "لا يُمكنك تخمين مدى صحتك، الناس يهتفون لي،**

يُصافحونني، يا لها من فرحة جُلبت للأمة! يا له من شعور بالروح المعنوية العالية، كيف كان ذلك مناسباً لقوتنا الرادعة ".

وبالفعل كان مقتل أبو جهاد بمثابة ضربة قاسية لمُنظمة التحرير الفلسطينية، كان أبو جهاد قائداً متمرساً وداهية وبدونه ما تمكنت فتح من شن هجمات أقل بكثير على إسرائيل.

لكن السبب المُباشر المُعلن لقتله كان إخماد الانتفاضة وبهذا الإجراء، فشل الاغتيال في تحقيق هدفه، في الواقع كان للقتل المُستهدف تأثير مُعاكس تماماً: أدى القضاء على أبو جهاد إلى إضعاف قيادة مُنظمة التحرير الفلسطينية إلى حد كبير، لكنه عزز اللجان الشعبية في الأراضي المُحتلة التي كانت القادة الحقيقيين للانتفاضة، وما زالت إسرائيل بلا رد على موجات الاحتجاج أو المد المُتنامي للتنديد الدولي.

مع الاستفادة من الإدراك المتأخر يندم العديد من الإسرائيليين الذين شاركوا في العملية الآن، يعتقد البعض أن الوجود القوي لأبو جهاد كان له تأثير مقيِّد وواضح على عرفات وأن صوته كان سيكون مفيداً للغاية بعد إنشاء السُلطة الوطنية الفلسطينية في عام 1994، لو كان أبو جهاد المحبوب والكاريزمي على قيد الحياة لما كانت حماس قد تمكنت من ترسيخ مكانتها والسيطرة على أجزاء كبيرة من الجمهور الفلسطيني.

قال أمنون ليبكين شاك الذي كان رئيس أمان وقت الاغتيال ثم رئيس الأركان العامة لاحقًا، إنه في عالم مثالي، "إذا كُنا قد علمنا أنه بعد وقت قصير من القضاء على أبو جهاد، فإن مُنظمة التحرير ستتخذ القرار الدبلوماسي"، بالطبع ربما كُنا قد داهمنا منزله، وقبل كُل شيء تحدثنا معه عن مواقفه تجاه التسوية مع إسرائيل، وعندها فقط قررنا قتله أم لا، بالنظر إلى الماضي فإن غيابه واضح بالفعل إلى حد ما، كان بإمكانه تقديم مُساهمة كبيرة في عملية السلام ".

19

الانتفاضة

في 23 حزيران (يونيو) 1988 جاء طاقم ABC News إلى قرية سلفيت الفلسطينية على سُفوح تلال ساماريان في الضفة الغربية.

في ذلك الوقت كانت الأراضي المُحتلة لا تزال في خضم اضطرابات الانتفاضة، احتجاجات عنيفة وهجمات إرهابية وصُخور وزُجاجات مولوتوف كانت كلها أحداث يومية، كان هناك الكثير من القتلى من الجانبين.

وسائل الإعلام الدولية جذبت للعمل هُناك.

في قرية سلفيت الصغيرة سكنت عائلة دقدوق، التي احتل أحد أبنائهما "نزار" مكانة بارزة في قائمة المطلوبين لدى الشاباك، رغم أنه كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً فقط، وأشارت المعلومات الاستخباراتية إلى أنه كان زعيم عصابة من الشُبان ألقوا قنابل البنزين على حافلات إسرائيلية، ورداً على الاستفزاز المُتكرر وبشكل من أشكال العقاب الجماعي لما كان يستخدم في ذلك الوقت، قام الجيش الإسرائيلي بهدم منزل عائلة دقدوق في 16 يونيو / حُزيران، في اليوم التالي بث التلفزيون الإسرائيلي مُقابلة مع نزار ووالدته، وهما يقفان بجوار أنقاض منزلهما، بابتسامة نفى نزار جميع الاتهامات الموجهة إليه لكنه لم يعترض بشدة عندما أشار المُحاور إلى أنه يُعتبر بطلاً محلياً، كان من الواضح أنه لا ينفر من اهتمام وسائل الإعلام.

عندما وصل طاقم مُنفصل من ABC News بعد أسبوع وسأل الأسرة عما إذا كان بإمكانها مُقابلة نزار ظهر في غضون دقائق، وأوضح المُراسل أنه أعجب بالمقابلة التي أجراها تلفزيون إسرائيل معه وأنه يُريد إنتاج قصة رئيسية عنه، اقترح الطاقم أن تتم المُقابلة مع نزار على قمة تل يطُل على القرية، وافق نزار لكنه طلب منهم الانتظار بضع دقائق حتى يتمكن من تغيير قميصه.

قال المُراسل: لا حاجة لذلك وكان ودود في التحدث بشكل كبير، "لدي الكثير من القُمصان النظيفة في الشاحنة، أي مقاس ترتدي؟"

كان من دواعي سرور أي شاب أن يلفت انتباه من حوله ببطولاته، قفز نزار إلى واحدة من شاحنتين للطاقم، وكلاهما يحمل لافتات صحفية وشعار ABC، حيث توجه فريق الصحافة إلى أعلى التل لإجراء المقابلة.

عندما تأخر نزار في العودة إلى المنزل وبعد ساعات طويلة، بدأت الأُسرة تشعر بالقلق على ابنهم نزار، في صباح اليوم التالي اتصلت العائلة بمكتب ABC في تل أبيب، فوجئ موظفي المكتب الإخباري باختفاء نزار، في الواقع فوجئوا بسماع أن شخص من الشبكة كان في سلفيت وليس لديهم علم بذلك، كشف تحقيق قصير أنه لم يكن هناك في الواقع أي شخص من ABC قد أخذ نزار بعيداً عن بيته للتصوير، اشتبهت ABC في أن من يقف وراء ذلك قد يكون المُخابرات الإسرائيلية.

واتصل رون أرليدج رئيس قسم الأخبار في شبكة ABC ، برئيس الوزراء يتسحاق شامير، حيث منحته الصداقة بين الاثنين الوصول لشامير، لكن أرليدج كان غاضباً، وقال إن تصرف الشاباك "يُعرض سلامة الصحفيين الشرعيين للخطر الشديد"، وطالب بإجراء تحقيق فوري لمعرفة من أذن بمثل هذا الإجراء" وأوضح شامير " أنه ليس من سياسة الحكومة الإسرائيلية أن تتظاهر بالصحفيين لأي سبب من الأسباب ".

لم يكن شامير على علم بحادثة سلفيت، لكنه أدرك أن هذه مسألة يُمكن أن تتحول بسُرعة كبيرة إلى فضيحة ذات أبعاد كبيرة ودعا الى اجتماع في ذلك المساء مع قادة الجيش والمخابرات.

تميزت الانتفاضة الفلسطينية باثنين من الصفات: أنواع النشاط الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي واحتجاجات شعبية ضخمة، وأعمال إرهابية ضد الجُنود والمُستوطنين.

في عام 1986 قام اللواء إيهود باراك رئيس القيادة المركزية للجيش الإسرائيلي آنذاك، جنباً إلى جنب مع رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان العامة اللواء مئير داغان، بإنشاء وحدة سرية للغاية، دوفديفان –تعني بالعبرية "الكرز"– لمُحاربة الإرهابيين في الضفة الغربية.

مقاتلو هذه الوحدة كانوا من المستارافيم الذين سيعملون في الخفاء بعُمق الأراضي الفلسطينية مُتنكرين بأنهم عرب، ويضربون الأشخاص المُدرجين في قائمة المطلوبين، تتألف نواة دوفديفان من خريجي وحدات النُخبة في جيش الدفاع الإسرائيلي ولا سيما القوات الخاصة البحرية.

عرضت قوات الكرز قُدرات تشغيلية استثنائية، وذلك بفضل التدريب الطويل والشاق الذي خضعوا له، والذي تضمن تعليمات خاصة للتعرف على الأراضي العربية واللباس، وأساليب التنكر، لقد كانوا قادرين على الاندماج بشكل فريد عندما كانوا في بيئات فلسطينية مُزدحمة ومُعادية، حتى في القُرى الصغيرة التي يسُهل فيعا التعرف على الغُرباء.

شيري هو الذي انتحل شخصية طاقم ABC واختطف نزار دقدوق في سلفيت، حيث تم اختبار الرجال الذين يصلحون للعملة، أحدهم وُلد وترعرع في كندا والآخر من الولايات المُتحدة قد خضعوا لتدريب مُكثف لبضعة أيام في استوديوهات التلفزيون الإسرائيلية في القُدس، لقد تعلموا كيف يعمل طاقم التلفزيون، وكيف يتم إجراء المُقابلة، وكيف يتم استخدام الكاميرا، وكيف يحمل رجل الصوت ميكروفون بوم، كما أقرضتهم محطات التلفزيون الإسرائيلية المُعدات اللازمة، كان الشاباك مسؤولاً عن تزوير لافتات وشعارات ABC وبيانات اعتماد الصحافة.

بعد أن اختطف طاقم التلفزيون المُزيف دقدوق وغادر سلفيت، متجهاً ظاهرياً نحو موقع المقابلة على قمة التل، تم إيقاف شاحنتهم وبدا وكأنه حاجز روتيني للجيش الإسرائيلي ولكنه في الواقع كان ذلك ضمن مُخطط للدوفديفان، ثم قام هؤلاء الرجال بتقييد يدي الشاب المطلوب وعصب عينيه وسلموه إلى الشاباك للتحقيق معه.

كان شامير غاضباً لأنه لم يُطلب منه الموافقة على عملية سلفيت، ونهى بشكل قطعي استخدام غطاء إعلامي مُزيف منذ تلك اللحظة، حاول الرائد أوري بارلي الضابط المسؤول الذي كان في عام 1986 هو الذي نصّب دوفديفان، وحاول تهدئة شامير وشرح سبب أهمية استخدام خُدعة ABC News.

قال السيد بارلي: **"رئيس الوزراء لقد فهمنا أنه كان يبحث فقط عن فرصة للتحدث، كُنا نعلم أن هذه هي أسهل طريقة لإخراجه من القرية دون التسبب في اضطراب ".**

يقول بارلي إنه أحضر شريط الفيديو الذي صوره "الطاقم" لإثبات مدى كفاءة الوظيفة، "وبالتدريج يمكنك رؤية وجه جبهه شامير المُنكمشة أصبح أكثر نُعومة وحتى أنه بدأ يُعجبه".

ابتسم شامير وقال: **"في باطن الأرض كان علينا استخدام التنكر في بعض الأحيان"، لكنه سُرعان ما خرج من الحنين وكرر أمره: "ما حدث قد حدث، ولكن من الآن فصاعداً لا مزيد من استخدام الغطاء الإعلامي ".**

وقال بارلي: **"سيدي رئيس الوزراء نحن في مُنتصف عملية أُخرى بنفس الغطاء، أطلب منكم ألا تحظروا بشكل قاطع استخدام طريقة العمل هذه".**

بعد لحظة من التفكير قال شامير: **"حسناً، حسناً، لكني أمنع استخدام غطاء الصحفيين الأمريكيين".**

تم استجواب دقدوق والحُكم عليه بالسجن لمدة طويلة، لكنه في النهاية خرج حياً، حتى يومنا هذا وفي العديد من الحالات الأخرى يرفض الجيش الإسرائيلي، نشر أرقام دقيقة، حتى بعد أكثر من ثلاثين عام، انتهت أهداف عمليات الكرز بالقتل، قال يوني كورين الضابط في أمان وأحد المُقربين من باراك: **"كان جوهر عملية الكرز هو تنفيذ عمليات قتل ذات طابع ضئيل لنشطاء الإرهاب".**

لاحظ بارلي أن **"أوامر الاشتباك واضحة جداً، إذا شوهد المطلوب ومعه سلاح في يديه أو أي خطر على قواتنا يتم إطلاق النار عليه على الفور".**

كشفت المُحادثات مع أعضاء سابقين في الوحدة أنه في عدد كبير من عملياتها كان من الواضح أن المُشتبه به سيكون مسلحاً، وبالتالي كانت مُهمات قتل مُستهدفة بشكل فعلي، في كثير من الأحيان كان من الضروري إجراء "الإجهاز" لضخ المزيد من الرصاص في الرجل بعد سقوطه، كل هذا دون إعطائه فُرصة للاستسلام.

نفى الجيش الإسرائيلي أن شيري أجرى عملية التحقق من الموت، لكن الدليل جاء بعد مقتل جندي في الوحدة وهو الرقيب إلياهو أزيشا، بنيران صديقة عندما ظن خطأ أنه فلسطيني

مطلوب، وكشف تحقيق أجرته شُعبة التحقيقات الجنائية التابعة للجيش الإسرائيلي عن إطلاق النار عليه عدة مرات للتأكد من وفاته.

الكرز والوحدات الأخرى المُشابهة لها نفذت مئات المُهمات خلال الانتفاضة، الباعة المتجولون، الرعاة، سائقي سيارات الأُجرة المارة الإناث في الشارع، أي نوع من الأشخاص قد يُصادفهم المرء في مدينة أو قرية عربية في ذلك الوقت يُمكن أن يتحول إلى جُندي كرز وفجأة سحب سلاحاً مخفياً، "الإرهابي الذي يُحاول البقاء على قيد الحياة لا يُنفذ الهجمات، قال بارلي: **"إن نشاطنا يضع أعضاء الخلايا الإرهابية في حالة من عدم اليقين المُطلق، لم يعرفوا من أين أتت، ولا يعرفون من يُمكن الوثوق به أو أين يُمكن أن يشعروا بالأمان".**

في بعض الأحيان قام جُنود الكرز بالتظاهر بأنهم يهود إسرائيليون، في شباط (فبراير) 1990 علم "الشاباك" أن فرقة مُسلحة لها صلات بحركة فتح تعتزم مُهاجمة جُنود الاحتياط في جيش الدفاع الإسرائيلي في ساحة المنارة وسط مدينة رام الله بالضفة الغربية، كان رجال الكرز يرتدون زي جُنود الاحتياط: يرتدون زياً رسمياً، وتطل البنادق من قُمصانهم وبنادقهم بعيداً عن متناولهم بينما يجلسون يأكلون الحُمص في مطعم في الساحة، بعد أسبوعين من الانتظار وقع الهُجوم المُرتقب، انطلق "جُنود الاحتياط" إلى العمل، لقد مزقوا الكُرات المصنوعة من اللاتكس وسحبوا المُسدسات الآلية من نوع Micro Uzi التي كانت مُخبأة بداخلهم، أطلقوا النار وقتلوا بعض المُهاجمين، اعتنى القناصة المُنتشرون في الجوار بالباقي.

حقق الكرز والوحدات المُماثلة التي شكلتها الشُرطة والشاباك هدفهم: إلحاق أضرار جسيمة، وأحياناً مُميتة للجماعات الإرهابية الفلسطينية وبالتالي خفض مُستوى نشاطها إلى حد كبير.

لكن هذا النجاح على الرغم من أهميته سلط الضوء فقط على الإخفاقات الإستراتيجية الأكبر في الحرب ضد الانتفاضة الشعبية، ضد الاحتجاجات الجماهيرية ردت إسرائيل بُكل نعومة كالعملاق الأخرق الذي يُحاول صد سرب من الأقزام الرشيقة، اعتقل الجُنود الآلاف من المُتظاهرين، وتم إرسالهم إلى مُعسكرات اعتقال خاصة أُقيمت في جنوب البلاد، وفُرض حظر تجول مُطول على أجزاء كبيرة من سُكان المناطق الفلسطينية، وهُدمت منازل عائلات النُشطاء أو تم تهجيرهم هم أنفسهم، ظلت العديد من المدارس مُغلقة في مُعظم العام.

اللقطات التلفزيونية العنيفة للجيش والتي تم بثها باستمرار أدت إلى تدهور أكبر في مكانة إسرائيل الدولية وزيادة في الضغط عليها، دعا الرئيس الامريكي جورج بوش ووزير الخارجية جيمس بيكر، للجُلوس والتفاوض مع الفلسطينيين.

لكن على الرُغم من الانتقادات الدولية المُتصاعدة والاستياء الداخلي والحاجة إلى إرسال المزيد والمزيد من القوات لقمع الاحتجاجات، رفض رئيس الوُزراء يتسحاق شامير وحكومته الليكودية إجراء مُحادثات مع مُنظمة التحرير الفلسطينية بشأن الأراضي المحتلة، واستمر شامير ووُزراؤه اليمينيون في اعتبار فتح هي القوة الدافعة وراء الانتفاضة، واستمروا في الاعتقاد بإمكانية قمع الانتفاضة باستهداف زُعماء الغوغاء في الأراضي المُحتلة وكذلك رجال عرفات في تونس، حقيقة أن اغتيال أبو جهاد لم يفعل شيئاً لتهدئة الانتفاضة الشعبية ولم يثنهم عن هذا الخيار.

أمر رئيس الوزراء الموساد بالاستمرار في التركيز على جمع المعلومات الاستخبارية عن مُنظمة التحرير الفلسطينية ومعرفة كيفية قتل عناصرها، مدير الموساد شبتاي شافيت والذي كانت سياساته مُشابهة لسياسة شامير امتثل بسعادة، في الواقع أراد أن يذهب أبعد من ذلك: مع اندلاع الانتفاضة، طلب شافيت الإذن لتصفية الحسابات القديمة والقضاء على أعضاء سابقين في أيلول الأسود.

لكن مُنظمة التحرير الفلسطينية شددت من أمنها الداخلي بشكل كبير، حيث أدت غارة القوات الجوية الإسرائيلية على تونس عام 1985 وغارة الكوماندوز اللاحقة على أبو جهاد إلى وقوع العديد من الهجمات، وتشكيل عدد من لجان التحقيق داخل حركة فتح لتحديد مكان التسريب الذي قدم معلومات استخبارية للإسرائيليين، جاءت تلك التحقيقات فارغة ولكن مع ذلك تم اتخاذ احتياطات صارمة في مُنشآت مُنظمة التحرير الفلسطينية.

لم يكن هناك أي وسيلة للموساد لتجنيد عُملاء في تونس، غضبت السُلطات المحلية من الإجراءات الإسرائيلية في أراضيها وقدمت مُساعدة مفتوحة لمُنظمة التحرير الفلسطينية وساعدتها على تشديد الأمن فيها.

وبدلاً من ذلك كما فعل في العديد من عمليات التجنيد، بحث الموساد عن عُملاء مُحتملين بين الفلسطينيين الذين يُسافرون إلى ما يُعرف ببلدان القاعدة، تلك الدول التي يُمكن فيها للنشطاء والضُباط العمل بحُرية نسبية وحيث يكون لإسرائيل تمثيل دبلوماسي.

كانت فرنسا هي الدولة الأكثر مُلاءمة لهذه الأنشطة حيث مر مُعظم مسؤولي مُنظمة التحرير الفلسطينية بعد مغادرة تونس، أقام العديد منهم في فندق Le Méridien Montparnasse في باريس، وهو فُندق فاخر ومُحترم يحظى بشعبية كبيرة بين رجال الأعمال في الشرق الأوسط، ولدهشة موظفي الموساد، بمجرد أن بدأوا التحقيق في الفندق، اكتشفوا أن شركة الخُطوط الجوية الإسرائيلية" شركة إل عال" تتمتع بخصم للشركات في نفس الفُندق، وأن الطيارين وطاقم المقصورة يقضون فترات توقفهم هُناك في كل صباح، شاهدت طواقم المُراقبة التابعة للموساد أعضاء بارزين في مُنظمة التحرير الفلسطينية وهم يمضُغون الكرواسون ويحتسون القهوة بالحليب في نفس الكافيتريا مع طياري إل عال، وكثير منهم كانوا ضُباطاً في سلاح الجو الإسرائيلي والاحتياطي، كُل ذلك بالصُدفة.

من بين رجال مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين كانوا يترددون على الفندق عدنان ياسين، ناشط مُتوسط المُستوى كان مسؤولاً عن الخدمات اللوجستية والأمن في المقر الرئيسي بتونس العاصمة، كما ساعد ياسين رؤسائه في وسائل الراحة الشخصية وتنسيق الإجازات، وترتيب الرعاية الطبية، وشراء السلع الفاخرة: السيارات الرياضية المشحونة في حاويات من مرسيليا، والعُطور باهظة الثمن، والسيجار الكوبي، والمشروبات الكُحولية، الحياة في المنفى بعيداً عن مشقات شعبهم في الأراضي المُحتلة جعلت بعض مسؤولي مُنظمة التحرير الفلسطينية فاسدين للغاية.

اعتنى ياسين بوسائل الراحة الخاصة به أيضاً، في أواخر الثمانينيات غمس العديد من كبار المسؤولين في التنظيم أيديهم في الخزائن، مُستمتعين بالحياة الطيبة على حساب الثورة الفلسطينية، في الموساد تمت الإشارة إلى هؤلاء الرجال بشكل ساخر على أنهم مدور، أي اللغة العربية تعني "المُتسكعون" أو "ثوار الشانزليزيه".

كان ياسين إلى جانب مهامه في مُنظمة التحرير الفلسطينية يتردد أيضاً على باريس لأن زوجته المُصابة بالسرطان تلقت العلاج الكيميائي هُناك، أقام الزوجان دائماً في فُندق Le Méridien Montparnasse ، كان لدى ياسين عُنوان موثوق به وروتين أساسي، وثروة من معلومات مُنظمة التحرير الفلسطينية، في أواخر عام 1989، أطلق أفي دغان رئيس قسم مفرق الموساد، عملية "الصوف الذهبي" المُضاءة باللون الأخضر لتجنيد عدنان ياسين.

في أحد أيام عام 1990 جلس عدنان ياسين لتناول الإفطار مع بعض زُملائه في مُنظمة التحرير الفلسطينية في الفندق، على طاولة قريبة كان رجل يرتدي ملابس شرق أوسطية وُمفتاح غرفته على الطاولة يقرأ صحيفة مطبوعة على صفحات خضراء شاحبة، هذه العناصر هي المُفتاح، لم تكن الورقة موجودة بالصُدفة، بدلاً من ذلك كانت مُجرد دعائم لمجنّدٍ في مفترق الطرق، يحاول إنشاء اتصال أولي مع وكيل مُحتمل، هذه مرحلة حساسة تتطلب الانضباط والصبر، وأوضح ضابط حالة مفرق شارك في عملية "**الصوف الذهبي**" أن "الأهم في هذه اللحظة هو مُحاولة دفع الجانب الآخر إلى اتخاذ الخُطوة الأولى وبدء الاتصال، أو على الأقل ألا تبدو كما لو كنت تحُاول بجُهد كبير، ولا تتصرف بعُدوانية مُريبة، على سبيل المثال قد تكون مُرتاباً في شخص يأتي إلى محطة الحافلات بعدك، ولكن أقل من ذلك بكثير من شخص كان هناك بالفعل عندما أتيت، إذا دخلت مصعداً وهرع أحدهم ورائي ثم نزل في نفس الطابق الذي أقوم به يبدو ذلك مُريباً.

إذا كان هناك، أقل من ذلك بكثير، نحن نتحدث عن عدد لا يُحصى من الفُروق الدقيقة والهدف منها هو السماح للموقف بالتدفق بشكل طبيعي، نادراً ما تقابل شخصاً فاسداً، لتختتم الأمور بتسليمه حقيبة مليئة بالنقود، بالنسبة لأي شخص آخر أنت بحاجة إلى حرفة حقيقية وصبر كبير ".

كان مُفتاح الغرفة الموجود على الطاولة موجود لخلق شُعور بالألفة للإشارة إلى أن الرجل الجالس هناك كان أيضاً ضيفاً في نفس الفُندق، الجريدة ذات الصفحات الخضراء كانت معروفة لأي قارئ عربي سافر إلى الخارج: الشرق الأوسط، التي تصدر في لندن من قبل أحد أفراد العائلة المالكة السعودية وتُعتبر مُعتدلة نسبياً.

كان الموساد محظوظ ذلك الصباح في باريس، سأل أحد الأشخاص في مجموعة الإفطار التابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، وإن لم يكن ياسين نفسه، رجل الموساد عن شيء ما في الصحيفة، سلم المُجند في الموساد الرجل الورقة بشكل مُلائم، ثم تطورت مُحادثة بين الفلسطينيين ورجل الموساد الذي كان يُعاني من آلام في عدم إيلاء أي اهتمام خاص لياسين،

دعا أحد أعضاء المجموعة رجل الموساد للانضمام إليهم، لكنه رفض بأدب وغادر الغُرفة حتى لا يُثير الشك من خلال الظهور بمظهر حريص للغاية.

في صباح اليوم التالي صادفت المجموعة الفلسطينية مرة أخرى عنصر الموساد الذي قدم نفسه على أنه رجل أعمال مصري باسم حلمي، وقاموا بإجراء مُحادثة معه، وبعد يومين جاء ياسين إلى غُرفة الطعام بمُفرده وبحث حوله عن بعض الصُحبة، كان يتحدث العربية فقط، وكان سعيداً برؤية حلمي يقرأ جريدته الخضراء مرة أُخرى، سأل عما إذا كان يُمكنه الانضمام إليه، وكان حلمي سعيداً بقول نعم.

كانت طريقة الاتصال المثالية، وكان ياسين مُقتنعاً بأنه بدأ العلاقة ولم يكن هُناك سبب يدعو للشك، قال حلمي إنه كان يعمل في تجارة الموانئ بين فرنسا والعالم العربي، مُلمحاً إلى أنه جنى الكثير من المال منها، طلب ياسين الجشع أن يلتقي لاحقاً لتناول طعام الغداء في مطعم قريب، ووافق حلمي على ذلك، في وقت لاحق التقيا مرتين أخريين.

من محادثات ومعلومات حلمي التي كانت في حوزة الموساد طور جانكشن فهماً لشخصية ياسين، لم يكن مُمتعاً بشكل خاص، في ملفه يُصور ياسين على أنه مُبتذل وغير مُتعلم وعُدواني وخشن، وكان همه الرئيسي هو وضعه الاجتماعي وملء جُيوبه، أفاد حلمي أن ياسين حاول توريطه في صفقات صغيرة غير مشروعة للعملة وتهريب مواد مُهربة إلى تونس العاصمة، في وقت لاحق شهد رجال الموساد سلوكه المُهين تجاه زوجته، عندما صفعها في الأماكن العامة.

باختصار كان مُجنداً مثالياً في الموساد، تطورت صداقة حلمي وياسين.

في النهاية أخبر حلمي ياسين عن صديقه، رجل أعمال كان على صلة بالسفارة الإيرانية في باريس، قال إن حلمي كسب الكثير من المال بسبب تلك الصداقة، لكنه لم يعرض على ياسين الشراكة قط، لقد توسع فقط بصلاته معه مثل الطعم، مُنتظراً بصبر أن يأخذها ياسين، وعندما سأل ياسين عما إذا كان بإمكانه مُرافقة حلمي في المرة القادمة التي التقى فيها بجهة اتصاله، اعترض حلمي، مثل صياد يلعب في طابور، غير مُستعد لوضع الخطاف، ياسين غضب ورفض حلمي، وأخيراً وبعد شهر من المُناشدات المُتكررة وافق حلمي على تعريفه بجهة اتصاله الإيرانية.

كان رجل الأعمال الذي له صلات إيرانية بالطبع مُجرد ناشط آخر في "المفرق"، لعب دوره بشكل مثالي، ووصف لياسين عدداً من مُبادرات الأعمال المُستقبلية التي خطط لها وأخبره أنه يُمكن أن يكون له نصيب في بعضها، في غضون ذلك قال إن جمهورية إيران الإسلامية قلقة للغاية بشأن محنة الفلسطينيين، كان من المُهم للإيرانيين أن يعرفوا أن مُنظمة التحرير الفلسطينية تعمل بشكل جيد و"تقوم بالأمور الصحيحة"، مما يعني أنه يقصد استمرار الأنشطة الإرهابية ضد إسرائيل خارج حُدودها وتصعيد الانتفاضة في الضفة الغربية وغزة، وقال إن **"الجمهورية الإسلامية ستفعل كُل ما في وسعها لتدمير الكيان الصهيوني وإعادة الفلسطينيين ما هو لهم"**.

أي معلومة يُمكن أن يقدمها ياسين ستكون في مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية موضع ترحيب، وسيُكافأ بسخاء.

كان جانكشن يُراهن على أنه سيكون من الأسهل على ياسين خيانة مُنظمة التحرير الفلسطينية إذا كان يعتقد أنه يبيع أسرارها لإيران وليس للعدو.

دفع الرهان، تبين أن ياسين كان استثماراً استثنائياً للموساد، في مُقابل بضع عشرات الآلاف من الدولارات قدم قدراً هائلاً من المعلومات عالية الجودة خلال جلسات استخلاص المعلومات المُنتظمة في باريس، في المقام الأول قدم معلومات عن حمام الشوط، مقر مُنظمة التحرير الفلسطينية في تونس، مع إعطاء تفاصيل حول الأنشطة اليومية هُناك وعن الخُطط الموضوعة، أوجز ياسين كل شيء بما في ذلك الهياكل التنظيمية المُتغيرة، من جلس في أي مكتب، ومن التقى مع من، وكيف تم تفريق سُلطات أبو جهاد وإعادة توزيعها، ونقل الأسلحة، وكيف تم تأجيج الانتفاضة، والاستعدادات لهجمات إرهابية، وتجنيد الأفراد، لقد وزع تقاريره التشغيلية التفصيلية بتفاصيل جيدة. كان أول من روى عن العلاقة الوثيقة التي تتطور بين سُهى، ابنة الشاعرة الوطنية الفلسطينية ريموندا طويل، والرئيس عرفات، الذي جعل سُهى مستشارة في مكتبه، وتزوج منها بعد وقت قصير.

كما قام عدنان ياسين بنقل خُطة عرفات وأحد عناصره جبريل الرجوب، إلى المُخابرات الإسرائيلية، الخطة كانت لقتل اسحق شامير وآرييل شارون انتقاما لاغتيال أبو جهاد، القاتل المُعين يهودي إسرائيلي مُحبط ومُثقل بالديون اسمه رفائيل أفراهام، هبط في إسرائيل في أكتوبر

1992 حاملاً معه مبلغاً كبيراً من المال وخُطة الاغتيال، علم عدنان ياسين بالخُطة لأنه حجز ترتيبات سفر أبراهام.

كان نُشطاء الطيور ينتظرون أفراهام عندما نزل من الطائرة، ذُهل الرجوب: "**لم أفهم حقاً كيف وصل الشاباك إليه بهذه السُرعة، لم ينجح في فعل أي شيء! نزلت للتو من الطائرة وقفز! هو قبض عليه.**"

كان ياسين يُنبوعاً لا نهاية له من المعلومات، وأصلاً لا يُمكن التخلي عنه، من خلاله كان الموساد قادراً على تتبع العديد من أهداف الاغتيال الرئيسية على الفور، ويرجع ذلك بالأساس إلى أنه الرجل الذي أجرى جميع حُجوزات الطيران والفنادق، حدثت إحدى هذه الحالات في أواخر كانون الثاني (يناير) 1992 بعد أن سمحت السُلطات الفرنسية عبر الصليب الأحمر في فرنسا لجورج حبش رئيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزيارة البلاد لتلقي العلاج، على الرُغم من حقيقة أنه كان على القائمة الأكثر طلباً في العديد من بُلدان العالم، بناءً على استخبارات ياسين فحص الإسرائيليون إمكانية القضاء عليه، لكن الفرنسيين أخذوا احتياطات لحمايته، وبدلاً من الضربة سرب الموساد الأخبار الفاضحة لزيارته لوسائل الإعلام، مما تسبب في إحراج كبير لحُكومة فرانسوا ميتران.

كما كان ياسين يُراقب الرجال الذين يعتقد الموساد أنهم مُتورطون في مذبحة ميونيخ عام 1972، على الرغم من أن غولدا مائير وقعت على الصفحات الحمراء لهؤلاء الرجال قبل عشرين عام تقريباً إلا أن بعضهم ظل طليقًا، قال مُساعد مُدير الموساد شافيت "**من وجهة نظرنا تم فتح الصفحات الحمراء مرة أخرى**".

كان عاطف بسيسو أحد الأسماء البارزة في تلك القائمة والذي كان عضوا في أيلول الأسود وقت الهجوم الإرهابي، وبحلول عام 1992 أصبح مسؤولاً كبيراً في مُنظمة التحرير الفلسطينية، ولم يتضح على الإطلاق الدور الذي لعبه في هُجوم ميونيخ، زعمت مُنظمة التحرير الفلسطينية أنه لم يُشارك على الإطلاق لكن الموساد أصر على أنه كان مُشارك وعلى أي حال، لم يحدث أي فرق، كان شافيت مُصمماً على الانتقام ممن شاركوا في عملية ميونيخ، وكان أي شخص مُرتبط بـ "أيلول الأسود" في ذهنه هدفاً مشروعاً، ومع ذلك فقد كان هذا الأمر يُشكل الهاء للمهمة الأساسية، في هذه المرحلة كانت الانتفاضة قد استهلكت الشرق الأوسط بأكمله، وكانت

الأراضي المُحتلة في حالة اضطراب مُشتعل، كانت لدى إسرائيل احتياجات استخباراتية أكثر إلحاحاً بكثير من قتل الأشخاص لارتكاب فظائع ربما تورطوا فيها أو لم يكونوا قد تورطوا فيها قبل عقدين من الزمن. ومع ذلك أعاد شامير تصديق الصفحة الحمراء لبسيسو، قال ناشط في قيسارية إن السبب هو "**ببساطة لأننا كُنا قادرين على الوصول**"، كان هذا الوصول ياسين.

في أوائل يونيو 1992 غادر بسيسو تونس لعقد سلسلة من الاجتماعات مع المُخابرات الألمانية والفرنسية، وكذلك مع روبرت باير من وكالة المُخابرات المركزية، قال باير: "**في عام 1979 اغتال الموساد علي سلامة الذي كان مسؤول الاتصال مع وكالة المُخابرات المركزية، كُنا على يقين من أنهم فعلوا ذلك لقطع الارتباط معنا، هاني الحسن ثم عاطف بسيسو مكانه، وصلت إلى باريس في ذلك اليوم لعقد لقاء دوري معه** ".

وبحسب عدد من المصادر كانت هذه الاجتماعات سبب رئيسي آخر وراء رغبة الموساد في قتل بسيسو، حيث أدرك الموساد أنه كان أحد الروابط الرئيسية بين مُنظمة التحرير الفلسطينية ووكالات المَخابرات في الغرب بما في ذلك تلك الموجودة في ألمانيا وفرنسا وأمريكا، وكبار مسؤولي المُخابرات الإسرائيلية، يعتقد أن هذه العلاقات كانت خطوة أخرى نحو منح الغرب شرعية دبلوماسية دولية كاملة لعرفات ومُنظمة التحرير الفلسطينية، وعزل إسرائيل، وحقيقة أن الاتصالات الفلسطينية كانت بأيدي أعضاء سابقين في أيلول الأسود، زادت من حدة غضب الإسرائيليين، ولم تلق احتجاجاتهم للدول الغربية آذاناً صاغية، لذلك قررت إسرائيل التعبير عن استيائها بطريقة أكثر مباشرة.

ولأنه أجرى ترتيبات السفر مرة أخرى، علم ياسين أنه في اللحظة الأخيرة قرر بسيسو السفر بالسيارة من بون إلى باريس بدلاً من السفر جواً، وأنه قام بتغيير فندقه من Le Méridien Etoile إلى Le Méridien Montparnasse ، ومن المُفارقات أن بسيسو قام بهذه التغييرات لأنه قلق على سلامته.

كان فريق الحربة ينتظر بسيسو في بهو الفندق، وقاموا بربطه إلى غرفته وانتظروا حتى يتم تفريغه، والاستحمام ويرتدي ملابس المساء، ظلوا بالقُرب منه عندما كان يخرج لتناول العشاء مع أصدقائه في مطعم Hippopotamus القريب ثم عاد إلى الفندق، عندما غادر السيارة عند مدخل الفُندق متجهاً إلى الردهة، أطلق عليه رجلان من الحربة النار خمس مرات، كان

المُسدس الذي استخدموه مزوداً بكاتم صوت، وبعد القتل مُباشرة جمعوا خراطيشهم الفارغة في كيس من أجل جعل الأمور أكثر صُعوبة على المحققين.

وأعلن رجل زعم أنه مُتحدث باسم تنظيم أبو نضال مسؤوليته عن القتل، لكن هذا الادعاء نُفى على الفور من قبل أحد المُتحدثين الحقيقيين للتنظيم، سارع عرفات إلى اتهام إسرائيل، وأعلن رئيس أمان في ذلك الوقت اللواء أوري ساجي بعد ذلك بوقت قصير أنه لا يعرف من نفذ عملية القتل لكنه أضاف أن بسيسو كان مُتورطاً في مذبحة ميونيخ، والهجوم الفاشل على طائرة تابعة لشركة إل عال في روما عام 1978، ومحاولة اغتيال السفير الأردني في لندن.

كان رد الفعل العنيف على مقتل بسيسو سريعاً، كانت وكالة المُخابرات المركزية غاضبة لأن المُوساد قد تدخل مرة أخرى في علاقاته مع مُنظمة التحرير الفلسطينية، كان الفرنسيون أكثر غضباً، بالنسبة لهم كانت الضربة أمام فندق أنيق في باريس انتهاكاً خطيراً للسيادة الوطنية، بدأ العُملاء الفرنسيون في كبح جماح عُملاء الموساد في باريس ووضعهم تحت المُراقبة، واقتحام اجتماعاتهم، وتحديد مصادرهم وحرقها، ولا يزال تحقيق قضائي في جريمة القتل مفتوحاً في فرنسا.

في الواقع لم يكن قتل بسيسو أكثر من مُجرد إلهاء في وقت حرج، إسرائيل التي تم التشهير بها دولياً، كانت بحاجة إلى كُل الحُلفاء الذين يُمكن أن تحصل عليهم.

من ناحية أخرى ليس هُناك شك في أن تصفية شخصية بارزة في مُنظمة التحرير الفلسطينية كانت مسؤولة عن اتصالات عرفات مع وكالات الاستخبارات الغربية كان لها تأثير، أدى القتل المستهدف إلى جانب عمليات أُخرى تستند إلى معلومات استخبارية قدمها ياسين، إلى إضعاف مُنظمة التحرير بشدة خلال هذه الفترة، في منتصف عام 1990 اخترق الموساد والمُدير التنفيذي للعمليات الخاصة في أمان شبكة حاسوب الصمد الاقتصادي، الذراع المالية لفتح وقاموا بتحويل الأموال من حساب إلى آخر بداخله، بطريقة جعلت الأعضاء يعتقدون أن زُملائهم يسرقون أموال المُنظمة وبالتالي زرع عدم الثقة والارتباك، كان المقر في حالة من الفوضى مُنشغلاً بإيجاد الخونة والعملاء، وكانت النتيجة انخفاضاً كبيراً في هجمات التنظيم ضد إسرائيل.

لكن الضربة الأكبر كانت خطأ استراتيجياً فادحاً ارتكبه عرفات بنفسه، دون مُساعدة الموساد في أغسطس 1990 أرسل صدام حُسين 90 ألف جندي عراقي وسبعمائة دبابة عبر الحُدود إلى الكويت الصغيرة الغنية بالنفط، تم إدانة الغزو بشكل شبه عالمي من قبل كُل من الغرب ومُعظم دول الشرق الأوسط، وفي النهاية تم صده من قبل قوة ضخمة مُتعددة الجنسيات بقيادة أمريكية. عرفات ومُعمر القذافي كانا الزعيمين العرب الوحيدين الذين دعموا صدام، ورفضوا الانضمام إلى قرار الجامعة العربية الذي يُطالبه بسحب قواته من الكويت، وشبه عرفات التحالف بقيادة أمريكا، والذي ضم العديد من الدول العربية بـ "**حملة صليبية جديدة**" وأعلن أن صدام هو "**المدافع عن الأمة العربية والمسلمين والرجال الأحرار في كل مكان**"، أثار ذلك غضب دول الخليج المُجاورة، التي اعتمدت مُنظمة التحرير الفلسطينية على أموالها، مع حُفرة الفساد التي لا تشبع الآن، بحلول منتصف عام 1992 كانت المُنظمة مُفلسة، مُنظمة التحرير الفلسطينية عدو إسرائيل لسنوات تم دفعها إلى الجدار أخيراً.

في الوقت نفسه كانت الانتفاضة لا تزال مُشتعلة بالكامل، وهذا الصراع كان يُزعج الجمهور الإسرائيلي بشكل مُتزايد، نشر الجيش الإسرائيلي عشرات الآلاف من الجُنود في الأراضي المحتلة، في المجموع خلال الانتفاضة تم تكليف مئات الآلاف من الجنود معظمهم من ثمانية عشر إلى اثنين وعشرين عاماً من المُجندين، والمُهمة هي مُراقبة السكان الفلسطينيين، بدلاً من القتال للدفاع عن حُدود الدولة، المهمة المركزية المُفترضة للجيش الإسرائيلي، تم تكليفهم بمهام مثل قمع المُظاهرات وتفتيش الرجال والنساء عند الحواجز ومُطاردة الأطفال الذين ألقوا عليهم الحجارة، وكل ذلك جزء من مُهمة شاقة لقمع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال.

عندما عاد هؤلاء الجُنود الشباب إلى منازلهم في إجازات قصيرة، أحضروا معهم إحساساً باليأس من الوظيفة ودار الجدل السياسي في غُرف المعيشة وأماكن العمل بين الآباء والأشقاء القلقين حول السؤال "**لماذا نحن هناك؟** "

على مدى أربع سنوات تحولت الانتفاضة من اضطراب مُنعزل في الأخبار المسائية إلى أزمة لا نهاية لها، وعلى ما يبدو أثرت على مئات الآلاف من العائلات الإسرائيلية، ومما زاد من القلق المُتزايد بشأن الوضع في الأراضي المُحتلة، القلق والغضب اللذين تسببت فيهما سلسلة هجمات الطعن التي نفذها فلسطينيون داخل حُدود "الخط الأخضر" لإسرائيل، كان أهمها قتل

فتاة صغيرة باسم هيلينا راب في ضاحية بات يارن في تل أبيب، في مايو 1992، وأدى ذلك إلى احتجاجات عاصفة ضد الحُكومة وإلى شعور بأن شامير غير قادر على ضمان سلامة المواطنين، في الوقت نفسه تورط شامير في مُواجهة غاضبة مع الإدارة الأمريكية بسبب استمرار البناء في الأراضي المحتلة، ورفض الرئيس جورج بوش الأب المُوافقة على المزايا المالية التي تحتاجها إسرائيل بشدة لاستيعاب مليون مُهاجر يهودي يتدفقون، فيا كان قد تفكك الاتحاد السوفياتي.

أدت الانتفاضة والأزمة المالية الحادة في النهاية إلى إسقاط حُكومة شامير، في 23 حزيران (يونيو) 1992 تم انتخاب يتسحاق رابين، الذي كان يُنظر إليه من قبل الناخبين على أنه أحد أعمدة الأمن ولكنه أيضاً شخص يبذل جهواً حقيقية لتحقيق السلام مع الفلسطينيين.

رابين الذي شغل منصب وزير الدفاع خلال الانتفاضة، تأثر هو نفسه بشدة بالنزاع مع الفلسطينيين، وتوصل إلى نتيجة مفادها أنه يجب التوصل إلى حل وسط.

بعد أن عرقلت أوبرا المخابرات الإسرائيلية، وترنحت من كارثة العراق، لجأ ياسر عرفات مرة أُخرى إلى أُسلوبه الذي تم تجربته واختباره، ووصف المؤرخ الفلسطيني يزيد صايغ الأمر بأنه "**هرب إلى علم**" يهرب بالجري إلى الأمام.

دعم عرفات لغزو العراق الغير شرعي جعل منه شخص منبوذاً، حتى بين رعاياه العرب الأثرياء، من ناحية أخرى حتى لو لم يكن قد بدأ الانتفاضة ولم يستطع السيطرة عليه، فقد كان لا يزال يُنظر إليه على أنه الزعيم الفلسطيني، الرجل الوحيد الذي قد يكون قادراً على التفاوض على السلام، كانت هدية عرفات استغلال الأزمة الأخيرة للتستر على الهُروب من الأزمة السابقة.

سمح عرفات لشعبه بفتح قناة خلفية سرية مع مجموعة من الأكاديميين الإسرائيليين، أولاً في لندن ولاحقاً في أوسلو، في البداية تصرف الأساتذة الإسرائيليون من تلقاء أنفسهم، لكنهم لاحقاً أحضروا نائب وزير الخارجية يوسي بيلين، الذي كان مسؤولاً مباشرةً أمام وزير الخارجية شيمون بيريز.

عندما أبلغ بيريز رابين عن الاتصال بالفلسطينيين أمره رئيس الوزراء بالتخلي عنه على الفور، لكنه غير رأيه بعد ذلك بقليل وتراجع عن إعطاء فُرصة للمبادرة.

لكن المُفاوضات ظلت سرية حتى من قبل رؤساء الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية، وأصدر رابين تعليمات للوحدة 8200 التي تتنصت على الاتصالات الفلسطينية، لإبلاغه بشكل مُباشر وعن أي شيء سمعوه عن النقاش، رسمياً كان هذا من أجل الأمن العملياتي، فأي تسرب يحدث للفصائل الفلسطينية المُختلفة يُمكن أن يُعرقل المُحادثات، بشكل غير رسمي لم يكن رابين متأكد تماماً من أن الرجال الذين أمضوا سنوات في مُحاولة قتل عرفات وأتباعه الذين يُديرون الوكالات التي استثمرت جهوداً هائلة في الحرب على الإرهاب الفلسطيني، يمكنهم إجراء التعديل العقلي الضروري لرؤية عدو سابق شريك في السلام.

كان رابين يعلم أن أي عملية دبلوماسية مع مُنظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن أن تنتهي بالاتفاق إلا إذا تضمنت تنازلات إقليمية، ومع ذلك فإن شريحة كبيرة من السُكان الإسرائيليين عارضت بشدة أي حل وسط من هذا القبيل، لأسباب أيديولوجية ودينية، على سبيل المثال أي تسريب يكشف عن مفاوضات سرية كانت جارية منبثقة، من مصادر داخل دوائر الدفاع أو المخابرات التي اعتقدت أنها خطأ استراتيجي كانت ستكشف عن إمكانية وجود تنازلات إقليمية، وبالتالي قتل التفاوض على الفور.

لكن هذا الاستبعاد للجيش والاستخبارات من عملية التفاوض خلق وضعاً غريباً، بينما كانت أعلى المستويات في الحُكومة الإسرائيلية تحُاول التفاوض على السلام، واصلت وكالات الاستخبارات في البلاد خوض حرب سرية غير مُدركة أن أي شيء قد تغير.

كان الموساد قد استثمر بكثافة في عدنان ياسين وعملية الصوف الذهبي، حيث أن الموساد كان لا يزال يدفع الأرباح، في ربيع عام 1993 بعد أكثر من أربع سنوات من استهداف ياسين كأحد الأصول، أخبر مسؤول ملفه عن مُحادثة أجراها مع أمينة زوجة محمود عباس (أبو مازن)، الرجل الثاني في مُنظمة التحرير الفلسطينية، والذي كان مسؤولاً أيضاً عن الأنشطة الدبلوماسية للمُنظمة. قالت له إن زوجها يُعاني من زيادة الوزن بشكل كبير ويعاني من آلام شديدة في الظهر، كانت تعلم أن ياسين يُمكنه الحُصول على أي شيء تقريباً، واعتقدت أن كُرسي العظام من أوروبا قد يُساعد عباس.

قال لها ياسين "بالطبع" وسألها عما إذا كانت بحاجة إلى أي شيء آخر للمكتب، طلبت مصباحاً ساطعاً بشكل خاص، حيث كان بصر أبو مازن يضعف، وعد ياسين بفعل ما يستطيع.

انتهز الموساد الفرصة وزود ياسين بمكتب جلدي فاخر وكرسي ومصباح طاولة مُزخرف، وكلاهما مزود بميكروفونات وأجهزة إرسال.

أحضر ياسين الأشياء الجديدة إلى مكتب عباس حتى أنه تحمل عناء نقل الكُرسي القديم بنفسه، وشتم كل من أعطى "مثل هذا الأثاث البائس لمثل هؤلاء الأشخاص المُهمين"، وضع الكُرسي الجديد في مكانه، ثُم وضع المصباح على المنضدة، ووصله بالكهرباء وشغّله.

كان المصباح هو الأهم من بين قطعتين من الأثاث لأنه في حين أن أجهزة التجسس المزروعة في الكرسي تتطلب بطاريات يجب استبدالها، يمكن للمصباح أن يعمل كجهاز إرسال لسنوات، مدعوماً بإمداد مُستمر بالكهرباء مُباشرة من الشبكة، احتوى الكُرسي على جهازيْن منفصلين لتوفير الطاقة: مفاتيح زنبركية تُشغل الميكروفونات فقط عندما يلمسها شخص ما، ونظام تنشيط الصوت، مما يعني أنه إذا كان شخص ما جالساً على الكُرسي دون التحدث إلى أي شخص، فإن البطاريات ستظل تعمل بلا توقف.

تم التقاط الإرسالات من الكرسي ونقلها إلى تل أبيب مُنذ اليوم الأول الذي تم وضعه فيه في مكتب عباس، أدرك مُدير المُوساد شافيت كم كان هذا الإنجاز هائلاً: كان أبو مازن محور أنشطة مُنظمة التحرير الفلسطينية، ومر عدد لا يحصى من الأشخاص عبر مكتبه وتبادلوا معه أهم أسرار المُنظمة.

ومع ذلك ظهرت بسرعة كبيرة مسألة أخرى غير متوقعة، علم مدير الموساد من "الكرسي الغنائي" كما كان معروف أن الحُكومة الإسرائيلية تجري مُفاوضات مُتقدمة مع مُنظمة التحرير الفلسطينية من وراء ظهره.

كان رابين قد طلب وحدة SIGINT "استخبارات الإشارة" التابعة لـ أمان 8200 لإحضار أي شيء سمعوه عن المفاوضات إليه مُباشرة، لكنه لم يفعل الشيء نفسه مع الموساد.

واجه شافيت رابين بغضب، واشتكى من ترك الموساد خارج الحلقة، استرضاء رابين شافيت بقوله إنها كانت "**مبادرة هامشية**" من قبل بيريس والتي لم يُعطها رابين أي أهمية.

ثم كما بدأوا فجأة فقد توقفت عمليات الإرسال بعد ثلاثة أسابيع ونصف من زرع الميكروفونات المخفية، توقفت الهوائيات العملاقة في مقر الموساد عن التقاط الإشارات، في البداية اعتقد الإسرائيليون أنه قد تكون هُناك مُشكلة فنية، لكن الفحص أظهر أن جميع الروابط بين الموساد ومكتب عباس كانت في حالة عمل جيدة، وعلى أي حال كان من غير المُرجح أن يتعطل كلاهما في نفس الوقت بالضبط، كان هذا يعني بالتأكيد أنه تم اكتشاف كُل من الميكروفونات، وأن عملية الصوف الذهبي قد تم تفجيرها، وأن أصل جائزتهم، عدنان ياسين كان في خطر مُميت، قال مصدر في قسم مُكافحة الإرهاب في الموساد: "لم نتمكن من فهم كيف كان ذلك ممكناً، وبعد فترة قصيرة جداً من تمكننا من وضع المُعدات في مكانها، تم اكتشافها مع الوكيل الذي فعلها ".

وكان جبريل الرجوب هو من اكتشف وجود المُعدات بمُساعدة المُخابرات المحلية، قال الرجوب: **"لقد شعر شعبنا في أوسلو أن الإسرائيليين كانوا يرون من خلالهم، وأنهم يعرفون بالضبط ما سيقولونه بعد ذلك، وما هي المواقف التي سيتخذونها، أثار هذا شبهات التنصت، ولهذا ذهبنا لتفحص مكتب أبو مازن ".**

ومع ذلك كان لدى مُعظم عملاء الموساد المشاركين في الصوف الذهبي تفسير مُختلف تماماً: لقد خانهم شعبهم، وبحسب هذه النظرية التي لا يُمكن إثباتها لكنها مدعومة ببعض الأدلة الظرفية الجادة فإن أحد المُفاوضين الإسرائيليين في أوسلو اطلع على التقارير حول المعلومات الاستخباراتية التي تم جمعها أثناء العملية وتوزيعها على رئيس الوزراء ورُؤساء أجهزة المخابرات، أدرك أن مصدر الاستخبارات كان نوعاً من أجهزة التنصت في مكتب أبو مازن أو تجسس على أحد خُطوط اتصاله، ثُم أبلغ الفلسطينيين وهو يعلم أنهم سيُحددون مكان الأجهزة ويُفككونها على الفور بمجرد حدوث ذلك، لن يكون لدى المُخابرات الإسرائيلية أي وسيلة لمعرفة ما كان يحدث في المُحادثات مما يعني أنه لا يُمكن لأي من المُتشددين تسريب التفاصيل إلى وسائل الإعلام وافساد المفاوضات، بمعنى آخر قام دبلوماسي إسرائيلي بخيانة المُخابرات الإسرائيلية لمنع المُخابرات الإسرائيلية نفسها من تخريب الدبلوماسية الإسرائيلية، حقيقة أن أحد الأصول الثمينة من المُحتمل أن يتم قتلها كانت خارج الموضوع.

تم القبض على ياسين وتعذيبه حتى اعترف بكل شيء: كيف تم تجنيده والمعلومات التي قدمها وكيف جعله جشعه ضد شعبه، وذُهل عرفات من اعتقال مثل هذا المُساعد الموثوق به، فذهب لرؤية ياسين في زنزانته بمركز التحقيق التابع لفتح ليستمع للقصة بنفسه، كان من المُحتم أن يتم إعدام ياسين، لقد كان خائن بلا شك وكان مُتورطاً بعُمق في مقتل بسيسو.

بعد فترة وجيزة في أوسلو غضب مندوب فلسطيني من اعتقال ياسين ومقتل بسيسو، سأل أحد الإسرائيليين عما يعرفه: **"لا أعرف شيئاً عن هذه القصة"** قال الإسرائيلي الذي لم يكن حقاً طرفاً في أي أسرار استخباراتية ولكنه فهم ما حدث من القليل الذي سمعه من بيريز وبيلين، "لكن دعونا جميعاً نرجو أن تكون هذا هو الاغتيال الأخير،" أضاف كلمة أخيرة باللغة العربية، ان شاء الله.

ورفع المندوبون حول الطاولة أربعة فلسطينيين وثلاثة يهود إسرائيليين ونرويجيان جميعهم نظاراتهم. كان الجو يدعوا للتفاؤل، وقد استمرت المُفاوضات ستة أشهر حتى الآن وأسفرت عن رسائل تاريخية بالاعتراف المُتبادل بين البلدين من رابين إلى عرفات، ومن عرفات إلى رابين، ستتطور هذه الرسائل إلى سلسلة من الاتفاقيات التي أصبحت تُعرف باتفاقيات أوسلو، في المرحلة الأولى أنجبت الاتفاقات السلطة الفلسطينية المُستقلة التي كان من المُقرر أن تحكم مُعظم الأراضي التي يسكنها الفلسطينيون، وتعهد الفلسطينيون بوقف الانتفاضة ونبذ الإرهاب.

بدا الصراع الدموي في الشرق الأوسط وكأنه قد وصل أخيراً إلى نهاية سلمية، غادر ياسر عرفات ومُعظم قادة مُنظمة التحرير الفلسطينية وفتح من تونس وأقاموا في مناطق الحُكم الذاتي الفلسطينية المحتلة.

حتى عدنان ياسين بدا أنه يستفيد من التعاون الجديد، أسفرت اتفاقيات أوسلو عن إنشاء لجان تنسيق أمني مع مندوبين من الأجهزة العسكرية والاستخباراتية من كلا الجانبين، لأول مرة اجتمع كبار مسؤولي الموساد والشين بيت مع رجال كانوا قبل بضعة أشهر قصيرة أهدافهم إما للتجسس أو الاغتيال، وعُقدت الاجتماعات في الاراضي الفلسطينية أو في فنادق في تل ابيب أو حتى القدس، تغلب الطرفان على شُكوكهما الأولية من خلال المُضايقات المرحة المُتبادلة حول الماضي الذي نجح في خداع كلا الطرفين، وما إذا كان الفلسطينيون قد نفذوا عمليات لا يعرفها الإسرائيليون بها، وأين ومتى أحبط الإسرائيليون الخطط الفلسطينية.

استغل الإسرائيليون هذه الأجواء اللطيفة لطلب الرأفة مع ياسين، قال أحد المُشاركين في الموساد في اجتماعات اللجنة: **"لقد طرحناها على أنها نداء لبادرة حُسن نية مُقابل آلاف السُجناء الفلسطينيين الذين تعهدت إسرائيل بالإفراج عنهم كجُزءٍ من الصفقة"**.

لقد عمل أسول الضغط واللين، في النهاية لم يُعدم ياسين، بل حُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً فقط، لقد كانت جُملة مُخففة مع مُراعاة كل الأشياء، في صيف عام 1993 بدا أن ياسين سيعيش ليرى سلاماً دائماً في الشرق الأوسط ان شاء الله.

20

نبوخذ نصر

في ليلة 6 أبريل 1979 خارج حظيرة الشحن على الواجهة البحرية ظهر زوج من المصابيح الأمامية في الظلام، وألقى بمخاريط من اللون الأصفر الأبيض على الرصيف، واتسع مع اقتراب السيارة، كانت سيارة فيات 127 سيدان، مُحرك السيارة يخرق ويصدر قعقعة، ثم توقف مائتي ياردة من البوابة الأمامية.

في لا سين سور مير –وهي بلدية فرنسية– غرب طولون مُباشرة نظر الحارسان وهُما على ساحل فرنسا المطل على البحر المتوسط إلى السيارة بحذر، تنتمي الحظيرة إلى مجموعة CNIM، المُتخصصة في تصنيع مُكونات مُعقدة كبيرة الحجم للسُفن والمُفاعلات النووية، كان هناك دائماً حارسان في الخدمة بثلاث نوبات في اليوم، ثماني ساعات لكل منهما، وكلها مُناورات مُملة.

خطا الحراس بضع خُطوات باتجاه السياج عندما فتحت الأبواب، خرجت امرأتان وهما فتيات جميلات، لكن بدت النساء مُرتبكة، وغاضبات وهن يتأرجحن نحو البوابة.

"**هل تستطيعون مساعدتنا؟**" سألت أحدهم من الجانب الآخر من السياج، هل يُمكن ان تساعدنا؟ وعرفت عن نفسها وقالت إنهم كانوا سائحين بريطانيين، وجاءوا لقضاء ليلة في الريفيرا، لكن سيارتهم الرديئة ظلت تتعطل، ابتسمت وفي ضحكة مُغرية قالت، رُبما لاحقاً يمكن للحُراس الانضمام إليهم في أحد القضبان.

جمع الحُراس بعض الأدوات وفتحوا البوابة وساروا باتجاه السيارة، كانوا يبتسمون.

اندفع خلفهم خمسة من نُشطاء الحربة سطوا من فوق السياج بسرعة ودون ضجة، هذه المُناورة كانوا يمارسونها بشكل مُستمر في قاعدة عسكرية على الساحل الجنوبي لإسرائيل، وبنفس الهُدوء اقتحموا طريقهم إلى الحظيرة، في الداخل قاموا بوضع خمس مُتفجرات قوية في أسطوانتين ضخمتين، قاموا بضبط المُوقتات على المُفجر، ثم انزلقوا للخارج فوق السياج وفي عتمة الليل.

لقد احتاجوا أقل من خمس دقائق للدخول والخروج.

في الشارع أمام الهنجر تمكن الحُراس من تشغيل السيارة، كان الأمر سهلاً بشكل مُدهش ثم وعدت المرأتان– كلا النشطاء الإسرائيليين بمُقابلتهما في وقت لاحق وانطلقوا بالسيارة.

في الوقت نفسه وعلى بعد مسافة قصيرة سار رجل وامرأة يُمسكان بأيديهما ببطء، بدوا مُنشغلين برومانسية وبدا الرجل شعره مشدوداً إلى الوراء، مثل المُمثل الامريكي همفري بوجارت، أطل من فوق كتف المرأة ورأى السيارة تنطلق، استدار الزوجان وعلى بعد بضعة شوارع، ركبا سيارة وانطلقوا أيضاً، كانا مايك هراري، رئيس قيسارية، وتمارا عاملة الموساد.

بعد ثلاثين دقيقة انفجرت الحظيرة، اندلعت ألسنة اللهب في سماء الليل وأضاءت الواجهة البحرية باللونين البُرتقالي والأحمر، أخمد رجال الإطفاء الحريق قبل أن يتم تدمير المبنى بالكامل، لكن كُل شيء بالداخل تعرض لأضرار بالغة بما في ذلك بعض الآلات المُصممة بعناية والتي استغرق تصنيعها أكثر من عامين، إذا تم تجميعها بالكامل مع بقية المكونات، فإنها ستصنع مُفاعلًا نووياً بسعة 70 ميغاواط، كبير بما يكفي لدرجة أنه كان يُعرف باسم مفاعل Osirisclass.

أوزوريس هو إله مصر القديمة للآخرة والعالم السُفلي والأموات، كان الفرنسيون يبيعونها لصدام حُسين، الديكتاتور العراقي الذي رأى نفسه تجسيداً حديثاً لنبوخذ نصر الملك البابلي الذي دمر مملكة إسرائيل.

وبعد ساعات قليلة من التفجير، اتصل مُتحدث باسم مجموعة خُبراء البيئة الفرنسية هاتفيا بإحدى الصُحف ليُعلن المسؤولية، لكن لم يُصدقه أحد وبالتأكيد ليس المُخابرات الفرنسية، افترض الجميع أنهم من الإسرائيليين لأن لديهم الدافع الأكثر إلحاحاً.

—

في حين أن العديد من أجهزة الدفاع والاستخبارات الإسرائيلية كانت غارقة في الوحل الدموي للبنان، استمرت التهديدات الوجودية للأمة الصغيرة في صراع مع الموساد، كان العراق على رأسها، وهو بلد يحكمه جزار مُختل لديه طُموح طويل الأمد ليُصبح صلاح الدين الأيوبي القادم، كان أحد سيناريوهات الكابوس للجيش الإسرائيلي هو انضمام جيش عراقي ضخم إلى الأردنيين لإنشاء جبهة شرقية تُشكل تهديد.

كانت القوات الإسرائيلية مُتورطة سرا في العراق منذ الستينيات، عندما تمردت الأقلية الكُردية المُضطهدة ضد نظام بغداد، زودت الدولة الأكراد بالسلاح وقام جُنود الجيش الإسرائيلي وأفراد الموساد بتدريب المُقاتلين على حرب الكوماندوز، كانت الفكرة وفقاً لماير عميت الذي كان يُدير الموساد في ذلك الوقت، هي "**إنشاء شرق أوسط يُمكننا فيه العمل ضد أعدائنا على عدة جبهات في وقت واحد**"، لتوضيح الأمر بشكل أكثر بساطة كان العراق عدواً مُعلناً لإسرائيل، وكان الأكراد عدواً لبغداد، وعدو عدوي صديقي، في الوقت نفسه سمحت مثل هذه التحالفات للموساد بإنشاء مراكز استماع وأصول استخباراتية أُخرى داخل دول غير صديقة.

ابتداء من عام 1969 بدأ المُستشارون الإسرائيليون ومن بينهم خبير المُتفجرات ناتان روتبرغ، يسمعون عن الرجل الذي أطلق عليه الأكراد "جزار بغداد"، كان صدام حسين التكريتي جزء من الانقلاب البعثي الذي تولى السُلطة في العام السابق، وعُين نائباً لرئيس المجلس الثوري العراقي الثاني في قيادة النظام الجديد ومسؤولاً عن القوات المسلحة وأجهزة المُخابرات، أمر بإلقاء القنابل على المدنيين، وخنق الإمدادات الغذائية لتجويع السُكان المنشقين، وأنشأ شبكة من غُرف التعذيب التي كان يُمارس فيها التعذيب بنفسه.

طلب الأكراد من الإسرائيليين مُساعدتهم على قتل صدام حتى أن روتبرج أعد مصحفاً مُفخخاً لهذه المهمة، وهو نفس التكتيك الذي استخدمه لاغتيال رئيس المخابرات المصرية عام 1956 لكن رئيسة الوزراء جولدا مئير رفضت التوقيع على الصفحة الحمراء، كانت تخشى ألا يخفي الأكراد تورط إسرائيل سراً وأن تتورط حكومتها في فضيحة دولية مع الروس والأميركيين، وكلاهما كان يتودد لصدام في ذلك الوقت.

وفي وقت سابق رفضت مائير فكرة اغتيال عبد الناصر، خوفاً من أن يؤدي قتله إلى إضفاء الشرعية على مُحاولات اغتيالها وحياة وزرائها.

وبقي صدام على قيد الحياة، فقد استولى على حزب البعث وبالتالي على العراق، على الرغم من قسوته وطموحه، بحلول عام 1971 عندما كان يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً، كان صدام قد أزاح جميع خُصومه الجديين في النظام وتولى السُلطة في كل شيء ما عدا الاسم، تاركاً الرئيس أحمد حسن البكر، ليس أكثر من زعيم صوري، (أخيراً سيطرد البكر تماماً في عام 1979) رأى نفسه كشخصية تاريخية وزعيماً عربياً سيجعل العراق قوة إقليمية، وقوة رائدة في العالم العربي، ونفساً لإيران.

اعتقد صدام أن اليهود هم "**خليط من نُفايات وبقايا دول مُختلفة**"، وأراد إعادة رسم الشرق الأوسط بأكمله، ومحو إسرائيل بالكامل، لم يخفِ القاقص هذا الأمر، كتبت صحيفة حزب البعث الجمهورية في آذار / مارس 1974: "**إن وجود كيان صهيوني مُصطنع يرمز إلى إنكار الحق التاريخي للعرب في الوجود وهو إهانة لشرفهم، هذا الكيان العدواني ليس سوى سرطان رهيب ينتشر بشكل خطير خارج حدوده، يجب أن نُحارب الصهيونية بكُل الطُرق المُمكنة، القُدس العربية تنتظر عرب صلاح الدين الذي سيُخلصها من النجاسة التي لطخت به الصهيونية أماكننا المُقدسة** ".

كان المعنى الواضح هو أن صدام حسين سيكون النسخة الحديثة من صلاح الدين وسُيخرج الكُفار من فلسطين.

لكن صدام أدرك أن العراق لن يكون قوة ذات مصداقية بدون ترسانة هائلة، كانت الطريقة الوحيدة لغزو الشرق الأوسط هي امتلاك القُدرة على تدميره وكان صدام يُريد أسلحة نووية.

في عام 1973 وضع الديكتاتور البرنامج النووي العراقي ظاهرياً مشروعاً مدنياً سلمياً تحت سيطرته المُباشرة وبدأ في استثمار "**ميزانيات من المليارات غير محدودة عملياً**" ، على حد تعبير أماتسيا بارام كاتب سيرة صدام البارز، في تطوير مُفاعلات يمكن أن تنتج في النهاية ترسانة ذرية، من الناحية المثالية فإن دكتاتوراً معروفاً بالفعل بقصف شعبه وعازماً على أن يُصبح تهديداً نووياً سوف تتجنبه الدول المُتحضرة، لكن الجُغرافيا السياسية هي عمل مُعقد:

العديد من القوى الغربية بما في ذلك الولايات المتحدة وكان أبرزها فرنسا، أرادت مُمارسة نفوذها في الشرق الأوسط، وما هو غير مُعقد هو مُجرد هُراء: صدام كان يرمي الكثير من المال.

—

كان لفرنسا وإسرائيل تاريخ طويل ومُعقد وصل إلى أدنى مُستوياته في السبعينيات، كانت العلاقة مليئة بالعداء وانعدام الثقة منذ أن انقلب ديغول على الأمة اليهودية في الستينيات، بالنسبة للفرنسيين، بدا احتمال أن العراق يُمثل تهديداً قاتلاً لأمة إسرائيل، أو على الأكثر هو مصدر قلق يُمكن التحكم فيه.

قام الرئيس فاليري جيسكار ديستان ورئيس وزرائه جاك شيراك بتدبير عدد من الصفقات مع العراق في النصف الأول من السبعينيات، كان أهمها بيع مُفاعلين نوويين: مفاعل صغير جداً بقوة مائة كيلو وات، وهو مفاعل Isis class، ومفاعل أوزوريس أكبر بأربعين ميغاوات، والذي كان قابلاً للتوسيع إلى سبعين ميغاواط، دمج العراقيون اسم المُفاعل مع اسم بلدهم وأطلقوا عليه اسم أوزيراك.

على الرغم من أن نية العراق المُعلنة كانت استخدام المُفاعل لأغراض البحث، فإن الفرنسيين كانوا يعرفون أن مُفاعلاً بهذا الحجم سينتهي به الأمر بشكل شبه مُؤكد إلى استخدامه لمُعالجة الوقود للأسلحة النووية، يحتوي قلب المُفاعل على اثني عشر كيلوغراما بنسبة 93 % من اليورانيوم المُخصب بما يكفي لصُنع قُنبلة ذرية، لذلك إذا أوفى الفرنسيون بوعدهم باستبدال قُضبان الوقود المُستهلك فسيكون العراقيون قادرين ببساطة على تحويل بعضها إلى مواد لاستخدامها في الأسلحة النووية.

اعترف العراقيون بذلك: "**البحث عن التكنولوجيا ذات الإمكانات العسكرية هو رد على التسلح النووي الإسرائيلي**" أعلن صدام في مُقابلة في 8 سبتمبر 1975، قبل زيارته لباريس لتوقيع المزيد من الصفقات: "**اتفاق فرانكو العراقي هو الخُطوة العربية الأولى نحو امتلاك أسلحة نووية حتى لو كان هدفنا المعلن في بناء المفاعل ليس تصنيع قنابل ذرية**"، لكن الأمر يستغرق سنوات وخبرات مُحددة للغاية لصُنع قنابل ذرية، يبدو أن أي تهديد مشروع كما يبدو أن الفرنسيين يفترضون، يمكن التعامل معه متى وإذا ظهر.

دفع العراقيون بسخاء كبير وتم تحويل حوالي سبعة مليارات فرنك (2 مليار دولار في ذلك الوقت) مُباشرة إلى فرنسا، كما حصل الفرنسيون على شُروط مواتية وتخفيض في أسعار وارداتهم من النفط العراقي.

ارتبط عدد من الشركات الفرنسية بالمشروع الضخم وتم إنشاء إدارة مُشتركة لإدارة الأمور في باريس وبغداد، ليس بعيداً عن موقع البناء تم تشييد أماكن معيشة فاخرة لألفي مُهندس وفني فرنسي.

لا يُمكن لإسرائيل أن تقف مكتوفة الأيدي، تم تشكيل فريق مُشترك بين الموساد وأمان ووزارة الخارجية، أطلق عليه اسم "**العصر الجديد**" ، "لبذل جُهد خاص ومُركّز للتركيز على نية العراق في الحُصول على أسلحة نووية"، وذلك على حد تعبير ناحوم أدموني، نائب المدير حينها الموساد الذي ترأس الفريق.

تحت ستار رجال أعمال أوروبيين أو ضباط عسكريين أوروبيين في الناتو، اقترب ضُباط قضية جانكشن من كاكيس العاملين في فرنسا الذين يعتقدون أنهم قد يُصبحون مُخبرين، أحد العُلماء الذي أُصيب ابنه بالسرطان وكان يتلقى علاجا رديئا في العراق، تبادل الأسرار للحُصول على رعاية طبية أفضل، كان يعتقد أن يهودا جيل أكبر المُجندين في إسرائيل كان نائب الرئيس التنفيذي لشركة أوروبية معنية بالسلامة النووية.

لكن هذا كان نجاحاً لمرة واحدة، فقد قام صدام ببث الرعب في قلب كُل المُشاركين في المشروع،،

من خلال شريط فيديو ظهر فيه وزراء عراقيين يعدمون مسؤولين آخرين، وقال خضر حمزة أحد مديري البرنامج النووي العراقي: "كان شريطا مرّعباً"، "كان صدام يُرسل رسالة مفادها أنه إذا كان غير راضٍ عنك لأي سبب فأنت ميت".

ومع ذلك كان لدى الإسرائيليين مصادر أخرى: علماء وفنيون وأمناء ومُديرون من المستوى المُتوسط، تم دفع أجور البعض بشكل جيد، آخرون يهود فعلوا ذلك لأسباب أيديولوجية، من خلال أحد هذه المصادر حصل الموساد على "**كتاب المشروع**"، وهو وثيقة تُوضح بالتفصيل جميع الصفقات الموقعة مع العراق، يبلغ عدة مئات من الصفحات، وقد كُتب باللغة الإنجليزية

من قبل علماء فرنسيون، يقول المقدم الدكتور رافائيل أوفيك عالم الفيزياء النووية في جامعة بن غوريون المعين من قبل أمان، "من هذا الكتاب تعلمنا الكثير بما في ذلك تخطيط موقع المشروع حيث يقع المُفاعل والمُختبرات المُجاورة في مركز التويثة للأبحاث النووية . "

الوحدة 8200 ذراع أمان استخبارات الاشارة، أنشأ فريق عمل سري للغاية، أُطلق عليه اسم "**نهاية العالم**"، والذي قام بالتنصت على خطوط الهاتف والتلكس، وقام عُملاء قوس قُزح بزرع أجهزة التنصت في مكاتب العراقيين في باريس.

وتم جمع الكثير من المعلومات الاستخباراتية، ودعت إسرائيل المجتمع الدولي إلى وقف البرنامج، لكن القادة الأجانب الغاضبين ومُنتقدي إسرائيل وحتى بعض المُعارضين المحليين لبيغن اتهموا إسرائيل بذلك، وأصروا على أن المشروع العراقي لا يُمكن أن يضر بإسرائيل، استمر الفرنسيون في التأكيد على أن المشروع كان برنامجاً بحثياً شرعياً تماماً وأنهم كانوا يستخدمون آليات أمنية كافية لضمان عدم تمكن العراق من تطوير قنابل نووية.

وزير الخارجية موشيه ديان الذي عاد من زيارة لباريس استاء من اللامبالاة الفرنسية لطلباته، وحاول مع الأمريكيين بعد ذلك وطلب من واشنطن الضغط على الفرنسيين، ولكن دون جدوى.

استنتجت إسرائيل أن المسار الدبلوماسي قد فشل، في تشرين الثاني (نوفمبر) 1978 سمح مجلس الوزراء الأمني لرئيس الوزراء باتخاذ "**الإجراءات اللازمة**" لوقف المشروع النووي العراقي، أعطيت الموساد الضوء الأخضر للعمل، وخلصت الحكومة إلى أن "أوزوريس" "**يجب أن يُقتل**".

لم يمض وقت طويل على وقوع الانفجار في حظيرة الشحن على شاطئ الريفيرا الفرنسية، المكونات التي فجرها العميل في تلك الليلة تضررت بشدة، واعتقد الإسرائيليون أنهم أعاقوا طُموحات صدام النووية لمدة عامين على الأقل، وهو مقدار الوقت الذي سيستغرقه الفرنسيون لتصُنيع مُكونات جديدة.

لكن الدكتاتور العراقي لن يسمح بمثل هذا التأخير، أمر المشروع بالمضي قدما في الموعد المُحدد، وطالب وزير الدفاع العراقي الفرنسيين بإصلاح القطع وتسليمها في الوقت المُحدد، ورد الفرنسيون بأن الغلاف الذي تم إصلاحه لن يكون قوياً، سيكون استخدامه محفوفاً بالمخاطر

ومن شبه المؤكد أنه سيتعين استبداله في غُضون سنوات قليلة، لكن لم يجرؤ أحد على عبور صدام حسين.

لا يزال بإمكان العراق امتلاك أسلحة نووية في غضون بضع سنوات، قرر مسؤولو الموساد المُحبطون أنهم بحاجة إلى البدء في استخدام تكتيكات أكثر عدوانية.

سيبدؤون في قتل العُلماء، وهي الأهداف الأكثر وضوحاً للتخلص منها.

كان رئيس البرنامج العراقي خضر حمزة وجعفر ضياء جعفر هم "عُقول المشروع وأهم عاماءه"، بحسب د.أوفيك تخرج من جامعة برمنجهام وحصل على درجة الدكتوراه، حصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة مانشستر، وعمل باحثاً في مركز الهندسة النووية في إمبريال كوليدج بلندن.

لكن نادراً ما غادر كلا الرجلين العراق، حيث سيكون النجاح في قتل أي منهما أمراً صعباً للغاية، إن لم يكن مُستحيلاً ومع ذلك، مثلما استأجر عبد الناصر الألمان لبناء صواريخه، جند العراق مصريين للمُساعدة في تطوير برنامجه النووي، وكان من أهم هؤلاء يحيى المشد، وهو مُعجزة فيزياء نووية بجامعة الإسكندرية، أصبح عالِماً أول في مركز البُحوث النووية في التويثة بالعراق، سافر كثيراً بين مصر والعراق وفرنسا، بدأ الموساد في تتبع تحركاته في شباط (فبراير) 1980 وظل يُراقبه باستمرار كلما كان في باريس أو في المعهد الفرنسي للحماية من الإشعاع والسلامة النووية في فونتناي أوروز، بالقُرب من العاصمة.

في أوائل يونيو أعد الفرنسيون شُحنة من اليورانيوم للعراقيين لاستخدامها في مُفاعل داعش الصغير، جاء مشهد إلى فرنسا للتحقق من الجودة، سافر مع اثنين من مساعديه لم يُغادرا معاً، مما جعل الوصول إليه صعباً، كانت خُطة الموساد هي تسميم مشهد عن طريق عُنصر شائع وغير ضار، على غرار الطريقة التي قُتل بها وديع حداد بمعجون أسنان مُلوث عام 1978.

لكن في اللحظة الأخيرة قرر مشهد قطع إقامته في فرنسا، فقد أراد زيارة عائلته في مصر، وهذا يعني أن عُملاء المُوساد لم يكن لديهم الوقت الكافي لتنفيذ خطتهم الأصلية، لكن مشهد

قرر أن يقضي ليلته الأخيرة في باريس وحده، قال حمزة: "سمح لمساعديه العراقيين بالذهاب لأن الفُندق الذي كان فيه كان باهظ الثمن"، "لقد كان رجلاً طيباً قال لهم: "حسنًا قد ترغبون في البقاء في حي تسوق أكثر مُلاءمة وفُندق أرخص يسهل الوصول إليه، لذا يمكنكم اختيار ذلك ".

مع عدم وجود مُساعدين لحمايته أصبح مشهد فجأة هدفاً أكثر عُرضة للخطر، عاد إلى فندقه في حوالي الساعة السادسة مساء يوم 13 يونيو، استحم وبدل ملابسه، وتناول مشروباً وشطيرة في الردهة، ثم عاد إلى غرفته في الطابق التاسع، كارلوس قائد الحربة و عميل آخر اختبأ في استراحة في الممر وكان يُراقب الباب، لقد تغيرت الخُطة بسُرعة كبيرة، ولم يكونوا مُتأكدين مما يجب فعله، كان كارلوس يمتلك مسدساً لكن الأوامر الدائمة كانت أنه لا يُمكن استخدام المُسدسات في الفنادق تحت أي ظرف من الظُروف لأن الرصاص يُمكن أن يخترق الجُدران ويُصيب الأبرياء، كان كارلوس يتأقلم بسرعة.

فتح المصعد حوالي الساعة 9:30 نزلت شابة عاهرة، سارت بجانب الرجلين في الحربة لكنها تجاهلتهما، طرقت باب الغرفة 9041 سمح لها مشهد بالدخول.

انتظر كارلوس وشريكه لمُدة أربع ساعات حتى غادرت العاهرة أخيراً الساعة 1:30 صباحاً، بحلول ذلك الوقت كان كارلوس قد عثر على منفضة سجائر بحامل بالقُرب من المصعد، وبها فراغ طويل ذات قاعدة ثقيلة وساق ضيقة، وآلية كباس في نهايتها العلوية للتخلص من أعقاب السجائر المُتراكمة، فحصها بعناية ووزنها في يديه، وشعر بثقلها، قرر أنها قوية بما يكفي لاستخدامها.

قال كارلوس للعميل الآخر الذي كان مُسلحاً بسكين جيب مُتعدد الاغراض كبير : "خذ نصلتك"، اقترب الرجلان من باب مشهد وطرق الرفيق بابه.

قال مشهد: "من هناك؟" بدا نائما ومُرتاحاً.

قال له كارلوس "أمن الفندق"، "الأمر يتعلق بضيفك الأخير".

تقلب مشهد في غُرفته وفتح الباب، أنزل كارلوس منفضة السجائر بقوة على رأسه، كان مشهد يتمايل إلى الوراء وينهار على الأرض، اندفع كارلوس وراءه وضربه مرة أخرى وكرر ذلك، شكل الدم بُقعة مُنتشرة على السجادة، ولم تكن هناك حاجة للسكين.

غسل النُشطاء الدم من ذراعيهما وشطفهما منفضة السجائر، نزع كارلوس قميصه المُلطخ بالدماء، وجعده ودفعه في جيبه، أثناء مغادرتهم تأكدوا من أن علامة "**عدم الإزعاج**" مُعلقة على مقبض الباب، أعادوا منفضة السجائر إلى مكانها، وأخذوا المصعد إلى الردهة وخرجوا من الفندق.

عثر أمن الفندق على جثة مشهد بعد خمسة عشر ساعة، اعتقدت الشُرطة في البداية أنه تعرض للضرب في لعبة جنسية سارت بشكل خاطئ، لكنهم وجدوا العاهرة وسُرعان ما برأوها، مشهد لم يتعرض للسرقة ولم يكن لديه زوار آخرون، لكن العاهرة تذكرت رؤية رجلين في الردهة.

اكتشف الفرنسيون بسرعة أن الموساد قتل مشهد وكذلك فعل العراقيون، قال حمزة: "اعتقدت أننا جميعاً مُستهدفون وبعد ذلك أصبحت أسافر فقط برفقة ضابط مُخابرات عراقي".

لقد فهم صدام حسين أن عمليات القتل المُستهدفة يُمكن أن تُدمر الروح المعنوية بين العُلماء الذين يعملون في مشروعه النووي، وزع سيارات فاخرة ومكافآت نقدية لجميع كبار العُلماء ودفع تعويضات لزوجة مشهد بقيمة 300 ألف دولار، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت في مصر، ووعدها وأبناء مشهد بمعاش شهري مدى الحياة.

لكنها لم تفعل شيئاً لوقف عمليات القتل، بعد ثلاثة أسابيع من مقتل مشهد، أرسل مُهندس عراقي بريطاني يُدعى سلمان رشيد إلى جنيف لمدة شهرين للتدريب على تخصيب اليورانيوم عن طريق فصل النظائر الكهرومغناطيسية.

كان لديه حارس شخصي لم يغادر جانبه، قبل أسبوع من عودته إلى العراق أصبح رشيد مريضاً بشدة، اشتبه الأطباء في جنيف في وجود فيروس، بعد ستة أيام في 14 سبتمبر، توفي راشد مُتألماً، أظهر تشريح الجُثة أنه لم يكن هُناك فيروس: لقد سممه الموساد ولكن لا يعلمون كيف؟؟ وبأي مادة سامة، لا يُمكن لأحد الجزم بذلك.

بعد أسبوعين شارك مُهندس عراقي كبير آخر، عبد الرحمن رسول وهو مُهندس مدني تولى تشييد المباني المُختلفة للمشروع النووي، في مؤتمر رعته هيئة الطاقة الذرية الفرنسية، مباشرة بعد حفل الكوكتيل والاستقبال الرسمي الذي افتتح المؤتمر، أُصيب بما بدا أنه تسمم غذائي، توفي بعد خمسة أيام في أحد مُستشفيات باريس.

في مطلع آب / أغسطس، تلقى العديد من الفرنسيين المُشاركين في المشروع العراقي رسالة تحذيرية صريحة بأنهم سيكونون في خطر إذا لم يُغادروا على الفور، كان صدام حسين غاضباً وبعد أيام قليلة ألقى خطاباً غاضباً بشكل خاص ضد إسرائيل، ولم يذكر الهجمات ضد العُلماء ولكنه هدد بـ "**تحويل تل أبيب إلى رُكام بالقنابل**".

بدأ عُلماء صدام في الذعر، قال حمزة: "**لا أحد يُريد السفر، لذلك حصلنا على مُكافآت إذا سافرنا**". كما تلقوا تدريبات في مجال الأمن الشخصي والدفاع عن النفس، "يُخبرنا رجل المُخابرات كيف نأكل ولا نقبل دعوة بعد حلول الظلام، ويوجد مرافقين لنا بشكل دائم، لقد تم تدريبنا على حمل معجون أسناننا، وفُرشاة أسناننا وُمعدات الحلاقة لدينا، إما في حقيبة صغيرة أو في جيوبنا ".

استقال عدد قليل من المُقاولين الفرنسيين خوفًا من الموت، وتباطأ المشروع النووي العراقي بشكل طفيف، لكن صدام وضع موارد دولة استبدادية في بناء قنبلة، ويُمكنه توفير فني أو ثلاثة في هذه العملية، تم استبدال جميع العلماء الموتى والخائفين بسرعة، أرسلت فرنسا اثني عشر كيلوغراماً من اليورانيوم المُخصب وشغلت طلباً ثانياً بعد ذلك بوقت قصير.

في أحسن الأحوال كانت إسرائيل قد اشترت بعض الوقت قبل أن يتمكن صدام من استكمال بناء المُفاعلات والبدء في تفعيلها: ربما ثمانية عشر شهراً، وربما عامين، لكن العراق ما زال يتوقع وما زالت إسرائيل تخشى أن يكون لدى صدام أسلحة نووية تعمل بكامل طاقتها ووسائل إطلاقها بحلول نهاية العقد.

كان يتسحاق هوفي مدير الموساد، يعلم أن الاستخبارات وعمليات القتل المُستهدف وعمليات التخريب يمكن أن تفعل الكثير فقط، قال لبيغن في تشرين الأول (أكتوبر) 1980: "**أنا أستسلم، لن نكون قادرين على إيقافه، السبيل الوحيد الذي لا يزال مفتوحاً هو القصف من الجو** ".

بعبارة أُخرى كان السبيل الوحيد المُتبقي هو شن حرب بشكل صريح.

كان هُناك خلاف وصل الى القمة في إسرائيل، حذر بعض كبار مسؤولي المُخابرات في البلاد من أن قصف المُفاعل العراقي سيكون له عواقب دولية وخيمة وأن الأمر سيستغرق سنوات

قبل أن ينتج المفاعل ما يكفي من الوقود للقنبلة، وأن تدميره سيدفع صدام إلى اتباع نهج بديل وأكثر سرية، والتي سيكون من الصعب جداً جمع المعلومات عنها، كان هُناك الكثير من التوتر لدرجة أن بيغن توقف في مرحلة ما عن دعوة رئيس هيئة الطاقة الذرية الخاصة به عوزي إيلام، لأنه عارض الهُجوم، أحد موظفي عيلام البروفيسور عوزي إيفن الذي كان يخشى أن يؤدي تدمير المُفاعل إلى نقل المشروع النووي العراقي إلى مُنشآت سرية، لن تتمكن إسرائيل من مُراقبتها، سرب خطة الهجوم المتوقع إلى رئيس المُعارضة شمعون بيريز، بدوره كتب مُذكرة بخط يده إلى بيغن، يُحذر فيها من أنه إذا مرت إسرائيل بالهجوم، فسوف يتم عزلها دولياً، "مثل العوسج في البرية"، مُستخدماً استعارة النبي إرميا عن مدى عُزلة إسرائيل يكون إذا تركها الله.

لكن رئيس الوزراء بيغن، وأرييل شارون الذي تمت ترقيته مؤخراً إلى منصب وزير الدفاع، ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي رافائيل إيتان، رفضوا كل حجة ضد المُهمة، لقد أيدوا رأي أدموني وقال مسؤولون استخباراتيون كبار آخرون إنه يجب مُهاجمة المفاعل بأسرع ما يُمكن قبل أن يُصبح "ساخنًا" لتجنب الكارثة الإنسانية المُروعة التي قد تحدث في حالة حُدوث تسرب إشعاعي نووي، في مُنتدى العصر الجديد أصر الفيزيائي والضابط الدكتور أوفيك مراراً وتكراراً على أنه من أجل ضمان التدمير الكامل للمُفاعل، يجب تحقيق هدف واحد: "ما يكفي من المتفجرات لتدمير البركة الداخلية التي يجب أن تكون قضبان اليورانيوم فيها مغمورة ".

في 7 يونيو الساعة الرابعة بعد الظهر، أقلعت ثماني طائرات إف –16 من قاعدة عتصيون، في سيناء المُحتلة من قبل إسرائيل لمُهاجمة مُفاعل أوزيراك، تمت مرافقتهم بست طائرات إف –15 لتوفير الغطاء، وتم نشر ستين طائرة أخرى لدعم العملية، بعضها حلّق في الهواء بينما بقي البعض الآخر على أهبة الاستعداد على الأرض، ومن بين هؤلاء طائرات بوينج التي تم تكييفها للتزود بالوقود في الجو والقيادة والسيطرة المحمولة جواً، وطائرات هوك لتوفير المعلومات الاستخبارية، وطائرات هليكوبتر في حالة سقوط طائرة وكان من الضروري إجراء عملية إنقاذ، يمكن للطائرات F–15 التعامل مع أي طائرة ميج العراقية قد تتحدى الطائرات الإسرائيلية، كما أنها تحمل أنظمة حرب إلكترونية مُتطورة لتشويش رادار بطاريات الصواريخ المُضادة للطائرات على الأرض.

كان الطريق يبلغ طوله ستمائة ميل ويمر شمال المملكة العربية السعودية وجنوب الأردن، طار الطيارون على ارتفاع مُنخفض للغاية على ارتفاع أقل من ثلاثمائة قدم فوق الأرض لتجنب الرادار الأردني والسعودي والعراقي.

وصلت الطائرات إلى الهدف نحو غروب الشمس، حوالي الساعة 5:30 مساءً، صعدت طائرات F-16 الثمانية إلى ارتفاع ألف قدم، ونفذت مناورة وأطلقت قنابلها بزاوية خمس وثلاثين درجة. واحدة بعد الأخرى ألقوا قنبلتين من طراز oneton كل واحدة على القبة الخرسانية للمُفاعل، تم ضبط نصف القنابل على الانفجار عند التلامس، والنصف الآخر لن ينفجر إلا بعد أن تحفر في عُمق الهيكل، أصاب سبعة من الطيارين الثمانية الهدف، واخترقت اثنتا عشرة من ستة عشر قنبلة القبة، كما قُتل عشرة جنود عراقيين وفني فرنسي.

تفاجأ العراقيون تماماً، لم يتم إطلاق صاروخ واحد على الطائرات المُهاجمة، ولم يتم إطلاق سوى نيران مُتقطعة وغير مؤذية ضد الطائرات أثناء عودتهم، وصلت جميع الطائرات بأمان إلى القاعدة، حتى يومنا هذا يحملون صورة المفاعل على أنوفهم، جنباً إلى جنب مع الدوائر التي تُمثل الطائرات التي سقطت في القتال.

بحلول مُنتصف الليل تم تحليل لقطات الفيديو التي التقطتها الكاميرات المحمولة جواً، وتوثيق الدمار الهائل الذي لحق بالمفاعل، في الساعة 3 صباحاً، اعترض فريق Apocalypse التابع للوحدة 8200 مُكالمة هاتفية أجراها أحد المُهندسين يصف فيها تفتيش موقع القصف في الظلام. كان المُهندس قد بحث عن المسبح، وهو الجُزء الُمهم في قلب المبنى، ولكن بمُساعدة مصباحه، وجد "قطعاً من الخرسانة المُتفجرة مُغطاة بالمياه" أجزاء القبة التي انهارت إلى الداخل، في "الاستطلاع الاستخباري الفوري" الذي تم توزيعه على كبار المسؤولين الحكوميين ورؤساء مُجتمع المخابرات، أكدت أمان أن حوض المُفاعل قد تضرر بشكل لا يُمكن إصلاحه وأن "**المُفاعل قد دُمر بالكامل**".

قبل الهجوم أوصت أجهزة الاستخبارات إسرائيل بعدم إعلان مسؤوليتها، كانوا يعتقدون أنه بدون إذلال علني محرج، لن يشعر صدام بالضغط لشن هُجوم مُضاد على إسرائيل، وسيكون لديه مساحة للمناورة.

لكن في النهاية قرر بيغن خلاف ذلك تم تنفيذ الغارة على أكمل وجه، وترك الُمفاعل العراقي في حالة دمار هائل، وربما توقفت طموحات صدام النووية بشكل دائم، أراد بيغن الاعتراف

بهذه الحقائق حتى التفاخر بها، كان لديه إحساس قوي بمزاج الجمهور الإسرائيلي، في خطاب ألقاه في الكنيست ساوى بين صدام وهتلر، ومخاطر العراق النووية مع الحل النازي النهائي، "ما الذي كان بإمكاننا فعله ضد مثل هذا الخطر الرهيب؟" سأل بيجن: كان هذا البلد وشعبه سيُبادون، كان من المُمكن أن تحدث محرقة أُخرى في تاريخ الشعب اليهودي".

ألقى صدام خطاباً خاصاً به لقيادة حزب البعث، اعترف بحسرة في إشارة إلى التفجير، "إنه أمر مؤلم، لأن هذه ثمرة عزيزة جاهدنا في جنيها، وهي إحدى ثمار الثورة التي بذلنا من أجلها جهود جبارة سياسياً، علمياً واقتصادياً لفترة طويلة ".

لكنه سُرعان ما انتقل إلى نبرته المُشاكسة المُعتادة، وشتم "الكيان الصهيوني" ومناحيم بيغن.

وتابع صدام: **"على بيغن والآخرين أن يُدركوا أن ما يسمونه الضربات الوقائية التي تهدف إلى منع تقدم الأمة العربية وصعودها ومنعها من استخدام العلم والتكنولوجيا، لن يمنع الأمة العربية من التحرك نحو تحقيق أهدافها، وهذا الأسلوب في الضربات الاستباقية لن يوفر لليهود الأمن الذي يتحدثوا عنه ".**

بعد ثلاثة أسابيع احتفل بيغن مرة أخرى، هذه المرة بفوزه في الانتخابات العامة، كان الموساد والجيش الإسرائيلي مسرورين أيضاً على نجاح العملية وما اعتبروه تدمير للمشروع النووي العراقي، لقد وضعوا العراق في ذيل قائمة أولويات المُخابرات.

—

لكن رد فعل صدام على قصف المفاعل في بغداد كان بالضبط عكس ما توقعته المخابرات الإسرائيلية.

قال الدكتور حمزة: "صدام تحت الضغط يُصبح أكثر عدوانية ويُصبح أكثر تصميماً"، لذلك أصبح المشروع الذي تبلغ تكلفته 400 مليون دولار مشروعاً بقيمة 10 مليارات دولار وأصبح الأربعمائة عالم سبعة آلاف.

أصدر صدام أوامره ببذل جهد كبير في أي وكل المسارات العلمية التي يُمكن أن تقوده في أقصر وقت ممكن إلى اقتناء قنبلة ذرية، ووسائل إيصالها إلى الهدف، وسُرعان ما وجد شركات

غربية مُستعدة لتزويده بمبالغ مالية ضخمة من المُعدات والمواد الخام التي يُمكن استخدامها لأغراض عسكرية لتطوير أسلحة نووية أو بيولوجية أو كيماوية ذات الدمار الشامل.

لم تكشف إسرائيل سوى عن آثار صغيرة لهذه الجهود، كانت إحدى الخُطط التي كشفت عنها هي مشروع كوندور، وهو جهد عراقي ومصري وأرجنتيني مُشترك لتطوير صواريخ من مُختلف الأنواع، تم الحُصول على قدر كبير من المعلومات حول المشروع ونقلها إلى إسرائيل من قبل عُملاء الموساد في الشركات الألمانية المُشاركة في المشروع وفي العالم العلمي في الأرجنتين، وكذلك من قبل جوناثان بولارد الجاسوس الذي يعمل لصالح إسرائيل داخل وكالة المُخابرات الأمريكية، بدأ الموساد بإشعال النيران في مكاتب الشركات الأوروبية المُتورطة، وإرهاب العُلماء بشكل منهجي، بطريقة مُشابهة للطريقة التي تم بها ترهيب عُلماء الصواريخ الألمان في مصر في الستينيات، تلقوا مُكالمات هاتفية من مجهولين تُخبرهم، "**إذا لم تكف على الفور فسنقتلك أنت وعائلتك**".

وضع الموساد خططاً للقضاء على بعض العلماء، لكن اتضح أن الضغط، والحرق المُتعمد، وعمليات الاقتحام، فضلاً عن سُمعة الموساد المميتة، أغفلت الحاجة إلى عمليات قتل مُستهدفة، غادر العُلماء وقلصت الأرجنتين ومصر مُشاركتهما المالية.

في محنته هذه تحول صدام إلى عالم صواريخ كندي، كان يعمل سابقاً في وكالة ناسا، وجيش الولايات المتحدة وإسرائيل، يُدعى جيرالد بول، طالباً منه تطوير صواريخ ومدفع خارق، مستوحى من رواية الخيال العلمي لجول فيرن من الأرض إلى الأرض، في غضون 37 يوماً، يُمكن أن يرسل ذلك حمولات ضخمة لمسافات هائلة حتى طهران (430 ميلاً من بغداد) وتل أبيب (570 ميلاً من بغداد)، أكد بول لعُملائه أن مدفعه الخارق لن يكون له مدى طويل للغاية فحسب، بل سيكون أيضاً وسيلة أكثر دقة وفعالية لإطلاق العوامل البيولوجية والكيميائية، لأن الرؤوس الحربية ستسخن بدرجة أقل من صواريخ سكود التي يمتلكها العراق.

في عام 1989 نصب بول والعراقيون المدفع في جبل الحمرين، 125 ميلاً شمال بغداد، تم إجراء ثلاث تجارب إطلاق.

لسوء حظه لم يأخذ بول على محمل الجد مُكالمات ورسائل التهديد المجهولة التي تلقاها، والتي حذرته من أنه إذا لم ينهي علاقته بصدام على الفور، "**فسيتعين علينا اتخاذ إجراءات قاسية ضدك وضد شركاتك والأشخاص المُتورطين معك** ".

في 22 مارس 1990 كانت فرقة الحربة تنتظره في منزله على بُعد مسافة قصيرة بالسيارة من مكتبه في بروكسل، كان رجلان يختبئان خلف باب بئر السلم، من وجهة نظرهم كان بإمكانهم رؤية بول يتجه نحو شقته، وهو يتحسس في جيوبه بحثاً عن مفاتيحه، بمجرد أن مر وظهره لهم قفزوا من وراء الباب ومسدساتهم ماكاروف الصامتة مسحوبة، أطلق أحدهم رصاصتين على رأس بول وثلاثة في ظهره، بينما بقي الآخر خلفه ليؤمن المنطقة، مات الثور قبل أن يصطدم بالأرض، قام القاتل بجلد الكاميرا والتقط عدة صور لرأس العالم المُحطم، كانت إحداها لقطة مُقربة، وأظهرت أخرى بول مُستلقياً على بطنه في بركة ضخمة من الدم.

تم إرسال الصور في ذلك اليوم إلى الموظفين في شركة مؤسسة أبحاث الفضاء، شركة Bull. وكتبوا في مُلاحظة مُصاحبة: "**إذا ذهبت إلى العمل غداً سينتهي بك الأمر هكذا**"، لم يحضر أحد إلى المكتب في اليوم التالي، وسُرعان ما تم إنهاء الشركة، تأكد الموساد من أن جميع شركات فش بول استوعبت الرسالة أيضاً.

كان المشروع ميتا في الماء، في 2 أبريل بعد أن علم صدام من أجهزته الاستخباراتية بمقتل جيرالد بول، خاطب أمته وتعهد "**بجعل النار تلتهم نصف إسرائيل**".

في الواقع أدى موت بول إلى إبطاء جُهود صدام للحصول على أدوات توصيل طويلة المدى ولم يُعرقل مشروعه النووي بأي شكل من الأشكال، اتضح أن وكالات المُخابرات الإسرائيلية والدول الغربية الأخرى كانت تجهل تماماً الجزء الأكبر من جُهود البحث والتطوير العسكرية لصدام.

قال العميد شمعون شابيرا، من قسم الأبحاث في أمان: "**هذه الشبكة الضخمة والمُتطورة للغاية تعمل تحت أنوف الجميع**"، كان هذا بلا شك أحد أكبر الإخفاقات في تاريخ المُخابرات الإسرائيلية.

قالت شابيرا إن إسرائيل "**حظت أكثر من المعنى**"، لقد أخطأ صدام حسين بغزو الكويت في آب / أغسطس 1990، على افتراض أن الولايات المُتحدة وبقية العالم ستجلس مكتوفة الأيدي

أمام عدوانه، كان على خطأ، لقد جلب على عاتقه تحالف دولي واسع، ضم بعض الدول العربية، طرده من الكويت وأجبره على قبول التفتيش الدولي الصارم.

ثم اكتشف مفتشو الأمم المتحدة ما فاته الموساد بالكامل: بحلول الوقت الذي انطلقت فيه عملية عاصفة الصحراء لتحرير الكويت، في يناير 1991، كان صدام على بُعد بضع سنوات فقط من القُدرة الكاملة للأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية، فضلاً عن القُدرة لتصنيع صواريخ ورؤوس حربية يُمكنها إيصال تلك الأسلحة إلى إسرائيل.

حتى بعد انتهاء الحرب عندما قرر الرئيس جوج بوش عدم غزو العراق وترك صدام في مكانه، ما زال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي باراك يعتقد أن صدام ظل يُشكل خطراً واضحاً وقائماً على إسرائيل، ومن المؤكد أن صدام سيُحاول مرة أخرى تطوير أسلحة دمار شامل ولم تكن هُناك إمكانية للدخول في أي نوع من المفاوضات معه.

في 20 كانون الثاني (يناير) 1992 أمر باراك "**بتشكيل فريق لفحص إمكانية ضرب صدام**"، بعد شهرين في 12 آذار (مارس)، أبلغ الفريق الذ كان برئاسة أميرام ليفين، أبلغ رئيس الأركان عن تقدم الخُطة، وقال باراك للفريق "الهدف **هو من بين أهم الأهداف التي واجهتنا في أي عملية محددة**" وأمر بإجراء الاستعدادات لتنفيذ الخُطة في يوليو من ذلك العام.

تحدث باراك إلى كُل من رئيس الوزراء شامير ورابين الذي حل محله عام 1992، وحاول إقناعهما بضرورة استخدام سلاح الاغتيال لأول مرة ضد زعيم دولة ذات سيادة.

قال باراك بعد ذلك بسنوات: "**بالنظر إلى الماضي تخيل فقط كيف كان بإمكاننا إنقاذ العالم لعقداً كاملاً مع هذا الرجل الرهيب، كان سيبدو التاريخ مُختلفاً** ".

أعطاه رئيسا الوزراء كل من الجُهل للتخطيط للضربة، وقد تم طرح العديد من الأفكار: تحطم طائرة إسرائيلية أو حتى قمر صناعي في مكان ما في العراق، ويُفضل أن يكون ذلك في بغداد، وانتظار مجيء صدام وتفتيش الحُطام، ثم تفجيره معه وحاشيته، إنشاء شركة قش في أوروبا تبيع صدام استوديو تلفزيوني جديد وحديث يبث من خلاله خطبه إلى الأمة، وتجهيزها بمُعدات تبث لإسرائيل، وتفجيرها بينما كان وجهه على الشاشة، تبديل نُصب تذكاري لأحد

رفاقه الثوريين ببديل مُفخخ وتفجيره كما وقف صدام ورأسه مُنحني أمامه في مراسم تذكارية والعديد من المُخططات الأخرى للتخلص من الديكتاتور.

في النهاية تقرر ضرب صدام في المكان الوحيد خارج بغداد الخاضعة للحراسة المُشددة حيث يُمكن للجميع التأكد من أنه هو نفسه وليس أحد رفاقه، سيكون: مؤامرة عائلته في المقبرة في تكريت، من أجل جنازة شخص قريب جدا منه، هذا الشخص يكون عمه خير الله طلفاح الرجل الذي رباه وكان مريضاً جداً.

تابع الإسرائيليون عن كثب العلاج الذي كان يتلقاها طلفاح في الأردن، وانتظروا أنباء وفاته، لكنه ظل متمسكاً بالحياة لذلك تم اتخاذ قرار بشأن خطة بديلة، وبدلاً من طلفة ألغى الموساد برزان التكريتي، سفير العراق لدى الأمم المتحدة.

سيتم نقل الكوماندوز سايرت ماتكال إلى تكريت بطائرات هليكوبتر ستهبط على بعد مسافة ما ثم تتجه إلى المقبرة في سيارات جيب تشبه تماماً تلك التي استخدمها الجيش العراقي ولكنها في الواقع كانت مُجهزة بنظام خاص قلب سقف السيارة، مقلوبة وسحبت الصواريخ الموجهة، عندما يأتي صدام لحضور الجنازة كانوا سيطلقون الصواريخ ويقتلونه، إذا نجحت هذه الخطة كما يعتقد الكثير من المُخططين، فإن رئيس الأركان إيهود باراك سيذهب إلى السياسة ويُصبح مُرشحاً لديه فُرصة جيدة لتولي منصب رئيس الوزراء، سيكون هذا طبيعي فقط للرجل الذي تميز بالعظمة مُنذ أن كان ملازم شاب.

في مُعسكر تسيئليم التدريبي الضخم في صحراء النقب الإسرائيلية بنت وحدة سايريت ماتكال نموذج لمقبرة عائلة الحُسين ومارس التدريب على العملية، عندما كانوا مُستعدين في 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1992 حضر كبار ضُباط الجيش الإسرائيلي لمُشاهدة بروفة عن العملية، واتخذ فريق الضرب بالصواريخ مواقعه، حيث قام أفراد من المُخابرات والطاقم الإداري للوحدة بدور صدام والوفد المُرافق له.

ولكن بسبب عيوب التخطيط الجادة والتعب على أفراد الوحدة جراء جدول التدريب الطويل أخطأ الرجال الذين يحملون الصواريخ فيما كان من المُفترض أن يكون جرياً، حيث تظاهر الجُندي بأنه صدام يُلوح بيده للحشود غير المرئية، من أجل قلة خبرة العنصر سيتم استبدال الجُندي بعارضة أزياء، كانت الأمور غير مُنظمة لدرجة أنه تم استخدام نفس كلمات الكود، "أرسل سيارة أجُرة"، لكل من الفريقين الموجودين.

وأصدر قائد القوة اعتقادا منه أن هذا هو السباق الجاف الأمر: "أرسل تاكسي"، لكن قائد سيارات الجيب التي تُطلق النار ظن أن السباق قد بدأ و"أطلق الصاروخ الأول"، كما أمر وضغط أحد رجاله على الزر وبدأ في توجيه الصاروخ نحو الهدف، عندما اقترب منه لاحظ أن هناك شيئاً ما خطأ ووفقاً لبعض الشهود صرخ "ما هذا؟ أنا لا أفهم لماذا تتحرك الدُمى ".

ولكن بعد فوات الأوان، سقط الصاروخ في مُنتصف الحاشية، بعد ثوان سقط الصاروخ الثاني على الأرض على بُعد أمتار قليلة لكنه لم يُلحق أي ضرر لأن جميع الرجال في المنطقة المُستهدفة كانوا مُستلقين على الأرض قتلى أو مُصابين، أدرك القائد أن شيئاً ما قد حدث بشكل خاطئ، وصرخ "**أوقفوا إطلاق النار! ،،، أوقفوا إطلاق النار! أكرر: أوقفوا إطلاق النار!**"

قُتل خمسة جُنود وأصيب جميع من كانوا في المنطقة المُستهدفة.

من المُحرج أن الرجل الذي يلعب دور صدام كان من بين الرجال المُصابين فقط، تسببت الحادثة في عاصفة سياسية شرسة وشجار قبيح بين باراك وبعض الجنرالات الآخرين حول المسؤول.

الحادث الذي وقع في تسيليم وضع حداً لخُطة اغتيال صدام حسين، فيما بعد تبين أن صدام، خلافا لتوقعات باراك لم يستأنف محاولاته للحُصول على السلاح النووي بعد عملية عاصفة الصحراء.

على أية حال كانت إسرائيل الآن تواجه أعداء جُدد أعداء أكثر خُطورة.

21

هُبوب العاصفة الخضراء

في 13 آذار (مارس) 1978 أقلعت طائرة تنفيذية فاخرة في رحلة سرية من طهران وعلى متنها راكبان قلقان: أوري لوبراني سفير إسرائيل في إيران، وروفين مرحاف رئيس محطة الموساد في إيران، كانا في طريقهما لمُقابلة صاحب الجلالة الإمبراطوري محمد رضا سايروس بهلوي شاه، الذي كان في مقر إقامته في جزيرة كيش على بُعد عشرة أميال من الشاطئ الإيراني في الخليج العربي.

كان الشاه الحاكم المُطلق لإيران طاغية قاسٍ مُصاب بجُنون العظمة أراد تحويل بلاده بسُرعة إلى أرض "أكثر تطوراً من فرنسا"، لقد استثمر عائدات النفط الإيرانية الهائلة في إنشاء جيش قوي وبناء بُنية تحتية حديثة واقتصاد حديث، لقد فرض عملية مُتسارعة من التغريب على رعاياه، الأمر الذي وجده كثير منهم من التُجار في بازار طهران الكبير إلى رجال الدين المسلمين مُسيئاً وضاراً، لكن اعتراضهم لم يُزعج الشاه، وأمر الجيش ومخابراته الوحشية "سافاك" بقمع أي مُعارضة بقبضة من حديد.

استندت سياسة الشاه الخارجية على الروابط السياسية والعسكرية والمدنية الوثيقة مع الولايات المتحدة، كما شكل تحالف استخباراتي وثيق مع إسرائيل أدى ذلك إلى حُصول إيران على قدر كبير من الأسلحة والمُعدات العسكرية من الدولة اليهودية مقابل المال والنفط، كما سمح للإسرائيليين بشن عدد من العمليات المُهمة ضد الدول العربية من الأراضي الإيرانية.

لكن كان لدى لوبراني ومرهاف سبب وجيه للاضطراب، في حين أن روابط إيران مع الولايات المتحدة وإسرائيل كانت قوية كما كانت في أي وقت مضى بدأ حُكم الشاه على بلاده في الانهيار. كانت المُظاهرات ضده تزداد حدة يوماً بعد يوم وكانت حركات الاحتجاج من جميع

الجهات، التجار والشيوعيين واليمينيين والإسلاميين تكتسب السلطة، البيت الأبيض الذي غض الطرف حتى الآن عن انتهاكات حُقوق الإنسان التي ارتكبها الشاه، كان يديره الآن الرئيس الليبرالي جيمي كارتر وبدأ في إظهار الانزعاج المُتزايد من استخدام القوة ضد المُتظاهرين، مما أدى تردد الشاه في نشر جيشه ضدهم.

ومع ذلك لم تفرض العائلة المالكة والقيادة الإيرانية أي قيود على أسُلوب حياتهم المُترفة. بعد فترة وجيزة من الهبوط في جزيرة كيش، كان لوبراني ومرهاف شاهدين على ذلك، كانت الجزيرة محل إقامة الشاه المُفضل وموقع مقره الرئيسي خلال أوقات من العام، يقول مرحاف: "لقد كان ملعباً لجميع الشخصيات البارزة"، كان الدليل على الفساد المُذهل في كل مكان، لقد صُدمنا كثيراً بجو المُتعة والإسراف ".

جاء الإسرائيليان إلى كيش لمُقابلة الشاه ومستشاريه المُقربين من أجل تقييم قوة النظام في مُواجهة المُعارضة المُتزايدة، ومما زاد من قلقهم حقيقة أن العناصر الشيعية المُتطرفة وهي العنصر الأهم في المُعارضة ارتبطت بإخوانهم في لبنان وبدأت تتدرب في المُعسكرات التي أقامها لها ياسر عرفات، قال مرهاف: "هذا المزيج بين ما كان يُنظر إليه آنذاك على أنه القوة الإرهابية الرئيسية التي تعمل ضد مُنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة عرفات في لبنان والشيعة المُتطرفين، بدا لنا أنه يحتوي على مخاطر مُحتملة كبيرة".

وكان أبرز زُعيم للمُعارضة الدينية روح الله الخميني الذي حمل اللقب الوراثي السيد أي "السيد" الذي يستخدمه فقط أحفاد النبي محمد، وحصل على أعلى رُتبة رجل دين شيعي "آية الله العُظمى" كشاب في مسقط رأس عائلته في الخميني كان الثوري المُستقبلي واعظاً معروفاً وخبيراً حاداً في تعقيدات الإيمان، لكنه يفتقر إلى الخطابة الكاريزمية، لكن في عام 1962 في سن الستين خضع الخميني لتغيير جذري: بعد فترة من العزلة خرج من حجرة نومه مُقتنعاً بأن رئيس الملائكة جبرائيل، رسول الله الخاص قد زاره وأخبره أن الله قد قدر له لأشياء عظيمة.

لإنجاز مُهمته تحول الخميني وتخلى عن أسُلوبه المُعقد حتى الآن وبدأ يتحدث ببساطة ولم يستخدم أكثر من ألفي كلمة مُطلقاً، وكرر عبارات مُعينة مراراً وتكراراً حتى أخذت صوت التعويذات السحرية، كان "الإسلام هو الحل" من مُفضلاته، وبدأ يُصور العالم على أنه صدام بين الخير والشر، ويجب اقتلاع الشر وتدميره وهو واجب يجب أن يؤديه الصالحون سواء كانوا قضاة أو جلادين، ووجد أتباعه من الفقراء أن هذا الحديث مُقنع.

في وقت لاحق أعاد الخميني تشكيل الإسلام الشيعي ليتوافق مع الدور القيادي الذي صممه لنفسه لقد تخلص من الفصل الأساسي بين السُلطة المدنية والدينية الذي كان سائداً دائماً في الإمبراطوريات الإسلامية، وأعلن أنه لم تعد هُناك حاجة لملك يتم نصحه من قبل حُكماء دينيين، يجب أن تكون الحُكومة في أيدي الحُكماء أنفسهم، كل الأنظمة الملكية والأنظمة الأخرى في العالم الإسلامي التي لم تكن مُتدينة بشكل واضح مثل رؤساء مصر وسوريا وملك المملكة العربية السعودية وشاه إيران – كانت غير شرعية وكان لابد من استبدالها، فقد قرر أن "الإسلام هو الحل الوحيد".

كان موقف الخميني من موضوع الاستشهاد يهدف أيضاً إلى تمهيد الطريق لتوليه السُلطة، وأوضح لمؤيديه أن أعلى عقوبة في يد الدولة هي سلطة إعدام مواطنيها وأزل هذه العقوبة، بتغيير الموت إلى المُكافأة المنشودة، حيث تصبح الدولة عاجزة، أعلن الخميني وكتب: "أرجوكم اقتلونا لأننا أيضاً سنقتلكم!" وأصدر في وقت لاحق تعليمات لعائلات الشُهداء الثكلى وجيرانهم بإقامة احتفالات مُبهجة لإحياء ذكرى وفاة أبنائهم في حرب إيران المُقدسة.

كانت الخطوة التالية للخميني هي تحطيم أهم العادات التقليدية في اللاهوت الشيعي، لقد سمح للمؤمنين بتشجيعهم على تسميته بـ "الإمام"، وهو مصطلح في التقليد الشيعي مُشابه إلى حد كبير في معناه لمفهوم اليهودية المسيحية عن المسيح الذي بشر قدومه بنهاية الأيام.

في عام 1963 بعد وقت قصير من صياغة مذهبه الجديد، أطلق الخميني حملة مفتوحة ضد الشاه من مدينة قم في إيران.

وهي أقدس مدينة لم يستطع الشاه المخاطرة بقتل آية الله، فتم نفيه بدلاً من ذلك، وجد الخميني ملاذاً في تركيا "كاك" وأخيراً فرنسا.

جذبت الدروس التي قام بتدريسها هُناك المزيد والمزيد من الطُلاب، خلال السبعينيات أصبح من بعيد أقوى مُعارضي الشاه، وبحلول الوقت الذي جاء فيه لوبراني ومرهاف إلى كيش، كان الخميني قد غمر إيران بالفعل بما يقدر بنحو 600000 شريط كاسيت من خطبه في المساجد والأسواق، في المناطق الريفية وعلى الجبال المحيطة بطهران، في البازارات وحتى بهدوء شديد، في المكاتب الحكومية، كان الملايين يستمعون إلى الخطب الحارقة لرجل الدين المُتعصب المُتشدد.

سمعوه يقول أشياء مثل "الشاه المُحتقر، ذلك الجاسوس اليهودي، الأفعى الأمريكية التي يجب سحق رأسها بحجر"، أو "**الشاه يقول إنه يمنح الناس الحُرية، استمع إلى أيها الضفدع المنتفخ! من أنت لمنح الحُرية؟ إن الله هو الذي يفرح، إنه القانون الذي يمنح الحرية، والإسلام هو الذي يمنح الحرية، والدستور هو الذي يمنح الحرية، ماذا تقصد عندما تقول إنك منحتنا الحُرية؟ ما الذي يمنحك القدرة على منح أي شيء على الإطلاق؟ من تظن نفسك؟**"

وقد لوحظ توزيع أشرطة الخميني بالطبع، من خلال عيون السافاك، المُخابرات السرية للشاه، طلب قادة التنظيم من الشاه الإذن بُمداهمة مراكز التوزيع التابعة لآية الله، لكن الطلب رُفض بسبب ضُغوط الرئيس كارتر على الامتناع عن انتهاك الحُقوق المدنية والضعف والارتباك الذي كان يعاني منه الشاه بسبب علاج السرطان الذي كان يمر به.

لم يكن لوبراني ومرهاف على علم بمرض الشاه والذي كان سراً محفوظاً.

تم منح لوبراني فقط للجمهور، رحب به الشاه بحرارة ولكن سرعان ما أدرك أن المحادثة لن تذهب إلى أي مكان، غادر لوبراني الغُرفة الرائعة المُزينة بالذهب في مزاج كئيب، قال لمرحف: "**الشاه مُنفصل عن الواقع يعيش في عالم خاص به يكاد يكون موهوماً، إنه محاط بمُتملقين لا يُخبرونه بالحقيقة عن الوضع في البلاد**"، لقاءات مرهاف برؤساء المخابرات الإيرانية أدت به إلى نفس الاستنتاجات.

بعد الزيارة بفترة وجيزة وجه الاثنان تحذيرًا إلى جهاز الأمن الإسرائيلي، كان حُكم الشاه ينهار، وأدى التحالف النادر الذي نشأ بين المُعارضين العلمانيين والدينيين لنظامه إلى جانب الفساد الصارخ وغياب الملك للعالم الخارجي، إلى زوال وشيك لسلالة بهلوي.

لكن التحذيرات لم تلق آذاناً صاغية في وزارة الخارجية والموساد وفي وكالة المخابرات المركزية، كان المسؤولون مقتنعين بأن مرهاف ولبراني كانا مُخطئين وأن حُكم الشاه صارم، وأن إيران ستبقى حليفة لإسرائيل والولايات المتحدة إلى الأبد.

لقد كان هذا الاستنتاج خطأ فادحاً، فمن مقره الأخير في باريس، وجه الخميني الاحتجاجات الجماهيرية للآلاف، والتيُ سرعان ما أصبحت عشرات ثم مئات الآلاف في مدن في جميع أنحاء إيران.

في 16 كانون الثاني (يناير) قرر الشاه المريض والوهن أنه بدون الدعم الأمريكي، من الأفضل له أن يحزم أمتعته ويُغادر، أخذ صندوقاً به بضع كُتل من الأراضي الإيرانية وسافر مع زوجته وعدد قليل من مساعديه إلى مصر.

في اليوم التالي تحول رئيس الوزراء العلماني الذي عينه الشاه لحكم البلاد، شابور بختيار إلى الرئيس الجديد لإيران، دعا رئيس الوكالة يتسحاق حوفي، إلى اجتماع عاجل لكبار موظفيه في المقر في شارع الملك شاول في تل أبيب، للبت في موضوع اغتيال الخميني الذي كان يعيش في الصاحية الباريسية

كانت الفوائد التي تعود على إسرائيل واضحة: سوف يدين السافاك بامتنان عميق للإسرائيليين، علاوة على ذلك كان من المُمكن أن تؤدي الضربة إلى تحويل مجرى التاريخ ومنع الخميني الذي أوضح وجهات نظره الفظيعة بشأن إسرائيل واليهود، من الاستيلاء على السلطة في إيران، ناقش الحاضرون في الاجتماع عدة نقاط: هل كانت الخُطة مجُدية من الناحية التشغيلية؟ هل مثل آية الله مثل هذا الخطر الجسيم؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل ستكون إسرائيل مُستعدة لتحمل مخاطر القضاء على شخصية دينية بارزة والقيام بذلك على الأراضي الفرنسية؟

قال مُمثل رئيس قيسارية مايك هراري إنه من وجهة نظر تشغيلية لم يكن الأمر مُعقداً ولكن من الواضح، كما هو الحال في جميع هذه العمليات لا سيما تلك التي يجب تنفيذها بمهلة زمنية مُحدودة يمكن أن تسوء الأمور.

قال رئيس فرقة خدم في إيران "دع الخميني يعود إلى إيران، لن يدوم صُمود الجيش وسافاك سيتعاملون معه هو وشعبه الذين يحتجون في شوارع ايران، إنه يمُثل ماضي إيران وليس مُستقبلها وأوضح المدير هوفي أنه يميل "لرفض الطلب لأسباب" فمن حيث المبدأ، لأنه كان يعُارض استخدام الاغتيالات ضد القادة السياسيين، قال يوسي ألفر كبير مُحللي الأبحاث الذي يتعامل مع إيران، للاجتماع: **"ليس لدينا معلومات كافية حول مواقف الخميني أو عن فرصه في تحقيقها، وبالتالي لا يُمكنني تقييم ما إذا كانت المخاطر مُبررة"** بدقة، وافق هوفي على رأي ألفير وقضى بأن المُقترح سيكون سلبي.

كانت هذه الحلقة دليلاً آخر على أن دولة إسرائيل رغم استعدادها في كثير من الأحيان لاستخدام عمليات القتل المُستهدف كأداة تظل مُترددة للغاية عندما يتعلق الأمر بقتل القادة السياسيين حتى لو لم يتم تصنيفهم رسمياً على هذا النحو.

إذا نظرنا إلى الوراء كان ألفر يقول أنه "في وقت مُبكر بعد شهرين من ذلك الاجتماع، أدركت ما كان يدور حوله الخميني، وأنه كان "آسفاً جداً" بشأن القرار لو كان الموساد قد قتل الخميني، بحسب ألفر لكان التاريخ قد اتخذ مساراً أفضل.

—

في الأول من فبراير / شباط هبط الخميني في مطار مهرآباد الدولي بطهران، حيث استقبله الجماهير بالشكل المُنتصر كما لم تشهده إيران من قبل، بقوة صوته المُسجل وحده انهار الخميني ملكية الشاه، أصبح حلم الجمهورية الإسلامية حقيقة، مع عدم استخدام القوة تقريباً، سيطر الخميني وأنصاره على إيران الدولة الشاسعة الغنية بالموارد الطبيعية، والتي تمتلك سادس أكبر قوة عسكرية في العالم وأكبر ترسانة في آسيا.

قال الخميني في أول خطاب له كمُرشد أعلى "**الإسلام لن ولم يموت فمنذ 1400 عام، احييناها بدماء شبابنا ... قريباً جداً سُنحرر القُدس ونُصلي هُناك**،" **أما حكومة شابور بختيار، التي عيّنها الشاه رئيساً للوزراء قبل مغادرته فقد رفضها الخميني ببيان قصير وحاد: "سأكسر أسنانهم".**

الولايات المتحدة "الشيطان الأكبر" كما هدد الخميني، وإسرائيل "الشيطان الصغير"، رأت أن صُعود آية الله كان حلقة عابرة، بعد كل شيء أعادت المُخابرات الأمريكية والبريطانية الشاه إلى السُلطة مرة واحدة من قبل، بعد أن أطاح به المتمردون اليساريون في عام 1953ولكن صُعود الخميني كان تتويجاً لسنوات من التحريض، مدعوماً بالدعم الشعبي الهائل وحمايته من قبل مُلازمين مُحنكين ومُتطورين حددوا وسحقوا كل محاولات الثورة المُضادة.

في نوفمبر اقتحم حشد من الطُلاب الغاضبين من أنصار الخميني السفارة الأمريكية في طهران، واحتلوها واحتجزوا الدبلوماسيين والعاملين هناك كرهائن، كما استولوا على كم هائل من مواد المُخابرات الأمريكية، أدت الأزمة التي تلت ذلك والفشل الذريع لمحاولة الإنقاذ (عملية النسر المخلب) إلى إهانة الولايات المُتحدة وساهمت في فشل كارتر في الفوز بإعادة انتخابه، قال

روبرت جيتس الذي كان مسؤولاً رفيع المُستوى في ذلك الوقت في مكتب البُحوث الاستراتيجية التابع لوكالة المُخابرات المركزية (وبعد ذلك رئيس وكالة المخابرات المركزية ووزير الدفاع): "**شعرنا بالعجز في مُواجهة هذا التهديد الجديد**".

كان من الواضح لكل من واشنطن والقُدس أن ما كان في السابق أقرب حليف لهما في الشرق الأوسط هو الآن ألد أعدائهم.

وسُرعان ما اتضح أن رُؤية الخميني لم تقتصر على الجُمهورية الإسلامية التي أعلنها في إيران، وبدلاً من التمسك بشدة بالسلطة كان آية الله مُصمماً على نشر ثورته الإسلامية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وكان ينوي البدء بلبنان.

تم تكليف رجل دين شيعي يُدعى علي أكبر محتشميبور بمهمة نشر الثورة، وهو أحد أقرب حُلفاء الخميني خلال السنوات التي قضاها في المنفى، التقى الخميني لأول مرة عندما كان يدرس في النجف وهي المدينة المقدسة لدى الشيعة في العراق، حيث وجد آية الله ملجأ بعد أن طرده الشاه، رافقه طوال سنوات منفاه هُناك وفي فرنسا، في عام 1973 أرسله الخميني مع مجموعة من المُنتسبين المخلصين الآخرين إلى الشرق الأوسط لإقامة روابط مع حركات التحرر الإسلامية في المنطقة، كان محتشمبور هو من نسج التحالف مع مُنظمة التحرير الفلسطينية الذي أدى إلى قبول رجال الخميني في قواعد تدريب القوة 17.

في قواعد التدريب قام خُبراء مُنظمة التحرير الفلسطينية بتعليم الشباب فُنون التخريب والعمليات الاستخباراتية وتكتيكات الإرهاب، بالنسبة لعرفات كان تدريب رجال الخميني في قواعده وسيلة لكسب التأييد للقضية الفلسطينية ولجعل نفسه شخصية دولية، لكن بالنسبة للخميني ومحتشامبور كان ذلك جزءاً من استراتيجية طويلة ومركزة: لتمديد الثورة الإسلامية التي كانوا يشعلونها في إيران وفي نهاية المطاف إلى لبنان، وهو بلد صغير في قلب الشرق الأوسط مع عدد كبير من الشيعة الفُقراء الذين أصبحوا جاهزين للانضمام إلى التحريض، أراد الخميني أن يكتسب "موقفاً استراتيجياً مُتقدماً جعلنا نقترب من القُدس" حدود لبنان مع إسرائيل، بحلول عام 1979 تم تدريب المئات من الشيعة كجيش حرب عصابات.

عندما عاد الخميني إلى إيران واستولى على السُلطة لعب محتشامبور دوراً مركزياً في تشكيل فيلق الحرس الثوري الإسلامي القوة التي حافظت على حُكم الخميني داخل البلاد.

قبل الثورة الإيرانية كان المثل الأعلى للدولة الإسلامية رغبة مُجردة بعيدة عن الواقع، لكن الآن أصبح الرجال الذين قضوا حياتهم في الكُليات الإسلامية المُتطرفة في إيران ومُعسكرات التدريب في لبنان أسياد الأرض.

بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من سُقوط الشاه ومع ترسيخ الثورة في طهران عين الخميني مهتشمبور سفير إيران في سوريا، جاء هذا المنصب مع اثنين بشكل علني، كان مبعوثاً لوزارة خارجية بلاده مثل جميع السُفراء الآخرين، في سرا كان عضواً بارزاً في الحرس الثوري وكان يتلقى أوامر مباشرة من الخميني ويقود عدداً كبيراً من الأفراد وميزانية بملايين الدولارات بشكل شهري، كان ذلك الدور السري الثاني هو الأهم بين الاثنين.

في ذلك الوقت كان الجيش السوري يُسيطر على جُزءِ كبير من لبنان لكي تعمل قواته الثورية بفعالية كان الخميني بحاجة إلى التوسط في صفقة مع الرئيس السوري حافظ الأسد، كانت هذه وظيفة محتشامبور: صقل الدبلوماسية التي من شأنها أن تسمح بتحالف عسكري.

على الرغم من عدوهم المشترك إسرائيل كان الأسد في البداية حذراً من مُبادرات محتشامبو، كان السفير الإيراني مُشبع بحماسة ثورية جامحة، يخشى الأسد وهو عربي علماني من أن الغضب الإسلامي الذي يحرضه محتشميبور سيثبت في النهاية أنه لا يُمكن السيطرة عليه وأن ينقلب على نظامه، يبدو أن التداعيات المُحتملة تفوق أي فائدة فورية.

لكن بعد غزو إسرائيل للبنان في حزيران (يونيو) 1982 أعاد الأسد الحساب، كانت الحرب كارثة ليس فقط لإسرائيل ولكن للأسد أيضاً، في المواجهة مع إسرائيل تعرضت القوات السورية لضربة قاضية، الضرر الأكبر الذي لحق بالسلاح الجوي السوري مصدر فخر للأسد، الذي قاده في الماضي واستمر في رعايته، حيث تم تدمير اثنتين وثمانين طائرة حربية سورية في ستة وأربعين ساعة، بينما فقدت إسرائيل طائرة واحدة فقط، خلص الأسد من الغزو الإسرائيلي إلى أن سوريا لن يكون لها فرصة ضد إسرائيل في ساحة المعركة التقليدية وأنه سيتعين عليها

مُحاولة إلحاق الضرر بشكل غير مُباشر، لقد لعبت إسرائيل دوره الصحيح من خلال ترك قواتها داخل لبنان، كانت نية إسرائيل هي ضمان الهُدوء لمجتمعاتها في الشمال لكنها بذلك خلقت جبهة أخرى لنفسها مكشوفة وعرضة لهجمات حرب العصابات.

"الأسد الأب" يقول مئير دغان الذي قاد القوات الإسرائيلية في لبنان في ذلك الوقت، إن حافظ والد بشار، الذي سيخلفه "**كان للأسف الشديد رجلاً ذكياً، لقد بنى جهازاً لإخراج الدم من إسرائيل دون دفع فلس واحد**".

كان هذا الجهاز هو الميليشيا الشيعية المدعومة من إيران والتي كان محتشمبور حريص جداً على تأسيسها، في يوليو 1982 وقّعت إيران وسوريا تحالفاً عسكرياً سمح للحرس الثوري بقيادة محتشمبور بالعمل في لبنان وفي العلن، قدموا مساعدة مدنية للسكان الشيعة، وقاموا ببناء مؤسسات اجتماعية ودينية مثل المدارس والمساجد، لقد قدموا مُساعدات اجتماعية للفُقراء وغيرهم من المُحتاجين، مثل مُدمني المخدرات والكحول، ونظام صحي رفيع المُستوى نسبياً، كانت إيران تمد الجمهور الشيعي اللبناني بكل شيء لم تقدمه لهم الحكومة اللبنانية التي تُهيمن عليها الأغلبية السُنية والمسيحية مُجتمعة.

سرا بدأوا في تدريب وتسليح قوة حرب العصابات التي ملأت الفراغ الذي خلفته مُنظمة التحرير الفلسطينية، وفي غضون عقدين من الزمن أصبحت واحدة من القوى السياسية والعسكرية المُهيمنة في الشرق الأوسط، مستشعرا بالأهمية التاريخية للحركة الناشئة أعطاها محتشميبور اسما فخم، أسماه حزب الله .

أحمد جعفر قصير ولد في السادسة عشرة من عمره لأسرة شيعية فقيرة في قرية دير قانون النهار اللبنانية الصغيرة، قال والديه إنه عندما كان طفلاً "كان يقظاً وفطناً، وهي الخصائص التي دفعته إلى التطور إلى شاب مُستقل بذاته"، في وقت مُبكر من عُمر أربع سنوات، كان يمر بالقرب من والده إلى قطعة أرض زراعية من أجل قطف بعض الخُضار والعودة إلى المنزل قبل أن ينطلق والده في الأعمال الروتينية، سُرعان ما أصبح المسجد المحلي له مزار دائم ، لقد كان المسجد بعيداً عن المنزل حيث كان أحمد يذهب هناك كثيراً للصلاة وقراءة القرآن.

كان من الشيعة الذين انجرفوا في حماسة بحزب الله، وفي خريف عام 1982 تم تجنيده في فرقة عسكرية سرية تُعرف باسم الجهاد الإسلامي، نفذ أحمد سرا عدة عمليات عسكرية ضد العدو الإسرائيلي، كما استخدم براعته في نقل الأسلحة من بيروت إلى "**حيثما كان ذلك ضرورياً لمواجهة قوات العدو الإسرائيلي**".

في صباح 11 نوفمبر قبل الساعة السابعة بقليل قاد سيارة بيجو بيضاء مُحملة بالمتفجرات باتجاه مبنى من سبعة طوابق يستخدمه الجيش الإسرائيلي كمقر إقليمي للجيش والحُكومة في مدينة صور الجنوبية، عندما اقترب ضغط قصير بقوة على دواسة الوقود ووجه نحو قاعدة المبنى، ثُم فجر نفسه.

دمر الانفجار المبنى وقتل ستة وستين جندياً إسرائيلياً، من شرطة حرس الحدود وعناصر الشاباك، بالإضافة إلى سبعة وعشرين لبنانياً: عُمال ومدنيون يحتاجون إلى تصاريح مُختلفة من الجيش، وأيضاً قتل الانفجار سُجناء، كان هذا أول هجوم إرهابي انتحاري إسلامي خارج إيران، وقد قتل إسرائيليين أكثر من أي هُجوم آخر من هذا القبيل قبل أو بعد ذلك.

لسنوات احتفظ حزب الله بضُلوعه وهويات المُتورطين في السر، في وقت لاحق فقد قامت الميليشيا ببناء نُصب تذكاري للقصير في قريته، ونشرت رسالة تقدير كتبها المُرشد الأعلى الخميني إلى العائلة وأعلنت أن تاريخ وفاته هو عيد الشهداء السنوي.

في مؤسسة الدفاع التي حاولت بسرعة التستر على إهمالها الهائل في السماح للهجوم الانتحاري بالحدوث، رئيس الشاباك على الجبهة الشمالية حينها كان يوسي جينوسار الذي كانت وحدته مسؤولة عن جمع المعلومات ومنع الهجمات مثل تفجير قصير الانتحاري، جينوسار ومع بعض مرؤوسيه وكبار ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي ضللوا التحقيق في الكارثة ووجهوه بعيداً عن الحقيقة حتى توصلوا إلى نتيجة مفادها أن الانفجار نجم عن "عيب فني في عبوات الغاز في المطبخ وليس عملية جريئة من قبل التنظيم الشيعي المتشدد الجديد.

لكن في حين أن جينوسار ربما كان يخدم نفسه بشكل فاضح في هذه الحالة، على نطاق أوسع لم تكن المُخابرات الإسرائيلية على دراية بالقوة المُسلحة الجديدة الصاعدة من وسط لبنان، أول سيارة هجوم إرهابي شُنت بهجمات حزب الله النارية والقنابل المزروعة على جوانب الطرق التي استهدفت المركبات العسكرية، ورفضها كل من أمان والشين بيت باعتبارها "**ليس أكثر من مصدر إزعاج تكتيكي لقوات الجيش الإسرائيلي**".

قال بيكوتيل (كوتي) مور وهو ضابط كبير في أمان وبعد ذلك السكرتير العسكري لوزير الدفاع رابين: **"لقد بدأنا في استيعاب كُل شيء بعد فترة، لقد فاتنا العملية، وبدلًا من الارتباط بالشيعة، حافظنا على التواصل مع المسيحيين وجعلنا غالبية اللبنانيين أعداءنا** "، والأسوأ من ذلك لم يُدرك أحد في ذلك الوقت العلاقة بين الإيرانيين والشيعة في لبنان بأن ميزان القوى كان يميل من قبل ثوار الخميني المُتحالفين مع الأسد، قال ديفيد باركاي من الوحدة 504 **"لفترة طويلة لم نُدرك أبداً أن النشاط المُهم كان يخرج من مكتب محتشامبور في دمشق"**.

وبالمثل لم يكن جهاز المُخابرات الإسرائيلي الهائل على دراية بجيش الظل الذي يتشكل حوله والذي يتكون من مُجندين جُدد ومُقاتلين مُتمرسين مثل عماد مغنية، ولد مغنية عام 1962 للشيعة المتدينين، ونشأ في الأحياء الفقيرة والمُزدحمة جنوب بيروت، وروى الجاسوس الإسرائيلي أمين الحاج (رومينيجه) وهو شيعي، **"كان والده عاملاً في مصنع حلوى في بيروت، وكُنا على اتصال عندما كنا أطفالًا، كان شقي جدا، في وقت لاحق سمعت أنه ترك المدرسة وانضم إلى مُعسكر تدريب للقوة 17 وانقطع الاتصال بيننا** ".

في منتصف عام 1978 أصبح مغنية عضوا في القوة 17 وحرس ياسر عرفات وقوة النُخبة في فتح، استولى علي سلامة على مغنية تحت جناحه حتى قتله الموساد عام 1979،أراد مغنية الانتماء إلى شيء أكبر من عصابة محلية في جنوب بيروت وأراد التحرك نحو ذلك، رأى سلامة وخلفاؤه فيه شخصاً مُقتدراً وذكياً وجذاباً وغير مُقيّد، ورغم أنهم كانوا من السُنة الفلسطينيين وأن مغنية كان شيعياً لبنانياً إلا أن مصالح الطرفين تقاطعت، في ذلك الوقت كان أتباع الخميني فُقراء، الإيرانيون المنفيون وحلفاؤهم اللبنانيون مُمتنون لمُنظمة التحرير الفلسطينية على كرم ضيافتهم ودعمهم.

كان مغنية يتصرف تحت رعاية القوة 17 لكنه اكتسب سُمعة باعتباره زعيم عصابة من السفاحين الذين يُطبقون القوانين الإسلامية والسُلوك المُتواضع في شوارع بيروت والتي كان يُنظر إليها آنذاك على أنها معقل للعادات الأوروبية الليبرالية في القلب، بدأت المُخابرات الإسرائيلية تتلقى تقارير عن **"مُختل عقلياً مُتطرف غير مُقيد" كان يتقل عاهرات وتُجار مخدرات في بيروت**.

بعد ثلاث سنوات عندما أخلت مُنظمة التحرير الفلسطينية بيروت قرر مغنية وإخوته فؤاد وجهاد البقاء في لبنان والانضمام إلى ما اعتبروه بحق القوة الصاعدة التالية أي حزب الله، أصبح مغنية على الفور أحد أهم عناصر التنظيم ولمدة نصف عام ترأس التفاصيل التي كانت تحرس الشيخ محمد حسين فضل الله المرجع الشيعي الأعلى في لبنان، و "البوصلة الروحية لحزب الله"، كما مثل الشيخ في اجتماعات في مكتب محتشامبور بدمشق، حيث خطط كبار المسؤولين الإيرانيين ورجال المُخابرات السورية لاستراتيجية للبنان، احتلت إسرائيل الجنوب والبعض الآخر احتلته القوات المُتعددة الجنسيات الأمريكية والفرنسية والإيطالية الذين تم نشرهم هُناك لمُحاولة إنهاء الحرب.

إلى الحرب الأهلية الرهيبة التي تعصف ببلنان أراد كل من السوريين والإيرانيين طرد المُحتلين، لكن لم يستطع أي منهما تحمل مُواجهة عسكرية مُباشرة أو كسبها، في تلك الاجتماعات اتفقوا على حملة خفية من التخريب والإرهاب.

تم تكليف مغنية بتنظيمها، أسس هو ومحتشامبور حركة الجهاد الإسلامي التي جندت الصبي الذي فجر مقر الجيش الإسرائيلي في صور، كانت إضراب افتتاحي مُدمر وكانت البداية فقط، ولمّح الشيخ فضل الله إلى ما سيأتي في مقال نُشر في مجموعة مقالات دينية في شباط / فبراير 1983، وكتب: **"تعتقد أن المُستقبل فيه مفاجآت، الجهاد مرير وقاس، ستنمو من الداخل بفضل الجهد والصبر والتضحية وروح الاستعداد للتضحية بالنفس ".**

من خلال "التضحية بالنفس" كان فضل الله يُشير إلى العقوبة الدينية التي منحها الخميني لجنوده الشباب، وبعضهم ليس أكثر من الأطفال الذين تعرضوا لغسيل دماغ من أجل المضي قُدماً نحو الموت المُحقق من خلال حُقول الألغام التي زرعها الغزاة العراقيون، وذهب فضل الله خطوة أبعد من ذلك حيث منح الموافقة على الانتحار المُتعمد في خدمة الجهاد، بدأ حزب الله بتنفيذ عمليات انتحارية في لبنان وسرعان ما أتقن مغنية وحزب الله الطريقة وحولاها إلى فن.

في 18 نيسان 1983 قاد أحد رجال مغنية شاحنة صغيرة عبر الباب الأمامي للسفارة الأمريكية في بيروت وقام بتفجير طُن من المُتفجرات المحشوة بداخلها، تم هدم واجهة المبنى بالكامل، وقتل 63 شخص بما في ذلك جميع أعضاء محطة وكالة المُخابرات المركزية في لبنان تقريباً، بالإضافة إلى كبير خُبراء الوكالة في الشرق الأوسط روبرت أنيس.

ثم في 23 أكتوبر / تشرين الأول اقتحم انتحاريون بشاحنات مليئة بكميات ضخمة من المُتفجرات مُنشأتين تابعتين للقوة المُتعددة الجنسيات في بيروت وفجروها في ثكنات مشاة البحرية الأمريكية، قُتل 241 جندي من قوات حفظ السلام، وفي قاعدة المظليين الفرنسيين كان هُناك 58 قتيلاً، جلس مغنية فوق بناية شاهقة قريبة وشاهد الإجراءات من خلال التلسكوب، سقطت شظايا خرسانية وأجزاء من الجُثث على مقر الشاباك في بيروت على بُعد حوالي ميل واحد من مُنشأة مُشاة البحرية المُحترقة.

في 4 تشرين الثاني (نوفمبر) 1983 رأى نكد صربوخ وهو شُرطي حرس الحُدود الإسرائيلي الذي كان يحرس قاعدة للجيش في صور، شاحنة بيك آب مشبوهة تسُرع باتجاه القاعدة، وفتح النار باتجاه السيارة ورشها بـ 130 رصاصة، لكنه فشل في إيقافها، اقتحم السائق الانتحاري القاعدة وفجر عُبوة ناسفة وزنها خمسمائة كيلوغرام كان يحملها، انهار المبنى الذي كان يضم عملية الشاباك في القاعدة، كما أُصيبت المباني والخيام المُحيطة بها، قُتل ستون شخص وجُرح عشرين آخرين.

إذا كانت إسرائيل قد تمكنت من شطب هُجوم صور الأول قبل عام تقريباً باعتباره حادثاً تقنياً، بحلول وقت القصف الثاني في صور لم يعد ذلك مُمكنا، بفضل هذه الهجمات الانتحارية التي خطط لها وأدارها مغنية حصل محتشمبور على ما كان يُريده بالضبط: تم حل القوة المُتعددة الجنسيات وانسحبت إسرائيل على مراحل من مُعظم الأراضي اللبنانية إلى أن تركزت قواتها في منطقة "أمنية ضحلة" في جنوب البلاد.

بعد الهُجوم الثاني على مدينة صور بدأت أجهزة المُخابرات الإسرائيلية تدرك أنها تواجه نوعاً جديداً من الأعداء، وذلك يُمثل تحدياً كبيراً، بدأ كبار أعضاء الموساد والشين بيت وفُروع مُختلفة من الجيش الإسرائيلي يُفكرون في إمكانية استخدام عمليات القتل المُستهدف مرة أخرى، هذه المرة ضد خصم جديد.

بالنسبة للموساد كان من الواضح أن عماد مغنية هو الأولوية الأولى، لكن كان لديهم القليل من الذكاء فقط صورة باهتة – وليس لديهم فكرة عن مكان العُثور عليه، ومع ذلك أدرك الموساد أن التنسيق بين إيران وحزب الله تم في سفارة محتشمبور الإيرانية في دمشق وليس في بيروت.

في نهاية عام 1983 أعطى مُدير الموساد ناحوم أدموني رئيس الوزراء يتسحاق شامير صفحة حمراء للتوقيع، تضمن الملف المُرفق مجموعة من التفجيرات الانتحارية والهجمات الإرهابية الأخرى، بما في ذلك الهُجمات على السفارة الأمريكية وثكنات مُشاة البحرية الأمريكية في بيروت.

الاسم الموجود على الصفحة الحمراء كان علي أكبر محتشامبور، المبعوث الإيراني إلى سوريا، دبلوماسي رسمي، لم تكن هذه توصية عرضية ولم يوقعها شامير إلا بعد الكثير من التردد والنقاش، كقاعدة أساسية امتنعت إسرائيل عن استهداف مسؤولي الدول ذات السيادة بغض النظر عن مدى عداءهم للأمة اليهودية، لكن كان لا بد من فعل شيء لوقف حزب الله، شخص ما شخص مهم كان يجب أن يموت.

وقع شامير على الصفحة الحمراء.

كانت المُشكلة الأولى هي الوُصول إلى موه تشاميبور، أمضى وقته إما في طهران أو دمشق وكلاهما عاصمتا البلدان المستهدفة حيث لم تعمل الحربة وحيث لم يكن من المُفترض أن تنفذ قيسارية عمليات القتل المُستهدف إلا في حالات استثنائية، اعتبرت كلتا العاصمتين ساحتين صعبتين بشكل خاص حيث تزحف الشُرطة المشبوهة وأعضاء المُخابرات في البلدين، علاوة على ذلك كان السفير يرافقه دائماً حارس شخصي مُسلح وسائق، كل اقتراح يتضمن الاقتراب من محتشامبور أو في المناطق التي كان يتردد عليها إطلاق النار عليه أو زرع قُنبلة أو التسمم – تم استبعاده خوفاً من أن العُملاء سيتم القبض عليه.

بقي خيار واحد: وهو التفجير عن طريق حزام ناسف يتم تسليمها عن طريق البريد، ولكن عندما تم اقتراح الفكرة في أروقت الأجهزة الامنية وأُثيرت الاعتراضات على الفور، المخابرات الإسرائيلية لديها بالفعل خبرة واسعة في استخدام مثل هذه الحزمة، نجحت الطريقة مرتين في تصفية رئيس المُخابرات العسكرية المصرية في غزة وتصفية زميله المُلحق العسكري المصري في عمان الأردن عام 1956، ولكن في جميع الحالات الأخرى العلماء الألمان في مصر، مجرمي الحرب النازيين في دمشق، وموظفي مُنظمة التحرير الفلسطينية في جميع أنحاء العالم

تم اكتشاف الطُرود في الوقت المُناسب، أو انفجرت في يد الشخص الخطأ أو تسببت فقط في الإصابات وليس الموت.

قال أحد المُحاربين القُدامى في قيسارية: "أخبرتهم أن الأمر غبي وحتى طفولي قليلًا وأنهم اختاروا طريقة عمل لا تضمن إبطال الهدف تماماً"، لكن المُعارضة أُغلقت، كانت المُتفجرات البريدية هي الخيار الوحيد الذي لن يُعرض العميل لخطر غير ضروري.

في 14 شباط (فبراير) 1984 وصل طرد كبير إلى السفارة الإيرانية في دمشق، ظاهرياً أنه أُرسل بالبريد من دار نشر شهيرة في لندن يملكها إيرانيون، رأى موظف الاستقبال في السفارة أنه تم تمييزه بوضوح بأنه شخصي للسفير، ونقله إلى مكتب محتشامبور في الطابق الثاني، وقام سكرتير المبعوث بفك غلافه ورأى صندوقاً من الورق المُقوى يحتوي على مُجلد رائع باللغة الإنجليزية عن الأماكن الشيعية المُقدسة في إيران والعراق، اكتفى بإلقاء نظرة خاطفة على الغلاف ثم أخذت إلى غُرفة السفير.

فتح محتشامبور الكتاب وحدث انفجار، مزق الانفجار إحدى أذنيه ويده ومُعظم أصابع يده الأخرى، ودمرت الشظايا إحدى عينيه.

وقال لاحقًا لمراسل تلفزيوني إيراني، وهو يفتح يديه بالقرب من وجهه ورقبته: "لو فتحت الكتاب بهذا الشكل، لكان رأسي قد انفجر، لكنني وضعت الكتاب على طاولة وفتحته هكذا "هنا أبقى وجهه وجسده بعيداً عن الكتاب الوهمي" وأحدث الانفجار ثُقباً في الحائط، وكانت يدي هُناك داخل الحائط، ولو كان الكتاب قد فُتح هكذا "بالقرب من وجهه" لكان وجهي قد تمزق من عُنقي، العلامات التي على باقي جسدي هي من شظايا الانفجار ".

قُنبلة بريدية أُخرى قد أخطأت، قال المحارب القيساري المُخضرم الذي اعترض على المؤامرة: **"الهدف من عملية العلاج السلبي هو قتل الجسم، لا يوجد شيء مثل نصف ميت إذا بقي على قيد الحياة، فهذا يعني أننا قد فشلنا** "، ولم تُعلن إسرائيل مسؤوليتها لكن الإيرانيين ليس لديهم شك في أن الموساد وراء العملية.

والأسوأ من ذلك أن محتشامبور أصبح الآن رمزاً للقضية الثورية، وناجياً مُشوهاً من حرب الخميني المُقدسة، كتب له صديقه آية الله: **"كنت آسف للحدث المؤسف الذي تسببت فيه الإمبريالية العالمية لك، وأتمنى أن تعود صحتك قريباً وأن تستمر في كفاحك الدؤوب في جبهة الإسلام والثورة لصالح بائسي العالم".**

علاوة على ذلك فإن تعطيل السفير لم يكن له أي تأثير على عمليات حزب الله وربما لن يكون قتله أكثر من ذلك بكثير، لقد جاءت مُحاولة اغتياله بعد فوات الأوان: كان جيش الشيعة الفُقراء الذي بدأ محتشامبور تنظيمه قبل عقد من الزمن مُنظمة ضخمة في ذلك الوقت، لم يكن حزب الله قوة حرب عصابات لرجل واحد بل كان حركة، كان المشروع الهائل الذي أطلقه محتشميبور في لبنان قائماً بالفعل حيث جند الآلاف من الشباب الشيعة بالإضافة إلى مُعظم رجال الدين الشيعة المُهمين في الأرض.

أصبح لدى إسرائيل الآن خصم قوي كان في نفس الوقت وكيلاً لإيران وحركة اجتماعية شعبية شرعية.

رجال الدين في حزب الله ومعظمهم يعملون ويُقيمون في القرُى الشيعية في جنوب لبنان عرفوا كيف يجمعون بين الحماسة الدينية المُتعصبة والمسيانية بنوع جديد من الوطنية اللبنانية، التي تركزت على ترسيخ الشيعة وكراهية المُحتل الصهيوني.

وكان أبرز هؤلاء القادة الدينيين المحليين خلال تأسيس الحركة الشيخ راغب حرب إمام بلدة جبشيت في جنوب لبنان، كان رجل دين لامعاً ونارياً، تلقى تدريبه في مدينة النجف المُقدسة بالعراق، حيث قضى الخميني مُعظم فترة نفيه من إيران، وعند عودته تولى مسؤولية الدعاية والوعظ لحزب الله في جنوب العراق.

كان حرب رجل ثياب وليس مُقاتلاً، لكن القصص عنه كانت تصل إلى مئير دغان، الذي قال إن "**حرب أصبح مرجعية دينية مُهمة في الجنوب وكان يدعو باستمرار إلى شن هجمات ضد إسرائيل والإسرائيليين**".

طلب داغان الإذن بالقضاء على حرب، على الرغم من أن حرب لم يُشارك قط في الأعمال الإرهابية ضد إسرائيل بنفسه إلا أنه حرضها باستمرار، وفي تلك السنوات رحبت إسرائيل، في معركتها مع حزب الله وشعرت بالعجز، أرسل دغان عميلين لبنانيين استخدمهما في العمليات السابقة لجبهة تحرير لبنان من الأجانب، وهي حركة حرب العصابات بالوكالة التي أنشأها داغان، في ليلة الجمعة 16 فبراير بعد يومين من الانفجار الذي وقع في السفارة الإيرانية بهدف قتل محتشامبور، كان حرب في طريقه إلى منزله في جبشيت، كان العميلان اللبنانيان ينتظران عند مُنعطف على الطريق، وعندما تباطأ حرب في المنعطف رشوا سيارته بالرصاص للتأكد من وفاة القائد الشاب.

تم إعلان حرب على الفور شهيداً وأُقيمت الصلاة في كُليات قم الدينية في قم، وأرسل آية الله العظمى حسين علي منتظري أحد كبار رجال الدين في إيران برقية تعزية إلى زُملائه الشيعة في لبنان، مُشيداً بإنجازات حرب، بمناسبة مرور مائة يوم على وفاته تم إصدار طابع بريدي في ذكراه، ظهرت صورته فوق كُل صور الشُهداء الذين كان عددهم يتزايد تدريجياً مع مُرور السنين، إن تصريحه الداعية إلى الرفض المُطلق لأي اتصال من أي نوع مع الإسرائيليين، "**الموقف سلاح والمصافحة اعتراف**" كان مُنذ ذلك الحين شعار حزب الله الأساسي.

في غضون ذلك استهدف دغان محمد سعد أحد المُقربين من حرب وشخصية شيعية بارزة أُخرى في الجنوب، كان سعد مُشاركاً بشكل مُتكرر في عمليات حرب العصابات ضد إسرائيل وقد حشد كمية هائلة من الأسلحة والمُتفجرات في الحسينية وهي مكان للصلاة مُنفصل عن المسجد، كان يديرها في قرية مركة، في 4 مارس 1985 فجر عُملاء دغان مخبأ أسلحة سعد وقُتل هو وأحد رجاله في الانفجار مع ثلاثة عشر آخرين.

مُحاولة اغتيال محتشمبور والتخلص من حرب وسعد تكشف الكثير عن الصُعوبات العملياتية التي واجهتها إسرائيل عند مواجهة حزب الله، كان الموساد عموماً يتألم لأن عمليات القتل المُستهدفة كانت "**زرقاء وبيضاء**" (ألوان العلم الإسرائيلي) أو نفذها عُملاء إسرائيليون، لكن عمُلاء محليين استخدموا في قتل حرب وسعد، واضطُر الموساد إلى اللجوء إلى طريقة القُنبلة البريدية التي لطالما اعتبرت غير فعالة ويُمكن أن تُلحق الضرر بالمارة الأبرياء، من أجل مُحاولة التخلص من محتشامبور، هؤلاء الضحايا الثلاثة لم يكونوا من كبار قادة حزب الله، ولم ترد أي معلومات عن الهدف الأول عماد مغنية.

ولم تنجح مُحاولة التخلص من "**البوصلة الروحية**"، للمُنظمة بعد ثلاثة أيام في 8 آذار 1985 انفجرت سيارة مُفخخة قُرب منزل الشيخ فضل الله في بيروت.

لم يُصب فضل الله بأذى لكن خلف الانفجار ثمانين قتيلاً وجرح مئتان مُعظمهم من المُصلين في المسجد الذي كان يخطب فيه فضل الله، كما قتُل بعض حُراس الشيخ، ومنهم جهاد شقيق عماد مغنية.

ومع ذلك واصلت إسرائيل مُحاولة حل مُشكلة لبنان من خلال عمليات القتل المُستهدف، في عام 1986 اكتشفت المُخابرات الإسرائيلية أن أحمد جبريل قائد الجبهة الشعبية – القيادة العامة لمُنظمة إرهابية فلسطينية، كان يعمل مع حزب الله ويُساعده، بناءً على قوة هذه

المعلومات إلى جانب رغبة إسرائيل الطويلة في القضاء على جبريل، وقع شامير على صفحة حمراء له، استغرق جمع المعلومات الاستخبارية وقتاً طويلاً، في النهاية ثبت أن جبريل كان يزور المقر الرئيسي لمُنظمته في كثير من الكُهوف في الناعمة على ساحل البحر الأبيض المُتوسط شمال حُدود لبنان مع إسرائيل، في ليلة 8 كانون الأول (ديسمبر) 1988 شن الجيش الإسرائيلي عملية برية واسعة النطاق بهدف قتل جبريل وتدمير شبكة الكُهوف.

كانت عملية أزرق وبُني (كاشول فيهوم) فاشلة ومُحرجة، كانت المعلومات الاستخباراتية حول المنطقة المُستهدفة غير كاملة بشكل كامل، واجه الجُنود عُقبات طبيعية غير مُتوقعة، وتم رصدهم من قبل نُقطة مُراقبة لم يعرفوا عنها مما حرمهم من عُنصر المفاجأة، حينها قُتل أحد قادة قوة الاغتيال برُتبة مُقدم وأضل أربعة جُنود طريقهم للهرب، بالإضافة إلى ذلك أُصيب كلب مُدرب، محمّل بالمتفجرات وكان من المُفترض أن يصطدم بأحد الكُهوف، حيث سيتم تفجير العُبوة الموجودة على ظهره بجهاز التحكم عن بعد، وعثر حزب الله في وقت لاحق على الحيوان الذي كشف عن وحدة الكلاب السرية ستينغ (أوكتس) التابعة للجيش الإسرائيلي، الأمر الأكثر إحراجاً على الاطلاق أن أحمد جبريل لم يكن موجوداً في تلك الليلة.

بحلول أواخر الثمانينيات من القرن الماضي كان لدى حزب الله معلومات استخباراتية أفضل بكثير وهي حاسمة في شن حرب عصابات، من أسباب عدم وجود معلومات استخبارية كافية من الجانب الإسرائيلي أن حزب الله أعطى الشيعة المُحاصرين والمُضطهدين مُجتمعاً وقضية، كل هجوم ضده يُقرّب أتباعه من التنظيم، ويُعزز التمييز في عيونهم بين الأخيار والأشرار، وهذا بدوره جعل من الصعب على إسرائيل بشكل خاص تجنيد عُملاء، الشيعة الراغبين في العمل مُقابل المال نما أقل وأبعد عنهم لأنه لا أحد يُريد أن يخون حزب الله.

استخدم عماد مغنية هذا الذكاء الفائق لتحقيق تأثير مُدمر، وبدعم من الحرس الثوري الإيراني ووزارة المُخابرات، صقل مغنية وأتقن تكتيكات حزب الله في ساحة المعركة، ألحقت القنابل الانتحارية والانفجارات على جوانب الطرق والكمائن التي نُصبت بعناية لإلحاق الخراب في صُفوف قوات جيش الدفاع الإسرائيلي الكبيرة وغير العملية، كان ثمن الحصول على معلومات شبه معدومة عن المليشيا الشيعية وتم دفعه بدماء الجُنود الإسرائيليين، بين عامي 1984 و 1991 كان هُناك 3425 عملية ضد جيش الدفاع الإسرائيلي وجيش جنوب لبنان، والمليشيا

اللبنانية الموالية لإسرائيل التي شكلها الإسرائيليون، معظم هذه العمليات نفذها التنظيم الشيعي، في هذه الهجمات قُتل 98 جندي إسرائيلي و 134 من حُلفاء لبنان، وأُصيب 447 إسرائيلي و 341 لبناني، تم اكتشاف مقتل اثنين من MIAs الإسرائيليين في وقت لاحق.

في عام 1991 بدأ عُملاء المُخابرات الإسرائيلية المُحبطين بسبب ضعفهم في البحث عما أطلقوا عليه "**كسر التعادل**" وهو الهُجوم الرمزي الذي من شأنه أن يهز حزب الله في تأسيسه ويُعيد لإسرائيل ميزتها.

22

عصر الطائرة بدون طيار

بدأت الأُمهات في قرية جبشيت في دعوة الناس إلى الحُسينية في الساعة العاشرة صباحاً، الحُسينية هي قاعة اجتماعات شيعية سُميت على اسم الإمام الحُسين ابن علي ابن عم النبي مُحمد، "ومُؤسس الشيعة" يعتقد الشيعة أن علي كان الوريث الحقيقي لمُحمد وأن ميراثه قد أُغتصب بوحشية من قبل السُنة، الشيعة أصبحوا طائفة مظلومة ومُميزة في الحُسين، كانوا يقيمون طقوسهم الدينية في الخفاء خوفاً من السُنة.

لكن في ذلك اليوم في جبشيت لم تعد هنُاك حاجة للسرية فقد أصبحت إيران الدولة الأولى في العالم التي يحكمها رجال الدين الشيعة، في لبنان كان حزب الله الشيعي المُتطرف الذي أسسته إيران هو القوة السياسية والعسكرية المُهيمنة، تم تجديد وتوسيع الحُسينية في جبشيت المتاخمة لمسجد القرية المهيب في الشارع الرئيسي وجدرانها مُبطنة بالرخام الأبيض اللامع.

لمدة سبع سنوات كانت المُكالمة تأتي من مكبرات الصوت على مآذن المسجد كل 16 فبراير، ذكرى وفاة الشيخ راغب حرب الزعيم الروحي الأول لحزب الله في جنوب لبنان، من خلال اغتياله عام 1984 كانت إسرائيل قد خلقت شهيداً عن غير قصد، وقام قادة حزب الله بأداء فريضة الحج سنوياً على نُصبه.

بحلول الساعة 10:30 كان الشارع الرئيسي مُزدحماً بالرجال والنساء وجميعهم تركوا كُل ما يفعلونه، وأغلقوا منازلهم أو متاجرهم أو مكاتبهم، وشقوا طريقهم إلى الحسين، تحركوا ببُطء، متابعين سيارتين من نوع SUV، إحداهما رمادية والأخرى سوداء على ما يبدو من حراسة حزب الله.

على ارتفاع حوالي 9500 قدم فوق شوارع جبشيت، قامت كاميرا في مُقدمة طائرة صغيرة هادئة بالتحرك على طول الموكب، لم يكن هُناك طيار، بل عامل يتحكم في الطائرة من مقطورة على الحُدود الشمالية لإسرائيل، تم بث الصور من الكاميرا بدقة عالية وفي الوقت

الحقيقي على شاشة في غُرفة حرب أمان الصغيرة المُطلة على حديقة وُرود خارج وزارة الدفاع في تل أبيب، كان ذلك في عام 1992، أُعجوبة تكنولوجيا الاستخبارات: طائرة بدون طيار تضع أعين الإسرائيليين على هدف مُراقبة دون المُخاطرة بأي فرد إسرائيلي.

واصلت كاميرا الطائرة بدون طيار التصوير على طول الموكب، في النهاية كان من الواضح أن أربع سيارات سيارتان من طراز رينج روفرز وسيارتان مرسيدس مرئية بوضوح في على الشاشات في تل أبيب حيث شاهد مسؤولو المُخابرات هؤلاء الأربعة وهم يبتعدون عن الحشد، ويمرون بالحسينية، وتوقفوا في موقف للسيارات خلف المبنى.

قال أحد المُحللين الذين يشاهدون بث الفيديو: "لقد حصلنا عليه" على بعد مائتي ميل كان لدى عُملاء المُخابرات رؤية واضحة للهدف.

منذ الهُجوم الافتتاحي لحرب يوم الغُفران التي فاجأت الإسرائيليين، كان اللواء بنيامين "بيني" بيليد قائد سلاح الجو الإسرائيلي، مسكوناً بالفشل، في بداية الحرب في عام 1973 كان سلاح الجو قد تلقى أكثر من نصف ميزانية الدفاع، لكنه انهار تماماً خلال الهُجوم المصري والسوري الأولي، اعتقد بيليد أن أحد الأسباب الرئيسية للفشل هو أن المعلومات الاستخباراتية المُهمة وصلت إليه بعد فوات الأوان، لو كان يعلم أن القوات المصرية كانت تنطلق لضرب طائراته وإذا كان بإمكانه أن يرى ذلك في الوقت الحقيقي لكانت الاستعدادات لقواته ستتمكن من الرد بشكل أفضل.

في أعقاب هذا الهجوم قرر بيليد تطوير شبكة من الاتصالات السرية وأنظمة جمع المعلومات الاستخبارية في الوقت الحقيقي، سيتم تصميمه لخدمة القوات الجوية المُستقلة عن "الخضر" **(كما يطلق على "البلوز" في سلاح الجو الإسرائيلي اسم القوات البرية، بسبب زيهم الزيتي الباهت)**، كان استخدام الطائرات لتحقيق هذه الغاية هو الخطة الواضحة لكن الأمر كان مُعقداً بسبب صدمة أُخرى لحرب يوم الغفران: فقد سلاح الجو الإسرائيلي أكثر من رُبع طائراته الحربية وكثير من الطائرات المتبقية قد تضررت وأصبحت غير صالحة للعمل، علاوة على ذلك فإن العديد من الطيارين التابعين للقوات الجوية الهندي، الذين تمتعوا حتى ذلك الحين بهالة لا تقهر، تم إسقاطهم وأسرهم أو قتلهم.

ولكن ماذا لو لم تكن الطائرات بحاجة إلى طيارين؟ أم أنظمة الذخائر بملايين الدولارات؟ وتساءل بيليد، ماذا لو كان بإمكان سلاح الجو الإسرائيلي قيادة طائرة أصغر وأرخص سعراً ويتم التحكم بها عن بعد مزودة بكاميرات ووصلات اتصالات فقط؟

قبل عقد من الزمان عندما أدار قسم الأسلحة، كان بيليد أول من أدخل الطائرات بدون طيار في سلاح الجو، رغم أنها كانت تبدو في ذلك الوقت فكرة خيالية، لقد كان قلقاً بشأن حيازة القوات العربية لصواريخ أرض–جو سوفيتية الصُنع مُضادة للطائرات، ونتيجة لذلك "أراد أن يملأ الهواء بأفخاخ قد تكون رخيصة الثمن، وبملامح مُماثلة للطائرات المُقاتلة بشاشات الرادار الخاصة بهم ". تم إطلاق هذه الطائرات بدون طيار وهي تحسين إسرائيلي على اختراع أمريكي، بواسطة صواريخ، ومن أجل العودة إلى الأرض، كانوا يقذفون بمظلة ثم تقوم مروحية ذات أعمدة طويلة مُثبتة بجسم الطائرة بكسحها، في وقت لاحق تم تجهيز الطائرات بدون طيار بكاميرات.

لكن بعد حرب 1973 توصل بيليد إلى استنتاج مفاده أن هذا لم يكن كافياً، وكانت أنظمة الإطلاق والاسترداد مُكلفة وخطيرة للغاية، استغرقت مُعالجة المواد المُصورة وقتاً طويلاً أيضاً.

مرت ساعات بين التقاط الصور وتطوير الفيلم، وأخيراً تم نقل الصور إلى مُحللي المُخابرات.

وهكذا في أعقاب هزيمة عام 1973 تم تطوير نوع جديد من الطائرات بدون طيار، يمكن لهذه الطائرة بدون طيار أن تُقلع وتهبط بشكل مُستقل وكان يتم التحكم فيها من غُرفة قيادة، ولديها كاميرات تنقل لقطات فيديو في الوقت الفعلي، بحلول عام 1982 كانت الطائرات بدون طيار عنصراً أساسياً في توفير معلومات استخباراتية في الوقت الفعلي لكبار ضُباط القوات الجوية المُتواجدين في كناري مركز القيادة في أعماق الأرض في وسط تل أبيب، كما لعبوا دوراً رئيسياً في تدمير بطاريات الصواريخ السورية المُضادة للطائرات في لبنان.

كانت الطائرة بدون طيار التي استهدفت الدفاعات السورية هي النموذج الأول للكشافة **(المعروفة في إسرائيل باسم زهافان)** التي صنعتها شركة صناعات الفضاء الإسرائيلية، أراد سلاح الجو الإسرائيلي على أمل إقناع الولايات المُتحدة بالتعاون في تطوير الطائرات بدون طيار، أن يُظهر للأمريكيين مدى فاعلية طائراتها المُصغرة بدون طيار، عندما زار وزير الدفاع الأمريكي كاسبار واينبرغ الشرق الأوسط أولاً بيروت ثم تل أبيب التقى بكبار مسؤولي الجيش

الإسرائيلي ووزارة الدفاع، ثم عُرض عليه شريط فيديو التقطته طائرة إسرائيلية بدون طيار لوصوله إلى بيروت، وتحركات موكبه في العاصمة اللبنانية، لم يُقدّر واينبرغر هذه المُراقبة كثيراً، لكن أفراد الوفد المُرافق له كانوا مُعجبين جداً بهذه التكنولوجيا.

مهدت زيارة واينبرغر لإسرائيل الطريق لصفقة ضخمة بين شركة صناعات الفضاء الإسرائيلية والبنتاغون لبيع 175 طائرة استطلاع بدون طيار تمت ترقيتها، والتي أطلق عليها اسم الحربة، في الولايات المُتحدة تم استخدام هذه الطائرات من قبل البحرية الأمريكية ومُشاة البحرية والجيش حتى عام 2007.

تم إجراء تحسينات على الطائرات بدون طيار على مر السنين للسماح لها بحمل المزيد من الوقود وتحديث الكاميرات، في عام 1990 زودت إسرائيل أسطولها من الطائرات بدون طيار بأشعة الليزر حتى يتمكنوا من إصدار شُعاع وتحديد هدف ثابت للطائرات الحربية.

كانت ترقيات الطائرات بدون طيار جزءاً من دفعة تكنولوجية أكبر في جيش الدفاع الإسرائيلي، الذي استثمر في أواخر الثمانينيات موارد كبيرة لاكتساب وتطوير ذخائر دقيقة "قنابل ذكية" يُمكن أن تُصيب أهدافها بدقة أكبر مما يجعلها أكثر فعالية وأقل احتمالية إلحاق أضرار جانبية، تسارعت هذه العملية عندما أصبح إيهود باراك صاحب التكنولوجيا الذي أراد بناء "جيش صغير وذكي" رئيسًا للأركان في عام 1991، في الواقع شكل آلة الحرب الإسرائيلية للعقود القادمة، بتوجيه منه تم تجهيز طائرات الهليكوبتر الهجومية من طراز أباتشي التابعة لسلاح الجو الإسرائيلي بصواريخ هيلفاير الموجهة بالليزر.

في الوقت نفسه جاء اجتماع بين رؤساء قسم عمليات سلاح الجو الإسرائيلي وآرييه وايسبروت قائد أول وحدة طائرات بدون طيار في سلاح الجو الإسرائيلي السرب 200، بفكرة ثورية للجمع بين كل هذه التطورات التكنولوجية في عملية واحدة، من أجل إنشاء طريقة جديدة وقاتلة بشكل خاص للقتل المُستهدف.

أولاً: تتعقب الطائرة بدون طيار هدفاً مُتحركاً سواء كان شخصاً أو مركبة، ثانياً: ستنقل الطائرة بدون طيار صورة الهدف مُباشرة إلى القيادة التشغيلية مما يُوفر اتصالاً في الوقت الفعلي مع صانعي القرار حتى صُدور الأمر بإطلاق النار، ثالثا: ستُحدد الطائرة بدون طيار الهدف بشُعاع ليزر يُمكن التقاطه بواسطة كاشف الليزر الخاص بطائرة هليكوبتر أباتشي وهي المرحلة المعروفة باسم "**تمرير العصا**" من دورة جمع المعلومات الاستخبارية إلى دورة التشغيل، رابعاً:

سيقوم الليزر الخاص بأباتشي بتحديد الهدف والذي يمكن لصاروخ هيلفاير أن يُطبق عليه، خامساً: سيطلق طيار أباتشي الصاروخ ويُدمر الهدف.

كان الجمع بين كُل من ذكاء النظام والعمليات ومُزامنته بمثابة اختراق كبير، حيث أثبتت الطائرات بدون طيار بالفعل أنها لا تُقدر بثمن من ناحية جمع المعلومات، لكنهم تطوروا الآن من دور داعم إلى أداة قتالية مُباشرة.

بدأ السرب 200 التدريب مع طياري أباتشي في السرب 113 سرب "دبور"،وفي أواخر عام 1991 كان هُناك مُتشككون في سلاح الجو الإسرائيلي، خاصة بين الطيارين الذين تم تدريبهم ومُمارستهم مُنذ فترة طويلة على تكتيكات قتالية مُحددة، بدت فكرة أن الروبوتات الطائرة فعالة في الحرب وبالنسبة للبعض غير معقولة.

لكن في كانون الأول (ديسمبر) 1991 جربوا عدداً من "الجولات الجافة"، مُستخدمين المركبات على الطرق الإسرائيلية كأهداف، تم إطلاق ثلاث أو أربع طائرات بدون طيار وتم اختيار مركبة بشكل عشوائي لتتبعها بكاميراتها، ونقل كل شيء إلى غُرفة التحكم، ثم تم "إضاءة" السيارة بشُعاع ليزر، وبعد بضعة أميال انضمت إلى المُطاردة اثنان من أباتشي، وكان الفريق بأكمله يتدرب على "**تمرير العصا**" لأن أجهزة استشعار أباتشي ستثبت في شُعاع الليزر للطائرة بدون طيار، في اللحظة التي أشارت فيها أباتشي إلى أن الهدف مُغلق، انتهى التمرين.

لكن مُحاكاة إطلاق الصواريخ على السيارات على طريق صديق كان شيئاً واحداً، كان قتل هدف حي في منطقة مُعادية شيئاً آخر تماماً.

في عملية قصف روتيني في جنوب لبنان في أكتوبر 1986 انفجرت قُنبلة أسقطتها طائرة فانتوم من طراز F-4 في وقت مُبكر للغاية ومزقت أحد جناحي الطائرة واستخدم الطياران الهُبوط المظلي وهبطا في أراضي العدو، تم إنقاذ الطيار بواسطة مروحية تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي لكن ليس قبل تعليقه من الهيكل السُفلي للطائرة، وتحت نيران ميليشيات حزب الله لم يتسن تحديد مكان الملاح رون اراد.

يعلق الإسرائيليون أهمية كبيرة على الأمر الديني اليهودي بفداء الأسرى وهو تثبيت إسرائيلي لفعل كل شيء وأكثر لإعادة أسرى الحرب والمُقاتلين إلى الوطن، خسارة طيار لحزب الله في منطقة مُعادية كان ضربة قاصمة.

ليس من المُستغرب إذن أن يكون البحث عن أراد ضخماً، وكان أكبر عملية إنقاذ في تاريخ الموساد، قال مسؤول في الموساد شارك في عملية حرارة الجسم (هورن حجوف)، الاسم الرمزي لجهود البحث عن أراد، إنها كانت "**أكبر عملية بحث أُجريت على الإطلاق في التاريخ الحديث لشخص واحد، لم يكن هُناك شيء نتركه دون قلبه، ولا مصدر لم نقم بتجنيده، ولا رشوة لم ندفعها، ولا قُصاصة من المعلومات التي لم ندققها** ".

لم يأت كل هذا بنتيجة، سنة بعد سنة، وفي عام 1989 بعد ثلاث سنوات من اختفاء أراد، اختطفت إسرائيل اثنين من مسؤولي حزب الله الصغار نسبياً في مُحاولة لتحديد مكان الطيار، أحدهم عبد الكريم عبيد، كان الرجل الذي تم تسميته لخلافة الشيخ راغب حرب كزعيم دين لحزب الله في جنوب لبنان بعد مقتل حرب، لم يكشف استجوابهم عن شيء، استجاب حزب الله بلامبالاة لعرض بدء مُفاوضات التبادل.

تعثر البحث عن أراد جُزئياً بسبب الأخطاء والإغفالات، فضلاً عن سوء الحظ لكن في الغالب، أبرز البحث المستمر عدم قُدرة إسرائيل على اختراق حزب الله أو وكالات الاستخبارات الإيرانية التي تدعم التنظيم.

على نطاق أوسع كانت الميليشيا تقوم بعمليات حرب عصابات مُعقدة بشكل مُتزايد يُشرف عليها قائدها العسكري عماد مغنية، هذه الضربات تسبب إصابات وإلحاق أضرار جسيمة بمعنويات الجيش الإسرائيلي، أخيراً في صيف عام 1991 وضع كبار ضُباط أمان خُطة لتغيير التوازن لصالح إسرائيل: ستختطف إسرائيل أمين عام حزب الله حسين عباس الموسوي أو أحد نوابه وتحتجزه رهينة حتى عودة رون أراد، كان الهدف المُصاحب هو تنظيم "**عملية رمزية من شأنها أن يتردد صداها وتوضح من هو المسؤول الحقيقي عن الوضع**" على حد تعبير أحد الضُباط الإسرائيليين المعنيين.

كان الموسوي واحداً من فُقراء الشيعة الذين بدأ الإيرانيون في تنظيمهم في السبعينيات، كما خضع لتدريب حرب العصابات في مُعسكر مُنظمة التحرير الفلسطينية للقوة 17 قبل أن يُصبح أكثر تفانياً وتكريس سنوات لدراسة اللاهوت الشيعي، أولاً في لبنان ثم في الكليات الإسلامية في النجف بالعراق والتي كان يُديرها تلاميذ الخميني، وفقًا لـ تعاليمه الدينية، سُرعان ما جعل عقله الذكي وذاكرته المُمتازة وولائه للخميني والتي تضاهي تعصبه، مرجعاً دينياً معروفاً في العراق ولبنان وقاده ليصبح أحد مُؤسسي حزب الله الأساسيين، الموسوي بحسب المعلومات التي جمعها الإسرائيليون مُتورط في القرارات التي سمحت لعماد مغنية ببدء حملته الإرهابية الانتحارية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، كان يعتقد أن أحد أهداف حزب الله الرئيسية وإن لم يكن الهدف الأساسي، يجب أن يكون طرد الجيش الإسرائيلي عن طريق حرب العصابات، "المستقبل سيكون للمقاومة [ضد الاحتلال الإسرائيلي]" ، أعلن مراراً وتكراراً في خطاباته، " ستُهزم غطرسة [الإسرائيليين] وهذه مسألة وقت"، في مايو 1991 أصبح الأمين العام لحزب الله، وهو الآن أقوى منصب سياسي وعسكري في لبنان.

منذ البداية كان من الواضح أن أي عملية اختطاف في بيروت ستكون صعبة للغاية إن لم تكن مُستحيلة، لذلك ركزت الجُهود بدلاً من ذلك على الحُصول على معلومات حول زيارة مُستقبلية للموسى إلى جنوب لبنان بالقرب من الحدود الإسرائيلية، حيث سيكون من الأسهل انتزاعها.

كان لدى رئيس عمليات قسم مُكافحة الإرهاب في قسم الأبحاث في أمان المقدم موشيه زرقا، فكرة التركيز على قرية جبشيت، حيث كان عُملاء إسرائيليون قد قضوا قبل سبع سنوات، في 16 فبراير 1984 على راغب حرب، تقع القرية في جنوب لبنان مما يجعلها مكاناً أسهل للعمل من قبل مجموعات الحرية، حيث كان مقر حزب الله.

في 12 شباط (فبراير) 1991 تلقت أمان المعلومات التي كانت تنتظرها: كما جرت العادة، كان حزب الله يُنظم مسيرة سياسية كبيرة في ذكرى وفاة الشيخ حرب، وسيُشارك في المسيرة كبار مسؤولي حزب الله بمن فيهم الأمين العام الموسوي وقائد الحرس الثوري الإيراني في لبنان.

كانت الخُطة الأولية هي مُجرد جمع المعلومات الاستخبارية ودراسة المسيرة والتخطيط لعملية اختطاف في العام التالي، كان هذا الأمر حاسماً بسبب الحالة البائسة للمُخابرات الإسرائيلية

عن حزب الله في ذلك الوقت، في الواقع وفي أحد اجتماعات التخطيط اتضح أنه لا أحد في الغُرفة يعرف حتى أساسيات طُقوس الذكرى الشيعية عند زيارة الأرملة على سبيل المثال، أو عندما يتجمع الرجال في الحسينية، (تم استدعاء المُقدم الذي كتب أطروحة الدكتوراه عن حزب الله لشرح ذلك)، وكان العميد داني أرديتي رئيس العمليات التنفيذية الخاصة (SOE) ، مؤكداً: مع مثل هذا الذكاء الضعيف لم يكن هُناك طريقة يُمكنهم فيها التوصل الى خطة واضحة لمهمة الاختطاف الفوري، مع ذلك كان يؤيد بشكل كامل التحضير لتجمع معلومات ليتم استخدماها في العام المقبل في جبشيت.

كان اللواء أوري ساجي رئيس أمان أكثر طموحاً، قال في اجتماع لقيادة أمان في 13 فبراير: "**الشركات المملوكة للدولة لا تريد أن تفعل ذلك، أوافق على اقتراح بناء نموذج استخباراتي، لكن دعونا لا نمنع أنفسنا من التفكير العملياتي، حيث سنقوم بتنفيذ نموذج استخباراتي مع "ذيل تشغيلي"، ويجب الحصول على بعض الطائرات المروحية التي ستكون جاهزة لتنفيذ الهجوم**".

في هذه المرحلة تسلل سوء فهم خطير إلى الداخل، وقال رئيس المُخابرات العميد دورون تامير، تحت قيادة ساجي في التسلسل الهرمي للقيادة، إنه يعتبر الإشارة إلى "**ذيل عملياتي**" مُجرد جُزء من نموذج استخباراتي، وقال: "**كانت المروحيات تُقلع وتتدرب على الاستحواذ على الهدف، لكنها لن تفتح النار بأي حال من الأحوال، فهي مُجرد تدريب جاف**" ان الأشخاص الذين كان من المُفترض أن يقوموا بتقييم مخاطر وتداعيات عملية لم اعتقدوا ذلك – وهذا هو السبب في أنهم لم يحضروا تلك التقييمات.

لكن ساجي ورفاقه المُباشرين وكذلك رئيس الأركان باراك كانوا يُفكرون في شيء مُختلف تماماً، بالنسبة لهم فإن طائرات الهليكوبتر المحمولة جواً التي تحمل "**ذيل العمليات**" والمُسلحة بصواريخ هيلفاير المُوجهة بالليزر ستترك خيار قتل الموسوي مفتوحاً.

لم يكن هذا جزء من الخطة الأصلية ولكن الآن بعد أن ظهرت الفُرصة كان الإغراء كبيراً للغاية: القضاء على عدو عنيد أثناء استخدام بروتوكول قتل مُستهدف بأسلوب جديد باستخدام الطائرات بدون طيار ونيران الجحيم، كان هذا بالضبط ما أراده باراك، الذي أخطأته وسائل الإعلام للتو خلال عيد ميلاده الخمسين أن يرى جيشاً إسرائيلياً صغيراً وذكياً وقاتلاً يعمل، ومع ذلك فقد تم وضع خطتين متوازيتين دون قصد، دون أن يُدرك ذلك أحد.

—

في يوم الجمعة 14 فبراير أصدر قسم مُكافحة الإرهاب في أمان مُلخصه الذي أوضح أن عملية "وقت الليل" كانت تهدف فقط إلى جمع المعلومات الاستخبارية لعملية اختطاف لاحقة، وتضمن المُلخص التفاصيل التالية: "**تضم قافلة الموسوي للسيارات في العادة من ثلاث إلى خمس سيارات، من بينها اثنتان أو ثلاث مركبات مُرافقة في بداية ونهاية القافلة، السيارة التي يركبها الموسوي هي مرسيدس 280 أو 500 ،مكانه في القافلة غير ثابت فأحياناً يكون في السيارة الأولى خلف سيارة المُرافقة الرئيسية، وأحياناً في السيارة الثانية أو الثالثة، والمركبات الأخرى هي رينج روفرز** ".

في نفس اليوم أصدر جناح المُخابرات الجوية أوامره الخاصة مما يُشير إلى خُطة مُختلفة تماماً: "**ستُنفذ وحدات من جناح المخابرات وأمان نموذج تجميع في منطقة التنفيذ، لاحقاً وفقاً للمعلومات الاستخباراتية التي تم جمعها ستنتقل العملية إلى مرحلة الهُجوم** ".

كان هذا تناقضاً خطيراً، حيث بدأت إحدى الوحدات في التحضير لهُجوم لم يتم التخطيط له بشكل صحيح، ولأن العملية كانت لا تزال تجريبية بشكل رسمي لم يتم وضعها على جدول أعمال مُنتدى "العمليات والطلعات الجوية" الأسبوعي، الذي حضره وزير الدفاع ورئيس الأركان، وكان وزير الدفاع موشيه أرينز على علم تام بوجود عملية الليل.

في تلك الليلة بعد ساعات فقط من صدور الأوامر المُتضاربة من قبل المسؤولين الإسرائيليين، تسللت مجموعة من مُقاتلي الجهاد الإسلامي إلى مُعسكر ميداني للجيش الإسرائيلي، كان المجندون الجدد في التدريبات نائمين في خيامهم، قتل الجهاديون ثلاثة منهم بالسكاكين والفؤوس، في تقرير عن الهجوم الذي وقع في نهاية يوم السبت أطلق حاييم يافين المُذيع الرئيسي في القناة التلفزيونية الإسرائيلية الوحيدة، على الهجوم الذي وقع في نهاية يوم السبت اسم "ليلة بيتشفوركس".

هبط المزاج الوطني إلى مستوى متدنٍ جديد.

—

يوم الأحد أي في يوم العملية فُتحت غُرفة حرب أمان الصغيرة في الساعة 7 صباحاً، تم حشر الجميع في: رئيس الشركات المملوكة للدولة أرديتي ومُمثلي قسم التحصيل، الوحدة 8200، قسم مُكافحة الإرهاب أمان، وحدة الطائرات بدون طيار ، وجناح المُخابرات الجوية، كان مشغلو الطائرات بدون طيار الفعليين في مقطورة بالقُرب من الحدود اللبنانية.

أفاد وكيل الوحدة 504 الذي قدم المعلومات حول ذهاب الموسوي للمسيرة أن الهدف قد غادر بيروت، وأشارت مُخابرات أخرى وصلت إلى غُرفة الحرب إلى أن "**قافلة من النُشطاء غادرت بيروت صباح اليوم، وأن شخصية مُهمة وصلت إلى الجنوب**"، لم يكن أي من ذلك تأكيداً على وجود الموسوي في جبشيت، لكن يبدو أن ذلك كان مُرجح.

قُرابة الساعة 10 صباحاً بدأت مُكبرات الصوت في جبشيت في دعوة المواطنين للحضور إلى مكان الاجتماع للتجمع التذكاري في القرية الحسينية، في الساعة 10:30 عرضت الشاشة في غُرفة الحرب صوراً تم نقلها من الطائرة بدون طيار لمسيرة ضخمة تشق طريقها إلى الموقع، كان المسجد بجانب للحسينية، وكانت مئذنته العالية مرئية بوُضوح على الشاشة، تحرك الموكب ببطء خلف عدد من المركبات، على ما يبدو مرافقة أمنية لحزب الله، قامت الطائرة بدون طيار بمسح الموكب، وفي النهاية كان هناك سيارتا رينج روفر وسيارتان مرسيدس، صرخ الراصد: "لقد حصلنا عليه!".

في وقت الظهيرة عاد رئيس الأركان باراك إلى مكتبه مُتجهماً وغاضباً، لقد تم استدعاؤه إلى القدس في ذلك الصباح للإدلاء بشهادته أمام مجلس الوزراء الأمني حول "ليلة بيتشفوركس".

صرخ بغضب: "لقد رأينا ثلاثة إرهابيين"، تلقى باراك تحديثاً موجزاً لعملية "**وقت الليل**" ، ثم توجه إلى غُرفة حرب أمان، لقد شاهد صور الطائرة بدون طيار باهتمام.

كانت مُناسبة خاصة، ولأول مرة يُمكن للقائد في مقره أن يضع عينيه على زعيم مُنظمة إرهابية مُعادية في الوقت الفعلي، مع إمكانية التصرف وفقاً لتلك الصورة.

وقف ساجي بجانب باراك وكان الاثنان مُتوترين وعبوسين الوجه، جراء سُلوكهم كان من الواضح أن الهدف الأصلي لعملية "**وقت الليل**" ببساطة جمع المعلومات الاستخبارية قد سقط بالكامل على جانب الطريق، وتوصل آخرون في غُرفة الحرب إلى انطباع بأن الزعيمين الكبيرين كانا حريصين على القتل، كانوا ينتظرون فقط التأكيد على وجود الموسوي في جبشيت، وهي معلومات يمكنهم نقلها إلى وزير الدفاع للحُصول على موافقته.

وطلب باراك من أحد مُساعديه إبلاغ السكرتير العسكري لوزير الدفاع بشأن الوضع، قال: "**جهزوا موشيه أرينز لاحتمال أن يُطلب منه إعطاء الضوء الأخضر لعملية**"، كانت تلك هي المرة الأولى التي يتحمل فيها أي شخص عناء شغل الوزير في عملية الليل.

وأخذ ساغي جانباً من ذلك وسأل: "ما رأيك؟ هل يجب أن نُهاجم؟ "، "لدينا فرصة ذهبية لقتله."

أجاب الزرقا: "**نعم، لكن اعلموا أننا سنرتقي إلى مُستوى مُحاربة حزب الله**".

انتهى الحفل في الحُسينية بعد الساعة الواحدة بقليل، تجمهر حشد كبير وسار باتجاه المقبرة التي دُفن فيها الشيخ حرب على مسافة قصيرة، في الساعة 1:10 دعا رئيس قسم الأبحاث كوتي مور إلى اجتماع عاجل لكبار موظفيه لصياغة موقف القسم.

لقد أجمعوا على مُعارضتهم لقتل الموسوي، على أقل تقدير شعروا بضرورة إجراء مُناقشة شاملة للموضوع قبل التصرف، قال مُقدم إن الموسوي كان شخصية دينية، وهو رئيس مُنظمة سياسية كان لها ذراع عسكرية، وكانت إسرائيل قد امتنعت في السابق عن مُهاجمة هؤلاء الأشخاص، علاوة على ذلك لم يكن حزب الله عرضاً واحداً، ولم يكن الموسوي الرجل الأكثر تطرفاً في قيادته، سيتم استبداله ربما بشخص أكثر تطرفاً.

خلال الاجتماع تم تسليم مُذكرة إلى مور، وقد قرأها ثم قال للحُضور: "**هذا تقرير لإذاعة لبنان يقول إن عباس الموسوي خاطب التجمع في جبشيت اليوم**"، سرت نفخة في الغرفة، الآن كان هناك يقين أن الموسوي كان في جبشيت، واحتمال كبير أنه كان في القافلة، لكن لا يزال هُناك مجال للشك، وشدد مور على ذلك، كانت الأسئلة الآن: في أي سيارة كان الموسوي يركبها؟ وهل كان معه أي من كبار المسؤولين في الحُكومة اللبنانية أو الإيرانية في السيارة؟

فيما لم يتساءل أحد عما إذا كانت زوجته وطفله معه.

اتصل أحد ضُباط مور بقسم الحرس الشخصي لكبار الشخصيات في الشاباك، وسأل: "لنفترض أن عليك حراسة رئيس الوزراء، وهناك أربع سيارات في القافلة، في أي واحدة ستضعه فيه؟ " كان هُناك نقاش قصير في الشاباك، وعادوا بالرد: على الأرجح سيذهب في السيارة الثالثة.

لكن هذا كان مُجرد افتراض وحتى لو كان الموسوي في السيارة الثالثة، فلا يزال من غير الواضح تماماً من الذي قد يكون معه، لم يستطع مور أن يوصي بإطلاق صواريخ على هدف بهذا النوع من المجهول، وقال في ختام الاجتماع **"من المُستحيل الهُجوم"**.

دخل ساجي الغرفة بعد ذلك مُباشرة، كانت العلاقة بين الرجلين مُتوترة بالفعل بسبب قضايا أُخرى، ولم يخفِ مور الكلام، قال لساجي: **"دائرة المُخابرات لم تكتمل، هُناك الكثير من الأشياء المجهولة، رأي الأغلبية هُنا هو أنه لا يوجد مجال للتنفيذ، لا يمكنني أن أوصي بهُجوم "**.

نهض ساجي وابتسم وقال، "سنرى"، ثم غادر فجأة وتوجه مع رئيس الأركان باراك مُباشرة إلى وزارة الدفاع لإحاطة أرينز.

وقال ساجي لأرينز إنه ليس لديه شك في أن الموسوي كان في القافلة، كان من المُمكن أن يكون معه شخص آخر، ربما وزير لبناني، إذا قتلت إسرائيل وزيراً لبنانياً فسيكون الضرر كبيراً للغاية، "لكن من خلال تحليل الظروف والحدس، ليس هذا هو الاستنتاج الأكثر منطقية"، وقال إن قتل الموسوي لا ينطوي على مخاطر تُذكر.

كان أرينز ذا عقلين، فمن ناحية عُرضت عليه فرُصة للقضاء على زعيم عدو كان في رأيه إرهابياً سيئ السُمعة، ومن ناحية أخرى طُلب منه اتخاذ قرار فوري يمُكن لموسوي مُغادرة القرية في أي لحظة، ولم يتبق الكثير من ساعات النهار دون وقت لإعطائه الاعتبار الكامل، قد يكون الأمر كارثياً إذا كان هُناك خطأ ما، أو إذا لم تكن المعلومات الاستخباراتية قوية، أو إذا تم التغاضي عن بعض التفاصيل الدخيلة أو السيناريو غير المُحتمل.

نحن نتحدث عن زعيم مُنظمة ارهابية وشعار للعدو، قد يمر الكثير من الوقت حتى تظهر فُرصة أخرى مثل هذه، وحتى لو حدث ذلك فقد يكون هُناك الكثير من الظُروف التي ستمنعنا من التنفيذ لأسباب سياسية، ما لدينا الآن هو فُرصة واحدة، "واحدة فقط ".

توقف أرينز للحظة وقال: "إن قتل شخص لم يكن عليك قتله هو كارثة".

قال ساجي: "الوزير، لدي حدس القائد بأن علينا التصرف".

قرر باراك الذي كان لديه دائماً إحساس قوي بما يجعل الناس يتحركون، أن يحاول دعوة أرينز، وهو مُهندس طيران من حيث المهنة، للحضور إلى غُرفة الحرب لمُشاهدة صور الطائرة بدون طيار بنفسه، وافق الوزير وقال إنه سيبقى قريباً، في غضون ذلك طلب من سكرتيره العسكري العميد يريمي أولمرت الاتصال برئيس الوزراء يتسحاق شامير، كانت الساعة 2:35 بعد الظهر وقيل لأرينز إن شامير كان في المنزل في وقت القيلولة بعد تناول غداءه الذي أعدته زوجته، كما كان يفعل كل يوم.

لم يستطع اتخاذ قرار بدون موافقة رئيس الوزراء، لكن الوقت كان ينفد.

مرت خمس وأربعون دقيقة وفي تمام الساعة 3:20 غادرت مجموعة من الأشخاص الذين لم يتم التعرف على وجوههم منزل أرملة الشيخ حرب وصعدوا إلى قافلة من أربع سيارات، تحركت القافلة مسافة قصيرة ثم توقفت عند منزل ناشط من حزب الله في جبشيت، وتوافق هذا مع معلومة أُخرى: أن اجتماعاً لكبار المسؤولين في المُنظمة الشيعية كان من المُقرر عقده في ذلك المنزل يوم الأحد، وهذا يعني أنه لم يكن هُناك وزراء لبنانيون حاضرين لأنهم لا يُمكن أن يكونوا طرفاً في مثل هذا الاجتماع، ولن يتركوا في انتظار السيارة حتى ينتهي الاجتماع، تضاءلت بشكل كبير احتمالية أن شخصية رفيعة المُستوى من خارج حزب الله كانت مُسافرة في القافلة وربما تتعرض للقصف، وزادت احتمالية وجود الموسوي هُناك أكثر.

قال ساجي لباراك إنه على الرُغم من عدم وجود يقين مُطلق، فقد أوصى بالهجوم، وقد أعطى مور رأياً أكثر غموضاً: **"دائرة المُخابرات ليست كاملة، رُغم أن كُل الظُروف تُشير إلى أنها موسوي، كان هُناك، الأمر متروك الآن للقائد ليُقرر ما إذا كان سيُهاجم أم لا ".**

قرر باراك بأمر القوات الجوية بإرسال طائرات الهليكوبتر إلى الداخل، وعلى هاتف آخر أقنع أرينز بأن الظُروف قد تغيرت وقد أعطى أرينز موافقته على الهجوم.

بعد ذلك أي في الساعة 3:30 مباشرة اتصل باراك بمكتب رئيس الوزراء، ومع ذلك لم يتحدث أحد إلى شامير الذي كان نائماً، وفشلت كُل المُحاولات للوُصول إليه، كانت زوجته تغفو هي أيضاً، ولم يرد أحد على الهاتف.

كان الجميع ينتظرون عودته إلى المكتب كما كان يفعل كُل يوم، في حوالي الساعة الرابعة، كانت المُشكلة أن كُل دقيقة مرت قد تجعل العملية مُستحيلة بسبب اقتراب الظلام، عند الساعة 3:50 بدأت القافلة بمُغادرة القرية، جاء صوت مُشغل الطائرة فوق مكبر الصوت: "**بداية الحركة**".

تصاعد التوتر في غُرفة الحرب، بعد أن رأى باراك السيناريو الذي يتكشف على أنه فُرصة تاريخية، نقل أحد أفراد الطاقم وجلس في مقعده، وتولى الاتصال اللاسلكي مع قيادة الطائرة بدون طيار وغُرفة التحكم وتوجيههم إلى حيث يوجهون الكاميرات المحمولة جواً بينما يُحلل في نفس الوقت المسارات المُحتملة التي يُمكن للقافلة أن تنطلق من جبشيت إلى بيروت، أبقى باراك خطه مفتوح مع قائد سلاح الجو الذي كان في كناري، على بُعد عشرات الأقدام تحت غُرفة الحرب، جاء الأمر إلى الأباتشي من كناري "اقصفوا، انطلقوا جميعاً".

حوالي الساعة 3:55 وصل شامير إلى مكتبه، لقد سمع مُلخصاً لا يزيد مُدته عن دقيقة واحدة عن عملية قتل مُستهدف لم يكن لديه معرفة مُسبقة بها، ومع ذلك فقد أعطى مُوافقته غير المترددة، قال: "ليقتلوه"، أبلغ السكرتير العسكري لأرينز باراك الذي قال لقائد القوة الجوية: "كلهم لك".

بدأت القافلة بالتحرك مرة أخرى الساعة 3:57، شاهدت الطائرة بدون طيار وهي تتحرك ببطء شمالاً عبر جبشيت وعبر الجسر فوق نهر الزهراني، بعد ذلك زادت سُرعة المركبات حيث تباعدت سيارة رينج روفر في المقدمة، وتابعت سيارتا المرسيدس بحوالي مائة متر، بينما كانت سيارة رينج روفر الثانية في الخلف.

في الساعة 4:05 أفاد عامل التشغيل لتحديد الموقع الدقيق لطياري أباتشي، "عشرين ثانية أخرى وسندخل في مُنحنيات الطريق غرباً".

قال الطيار في مروحية الهجوم الرئيسية "نحن الان في منطقة الاقتراب؛ يجب تفعيل علامة [الليزر] ".

قال أحد المُشغلين في مقطورة قيادة الطائرة بدون طيار: "تم تفعيل المُحدد".

قال أحد الطيارين: "**لا أستطيع رؤيته" لكن بعد لحظات قال "تم الحصول على التعيين**"، مشيراً إلى أنه يُمكنه الآن رؤية بُقعة ليزر الطائرة بدون طيار على الهدف.

جاء التأكيد من قائد مهمة الكناري على "تحديد إيجابي للهدف"، في الساعة 4:09 أخبر قائد أباتشي، "راشاي: أكرر: راشاي "في العبرية تعني" لديك إذن"، على غرار" إذن الانخراط "في اللهجة العسكرية الأمريكية.

أطلق طيار أباتشي صاروخ هيلفاير واحد.

وضربت السيارة الثالثة في القافلة، انفجرت سيارة المرسيدس فيما يُشبه كُرة من اللهب، لم يقم أحد بمسح الطريق أمامك للتأكد من أن السيارات المدنية لا تسير باتجاه الهدف من الاتجاه الآخر، في الواقع كانت هنُاك سيارة واحدة، وكانت قريبة جداً من المرسيدس عندما أصابها الصاروخ، لقد اشتعلت فيه النيران أيضاً.

إطلاق صاروخ ثان على مرسيدس الثانية في القافلة: إصابة أخرى مُباشرة بالهدف.

فُتحت الأبواب في إحدى سيارات رينج روفر، التي توقفت على جانب الطريق، ونزل الناس وبدأوا في الهرب، "كُنا هناك، نُراقب كل حركة ويتذكر أحد مُشغلي الطائرات بدون طيار، أنه تم نقله إلى وحدة التحكم في الهواء بالقوات الجوية.

والتقطت سيارة رينج روفر الثانية الجرحى من السيارتين المرسيدس وانطلقت باتجاه النبطية، "خذه"، أمر كناري مُشغلي الطائرات بدون طيار بتتبع السيارة، في الساعة 4:32 قاموا بتسميتها باستخدام الليزر الخاص بهم، كهدف للزوج الثاني من طائرات أباتشي، والذي قام بعد ذلك بتدميرها، تصاعد دُخان من السيارة، ثُم قامت طائرات الأباتشي برش المنطقة بنيران المدافع الرشاشة.

ساد الصمت المُطلق على غُرفة الحرب، باراك شق طريقه وهو يصفع زملائه على أكتافهم ويهنئهم بالكلمات الإنجليزية "أحسنت".

لكن هل مات الموسوي؟ انتظر ضُباط أمان في مكاتبهم للتأكيد النهائي لعملية القتل، حوالي الساعة 6:00 كان الموسوي بالفعل في السيارة الثالثة، وكذلك زوجته وابنه.

العميل 504 الذي قدم بلاغاً إلى غُرفة حرب أمان في بداية العملية ادعى لاحقاً أنه ذكر أن زوجة الموسوي، سهام، وابنه حُسين، البالغ من العمر ستة أعوام، كانا يُسافران معه في سيارته،

نفى آخرون من المُشاركين في العملية معرفة ذلك، لكن مئير دغان صدّق العميل، "**الادعاء بأن أمان لم تكن تعلم أن زوجة الموسوي كانت في السيارة على الأقل تم اختلاقه بعد الواقعة، يجب أن يكونوا قد عرفوا، وإلا فهم مجموعة من الحمقى، كان لزوجة الموسوي أقارب من الدرجة الأولى في جبشيت، ولم يكن هُناك أي فُرصة في العالم لتفويت فُرصة الذهاب لزيارتهم** ".

بعد ساعتين من الضربة عقد باراك اجتماعاً في مكتبه في مُحاولة لتوقع رُدود الفعل المُحتملة من حزب الله وردود الفعل الانتقامية، تمت مُناقشة إجراءات الإنذار الأمني والعلاقات العامة، بعد ذلك بوقت قصير افتتح تلفزيون إسرائيل نشرة الأخبار ببيان عن الهجوم، والذي وصفه بأنه "عملية جريئة"، بذل وزير الدفاع أرينز عناء الذهاب إلى الاستوديو للظهور في الأخبار، وقال "**هذه رسالة لجميع المُنظمات الإرهابية، أنه من يفتح حساباً معنا فسيتم إغلاق هذا الحساب من قبلنا**".

23

انتقام مُغنيّة

جُثة عباس مسوي كانت عبارة عن أشلاء يصعب جمعها وكانت مُتخلفة من سيارة المرسيدس المُدمرة، وبسبب حالته جثته هذه كان من المُستحيل مُراعاة شعائر حزب الله المُعتادة وإقامة جنازة مفتوحة، وبدلاً من ذلك، تم تنظيف البقايا، ولفها في كفن، ووضعها في تابوت رائع تم بناؤه خصيصاً من الخشب المنحوت بعناية، ثم تم طلاءه باللون الأزرق وتزويده بإكسسوارات معدنية فضية.

ولم يتسرع قادة حزب الله في الدفن خلال الأربع وعشرين ساعة الأولى كما جرت العادة، لسبب واحد، كانت هُناك مشاكل أمنية، الصدمة من الغارة الجوية على موكب الامين العام كانت كبيرة لدرجة ان عماد مغنية كان يخشى ان تتحول الجنازة أيضاً الى ساحة قتل، علاوة على ذلك كان لا بد من تأجيل الجنازة للسماح للإيرانيين رفيعي المُستوى بالحُضور، لقد أسست إيران حزب الله وكان قادته تحت تأثير الحرس الثوري الإسلامي في سلوكهم اليومي، واتبعوا السلطة الدينية لنظام آيات الله في طهران، من جانبها اعتبرت إيران حزب الله حليفها الرئيسي في الشرق الأوسط.

المرشد الأعلى للثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي خامنئي، الذي حل محل الخميني عندما

توفي في حزيران 1989، أعلن أن "استشهاد السيد عباس نقطة تحول في مسار المقاومة" وأرسل وفداً للمُساعدة في استقرار التنظيم وتهدئته وإبداء الدعم الجماهيري خلال ساعته الصعبة، واختيار أمين عام جديد على الفور.

في إسرائيل لم يكن هُناك نقاش جاد قبل وقوع الضربة حول ما سيحدث في أعقاب وفاة الموسوي، من وجهة نظرهم لم تكن هُناك اختلافات كبيرة بين مُختلف أعضاء حزب الله، ولم يكلف أحد عناء السؤال عمن يحتمل أن يحل محل الموسوي، وما إذا كان البديل قد يكون أفضل أم أسوأ بالنسبة لإسرائيل، قال أحد الضُباط العاملين في أمان في ذلك الوقت: "**من وجهة نظرنا كانت جميعها مطلية باللون الأسود**"، بعد القتل كان أفضل تخمين لـ أمان هو أن الإيرانيين سيُعينون نائب الموسوي المعروف والشعبي، صبحي الطفيلي.

ولكنهم كانوا مُخطئين، بعد دفن الموسوي مُباشرة شارك الوفد الإيراني في اجتماع لمجلس الشورى، وهو مجلس القيادة الدينية الأعلى لحزب الله المكون من اثني عشر عضوا حيث سلموا رسالة من الرئيس الإيراني هاشمي رفسنجاني، توصي بخلافة، بعد فترة وجيزة أعلن المجلس عن قراره بتعيين رجل دين مُتدين يبلغ من العمر 32 عاماً، انه السيد حسن نصر الله.

إذا كان لدى الإسرائيليين أي وهم بأن حزب الله سوف يتأثر بقتل الموسوي، فإن ترقية نصر الله سُرعان ما حرمتهم من ذلك، بالمُقارنة مع الموسوي كان نصر الله مُتطرفاً عنيفاً، واتضح أنه حتى الأسود له ظلاله، كان نصر الله أكثر سواداً من الأسود.

ولد نصر الله عام 1960 وهو الأكبر بين تسعة أشقاء، في حي برج حمود الشيعي شمال شرق بيروت، على الرُغم من أن الأُسرة لم تكن مُتدينة للغاية عندما كان طفلاً، وعندما كان الأولاد الآخرون في حيه في بيروت يلعبون في الشوارع أو على الشاطئ، أظهر حسن تقارباً للدين وقضى مُعظم وقته في المسجد وهو يدرس.

مع اندلاع الحرب الأهلية في عام 1975 انتقلت العائلة إلى جنوب لبنان، حيث لفت نصر الله، في مسجد بالقرب من صور أنظار العديد من رجال الدين الشيعة المُرتبطين بالخميني، أرسلوه إلى النجف بالعراق للدراسات الدينية العُليا، وهناك تعرف على عباس الموسوي وأصبح تلميذه النجم، عندما عاد الاثنان إلى لبنان عام 1978 بعد أن طرد صدام حسين الطُلاب اللبنانيين الشيعة، أنشأ الموسوي مركزًا للدراسة، وأصبح نصر الله أحد أساتذته مما جذب أعداداً كبيرة من المُعجبين، في عام 1982 ومع تأسيس حزب الله انضم نصر الله وأتباعه بشكل جماعي وبدأوا في القيام بدور نشط في حرب العصابات، أمضى نصر الله السنوات التالية متناوباً بين قيادة وحدة حزب الله ومواصلة دراساته الدينية العُليا في إيران.

وقال في مُقابلة تلفزيونية إن إسرائيل كانت "**نمو سرطاني، هذه الجُرثومة المُلوثة، حامية إمبريالية مُتقدمة في قلب العالم العربي والإسلامي، إنه مُجتمع حرب، مجتمع حربي من المُحاربين، رجالاً ونساء على حد سواء، لا يوجد مُجتمع مدني في هذا الكيان** "، كان المعنى واضحاً: كُل الإسرائيليين مهما كان عمرهم أو جنسهم كانوا هدفاً شرعياً للجهاد.

تدريجيا نشأ شقاق أيديولوجي حاد بين نصر الله ومُعلمه السابق، ودعا الموسوي إلى مزيد من التعاون مع السوريين القوة السياسية والعسكرية الأكثر أهمية في لبنان، الذين رحبوا بأفعال حزب الله ضد إسرائيل ووافقوا على السماح للإيرانيين بإرسال شُحنات كبيرة من الأسلحة عبر سوريا إلى ميليشيا التنظيم، لكن نصر الله عارض أي شكل من أشكال التعاون مع نظام عائلة الأسد، الذين كانوا علويين وهي طائفة إسلامية اعتبرها وثنية الزنادقة.

اختلف الرجلان أيضاً في موقفهما تجاه إسرائيل، واعتبرها الموسوي قضية ثانوية ورأى أن مُعظم الموارد يجب أن تخصص لمُحاولات السيطرة على الآلية الحكومية في لبنان، جادل نصر الله بأن حرب العصابات ضد إسرائيل يجب أن تكون لها الأولوية.

خسر نصر الله حُجة تعيين الموسوي لمنصب الأمين العام ونفي نصر الله ليكون مبعوث حزب الله في إيران، عاد إلى لبنان فقط بعد أن أعلن أنه يتنازل عن مُعارضته للعلاقات مع سوريا وأنه يقبل سُلطة الموسوي في موضوع النضال ضد إسرائيل، وقد تغير كل هذا في فبراير 1992.

—

بسخرية قبل مقتل الموسوي، كان حزب الله وداعموه الإيرانيون أكثر اهتماماً بترسيخ مكانتهم كقوة اجتماعية وسياسية في لبنان أكثر من اهتمامهم بمُهاجمة إسرائيل، على الرُغم من وجود هجمات حرب العصابات ضد الإسرائيليين خلال الثمانينيات، إلى حد كبير بدعوة من الفصيل المُتطرف في حزب الله بقيادة نصر الله، إلا أنها لم تكن ذات أولوية عالية ولم تكن بأي حال من الأحوال مؤشراً على الضرر الكامل الذي كان يُمكن أن يلحقه التنظيم.

لكن بعد القتل المُستهدف تغيرت الأولويات، بدأ الحرس الثوري الإيراني يفضل نهج نصرالله، وأصبحوا يعتقدون أن التعامل مع عدوهم في الجنوب يجب أن يكون على رأس أولوياتهم، لقد

شعروا الآن أن حزب الله لن ينجح في نقل ثورة الخميني إلى لبنان دون التخلص أولاً من الاحتلال الإسرائيلي.

الرجل الذي أمر نصر الله بتنفيذ السياسة الجديدة كان القائد العسكري لحزب الله عماد مغنية، "**المُختل عقليا المُتطرف غير المقيد**" الذي كان يقتل بائعات الهوى في بيروت وتُجار المخدرات قبل ثلاثة عشر عاماً، ومُنظري حرب العصابات الذي أنشأ الجهاد الإسلامي وأرسلت مُفجرين انتحاريين لتدمير الثكنات والمنازل السكنية التي احتلتها القوات والدبلوماسيين الأمريكيين والفرنسيين والإسرائيليين، الذي كان عبارة عن شبح، لم يتمكن الإسرائيليون في قتلها أو حتى تحديد مكانها في أوائل الثمانينيات، وقال مئير دغان: "**كان مسؤولا عن بناء القوة العسكرية لحزب الله، وليس نصر الله، مع كل الاحترام لظهور نصر الله التلفزيوني المُمتاز، بسببه وبسبب مجموعة من النُشطاء المُقربين منه، أصبح التنظيم يُشكل تهديداً استراتيجياً لدولة إسرائيل**".

كان مغنية بالفعل مصدر إزعاج تكتيكي لسنوات، للدفاع عن حدودها الشمالية أنشأت إسرائيل في عام 1985 منطقة أمنية، وهي شريط من الأراضي داخل جنوب لبنان يُسيطر عليها الجيش الإسرائيلي، كان الهدف هو إبقاء القوات المُعادية بعيدة قدر الإمكان عن المُستوطنات المدنية الإسرائيلية وحصرها، في المواجهة معهم على الأراضي اللبنانية حصراً، بالإضافة إلى ذلك ولتجنب أرواح جنودها أنشأت إسرائيل ميليشيا بالوكالة، وهو جيش لبنان الجنوبي، تتألف في الغالب من المسيحيين والشيعة من قُرى المنطقة الذين كانوا أعداء لدودين للفلسطينيين في لبنان وحزب الله. سمح استخدام جيش تحرير السودان للإسرائيليين برؤية حزب الله على أنه مُجرد تهديد عرضي لحدودهم، وليس كجيش عصابات يشن حرباً غير مُتكافئة، وقتل عدد قليل من الجنود معظمهم من رجال جيش تحرير السودان من وقت لآخر، لكن الوضع الراهن من وجهة نظر الجيش الإسرائيلي كان أفضل من المواجهة الشاملة مع قوات حزب الله.

لكن الآن أطلق نصر الله العنان لمغنية وكان الانتقام لاغتيال الموسوي سريعاً، وبمجرد انتهاء جنازة الزعيم المقتول، أطلق مقاتلو حزب الله وابلاً من الصواريخ على غرب الجليل، لمدة خمسة أيام، قصفوا بلدات شمال إسرائيل مما أدى إلى توقف تام وحصر مُعظم سُكانها في الملاجئ، لقد كانت قوة نيران أكبر مما استخدمه حزب الله ضد المجتمعات المدنية الإسرائيلية في تاريخه بأكمله حتى تلك اللحظة.

قُتل شخص واحد فقط فتاة تبلغ من العُمر ست سنوات، تُدعى أفيا علي زادة في قرية جورنوت هجليل الزراعية الجماعية، لكن الرسالة التي أرسلها نصر الله ومغنية لإسرائيل كانت واضحة: من الآن فصاعداً أي إجراء ضد حزب الله سيؤدي إلى هُجوم مُباشر ليس فقط على جيش الدفاع الإسرائيلي ولكن ضد المدنيين في شمال إسرائيل.

وقامت إسرائيل بالرد بقصف قُرى شيعية وتعزيز قواتها في جنوب لبنان، كان الإسرائيليون يأملون أن تكون هذه نهاية الجولة بالذات من القتال، وأن حزب الله سيشعر على الأقل وبشكل مؤقت بالرضا عن عرضه للقوة رداً على مقتل الموسوي.

ومع ذلك كان مغنية يُخطط لشيء أكبر بكثير من بضعة أيام من القصف الصاروخي: لقد كان ينوي استهداف آلاف الإسرائيليين الذين يعملون في الخارج كدُبلوماسيين وفي وظائف رسمية أخرى، وكذلك الجاليات اليهودية في العالم، بالنسبة له كانت ساحة المعركة عالمية، أراد مغنية إعادة كتابة قواعد اللعبة: أي هجوم على أي عُنصر مُهم لحزب الله من شأنه أن يجذب الرد ليس فقط فيما أسماه هو ونصر الله "المنطقة" (إسرائيل ولبنان)، ولكن خارج تلك المنطقة: أهداف إسرائيلية ويهود في جميع أنحاء العالم.

ضرب أولاً في تركيا، في 3 مارس 1992 انفجرت عبوة ناسفة بالقُرب من كنيس في اسطنبول وبأعجوبة لم يُقتل أحد، بعد أربعة أيام قُتل إيهود سادان، كبير ضُباط الأمن في السفارة الإسرائيلية، عندما انفجرت قُنبلة كبيرة تحت سيارته زرعها أعضاء في جماعة تُطلق على نفسها اسم حزب الله التركي، من هناك استهدف مغنية الأرجنتين: في 17 مارس فجر إرهابي سيارة مُفخخة خارج السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس، مما أسفر عن مقتل عشرين شخصاً من بينهم أربعة إسرائيليين وخمسة يهود أرجنتينيين وعشرين طفلاً في مدرسة قريبة، أُصيب مائتان وأربعون شخصاً بُجروح، وأعلنت مُنظمة الجهاد الإسلامي في بيانها عن المسؤولية، الذي نقلته إحدى وكالات الأنباء الغربية في بيروت أن العملية كانت لإحياء ذكرى الحُسين نجل الموسوي الذي احترق معه في السيارة حتى الموت، وأنه كان "واحداً"، وسيتم المُضي في ضرباتنا المُستمرة ضد العدو الإسرائيلي المُجرم في حرب مفتوحة لن تتوقف حتى يتم القضاء على إسرائيل من الوجود ".

فوجئ الإسرائيليون بالسُرعة التي تمكن فيها مغنية من شن الهجمات في تركيا والأرجنتين، وكيف ومتى خططوا لتلك العمليات فمن الواضح أن تلك العمليات وغيرها تم التخطيط لها

مُسبقاً، ليتم تنفيذها عند ظُهور مناسبة، كشف تحقيق مُتعمق أجراه الموساد ومركز مُكافحة الإرهاب التابع لوكالة المُخابرات المركزية (سي آي إيه) أن المجموعة التي نفذت تفجير بوينس آيرس كانت واحدة من 45 خلية نائمة مُنتشرة في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أوروبا والولايات المتحدة، من قبل "جهاز البحث الخاص لحزب الله الوحدة 910"، هذا هو الاسم الرمزي لقوة النُخبة السرية للميليشيا، والتي تتكون من مائتين وأربعمائة من أفضل مُقاتليها وأكثرهم قسوة مُعظمهم تدربوا في إيران على يد سرايا القُدس التابعة للحرس الثوري.

قال ستانلي بيدلينجتون من لجنة مُكافحة الإرهاب: "الهدف من الخلايا هو توفير استجابة فورية خارج الشرق الأوسط في حالة مُحاولة إسرائيلية ضرب حزب الله في لبنان"، مفجرو بوينس آيرس على سبيل المثال، كانوا من خلية تمت زراعتها في "Ciudad del Este" وهي مدينة في باراغواي، بالقُرب من الحُدود مع البرازيل والأرجنتين وشلالات إجوازو الكبيرة حيث استقر عدد كبير من المُهاجرين اللبنانيين الشيعة، قبل وقت طويل من إصابة الموسوي، كانت الخلية قد جمعت قدراً كبيراً من المعلومات حول أهداف إسرائيلية مُحتملة، لاستخدامها عند الحاجة، بعد الاغتيال أمر مغنية فريقاً بمُغادرة لبنان إلى Ciudad del Este، حيث زودهم السُكان المحليون بالمُخابرات والسيارات والمُتفجرات والمُفجر الانتحاري.

لكن في أعقاب الهُجوم مُباشرة قرر الإسرائيليون عدم الرد، جادل بعض عُملاء الموساد برد عدواني في أمريكا الجنوبية، زار فريق من الموساد مدينة Ciudad del Este، قالوا انها "**بلدة تُسمى الجحيم، نحن نتحدث عن خطر واضح وقائم، الهجوم القادم في طريقه** ".

لكن رُؤساء الموساد استجابوا بلامبالاة ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن أي رد آخر كان سيؤدي إلى تغييرات بيروقراطية كبيرة للموساد، إذا بدأت إسرائيل في اعتبار حزب الله تهديداً عالمياً، فسيقع الأمر عندئذٍ تحت مسؤولية الموساد ويتطلب إعادة تنظيم مؤسسي واسع، بما في ذلك انتشار واسع النطاق في أمريكا الجنوبية حيث كان وجوده حتى الآن ضعيفاً للغاية، وبدلاً من ذلك فضلت قيادة الموساد العُليا اعتبار الهُجوم في بوينس آيرس حدثاً مُنعزلاً لمرة واحدة وفُرصة نجاح لحزب الله، والاستمرار في رؤية المُنظمة الشيعية على أنها ظاهرة محلية كان على الجيش الإسرائيلي والشاباك التعامل معها في جنوب لبنان، مع ذلك كانت رسالة مغنية مفهومة بوضوح وامتنعت إسرائيل لسنوات عديدة عن أي مُحاولات لاغتيال قادة حزب الله.

شعر مغنية أنه حقق أهدافه في بوينس آيرس وفي الوقت الحالي أوقف خططه لمزيد من الهجمات خارج ساحة الشرق الأوسط، لكن بينما امتنع عن تفعيل أي خلايا نائمة واصل مغنية استفزازاته في المنطقة الأمنية، من شهر إلى شهر ومن سنة الى سنة تحسن أداء حزب الله وازدادت جرأته، وبمساعدة سخية من إيران قامت بتجنيد أنظمة إلكترونية مُتطورة بشكل مُتزايد ومراقبة الاتصالات اللاسلكية للجيش الإسرائيلي وتحسين الأجهزة المُتفجرة على جانب الطريق حتى لا تستجيب لمُعدات التفجير الإسرائيلية عن بُعد، وزرع الجواسيس داخل جيش تحرير السودان وأرسلت انتحاريين ضد قوات الجيش الإسرائيلي ونفذت غارات خاطفة بهدف احتلال التحصينات الإسرائيلية في جنوب لبنان.

كان لنصر الله فهم جيد لمزاج الجُمهور الإسرائيلي وحساسيته للضحايا، وقد صورت ميليشياته مقاطع فيديو لعملياتها وبثتها على قناة المنار التلفزيونية التابعة لحزب الله، تم التقاط هذه المقاطع بعد ذلك في إسرائيل وغالباً ما يتم إعادة بثها على القنوات الإسرائيلية، لقد كان لها التأثير المقصود والذي كان أكثر استراتيجية منه كونه تكتيكياً، بمُرور الوقت بدأت مشاهدة مقاطع الفيديو العديدة لنجاحات حزب الله تقضم الإجماع الوطني للحفاظ على وجود الجيش الإسرائيلي في لبنان، وردت إسرائيل بقصف متكرر لمواقع حزب الله ومستوطنات كان ينشط فيها مما أسفر عن مقتل كُل من الميليشيات والمدنيين.

في مرحلة ما شعر مغنية أن إسرائيل قد تجاوزت خطأً أحمر، لا أحد في إسرائيل يُمكن أن يُشير إلى إجراء واحد مُحدد أثار غضب مغنية، لكن بعد عامين من تفجير بوينس آيرس شن مغنية هجوماً آخر خارج الشرق الأوسط، في 11 آذار (مارس) 1994 قاد انتحاري شاحنة مُحملة بأطنان من المُتفجرات من ضواحي بانكوك باتجاه السفارة الإسرائيلية، لو كان الهجوم ناجحاً لكان قد تسبب في سُقوط مئات الضحايا، ولكن لحُسن الحظ راود الرجل أفكاره حول أن يُصبح شهيداً وأوقف الشاحنة في مُنتصف الطريق بعيداً عن السفارة وهرب بعيداً.

هذه المرة قرر الإسرائيليون أن الرد ضروري، كان السؤال هو ما الشكل الذي يجب أن يتخذه الانتقام؟ في مُشاورات في مكتب رئيس الوزراء قال ضباط أمان إن ضرب حزب الله ليس كافياً، بل يجب استهداف رعاتها الإيرانيين، وجادلوا بأن اللواء علي رضا أصغري قائد سرايا

القُدس التابعة للحرس الثوري الإيراني مُرشح مُناسب للاغتيال، كان من شأن هذا الاقتراح نقل مسؤولية العملية إلى الموساد.

لكن رئيس الوزراء رابين لم يكن حريصاً على إشراك الإيرانيين، وعلى أي حال لم يكن أحد في المُخابرات الإسرائيلية يعرف مكان أصغري أو كيف يقترب بما يكفي لقتله.

لكن رابين وافق على هدف آخر، في ربيع ذلك العام علم اثنان من عناصر الوحدة 504 بوجود مُعسكر لحزب الله بالقُرب من عين دردارة على مقربة من الحُدود اللبنانية – السورية، حيث كانت الدورة التدريبية جارية، وأكدت الصور الجوية من طائرة استطلاع بدون طيار ورصد الاتصالات اللاسلكية من قبل الوحدة 8200 ذلك، ثم في 2 يونيو / حزيران بعد أسابيع من التخطيط الدقيق هاجمت مروحيات الدفاع الجوي الإسرائيلية موقع التدريب، تناثر المُتدربين في جميع الاتجاهات وهم في أمس الحاجة إلى غطاء من رشاشات المروحيات العسكرية، قُتل خمسون منهم وجُرح خمسون آخرون، وكان من بين المُتدربين أبناء بعض كبار مسؤولي حزب الله واثنين آخرين من الحرس الثوري الإيراني على صلة بمسؤولين في طهران، قال مسؤول إسرائيلي: **"لقد كان الأمر مُشابهاً إلى حد ما لقصف شخص لكُلية إيتون في إنجلترا"**.

ووصفت إذاعات حزب الله الغارة بـ "البربرية" وتعهدت بـ "الرد الشامل على كافة المُستويات"، بعد ستة وأربعين يوماً ضرب مغنية بوينس آيرس مرة أخرى.

في 18 يوليو 1994 فجر إرهابي انتحاري شاحنة مُحملة بالمتفجرات أمام مركز الجالية اليهودية الأرجنتينية AMIA، انهار المبنى المُكون من سبعة طوابق مما أسفر عن مقتل خمسة وثمانين شخصاً وإصابة المئات، استغرق إخراج كُل الجُثث من الحطام عدة أسابيع.

لقد أيقظ هذا التفجير الثاني المُخابرات الإسرائيلية أخيراً على الحقيقة الكاملة للتهديد الدولي الذي يُشكله حزب الله اللبناني، ما بدا قبل عامين كحادث محلي اتضح أنه عمل شبكة عالمية مدعومة من الطوائف الشيعية وتحت حماية السفارات الإيرانية.

لقد أدرك الإسرائيليون أن هذه القُدرات الرائعة **"أفضل من مُعظم ما رأيناه من أي مُنظمة فلسطينية"**، كما قال أحد عملاء أمان انبثقت أولاً وقبل كل شيء من ذهن عماد مغنية.

الانتقام بالنسبة للإسرائيليين يأتي على مرحلتين، أولاً: سيقتل الموساد شقيق مغنية الآخر فؤاد، ثم ينتظر النُشطاء في جنازة فؤاد لمغنية ويقتلونه هُناك أو على الأقل يبدأون عملية مُراقبة ضده، مما سيؤدي في النهاية إلى اغتياله، كان على فؤاد أن يموت لأن الإسرائيليين لم يكن لديهم أدنى فكرة عن كيفية العُثور على مغنية الذي لم يبق سوى صورة مُحببة في ملفاتهم.

لم تستطع قيسارية أداء المهمة بمفردها في بيروت، لذلك كان لابد من توظيف عُملاء محليين، واستقروا في النهاية على شاب فلسطيني يُدعى أحمد الحلاق، أسرته إسرائيل في حرب لبنان عام 1982 وجندته فرقة مفرق الموساد، كان حلاق أشبه ما يكون بالفوضوي وليس له أيديولوجية واضحة غير المال، تعامل في البضائع المُهربة وعمل كبلطجي، مما أتاح له الوصول إلى المناطق المراوغة في بيروت التي تهم الموساد، بحلول عام 1994 كان أحد وكلاء الموساد الرئيسيين في المدينة، بناءً على أوامر من مسؤول ملفه الذي التقى به من وقت لآخر في قبرص، وجد حلاق ذريعة للقيام بزيارة عرضية ظاهرياً لمتجر فؤاد مغنية للأجهزة في حي السفير الشيعي، وخلال الأشهر القليلة التالية قام بتكوين صداقات معه.

في 21 ديسمبر 1994 قبل الساعة الخامسة مساءً ببضع دقائق أوقف حلاق وزوجته حنان سيارتهما خارج متجر فؤاد، ذهب حلاق إلى الداخل للتأكد من وجود فؤاد هناك وتحدث معه لفترة وجيزة حول دين تعهد بتحصيله لصاحب المتجر وغادر المتجر، خرجت زوجته بسرعة من السيارة وابتعد الزوجان، عندما كانوا على بعد حوالي مائة متر من المتجر استدار حلاق ونظر إلى المتجر والسيارة المتوقفة بالخارج ووضع يده في جيبه ليُفجر خمسين كيلوغراماً من المواد شديدة الانفجار في صندوق السيارة مما أدى إلى تدمير متجر فؤاد وقتله مع ثلاثة من المارة وإصابة خمسة عشر آخرين بجُروح خطيرة.

وجاء في بيان صادر عن حزب الله بعد التفجير: **"لا شك في هوية اليد المجرمة التي ارتكبت هذه الجريمة بحق المدنيين في منطقة تجارية في حي السفير ببيروت، واليوم وبعد تهديدات مُتكررة نفذ العدو الصهيوني وأجهزته التخريبية جريمة حقيرة بحق عدد من الناس أثناء قيامهم بالتسوق".**

أُقيمت الجنازة في اليوم التالي وكان لدى الموساد أربع نقاط مرُاقبة في مواقع مُختلفة، نقاط على طول الطريق وفي المقبرة، لكن مغنية كان ذكي وفطن وذو حيلة، ابتعد عن الجنازة خوفاً من أن الموساد ينتظره.

في غُضون ذلك سار حزب الله بسرعة على درب حلاق، تمكن من الفرار من خلال الوصول إلى الشاطئ والالتقاء بغواصة في انتظار نقله إلى إسرائيل، **(حنان التي كانت تُخطط للسفر خارج البلاد، تم القبض عليها وهي في طريقها إلى المطار، وتم استجوابها بوحشية، وحُكم عليها بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً)**، أرسل الموساد حلاق إلى دولة في جنوب شرق آسيا بهوية جديدة لكن لا يتناسب أبدًا مع هؤلاء الأشخاص، إنهم صغيرون وغريبون"، اشتكى في اجتماع مع أحد عملاء الموساد الذي كان على اتصال به، بعد ستة أشهر عرض الموساد وضعه في بلدة عربية في الجليل لكن حلق أصر على العودة إلى لبنان، في مارس 1996 نجح عميل إسرائيلي مُزدوج يعمل لحساب حزب الله في استدراجه لقبول دعوة لتناول طعام الغداء، تم تخدير حلاق ونقله بالشاحنة إلى بيروت حيث تعرض للتعذيب على يد مغنية ورفاقه، ثم تم تسليمه إلى السُلطات اللبنانية ووجهت إليه لائحة اتهام وحكم عليه بالإعدام وأعُدم رميا بالرصاص.

مرت أكثر من ثلاث سنوات على اغتيال عباس الموسوي المُتسرع، لقد مات العشرات من الناس في دائرة انتقام دموية ومع ذلك فقد ازداد قوة حزب الله، مع وجود زعيم جديد نصر الله الذي كان أكثر قوة وفعالية من الموسوي بعدة مرات.

"**لم أتنبأ بدقة بحزب الله" هكذا كان رد فعل** "، اللواء أوري ساجي الذي قال: "**لم أقم بتقييم عماد مغنية بدقة**". واعترف وزير الدفاع أرينز، "**لقد كانت عملية صنع القرار متسرعة للغاية**".

أما رئيس الاركان ايهود باراك فقد اعترف بالحقائق ولم يعترف بالخطأ. قال: "**السؤال كيف كانت الأمور في وقت الفعل؟ لقد عرّفنا موسوي على أنه تهديد واعتقدنا أنه من الصواب توجيه الضربة إليه، كان هذا التفكير الصحيح لتلك اللحظة، كان من الصعب جداً عندئذٍ توقع أنه سيحل محله نصرالله الذي بدا أقل أهمية في ذلك الوقت وأقل تأثيراً، وأنه سيُصبح قائداً بهذه القوة العظيمة، كان من الصعب معرفة أن مغنية سيُصبح الرجل الثاني لديه والذي تبين أنه موهوب للغاية في العمليات** ".

بحلول عام 1995 بقي عماد مغنية على قيد الحياة، وكان حينها واحد فقط من الخصوم لإسرائيل.

24

"مفتاح واحد فقط، إيقاف وتشغيل"

في 16 أبريل / نيسان 1993 كانت هناك حافلتان إحداهما ممتلئة بالجُنود الإسرائيليين كانت مركونة في ساحة كشك على جانب الطريق بالقرب من مُستوطنة محولا في غور الأردن، في غُضون ذلك، انحرفت سيارة عن الطريق وانزلقت بالقرب من الباصات ثم انفجرت.

كان الإرهابي يُريد إحداث أكبر قدر ممكن من القتلى في صُفوف جُنود الحافلتين، ولكن لم يتمكن من احداث ضرر كبير وكان عدد الضحايا مُنخفض، فيما قُتل فلسطيني من القرية المُجاورة كان يعمل في مطعم للوجبات الخفيفة، وأُصيب ثمانية اشخاص بجروح طفيفة، لكن مُحققي الشاباك أشاروا إلى وُجود بقايا مُتفحمة لسائقها داخل السيارة، إلى جانب اسطوانات غاز الطهي المستخدمة كمواد متفجرة بجانب الانتحاري.

حتى الآن كانت الهجمات الانتحارية شائعة بدرجة كافية ولكن حتى هذه النقطة كانت جميعها قد حدثت في أماكن أُخرى وليس في إسرائيل، هذا الهُجوم حول موجة الإرهاب باستخدام العمليات الانتحارية الى داخل إسرائيل، في غضون عام كان الانتحاريون يُفجرون أنفسهم في جميع أنحاء البلاد، وخلال أحد عشر شهراً قتلوا أكثر من مائة إسرائيلي وجرحوا أكثر من ألف.

حاول كبار مسؤولي الشاباك أن يفهموا أين أخطأوا وكيف أصبح الوضع مُروعاً للغاية، بدأوا في تتبع مُعظم الهجمات إلى ثلاثة رجال فقط، لكن اثنين منهم وهما أحمد ياسين وصلاح شحادة، كانا في السُجون الإسرائيلية، والثالث يحيى عياش كان في بولندا أو هكذا اعتقدوا.

لم يكن لدى الإسرائيليين أي فكرة عن كيفية تمكن هؤلاء الثلاثة من التواصل مع بعضهم البعض، ناهيك عن كيفية تحضير العبوات الناسفة وكيف نجحوا في تجنيد وإرسال العديد من الانتحاريين.

وُلد ياسين في قرية الجورة الفلسطينية وأصبح لاجئاً في حرب عام 1948 وانتهى به الأمر مع عائلته في قطاع غزة الخاضع للسيطرة المصرية، مثل العديد من الشباب الفلسطينيين انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، حيث التقى بلاجئ آخر أكبر منه بعامين اسمه خليل الوزير الزعيم الكاريزمي الذي أصبح يُعرف باسم أبو جهاد، وخشي الوزير من أن يكون الارتباط بجماعة الإخوان يُمثل صراع مع الحكومة المصرية وبذلك قد يكون عقبة في طريقه، وتنازل عن ذلك، لكن ياسين الهادئ والمنطوي شعر أنه وجد مهنته الحقيقية في حياته واتضح أنه مُعجزة في الدراسات الإسلامية.

بعد الهزيمة العربية في حرب الأيام الستة عام 1967 بينما شن الوزير حملة ضخمة من حرب العصابات ضد إسرائيل مُعتقداً أن القوة وحدها هي التي ستُدمر إسرائيل في النهاية، توصل ياسين إلى نتيجة مُختلفة، كان يعتقد أن هزيمة العرب كانت نتيجة إخفاقاتهم الأخلاقية وأن الأنظمة العلمانية والمُنحلة قد ابتعدت عن الله، لذلك كان الفداء موجوداً في الإخلاص للإسلام "**الإسلام هو الحل**"، قال مراراً "**الإسلام هو الحل**" وهو نفس صدى الشعار الذي استخدمه روح الله الخميني لإيقاظ أتباعه بالفارسية.

في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات وفي مُحاولة لبناء حركة قائمة على القيم الإسلامية، أنشأ ياسين المساجد والمعاهد التعليمية الإسلامية وكذلك شبكة من هيئات الرعاية الاجتماعية والمُساعدات الاجتماعية، رجل ضعيف ونحيل تحدث بصوت عالٍ واستخدم كُرسياً مُتحركاً نتيجة حادث طفولته، بدا ياسين أنه مُصلح اجتماعي حساس يقوم بأعمال إلهية في غزة، من المؤكد أن الشاباك افترض أنه لا يُشكل تهديدا لإسرائيل.

في الحقيقة العديد من عُملاء الشاباك أحبوا ياسين، على عكس مُنظمة التحرير الفلسطينية لم يحاول إخفاء أنشطته بل إنه أجرى مُحادثات طويلة مع المسؤولين الإسرائيليين كُلما طلبوا لقاءه. كان متُحدث مُمتاز وعلى دراية بالتاريخ الصهيوني والسياسة الإسرائيلية، حاد الذكاء ولطيف للغاية، "يتذكر ضابط كبير في الشاباك كان يعمل في غزة في ذلك الوقت واسمه أريستو، "**لقد كان مُختلفاً تماماً عن أي من إرهابيي مُنظمة التحرير الفلسطينية الذين اعتدنا استجوابهم**".

مع حشد عرفات للتأييد في المناطق والاعتراف به في جميع أنحاء العالم بدا من الأفضل ترك ياسين، قال أمنون ليبكين شاك رئيس أمان في أواخر الثمانينيات: "**بمعنى ما قام الشاباك بتنمية الجهادي**".

قال عامي أيالون رئيس الشاباك في التسعينيات: "**كانت الوكالة أحد العوامل التي دعمت العناصر الإسلامية، كان تفكيرنا أنه من أجل خلق ثقل موازن للحركة الوطنية الفلسطينية التابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، فإننا نُشجع الإسلام الذي لا يحتوي على عنصر قومي على الأقل هذا ما كُنا نعتقده حينها**". كان الأمل في أن رجال الدين المُسلمين الذين تزداد شعبيتهم بفضل أنشطتهم الاجتماعية في الحضانات والعيادات ومراكز الشباب والمساجد سوف يستنزفون دعم فتح ويُضعفون عرفات.

في ذلك الوقت كان يُنظر إلى جماعة الإخوان المسلمين في غزة بشكل أساسي على أنها حركة اجتماعية خالية من الطموحات السياسية، طوال الستينيات والسبعينيات كان ذلك دقيقاً إلى حد كبير، لكن بعد ذلك أطاح آية الله الخميني بالشاه في إيران، عالم دين تقي ومقدس قاد ثورة، وشكل جيشاً، وأسس حَكومة فاعلة، لقد أظهر للمسلمين في كل مكان وليس فقط للشيعة أمثاله، أن الإسلام لم يكن ديناً فقط، مقيداً بالخطب في المساجد والصدقات في الشوارع، ولكنه أداة للقوة السياسية والعسكرية، أن الإسلام يمكن أن يكون أيديولوجية حكومية، أن الإسلام هو الحل لكل شيء.

في المناطق الفلسطينية بدأت نغمات الخُطباء تتغير، قال يوفال ديسكين الذي أصبح رئيس الشاباك في عام 2005 والذي قضى مُعظم حياته المهنية كعميل استخبارات يتصرف بعُمق داخل السكان الفلسطينيين، "**بدأت الاعتذارات التي ميزت الإسلام تختفي، السلبية والانتظار للعملية الطويلة لإعداد قلوب الناس لـ" الخلاص "أفسحت المجال للنُشاط والدعوة للنضال والجهاد، تحولوا من ممسحات متواضعة إلى نُشطاء نشيطين للغاية، حدث ذلك هنا في غزة وكذلك في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأفريقيا، لقد كانوا على مُستوى شخصي أعلى وكانوا أكثر تفانياً من الناحية الأيديولوجية من أفراد مُنظمة التحرير الفلسطينية وكانت قُدرتهم على تقسيم الحاجة إلى المعرفة أفضل بلا حدود من أي شيء رأيناه، لا نحن ولا بقية العالم الغربي رأينا هذه العمليات في الوقت الحقيقي** ".

كان ياسين من أوائل الموفدين الذين اكتشفهم الشاباك بالصدفة في نيسان / أبريل 1984، وفي أحد الأيام تم اعتقال ناشط فلسطيني شاب في غزة للاشتباه في تورطه في أعمال إرهابية ترعاها فتح، تم اقتياده إلى غُرفة استجواب احتياطية حيث استجوبه مُحقق الشاباك ميخا كوبي (نفس الرجل الذي استجوب الإرهابيين اللذين اختطفا حافلة عسقلان قبل قتلهما على يد الشاباك والذي رفض الكذب عن الحادث لاحقاً).

كان المُشتبه به يتحدث مُتخلياً عن مُقتطفات من المعلومات لكن كوبي شعر أنه كان يحجب شيئاً ما، وهو سر مُهم للغاية لا يمُكن إخباره، انحنى كوبي إلى الأمام وكأنه يهمس بشيء في أذن الفلسطينيين، ثم قام بتأرجح ذراعه الضخم، وارتفعت يده بسرعة من وركه وصفع بكفه على وجه الرجل مما دفعه من كرسيه إلى الحائط، "لا أُريد أن أسمع كُل القمامة التي تقولها لي!" صرخ كوبي بالعربية. "الآن ابدأ في إعطائي الأشياء الجادة حقاً وإلا فلن تغُادر هنا اليوم حياً".

كان هذا كل ما يحتاجه الرجل وسُرعان ما كشف التحقيق أن الشيخ ياسين كان يعمل بأوامر من الجناح المُتطرف للإخوان المُسلمين في الأردن وقائده الفلسطيني عبد الله عزام، في ذلك الوقت كان عزام نشطاً أيضاً في بيشاور وهي مدينة كبيرة في شمال غرب باكستان حيث التقى بأحد أفراد عائلة ثرية من مُقاولي البناء السعوديين وأقنعه بتبني نفس الفكر الجهادي المُتشدد، بدأ السعودي الثري في استخدام أموال عائلته لتمويل تنظيم ودعم شبكات الإسلاميين المُتعصبين وبعضهم من خريجي مُعسكرات التدريب التي كانت تُديرها وكالة المُخابرات المركزية في أفغانستان كقوة بالوكالة ضد السوفييت المُحتلين، كان اسم الرجل أسامة بن لادن.

كان رجال عزام في الأردن يُرسلون الأموال التي حصلوا عليها من أثرياء في الأردن والسعودية إلى ياسين الذي استخدمها في تشكيل خلايا مُسلحة استعداداً لشن الجهاد ضد إسرائيل، وبفضل المعلومات التي قدمها الفلسطيني المُستجوب اعتقلت السُلطات الإسرائيلية ياسين وبدأت في اعتقال أقرب المُقربين منه، وكان أهم هؤلاء الرجال صلاح شحادة وهو عامل اجتماعي من حيث المهنة ومُثقف وماهر، بفضل ياسين أصبح مُسلماً مُتديناً وفي النهاية كبير مُساعدي مُعلمه المسؤول عن الأنشطة السرية للمُنظمة.

موظفو الشاباك الغاضبون من خدع الشيخ ورجاله عرضوا سُجناءهم لمُعاملة قاسية، كان شحادة أول من هرب حيث تعرض للضرب المُبرح وحُرم من النوم والجوع، عانى شحادة من

رهاب الأماكن المُغلقة واستغل الشاباك ذلك وحبسه معصوب العينين وربط يديه وقدميه في قبو، ثُم شغّل شرائط من أصوات الفئران والصراصير، توسل أن يتم إخراجه وعندما كان، كان كوبي ينتظره.

أخبر كوبي شحادة أنه يُمكنه تناول الطعام مُقابل الحصول على معلومات، وافق شحادة المرهق والجائع، على شرط ألا يكشف كوبي أنه كان أول من يتحدث.

وكان آخر من استراح هو ياسين نفسه، على الرغم من عدم استخدام أي وسائل جسدية ضده، حيث تعامل مُحقق الشاباك أريستو مع الاستجواب.

اتضح من التحقيقات أن ياسين كان يستعد للجهاد العنيف مُنذ فترة طويلة أي منذ عام 1981، أمر رجاله باقتحام قواعد الجيش الإسرائيلي وسرقة الأسلحة والذخيرة وقاموا بتجميع كمية كبيرة من الأسلحة، إجمالاً تم العُثور على أربعة وأربعين قطعة سلاح، وهي الترسانة الأولى للمُنظمة.

وكشف التحقيق أن ياسين أنشأ سرا وحدة عسكرية صغيرة بقيادة صلاح شحادة، تتكون هذه الوحدة من جُزأين مُنفصلين أحدهما يعمل ضد الفلسطينيين الضالين، والآخر من شأنه أن يشن الجهاد ضد إسرائيل، اختار ياسين ورجاله العاملين للوحدتين من خلال مرُاقبة برنامج تدريبي أجرته لجان الرياضة والثقافة التابعة لمُنظمته الخيرية، أظهر لهم من هم لائقون بدنياً ولديهم القُدرة التنظيمية والالتزام الأيديولوجي بالحركة.

في مُلخص كتبه بعد استجواب جميع المُعتقلين لاحظ كوبي أن رجال شحادة كانوا "أذكياء جداً وأفضل في درجات التعليم، ومُتدينون مُتعصبون، ويتحركون في فضاءهم الخاص، ويكاد يكون من المُستحيل اختراقهم" للذكاء، تقريره هذا طرح للنقاش من قبل القيادة العلُيا للشين بيت يقول أريستو: "لكن أفرام [أفراهام شالوم مدير الوكالة] قال إنه ليست هُناك حاجة على الإطلاق للتعامل مع الأمر، ولن يأتي منه شيء ضار، Tzileigerim **[كلمة عامية لليديشية تعني الخاسرين أو المعوقين]** كان ما أسماه ياسين وعصابته، كان لدي انطباع بأنه كان من المُهم جداً بالنسبة لأفروم أن يرضي المُستوى السياسي الذي يعلوه، أي حكومة الليكود وشامير، الذين كرهوا مُنظمة التحرير الفلسطينية، وأخبرهم بابتسامته أنه كان يعمل سراً على مؤامرة مُعقدة ستُلحق ضرراً كبيراً بعرفات، من المنظور التاريخي قد يكون السبب أنه كان مُحقاً في وجود مؤامرة مُعقدة بالفعل ومتطورة للغاية لدرجة أنه هو والشاباك بأكمله أخطأها تماماً ".

—

حُكم على ياسين بالسجن لمُدة عشر سنوات لتورطه في سلسلة من سرقات الأسلحة ولكن أُطلق سراحه بعد عام كُجزء من تبادل الأسرى مع أحمد جبريل، عاد على الفور إلى حيث توقف عن بناء البنية التحتية للمُنظمة، كان لدى ياسين ذاكرة استثنائية وكان يعرف عن ظهر قلب 1500 اسم رمزي كان قد ابتكرها لمُختلف العُملاء والعمليات وصناديق البريد، كان بإمكانه أن يقرأ السيرة الذاتية لكل عضو، وأظهر وعياً مُذهلاً بالابتكارات التكنولوجية والشؤون الحالية في الشرق الأوسط.

في السنوات التي تلت ذلك قام ياسين بتطوير ونشر عقيدته التي تدعو إلى استخدام الهجمات الانتحارية، وأشار لمصلحة تلاميذه، إلى الفروق بين الانتحار المُحرم نهائياً، والتضحية بالنفس في ساحة المعركة، وهي وصية دينية تضمن للشهيد وحتى لأفراد أسرته مكانا في الجنة، فكُلما نال المُنتحر بركة شيخ إسلامي مؤهل يحكم ياسين فإن المُحتضر لا يتصرف بدوافع شخصية بل يُعتبر شهيداً استُشهد مُجاهداً في سبيل الله.

في غُضون ذلك كان الشاباك في فترة انتقالية صعبة وكانت الوكالة تُحاول مواجهة سلسلة من الصدمات التي سببتها حادثة حافلة عسقلان وما تلاها، في غُضون فترة وجيزة تم استبدال مُعظم قيادة المُنظمة برجال أصغر سنا، واستغرق الأمر وقتاً حتى يصلوا إلى مرحلة النُضج المهني، قال العديد من ضُباط القضايا والمُحققين إنهم خلال هذه الفترة حذروا رؤسائهم من خطر الإسلام المُتطرف لكن الوكالة كانت عاجزة للغاية عن التعامل معها، عندما اندلعت الانتفاضة الأولى في أواخر عام 1987 كان ياسين بالفعل الشخصية الدينية والسياسية الأكثر أهمية في غزة والضفة الغربية، حيث كان يقف على رأس حركة تضم مئات الأعضاء وعشرات الآلاف من المؤيدين، في كانون الأول من ذلك العام أعلن ياسين أن الجهاد قد بدأ، أطلق على مُنظمته اسم "حركة المقاومة الإسلامية" واسمها المُختصر "حماس" أي "الحماسة".

خلال الأشهر التي تلت ذلك بدأت التقارير المُفككة عن الحركة في الوصول إلى الشاباك وفي آب (أغسطس) 1988 تم التخطيط لعملية واسعة النطاق ضد، قام الشاباك باعتقال 180 شخصاً ووضعهم في استجواب مُكثف، لكنهم كانوا جميعاً مُستعدين جيداً ولم يكشفوا عن المعلومات الأكثر أهمية: أن صلاح شحادة أكبر عضو احتجز في الاعتقال، قام بإعداد

الجناح العسكري وكان يقودها هو بنفسه، في البداية أطلق عليه اسم الوحدة 101، على اسم وحدة القيادة الأسطورية لأريبل شارون، في وقت لاحق تم تغيير الاسم إلى الوحدة الخاصة، كتائب عز الدين القسام، وهو زعيم فلسطيني نفذ هجمات على أهداف بريطانية ويهودية في الثلاثينيات.

واصل شحادة قيادة الجناح العسكري من السجن وقام بتهريب الرسائل المُشفرة، في عام 1989 أرسل مع ياسين عُنصرين من الوحدة، محمود المبحوح ومحمد نصر، لاختطاف وقتل جُنديين إسرائيليين، كانوا ينتظرون في سيارة تحمل لوحات إسرائيلية، حيث كانوا يعرفون أن جنوداً يركبون سياراتهم، وهي مُمارسة مُنتشرة جداً في إسرائيل، حيث يسعد العديد من سائقي السيارات بمُساعدة الجنود في ايصالهم الى منازلهم أو العودة إلى قواعدهم بعد إجازة قصيرة لهم.

بعد عقدين من الزمان قال المبحوح لشبكة الجزيرة التلفزيونية كيف أمسكوا بأحد الجُنديين، إيلان سعدون:

> **تنكرنا في هيئة يهود مُتدينين مُرتدين قلنسوة على رُؤوسنا مثل الحاخامات، وصلت سيارة أخرى إلى المفترق ونزلت ركاباً، سيارتنا بها صناديق [لتحتل مساحة، لذلك يمكن لراكب واحد فقط أن يدخلها]، كانت الصناديق ورائي، والباب خلفي كان مُعطلاً، قلت له [سعدون] أن يذهب إلى الجانب الآخر.**
>
> **لقد فعل ذلك وجلس على المقعد الخلفي، كان لديّ أنا وأبو صاحب [شريكه، نصر] إشارة مرتبة مُسبقاً مفادها أنني في اللحظة المُناسبة سأضع إشارة بيدي، لأنني كنت أستطيع رؤية ما كان يحدث على الطريق أمامنا وخلف.. وبعد التقاطع بنحو ثلاث كيلومترات، أعطيت الإشارة لأبو صاحب وأطلق النار من مُسدس بيريتا، سمعته [سعدون] يتنفس بصعوبة... لقد أخذ رصاصتين في وجهه وواحدة في الصدر، وهو يلهث، وكان هذا مشهد القتل- انتهى، بعد ذلك وضعناه على المقعد وأخذناه إلى المكان المُحدد مُسبقاً.**

وأضاف المبحوح أنه أراد إطلاق النار على سعدون بنفسه، لكن من دواعي أسفه الشديد أن شريكه هو الذي تمتع بهذا الامتياز، في كلا عمليتي الاختطاف التقط المبحوح ونصر صوراً لهما وهما يدوسان على جُثث الجنود احتفالاً بانتصارهم.

هرب المبحوح ونصر إلى مصر قبل أن يتمكن الشاباك من اعتقالهما، أصبح المبحوح شخصية عملياتية رئيسية في حماس في الخارج، واعتقل أعضاء كتائب عز الدين القسام الآخرون الذين قدموا دعما لوجيستيا للقاتلين وتعرضوا للتعذيب، بما في ذلك الإعدام الوهمي وحقن خماسي الصوديوم، جميعهم اعترفوا، وكان أحدهم يرتدي زي الجيش الإسرائيلي وتم دفعه في أنحاء القطاع وأجبروه على الإشارة إلى المكان الذي أخفوا فيه بندقية سعدون وعلامات الكلاب، إلى جانب الأسلحة التي استخدموها، وحكم على ياسين بالسجن المؤبد لدوره في القتل.

—

في صباح يوم 13 كانون الأول (ديسمبر) 1992 دخل رجلان مُلثمان مكتب الصليب الأحمر في بلدة البيرة في الضفة الغربية وسلموا موظف الاستقبال رسالة، حذروها من فتحها إلا بعد نصف ساعة من مغادرتهم وهربوا.

وجاء في البيان: "اليوم، 9000/12/13، الذكرى الخامسة لتأسيس حماس، تم اختطاف ضابط في جيش الاحتلال، إنه مُحتجز في مكان آمن .... نبلغ سلطات الاحتلال بأننا نُطالبهم والقيادة الإسرائيلية بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين مُقابل إطلاق سراح هذا الضابط ".

ووقعت الرسالة "الوحدة الخاصة، كتائب عز الدين القسام، الذراع العسكري، حماس". أُرفقت بالرسالة صورة لبطاقة هوية الشرطي الخاصة بالرقيب الأول نسيم توليدانو من شُرطة الحدود.

رئيس الوزراء ووزير الدفاع اسحق رابين قرر عدم الانصياع لطلب الخاطفين وبدلاً من ذلك شن حملة واسعة من المُداهمات والاعتقالات، في غُضون ذلك حاول الشاباك شراء بعض الوقت، تم إرسال المسؤول البارز، باراك بن زور لمُقابلة ياسين في السجن، ليطلب منه الموافقة على إجراء مُقابلة معه من قبل وسائل الإعلام وتوجيه أتباعه بعدم إيذاء الشرطي المُختطف.

استقبل الشيخ بن زور جالساً على كُرسيه المُتحرك، ملفوفاً في بطانية، "بابتسامة كانت شبه ودية". وأجرى عددا من المُقابلات وكرر في كل منها البيان المطلوب.

بعد ذلك فقط أدرك الشاباك سبب التزام ياسين بذلك، كان قد توقع الموقف وأمر رجاله مُسبقاً أنه مهما سمعوه يقول في أي مُقابلة، يجب ألا ينتبهوا له ولا يُطيعوه، لأن الرسالة كانت على الأرجح قد انتُزعت منه رغماً عنه.

السجن لم يُقلل من نفوذ ياسين ولم يكسر إرادته، وقال لبنزور "**لن يكون هُناك سلام أبداً**" بعد انتهاء المُقابلات وإغلاق الكاميرات، "**سنأخذ ما تقدمه لكننا لن نتخلى عن كفاحنا المُسلح، ما دمت أنا، الشيخ ياسين، على قيد الحياة، سأحرص على عدم إجراء مُحادثات سلام مع إسرائيل، ليس لدي مُشكلة في الوقت: عشر سنوات أخرى، ومائة سنة أُخرى في النهاية سوف تمحى من على وجه الأرض** ".

رجال حماس كما أُمروا سابقاً، تجاهلوا تعليمات ياسين العلنية بعدم المس بتوليدانو، في تلك الليلة، جاء الخاطفون الأربعة، وهم يرتدون زي النينجا ومُسلحين بالسكاكين، إلى الكهف الذي كان يحتجز فيه توليدانو، قالوا له "طلبنا من إسرائيل أن تُفرج عنك مُقابل الافراج عن الشيخ أحمد ياسين"، لكن حكومتكم رفضت، وهذا دليل على أن أرواح جنودها لا تهمهم، نحن آسفون لأننا مُضطرون لقتلك".

بدأ توليدانو في البُكاء، توسل اليهم لإطلاق سراحه.

قال أحد رجال حماس: "ما هي أمنيتك الأخيرة؟".

فقال: "إذا قررت قتلي، اقتلني عندما أرتدي الزي الرسمي".

وخنقه رجال حماس، ثم طعنوه عندما تبين أنه لا يزال على قيد الحياة.

بالنسبة لرابين كان مقتل توليدانو بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، وفي الأسبوع السابق لقي خمسة إسرائيليين مصرعهم في هجمات نفذت معُظمها حماس، حكومة رابين التي أدركت الآن الخطر الذي تمُثله حماس، قررت أن الوقت قد حان لتوجيه ضربة حاسمة للحركة، اقترح البعض في الشاباك تسميم ياسين في السجن وهو أمر سهل نسبياً، رفض رابين الفكرة بشكل قاطع خوفاً من أعمال الشغب التي ستنشأ حتماً عندما أصبح معروفاً أن ياسين توفي أثناء احتجازه في إسرائيل.

اقترح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيهود باراك، بديلاً مُختلفاً: الطرد الجماعي لنُشطاء حماس إلى لبنان، قال اللواء داني ياتوم قائد القيادة المركزية للجيش الإسرائيلي: **"لقد جربنا الكثير من الأساليب ضد حماس، وبدا لنا لسبب ما، أن هذا الطرد إلى لبنان سيضر بشدة بدوافع الإرهابيين الذين طردناهم والذين يُفكرون في ذلك في المُستقبل".**

كان هذا قراراً إشكالياً من الناحية الأخلاقية والقانونية والعملية، كان الجيش الإسرائيلي والشاباك يأملان في تنفيذ الطرد سرا، قبل أن يتأثر العالم به، مما يضعهما تحت ضغط زمني هائل، وبدءً من 16 ديسمبر / كانون الأول، اعتقلوا أربعمائة شخص مُشتبه في صلتهم بحركة حماس، ولم يكن أي منهم على صلة مُباشرة بالأعمال الإرهابية الأخيرة، وعصبوا أعينهم وقيدوا أيديهم، ثُم وضعوهم في حافلات ونقلوهم إلى الحُدود اللبنانية.

لكن الأخبار عن العملية تسربت على أي حال وفي إسرائيل تقدم عدد من المُنظمات غير الحُكومية، وكذلك أُسر بعض المُرحلين، بالتماس إلى المحكمة العُليا لوقفها، مما أخر قافلة الحافلات لساعات. رفض مكتب المُدعي العام تمثيل الحُكومة، مُعتقداً أن الطرد كان في الواقع جريمة حرب، وكان على رئيس الأركان باراك نفسه أن يذهب إلى المحكمة لمُحاولة إقناع القضاة.

لقد نجح لكن في غُضون ذلك اندلعت فضيحة دولية، اتضح أن حوالي رُبع المُبعدين قد تم تحميلهم في الحافلات عن طريق الخطأ، ولم يكونوا من الأشخاص الذين قصد الشين بيت طردهم، في غضون ذلك أغلق لبنان حدوده، وعلقت الحافلات في أرض نعمان بين المنطقة الأمنية التي تُسيطر عليها إسرائيل في الجنوب والأراضي التي يُسيطر عليها الجيش اللبناني وحزب الله في الشمال.

أعطت مرافقة الشرطة العسكرية التابعة للجيش الإسرائيلي لكل مُرحل 50 دولاراً نقداً، ومعطفاً، وبطانيتين، ثُم أجبرهم على النزول من الحافلات، وأزالوا عُصب عيونهم وأصفادهم البلاستيكية، ثم أداروا الحافلات وعادوا إلى إسرائيل، في نهاية المطاف نصب المرحلون مُخيماً في مرج الزُهور بالقُرب من بلدة حاصبيا الدُرزية، في البداية أعاقت الحُكومة اللبنانية مُحاولات الصليب الأحمر لتقديم المُساعدة، رُغبة منها في تكثيف محنة المُبعدين وإحراج الحُكومة الإسرائيلية أكثر.

كما حدث فإن الطرد كان في الواقع ضربة قوية لحماس، في هذه المرحلة كان اثنان من كبار قادتها، ياسين وشحادة في سجن إسرائيلي وبقية قادته الآن في مُخيم بعيد على تلة مُتجمدة وعاصفة في لبنان، بدون كهرباء وبدون وسائل اتصال، وبدون أدنى مُقومات الحياة.

لكن الوضع تغير بشكل كبير بعد أسبوع من الطرد عندما جاءت مجموعة من اللبنانيين للزيارة، قدم زعيمهم نفسه على أنه وفيق صفا من حزب الله، وحياهم باسم الأمين العام حسن نصر الله، وسأل عما إذا كان الُمبعدين بحاجة إلى أي مُساعدة.

جاءت هذه الزيارة بعد سلسلة لقاءات بين نصر الله والحرس الثوري الإيراني ومغنية وصفا الذي أصبح نوعاً ما يُشكل وزير خارجية التنظيم، وكان مغنية قد رأى في طرد جماعة حماس ومُعاناتها هبة من السماء في رأيه، يمكن لحزب الله ويجب عليه أن ينتهز الفرصة لتوسيع نفوذه خارج حُدود لبنان، مع شُركاء ليسوا بالضرورة إيرانيين أو شيعة، في النهاية تمكن من إقناع الآخرين بذلك أيضاً.

كقاعدة عامة لم يقم المُقاتلون الشيعة بتحالفات مع الفلسطينيين المُسلمين السُنة، كانت هذه بادرة مُفاجئة تجاه حماس المُسلمة السُنية، وحماس أيضاً كانت مُترددة في البداية، لم يكن الارتباط يبدو طبيعياً بالنسبة لهم، لكن مأزقهم كان حاسماً، وكانوا يتشاركون في كراهية عدو مُشترك، استجابوا بشكل إيجابي لذلك، وفي غُضون وقت قصير بدأت قوافل الحمير والبغال في جلب المزيد من الخيام المُقاومة للعوامل الجوية والملابس الدافئة ومواقد التدفئة والوقود، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الطعام ومواد التنظيف والغسيل لإعانتهم خلال فصل الشتاء القاسي .

بعد ذلك جاءت وسائل الإعلام اللبنانية – بعضها تحت سيطرة أو تأثير حزب الله، لكن البعض الآخر غطى ببساطة قصة جيدة ليُخبر العالم عن مُعاناة المُرحلين، ثُم جاء المُدربون العسكريون والإرهاب، حتى تلك اللحظةلم يكن لدى حماس أي تدريب تقريباً في العمليات القتالية أو الاستخبارات، في هذا الصدد تبين أن الطرد كان بمثابة هبة من السماء بالنسبة لهم أيضاً.

أقام رجال مغنية بقيادة شقيقه مُصطفى بدر الدين، مع مُدربين من فيلق القُدس التابع للقيادة العامة والقيادة منطقة حراسة بالقرب من المخيم، لكنها بعيدة بما يكفي لتجنب أعين المُتطفلين لوسائل الإعلام التي كانت تُغطي أحدث الابعاد بشكل كبير، وتم تدريب رجال حماس على الكثير من التقنيات العسكرية في مجال الاتصالات، والتشفير، والأمن الميداني، والأسلحة

الخفيفة، وقاذفات الصواريخ، والتجسس ومُكافحة التجسس، وحرب المُدن، والقتال اليدوي، وأكثر من ذلك.

أُعجب مُعلمو مغنية بشكل خاص بمُهندس كهربائي يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً من شمال الضفة الغربية وهو خريج جامعة بير زيت يُدعى يحيى عياش، والذي سيُعرف بشكل مناسب، باسم "**المُهندس**" علمه الخُبراء الإيرانيون وحزب الله كيفية صُنع المُتفجرات سراً من أدوات منزلية يسهل شراؤها، وكيفية صُنع عُبوات ناسفة صغيرة ولكنها مُميتة باستخدام المسامير والبراغي كشظايا، وكيفية صُنع السيارات المُفخخة، جاء مغنية نفسه إلى المُخيم للتحدث مع عياش وبعض رفاقه حول الطُرق التي يُمكن من خلالها تحديد المُرشحين المُحتملين للتفجيرات الانتحارية وكيفية تجنيدهم وكيفية التعامل مع العملية الحساسة والصعبة المُتمثلة في إقناعهم بالقيام بهذا العمل.

بينما كان رجاله يتدربون على جبل مقفر، كان يتم إعادة بناء مُنظمة ياسين في الضفة الغربية وغزة، على مر السنين أنشأت حماس شبكة واسعة من النُشطاء وجامعي التبرعات في الخليج العربي والأردن والولايات المُتحدة، تحت القيادة العامة لموسى أبو مرزوق، وهو مواطن أمريكي. ساهم شُيوخ أثرياء من المملكة العربية السعودية إلى جانب نُظرائهم من الإمارات الخليجية والمُسلمين الأثرياء في الغرب بأموال للمنظمة، بعد الطرد الجماعي، أرسل مرزوق أحد مُساعديه، محمد صلاح من الولايات المُتحدة إلى الأراضي المُحتلة بمئات الآلاف من الدولارات نقداً.

الضغط الدولي على إسرائيل يتصاعد يومياً، كانت هُناك تغطية إعلامية مُتواصلة للمُخيم، وإدانة شديدة من قبل مجلس الأمن الدولي والتهديد بفرض عُقوبات، ومواجهة عنيفة بشكل مُتزايد مع إدارة الرئيس الجديد بيل كلينتون ووزير خارجيته، وارن كريستوفر، بحلول شباط (فبراير) 1992 أدرك رابين أن الأمر برمته كان خطأً كبيراً، ووافق على اقتراح كريستوفر بإعادة بعض المُرحلين فوراً والبقية بحلول نهاية العام مُقابل الفيتو الأمريكي لصالح إسرائيل في مجلس الأمن.

عاد المُبعدون إلى قطاع غزة والضفة الغربية مُنتصرين، عُين عياش قائدا لكتائب عز الدين القسام في الضفة الغربية، وبعد فترة وجيزة قام بتنظيم تفجير انتحاري في نيسان 1993، قُتل

فيه مُنفذ الهجوم ومدني، لكن في هجومه التالي، انتظر عياش لحظة حاسمة، الأمر الذي من شأنه أن يُبرر ويُشرعن التفجيرات الانتحارية في نظر الفلسطينيين إلى الأبد.

جاءت تلك اللحظة في 25 فبراير 1994 عندما أطلق الدكتور باروخ غولدشتاين النار على المُسلمين الذين يتعبدون في المسجد الإبراهيمي في تلك المدينة، يقع في الحرم الإبراهيمي، وهو الموقع الذي تبجله الديانتان كمكان دفن إبراهيم.

"حيث كان غولدشتاين أحد أتباع بروكلين بورن للحاخام مئير كهانا ورابي الدفاع اليهودي، الذي هاجر إلى كريات أربع"

خلال دقيقة ونصف من إطلاق النار مستخدما بُندقية الجليل التي صنعها جيش الدفاع الإسرائيلي ويرتدي زي الجيش الإسرائيلي، تمكن جولدشتاين من استبدال أربع مخازن للذخيره. ثم ألقى عليه أحد المسلمين طفاية حريق فوقع أرضاً، انقض عليه المُصلون وضربوه حتى الموت، قبل أن يُصبح عاجزاً، تمكن من قتل عشرين من المُصلين وجرح أكثر من مائة.

في جميع أنحاء العالم الإسلامي كان هُناك الكثير ممن رأوا في هذا العمل ليس فقط جريمة حقيرة ضد الأبرياء ولكن إعلان حرب من قبل اليهود على الإسلام نفسه.

كانت هذه هي اللحظة التي كان يحيى عياش ينتظرها، أحصى طُقوس الحداد أربعين يوماً قبل الضربة، ثم في 6 أبريل / نيسان، فجر انتحاري جنده عياش نفسه بالقُرب من حافلتين في بلدة العفولة الإسرائيلية شمال الضفة الغربية، وقتل معه ثمانية مدنيين، وبعد أسبوع قتل انتحاري آخر خمسة إسرائيليين في محطة الحافلات في الخضيرة، في 19 أكتوبر ضرب عياش في قلب مدينة تل أبيب، حيث فجر فلسطيني حزام ناسف في حافلة رقم 5 في شارع ديزنغوف بالمدينة، مما أسفر عن مقتل 22 شخصاً، استمرت التفجيرات واستمرت.

وقال آفي ديختر من الشاباك، "**حتى ذلك الحين، كان الإرهابيون الفلسطينيون الذين تعرفنا عليهم لديهم شهوة للحياة، حتى ليلى خالد في خطفها الأخير بقنبلتين يدويتين في يديها، عندما واجهها حارس أمن إسرائيلي بمُسدس، لم يكن لديها الشجاعة لتفجير نفسها، كان التغيير في عام 1993 دراماتيكياً وقد فاجأنا**".

لقد نمت قوة الإرهابيين بشكل كبير فلا يحتاج المُفجر الانتحاري إلى مهارة تشغيلية إنه مُفتاح واحد فقط بين الإيقاف والتشغيل، عندما يكون هُناك أربعمائة على قائمة الانتظار ليكونوا إرهابيين انتحاريين، يُمكن للجميع رُؤية خُطورة المُشكلة.

ولاحظ منافسو حماس نجاحات عياش والدعم الذي لقيه نشاطه في الشارع الفلسطيني، في 11 تشرين الثاني (نوفمبر) 1994 فجر عضو في حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين نفسه في موقع للجيش الإسرائيلي عند مُفترق نتساريم في قطاع غزة، مما أدى إلى مقتل ثلاثة من ضُباط الاحتياط. في 22 كانون الثاني (يناير) 1995 شق إرهابي من الجهاد الإسلامي يرتدي زي الجيش الإسرائيلي طريقه إلى وسط حشد من الجُنود ينتظرون في محطة للحافلات في بيت ليد، على بُعد 25 ميلاً شمال شرق تل أبيب، قام بتفجير اثنان رطل من المتفجرات في نفسه، وأسفر الانفجار الضخم عن مقتل عشرات الجنود، وعندما ركض الآخرون نحو الجرحى الذين كانوا يصرخون طلباً للمساعدة، فجر انتحاري آخر نفسه وسطهم، كان من المُفترض أن يُتابع إرهابي ثالث ذلك بعد دقائق، لكنه أُصيب بالبرد وهرب.

وقُتل في ذلك الهجوم 21 جندياً ومدني واحد، فيما أُصيب ستة وستون بجروح، بعضهم إصابات بالغة، وصل رئيس الوزراء ووزير الدفاع رابين إلى مكان الحادث بعد وقت قصير من وقوع الانفجارات، ولا تزال أشلاء الجُثث مُلطخة بالدماء في الشارع، وخرجت مُظاهرة عفوية للمواطنين الغاضبين أثناء تواجده هناك، لكن المُتظاهرين لم يهتفوا بشعارات ضد الإرهاب بل ضد رابين، صرخوا "اذهب إلى غزة!" لعنة تشبه بالعبرية "اذهب إلى الجحيم".

لدى عودته إلى تل أبيب دعا رابين وكان "دمه يغلي بغضب"، على حد تعبير رئيس مكتبه إيتان هابر، إلى اجتماع لجميع رؤساء جهاز الأمن، قال: **"هذا الجنون يجب أن يتوقف، أحضر لي الصفحات الحمراء للتوقيع."**

25

أحضروا لنا رأس عياش

لم تكن هذه الطريقة هي التي تخيلها إسحاق رابين في انتهاء ولايته الثانية كرئيس لوزراء إسرائيل.

لقد تم انتخابه على أساس الوعد بتوفير الأمن وكان يُنظر إليه على أنه قائد عسكري صارم، لا هوادة فيه في الحرب على الإرهاب ويملك مُبادرة دبلوماسية من شأنها إخراج إسرائيل من عُزلتها وتحقيق الازدهار الاقتصادي ووضع حد للانتفاضة.

لقد توصل رابين بالفعل إلى استنتاج مفاده أن احتلال الأراضي الفلسطينية يجب أن ينتهي، فوافق على عملية أوسلو التي بادر بها شمعون بيريز ورفاقه، رغم أنه فعل ذلك بشكل مُضطراً مع الكثير من الشك والتشكيك في نوايا الفلسطينيين وكل هذا كان واضحاً في وجهه ولغة جسده عندما أقنعه الرئيس كلينتون بمُصافحة ياسر عرفات في حفل التوقيع في حديقة البيت الأبيض في 13 سبتمبر 1993.

اعتقد رابين أن العملية يجب أن تتم بشكل تدريجي مع انسحاب إسرائيل من غزة وأريحا فقط في البداية بدلاً من توقيع اتفاق شامل على الفور، وسيسمح ذلك لإسرائيل بتسليم أجزاء من الأراضي المُحتلة للسلطة الفلسطينية مع التحقق باستمرار للتأكد من أن عرفات ينُفذ الاتفاق حتى نهايته، وسيعني ذلك أن البنود الرئيسية التي لا تزال محل نزاع حول حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ووضع القُدس، ومُستقبل المُستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وما إذا كانت السلطة الفلسطينية ستُصبح دولة ذات سيادة ستُترك للتفاوض في وقت لاحق، كان رابين يأمل في أن يسمح ذلك له بتجنب الجدل الخلافي الذي سينشأ بشكل شبه مُؤكد في إسرائيل عندما تأتي هذه القضايا إلى الذروة.

لكن الجدل أعقب رابين على أي حال، كان الكثير من الجُمهور الإسرائيلي يعتقد أن اتفاقيات أوسلو زادت من احتمالية وُقوع هجمات إرهابية بعد إتمام عملية السلام ونقل عرفات للأراضي الفلسطينية، وهكذا فإن الإرهاب في سيتصاعد، كُل ما كان على اليمين الإسرائيلي أن يفعله هو الاقتباس كلمة بكلمة، ما قاله ياسين بأنه لن يكون هُناك أي حل وسط وأنه لن يقبل أبداً بوُجود دولة يهودية، ما بدأ كمظاهرات صغيرة من قبل مجموعات صغيرة من المُستوطنين المتطرفين تحول إلى حملة احتجاجية عبر طول وعرض إسرائيل، واكتسب قوة مُتزايدة بعد كُل هُجوم إرهابي وقد تركز ذلك أكثر فأكثر على التحريض الشرس ضد رابين نفسه، هذه الاحتجاجات أثارها زُعماء الليكود وأرييل شارون وبنيامين نتنياهو.

في هذه الفترة شعر الفلسطينيون بإحباط مُتزايد كيف تم تجريدهم من أراضيهم فقد قام رابين بتقييد بناء مستوطنات جديدة لكنه لم يوقف البناء بشكل تمام ولم يُخلي حتى مُستوطنة واحدة موجودة في المناطق المُحتل، وبذلك يكون لا يوجد معنى أن العملية ستؤدي إلى إقامة دولة خاصة بهم، في الوقت نفسه ولأن عرفات أراد أن يتجنب المواجهة مع المُعارضة الإسلامية فقد امتنع عن أي مُحاولة لمُحاربة حرب العصابات والهجمات الإرهابية الانتحارية لحماس والجهاد الإسلامي.

قال عامي أيالون رئيس الشاباك في النصف الثاني من التسعينيات: **"لم يستوعب أي من الطرفين مغزى مطالب الطرف الآخر، فلم نحصل على الأمن، ولم يحصلوا على دولة ".**

لم تكن جُهود حل النزاعات على الحُدود الشمالية لإسرائيل أكثر نجاحاً، توسط وزير الخارجية كريستوفر بين إسرائيل وسوريا بهدف التوصل إلى اتفاق سلام تنسحب بمُوجبه إسرائيل من مُرتفعات الجولان وأيضاً من لبنان، بينما تعمل سوريا على وضع حد لأعمال حزب الله ضد إسرائيل، لكن لم يتم تحقيق اختراقات كبيرة في ذلك الاتجاه، حزب الله وبتحريض من السوريين الذين كانوا يُحاولون الضغط على إسرائيل واصل إلحاق إصابات بقوات الجيش الإسرائيلي في لبنان.

كان الوضع الراهن في المنطقة الأمنية اللبنانية ينفد بالنسبة للإسرائيليين، وكان القادة الميدانيون للجيش الإسرائيلي غاضبين ويُطالبون بإطلاق العنان لهم لبدء العمل، كان أبرز هؤلاء القادة العميد إيريز غيرستين وهو رجل قوي البنية يتمتع بقدر كافٍ من الجاذبية والثقة بالنفس لدرجة

أن الكثيرين رأوه رئيساً للأركان في المُستقبل، رأى غيرستين أوجه تشابه بين جنوب لبنان وفيتنام في الغالب من حيث الدُروس التي يُمكن تعلمها من الأخطاء الأمريكية، وقال: "**تجلس في الحُصون نخدش كُراتنا بدلاً من الخُروج، ونُفكر مثلهم [حزب الله]، ونضربهم في مكان لا يتوقعونه ونقتل قادتهم**".

كما كانت قوات جيش تحرير السودان غير راضية وشعرت وكأنها وقود للمدافع ممنوعة من القتال، عقل الهاشم نائب قائد الميليشيا ناشد إسرائيلُ منذ سنوات لاستهداف ضُباط حزب الله على الأقل ولكن لم تلق هذه الدعوات آذاناً صاغية،

في الأول من كانون الثاني (يناير) 1995 استلم أمنون ليبكين شاحاك خلفاً لإيهود باراك في منصب رئيس هيئة الأركان، مُصمماً على الهُروب من ظل سلفه، فقرر تغيير السياسة في لبنان، من الآن فصاعداً ستكون الحرب وسيُعامل حزب الله كعدو كامل، كان بحاجة إلى موارد مثل أفراد يستطيعون جمع الاستخبارات وفرق العمليات الخاصة الماهرة في التخريب والاغتيال.

ليبكين شاحاك ورئيس القيادة الشمالية اللواء عميرام ليفين أحد خُبراء جيش الدفاع الإسرائيلي البارزين في حرب الكوماندوز نظموا بشكل سريع وحدة كوماندوز جديدة تُعرف باسم إيجوز (تعني بالعبرية "نوت") واشتق اسمها من اختصار لمكافحة حرب العصابات والحرب الصُغرى، تم تكيفها لشن حرب مُضادة ضد حزب الله، أوضح أحد قادتها الأوائل موشيه تامير أن "جزء كبير من التكتيكات التي طورتها في وحدة إيجوز جاءت من الكتب التي جمعها الجيش البريطاني عن القتال في جبال الهيمالايا في الهند الصينية، كما أن تجربة الأمريكيين في فيتنام وخاصة في المُستويات الدنيا كانت مُفيدة "مثل ضباط القوات البريطانية والأمريكية والفرنسيين في الجزائر"، اعتقد تامير وجرستين وزملاؤهم أنه إذا حصلوا على الموارد الكافية والوقت والدعم من الخلف فسيكون من الممكن هزيمة حزب الله.

بدأ إيجوز في تنفيذ كمائن وغارات داخل لبنان في المناطق التي شعر فيها حزب الله بالأمان، فاجأ عناصر المليشيات وقتل أعداد كبيرة منهم، وكان من بين القتلى هادي نصر الله نجل زعيم الحركة.

شارك ليفين في عملية نبع الشباب ورأى أهمية كبيرة في الضربات الموجهة ضد قادة حزب الله، كان على رونين كوهين الذي أصبح لتوه رئيس مكتب لبنان في قسم استخبارات القيادة

الشمالية أن يطبق السياسة الجديدة، قرر الاثنان التركيز على قتل ضُباط الميليشيات من الوُسطاء والقادة الإقليميين في جنوب لبنان وليس المسؤولين رفيعي المُستوى، ورأى ليفين أن حزب الله يميز بين عمليات تستهدف أحد قادته أو مركز نشاطه في بيروت والحرب التكتيكية من النوع الذي يُشن في جنوب لبنان، الأول سيثير رد فعل مُتطرف ربما حتى خارج الشرق الأوسط، في حين أن الرد على الخيار الثاني سيكون محدود النطاق ويقتصر على لبنان وشمال إسرائيل.

حتى هذه اللحظة نفذ الموساد جميع عمليات القتل المُستهدفة خارج إسرائيل بينما قدم الجيش الإسرائيلي الدعم فقط في أغلب الأحيان، لكن الموساد لم يعتبر حزب الله أكثر من مجرد مُشكلة حدودية يجب أن يتعامل معها الجيش الإسرائيلي، وحتى لو غيّر ترتيب أولوياته فإن المُنظمة كانت غير قادرة على العمل بشكل هُجومي في لبنان، قال كوهين: "**باختصار كان من الواضح لي أنه إذا أردنا ضرب أهداف حزب الله الكبيرة، فسيتعين علينا في جيش الدفاع الإسرائيلي القيام بذلك بمفردنا**".

كانت الضربة على الموسوي معيبة من الناحية الاستراتيجية وظهر لكوهين نموذجاً تكتيكياً جيداً: حدد هدفاً بطائرة بدون طيار من خلال الليزر ثم أطلق صاروخ، وكانت طريقة غير مكلفة وفعالة،

وحددت مُخابرات قيادة المنطقة الشمالية هدفاً آخر وهو رجل اسمه رضا ياسين المعروف بأبو علي رضا قائد حزب الله في منطقة النبطية، وكان يسكن في قرية زوطر الشرقية، بصفته قائد على مستوى وسيط في جنوب لبنان كان رضا يُلائم الملف الشخصي تماماً، وكان يُمكن الوصول إليه بطريقة لم تكن مُتاحة للقادة الآخرين من نفس المُستوى.

بعد أسبوعين من المُراقبة تمكن كوهين من جمع معلومات كافية عن رضا الذي حصل على الاسم الرمزي خلية النحل الذهبية، كان رضا يذهب مرة في الأسبوع إلى اجتماع لكبار مسؤولي حزب الله في بيروت ويعود في وقت مُتأخر من الليل ثم يقود سيارته إلى مكتبه حوالي الساعة 8:30 من صباح اليوم التالي. دعت الخُطة الأصلية إلى أن يقف العميل وجهاً لوجه في ذلك الوقت للتأكد من أن رضا ركب سيارته وأنه لم يكن معه أحد، وبمجرد تأكيد ذلك كانت طائرة بدون طيار تتعقبه حتى يغادر القرية ثم تتعرف على السيارة باستخدام الليزر الخاص بها لطائرة هليكوبتر أباتشي لإطلاق صاروخها.

كادت عملية خلية النحل الذهبية التي كانت تُدار من غُرفة حرب القيادة الشمالية أن تُلغى، في 30 آذار (مارس) 1995 تفاجأ العميل المُتمركز بالقرب من منزل رضا برؤية قاعة انتظار رضا فارغة، لم يستطع البقاء هُناك لفترة طويلة دون إثارة الشكوك واضطر إلى المغادرة، لكن الطائرة بدون طيار بقيت في السماء أعلاه تنقل الصور من مسافة بعيدة حتى شاهدت الشاشات سيارة رضا وهي تعود إلى المنزل، نزل شخص ما ودخل المنزل لكن ليفين وكوهين ومرؤوسيهم في مخبأ القيادة ولم يتمكنوا من رؤية وجهه، كما لم يتمكنوا من التعرف على الشخص الذي غادر المنزل بعد ساعة، وغادرت السيارة وخرجا من القرية، وعبر نهر الليطاني اتجه جنوبا باتجاه النبطية. كانت المعضلة واضحة: من كان يقود السيارة الآن؟ أكان رضا أم من أولاده؟ هل يجب إعطاء الأمر بإطلاق الصاروخ؟

راهن ليفين وأخبر طيار أباتشي بإطلاق النار.

بعد حوالي ثلاث ساعات انفجرت شبكات الراديو التابعة لحزب الله مع إرسال إشارات عن عملية القتل، كان رضا فقط في السيارة، في الحديث عبر الإذاعات المحلية اللبنانية سمع المراقبون الإسرائيليون أن رجال مغنية أصيبوا بالهلع، وقتد تراجعت ثقتهم، تم اغتيال أحدهم من بعيد، وتم تمييزه بواسطة روبوت طائر صامت وغير مرئي، كانت هذه هي المرة الثانية فقط التي تُستخدم فيها طائرة بدون طيار لقتل رجل.

توعد نصر الله بالانتقام ورد حزب الله مرة أخرى بوابل من الصواريخ على شمال إسرائيل، وقُتل طفل في السابعة عشر من العمر وهو يركض على الشاطئ ولم يسمع التنبيهات، قتل جراء إصابة مباشرة، ومع ذلك فإن حزب الله وكما توقع ليفين وكوهين اعتبر الحادث مسألة محلية ولم يُحاول الانتقام لمقتل رضا خارج الشرق الأوسط.

كانت عملية خلية النحل الذهبية نموذجاً لهجمات إضافية على القادة الآخرين من المُستوى المُتوسط. لكن فريق اغتيال خلية النحل الذهبية لم يكن الوحيد الذي يعمل، في حالات أخرى تحركت إيجوز أو وحدة أخرى ليلا ووضعت قنبلة في سيارة الهدف أو على طول طريقه المتوقع، والتي سيتم بعد ذلك تفجيرها عن بعد إما بواسطة طائرة أو عن طريق الراصد الأرضي.

في هذه الأثناء كان ليفين وكوهين يعيدان هيكلة شبكات القيادة والسيطرة لعمليات القتل المُستهدف التي اتخذت القرار بشأن الأهداف ومن أعطى أمر الإذن بالاشتباك في العملية

الاخيرة، كانت هذه مسألة حرجة، حتى هذه اللحظة كان لابد من إبلاغ "VARASH" لجنة رؤساء وكالات الاستخبارات، التي يرأسها مُدير الموساد بجميع الصفحات الحمراء الخاصة بـ "المعاملة السلبية"، ثم كان لا بد من الموافقة عليها على أعلى مُستوى مدني موقعة من قبل رئيس الوزراء نفسه والذي غالباً ما جلب وزراء آخرين قبل اتخاذ القرار.

بسبب ارتفاع مخاطر حدوث تشابك دبلوماسي في حالة الفشل كانت كل صفحة حمراء تتطلب مُداولات وقدراً كبيراً من الوقت وغالباً ما تنتهي بعدم الموافقة.

لكن ليفين وكوهين تجنبوا هذه العملية من خلال استخدام ذكي للدلالات، في لبنان لم يعد القتل المستهدف اغتيالاً بل "اعتراض" وهذه على ما يبدو لم تتطلب مثل هذا التدقيق على الرغم من أن إذن رئيس الأركان كان لا يزال ضرورياً بالطبع.

في ذلك الوقت لم يُنظر إلى هذا الحل البديل للنظام على أنه مزعج، رابين الذي شغل منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان الموثوق به ليبكين شاحاك، وكان راضيا عن إبلاغه خلال اجتماع العمليات والطلعات الأسبوعية في مكتب وزير الدفاع.

ومع ذلك قال ضابط سابق في القيادة الشمالية: "تم إنشاء سابقة"، والتي بموجبها سميت عملية الاغتيال بشيء آخر بحيث تقع ضمن بروتوكول مُختلف لصُنع القرار من أجل تمكين المستوى الأدنى من الموافقة عليها،" أي أن قتل الرجل لم يعد يتطلب موافقة رئيس الوزراء.

لم يكن هناك شك في أن الإجراءات الجديدة كانت فعال، فبعد سنوات من الإحباط في المنطقة الأمنية أنشأ الجيش الإسرائيلي نظام قتل مُستهدف كامل وجمع المعلومات بسُرعة وتحويلها إلى عمليات، خلال عامين ونصف العام نفذت خلايا الجيش الإسرائيلي 27 عملية قتل مُستهدف معظمها ضد عناصر حزب الله، ونجحت 21 منها.

بينما كان ليفين وكوهين يُعيدان كتابة بروتوكولات الاغتيال في المنطقة الأمنية كانت وكالات الاستخبارات الإسرائيلية تبحث في كيفية تنفيذ ورقتين حُمر وقعهما رابين في أوائل عام 1995،

في المساء الذي أعقب هُجوم بيت ليد الإرهابي عندما قتل انتحاريان 21 جندياً ومدنياً كان ينتظر في محطة للحافلات علمت المُخابرات الإسرائيلية من المسؤول عنها ومن ثم سيتم

اغتياله، إنه فتحي الشقاقي قائد حركة الجهاد الاسلامي الفلسطيني، الذي نشأت مُنظمته من نواة لطُلاب فلسطينيين يدرسون الطب في السبعينيات في مصر كانوا ناشطين سياسياً في جامعة الزقازيق معقل التعصب الإسلامي، بعد مهنة قصيرة كطبيب أطفال في قطاع غزة أنشأ الشقاقي مُنظمة صغيرة وسرية، منافسة لحركة حماس التي يتزعمها الشيخ ياسين، اختلف الشقاقي أيديولوجياً عن حماس في اعتقاده أن الجهاد يجب أن يكون له الأسبقية على الإصلاح الاجتماعي في حين أن حماس كرست نفسها لكليهما، المجموعة التي تجمعت حول الشقاقي كان لها وظيفة واحدة فقط وهي مُكافحة الإرهاب الإسرائيلي.

كان الشقاقي يدخل ويخرج من السُجون الإسرائيلية لمدة ثلاث سنوات حتى تم طرده في النهاية من غزة إلى لبنان في عام 1988 وأخذه الحرس الثوري الإيراني تحت جناحهم ورتب الإذن له بجعل دمشق قاعدته وتزويده بالأموال والأسلحة، في غضون فترة وجيزة كانت مُنظمته تعمل تحت رعاية الإيرانيين وسرعان ما شن الجهاد الإسلامي في فلسطين سلسلة من الهجمات الإرهابية، كان أسوأها هجوم منظم بإطلاق النار على حافلة تقل سائحين إسرائيليين في مصر على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شرق القاهرة في فبراير 1990، وقد قُتل تسعة ركاب إسرائيليين ومصريان وجُرح تسعة عشر، بعد نجاح حماس في الإرهاب الانتحاري أعطى الإيرانيون الشقاقي الضوء الأخضر للشُروع في تنفيذ هذا النوع من العمليات وكانت تفجيرات بيت ليد التي نفذها الجهاد الإسلامي في فلسطين ذُروة هذه الحملة.

بعد أربعة أيام من التفجيرات الانتحارية أجرى الشقاقي مُقابلة مع مرُاسلة مجلة التايم لارا مارلو في مكتبه بدمشق، لم يعترف الشقاقي بأنه متورط بشكل مُباشر في الهجوم لكنه شرح بالتفصيل كيف تم التخطيط له وابتسم وتبسم ضاحكاً طوال المقابلة ومن الواضح أنه مسرور جداً بمقتل 22 إسرائيلي.

بحلول ذلك الوقت كان توقيع رابين على مُذكرة قتل الشقاقي قد مضى عليه ثلاثة أيام، لكن هذا الأمر كان غير عادي للغاية، في الواقع كانت هذه أول ورقة حمراء يوقعها رابين مُنذ أن أصبح رئيساً للوزراء، في ذلك الوقت دفع الاتفاق مع مُنظمة التحرير الفلسطينية وتأسيس عرفات للسُلطة الفلسطينية العديد من الإسرائيليين إلى استنتاج أن الحرب مع الفلسطينيين التفجيرات والهجمات الإرهابية والاغتيالات والاختطاف في جميع أنحاء العالم قد انتهت، واعتبر

الموساد الإرهابيين الانتحاريين مُشكلة داخلية ضمن اختصاص الشاباك وكان هذا الطرد قد خفض من عمل قسم مكافحة الإرهاب في الموساد إلى النصف.

علاوة على ذلك كان فتحي الشقاقي زعيماً فلسطينياً له الكثير من المُعجبين في الأراضي المحتلة، وقرار القضاء عليه على الرُغم من المخاطر المُصاحبة لردود مُتمردة من الفلسطينيين، فان هذا كان مؤشرا على اعتراف رابين المؤلم بأن الحرب مع الفلسطينيين لم تنته بعد.

وبالفعل أدى الهجوم على بيت ليد إلى تغيير في طريقة تصور رئيس الوزراء رابين لأمن إسرائيل وفي أعقاب ذلك بدأ رابين في تعريف الإرهاب بشكل مُختلف: من "لسعات النحل" إلى "التهديد الاستراتيجي"، حتى ذلك الحين كانت عبارة "**التهديد الاستراتيجي**" محجوزة لتحركات عسكرية شاملة للعدو تعرض للخطر أجزاء كبيرة من السُكان الإسرائيليين وأراضيها أو قد تؤدي إلى تدمير الدولة، مثل مفاجأة الجيوش العربية في أكتوبر 1973 أو إمكانية حصول صدام حسين على أسلحة نووية، قال كارمي جيلون نائب رئيس الشاباك في ذلك الوقت: "**إن سبب تغيير رابين للتعريف الذي أوافق عليه تماماً، ينبع من حقيقة أن الإرهاب قد نجح في جعل حكومة ذات سيادة تُغير قراراتها أو تُؤخر تنفيذها وذلك بسبب تأثير الهجمات الإرهابية على الشارع الإسرائيلي** ".

على الرغم من هذا التغيير في النهج والتهديد المتصور كان تنفيذ الصفحة الحمراء على الشقاقي لا يزال عملية دقيقة واستغرق الأمر شهوراً من المراقبة، تمكن عُملاء الموساد من التنصت على الهواتف في منزل الشقاقي ومكتبه لكن قتله في دمشق لم يكن مثالياً، كان من الغدر جسدياً العمل في سوريا، وكان ذلك محفوفاً بالمخاطر السياسية: أوري ساجي رئيس أمان في ذلك الوقت أخبر رابين أن مثل هذه العملية من شأنها أن تُكون مُفاوضات السلام الجارية في ذلك الوقت بين إسرائيل وسوريا تحت رعاية أمريكية.

لكن قتل الشقاقي خارج سوريا لن يكون بالأمر السهل أيضاً، كان الشقاقي يعلم أنه في خطر وعندما يسافر كان يُسافر فقط للدول العربية الأخرى أو إيران وهي أماكن يصعب على القتلة الإسرائيليين اختراقها، لما يقرب من ستة أشهر حاولت قيسارية الموساد تحديد الوقت والمكان اللذين يُمكن فيهما تنظيم هجوم، وبعد ذلك في 9 أبريل ازداد الضغط على الموساد: حيث انفجرت سيارة مُفخخة يقودها إرهابي انتحاري من الجهاد الإسلامي في فلسطين بجوار حافلة

إسرائيلية في قطاع غزة مما أسفر عن مقتل سبعة جنود وإليزا ميشيل فلاتو وهي طالبة من الغرب تبلغ من العمر عشرين عاماً، وأصيب أكثر من ثلاثين شخص، بعد ذلك بوقت قصير أصابت سيارة مُفخخة 12 شخص.

قال رابين للمُدير شبتاي شافيت: "**اعثروا على حل، علينا أن نكبح جمح هذا الرجل**".

بعد شهر توصل الموساد إلى اقتراح، على الرغم من أنه أثار معارضة فورية، مثل ربيع الشباب في عام 1973 وضربة أبو جهاد في تونس في عام 1988 دعت الجيش الإسرائيلي إلى توسيع مساعدته للموساد الذي لم يستطع تنفيذه بمُفرده.

رئيس الأركان ليبكين شاحاك الذي كانت علاقته بشافيت مُتزعزعة بالفعل لم يكن لديه اعتراض من حيث المبدأ على قتل الشقاقي لكنه كان يعتقد أن الموساد يجب أن يكون قادراً على القيام بذلك من تلقاء نفسه وأنه لا داعي للتورط أفراد جيش الدفاع الإسرائيلي في عملية بعيدة عن حدود إسرائيل، اندلع جدال حاد بين الرجلين في حضور رابين حتى أسكتهما وقرر لصالح شافيت.

أظهرت المُراقبة أن الشقاقي كان على اتصال مُنتظم مع مُعمر القذافي الذي أعطى الشقاقي جواز سفر ليبياً باسم إبراهيم شاويش وأنه كان يزور الديكتاتور الليبي كثيراَ إما بمفرده أو مع إرهابيين كبار آخرين، في ذلك الوقت كانت ليبيا تخضع لعُقوبات دولية صارمة بسبب تورطها في الإرهاب ولم تستطع مُعظم شركات الطيران الوصول إلى هناك، لذلك كان الشقاقي يُسافر من بيروت أو دمشق إلى مالطا ثُم إلى تونس، حيث يستأجر سيارة فاخرة عادة ما تكون بي إم دبليو أو جاكوار ويقود مسافة 480 ميلاً إلى طُرابلس بمفرده.

بدت فكرة وضع قنبلة على طول الطريق السريع المهجور مثالية وفي يونيو هبطت فرقة من الكوماندوز البحريين شايطيت 13 على شاطئ تونسي وتسلقت نحو الطريق وغرقت في الرمال الناعمة تحت ثقل أربعة صناديق كل منها مليء بـ 450 رطلاً من المُتفجرات تم وضعهم على منصات تنجستن خاصة قوية ولكن مرنة، يمكن أن يحملها أربعة جُنود قويين عبر الكُثبان

الرملية إلى الطريق السريع بين تونس وطرابلس، وطالبت الخُطة المُهاجمين بحفر حُفرة بجوار الطريق حيث كانت حركة المرور فيها قليلة ودفن القنبلة الضخمة فيها، في هذه الأثناء كان عملاء قيسارية يُراقبون الشقاقي وهو يستأجر سيارة في تونس ويقوم فريق قيسارية بربط السيارة بجهاز إرسال واستقبال، أو "جهاز تنبيه صوتي" بلُغة التجارة والذي يُرسل إشارة قوية بشكل خاص، حيث يقوم هذا الجهاز بتنشيط جهاز تفجير القُنبلة أثناء مُرور السيارة، مما يؤدي إلى تفجيرها وسائقها إربا.

قال أحد مُخططي قيسارية في الإحاطة النهائية: **"لا أحد يستخدم هذا الطريق على الإطلاق لذلك هُناك احتمال كبير جداً أن يموت الهدف ولا أحد سيعلم بذلك الا بمرور وقت كبير، وسيستغرق الأمر وقت طويل جداً قبل أن يُلاحظ أي شخص ما حدث، وسيستغرق ساعات أخرى قبل وصول مُحققي مسرح الجريمة أو فريق البحث إلى مكان الحادث ".**

في 4 يونيو 1995 جاءت الإشارة: الشقاقي حجز رحلة إلى مالطا بعد أسبوع، وبذلك بدأت عملية الاغتيال، أبحر زورقان صاروخيان تابعان للبحرية الإسرائيلية من حيفا مُحملين بالمُعدات والقوات الخاصة البحرية تحت قيادة يوآف جالانت قائد الأسطول 13 واستغرق الأمر يومين ونصف اليوم للإبحار مسافة 1200 ميل قبل أن يرسو على مسافة آمنة من الساحل عند النقطة، حيث تلتقي الحدود بين تونس وليبيا بالبحر الأبيض المُتوسط، عامي أيالون قائد البحرية الآن وجه العملية من مسافة بعيدة.

لقد مرت سبع سنوات مُنذ أن قاد غالانت مفرزة الكوماندوز البحرية التي أنزلت وحدة سيرت ماتكال على الشاطئ التونسي في طريقها للقضاء على أبو جهاد، الآن تم تجهيز جيش الدفاع الإسرائيلي بتكنولوجيا أكثر تقدماً، على شاشة عملاقة في الحفرة رأى أيالون مؤشرات دقيقة وحقيقية لمواقع جميع القوات المُشاركة.

انطلاقاً من زورق مطاطية فائقة القوة هبطت الكوماندوز على بُعد ستة أميال غرب مدينة صبراتة الساحلية الليبية.

قال أحد رجال الكوماندوز: **"كان التنقل عبر تلك الكُثبان الرملية صعباً للغاية حيث كان كُل واحد منا يُمسك بنهاية عمود ويُحاول ألا نغرق في الرمال ونعرق أنفسنا حتى الموت، ما زلت أتذكر ذلك الرمل الأصفر النظيف تماماً، اعتقدت أنه في وضع مُختلف سأكون سعيداً للتمدد عليه بالقرب من البحر والحصول على البشرة سواء اللون، لكن ليس ذلك اليوم، لقد**

بدأ بالفعل في الظهور وكان علينا أن ننجز عملية الدفن بسُرعة، لذلك واصلنا التحرك وفجأة سمعنا على سماعاتنا "توقف عن التقدم الآن!" وذلك من الفرقة الأمامية للقوة، وسرعان ما أدركنا السبب ".

اتضح أنه على الرغم من دقة استخبارات الإسرائيليين حول تحركات الشقاقي إلا أنهم لم يتوقعوا انطلاق مسيرة للسيارات من المغرب إلى مصر في ذلك الوقت وصل بعض السائقين إلى الطريق وتوافق ذلك مع وصول الكوماندوز وقرروا أخذ قسط من الراحة، كانوا يشربون المشروبات ويتحدثون بصوت عالٍ باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية وهم يضحكون ويلعنون الرمال التي كانت تدخل محركاتهم، تشاور جالانت مع أيالون، كان خطر اكتشاف سائقي الرالي يتزايد دقيقة بدقيقة، **("قد يتنحى أحدهم جانباً ليأخذ حركة دائرية أو ما هو أسوأ ويفعل ذلك مُباشرة على رؤوسنا" قال جالانت لاسلكياً)** أيضاً لم يتضح كم من الوقت سيبقون في هذا المكان أو ما إذا كان سيأتي المزيد من السيارات الطريق لاحقاً وهذا يعني أنه حتى لو تم وضع القنبلة وتفجيرها بواسطة سيارة الشقاقي في ذلك المساء فقد يتضرر "الأبرياء من غير العرب" أيالون أمر الكوماندوز بالانسحاب حيث كان خطر قتل مدني أو العديد من المدنيين مُرتفعاً للغاية ولذلك تم إحباط العملية.

مرت أربعة أشهر مُحبِطة أُخرى، أخيراً في منتصف أكتوبر حصل الموساد على استراحة مكنتهم من القيام بالضرب بأنفسهم دون أي عمليات مُشتركة مُعقدة مع الجيش الإسرائيلي.

رن الهاتف الذي كان لا يزال يُنصت عليه في مكتب الشقاقي في دمشق، كان على الخط أحد مُساعدي القذافي ودعاه إلى مؤتمر في ليبيا لعدد من رؤساء مُنظمات حرب العصابات العربية، قال الشقاقي إنه لن يحضر، لكن الموساد علم بعد ذلك أن سعيد موسى المراغة أبو موسى – قائد فصيل فلسطيني مُتطرف تمرد ضد عرفات وانسحب من مُنظمة التحرير الفلسطينية وكان مقره الآن في دمشق ويعمل تحت الحماية السورية سيكون هُناك، كان أبو موسى أيضاً مُنافساً للشقاقي،

وقال ميشكا بن دافيد ضابط مُخابرات قيسارية، في اجتماع عُقد لمُناقشة الموضوع في مقر الموساد: "إذا ذهب أبو موسى فلن يتمكن عميلنا من الابتعاد، قُل للرجال أن عليهم الاستعداد".

لم يكن واضحا ما الذي سيُقرره الشقاقي في النهاية لكن الموساد استنتج أنه إذا ذاهب فقد يكون ضعيفاً أثناء توقفه في مالطا أو بعيداً على طول طريقه البري إلى ليبيا.

قبل ذلك بأشهر تم تعيين "جيري" قائداً لوحدة القتل المُستهدف، لم يكن جيري محبوباً بشكل خاص من قبل زُملائه في الموساد فقد كان رجلاً قليل الكلام وقد أدى خدمته العسكرية في وحدة غوص بحرية خاصة، بالتأكيد كان جُزءً من الفرق التي قضت على جيرالد بول وعاطف بسيسو وكان يعتقد أن هذا المنصب الجديد سيرفعه في صفوف الموساد إلى ما يريده حقًا: أن يكون رئيس قيسارية، قال لأحد أصدقائه "**أُريد أن أجلس على كُرسي مايك هراري**"، حيث كان قتل الشقاقي مسألة مصلحة وطنية وطُموح شخصي.

في 22 أكتوبر سافر جيري وفريقه إلى مالطا وانتظروا في المطار لفحص الرُكاب القادمين، بعد هُبوط عدد قليل من الرحلات الجوية أجرى جيري اتصالات لاسلكية مع شُركائه والموساد في تل أبيب وقال: "**هُناك شخص يجلس على الجانب هُنا، سوف أتحقق منه**". تصاعد التوتر وبعد دقيقة عاد على الهواء: "**أعتقد أن لدينا بطاقة هوية، لقد ارتدى باروكة شعر مُستعار ولكن هُناك احتمال كبير أنه رجلنا** ".

لم يُغادر الشقاقي المطار قط بل استقل الرحلة التالية إلى تونس العاصم ومع ذلك علم الموساد أنه عادة ما يقضي يوماً أو يومين في فندق دبلوما في منتجع سليما المالطي، إما في طريقه إلى ليبيا أو في رحلة العودة، لذا كانت الاحتمالات جيدة أنه إذا انتظروا بضعة أيام فإن الشقاقي سيكون عُرضة للخطر.

هبط الشقاقي في مالطا مرة أُخرى صباح 26 أكتوبر بعد حُضور المؤتمر، شوهد في المطار من قبل نُقطة مُراقبة الحربة، وبحلول الساعة 10 صباحاً، تم نشر عُنصرين في بهو الدبلوماسي، وصل الشقاقي بسيارة أُجرة وسجل الوصول لليلة واحدة، أخذ حقائبه الخاصة إلى غُرفته، ولم يسمح لعامل الجرس أن يفعلها من أجله، تبعه أحد الإسرائيليين ورآه يدخل الغرفة 616.

كانت مالطا الهادئة والمليئة بالسياحة تُعتبر "دولة أساسية" حيث لا يكون العمل فيها خطيراً بشكل خاص، وبالتالي كان الأمر متروكاً لجيري نفسه لتقرير الطريقة التي سيتم بها تنفيذ الضربة، استدعى جيري فريقه إلى ناصية الشارع خارج الفندق وأطلعهم على ذلك.

في الساعة 11:30 صباحاً غادر الشقاقي الفندق واستدار يساراً ونزل في الشارع مُستمتعاً بالطقس اللطيف، ذهب إلى متجر ماركس أند سبنسر، وتتبعه أحد العُملاء وهو يُراقبه وهو

يشتري قميص هُناك، ثُم لحقه ثلاثة آخرين في متجر آخر، كان جيري يقف عبر الشارع عندما رأى الشقاقي يخرج همس بكلمتين في ميكروفون الراديو في كمه: "**كعكة العسل**" وهي رمز العمل.

لم يلاحظ الشقاقي شيئاً غير عادي وواصل نزهته لم ينتبه إلى دراجة Yamaha النارية التي بدأت في الاقتراب منه في الساعة 1:15 حتى استقرت معه ببطء شديد، ثم عندما كان الشقاقي وحده على الرصيف قام الراكب على ظهر الدراجة بسحب مُسدس مُزود بكاتم للصوت وأطلق النار على الشقاقي مرتين في جانب رأسه وبعد أن سقط مرة أخرى في مؤخرة رقبته، تم تجهيز المُسدس بحقيبة صغيرة تجمع أغلفة الرصاص، مما ترك مُحققي مسرح الجريمة التابعين لشُرطة مالطا في حيرة كبيرة.

انطلقت الدراجة النارية بسُرعة وأخذت سيارتان مُستأجرتان بقية أعضاء الفريق، تجمعوا على شاطئ قريب حيث أخذهم زورق سريع مُكون من ثلاثة أفراد، يرتدون ملابس مدنية ويبدو وكأنهم ثلاثة سياح غير عاديين، ونقلهم بعيداً إلى قارب صواريخ تابع للبحرية الإسرائيلية كان ينتظرهم بعيداً عن الشاطئ، في اليوم التالي عثرت شُرطة مالطا على الدراجة النارية على الشاطئ.

—

في أعقاب التغيير في أُسلوب التعامل مع التهديد الإرهابي بعد الهجوم على بيت ليد أمر رابين بجمع معلومات استخبارية عن قادة حماس مع التركيز أولاً وقبل كل شيء على يحيى عياش "المهندس"، الذي تدرب في المنفى واستوردت التفجيرات الانتحارية إلى إسرائيل في ربيع عام 1993، خلال عامي 1994 و1995 كان عياش مسؤولاً عن تسع هجمات انتحارية قُتل فيها 56 شخصاً وجرح 387، كان الرأي العام الإسرائيلي يغمره مشهد الدماء المُتساقطة والجُثث المُتفحمة في الحافلات، كان رابين يعلم أن عليه أن يفعل شيئاً لذلك وقع على صفحة حمراء ضد عياش.

كان هذا أيضاً غير عادي للغاية حيث قام عياش بضربات إرهابية انتحارية من داخل الضفة الغربية وقطاع غزة الأراضي الواقعة تحت سيطرة السُلطة الفلسطينية، كان من اختصاص السلطة الفلسطينية وكان من المُفترض أن يعتقلوه هو ورجاله، كانت إسرائيل والسُلطة الفلسطينية

تتفاوضان بشأن المراحل التالية لاتفاقات أوسلو في ذلك الوقت وسيعتبر العمل داخل أراضيها انتهاكاً لاتفاق السلام وقد يتحول إلى أزمة سياسية.

كان رابين قد طالب مراراً وتكراراً رئيس مُنظمة التحرير الفلسطينية بالعمل بحزم لعرقلة التفجيرات الانتحارية، أحد مسؤولي المُخابرات الذي كان حاضراً مع رابين خلال مُحادثة هاتفية مع عرفات يتذكره وهو يوبخ عرفات بشدة، عندما أغلق الهاتف كان رابين "**أحمر في وجهه**"، وشكا من أن عرفات وشعبه لم يفعلوا شيئاً على الإطلاق لكبح جماح حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين.

من جانبه نفى عرفات أن يكون الفلسطينيون وراء الهجمات، كان لعرفات أحد مُنظري المؤامرة المعروف تفسيره الخاص الذي لا أساس له على الإطلاق، وقال: "**منظمة إسرائيلية سرية باسم مُنظمة الدول الأمريكية تعمل داخل الشاباك وبالتعاون مع حماس والجهاد الإسلامي والتي تهدف إلى تعطيل عملية السلام هي وراء هذه الهجمات وغيرها الكثير**".

بحلول أوائل عام 1995 أدرك الإسرائيليون أن أي آمال يُعلقونها على السُلطة الفلسطينية في وقف الهجمات الإرهابية بنفسها والتي كانت في أحسن الأحوال، هي غير واقعية إلى حد كبير، قال جيلون: "**إلى جانب جميع الاتصالات والمُحادثات والطلبات والمطالب التي أثارناها مع الفلسطينيين قررنا في نهاية المطاف أننا سنعتمد فقط على أنفسنا وبذل كل جُهد لمُكافحة الإرهاب**".

بالصدفة في نفس الوقت الذي هاجم فيه الإرهابيان الانتحاريان بيت ليد في 22 يناير، استدعى رئيس الشاباك يعقوب بيري يسرائيل حسون وطلب منه أن يُصبح رئيس القيادة المركزية للجهاز والتي غطت الضفة الغربية بأكملها.

قال حسون أحد أكثر عُملاء الشاباك خبرة إنه لن يوافق إلا إذا غيرت الوكالة بشكل جذري الطريقة التي تتعامل بها مع يحيى عياش.

قال حسون لبيري: "**إذا كنت تعتقد أن هذه مُشكلة محلية لموظف الحالة المسؤول عن رأفت [القرية التي ولد فيها عياش]، فأنت ترتكب خطأً كبيراً، هذا الرجل يُعرقل العملية السياسية، والطريقة الوحيدة للوصول إليه هي أن يستيقظ كُل فرد من أعضائها في الصباح ويسأل نفسه، "ما الذي يمكنني فعله اليوم للقبض على يحيى عياش؟**"

سأله بيري عما يريد؟؟

أجاب حسون قالأُ: "**أريد مسؤولية عُليا على كل العوامل الأخرى في الوكالة للتعامل معه**".

قال بيري وهو نفسه عداء ماهر للعملاء الذين عرفوا كيف يجعلون الناس يشعرون بالرضا بابتسامة: "**أُعينكم بموجب هذا رئيساً لوكالة شؤون يحيى عياش**".

قال حسون: "**لذا فأنا أريد وعداً بأنه لا يُمكنك تقويضي وأن أي قرار أتخذه بشأن هذا الموضوع نهائي**".

كان بيري واثقًا من أنه سيكون قادر على إقناع رابين بتوقيع صفحة حمراء ضد عياش لكنه كان أيضاً ذكياً بما يكفي للابتعاد عن الألغام التنظيمية وأجاب فقط "**إسرائيل، الوكالة بأكملها ورائك... انطلق واحضر لنا رأس عياش** ".

تولى حسون منصبه الجديد وراجع كُل المعلومات التي كانت بحوزته عن عياش، كان هُناك القليل جداً منها، اتضح أنه مُنذ أكثر من عام لم يكن هُناك مصدر واحد موثوق من الشاباك على اتصال بعياش أو مع أي من أقرب مُقربين له وأنه لا توجد مُؤشرات واضحة على مكان وجوده باستثناء تقرير واحد قال إن حماس تمكنت من مساعدته على الفرار إلى بولندا، خوفًا من أن يضع الشاباك يديه عليه.

شك حسون في صحة هذا التقرير، "**كيف يُمكن أن يكون في بولندا ونحن نجد بصمات أصابعه في جميع التفجيرات الانتحارية هُنا؟**"، أعلن بعد ذلك في اجتماع أنه سيغير طريقته الكاملة في النظر إلى هذا الموضوع.

حتى تلك اللحظة كان أعداء الشاباك الرئيسيين هم المُنظمات المختلفة التابعة لمُنظمة التحرير الفلسطينية، كانوا يعملون بشكل عام في زنازين صغيرة من مواقع معينة عادة حيث كانوا يعيشون، نتيجة لذلك تم بناء عمليات الشاباك حول مناطق جُغرافية قرى وبلدات ومناطق مُختلفة جمع فيها عُملاء المخابرات ومسؤولو العملاء مواد حول كُل ما كان يحدث، عملت كُل وحدة بشكل مُستقل بشكل كامل تقريباً، وكان التنسيق بينها محدوداً ولم يتم تنفيذه إلا على مُستوى القيادة، لم يلتق الموظفون الذين يعملون في نفس الموضوع بأي طريقة مُنظمة لتبادل المعلومات ومُناقشة الإجراءات المختلفة التي يجب تنفيذها.

لكن حماس عملت في إطار مُختلف تماماً، النشطاء لم ينفذوا المهام التي كلفتهم بها حماس في أماكن إقامتهم ولكن في أماكن أخرى، مع كُل مُهم كانوا في مكان مُختلف بينما ظلوا تحت قيادة وطنية واحدة وبالتالي فإن الوعي المُتخصص لعامل الشاباك بما كان يحدث في منطقته الجغرافية المحددة لم يسفر عن أي نتائج مهمة.

كان حسون يتخذ نهجاً جديداً تجاه عياش الذي أطلق عليه الاسم الرمزي كريستال، أعلن أن جميع المعلومات الاستخبارية عن كريستال يجب أن تتركز في مكتبه وتحت إمرته، تم تحويل عملية الكريستال من مسألة محلية تم التعامل معها بشكل مُنفصل من قبل عدد من النُشطاء في الشاباك كُل واحد تحت قيادة قائد مُختلف بترتيب أولوياته الخاص إلى مسألة وطنية، مع اتخاذ حسون جميع القرارات كان هذا بمثابة ثورة تنظيمية صغيرة الحجم: يُمكن لحسون الآن إصدار أمر فوق رؤساء القادة المحليين وقد أثار هذا قدراً كبيراً من الاستياء.

أمر حسون وحدات مُختلفة من الشاباك بمُحاولة تجنيد عدد من الفلسطينيين الذين يُمكن أن يساعدوا في التخلص من عياش، كما أمر النُشطاء بإعادة استجواب العشرات من نُشطاء حماس في السُجون الإسرائيلية، في أعقاب تلك العمليات تم اعتقال واستجواب خمسة وثلاثين من نُشطاء حماس وتم وضعهم معاً ليلاً في زنازين في مجموعات مُختلفة، وتم تسجيل مُحادثاتهم بالإضافة إلى ذلك تم زرع الأسرى الفلسطينيين الذين تم تجنيدهم للعمل كعُملاء "الشاباك" وتم استدعائهم في زنازينهم لحملهم على التحدث.

سُرعان ما اكتشفوا أن عياش كان ذكياً بشكل استثنائي، قبل فترة طويلة من العلم بأن وكالات إنفاذ القانون والاستخبارات يُمكنها جمع كمية كبيرة من المعلومات سراً من الهواتف الخاصة، بذل عياش جهداً في عدم استخدام نفس الهواتف المحمولة أو الخُطوط الأرضية بانتظام وقام بتغيير أماكن نومه باستمرار، الأهم من ذلك أنه لا يثق بأحد أبداً.

في النهاية على الرغم من ذلك أثمرت الجُهود المبذولة لتحديد موقع الكريستال، اتضح أنه لم يكن في بولندا ولم يكن موجوداً أبداً، كان في شمال الضفة الغربية ويعمل في مُحيط قلقيلية في منطقة جُزئية تحت سيطرة إسرائيل وجزئياً تحت سيطرة السُلطة الفلسطينية مُباشرة تحت أنظار الشاباك. قال كارمي جيلون الذي تولى منصب رئيس الشاباك من بيري: **"من المُستحيل إلقاء اللوم على عدم اعتقاله على أكتاف السُلطة الفلسطينية فقط، لقد كان فشلنا وعلينا أن نعترف بذلك".**

في أبريل بعد أربعة أشهر من توقيع الصفحة الحمراء تلقى الشاباك معلومات تُفيد بأن عياش سيحضر اجتماع حماس في الخليل، اعتقد حسون أن التصرف في ذلك الوقت كان مُخاطرة كبيرة، وأنه يجب تحسين اختراق المُخابرات لحماس، لكن ضغط رئيس الوزراء رابين لضرب عياش كان أكبر من أن يحتمل، كان فريق الطُيور ينتظره بالقرب من مكان الاجتماع متنكرا بزي العرب في قلب مكان مُعادي للغاية ومُزدحم، قال حسون: "**لحُسن حظه ولحُسن حظنا لم يحضر قط، أشك في أننا كُنا قادرين على إخراج جميع أفراد شعبنا من هُناك أحياء، لقد كانت مُهمة خطيرة للغاية ولكن بسبب الخطر الرهيب الذي يُمثله هذا الشخص قررنا المُضي قُدماً للتخلص منه** ".

عياش لم يحضر في أي مكان آخر كان مناسباً من الناحية الإستراتيجية أيضاً، في مايو تبين أنه تمكن من الهروب إلى غزة من خلال تحديد واستغلال الثغرات في جهاز الأمن الإسرائيلي حول القطاع، قال جيلون: "**كان هذا أيضاً إخفاقاً لنا**".

على مدى شُهور حاول نُشطاء الشاباك تعقبه في قطاع غزة حيث علموا أنه يعمل ولكن في مكان غير مُصرح للسُلطات الإسرائيلية باعتقاله، لقد بحثوا عن أنماط في سُلوكه وعن روتينه وعن ثغرات في الأمن الميداني أي نقاط ضعف يُمكن استغلالها.

أخيراً في أواخر أغسطس علم الشاباك أنه في مُناسبات نادرة أجرى عياش بعض المُكالمات الهاتفية من منزل أحد أتباعه وصديق طفولته أسامة حماد، الذي كان يعيش في بلدة بيت لاهيا شمال قطاع غزة، باستخدام هاتف حماد كان يتحدث مع إيران ولبنان وعدد من مرؤوسيه في حماس، وأيضاً في كل مرة يزور فيها حماد يجري مُحادثة هاتفية مُطولة مع والده في الضفة الغربية.

كانت هذه معلومات قيمة.

لكن حسون اعتقد أن القضاء على عياش يجب أن تكون جزء من عملية أكبر وشاملة يُنفذ فيها الشاباك تغلغلاً استخباراتياً أعمق بكثير لحركة حماس ويُسيطر على طرق التهريب من وإلى قطاع غزة، قال حسون: "**لكن سراويل الرجال كانت مُشتعلة**" منتقداً ضمنياً آفي ديختر رئيس المنطقة الجنوبية (والرجل الذي سينتصر عليه بعد خمس سنوات عندما ترشح كلاهما

لمنصب المُدير)، أرادوا قبل كل شيء أن يكون هذا الإنجاز تحت أحزمتهم قالوا: "بادئ ذي بدء، دعونا نقضيه ثم نرى ما سيحدث."

تم تقديم خُطة لاغتيال عياش إلى ديختر، كان عياش يجرى مُكالماته دائماً من غرفة مُجاورة لغُرفة جلوس عائلة حماد، كانت الخُطة تنص على انه عندما لم يتواجد في المنزل سيقتحم أفراد الشاباك للمنزل ويخفون عبوة ناسفة إلى جانب كاميرا تنقل الصور، عندما جلس عياش هناك وسُمع صوته على الهواتف التي تم التنصت عليها سيتم تفجير الجهاز.

قال ديشتر: "لكن ها هي المُعضلة التي تواجهها دولة تُريد إحباط الإرهاب بطريقة جراحية وتبقى وفية للمبادئ الأخلاقية، كان من السهل جداً التأكد من أن عياش سوف ينفجر بشكل كبير، لكننا علمنا أنه تواجد في منزل أطفال ولم يكن لدينا أي وسيلة للتأكد من أنهم لن يتضرروا من الانفجار، كان لابد من تغيير العملية برمتها بسبب هذا ".

احتاج الشاباك إلى قُنبلة أصغر حجماً قادرة بما يكفي لقتل عياش لكنها ليست قوية لدرجة تعريض الآخرين للخطر، ربما كان عياش يمسك رأسه.

جاء الحل عندما تمكن الشاباك من إيجاد صلة بين حماد ومُتعاون إسرائيلي، كان عمه عامل بناء ثرياً اسمه كمال حماد، كان على اتصال بالمسؤولين الإسرائيليين في الماضي، اقترب الشاباك من كمال وحصل على تعاونه وطلب منه إيجاد ذريعة مُقنعة لمنح ابن أخيه هاتفاً خلوياً جديداً، Motorola Alpha مع لسان قابل للطي.

كان الافتراض أن عياش سوف يستخدمه في النهاية.

أخبروا كمال الذي حصل على حزمة من المزايا التي تسمح له وعائلته بالانتقال إلى الولايات المُتحدة بعد العملية: "أخفينا جهاز إرسال صغيراً في الهاتف حتى نتمكن من الاستماع إلى المُكالمات".

كان عُمال "الشاباك" يكذبون، بدلاً من جهاز الإرسال احتوى الهاتف على عُبوة ناسفة خمسين جراماً مع مُفجر عن بُعد، في 28 أكتوبر/ تشرين الأول بعد يومين من مقتل الشقاقي جاء عياش لزيارة حماد فأعطاه الهاتف المحمول الجديد وغادر الغُرفة وسمح للقائد بإجراء مُكالماته بمُفرده. كانت القُدرات التكنولوجية للشين بيت في ذلك الوقت هزيلة للغاية واستغرق الأمر طائرة خاصة من القوات الجوية لالتقاط الإرسال عبر الهاتف، نقلت الطائرة المُكالمات إلى

مقر الشين بيت بالمنطقة الجنوبية حيث كان يستمع إليها مُراقب ذو خبرة على دراية بصوت عياش، وعندما تعرف على "المُهندس" أعطى إشارة لتشغيل الجهاز.

بدأ المُراقب في نزع سماعاته لتجنب التعرض للانفجار الذي يصم الآذان الذي كان على وشك الحُدوث ولكن بدلاً من ذلك استمرت المُحادثة وكأن شيئاً لم يحدث، تم رفع اللافتة مرة أخرى لكن عياش واصل حديثه، قال ديشتر: "**تضغط مرة واحدة، تضغط مرتين، لكن القهوة تبقى في الماكينة**".

لقد فشلت القنبلة الصغيرة لكن على الأقل لم يتم اكتشافها، أخبر كمال لاحقًا ابن أخيه أن هُناك مُشكلة في الفواتير وأنه يحتاج إلى الهاتف لبضعة أيام، قام مختبر الشاباك بإصلاح المُشكلة وأعيد الهاتف إلى حماد وانتظر الجميع عودة عياش.

يوم الخميس 2 نوفمبر أجرى أحد كبار أعضاء وحدة حماية كبار الشخصيات في الشاباك، والمسؤول عن سلامة رئيس الوزراء مكالمة هاتفية مُشفرة مع زميله يتسحاق إيلان الذي كان مسؤولاً عن جمع المعلومات الاستخبارية للوكالة في المنطقة الجنوبية وقال المتصل لإيلان: "بعد غد في المساء سيكون هُناك تجمع ضخم في ميدان ملوك إسرائيل في تل أبيب لدعم الحكومة وعملية السلام، رابين سيتحدث منذ إصابة فتحي الشقاقي، هل حصلت على أي معلومات حول ما إذا كانت الجهاد الإسلامي تهدف إلى الانتقام لزعيمها بمُحاولة قتل رئيس الوزراء؟

رد إيلان أنه لا توجد معلومات محددة ولكن كان هُناك الكثير من الاضطرابات في المنطقة في أعقاب اغتيال الشقاقي ورغم أن إسرائيل لم تتحمل مسؤوليتها إلا أن الجهاد الإسلامي في فلسطين لا يشك في من يقف وراءه، كان قلق إيلان الرئيسي هو أنه قد تكون هُناك سيارةُ مفخخة في المسيرة وأوصى بتطهير المنطقة المُحيطة بميدان المركبات، بعد محادثتهم قررت وحدة حماية كبار الشخصيات اتخاذ احتياطات إضافية.

تم تنظيم مسيرة السلام من قبل مجموعات اليسار لمؤاجهة الاحتجاجات الغاضبة التي نظمها اليمين والتي تحولت إلى مشاهد تحريض شرس ضد رابين، وقد اشتعلت النيران في صوره، وصُور في زي القوات الخاصة النازية وتم نقل التوابيت التي تحمل اسمه في بعض هذه الاحتجاجات، حاول المتظاهرون وكادوا أن ينجحوا اختراق الطوق الأمني ومُهاجمته، حذر

رئيس الشاباك جيلون من أن الإرهابيين اليهود قد يحُاولون إيذاء زعيم حكومي حتى أنه طلب من رابين السفر في سيارة مُصفحة وارتداء سُترة واقية من الرصاص، رابين الذي لم يأخذ تحذيرات جيلون على محمل الجد، تراجع عن الفكرة الأخيرة ولم يمتثل إلا في مُناسبات نادرة.

كان التجمع نجاحاً كبيراً على الرُغم من أن رابين كان يشك في أن أنصار اليسار سوف يخرجون ويتظاهرون إلا أن ما لا يقل عن مائة ألف حشروا في الميدان وهللوا له، لقد رأوا رابين بشكل عام رجل انطوائي للغاية يظهر مشاعر نادرة، بدأ حديثه: "**أريد أن أشكر كُل واحد منكم على وقوفه ضد العُنف ومن أجل السلام، هذه الحكومة قررت منح السلام فُرصة، لقد كنت رجلاً عسكرياً طوال حياتي، وخضت حروباً طالما لم تكن هُناك فُرصة للسلام. أعتقد أن هُناك الآن فُرصة للسلام،، فرصة كبيرة ويجب اغتنامها، السلام له أعداء يُحاولون إلحاق الأذى بنا لتخريب السلام، أريد أن أقول دون أي شرط أو تحفظ: لقد وجدنا شريكاً للسلام، حتى بين الفلسطينيين: منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت عدواً وأوقفت الإرهاب، بدون شُركاء لا يُمكن أن يكون هُناك سلام**".

بعد ذلك صافح رابين الأشخاص الموجودين على المنصة وتوجه إلى السيارة المُصفحة التي كانت تنتظر في الجوار برفقة حُراسه الشخصيين، رجال الأمن من الشاباك شاهدوا شابا أسود البشرة يقف في طريق رئيس الوزراء، لكن بسبب مظهره اليهودي لم يُحاولوا إبعاده عن الطريق، تسلل الشاب إيغال عامير طالب الحُقوق القريب من المُستوطنين المُتطرفين في الخليل أمام حراس رابين بسُهولة مُذهلة وأطلق ثلاث طلقات على رئيس الوزراء، مما أدى إلى مقتله.

ليئور أكرمان من قسم التحقيق في الشاباك كان أول من استقبل يغئال عامير في مركز استجواب الشاباك: "**وصل بابتسامة مُتكلفة ظلت عالقة على وجهه لساعات عديدة، أوضح لي أن رابين قد خان الوطن وأنه يجب على أحد أن يوقفه، قال لي: "سترى"، طلقاتي ستوقف عملية السلام وتسليم الأراضي للفلسطينيين** ".

ضرب القتل إسرائيل مثل صوت الرعد كما حدث في أمريكا بعد اغتيال جون كينيدي سيتذكر الجميع بالضبط أين كانوا عندما تم بث الأخبار، نزل مئات الآلاف من الإسرائيليين إلى الشوارع وأشعلوا الشموع وبكوا، كانت الصدمة أكبر لأنها لم تحدث لأي شخص تقريباً بمن فيهم المسؤولون عن حراسة رئيس الوزراء – أن يهودياً قد يقتل زعيم الأمة اليهودية، لقد فشل

الشاباك فشلاً ذريعاً، مرتين مُختلفتين: أولا من خلال عدم معرفته بالخلية الإرهابية التي يُديرها أمير ثُم السماح له بالاقتراب من رابين وبيده مُسدس، ساد مزاج من اليأس عبر المنظمة.

لكن عياش كان لا يزال على قيد الحياة وشمعون بيريز الذي حل محل رابين كرئيس للوزراء ووزير الدفاع وقع على الصفحة الحمراء ضد "مُهندس" حماس، قرر رئيس الشاباك كارمي جيلون عدم الاستقالة مًباشرة بعد اغتيال رابين بل الاستمرار حتى القضاء على عياش حتى لا يُنظر إلى ولايته على أنها فشل مُحرج كبير.

ولا تزال هُناك قُنبلة في الهاتف المحمول، في صباح يوم الجمعة 5 كانون الثاني (يناير) 1996، عاد عياش إلى منزل أسامة حماد حيث كان يختبئ في الليلة السابقة في قبو في مُخيم جباليا للاجئين، في الساعة 9 صباحاً اتصل والده عبد اللطيف عياش بهاتف حماد المحمول، الذي حصل عليه من عمه كمال، قال حماد: "أعطيت عياش الهاتف وسمعته يسأل والده عن حاله، تركت الغرفة لأتركه وشأنه".

أخبر عياش والده كم يحبه ويشتاق إليه، كان يكفي لخبير التعرف على الصوت إعطاء الإشارة، هذه المرة وصلت الإشارة إلى الهاتف عبر الطائرة وفجرت العبوة.

قال عبد اللطيف عياش: "فجأة انقطع الخط، اعتقدت أنه لم يكن هُناك استقبال وحاولت الاتصال مرة أخرى لكنني لم أتمكن من ذلك، بعد ظهر ذلك اليوم قيل لي إنه قُتل ".

ودُفن عياش في غزة في اليوم التالي في جنازة حضرها الآلاف، في تلك الليلة بدأ نُشطاء حماس في تجنيد انتحاريين في الضفة الغربية، وقال ناطق باسم حماس "**فتحت أبواب جهنم**".

26

"ماكرة كالأفعى وبريئة كطفل صغير"

كان يحيى عياش مسؤولاً عن مقتل وتشويه مئات الأشخاص وألحق أضراراً بالغة ولا تُحصى بدولة إسرائيل وعملية السلام.

في ذلك الوقت كان هُناك العديد من كبار القادة الآخرين في قيادة حماس المسؤولين عن القوات الإقليمية في الضفة الغربية وقطاع غزة وهم أيضاً مسؤولون عن هجمات دامية ضد الإسرائيليين، لكن كان هناك فرق جوهري بين عياش والبقية، وعمل معظمهم داخل الأراضي المحتلة وبشكل رئيسي في كمائن بالأسلحة النارية ضد الجُنود على الطرق، عياش كان المسؤول الأول عن التفجيرات الانتحارية التي وقعت داخل إسرائيل نفسها والتي كانت موجهة ضد المدنيين.

عاش عمل عياش الثوري حتى بعد وفاته، وفي الأشهر الأخيرة من حياته درّب مجموعة من نُشطاء حماس على فن صناعة العُبوات الناسفة الصغيرة والقاتلة للانتحاريين وعلى أساليب تجنيدهم وإعدادهم وكان أحد هؤلاء الرجال محمد دياب المصري، بعد أن وُضع على قائمة "الشاباك" أصبح معروفاً في حماس باسم محمد ضيف، لأنه كان ينام كُل ليلة في مكان مُختلف تماماً، ولد عام 1965 في مُخيم خان يونس بقطاع غزة لعائلة فرت من قرية بالقُرب من عسقلان في حرب عام 1948، انضم الضيف إلى حماس فور تأسيسها عام 1987 وفي مايو 1989 اعتُقل لأول مرة وحُكم عليه بالسجن ستة عشر شهراً لكونه عضو في الجناح العسكري لحركة حماس لكنه عاد إلى النشاط فور إطلاق سراحه والمشاركة في العمل العسكري، الضيف كان يعلم عن وِرش العمل التي كان عياش يعلّمها سراً والتي كانت على الكُثبان الرملية خارج غزة، في تشرين الثاني (نوفمبر) 1993 تم تكليف الضيف بعمليات لحماس الإرهابية داخل القطاع.

في يوم دفن عياش أصبح الضيف رئيس كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، وفي تلك الليلة بدأ في تجنيد الانتحاريين، وبعد شهر بدأ بالانتقام.

نفذ الضيف ورجاله أربع عمليات إرهابية، في 25 شباط (فبراير) 1996 فجر انتحاري نفسه في حافلة في القُدس مما أدى إلى مقتل 26 شخص، وفي نفس اليوم قتل انتحاري إرهابي آخر جُندياً وجرح ستة وثلاثين آخرين في محطة مُتنقلة للجُنود خارج عسقلان، وبعد أسبوع في صباح 3 مارس / آذار وقع هُجوم انتحاري آخر على حافلة في القدس مما أسفر عن مقتل 19 شخصاً وإصابة ثمانية آخرين، في اليوم التالي 4 مارس وقع انفجار بالقرب من خط ماكينة الصراف الآلي في مركز ديزنغوف وهو مركز تجاري مُزدحم في قلب تل أبيب مما أسفر عن مقتل 13 شخصاً وإصابة أكثر من مائة.

شمعون بيريز الذي خلف رابين كرئيس للوزراء أدرك تأثير هذه الهجمات الإرهابية على الرأي العام الإسرائيلي ومدى دعمه لعملية السلام وآفاقه في الانتخابات المُقبلة المُقرر إجراؤها في مايو، لذلك وقع على صفحة حمراء ضد محمد ضيف وأمر الشاباك بعمل كُل ما يحتاجه للتخلص منه لكن الضيف نجح في البقاء على قيد الحياة، السلطة الفلسطينية التي كان من المُفترض أن تُساعد الشاباك في مُحاربة الإرهاب كجُزء من مُفاوضات السلام لم تفعل شيئاً، زعم جبريل الرجوب أحد رُؤساء أجهزة الأمن الفلسطينية المُقرب من عرفات: "**لم تكن لدي السُلطة لفعل ذلك، كُنت أرغب في مُحاربة إرهاب حماس لكن لم يكن لدي الرجال والأدوات والسُلطة** "، يوفال ديسكين مُنسق الشاباك مع الفلسطينيين لا يتفق معه حيث قال: "**جبريل كاذب، كانت لديه صلاحيات هائلة لكنه تلقى أوامر من عرفات بألا يبذل جهداً كبيراً** ".

قبل الهجمات الأربع حاول بيريز حمل عرفات على اعتقال الضيف وأربعة وثلاثين متهماً إرهابياً آخرين، سافر إلى غزة لعقد اجتماع عاجل مع عرفات في 24 كانون الثاني / يناير، وكان معهم رئيس الرابطة يعالون الذي قال لعرفات: "**يجب أن تعتقل هؤلاء الأشخاص على الفور وإلا فسوف يغرق كُل شيء في الفوضى**".

"**اعتقلوا محمد ضيف فورا!**" طالب بيريز.

نظر إليهم عرفات بعينين مفتوحتين في حيرة... "مُحمد شو؟" سأل بالعربية.. محمد من؟

في النهاية أدرك عرفات أن الانتحاريين جعلوه ينظر في عُيون شعبه كما لو أنه لا يستطيع السيطرة على السُلطة الفلسطينية وفي نظر المُجتمع الدولي وكأنه شخص يمد يده حتى ولو

عن طريق الإغفال إلى الإرهاب القاتل، لقد أدرك أن عملية السلام ستنتهي إذا استمر تفجير الإسرائيليين في الحافلات ومراكز التسوق، بعد الهُجوم الرابع شنت قواته الأمنية حملة شرسة ضد حماس حيث اعتقلت 120 من قياداتها واستجوبتهم بأقسى أساليب التعذيب، لكن بذلك أصبح مُتأخراً.

قال بيريز : "**عرفات كان شخصاً مُعقداً للغاية ولديه نفسية لم نكن على دراية بها، من ناحية كان ماكراً مثل الثعبان، من ناحية أخرى ساذجاً مثل طفل صغير، أراد أن يكون كُل شيء في نفس الوقت رجل سلام ورجل حرب، من ناحية كانت لديه ذاكرة استثنائية تذكر كُل الأسماء كُل أعياد الميلاد كل الأحداث التاريخية، ومن ناحية أُخرى لم تكن الحقائق والحقيقة تهمه دائماً**".

"**جلسنا معاً وأكلت من يد الشخص المُصاب بالأكزيما وهذا يتطلب الشجاعة، أحضرت له معلومات عن كبار إرهابيي حماس في أراضيه، كان يعلم جيداً أنها دقيقة لكنه كذب على وجهي دون أي مُشكلة، عندما تم إقناعه كان الأوان قد فات بالفعل، لقد دمرني الرعب وقضى عليّ وأبعدني عن السُلطة** ".

كانت موجة الإرهاب في شباط (فبراير) وآذار (مارس) 1996 بمثابة دراسة حالة عن كيف يُمكن للهجمات الانتحارية أن تُغير مجرى التاريخ، في بداية شباط تقدم بيريز عشرين نُقطة في استطلاعات الرأي على مُعارضته الصقر المُحافظ بنيامين نتنياهو، بحُلول مُنتصف آذار (مارس) كان نتنياهو قد سد الفجوة بشكل كبير وتصدر بيريس بفارق خمس نقاط مئوية فقط، في 29 مايو فاز نتنياهو بنسبة 1٪ من الأصوات، كان كُل هذا بسبب الهجمات الإرهابية التي لم يستطع بيريز ببساطة إيقافها، كان أتباع يحيى عياش قد ضمنوا انتصار اليمين و "**أخرجوا عملية السلام عن مسارها**"، على حد تعبير نائب رئيس الشاباك يسرائيل حسون.

من الغريب أنه بعد الانتخابات توقفت الهجمات لمُدة عام تقريباً، قال البعض إن هذا بسبب حملة عرفات ضد حماس واعتقال العديد من أعضاء جناحها العسكري، فيما يعتقد البعض الآخر أن حماس لم يعد لديها أي سبب لتنفيذ الهجمات الانتحارية لأن نتنياهو أوقف بالفعل عملية السلام بشكل شبه كامل وهو الهدف قصير المدى للهجمات على أي حال.

لم يُلغ نتنياهو اتفاقيات أوسلو لكن حكومته أعاقت العملية بعدد لا يُحصى من الصُعوبات وطوال فترة ولايته الأولى توقفت عملية السلام بشكل شبه كامل، من ناحية أُخرى لم يسرع نتنياهو أبدا في استخدام القوة أو الشُروع في عمل عدواني، كان أُسلوب عمله هو عدم القيام بأي شيء: عدم أخذ زمام المُبادرة أو الحرب أو السلام.

من جهته كان عرفات غاضباً من استمرار التأخير في الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية وانتقماً منه أطلق سراح بعض نُشطاء حماس الذين اعتقلهم، وفي 21 مارس 1997 ضرب التنظيم مرة أُخرى في قلب تل أبيب عندما فجر انتحاري نفسه في مقهى على الرصيف ليس بعيداً عن المنزل السابق لديفيد بن غوريون، وقتلت ثلاث نساء وأُصيب ثمانية وأربعون بجروح بعضهم خطيرة، في أعقاب هذا الهجوم أبدى نتنياهو ضبط النفس مرة أُخرى وعلى الرغم من اقتراحات رفاقه بالقيام بعمل عسكري في المناطق الفلسطينية فقد امتنع عن الأمر بأي استخدام للقوة.

سلّط تفجير تل أبيب الضُوء على الفجوة المُتزايدة بين الطريقة التي ينظر بها سلاحا المُخابرات الإسرائيليان الرئيسيان لمُكافحة الإرهاب إلى عرفات، الشاباك بقيادة أيالون اعتقد أن الزعيم الفلسطيني كان سلبياً وضعيفاً مما سمح باستمرار الهجمات وعدم بذل جُهد لكبح حماس لأنه أراد تجنب المواجهة مع الحركة الإسلامية الأصولية.

أمان برئاسة اللواء موشيه يعالون صاحب الشخصية الكاريزمية اعتقد أن عرفات كان محورياً في المُشكلة، على الرُغم من أن كُل من الشاباك و أمان شاهدا نفس النُصوص من المُحادثات السرية بين عرفات وقادة حماس إلا أن يعالون فقط يعتقد أن المواد الاستخباراتية تُشير إلى أن عرفات قد أعطى الضوء الأخضر لهجمات إرهابية من أجل كسر الجُمود في المُفاوضات، قال يعالون لرُؤساء الوُزراء الثلاثة الذين خدم في ظلهم كرئيس للمُخابرات العسكرية رابين وبيريز ونتنياهو، في تقديره، "**عرفات لا يُجهز شعبه للسلام معنا، بل للحرب،** " قال يعالون إنه في وقت لاحق كان قول رابين بأن إسرائيل يجب أن "**تسعى إلى السلام كما لو أنه لا يوجد إرهاب وتُحارب الإرهاب كما لو أنه لا يوجد سلام" كان ذلك تصريحاً غبياً**"، لأن الرجل الذي كانوا يحاولون تحقيق السلام معه كان نفس الشخصية التي كانت تُسبب الرُعب لهم.

كان يعالون عضواً في كيبوتس في صحراء عربة وابناً بارزاً للحركة العُمالية اليسارية في إسرائيل، لكنه قال إن ما رآه في المواد الاستخبارية كرئيس أمان ثم رئيس الأركان العامة لاحقاً جعله يُغير رأيه ويتأرجح إلى اليمين، أدى صُعوده الصارخي في الرُتبة العسكرية والسياسية إلى تضخيم آرائه المُتشددة وانتهى الأمر بتأثير كبير على شكل السياسات الإسرائيلية في العُقود القادمة، رحب به اليمين ترحيباً حاراً لأنه كان واحداً من عدد قليل من أعضاء مُجتمع الاستخبارات الذين يتبنون مثل هذه الآراء، سيُصبح أحد أقرب المُقربين لنتنياهو الذي عيّنه في حُكومته وزيراً للشُؤون الاستراتيجية ثُم وزيراً للدفاع، على الرغم من أنه أجبره على التنحي في عام 2016 بعد أن أصر يعالون المتمسك بالقانون والانضباط على أن الجُندي الذي أطلق النار وقتل إرهابي جريح عاجز يجب أن يُحاكم.

يعالون يعُتبر أيضاً من أكثر السياسيين الإسرائيليين صدقاً ولا شك في أن اشمئزازه من عرفات كان حقيقياً تماماً، وظل ثابتاً على إيمانه بأن عرفات يواصل دعم الإرهاب بنشاط، وقال: **"الشاباك مُعتاد على جمع الأدلة التي ستقف في المحكمة وتؤدي إلى الإدانة"، لكن من الواضح أن عرفات أكثر حنكة، إنه لا يقول لقادة حماس "اذهبوا ونفذوا الهجمات"، بل يتحدث معهم عن الجهاد ويُطلق سراح جميع كبار المسؤولين الذين اعتقلهم، ليست هُناك حاجة لأكثر من هذا، حتى يومنا هذا لم يتم العُثور على أي أمر مُوقع من قبل هتلر يأمر بإبادة اليهود، هل هذا يعني أنه لم يأمر بذلك؟"**

أيد العميد يوسي كوبرفاسر أحد كبار مُحللي أمان بكلمات رئيسه: "عندما أراد ذلك أغلق عرفات تسعة عشر مُؤسسة لحركة حماس واعتقل بعض نُشطاءها، ثم بدأ بالسماح لهم بالرحيل بعد أن قرر أن الوقت قد حان لاستئناف الهجمات الإرهابية، وطالبت حماس بإثبات جديته، قالوا له "أطلقوا سراح إبراهيم المقادمة، هذه هي الطريقة الوحيدة التي سنعلم بها على وجه اليقين أنك تمنحنا مُطلق الحُرية،" لماذا مقادمة بالذات؟ لأنه ترأس فرقة كانت ستغتال عرفات بنفسه، امتثل عرفات وبعد فترة وجيزة نفذوا الهُجوم بالقرب من مقر بن غوريون السابق"، يقول كوبرفاسر إن عرفات كان مُتطوراً بما يكفي لإطلاق سراح سُجناء حماس الذين يعيشون في مناطق خاضعة للسيطرة الإسرائيلية بحيث يكون الإسرائيليون قادرين على إلقاء اللوم على أنفسهم فقط وفي أي حال من الأحوال إطلاق سراح الرجال الذين لا تربطهم صلات بفتح وذلك للحفاظ على أكبر مسافة مُمكنة بينه وبين الهجمات الإرهابية.

—

سوق ماهانيه يهوده في القُدس مزدحم دائماً بالناس الذين يتسوقون لشراء المُنتجات والملابس الرخيصة، يقع بين الشريان الرئيسي للمدينة طريق يافا وشارع أغريباس، وقد خدم السُكان مُنذ نهاية القرن التاسع عشر، مع البائعين الذين يبيعون اللحوم والأسماك والزُهور والفلافل بصوت عالٍ وجميع الألوان والروائح والمعالم في سوق أصيل مُزدحم فهو أيضاً معلم سياحي شهير.

في ظهر يوم الأربعاء 30 يوليو 1997 لم ينتبه أحد عندما سار رجلان يرتديان بذلات سوداء وقُمصان بيضاء وربطة عُنق وسط الحشد الصاخب، كان الرجال يحملون حقائب مُلحقة ثقيلة وتوغلوا عمداً في قلب السوق وتوقفوا على مسافة 150 متراً من بعضهم البعض كما أمرهم محمد الضيف، شدوا حقائبهم بالقُرب من أجسادهم كما لو كانوا يُعانقونهم.

كانت الأكياس مليئة بنحو ثلاثة وثلاثين رطلاً من المُتفجرات والمسامير والبراغي، فجرهما الرجال والهائلون، وأسفرت الانفجارات والشظايا المُتطايرة عن مقتل ستة عشر شخصاً وأُصيب 178 آخرين.

وأعلنت حماس مسؤوليتها عن الهُجوم في بيان أُرسل إلى الصليب الأحمر، لكن الضيف أدرك أيضاً أن الشاباك بعد التفجيرات السابقة، ستُحدد هوية الجناة واستخدمت المعلومات لتحديد من كانوا على اتصال بهم قبل الهُجوم، لذلك هذه المرة بذل المُفجرون جُهوداً كبيرة لإخفاء هوياتهم، قاموا بقص المُلصقات من ملابسهم على سبيل المثال لذلك لن يتمكن مُحققو الشاباك من تعقبها إلى صاحب متجر مُعين قد يتعرف عليهم، أمسكوا قنابلهم بإحكام لتدمير أكبر قدر مُمكن من أجسادهم ووجوههم، وكان نُشطاء حماس قد طلبوا من عائلاتهم عدم نصب خيام لاستقبال التعزية كما هو مُعتاد بين الفلسطينيين لذلك لن يتمكن الشاباك من التعرف عليهم وتكوين صورة لجهات الاتصال بهم.

ومع ذلك وبعد عمل استقصائي كبير تمكنت الوكالة من إبلاغ رئيس الوُزراء بأنها حددت هوية الإرهابيين القتلى وأن محمد الضيف كان وراء التخطيط للهُجوم وتجنيد الانتحاريين.

بعد عشرة أيام من التفجير عقد رئيس الوزراء نتنياهو اجتماعاً لمجلس الوُزراء المُصغر، في بداية الاجتماع أوضح أنه انتهي من التحلي بضبط النفس، بعد أن أوضح مسؤولو الموساد والشين بيت للوزراء أن العديد من قادة حماس قد لجأوا إلى الأردن وسوريا ودول الخليج

والولايات المُتحدة وأوروبا أعلن نتنياهو أنه يؤيد اتخاذ إجراءات ضدهم، فوض مجلس الوُزراء رئيس الوزراء ووزير الدفاع بتحديد الأهداف المُحددة.

في اليوم التالي استدعى نتنياهو مُدير الموساد العام داني ياتوم وطالب بقائمة الضربات، كان ياتوم برفقة رئيس قيسارية وكبير ضُباط المُخابرات في قيسارية موشيه (ميشكا) بن ديفيد.

كان بن ديفيد رجلاً غريباً في الموساد، قصير وقوي، كان يرتدي لحية طويلة غير تقليدية ودخل الموساد في عام 1987 في سن الخامسة والثلاثين المتقدمة نسبياً، كانت والدته المُترجمة والمُحرر قد تحدثت إليه باللغة الروسية فقط، لذلك كان يتحدث تلك اللغة قبل أن يتعلم العبرية، عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره جعلته معرفته باللغة الروسية مُرشحاً طبيعياً للوحدة 8200 حيث استمع إلى المُستشارين الُروس الذين كانوا يُساعدون الجيشين المصري والسوري، عندما تقاعد من جيش الدفاع الإسرائيلي مثّل حركة شبابية إسرائيلية في الولايات المُتحدة لفترة ثم عاد ليُدير مركزاً للشباب في إسرائيل، قام بتربية الخُيول في جبال القُدس وألف كتباً ونال شهادة الدكتوراه في الأدب والحزام الأسود في الكاراتيه، كما تزوج وقام بتربية ثلاثة أطفال.

وفقط بعد تحقيق كُل هذا قرر بن ديفيد التقدم إلى الموساد، وأوضح: "**لقد أثار اهتمامي حقاً كما أنني فهمت الأهمية الصُهيونية والوطنية للمساهمة في أمن البلاد بعد عدة سنوات من القيام بأشياء لنفسي، لقد رأيت أن الحرب مُستعرة في لبنان وأن السلام لا يزال بعيد المنال وأنه لا يهم أي شخص من القدس إلى تل أبيب** ".

قال لم يكن الأمر أن لا أحد يهتم بالضبط، بل كان من الأسهل ببساطة التظاهر بأن العالم لم يكن مكاناً خطيراً، "**حشد المقاهي في تل أبيب ينفعل عندما يُواجهون رؤية واضحة لعالم لا تزال فيه دولة إسرائيل تواجه خطراً وجودياً، وحقيقة أنه لا يُوجد عدد قليل من الأشخاص والمؤسسات التي تبذل كُل جهد ولا تدخر على التآمر على كيفية إيذاءنا وتدميرنا** ".

قال بن ديفيد: "**إنه لمن دواعي سروري ألا تُفكر في الأشخاص السيئين وأن تجلس فقط، أعتقد أن الغالبية العُظمى من الناس في الموساد مثلي، إن حُب المُغامرة والرغبة في حياة مهنية جيدة، بدون الاقتناع بأن قضيتك هي دافع وطني قوي وعادل لا يمكنك البقاء على قيد الحياة في العملية الثانية**".

وصل ياتوم ومساعدوه إلى مكتب نتنياهو ومعهم ملفات عن عدة أهداف مُحتملة لحماس في أوروبا والشرق الأوسط كانت مسؤولة عن حيازة الأسلحة أو جمع التبرعات، كان أحدهم محمود المبحوح، الذي اختطف وقتل جُنديين إسرائيليين في عام 1988 وفر لاحقاً إلى مصر، نتنياهو رفض القائمة وقال: "**أحضر لي بعض الأسماك الكبيرة وليس هذه الأسماك الصغيرة.. أُريد قادة وليس تجار**".

شكّل أمر نتنياهو مُشكلة صعبة لبن ديفيد ورفاقه، كانت القيادة العُليا لحماس في الأردن البلد الذي وقعت إسرائيل معه مُعاهدة سلام قبل ثلاث سنوات؛ المخابرات الإسرائيلية بأمر من رابين وبدافع المُجاملة الدبلوماسية الأساسية لم تتمكن من العمل هُناك دون إذن الأردنيين، وكان من الواضح أن الملك حُسين الذي كان مُعظم رعاياه من الفلسطينيين لن يمنح هذا الإذن.

ما إذا كان الموساد قد أوضح هذه الصُعوبات اللوجستية لنتنياهو هو أمر محل خلاف، قال بن ديفيد: "**أخبرنا نتنياهو أنه يُريد الإعدام بدون آثار أقدام**".

قال له رئيس قيسارية: "أعرف كيف أُنفذ مثل هذه العملية بالبنادق والمُسدسات والقنابل، وليست لدي خبرة في توجيه عملية صامتة من النوع الذي تُريد، فعندما يتعين عليك التصرف لضرب هدف ما، فما عليك سوى الوُصول إلى اتصال فعلي معه، وإذا حدث خطأ ما فلا يُمكنك إسقاط البُندقية والهرب، قال نتنياهو: "**هذا مُهم بما يكفي بالنسبة لك للقيام بمُهمة صامتة، لأنني لا أُريد تعريض العلاقات مع الأردن للخطر**"، وقال أيضاً: "**أنا بحاجة إلى القضاء على قادة حماس لا يمكنني السماح بحُدوث المزيد من التفجيرات الانتحارية مثل هذه** ".

من ناحية أُخرى أكد العميد شمعون شابيرا السكرتير العسكري لرئيس الوزراء والذي كان حاضراً في جميع الاجتماعات، أن مُمثلي قيسارية لم يقترحوا أبداً أن تنفيذ مُهمة في الأردن سيكون مُشكلة، قال شابيرا: "**لقد أعطونا الانطباع بأنها كانت نزُهة في الحديقة مثلها مثل القيام بها في وسط تل أبيب، كان كُل شيء بسيطاً ولا توجد مخاطر، لا شيء يُمكن أن يحدث** ".

عاد الموساد بقائمة أهداف مُحتملة لأربعة من قادة حماس يعيشون في الأردن، أضاءت عيون نتنياهو، كان على دراية بأحد الأسماء: موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، كان مرزوق يعمل دون عوائق في الولايات المُتحدة حتى طلبت إسرائيل تسليمه، تمت الموافقة على الطلب لكن رئيس الوزراء رابين قرر التخلي عنه لأن الشاباك حذره من أن

المُحاكمة ستكشف على الأرجح مصادر معلوماته، بدلا من ذلك قام الأمريكيون بترحيل مرزوق إلى الأردن.

كان مرزوق مواطناً أمريكياً أيضاً ولم يزعج نتنياهو بقتله لكن ذلك جعل الموساد حذراً من أجل تجنب الضرر الذي قد يلحق بالعلاقات مع الولايات المتحدة، وضع الموساد مرزوق في المرتبة الأخيرة على قائمة أهدافه، وهذا يعني أن اسمه وراء خالد مشعل نائب مرزوق وخلف المُتحدث باسم حماس محمد نزال وخلف إبراهيم غوشة العضو البارز في مكتبها السياسي.

لم يكن لدى الموساد سوى القليل من المعلومات عن كُل منهما وندرة الموارد أو الوقت لملء الفجوات، وبذلك لا يُمكن تنفيذ القتل المُستهدف إلا إذا كانت هُناك معلومات استخبارية كافية حول الهدف لذلك كان من المعقول أن يتم اختيار الشخص الذي يترأس ترتيب الأولوية إذا كان هُناك المزيد من المعلومات الاستخبارية عنه، بهذه الطريقة يجب أن تكون حياة آخر شخص في القائمة آمنة نسبياً.

بعد ثمانية أيام ذهب ستة من أعضاء الحربة إلى الأردن في مهمة استكشافية تحت قيادة رئيس الوحدة جيري، لقد بدأوا بجمع معلومات استخبارية عن مشعل البالغ من العُمر 40 عام، والذي كان يُدير المكتب السياسي لحماس من "**مركز المُساعدة الفلسطينية**" في مركز تسوق راقي وسط مدينة عمان، في غُضون أيام قليلة عرف الإسرائيليون أين يعيش وكيف سافر، وأساسيات روتينه اليومي، لقد كرسوا القليل من الوقت لمُتابعة غوشة أو نزال، ولم يصلوا إلى مرزوق على الإطلاق.

عندما عاد فريق الاستطلاع التابع للموساد من الأردن أبلغ نتنياهو أن لديهم معلومات كافية عن مشعل للمُضي قدماً في خُطة للقضاء عليه، لكن بعيداً عن المعلومات الكافية للعمل ضد الثلاثة الآخرين.

بينما كانت الحربة تجمع المعلومات في الأردن كان النُشطاء في مقر الموساد يكتشفون كيفية تنفيذ "**العملية الصامتة**" التي طالب بها نتنياهو، القتل لا يُمكن أن يسبب ضجة ولا يُمكن أن يلفت الانتباه إلى القتلة، ومن الناحية المثالية سيجعل الأمر يبدو كما لو أن مشعل مات لأسباب طبيعية.

تم النظر في خيارات مُختلفة مثل حادث طريق ورفضت، ولم يتبق سوى خيار واحد: السُم، تم إجراء مُشاورات حول العامل السام الذي يجب استخدامه في الوحدة التكنولوجية للموساد، بالتعاون مع المعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية وهو مُنشأة حكومية سرية للغاية تقع في نيس زيونا جنوب تل أبيب، استقروا في النهاية على الليفوفينتانيل، وهو نظير للفنتانيل الأفيوني القوي والذي هو في حد ذاته أقوى بمئة مرة من المورفين، (وجدت شركات الأدوية التي حاولت تطوير الليفوفنتانيل لاستخدامه كمُخدر جراحي أنه لا يُمكن السيطرة عليه بشكل كافٍ لتجنب قتل المريض).

كانت الخُطة هي إعطاء جُرعة قاتلة خلسة إلى مشعل من العقار السام ليفوفنتانيل، وهو دواء بطيء التأثير نسبياً ويعمل على مدى ساعات حيث سيشعر مشعل بالنُعاس أكثر فأكثر حتى ينام في النهاية، ثم يُبطئ الدواء تنفسه ويُوقف قلبه في النهاية، وبذلك سيبدو أن وفاته ليست أكثر من سكتة دماغية أو نوبة قلبية، ولا يترك ليفوفنتانيل أي علامات تقريباً، ما لم يختبر شخص ما لذلك التأثير على وجه التحديد فإن تشريح الجُثة لن يكشف عن شيء، "**جرعة الآلهة**" كما أطلق عليها البعض في قيسارية.

كانت المُشكلة التالية هي كيفية إدخال المادة إلى نظامه دون اكتشافها، اقترح المعهد البيولوجي استخدام جهاز الموجات فوق الصوتية على غرار تلك المُستخدمة في تحصين الأطفال، ويمكن أن يحقن المواد دون استخدام إبرة، ولكن لا يزال هذا الجهاز يتطلب الاقتراب من مشعل الذي من المُحتمل أن يشعر بنفخ خفيف من الهواء الرطب، قررت قيسارية أن أفضل مكان لتنفيذ القتل سيكون في العراء وتحديداً في شارع مُزدحم حيث يتزاحم المارة بين الحين والآخر، اقترب منه عُنصران من الخلف وفتح أحدهما عُلبة صودا ممزوجة جيداً وفي نفس اللحظة يقوم الآخر برش السُم من أداة الموجات فوق الصوتية التي يُمسك بها في راحة يده (تخيل Spider Man يطلق النار من شبكته)، عندما استدار مشعل ليرى ما الذي تبلل من جسده لم يكن هُناك سوى سائحين مع علبة من الصودا الغازية، ولأن المادة كانت شديدة الخُطورة كان طبيب الموساد في عمان يحمل الترياق في حال لامس أحد النُشطاء قطرة بالصدفة.

كان القتلة لا يزالون يُمارسون أُسلوبهم حيث تم رش الكثير من المارة بكوكاكولا في شارع ابن جابيرول – في أوائل سبتمبر عندما قام ثلاثة انتحاريين أحدهم يرتدي زي مُتخنث لتجنب التفتيش، قام بتفجير أنفسهم في مركز بن يهودا للمُشاة في القُدس، قتلوا خمسة من بينهم طفل

يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً من لوس أنجلوس كان يزور العائلة، وأصابوا 181 شخص، حينها قال نتنياهو أثناء زيارته للجرحى في مركز شعاري تسيديك الطبي إنه سئم وقال: "أُريد أن أوضح هذا الأمر فمن هذه اللحظة سيكون طريقنا مُختلفاً تماما".

كانت الخُطوة الأولى هي قتل زعيم حماس، أمر رئيس الوزراء مُدير الموساد ياتوم بالمُضي قدماً فوراً في عملية سايروس وضرب مشعل، حاول ياتوم مرة أخرى إقناع نتنياهو بالعمل أولاً ضد عُملاء حماس في أوروبا ولكن دون نجاح.

ومع ذلك فإن جميع المشاكل الكبيرة التي ستتبعها لم تنشأ من أوامر نتنياهو بقدر ما نشأت من مُوافقة الموساد على تنفيذها، للعُملاء الحق الذي مارسوه أكثر من مرة في الماضي في إخبار قادتهم أو حتى رئيس الوزراء نفسه بأنهم يعتقدون أن المُهمة "**لم تنضج**" أو أن الخطر غير مقبول، بالطبع ليس من السهل أو المُريح أن نقول ذلك لرئيس وزراء يُمارس الضغط.

لكن في اللحظة التي وافق فيها الموساد على تنفيذ الضربة على مشعل، على الفور اضطر أفراده إلى التخلي عن سلسلة من الخُطوات التحضيرية الروتينية، على سبيل المثال في زيارتهم الاستكشافية تصوروا أنهم سائحون أوروبيون وشخصيات استخدموها من قبل في عمليات أخرى، والتي تم اختبارها ويُمكن أن تصمد أمام التدقيق الشديد، ولكن نظراً لأنهم كانوا عائدين إلى الأردن قريباً فقد تم إعطاؤهم أوراقاً كندية وهويات لم يكونوا مألوفين بها كثيراً، بالإضافة إلى ذلك لم يخضع العناصر أبداً لتمرين شامل في نموذج بالحجم الطبيعي لمنطقة العمليات، وقال أحد أعضاء لجنة تحقيق داخلية للموساد في الحدث: **"لم تكن الطريقة التي تم التخطيط بها لتنتهي بنجاح باهر، لكن عملية من هذا النوع يجب أن تنتهي بالنجاح أو على الأقل ألا تفشل، إن فكرة اتخاذ تدابير احترازية لا حصر لها هي عدم السماح للأحداث غير المُتوقعة أو الحظ السيئ بإفساد الأمور** ".

علاوة على ذلك فإن وزير الدفاع يتسحاق مردخاي الذي كان يجب أن يُطلب منه التحقق من العملية والموافقة عليها، حيث يتمتع رُؤساء الوُزراء بالسلطة الرسمية لإصدار أوامر بعمليات الموساد من تلقاء أنفسهم، لكنهم عادة ما يتخذون القرار النهائي مع وزير آخر أو اثنين، لا يُدركون مخاطر وماهية تنفيذ مهمة بهذا الحجم، حيث أنه وافق في وقت سابق على جمع المعلومات الاستخباراتية، لكنه لم يتم إخباره بالمسار الأخير أو موقع العملية، كان مردخاي

جنرالاً قتالياً سابقاً ومُتمسكاً بالتفاصيل وربما يكون قد حسن استعدادات قيسارية كما فعل في حالات أخرى لكنه ببساطة لم يكن يعرف عن ذلك.

وقال مُدير الموساد داني ياتوم إنه مُقتنع بإمكانية إنهاء المهمة "**بسلاسة وهدوء وإلا كُنت سأُخبر نتنياهو بخلاف ذلك، وقد يكون ذلك في وقت لاحق، لكن أفراد جناح العمليات لم يعطوني التقديرات الصحيحة للمخاطر** ".

نتنياهو لم يشعر بالمخاطر أو تفاصيل وتكتيكات العملية وما يُمكن أن تواجه فرقة الاغتيال من متاعب وصعاب: ويتساءل نتنياهو: "**ما هو واجب رئيس الوزراء لتعيين السياسة؟؟ الموساد لديه وحدات استخبارات ووحدة عمليات والتي في رأيي منذ مقتل الشقاقي كانت نائمة للغاية، قلت لهم، "أعطني أهدافاً" فأعطوني من بين أشياء أُخرى خالد مشعل، الذي كان في رأيي هدفاً مُناسباً، ليس من واجبي أن أكون المُحقق الداخلي للموساد، ولكن كانت وظيفتي أن أسأل، "هل يُمكنك تنفيذ المهمة؟ هل أنت مُستعد؟ "ومنذ اللحظة التي قالوا فيها نعم لا بد لي من الاعتماد عليهم**."

ذهب أول عضوين من فريق الحربة إلى الأردن في 19 سبتمبر، وبعد ذلك بيوم واحد دخل جيري وخمسة عُملاء آخرين بينهم امرأة إلى فندق إنتركونتيننتال في عمان بشكل مُنفصل، ضابط استخبارات قيسارية بن ديفيد وطبيبة التخدير د.بلاتين، "سجلا الوصول أيضاً، استخدم الموساد البلاتينيوم أحياناً لمهام خاصة على سبيل المثال، قامت بتخدير التقني النووي والذي أبلغ عن المُخالفات مردخاي فعنونو في روما في عام 1986 حتى يُمكن إعادته إلى إسرائيل لمُحاكمته. هذه المرة كان البلاتين يحمل ترياق ليفوفينتانيل.

قرر فريق الموساد نصب كمين لمشعل عند مدخل مكتب حماس الذي كان في الطابق الثالث من مركز الشامية التجاري، للوصول إلى المكتب كان على مشعل أن يسير من سيارته عند الرصيف، عبر رواق مفتوح، وهو ممر يبلغ طوله حوالي ثلاثين متر، طلب جيري من النُشطاء الانتظار خلف أحد الأقواس والبدء في السير نحو المدخل عندما كان مشعل يخرج من السيارة كانوا يتقدمون ويرشونه بالسم والكولا في وقت واحد.

لمدة خمس أيام لم تكن الظُروف مُناسبة، ذات مرة لم يحضر مشعل ومرة أخرى كان هناك الكثير من الأشخاص في منطقة الهُجوم المُحددة.

كُل صباح كان بن دافيد وبلاتينيوم ينتظرون في الفُندق حتى تم إخطارهم بإيقاف الضربة في ذلك اليوم، وقال بن ديفيد: "**ثم فعلنا ما يفعله السائحون: مشاهدة المعالم السياحية، عمان مدينة مُثيرة للاهتمام للغاية**".

في 24 سبتمبر أثار الرجلان من الحربة في مهمة المراقبة شكوك عامل في مركز الشامية، أدرك جيري أن التسكع في المنطقة لفترة أطول أمر خطير للغاية، وسيتعين على الفريق مُغادرة الأردن في اليوم التالي سواء تم إنجاز المهمة أم لا، كانوا سيضطرون إلى التسرع في تنفيذ العملية.

لكن الفريق لم يجمع معلومات كافية حول تحركات مشعل ولم يعرفوا أنه في بعض الأحيان كان يُرافق أطفاله عندما يصطحبهم سائقه إلى المدرسة في الصباح.

هذا هو بالضبط ما فعله في 25 سبتمبر وهو آخر يوم مُمكن لتنفيذ العملية، الأسوأ من ذلك كان الأطفال الصغار يجلسون بشكل منخفض في المقعد الخلفي للسيارة ولم يرهم فريق المُراقبة على الإطلاق.

في الساعة 10:35 صباحاً وصلت السيارة إلى المركز التجاري، نزل جيري من مركبة المُراقبة وأشار إلى أن النُشطاء ينتظران مع الصودا والسم لبدء العملية، لم يكن أحد يحمل أي معدات اتصالات تم اتخاذ إجراء احترازي حتى إذا حدث خطأ ما فلن يحمل النُشطاء أي مُعدات تجريمهم لكن هذا يعني أيضاً أنه لا توجد طريقة لإخبارهم بالإجهاض، بمجرد بدء العمل لم تكن هُناك طريقة لإجهاض المهمة.

نزل مشعل من السيارة وبدأ بالسير باتجاه مكتبه وتبعه الرجلان من الحربة، كان من المُفترض أن يواصل السائق مسيرته ويأخذ أطفال مشعل إلى المدرسة لكن ابنته الصغيرة لم ترغب في ترك والدها، قفزت من السيارة وركضت وراءه وهي تُنادي: "**يا بابا، يا بابا**"، ركض السائق وراءها، رأى جيري ما كان يحدث لكن القتلى لم يُشاهدوا ذلك، حاول أن يوجههم للتراجع لكن في تلك اللحظة بالتحديد كانوا وراء أحد أقواس الممرات ولم يتمكنوا من رؤيته.

اقتربوا من مشعل ورفع أحدهم عبوة السُم المُلصقة على راحة يده واستعد لرش مشعل على مؤخرة رقبته، بدأ الآخر في فتح علبة الكولا، في ذلك الوقت رأى السائق الذي كان يُطارد الفتاة

الصغيرة مشعل واعتقد أن الرجل الذي رفع ذراعه خلفه كان على وشك طعنه بسكين، صاح: "خالد، خالد!" سمعه مشعل هو وابنته يُناديان واستدار حول، أصابته نفاثة السم في أُذنه بدلاً من مُؤخرة رقبته.

كان السُم لا يزال فعالاً بنفس القدر لكن غطاءها كان مفكوكاً، وجد مشعل نفسه وجهاً لوجه مع رجل رشه بشيء من أسطوانة غريبة أدرك على الفور أن حياته كانت في خطر، بدأ يهرب من رجلين الحربة، حمل السائق الفتاة الصغيرة وركض عائدا إلى السيارة، ركض الرجال المُصابون أيضاً، وتخلصوا من عبوة السُموم وعلبة الصودا في صُندوق قمامة في طريقهم إلى سيارة الهروب،

قال داني ياتوم إن النُشطاء لم يتصرفوا بالشكل المُناسب، كان الافتراض الأساسي للعملية أنها ستكون صامتة وأن الهدف لن يعرف أنه قد تأثر، عصى النُشطاء أوامري بشكل صارخ، لقد أوضحت بشكل لا لبس فيه كتابياً وشفهياً في مُناسبتين لاحظت فيهما تدريباتهم، أنه إذا كان هُناك أي شخص بجانب مشعل، فلا يجب عليهم المضي قدماً في تنفيذ العملية، لكنهم فعلوا مع ذلك، كان هذا هو سبب الفشل: التنفيذ بدافع الحافز المُفرط في ظُروف تُشير بوُضوح إلى أنه لا ينبغي أن يكون هُناك إعدام.

من الناحية المثالية كان من المُمكن نشر فريق قيسري ثانٍ في مكان قريب في انتظار إنشاء تحويل إذا لزم الأمر، لكن لم يكن هُناك، والأسوأ من ذلك أن رجلاً يُدعى محمد أبو سيف وهو مُقاتل مُتمرس في حرب العصابات وأحد حاملي الأسلحة والعملة التابعين لحركة حماس، كان يمر بجانبه أثناء وُقوع الحادث، لم يدرك أبو سيف على الفور ما كان يحدث لكن رؤية رئيسه يركض في اتجاه واحد ويدير شخصان غريبان وجههم لمكان آخر كان دليلاً واضحاً على حُدوث شيء ما، وطارد الإسرائيليين حتى صعدا إلى سيارتهما ودوّن رقم لوحة السيارة أثناء مُغادرتهما.

رأى السائق الإسرائيلي أن أبو سيف يكتب الرقم وأخبر النشطاء، علقت السيارة في حركة مرور كثيفة وتحولت يميناً إلى شارع جانبي ثم إلى اليمين مرة أُخرى مرتين، عندما اعتقدوا أنهم بعيدون بما فيه الكفاية عن مكان الحادث طلب العُملاء من السائق التوقف، منذ أن تم رصد السيارة اعتقدوا أنه من الأفضل التخلص منها، على الرغم من أنه من الواضح أن الشرطة الأردنية كانت ستستغرق ساعات لتنظيم التفتيش، لكن الإسرائيليين لم يُدركوا أن أبو سيف

العنيد قد استولى على سيارة ولا يزال يُلاحقهم، وقد صل عندما افترق النُشطاء في اتجاهين مُنفصلين.

كان أبو سيف خبيراً في القتال اليدوي وتدرب في مُعسكرات المُجاهدين في أفغانستان، وقد تصدى لأقرب إسرائيلي منه وصرخ أن الرجل من المخابرات الإسرائيلية وأنه حاول قتل زعيم حماس، واندفع العُنصر الثاني مُسرعاً إلى الوراء وضرب أبو سيف في رأسه، أُصيب أبو سيف بالدوار والنزيف ولكن بدلاً من الهرب بقي الإسرائيليون يخنقونه في حالة إغماء.

كان الحظ الجيد يقف إلى جانب حماس في ذلك اليوم، فقد تواجد في المكان مُقاتل سابق في جيش التحرير الفلسطيني وعنصر أمن أردني حالي يُدعى سعد الخطيب في سيارة أُجرة عابرة، رأى الحشد الذي كان يُشاهد أجنبيين يختنقان أحد السُكان المحليين وطلب من سائقه التوقف والانتظار ريثما يذهب لفصلهما، وقال الخطيب "**التقط أحدهم صخرة كبيرة وكان على وشك إسقاطها على رأس أبو سيف**".

قفزت عليه ورميته أرضاً وجلست على صدره وحاولت تثبيته، ثم قال للإسرائيليين إنه سيأخذهما إلى مركز الشُرطة، خوفاً من أن يتم إعدامهم من قبل الغوغاء الذين اجتذبوهم، ووافق النشطاء على الذهاب دون صراع، في غُضون ذلك ساعد المارة أبو سيف في رُكوب سيارة الأجرة وطلب منه الخطيب الجُلوس أمامه وأعاره أحدهم هاتفاً محمولاً حتى يتمكن من الاتصال بمشعل.

كان عُملاء الموساد واثقين من أن هوياتهم الغلافية ستظل عرضة للاستجواب، في مركز الشرطة، أظهروا جوازات سفرهم الكندية وأخبروا الشرطة أنهم كانوا سائحين يأتون للاستمتاع بالمناطق السياحية في الأردن عندما فجأة في منتصف الشارع تعرضوا للهُجوم من قبل "هذا الهمجي" يُشير إلى أبو سيف الذي بدأ يضربهم.

لكن بعد ذلك تم تفتيشهم ووجدت السلطات على ذراع أحد العناصر ضمادات لا تُغطي أي جروح، والشرائط اللاصقة التي كانت مُثبتة بجهاز الموجات فوق الصوتية، ألقي القبض عليهم واستخدموا مكالمات السجن الهاتفية للاتصال "بأقاربهم في الخارج".

بعد ساعتين من اعتقالهم حضر القُنصل الكندي في عمان إلى المحطة، دخل زنزانتهم وسألهم أين نشأوا وبعض الأسئلة الأخرى عن كندا، بعد عشر دقائق خرج وقال للأردنيين: "**لا أعرف من هم، الكنديون ليسوا كذلك** ".

اتصل مشعل الذي لا يزال في مكتب، بزملائه في حماس موسى أبو مرزوق ومحمد نزال، وقرروا إصدار بيان مفاده أن الموساد حاول قتل مشعل وأن الديوان الملكي الأردني متواطئ في المؤامرة، أثناء حديثهما بدأ مشعل يشعر بضعف شديد ونُعاس، كان السم قد تسرب إلى مجرى دمه، نقله زملاؤه وبعض حُراسه إلى المستشفى.

سيموت في غُضون ساعات قليلة.

كانت المُكالمات التي أطلقها رجال الحربة الموقوفون، بالطبع موجهة إلى زُملائهم في الموساد، توجهت إحداهن وهي عاملة على الفور إلى فندق إنتركونتيننتال لتقديم تقرير إلى بن ديفيد، الذي كان جالساً بملابس السباحة بجوار حمام سباحة رائع في فناء الفندق الفسيح، يقرأ سالينجر كاتشر: "أستطيع أن أقول من وجهها أن شيئاً ما كان خطأً للغاية، تبادلنا بضع كلمات وأدركت وقوع حادث خطير"، وفقاً للخُطة الأصلية كان من المُفترض أن يُسافر الفريق من عمان إلى وجهات مُختلفة ولكن بعد ما حدث كان من المؤكد أن الأردنيين سيُراقبون المطار عن كثب.

اتصل بن ديفيد بمقر الموساد في تل أبيب وصدر له تعليمات بجمع جميع أعضاء الفريق من مخابئهم وإحضارهم إلى السفارة الإسرائيلية.

وبالصُدفة وصلت أنباء اعتقال النُشطاء إلى مقر الموساد أثناء وجود رئيس الوزراء هناك، مُتمنياً لطاقم التنظيم عيد رأس سنة سعيد، كان من المُقرر أن يلقي نتنياهو كلمة، حيث تجمع المئات معاً في انتظار بدء الحفل وفي غضون ذلك أبلغ ياتوم رئيس الوزراء بالأنباء السيئة.

قرر الرجلان المُضي قدماً وكأن شيئا لم يحدث، لم يكن جميع موظفي الموساد على علم بالأزمة، وأراد نتنياهو نقل رسالة العمل كالمعتاد، تحدث لفترة وجيزة وشكر الموظفين بحرارة على مُساهمتهم في أمن البلاد ثُم سارع مع ياتوم إلى مكتب المُدير.

أمر ياتوم بالسفر على الفور إلى عمان وإخبار الملك حسين بما حدث، كان عليه أن يفعل "كل ما هو ضروري" لتأمين إطلاق سراح النشطاء، قال نتنياهو ليتوم: "**وإذا كان من الضروري إنقاذ حياة مشعل فدعهم يفعلوا ذلك**".

استقبل الملك ياتوم، أصيب حسين بالذهول وخرج من الغرفة بغضب، يتذكر ياتوم أن "**رئيس المُخابرات الأردنية اللواء سميح بطحي، هو الذي أغضب الملك لأنه أساء إليه شخصياً، بدونه كُنا سنكون قادرين على إنهاء الأمر بشكل أكثر صرامة ودقة مع الملك، وبثمن أقل بكثير**، "**خلال المُناقشات، بدأ بطيحي يشكو لي لعدم إخباره، قائلاً: أنه كان بإمكاننا التخطيط للعملية معاً، وما إلى ذلك، لكن هذا محض هُراء، لقد طلبنا من الأردنيين مرات عديدة كبح جماح حماس ولم يفعلوا شيئ، رابين انتقدهم بشدة عدة مرات لكن ذلك لم يُساعدنا، لذلك من الواضح لماذا لم نُشارك معهم خُططنا المُتعلقة بمشعل** ".

في ذلك الوقت كانت حالة مشعل تتدهور بسرعة وكان الأطباء في المُستشفى الإسلامي في حيرة من أمرهم، جاء مُدير المكتب الخاص للملك حسين علي شكري، ليسأله عن حاله وأنه جاء بأمر من الملك للتأكد من صحته وقد جاء لإنقاذ حياته، نقله شكري إلى الجناح الملكي في مُستشفى الملكة علياء العسكري، رفض رفاق مشعل في بداية الأمر ذلك خوفاً من أن حسين كان يُخطط لإنهاء قتل مشعل لكنهم وافقوا في النهاية على نقله، طالما يُمكنهم البقاء بجانب سريره، مُحاطين بأمن حماس وتوضيح كل تفاصيل مُعاملته لهم.

تم استدعاء الدكتور سامي ربابة الطبيب الشخصي في الديوان الملكي وهو عقيد في السلك الطبي للجيش الأردني، وأحد أبرز الأطباء في البلاد، لم يكن لديه سوى فكرة غامضة عن مشعل ولم يكن يعرف سوى القليل عن حماس، قال: "**كان الأمر صاخباً في كل مكان في المستشفى، وبما أن علي شكري كان هناك في المُستشفى بذاته، أدركت أن هذا كان ضيفاً مهماً للغاية وكان من المهم جداً للملك أن يتم علاجه**".

مشعل الذي كان في حالة ذُهول شديد أخبر ربابا بما حدث خارج مكتبه، وبينما كان يتحدث أومأ برأسه مراراً وتكراراً واضطر الطاقم الطبي إلى مواصلة إيقاظه، ثم لاحظ ربابة أن مشعل توقف عن التنفس وهو نائم، وقال: "**كان من الواضح أنه يتعين علينا إبقائه مُستيقظاً وإلا فسوف ينام ويختنق**".

حاول الأطباء جعل مشعل يقف على قدميه ويدور حوله لكن ذلك ساعد لفترة قصيرة فقط، لقد أعطوه جُرعات من النالوكسون الذي يُستخدم لمواجهة بعض أنواع المواد الأفيونية لكن التأثير سُرعان ما تلاشى وضعف مع كل جُرعة جديدة، الطبيب ربابة ربط مشعل بجهاز التنفس الصناعي إذ لم يتمكنوا من إبقائه مُستيقظاً، على الأقل يُمكن لآلة أن تُساعده على التنفس.

لا أحد يريد أن يموت مشعل وكان الملك حسين يخشى على نحو مبرر من أن يؤدي مقتل زعيم حماس إلى أعمال شغب في مملكته وربما حتى حرب أهلية.

نتنياهو ويطوم علما أن حسين سيُجبر بعد ذلك على مُحاكمة السجينين وإعدامهما، علاوة على ذلك كانوا يعلمون أن المُخابرات الأردنية اشتبهت عن حق، في أن الأعضاء الآخرين في فريق الحربة ما زالوا مُختبئين في السفارة الإسرائيلية، كانت كتيبة كوماندوز أردنية تقف على أهبة الاستعداد للهجوم بأمر من نجل الحسين الأمير عبد الله "ملك المستقبل" في القيادة أراد الملك حسين أن يوضح أنه أخذ الحادث على محمل الجد.

كان الجميع يعلم أن مثل هذه الأحداث القبيحة سُتدمر بلا شك كل العلاقات بين الأردن وإسرائي،

قال بن ديفيد: "كل هذا الوقت كنت أتجول مع الترياق الذي لم يكن ضرورياً لأنه لم يتأثر أي من رجالنا، ثم تلقيت مُكالمة من قائد قيسارية، لأن ما قاله كان غريباً ظننت أنني سمعت خطأ، وطلبت منه أن يعيد ما قاله مرة أخرى ".

أمره بن دافيد بالذهاب إلى ردهة الفُندق حيث سيلتقي بنقيب من المُخابرات الأردنية ويذهب معه إلى المستشفى، أدرك بن ديفيد أن صفقة تم الترتيب لها على عجل: حياة مشعل مُقابل حياة اثنين من عُملاء الموساد، بعبارة أخرى كان بن ديفيد ينزل إلى الردهة لإنقاذ حياة رجل كان هو وفريقه يُحاولون قتله قبل ساعات فقط.

قال بن ديفيد: **"كنا في موقف صعب، لكن في مثل هذه المواقف لا يُمكنك إعطاء مشاعرك مساحة كبيرة، لا يمكنك أن تقول أوه، لقد أخفقنا وجعلناهم يذهبون إلى الجحيم، لا... أنت تفعل ما عليك القيام به وتُنفذها بأفضل طريقة مُمكنة وهذا كُل شيء،، لا مجال للمشاعر في هذا النوع من المواقف ".**

ذهب بن ديفيد إلى الردهة حيث كان رجل المخابرات الأردنية ينتظره، "ما زلت أتذكر نظرته العدوانية، لكنه تلقى أوامره أيضاً ونفذها "، طلب ياتوم من الدكتور بلاتينيوم وبن ديفيد مُرافقة الضابط إلى المُستشفى وإعطاء مشعل الحُقنة التي ستُنقذ حياته، لكن الأردنيين رفضوا.

تم نقل بلاتينيوم إلى مكتب الطبيب ربابة، وتذكر ربابة ذلك قائلاً: " إن هذا الترياق كان جزءاً من العملية، ويتم استخدامه فقط إذا لمس أحد النشطاء السم، ولم يكن لديه أي فكرة على

الإطلاق عن الهدف من المهمة التي جاءت بهم، لذلك وضعت أمبولين على مكتبي، وأمرت بفحصهم في المُختبر، لا يمكننا الاعتماد على ما قالوه الاسرائيليون، ربما أرادوا فقط إنهاء المُهمة ".

حافظ ربابة على لياقته المهنية تجاه البلاتين بما يليق برُتبته الطبية والعسكرية، لكن في الداخل كان غاضباً جداً، وقال: "**في رأيي لا ينبغي تجنيد الدواء لقتل الناس، والإسرائيليون يفعلون ذلك مراراً وتكراراً**".

بعد ذلك تعافى مشعل سريعاً، عاد ياتوم إلى إسرائيل مع القاتلين وبن ديفيد، وذكر الرجلان أنهما تعرضا للضرب المُبرح لكنهما لم يقولا أي معلومات.

لكن حسين لم يكتف بترك الأمر عند هذا الحد، قال للإسرائيليين إن الصفقة التي توصلوا إليها تضمنت السجينين فقط وأنه سيتعين على الإسرائيليين دفع ثمن أعلى من أجل الحُصول على بقية أعضاء الفريق الستة المُختبئين في السفارة، في غضون ذلك علق كُل العلاقات مع إسرائيل.

تشاور نتنياهو مع إفرايم هاليفي وهو من قُدامى المحاربين في الموساد وعمل نائباً لمُدير الوكالة وكان سفير إسرائيل في الاتحاد الأوروبي في ذلك الوقت، كان هليفي المولود في لندن والذي أمضى مُعظم وقته في الموساد في قسم العلاقات الخارجية، كان رجلاً مثيراً للجدل لكنه بالتأكيد دبلوماسي ماهر وحاذق يعرف كيف يتصرف مع الحُكام والملوك، لقد لعب دوراً رئيسياً في صياغة مُعاهدة السلام الإسرائيلية الأردنية لعام 1994 وكان يعرف صدام جيداً. كما أن الملك كان يحترمه.

بعد لقائه مع حسين قال هليفي لنتنياهو وياتوم بإنه لإطلاق سراح النُشطاء الستة سيتعين عليهم منح الأردنيين فدية جدية "بما يكفي لتمكين الملك من الدفاع علانية عن إطلاق سراح الفريق الضارب"، كان اقتراحه هو السماح لمؤسس حماس الشيخ أحمد ياسين بالخُروج من السجن حيث كان يقضي عُقوبة بالسجن مدى الحياة لدوره في الهجمات الإرهابية ضد إسرائيل.

وقد قوبل الاقتراح بـ "**مُعارضة شاملة من نتنياهو وُصولاً إلى آخر عناصر التنظيم**"، بحسب هاليفي ذهب الجدل إلى أن الإسرائيليين عانوا من عمليات الاختطاف والقتل والهجمات

الإرهابية وكلها مُصممة لإخافتهم، وتحرير ياسين الآن من المتوقع أن يستسلموا لطلب الملك حسين؟

نتنياهو تشاور مع مُدير الشاباك عامي أيالون الذي استدعى كبير خُبراءه في حماس ميخا كوبي وطلب رأيه، رد كوبي بغضب: **"لا تصغي لتهديدات حسين، في النهاية لن يكون أمامه خيار سوى إطلاق سراح العُملاء بطريقة أو بأُخرى، إذا أطلقت سراح ياسين الذي يجب أن يتعفن في السجن حتى يوم وفاته فسيعود إلى غزة ويبني حماس التي ستكون أكثر فظاعة من أي شيء عرفناه حتى الآن ".**

أيالون نقل هذه الرسالة لنتنياهو، لكن هاليفي كان مُقنعاً وبالتدريج أثناء تنقله بطائرة هليكوبتر بين القدس وتل أبيب وعمان، أقنع رئيس الوزراء بأنه لا توجد خيارات أخرى، لقد فهم نتنياهو أنه وقع في أزمة كبيرة وقبل كل شيء كان عليه أن يُحدد أولوياته: أراد إعادة رجال قيسارية إلى ديارهم، والطريقة الهادئة والواثقة التي أدار بها نتنياهو أزمة مشعل منذ أن علم أن النشطاء قد تم أسرهم، كانت واحدة من أفضل الأوقات التي قضاها كزعيم لدولة إسرائيل.

في النهاية تم التوقيع على اتفاق: بموجبه تم إطلاق سراح أحمد ياسين وعدد كبير من السُجناء الفلسطينيين الآخرين بمن فيهم بعض المُتورطين في قتل إسرائيليين مُقابل السماح لعناصر الموساد الستة بالعودة إلى إسرائيل.

أظهرت الصفقة مرة أُخرى الالتزام والتضحيات الهائلة التي قدمتها إسرائيل لإعادة رجالها إلى الوطن من وراء خُطوط العدو.

جاء ذلك بتكلفة باهظة، كشفت العملية الفاشلة في الأردن عن عدد من أساليب عمل الموساد وفجرت غطاء مجموعة الحربة بأكملها والتي كان لا بد الآن من إعادة بنائها مرة أُخرى، لقد استغرق الأمر من إسرائيل سنوات لإصلاح الأضرار التي لحقت بالعلاقة الدقيقة والمُهمة مع المملكة الهاشمية، حدثت مُصالحة رسمية بين حُسين ونتنياهو في أواخر عام 1998، وكان ذلك خلال زيارة مُشتركة للولايات المُتحدة، كما ورطت قضية مشعل إسرائيل في مواقف دبلوماسية محرجة مع كندا وغيرها من الدول التي أساء الفريق الضارب استخدام جوازات سفرها، مرة أخرى كان على إسرائيل أن تعتذر وتعهد مثل طفل موبخ بعدم تكرار هذا الخطأ الفادح.

كشفت لجان التحقيق الداخلية والخارجية التي تم تشكيلها في أعقاب هذه القضية عن روايات مُتناقضة مُتعددة عمن كان على علم بالعملية ومن سمح لها، أصر نتنياهو والموساد على أنهما أبلغا جميع الموظفين المعنيين لكن وزير الدفاع يتسحاق مردخاي ورئيس أمان موشيه يعالون ومدير الشاباك أيالون زعموا جميعاً أنهم لم يعرفوا بالعملية مُسبقاً، باستثناء إشارة عامة إلى فكرة سيتم قتل مشعل قبل ذلك بأشهر في اجتماع لقادة المُخابرات، حيث وُصف بأنه واحد فقط من العديد من الاحتمالات المحتملة.

أيالون انتقد العملية برمتها وحتى دوافعها: "**خالد مشعل لم يكن جزءاً من دائرة العمليات الإرهابية، لذلك لم يكن منذ البداية هدفاً مشروعاً، مشعل كان أقل انخراطاً في نشاط حماس العسكري من وزير دفاع في دولة ديمقراطية** ".

أصدر تحقيق داخلي في الموساد كتبه تامير باردو الذي أصبح فيما بعد مُدير الموساد نفسه، أحد أقسى التقارير في تاريخ المُنظمة، وبعبارات قاسية ألقى باللوم على كُل من شارك في التخطيط للعملية وتنفيذها، جاء قادة قيسارية والحربة، بن دافيد والعناصر، وعدة أشخاص آخرين جميعاً من أجل أن ينالوا نصيبهم من النقد، لم يتم فحص منطقة واحدة من قبل اللجنة ووجدت أنها خالية من العيوب، ومع ذلك أشارت اللجنة إلى دور ياتوم في هذه الإخفاقات بشكل ضمني فقط.

استقال رئيس قيسارية جيري، الذي كان طموحه يخدمه بشكل جيد، تمت إزالته من منصبه كرئيس لشركة الحربة، وبخجل مرير ترك التنظيم.

وفوق كل شيء كان أحمد ياسين الآن رجلاً حُراً، كان الهدف من قتل مشعل هو إضعاف حماس، ولكن بدلاً من ذلك تم إطلاق سراح مُؤسسها وزعيمها الروحي، غادر إسرائيل مُتوجهاً إلى دول الخليج من أجل العلاج الطبي المُفترض، في الواقع استخدم رحلاته لجمع الأموال، وتفاخر بأن "مواجهة كبيرة" مع إسرائيل قادمة.

لم يكن هُناك سبب لعدم تصديقه.

27

نقطة منخفضة

هبطت قوة من الكوماندوز البحري شايطيت 13 بمنطقة غير نائية على الشاطئ بالقُرب من بلدة الأنصارية الساحلية اللبنانية تحت غطاء ليلة غير مقمرة، نزل ستة عشر رجلاً من قواربهم الصغيرة والقوية من الزهارون وبدأوا مسيرة طويلة في الداخل، كانت ليلة 4 سبتمبر 1997 وكان رجال الكوماندوز يريدون قتل رجل.

كانت هذه هي المُهمة السابعة والعشرين مُنذ أن طور ليفين وكوهين بروتوكولات القتل المُستهدف للجيش الإسرائيلي لقادة حزب الله من المُستوى المُتوسط في لبنان، نجحت عشرون عملية منهم، لكن في هذه الحالة اعتقد الضابطان في القيادة الشمالية أن المُهمة غير ضرورية، لقد شعروا أن الهدف **خلدون حيدر** كان ضئيلاً وغير مهم وأنه لا يوجد مكسب إستراتيجي كبير يُمكن تحقيقه من قتله، لكن الإسرائيليين جمعوا معلومات استخباراتية كافية عنه وقد أثبت النظام نفسه مرات عديدة من قبل لدرجة أنه في أذهان البعض لم يكن هناك سبب لعدم قتله، ومع ذلك اعترض عدد كاف من ضُباط القيادة الشمالية على نقل مسؤولية المُهمة إلى هيئة الأركان العامة وتم استبعاد النُقاد من دائرة صُنع القرار.

الخُطة دعت الكوماندوس إلى السير في الداخل لمسافة ميلين ونصف ميل ووضع عدد من القنابل على جانب الطريق على طول طريق يسلكه حيدر كُل صباح، ثم كان من المفترض أن ينسحبوا إلى قواربهم والإبحار عائدين إلى إسرائيل، عندما رأى مشغلو الطائرات بدون طيار التي حلقت فوقها حيدر وهو في طريقه، فإن إشارة لاسلكية تنتقل عبر الطائرات بدون طيار من شأنها أن تؤدي إلى الانفجار، تم وضع شظايا معدنية من النوع المُستخدم في العبوات التي صنعها إرهابيون لبنانيون في القُنبلة لجعل الهُجوم يبدو وكأنه شأن لبناني داخلي.

في البداية سار كل شيء حسب الخُطة المرسومة، الظروف الجوية مواتية ونزل الرجال وعبروا بسُرعة الطريق الساحلي اللبناني، ووصلوا إلى جدار على الجانب الشرقي يحده مساحة كبيرة

من البساتين والأشجار، قفز رجلان من سور وكسرا مُفصلات البوابة وفتحاها للآخرين، كان مُعظم الطريق صُعوداً في منطقة يصعب التنقل فيها بسبب قنوات الري والغطاء النباتي الكثيف.

عندما وصلت القوة إلى النُقطة المُحددة على خريطتهم المُشفرة باسم G7، اصطدموا ببوابة أخرى مع طريق على الجانب الآخر، كان من المُفترض أن يعبروا ذلك الطريق ويتقدموا رُبع ميل آخر قبل الوُصول إلى الطريق الذي استخدمه حيدر، صعدت قوات الكوماندوز فوق البوابة وعبرت الطريق وبدأت في التحرك إلى الأمام وتم تمشيط المنطقة بحثاً عن عناصر مُعادية، وبعد أن أُعطيت الإشارة الواضحة بدأ رجل المجموعة الثانية في عُبور الطريق.

عندما وصلوا مُنتصف الطريق كان هُناك انفجار ضخم ثُم انفجار آخر!!

في هذه الانفجارات التي تُشبه المعارك وما أعقبها في تلك الأثناء من عمليات الإنقاذ، قُتل 12 من أفراد الكوماندوز.

خلص تحقيق للجيش الإسرائيلي في الحادث إلى أنه كان بمثابة كمين من قبل حزب الله، من المُستحيل التنبؤ به أو منعه وأن الطلقات التي أطلقها المُقاتلون فجرت المُتفجرات التي جلبها الإسرائيليون لقتل حيدر.

قد يكون هذا هو التفسير الأكثر مُلاءمة لجميع المعنيين لكن اتضح أنه غير صحيح، في الواقع كان حزب الله على ما يبدو قادراً على التخطيط والتنسيق للكمين بسبب الانهيار الكامل للمخابرات الإسرائيلية في الأسابيع وحتى قبل ساعات من انطلاق الكوماندوز، لم يتم تشفير عمليات نقل الفيديو من الطائرات بدون طيار التي قامت بمهام استطلاع فوق المنطقة وتمكن حزب الله من اعتراضها، علاوة على ذلك فإن المعلومات الاستخبارية الإسرائيلية المُفترضة في جيش لبنان الجنوبي كانت في الواقع من عُملاء مُزدوجين، تقدم تقارير إلى حزب الله من وماذا كان مهنيو الجيش الإسرائيلي مهتمين به.

من خلال مقطع فيديو للمنطقة كان الجيش الإسرائيلي يستكشف المعلومات الاستخباراتية من العاملين في الجيش الإسرائيلي بأنهم كانوا يستهدفون حيدر لم يكن من الصعب على حزب الله تحديد مكان الكمين، في الواقع وفقاً للمصادر التي خدمت في شايطيت 13 في ذلك الوقت

أظهر مقطع فيديو من طائرة بدون طيار قبل ساعات من الغارة ثلاثة شخصيات تتسكع بشكل مُريب في G7، إذا تم تحليل هذا الفيديو الذي لم يتم إصداره مُطلقاً، في الوقت الفعلي فمن المُحتمل أن يتم تأجيل المهمة أو إلغاؤها.

"كارثة شايطيت (الأسطول)" كما أصبحت معروفة في إسرائيل كان لها تأثير عميق على الجُمهور في إسرائيل في الغالب لأن الرجال الذين قتلوا ينتمون إلى واحدة من أفضل وحدتين في الجيش الإسرائيلي، كثف نصر الله هذا التأثير من خلال تحميل صور مُروعة لأشلاء الجُثث التي تم جمعها في موقع الكمين على موقع حزب الله على شبكة الإنترنت بما في ذلك رأس أحد الجُنود.

لم تنقطع معركة الأنصارية إلا يوماً بعد يوم بعد تفجير انتحاري ثُلاثي في مركز بن يهودا للمُشاة في القُدس وهو هجوم لم تكن المُخابرات الإسرائيلية على علم مسبق به وقبل أسابيع فقط من محاولة الموساد الكارثية على اغتيال خالد مشعل في الأردن.

من نواحٍ عديدة كان شهر أيلول (سبتمبر) 1997 يُمثل أحد أدنى موجات المد في تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية، تسبب كل من الأذرع الاستخبارية الثلاثة في عدد من الإخفاقات، لقد فشل الشاباك في حماية رئيس الوزراء أو وقف موجة التفجيرات الانتحارية، ولم ينجح الموساد في استهداف مراكز قيادة التنظيمات الإرهابية الجهادية في الخارج، كانت جهود أمان لاختراق وتعطيل حزب الله لم تكن فعالة وكان الاثنان الأخيران قد غابوا تماماً كما سيتضح لاحقاً عن مشاريع أسلحة الدمار الشامل في إيران وسوريا وليبيا.

في غُضون ذلك كثفت كارثة الأنصارية الجدل العام حول الوجود العسكري الإسرائيلي في لبنان والذي اعتبره البعض مُشابهاً للتورط الأمريكي في فيتنام، وقادت الاحتجاجات المُطالبة بالانسحاب من قبل أربع أُمهات وهي حركة سُميت على اسم أربع أُمهات في الكتاب المُقدس حيث بدأتها أربع نساء كان أبناؤهن يخدمون في الجيش الإسرائيلي في لبنان، عاملوهم الجيش الإسرائيلي والقيادة السياسية بازدراء وأطلق عليهم ضابط كبير اسم "الفوضويين الأربعة" لكن احتجاجاتهم كان لها صدى.

بسبب كارثة الأنصارية توقفت عمليات القتل المُستهدف في لبنان، طرح الجيش الإسرائيلي عدة مرات أفكارا لقتل قيادات حزب الله لكن رئيس الأركان أو مُنتدى العمليات والطلعات الأسبوعية مع وزير الدفاع رفضها، لم يكن حزب الله أقل خطورة لكن استهداف قيادات أصبح يُمثل مسؤولية سياسية مُحتملة.

الموساد الذي كاد يُدمر العلاقات الدبلوماسية مع الأردن أفسد عملية أُخرى قبل أقل من خمسة أشهر وهذه المرة في سويسرا، وكان الهدف عبد الله زين وهو شخصية بارزة في شبكة حزب الله اللوجستية والمالية، كانت خُطة الموساد هي تتبع هاتفه وإبقائه تحت المُراقبة ثم قتله في النهاية، لكنهم أحدثوا ضجيجاً كافياً أثناء مُحاولتهم تثبيت جهاز تصنت في الطابق السُفلي من مبنى شُقة زين لدرجة أنهم أيقظوا سيدة عجوز اتصلت بالشُرطة، تم القبض على أحد النُشطاء واستقال رئيس الموساد داني ياتوم بعد عدة خطط فاشلة.

تم استبدال ياتوم بإفرايم هاليفي الذي سجل انتصاراً مع نتنياهو للطريقة التي تعامل بها مع قضية مشعل.

خوفاً من أي إخفاقات أخرى أغلق هاليفي قيسارية بشكل فعلي رافضاً المُوافقة على كُل عملية ذات مخاطر عالية والسماح للوحدة بالتحلل.

قال آفي ديختر الذي كان نائب رئيس الشاباك في ذلك الوقت والذي سيُصبح رئيساً لتلك الوكالة في عام 2000 **"يُمكن القول بصدق إن مؤسسة الدفاع لم تكن تمنح شعب إسرائيل الدرع الواقي الذي يستحقونه."**

سيكون ذلك مُقلقاً تحت أي ظرف من الظُروف، لكن الأمر كان كذلك بشكل خاص في أواخر التسعينيات لأن أعداء إسرائيل كانوا يأتون بمزيد من التهديد من إيران إلى ليبيا ومن حزب الله في لبنان إلى حماس في غزة وعمان، تم إنشاء جبهة من الأعداء الذين كانوا أكثر إبداعاً وتصميماً من أي شيء تصارع معه الموساد أو أمان أو الشاباك من قبل.

—

كان الرهان اللامع هو أول وكالات الاستخبارات التي تستعيد موطئ قدمها، رئيسها عامي أيالون ولجان التحقيق التي شكلها لمعرفة الخطأ الذي حدث توصلوا إلى استنتاج مفاده أن الشاباك أصبح ضعيفاً وغير فعال في اثنين من مجالات نشاطه الرئيسية.

الأول كان الحُصول على المعلومات، فعلى مدى عُقود اعتمد الشاباك على معلومات استخبارية حصل عليها من مصادر بشرية لكن هذا الخزان قد جف تقريباً، لم يتم العثور حتى الآن على بديل لمئات العُملاء الفلسطينيين الذين فقدتهم عندما انسحبت إسرائيل من الأراضي الفلسطينية بعد اتفاقيات أوسلو، فشل الشاباك في تطوير أساليب بديلة ولم يتمكن من تجنيد عُملاء داخل حماس، وهي حركة أيديولوجية دينية كان أعضاؤها أقل عُرضة للإغراء والرشاوى، إحدى لجان تحقيق الشاباك قالت ذلك بإيجاز: "**المنظمة ليست مُنسجمة مع البيئة التي تعمل فيها**".

النقص الثاني هو ما فعله الشاباك بالمعلومات بمجرد الحُصول عليها، زار أيالون أرشيف المُنظمة وحدق بشكل لا يُصدق في الحاويات الضخمة المحشوة بمئات الآلاف من أغلفة الكرتون، "نحن نتصرف مثل مُنظمة من القرون الوسطى" هكذا قال لمنتدى القيادة العليا للشين بيت، "أرشيف مثل هذا لا يجعل من المُمكن تكوين صورة استخباراتية في الوقت الحقيقي، حتى لو تم العُثور على جميع المعلومات في الملفات فلن يُساعدنا ذلك على الإطلاق".

وأعلن أيالون أن "الشاباك ليس جهاز استخبارات بل جهاز وقائي" بعبارة أُخرى لم يكن غرض الوكالة مُجرد جمع المعلومات من أجل جمعها، ولكن لإحباط نوايا العدو في الوقت الفعلي ومن أجل القيام بذلك كان على الشاباك جمع المعلومات وتحليلها في أقصر فترات زمنية.

جادل أيالون بأن الحل يكمن في التقنيات المُتقدمة حيث ستحل المصادر القائمة على التكنولوجيا محل المصادر البشرية وتنتج صورة استخباراتية مُتعددة الأبعاد في الوقت الحقيقي، في عام 1996 كانت هذه أفكار ثورية ولدت أزمة ثقة في الشاباك، ووجهت انتقادات لاذعة لأيلون بل ودفعت الكثيرين إلى ترك الوكالة، لكن أيالون تمسك ببُندقيته، وأنشأ عدداً من الفرق والإدارات الجديدة التي طورت تقنيات حديثة لجمع المعلومات: اختراق أنظمة البيانات المُختلفة واعتراض رسائل البريد الإلكتروني والمُكالمات الهاتفية وفي وقت لاحق التجسس على وسائل التواصل الاجتماعي، كما طوروا طُرقاً جديدة لاستخدام المعلومات: تقنيات حديثة لتحليل كميات هائلة من البيانات واستخراج أهم أجزاء المعلومات.

قام أيالون وفرقه التقنية بتحويل تركيز الشاباك بحيث تم التركيز بشكل أكبر على الروابط بين الناس وبشكل أكبر وأكبر على الشبكة بدلاً من التركيز على كُل فرد على حدى، كان الشاباك أول من أدرك الإمكانات الهائلة لتتبع الهواتف المحمولة، أولاً من خلال المُكالمات الهاتفية نفسها ثم لاحقاً من خلال تحديد الموقع الجُغرافي والرسائل النصية وإرسال الفيديو والتصفح عبر الإنترنت.

تحت قيادة أيالون تغير الهيكل التشغيلي للوكالة بالكامل، ولم يعد يعتمد على ضُباط الحالة الإقليميين المُنتشرين جُغرافياً والذين يُديرون الوكلاء ويعملون بشكل مُستقل إلى حد ما، ولكن بدلاً من ذلك ركز الأنشطة حول "مكتب" حيث كان أفراده يجلسون على شاشات الكمبيوتر ويجمعون المعلومات ويجمعونها معاً ويأمرون العُملاء بـ جمع القطع المفقودة من اللغز.

كان تكوين موظفي الشاباك يتغير بسرعة فقد غادر العديد من ضُباط الحالة القُدامى في الوكالة بينما كان يتم تجنيد شُبان وشابات من وحدات التكنولوجيا في الجيش الإسرائيلي بوتيرة سريعة، وسرعان ما أصبح 23 % من موظفي الوكالة نُشطاء مُدربين بشكل مُكثف على تطوير التقنيات المُبتكرة، قال ديسكين مُشيراً إلى المُعالج التكنولوجي لأفلام جيمس بوند: "**أنشأنا قسماً كاملاً من Q's في ذلك، وهُناك العشرات من الشركات الناشئة المُذهلة قيد الإنشاء في وقت واحد**".

المُشكلة الأولى التي تعين على الشاباك الجديد التعامل معها كانت محيي الدين شريف طالب يحيى عياش الذي أصبح خبير المُتفجرات في الجناح العسكري لحركة حماس بعد اغتيال عياش والذي كان يُعرف باسم "المهندس رقم 2"، علّم عياش ونائبه في ذلك الوقت حسن سلامة وشريف كيف يصنع قنابل مُرتجلة من مادة مُتفجرة شديدة القوة، ثُلاثي أكسيد ثلاثي الأسيتون كما تعلموا هم أنفسهم من الحرس الثوري الإسلامي، شريف هو الذي صنع القنابل التي استخدمت في الهجمات الانتحارية الأربع التي شنتها حماس للانتقام لمقتل عياش.

قام الشريف بتدريب آخرين على ما برع فيه من صُنع العبوات الناسفة والمتفجرات، حيث قام بتعليم فرقة من الرجال في القدس كيفية تكوين القنابل التي يتم التحكم فيها عن بعد وبناء

الصمامات المؤقتة، وتصنيع المُتفجرات المُرتجلة من المواد المُتاحة بسُهولة، كما علمهم كيفية إخفاء القنابل في أشرطة الفيديو، تم صُنع أحد عشر شريطاً من هذا القبيل في مُخطط لتفجيرها في محطات الحافلات وأكشاك اليانصيب وأكشاك الهاتف، انفجر أحدهم في نتانيا في 11 شباط 1998 مما أدى إلى إصابة عشرة مدنيين، تعرف الشاباك على صانعي القنابل قبل زرع الباقين واعتقالهم وبالتالي منع وقوع كارثة كُبرى.

قام الشاباك بتجميع ملف كثيف عن محيي الدين الشريف ورصد تحركاته وعاداته من خلال تتبع المُكالمات ومواقع الهواتف المحمولة التي استخدمها هو وبعض رجاله، الأهم من ذلك كشفت الوكالة عن مؤامرة لتفجير قُنبلة ضخمة محشوة داخل سيارة فيات أونو عشية عيد الفصح عندما تكون القدس مُزدحمة بأشخاص يقومون بالتسوق، وفي آخر لحظة تمكن جناح عمليات الشين بيت والعصافير من تحييد المُفجر بالسيارة قبل أن يسلمها الشريف إلى الانتحاري، في 29 آذار (مارس) 1998 عندما قاد الشريف السيارة إلى مرآب في رام الله بعيدًا عن المدنيين الأبرياء انفجرت.

حتى مع وفاة الشريف واعتقال العديد من رفاقه شعر الشاباك أن هُناك قطعة مفقودة من اللُغز، وخلصت الوكالة إلى أنه كان هُناك "أخطبوط مُتعدد الأجزاء" في العمل مع "شخص واحد كان يُدير جميع المجسات كُل واحدة على حدى بشكل مُستقل عن الآخرين".

بدأت أنظمة الكشف عن البيانات الجديدة من قبل الشاباك والتي راقبت آلاف الفلسطينيين المُصنفين كأهداف في التركيز على رجل واحد، وخص الإسرائيليون بالذكر عادل عوض الله الذي تولى رئاسة الذراع العسكرية لحركة حماس في الضفة الغربية نظير محمد الضيف في قطاع غزة.

كان عوض الله على قائمة المطلوبين لبعض الوقت ولكن بفضل شبكة دعم حماس المعروفة باسم "**جهاز المساعدة والخدمة**" والتي كانت بمثابة حاجز بينه وبين الخلايا التي يُديرها لم يتم القبض عليه حتى عندما تم القبض على المرؤوسين وقدموا المعلومات أثناء الاستجواب.

نظام الدعم هذا الذي مكّن عوض الله من تفادي مخاوف الشاباك وفي نفس الوقت شن العديد من الهجمات الإرهابية كان يُديره شقيق عادل الأصغر عماد الذي كان قد فر من سجن تابع للسُلطة الفلسطينية، بدأ الاثنان التخطيط للسلسلة التالية من الهجمات الإرهابية والتي تضمنت

طموحاً عديده من بينها، تفجير خمس سيارات مُفخخة في وسط أكبر خمس مُدن في إسرائيل، وفقا للخُطة سيتم تفجير الطائرة الأولى في تل أبيب مما يتسبب في خسائر فادحة على الأرجح، ثم يُعرض على الحُكومة الإسرائيلية إنذار أخير: أطلقوا سراح كل الأسرى الفلسطينيين وإلا ستنفجر سيارة أخرى ثم أخرى وهكذا،، وفي الوقت نفسه وضعوا خططاً لاختطاف جُنود وشخصيات سياسية إسرائيلية بارزة تم الحُصول على كميات كبيرة من الأدوية المُهدئة في السوق السوداء لهذا الغرض لاستخدامها كورقة مساومة، ومن بين الرجال الذين كانوا يعتزمون خطفهم أو اغتيالهم هو إيهود أولمرت رئيس بلدية القُدس آنذاك، و رافائيل إيتان رئيس جيش الدفاع الإسرائيلي السابق الذي أصبح عضواً في الكنيست ووزيراً في الحُكومة؛ واثنان من مُديري الشاباك السابقين يعقوب بيري وكارمي جيلون.

كان عوض الله قائد عمليات من الدرجة الأولى لكنه لم يكن على علم بالتغييرات التي طرأت على الشاباك بما في ذلك المُراقبة الصارمة للمُكالمات الهاتفية التي اتصلت بمن ومتى وأين، كانت المجموعات في ذلك الوقت بالكاد تقوم باستخدام الهاتف، على الأقل بعض أعضاء شبكته فعلوا ذلك، مما جعل من المُمكن تحديد تحركاته ومُتابعة علامات التبويب ولم يدرك أبداً أن خصمه الرئيسي كان على حد تعبير عامي أيالون "أفضل رئيس عمليات الوكالة من أي وقت مضى"، كان ذلك الرجل هو يوفال ديسكين الذي عينه أيالون قائداً لمنطقة القُدس والضفة الغربية وهي المناطق التي يعيش فيها الأخوان وينشطون فيها.

كان ديسكين المولود عام 1956 قد أدى خدمته العسكرية في وحدة استطلاعات شاكيد وترقى إلى منصب قائد سرية، في عام 1978 انضم إلى الشاباك وعمل ضابط حالة في الأراضي الفلسطينية ولبنان، كان إجادته للغة العربية رائعاً وتفوق في عمله وترقى في الرُتبة بسرعة، كان ديسكين صعباً للغاية ومُنتقداً للغاية لكل من المرؤوسين والرؤساء، كان واضحا أنه إذا نجح في تحطيم شبكات حماس الإرهابية في الضفة الغربية فسيكون مُرشحاً جيداً لمنصب مُدير الشاباك.

قال ديسكين: **"كان عادل مُريباً للغاية، لقد اعتمد فقط على شبكة الاتصالات الخاصة به والتي خضع كل عضو من أعضائها لاختبار الولاء من قبله، بفضلهم نجا بضع سنوات من محاولات الاغتيال والملاحقة حتى اللحظة الأخيرة وجدنا صُعوبة كبيرة في الاقتراب منه ".**

جاء حذر عادل وعماد من رؤية مصير محيي الدين الشريف واعتقال العديد من رفاقهما، كانوا يشتبهون في أن ناشطا من حماس وربما حتى من كبار المسؤولين كان يتعاون مع إسرائيل أو السُلطة الفلسطينية ويفشي الأسرار.

نظراً لعدم طرد أي متعاون افترض الاخوان أنه ربما لا يزال نشطاً بينهم، وبسبب هذا الشك قرر الاخوان الاقتراب من أشخاص خارج حماس رغم أنهم ما زالوا معروفين بالولاء للقضية الوطنية الفلسطينية عندما بحثوا عن مكان للنوم والأكل.

واستقروا على مجموعة من نشطاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين قضوا في الماضي سنوات في سجن إسرائيلي بتُهمة الانتماء إلى مُنظمة إرهابية وحيازة أسلحة نارية بشكل غير قانوني، سمح هؤلاء النُشطاء للأخوين بالإقامة في مزرعة من طابقين بساحة كبيرة مُحاطة بسور في قرية خربة الطيبة غربي مدينة الخليل تعود ملكيتها لأحد أفراد عائلاتهم، سُرعان ما تحول هذا المنزل إلى كنز من المعلومات الاستخباراتية التي تضمنت أرشيفات الجناح العسكري لحركة حماس والتي أخذها عادل معه من مخبأ إلى مخبأ خوفاً من وقوعها في أيدي الشاباك، كما جلب الاخوان معهم خُطط هجومهم الكبير التالي والذي تضمن تسميم إمدادات المياه في تل أبيب.

تمكن الشاباك من التعرف على اتصالات أحد الإخوة في هذه المجموعة من النشطاء ومارس ضُغوطاً شديدة عليه للعمل كعميل لهم مُهدداً بأنه إذا لم يفعل فسيتم مُحاكمته بتُهمة التعاون مع حماس والذهاب إلى السجن لسنوات عديدة، كانت العصا تُقابلها جزرة كبيرة: أجر ضخم وحياة جديدة وسهلة في الخارج له ولأسرته إذا تعاون معهم، وقد وافق الرجل على ذلك.

كانت المُهمة الأولى هي توصيل المنزل بالفيديو والمُراقبة الصوتية، القبض على عوض الله يمكن أن ينتظر، يعتقد ديسكين أن الأهم من ذلك هو تعلم ما يُخطط له الاخوان بالضبط، انتظر الشاباك بلاغ من وكيلهم بأن الأخوين سيُغادران المنزل.

في المرة التالية التي جلب فيها أحد أصدقاء الجبهة الشعبية للأخوة مؤنهم أخبروه أنهم في عجلة من أمرهم للذهاب إلى مكان ما، لقد غادروا جميعاً معاً الإخوة في سيارة والمُتعاون في سيارة أُخرى.

كانت الطُيور تنتظر بالخارج وتُراقب، وعندما كانت السيارات بعيدة عن الأنظار بدأوا العمل، وباستخدام نسخة من المُفتاح دخلوا المنزل وقاموا بتركيب كاميرات وميكروفونات في كُل غُرفة.

عاد الاخوان في وقت لاحق من تلك الليلة، وقضوا أربعة أيام وتم تسجيل كُل كلمة لرئيس الجناح العسكري لحماس، تحدث عادل وعماد عن تحسينات تكتيكية مُختلفة أرادوا إدخالها على خطتهم وإمكانية أن تبدأ حماس في صُنع صواريخ مثل تلك التي كان حزب الله يستخدمها.

هذه المعلومات والتفاصيل لم تعط الإسرائيليين خطط مُحددة فحسب بل أعطتهم أيضاً إحساساً بنظرة الأخوين الأوسع للعالم، في إحدى المُحادثات على سبيل المثال تحدث عماد الذي عانى من تعذيب شديد على أيدي سجاني السُلطة الفلسطينية بكراهية مريرة لرجال ياسر عرفات، وقال: "**في المرة القادمة يأتون من أجلي سأفتح النار عليهم على الفور**".

قفز شقيقه الذي كان يجلس على إحدى الأرائك على قدميه، "**أبدا! فنحن لا نُطلق النار على المُسلمين،، هل تسمعني؟ حتى لو فعلوا لك أفظع الأشياء فأنت لا تقتل مُسلماً** ".

أبلغ الشاباك الجيش الإسرائيلي عن انقلابه الاستخباري المُثير للإعجاب مع العلم تماماً أنه في وقت ما لا يُمكن التنبؤ به كإجراء أمني روتيني سينتقل الاخوان إلى مخبأ آخر، كما طلبوا تخصيص قوات لقتلهم، ومع ذلك لم يكن الجيش حريصاً على اغتيال مسؤول آخر في حماس فالرد العدواني على مقتل عياش جعلهم قلقين، لذا بدلا من ذلك ذهب أيالون والشين بيت إلى وحدة مُكافحة الإرهاب التابعة للشُرطة الإسرائيلية، "يمام" كان هناك تنافس طويل الأمد بين يمام ووحدات العمليات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، والجيش فسّر بحق قرار أيالون بتجنيد مُساعدة الشرطة على أنه استخفاف مُتعمد.

في وقت لاحق نشأ خلاف بين ديسكن وأيلون، حيث اعتقد ديسكين أن فرقة الكوماندوز يمام يجب أن تقتحم المنزل وتقتل الأخوين على الفور، كان أيالون من حيث المبدأ على استعداد لاغتيالهم لكنه كان يعتقد أنه ينبغي بذل جُهد للقبض عليهم أحياء حتى يتمكن من استجوابهم وهو على يقين من هذا الامر سينتج عنه مجموعة قيمة من المعلومات، في النهاية تم التوصل إلى حل وسط: إذا تمكنوا من إيجاد طريقة لضمان القبض على الاثنين على قيد الحياة دون تعريض عُملاء يمام للخطر فسيذهبون إلى هذا الخيار وإذا لم يكن كذلك فسيتم قتل الاثنان.

أيالون أخذ الخطة إلى رئيس الوزراء نتنياهو الذي كان أقل حسما بكثير مما كان عليه عندما قدم الموساد له خطة اغتيال خالد مشعل، لقد أدرك الآن تماماً أن كُل عملية حتى تلك التي تبدو سهلة وآمنة يمكن أن تنهار في التنفيذ مع نتائج كارثية على الأفراد المعنيين والأمة بأكملها، لم تترك الضربة على محي الدين شريف بصمات إسرائيلية لكن هذه المرة كان من

المُمكن أن يُقتل الاخوان في غارة يمام ولن تتمكن إسرائيل من إنكار مسؤوليتها، وستشن حماس هجمات انتقامية واسعة النطاق.

وكان شمعون بيريز قد فقد السُلطة بسبب موجة ارهاب حماس في اعقاب اغتيال عياش ونتنياهو لم يكن لديه رغبة في المُخاطرة بمنصبه ورفض التوقيع على الصفحة الحمراء.

قال أيالون لنتنياهو: **"إذا لم نكن مُستعدين لردع قائد الذراع العسكرية التي تعمل ضدنا فما الذي نستحقه؟ إذا لم تُوقع على التفويض سأستقيل من منصب رئيس الشاباك ".**

كان هذا تهديداً كبيراً له تداعيات وتجاوزت الموقف المُعلن نفسه، كان يُنظر إلى رئيس الوزراء بالفعل على أنه ضعيف لإطلاق سراح الشيخ ياسين، اعتقد الجُمهور بشكل عام أنه لم يقم بعمل جيد في الحرب على الإرهاب، وإذا استقال أيالون كان نتنياهو واثقا من أن شخصاً ما سيَسرب السبب، سيتم تأطيرها على أنها رفض رئيس الوزراء القضاء على تهديد رئيسي لدولة إسرائيل واليهود في كُل مكان ومن ثم سيتم اعتباره أضعف.

بعد بضع ساعات وقع على العملية.

كانت الخُطة هي إعاقة الأخوين عوض الله قبل الهُجوم، في إحدى مُحادثاته التي التقطها الشاباك ذكر عماد عوض الله حبه للبقلاوة، لذا في ليلة 11 سبتمبر (أيلول) 1998 قام مُختصو الشاباك بتقطيع البقلاوة بمُسكن ثم تم تسليمها إلى المنزل في خربة الطيبة، كانوا ينتظرون حتى يغفو الاخوان ثُم يدخلون المنزل ويُحملونهم في سيارة وينقلونهم إلى مركز استجواب.

لم ينجح الأمر تماماً حيث شعر عماد بسعادة غامرة من البقلاوة والتهمها، وسرعان ما تغلب عليه النوم وبدأ يشخر، لكن الشاباك لم يكن يعلم أن عادل يكره البقلاوة ولن يلمسها، عندما اتضح من المراقبة بالفيديو أن عادل لم يكن تحت تأثير المُخدر ولم يكن ينوي الذهاب إلى الفراش قريباً تم إصدار الأمر لـ يمام باقتحام المنزل، تحركت الفرق المُحيطة بالمبنى من عدة اتجاهات برفقة كلب هُجوم وتسلقوا الجدار واقتحموه.

ذهب عادل لبندقيته وأطلق النار وضرب الكلب لكنه قُطع على الفور، استيقظ عماد على إطلاق النار وحاول الوصول إلى سلاحه وقُتل بنيران رشقة رصاصات من سلاح أحد

المُقتحمين، بعد ذلك دخل فريق الطيور المنزل وسُرعان ما عثر على الأرشيف مُخبأ في إحدى الغُرف.

اتصل أيالون بنتنياهو ليُخبره أن العملية نجحت وأن عائلة عوض الله قد ماتوا، ولإحباط رد فعل فلسطيني عنيف أصدر نتنياهو تعليمات إلى أيالون بالقيادة إلى ابلاغ السُلطة الفلسطينية في رام الله، وعندما وصل الخبر كان عرفات مُستيقظاً وينتظر، وقال ايالون لعرفات ان اسرائيل قتلت الاخوة، "**قبل أن يُنكر معرفتهم بهويتهم قلت: من فضلك لا تسألني،" عوض الله شو؟ " قال أيالون: "نحن نعلم أنك تعرف من هم وماذا فعلوا، "باسم دولة إسرائيل أطالبكم بأن تفعلوا كل شيء لضمان ألا تبدأ حماس في موجة من الارهاب".**

وطلب عرفات تعليق نبأ المُذابح لمدة أربعة أيام حتى يتمكن من تنظيم الأمر، أخبره أيالون أنه لا يوجد ما يمكنه فعله لتأخير الأخبار وأنه يعتقد أن الفلسطينيين لم يكن لديهم أكثر من أربع ساعات قبل أن تستولي وسائل الإعلام على الأخبار "أرجوك أعط جبريل الرجوب و محمد دحلان" الأمر بالتحرك الآن، إنهم يعرفون ما يجب القيام به، إذا لم يحدث ذلك وكان هُناك هُجوم إرهابي فإن إسرائيل سترد بأقسى طريقة مُمكنة بما في ذلك التوقف التام لعملية السلام "، وقال ايالون ان الاثنين كانا يجلسان على جانبي عرفات.

طلب عرفات من مُساعديه التصرف بحسم، في الليلة نفسها تم اعتقال النُشطاء البارزين في حماس واحتجازهم وتم إخطار المُنظمة بأن أي نشاط ضد إسرائيل سيُثير ردة فعل شديدة من السُلطة الفلسطينية، قام الرجوب ودحلان بكُل ما في وسعهما ليُؤكدا للإسرائيليين أن عرفات كان جادا هذه المرة في تنفيذ تهديداته.

في غُضون ذلك بدأ ضُباط مكتب الشاباك والمُحللون على الفور في فحص أرشيفات حماس العسكرية وإدخال الأسماء والتواريخ في أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم وكُل ذلك جُزء **من "جهد مُكثف يهدف إلى التدقيق السريع في وثائق الأرشيف من أجل التحرك أمام أعضاء الجيش، يُمكن للجناح إعادة تجميع صُفوفه والاختباء من جديد"**، بدأت وحدات من الجيش الإسرائيلي و يمام والشين بيت نفسها باعتقال العشرات من المُشتبه بهم "كبار القادة وخُبراء المُتفجرات ومُقدمي الأسلحة والمواد اللازمة لتصنيع القنابل والتدريب وطاقم الدعم بما في ذلك أفراد الاتصال وأعضاء الدعوة"، الذراع الاجتماعية المدنية لحركة حماس.

إن الأرشيفات التي كان الاخوان عوض الله كان يحرسانها عن كثب ستُستخدم الآن لجعل البنية التحتية العسكرية لحماس على شفا الانهيار.

أحد الأسماء التي تم الحُصول عليها من أرشيف حماس كان إياد البطاط وهو ناشط عسكري كبير يُركز على افتعال الهجمات داخل الضفة الغربية، وأظهرت السجلات أنه شارك في نصب كمين لجُنود جيش الدفاع الإسرائيلي في عدة مُناسبات.

بعد عدة أشهر تعقبه الإسرائيليون في النهاية إلى منزل آمن في قرية بيت عوا، تم وضع عملية أُطلق عليها اسم الزنزانات لقتله.

موشيه يعلون الذي أنهى فترة ولايته كرئيس لـ أمان ويعمل الآن كرئيس للقيادة المركزية للجيش الإسرائيلي جاء إلى موقع القيادة الأمامية للعملية وهي خيمة كبيرة وعفنه بالقرب من قرية بيت جبرين على مقربة من بيت عوا، في 19 أكتوبر/ تشرين الأول 1999 على الرغم من أن عُملاءه كان لديهم بالفعل ثلاثة أيام للتخطيط إلا أنه أدرك على الفور أنه ليس لديهم سوى جُزء ضئيل من المعلومات الاستخباراتية التي يحتاجونها، لم يكن هُناك أحد من الوحدة 8200 (ذراع اتصالات أمان) ولا أي شخص من الوحدة 9900 لتشغيل الطائرات بدون طيار، حتى لو كانوا هناك لم يكن هُناك مُراقبون يمكن تقديم المعلومات عليهم، كان ضابط المُخابرات المعني بالشين بيت في منطقة أُخرى وكان الوصول إليه يعتمد على الجودة المُتقلبة لاستقبال هاتفه المحمول.

قال يعالون "لقد جئت من مكان آخر ثقافة أُخرى" مُشيراً إلى سايرت ماتكال التي أمر بها ذات مرة، "وهُناك تجري الأمور بشكل مُختلف، كان من غير المُتصور أن يعرف شخص آخر شيئاً ذا صلة بالعملية ولن يكون مُتاحاً لقائد القوة الذي سيبدأ العمل ".

قرر يعالون وديسكين أن الاستمرار في ذلك أمر غير مقبول، ألغوا العملية وأوقفوا مُؤقتا كل الجُهود المبذولة لقتل إياد البطاط، قال ديسكين: "في بيت عوا أدركنا أننا كُنا أغبياء تماماً، لقد سألنا أنفسنا عما يجب فعله للتأكد من أننا لن نفعل ذلك في المرة القادمة."

من الناحية النظرية كان الحل بسيطاً: ضع كُل الأشخاص الضروريين في مركز القيادة حتى يتمكنوا من التحدث مع بعضهم البعض ومُشاهدة الشاشات التي تعرض مُلخصاً واحداً للبيانات، وحدات الشين بيت، ووحدة يمام وحدات كوماندوز الجيش الإسرائيلي سيرت متكال و شايطيت 13، والدوفدوفان أمان 8200 ، 504 ، و 9900 ، وفي النهاية القوات الجوية ستتمركز جميعها في غُرفة واحدة "تحت أضواء الفلورسنت وليس كما قال ديسكين، خيمة بائسة تتدفق إليها جميع البيانات المُتاحة والضرورية.

ومع ذلك كان تنفيذ هذا الحل صعب بسبب عدد من قضايا من حيث المُساءلة والقيادة والسيطرة، لقد اعتادت مُختلف أذرع الجيش والاستخبارات على مر السنين على العمل بالتوازي ولأن النُشطاء أتوا من وحدات مُختلفة فقد تحدثوا بلُغات مهنية مُختلفة، في بعض الأحيان كان بعض الناس أكثر اهتماماً بالعُشب أكثر من اهتمامهم بالأمن القومي.

كان على ديسكين في الشاباك، ويعلون في الجيش تحطيم عدد غير قليل من الإجراءات البيروقراطية الراسخة وتجاوز الصعوبات الشخصية المُختلفة لإيصال الجميع إلى الطابق الثاني من مقر الشاباك في القدس والذي سيُطلق عليه الآن بشكل مناسب غُرفة الحرب المُشتركة (JWR)، كانت مُقاومة 8200، وحدة الاتصالات الساحرة التابعة لـ أمان قوية بشكل خاص والتي حاولت الإصرار على أن يأتي الشاباك إليهم بدلاً من ذلك.

في 11 ديسمبر 1999 كان كُل شيء جاهزاً للعمل، أشارت المعلومات التي وصلت للشين بيت إلى أنه من المُقرر أن يذهب إياد البطاط إلى منزله الآمن في بيت عوا في الأيام القليلة المُقبلة، وُضع المنزل ومُحيطه تحت المُراقبة الدقيقة كإجراء أمني احترازي، لم يكن البطاط يحمل هاتفاً لكن سائقه كان بحوزته هاتف وتتبعه الشاباك، لقد رأوه يصل إلى المنزل في 13 ديسمبر/ كانون الأول، وتوقفوا هُناك لفترة ثم تقدموا، على ما يبدو بعد إنزال أحدهم، كما شاهدت كاميرا في طائرة بدون طيار السيارة تتوقف ورأت شخصاً يخرج منها ويدخل المنزل، أشارت المعلومات الواردة من أحد العُملاء إلى أن البطاط قام بوضع مُراقب مموه على سطح المنزل لتحذيره من أي خطر، تم إدخال هذه المعلومات إلى أجهزة كمبيوتر JWR، ثم تم

تنشيط أجهزة استشعار الحرارة في الطائرات بدون طيار مما أظهر أن هُناك بالفعل رجل يجلس تحت مرصد على السطح.

مع أخذ كُل هذه المعلومات في الاعتبار اتخذ جُنود وحدة الكرز المتنكرين بزي العرب مواقعهم في عدد من النقاط حول المنزل، اختبأ أربعة منهم تحت درج صغير على طول جدار خارجي قريب بما فيه الكفاية من المدخل ولكنه مُختبئ عن أعين المُراقب الذي على السطح.

"الحادية عشرة ليلاً جميع القرية نائمة، في البداية تدفق الأدرينالين ولا تشعر بالخوف وبعد ذلك عندما تكون في الموقع، يبدأ الخوف"، روى ألون كاستيل أحد المُغيرين: "حصلنا على إذن بفتح النار من قائد الوحدة، قتلنا رجل البطاط على سطح المنزل، كان هُناك بعض تبادل إطلاق النار، بعد إطلاق النار قُمنا بتجميد وقف إطلاق النار، للحصول على بعض المعلومات الاستخباراتية. ثم المزيد من الضجيج من المنزل ويخرج إياد البطاط بمُسدس، تعرفت عليه القوة كلها وفتحت النار".

بعد ذلك أصدر الجيش الإسرائيلي بياناً مُقتضباً قال فيه إن إحدى وحداته "واجهت" البطاط ومطلوباً آخر من حماس وقتلهم، كان الهدف من البيان التستر على النشاط الاستخباري الواسع الذي حدث وراء الكواليس.

لكن بالنسبة للإسرائيليين أنفسهم كان من الواضح أن إصلاحات "الشاباك" و JWR أثبتت فعاليتها، على مدى الأشهر التسعة التالية تم استخدام نموذج JWR في خمسة عشر عملية اعتقال وعمليات قتل مُستهدفة مُختلفة، استند هذا النموذج إلى الشفافية التامة بين الوكالات ونظام "تمرير العصا" من وكالة إلى أُخرى مع بدء العملية.

يدعو المبدأ الأول لنموذج JWR إلى وجود جميع "المُستشعرات" وكالات جمع المعلومات الاستخباراتية المُتصلة بالعملية في شكل مُمثلين فعليين وتغذية فورية للمعلومات التي تُنتجها، بذل الشاباك قدراً كبيراً من العمل لدمج جميع أنظمة الكمبيوتر ذات الصلة وهو عدد لا يُحصى من عناصر الأجهزة والبرامج المُستخدمة من قبل العديد من الهيئات الاستخباراتية والتشغيلية المُختلفة بحيث يتفاعلون مع بعضهم البعض ويتواصلون مع مُعدات تكنولوجيا المعلومات في غُرفة الحرب. كان الهدف هو عرض جميع البيانات بطريقة من شأنها إنشاء صورة واحدة يسهل فهمها للموقف، قال يعالون: **"هذا التفوق الاستخباري وتركيز كُل المصادر المُمكنة يكمن في أساس قدرتنا على ضرب أهدافنا".**

لتنفيذ المبدأ الثاني تمرير العصا، تم تقسيم غُرفة الحرب إلى قسمين، جزء واحد تحت سيطرة الشاباك كان يُسمى غُرفة حرب المُخابرات، هنا تم تحديد الهدف من العملية، بعبارة أُخرى كانت مسؤولية غُرفة حرب المُخابرات تتمثل في الإشارة إلى الموقع المُحدد للهدف وضمان أنه الشخص المُناسب وهذا الجُزء كان يسمى "تأطير".

بمُجرد وُجود هوية إيجابية تم تمرير العصا إلى الجُزء الثاني من غُرفة الحرب "قسم العمليات" في الغالب كانت هذه مسؤولية الجيش الإسرائيلي الذي أشرف على تنفيذ الضربة، (في البداية نفذت القوات البرية مُعظم عمليات القتل المُستهدف، وفي وقت لاحق انتقل الإعدام إلى أيدي القوات الجوية لكن المبدأ العام ظل كما هو)، في الحالات التي تم فيها نقل الهراوة أو العصا إلى الحرب العملياتية لكن حدث شيء ما على الأرض يُعيق القُدرة على إصابة الهدف، مثل فُقدان مُؤقت لصورة المُراقبة وعودة المسؤولية إلى غُرفة الحرب الاستخباراتية ويبدأ إجراء التأطير من البداية، وهكذا دواليك حتى الإعدام.

في سبتمبر 2000 بعد شهرين من تعيين ديسكين نائباً لمُدير الشاباك وتعيين يعالون نائباً لرئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي أوصى الاثنان بتكرار النموذج الذي طوروه لمُنطقة القيادة المركزية في الدولة بأكملها، أن يتم إنشاء غُرفة حرب دائمة لتنفيذ العمليات الكُبرى والاغتيالات المُستهدفة، تم قبول الاقتراح وخُصصت مساحة داخل مبنى قيد الإنشاء في مقر الشين بيت شمال تل أبيب.

كان التوقيت صدفة، قال ديسكين: "إذا لم نقم بتنفيذ الثورة التكنولوجية ولم نُنشئ غُرفة الحرب الخاصة فمن المشكوك فيه أن نتعامل مع التحدي الهائل الذي فرضته علينا الانتفاضة الثانية وكيف نتعامل معه".

28

حرب شاملة

لم ينتظر بنيامين نتنياهو النتائج النهائية للانتخابات في 17 مايو 1999 بعد وقت قصير من بدء استطلاعات الرأي التلفزيونية التي تُشير إلى انتصار واضح لحزب العمل وزعيمه إيهود باراك أعلن نتنياهو تقاعده من الحياة السياسية.

تم انتخاب نتنياهو بسبب تفجيرات حماس الانتحارية لكن السنوات التي قضاها كرئيس للوزراء اتسمت بسلسلة من الفضائح السياسية وأزمات ائتلافية، وهزائم أمنية مثل قضية مشعل وطريق دبلوماسي مسدود مع الفلسطينيين، كان الناخبون ينظرون إلى باراك على أنه الجندي الأكثر وساماً في الجيش الإسرائيلي، وهو تلميذ وخليفة لإسحق رابين الذي وعد بإخراج الجيش من لبنان وإحلال السلام، في خطاب الانتصار قال باراك إنه "فجر يوم جديد" وهو يقف أمام مئات الآلاف من المؤيدين في ساحة تل أبيب المركزية، التي تُسمى الآن ساحة رابين، بعد أربع سنوات من اغتيال رئيس الوزراء، قال باراك للكنيست بعد بضعة أشهر "**السلام مصلحة مُشتركة وهو يحمل في داخله فوائد جمة لكلا الشعبين**"، معلنا أن "**السلام الحقيقي مع سوريا والفلسطينيين هو ذُروة تحقيق الرؤية الصهيونية**".

راباك شرع في تنفيذ سياساته، فبمُجرد أن أصبح سيد العمليات الخاصة كان مُشبعاً بالثقة بالنفس وكان مُتأكداً من قُدرته على التخطيط للمُناورات الدبلوماسية بالطريقة نفسها التي خطط بها لعمليات القتل المُستهدف خلف خُطوط العدو مع الاهتمام الشديد بالتفاصيل، والتخطيط الدقيق لتوقع جميع الحالات الطارئة المُحتملة، والعمل العدواني عند الضرورة، لكن اتضح أنه على الرُغم من أن هذه الأساليب تعمل بشكل جيد على نطاق صغير إلا أنها لم تعمل دائماً مع العمليات الدولية المُعقدة، ونادراً ما كان باراك يستمع لنصائح مُساعديه.

تحت رعاية أمريكا دخلت إسرائيل في مُفاوضات مع سوريا، بصفته مبعوث باراك التقى الرئيس كلينتون مع الرئيس حافظ الأسد في جنيف في 26 مارس 2000، أخبر كلينتون الأسد أن باراك كان على استعداد للانسحاب من مُرتفعات الجولان بأكملها باستثناء بعض التعديلات الحُدودية الطفيفة للغاية مُقابل السلام، على الرغم من أن كلينتون كان أقل حماسة وإغراء مما كان متوقعاً، كان الأسد الذي جاء إلى الاجتماع يُعاني من مجموعة مُتنوعة من الأمراض بما في ذلك الخرف الأولي والإرهاق، أكثر تشدداً من أي وقت مضى بشأن استعادة كُل شبر، وانفجر اللقاء بعد دقائق قليلة فقط من انتهاء الرئيسين من الإجراءات الأولية والبدء في مُناقشة جوهر الخلاف.

كان على باراك أن يفي بوعده وأن ينسحب من لبنان لكن دون أي اتفاق مع سوريا أو لبنان، من أجل منع حزب الله من استغلال الانسحاب لقتل عدد كبير من جُنود الجيش الإسرائيلي مع ذلك كان لا بد من تنفيذه بين عشية وضُحاها وإبقاء ذلك مُفاجأة كاملة.

قبل وقت قصير من الانسحاب تمكنت أمان من تحديد مكان عماد مغنية القائد العسكري لحزب الله والرقم واحد على قائمة المطلوبين لدى إسرائيل، أثناء قيامه بجولات تفتيش على طول خُطوط المواجهة في جنوب لبنان لمعرفة ما إذا كان باراك على وشك الوفاء بوعده والانسحاب وإعداد ميليشياته لليوم التالي.

خططوا لاغتياله لكن باراك الذي جاء إلى الحُدود الشمالية والتقى مع كبار المسؤولين العسكريين هُناك في 22 مايو لإجراء مشاورات عاجلة، أمرهم فقط "بمواصلة المُراقبة الاستخباراتية لعماد مغنية، وعدم ضربه مما أدى في الواقع إلى تصفية المشروع بأكمله، كانت الأولوية الأولى لباراك هي التأكد من تنفيذ الانسحاب دون وقوع إصابات وكان يخشى أن يُؤدي اغتيال مغنية إلى دفع حزب الله إلى قصف التجمعات الإسرائيلية أو شن هجمات كبيرة ضد أهداف إسرائيلية في الخارج، الأمر الذي يتطلب رداً إسرائيلياً وبالتالي رُبما إفساد كُل شيء.

كان باراك على حق على الأقل في المدى القصير، في اليوم التالي للاجتماع على الحُدود الشمالية أمر بالانسحاب الفوري للجيش الإسرائيلي من لبنان، تم تنفيذ الانسحاب بأكمله دون وقوع إصابات.

لكن نصر الله احتفل بالانسحاب باعتباره انتصاراً كاملاً له واصفا الاسرائيليين بالجُبناء وخوفهم من الموت وهم يهربون من جيش مغنية، صاح قائلاً: "**إسرائيل أضعف من نسيج العنكبوت،**

روح الانهزامية سائدة في المُجتمع الإسرائيلي، واليهود يُحبون المال وليسوا شعباً قادراً على التضحية".

بالنظر إلى الماضي جاء انهاء الاحتلال الإسرائيلي في لبنان في أسوأ لحظة مُمكنة بالنسبة لباراك، ورأى أنه لا يستطيع التوصل إلى اتفاق مع السوريين فقرر الإسراع في التعامل مع الوضع الفلسطيني، لكن كان هناك العديد من الفلسطينيين الذين رأوا الانسحاب من لبنان دليلاً على أن تكتيكات حرب العصابات والإرهاب يُمكن أن تهزم أقوى القوات العسكرية والاستخباراتية في الشرق الأوسط وبدأوا يُفكرون في إمكانية تطبيق هذه الأساليب في ساحتهم الخاصة.

دعا كلينتون باراك وعرفات إلى كامب ديفيد في تموز / يوليو 2000 من أجل إجراء مُفاوضات ماراثونية ونأمل أن تتوصل إلى اتفاق سلام، قال باراك: "**علمت أن مثل هذا الاتفاق يجب أن يشمل دولة فلسطينية وتسوية في القُدس وكُنت مُستعداً لذلك، كنت على يقين من أنني سأتمكن من إقناع الجُمهور في إسرائيل بأن ذلك لصالحنا وأنه لا يوجد خيار آخر** ".

عرفات من جهته لم يرغب في الحُضور ووافق فقط بعد أن وعده كلينتون بأنه لن يُلام إذا فشلت المُحادثات.

خلال هذه الفترة أشارت المُخابرات الإسرائيلية إلى أن الخلاف بين الفلسطينيين وصل إلى آفاق جديدة، وأفادت الأنباء أن السُلطة الفلسطينية تجري الاستعدادات لمُواجهة مُسلحة مع إسرائيل للضغط عليها لتقديم تنازلات بعيدة المدى.

وقال جبريل الرجوب نقلا عن ثيوسيديدس "**لم نكن نستعد ولم نكن ننوي الشُروع في مواجهة مع إسرائيل، لكن الأمل بطبيعته سلعة باهظة الثمن**"، قال باراك لمُساعديه: "**نحن على متن سفينة عملاقة على وشك الاصطدام بجبل جليدي وسننجح في تحويل مسارها فقط إذا نجحنا في كامب ديفيد**".

كانت الأجواء في الاجتماعات تُبشر بخير، كان باراك على استعداد لتقديم تنازلات تركت المُشاركين الأمريكيين "متفتحين ويتملكهم سعادة غامرة"، بما في ذلك حل وسط كبير كان من شأنه أن يمنح الفلسطينيين أجزاء من القُدس الشرقية وحُكماً دولياً على الحرم القدسي موقع

المسجد الأقصى، لم يوافق أي زعيم إسرائيلي على الإطلاق على التنازل عن هذا القدر أو تقديم تنازلات في أمور كانت حتى ذلك الحين تُعتبر من المُحرمات.

لكن باراك لم يفعل ما يكفي مقدماً لتمهيد الطريق للقاء، لم يُحاول إقناع العالم العربي الأوسع بالضغط على عرفات لتقديم تنازلات حول المبادئ الفلسطينية مثل حق عودة اللاجئين، كما أنه تصرف بطريقة اعتُبرت مُتسلطة وأجرى المُفاوضات مع عرفات عبر مبعوثين على الرغم من أن مقصورته لم تكن تبعد أكثر من بضع مئات من الأمتار.

رفض عرفات التوقيع ربما لأنه اعتقد أنه سيحصل على شُروط أفضل من إسرائيل إذا صمد أو ربما لأنه ببساطة لم ير أي زعيم عربي يدعم تسوية مع العدو العظيم، انفجر كلينتون بغضب، أنهى القمة وحنث بوعده لعرفات بألا يلومه على الفشل، وقال إيتامار رابينوفيتش أحد كبار الباحثين والدبلوماسيين الإسرائيليين في شُؤون الشرق الأوسط: "لو كان كلينتون قد تبنى استراتيجية كارتر وطرقوا رؤوسهم حتى يتفقوا على حل وسط، لكان التاريخ مُختلفاً تماماً".

في الشهرين التاليين بُذلت مُحاولات لسد الثغرات، لكن التوتر والشُكوك بين الجانبين تجاوزا الآن نقطة اللاعودة، قال أحد المُقربين من باراك: "**كُنا نعيش مع شُعور بأننا نتنفس البارود**"، وحيثما يوجد بارود سيكون هُناك مجنون لإشعال النار فيه، هذه المرة كان أريل شارون المُصاب بهوس الحرائق.

ما الأخبار: جبل الهيكل والمُسلمون يُسمونه الحرم النبيل ربُما يكون المكان الأكثر حساسية في العالم اليوم، يقع داخل البلدة القديمة في القُدس ويُقدَّر كموقع الصخرة التي خلق الله منها العالم، حيث دعا إبراهيم للتضحية بابنه إسحاق، إنه أيضاً المكان الذي كان يوجد فيه المعبدان اليهوديان الأول والثاني، حيث سار يسوع وبشر وحيث يعتقد المسلمون أن النبي محمد انطلق في رحلته إلى الجنة مع الملاك جبرائيل، تقف قُبة الصخرة والمسجد الأقصى هُناك اليوم.

على مر السنين اندلعت العديد من المواجهات هناك، في عام 1982 خططت مجموعة من الإرهابيين اليهود لتفجير قُبة الصخرة "لإزالة الرجس" على حد تعبيرهم، على أمل أن يؤدي

الفعل إلى حرب عالمية وبالتالي تسريع مجيء المسيح، على الرغم من أنهم فشلوا في مُهمتهم فإن استراتيجيتهم لم تكن بعيدة تماماً عن القاعدة، أي حادث في الحرم القدسي سيكون بمثابة كُرة ثلجية يُمكن أن تؤدي بسُرعة إلى انهيار جليدي.

أريئيل شارون كان على علم بُكل هذا، كزعيم لمُعارضة حُكومة باراك، فقد قرر أن يتحدى بأبشع صورة ممكنة، من خلال استعداد باراك للتخلي عن السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسي، في 28 سبتمبر قاد شارون مجموعة من سياسيي الليكود مُحاطين بمئات من ضُباط الشرطة إلى مظاهرة في الموقع المُقدس، وصرحوا "**من حق كُل يهودي في إسرائيل زيارة الحرم القُدسي والصلاة فيه، فجبل الهيكل مُلكنا** ".

الفلسطينيون المُتواجدون هناك نادوا على شارون بـ "جزار بيروت قاتل الاطفال والنساء" وسرعان ما اشتبكوا مع الشرطة التي كانت تحرس شارون.

بحلول وقت صلاة صباح اليوم التالي كانت إذاعات راديو فلسطين والخُطب في المساجد تُدين بشدة بالفعل ما وصفته بأنه محُاولة إسرائيلية لاستهداف الأماكن المُقدسة الإسلامية، حشد من عشرين ألف شخص مُعظمهم من الشبان ينتظرون بغضب بدء الصلاة في الأقصى، كان العديد منهم مُسلحين بالحجارة وأشياء أُخرى وبدأوا في رميها على الشُرطة وعلى المُصلين اليهود عند الحائط الغربي، في تلك المُظاهرات قُتل سبعة فلسطينيين وجُرح أكثر من مائة، في اليوم التالي انتشر العُنف في جميع أنحاء الأراضي الفلسطينية المُحتلة والمناطق المأهولة بالسُكان العرب في إسرائيل، قُتل اثنا عشر رجلاً وصبياً من عرب إسرائيل (مع فلسطيني ويهودي إسرائيلي)، خلال فترة وجيزة تحولت الاشتباكات المحلية إلى حرب.

داخل المُخابرات الاسرائيلية اندلع الجدل حول ما كان يدور في ذهن ياسر عرفات مرة أخرى، اعتقد رؤساء أمان والجيش الإسرائيلي وخاصة موشيه يعلون، أن الانتفاضة كانت جزءاً من استراتيجية مُعقدة ومُخططة مُسبقاً لعرفات وأنه "سيطر على ارتفاع ألسنة اللهب" من مكتبه، في البداية من خلال مُظاهرات "عفوية" نظمها رجاله، ثم بإطلاق النار على القوات الإسرائيلية من داخل الحُشود، ثُم عمليات إطلاق النار المُخطط لها ضد الجنود والمستوطنين، وأخيراً بالتفجيرات الانتحارية داخل إسرائيل، وقال رئيس الأركان آنذاك الفريق شاؤول موفاز: إن عرفات "**كان يحاول تحقيق إنجازات دبلوماسية من خلال إراقة دماء إسرائيل**".

على الجانب الآخر اعتقد الشاباك أن عرفات لم يكن لديه مثل هذه الإستراتيجية مُطلقاً وأن الحرب بدأت على شكل انفجار عفوية من قبل الطُلاب المُحبطين من عدد من القضايا وبعضها فلسطيني داخلي أثارها القادة المحليون، أدت المظاهرات إلى رد حاد من قبل الجيش الإسرائيلي الذي كان "استعد جيداً " لاندلاع موجة العُنف، وخلف ذلك الرد عدداً كبيراً من القتلى والجرحى الفلسطينيين وأدى إلى مزيد من التدهور، وادعى الشاباك أن عرفات كان يجره تيار الأحداث.

كان يوسي أفراحامي رجل أعمال مُستقل من بتاح تكفا يبلغ من العُمر ثمانية وثلاثين عاماً متزوج وله ثلاثة أطفال، في أوقات فراغه تطوع للعمل كشرطي مرور مُساعد، كان فاديم نورزيتز أصغر منه بثلاث سنوات وهو من مواليد إيركوتسك في روسيا وكان سائق شاحنة عن طريق الاحتلال، لم يكن أي منهما جُندياً مُحترفاً ولكن، مثل العديد من الإسرائيليين اليهود كانوا من جُنود الاحتياط على أُهبة الاستعداد الدائم لتعزيز جيش الدفاع الإسرائيلي.

تطلبت الانتفاضة الثانية كما عُرفت الحرب الأخيرة بين إسرائيل والفلسطينيين تطلبت تعزيزات، تم استدعاء أفراهامي ونورزيتز في 1 تشرين الأول (أكتوبر) 2000 لحراسة حافلات المُستوطنين المدرسية من هجمات الفلسطينيين، في 11 أكتوبر حصلوا على إجازة لمدة يوم واحد، في اليوم التالي في طريق عودتهم إلى قاعدتهم في سيارة نورزيتز اتخذوا مُنعطفاً خاطئاً وانتهى بهم المطاف في مدينة رام الله بالضفة الغربية، ووقعت بعض أعمال الشغب في رام الله في الأسابيع السابقة وقُتل عدد من الفلسطينيين بنيران جيش الدفاع الإسرائيلي، كان التوتر يتصاعد عندما دخلت السيارة إلى المدينة رأى المارة لوحات أرقام سيارات إسرائيلية صفراء وراحوا يرشقونها بالحجارة، حاول الاثنان الفرار لكن حركة المُرور اعترضتهما.

وقام أفراد من الشُرطة الفلسطينية بجرهم من سيارتهم تحت تهديد السلاح وصادروا أسلحتهم واقتادوهم إلى مركز للشرطة للتحقيق معهم، ثم تركوهم تحت رحمة حشد من الغوغاء الغاضبين الذين تجمعوا في الخارج.

تعرض جُنديان الاحتياط للضرب واقتلاع أعينهما وطعنهما عدة مرات، تم ضرب رأس نورزيتز قبل أن يتم نزع أحشاءه بعصا دُفعت في حلقه، واشتعلت النيران في جسده، عندما اتصلت زوجة أفراهامي بهاتفه المحمول وهي تجهل ما حدث، قال لها أحد القتلة "لقد ذبحت زوجك قبل بضع دقائق"، تم تصوير أحد الفلسطينيين عند نافذة الطابق الثاني من مركز الشرطة وهو يعرض يديه الملطختين بالدماء أمام الحشد المُبتهج بالأسفل، ثم ألقى الجثث عبر النافذة على الأرض وجروها عبر المدينة.

ترك هذا الحدث انطباعاً عميقاً لدى الجُمهور في إسرائيل الأمر الذي ألقى باللوم على السُلطة الفلسطينية التي لم يوفر أفرادها الحماية للإسرائيليين في أراضيهم، لكنهم بدلاً من ذلك اعتقلوهم دون أي سبب وسمحت للحُشود الغاضبة بقتلهم داخل قسم الأمن.

وقد وصف الشاباك القتل على أنه "هُجوم رمزي" كان يجب تعقب مُرتكبيه إلى الأبد "مثل أولئك المسؤولين عن مذبحة الإسرائيليين في أولمبياد ميونيخ"، استمرت المُطاردة لشُهور وسنوات بعد ذلك.

والأهم من ذلك في نظر الكثيرين في القيادة الإسرائيلية كان يُنظر إلى الهُجوم على أنه خيانة أساسية ودليل على أن هدف السُلطة الفلسطينية، وبالتالي هدف عرفات لم يكن في الواقع السلام، بل الصراع، من هذه النُقطة فصاعداً ستُعامل السلطة الفلسطينية وعرفات نفسه كجُزء من المُشكلة.

في أعقاب حشد الغوغاء في رام الله صعّد الجيش الإسرائيلي بشكل كبير من استخدامه للقوة، تم استخدام الأسلحة النارية بشكل مُتكرر ضد المُتظاهرين المُشاغبين، ورد جيش الدفاع الإسرائيلي على رجال الشُرطة الفلسطينية أيضاً ففجر مراكز الشُرطة ليلاً عندما كانت خالية، وبحُلول نهاية عام 2000 قُتل 276 فلسطينياً.

إراقة الدماء كانت كارثة سياسية لإيهود باراك، تعثرت بالفعل بسبب الفشل في كامب ديفيد وتركته الانتفاضة بلا رباط وغير فعال، لقد ألقى باللوم بشكل صريح ومُتكرر على عرفات لما حدث، لكن ذلك جعله يبدو وكأنه فشل للجُمهور الإسرائيلي لأنه وثق بالزعيم الفلسطيني في المقام الأول، وإصراره على مواصلة عملية السلام مع عرفات أدى إلى انخفاض شعبيته إلى مُستويات غير مسبوقة، المُقربون منه وصفوا الأشهر الأخيرة من ولايته بأنها جنونية، وتفتقر

إلى التركيز وخالية من أي إحساس واضح بالمسؤولية، بدأ ائتلافه الحاكم في الانهيار، وفي ديسمبر / كانون الأول أُجبر على الدعوة لإجراء انتخابات في فبراير / شباط 2001.

هُزِم باراك على يد الرجل نفسه الذي كان استفزازه في الحرم القدسي هو الذي أطلق الانتفاضة: "أريئيل شارون".

كان شارون منبوذاً سياسياً لما يقرب من عقدين من الزمن منذ أن دبر الغزو الكارثي للبنان، كان قد أُجبر على التنازل عن منصب وزير الدفاع في عام 1983 لكن مُغامرته العسكرية الخاطئة واستمرار خطته المُتهورة لإعادة ترتيب الشرق الأوسط بأكمله لمدة ثمانية عشر عاماً مما أودى بحياة 1216 شخصاً إسرائيل وأكثر من 5000 جريح، بالإضافة إلى آلاف الضحايا اللبنانيين لا تُحصى.

حُشود كبيرة من الإسرائيليين المُتظاهرين في الشوارع وصفته بالقاتل ومُجرم الحرب، كانت الولايات المُتحدة قد فرضت مُقاطعة غير رسمية عليه ولم يُسمح إلا للمسؤولين الأمريكيين الصغار بمُقابلته عندما كان في أمريكا وحتى في ذلك الوقت فقط في فندقه خارج ساعات العمل العادية، الرجل الذي لم يتوقف عن ارتداء الأحمر، تعرض للاحتقار العلني والبُغض على نطاق واسع لسنوات، على الرُغم من خدمته في الكنيست ووزيراً في الحُكومة.

لكن شارون رأى السياسة على أنها عجلة فيريس واعتاد أن يقول: "**أحياناً تكون مُستيقظاً وأحياناً تكون مُحبطاً، فقط ابق عليها**"، في أوائل عام 2001 عندما كان الإسرائيليون يائسين من وجود زعيم قوي يُمكنه وقف العُنف هزم باراك بنسبة 25 %.

كان التناقض واضحاً على الفور، قال مُساعدون بقوا في مكتب رئيس الوزراء بعد مُغادرة باراك ان الجو أصبح على الفور أكثر هدوءً واستقراراً، شارون كان عكس باراك تماماً: دافئ، في مُنتهى للأمزجة والمُراوغات الشخصية، حريص على إظهار الاحترام تجاه الجميع، كان مشبوهاً بشكل طبيعي ولكن بمُجرد أن يشعر أنه يُمكن الوُثوق بشخص ما، منحهم قدراً كبيراً من الحُرية.

كما أنه شعر بحُزن شديد كلما قُتل إسرائيليون أو يهود في أي هُجوم إرهابي، قال السكرتير العسكري يوآف غالانت: "**كُنت آتي بأخبار عن هذا الهُجوم الانتحاري أو ذاك، وأرى كيف تحطم قلبه، لقد كان يُؤلمه أكثر بطريقة شخصية، أي طفل أو امرأة أو رجل في إسرائيل قُتل في حافلة أو في مركز تجاري، كان يأخذ الأمر كما لو كانوا أقاربه أو أُسرته** ".

رسم شارون طريقاً واضحاً على ما يبدو لإنهاء العُنف، قال غالانت: "**لقد عبّر لنا جميعاً عن ثقته بأننا على وشك الانتصار في هذه الحرب، الحرب على الإرهاب، كما قال نابليون لم تعبر الجيوش الرومانية نهر روبيكون؛ عبر يوليوس قيصر روبيكون، كان شارون زعيماً وقد قاد الحرب على الإرهاب** ".

مُباشرة وبعد توليه رئاسة الوُزراء أعلن شارون أن المُفاوضات السياسية لن تتم بينما تستمر العمليات الإرهابية، وقال إنه فقط عندما يتحقق الهُدوء ستعود إسرائيل إلى طاولة المُفاوضات، في الوقت نفسه ضغط على الجيش الإسرائيلي والشاباك لتكثيف عملياتهما، قال للقادة: "**فكروا خارج الصُندوق، تعالوا إلي بأفكار إبداعية**"، ذكّرهم مراراً بأوقاته المُضطربة في الوحدة 101 في الخمسينيات وكيف نجح مئير داغان تحت قيادة شارون في مُطاردة الإرهابيين في السبعينيات.

مُنذ فترة توليه منصب وزير الدفاع في أوائل الثمانينيات كان لدى شارون شُكوكه حول قُدرات الجيش الإسرائيلي وكان يساوره شك في أنه "**فقد ثباته على مر السنين**"، لم يكن يثق بضُباط الجيش أيضاً، في كُل مرة لأنه تذكر كيف كذب هو نفسه على السياسيين عندما كان يرتدي الزي العسكري وخدع رُؤسائه حتى يسمحوا له بتنفيذ العمليات، وقال غالانت إنه شعر الآن بعد أن أصبح رئيساً للوزراء أن ضُباط جيش الدفاع الإسرائيلي خائفون من الفشل وبالتالي "**كان مُقتنعاً بأن كبار القادة كانوا يكذبون عليه حتى لا يُضطروا إلى تحمل المسؤولية**".

من ناحية أُخرى شعر شارون براحة أكبر مع الشاباك وكان لديه ثقة كبيرة في رئيسه آفي ديختر، في الحرب ضد الإرهاب وهي المسألة الأولى والأكثر أهمية في جدول أعماله اعتمد شارون بشكل مُتزايد على الوكالة مما منحها المزيد من المهام والسُلطات.

—

مع بداية الانتفاضة الثانية كان عدد كبير من الأشخاص الذين شاركوا في الهجمات الإرهابية خلال العقد السابق يجلسون في سُجون تُديرها السُلطة الفلسطينية، بعد الهجمات الانتحارية عام 1996 التي أطاحت بحُكومة شيمون بيريز وعطلت عملية السلام، أدرك عرفات أنه بحاجة إلى إبقاء كبار قادة حماس والجهاد الإسلامي خلف القُضبان على الأقل طالما كان يتفاوض مع الإسرائيليين، لكن بعد ستة أشهر ابتداء من أكتوبر / تشرين الأول 2001 أمر عرفات بالإفراج عنهم.

مرة أُخرى اعتقد الجيش الإسرائيلي أن عرفات كان يُحاول التحريض على المزيد من الهجمات على إسرائيل بينما اعتقد الشاباك أنه كان يُحاول بشكل محموم تجنب فُقدان دعم الفلسطينيين لحركة حماس، وبحُلول ذلك الوقت قُتل مئات الفلسطينيين في الانتفاضة بينما لم يُقتل سوى حفنة من جُنود جيش الدفاع الإسرائيلي والمُستوطنين، لكن الهجمات الانتحارية التي شنتها حماس بدأت في تحقيق التوازن، وقال يوفال ديسكين نائب رئيس الشاباك: **"كُلما زادت الهجمات الانتحارية ونجحت زاد الدعم لحركة حماس بشكل مُباشر".**

كانت خسارة الأخوين عوض الله وأرشيفها ضربة قوية لكن حماس بدأت في إعادة البناء تحت قيادة الشيخ ياسين، ومع إعادة بنائها بدأت في استخدام الهجمات الانتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين أكثر فأكثر.

في 18 أيار (مايو) 2001 وصل أحد عناصر حماس يرتدي معطفاً طويلاً أزرق اللون داكن إلى الحاجز الأمني خارج مُجمع هشارون بالقُرب من نتانيا، وأثار اشتباه الحُراس الذين منعوه من الدخول ثم فجر نفسه وقتل خمسة من المارة، في 1 يونيو قتل انتحاري آخر عشرين شاباً معظمهم من المُهاجرين اليهود الجُدد القادمين من روسيا في طابور خارج مرقص على الشاطئ في تل أبيب.

كان مالك قاعة الرقص شلومو كوهين، قد خدم في قوات الكوماندوز البحرية وقال حينها واليأس يتملكه: **"هذا كان أسوأ شيء رأيته في حياتي".**

بحُلول أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) كان المُفجرون الانتحاريون يضربون شوارع إسرائيل كُل أسبوع تقريباً وأحياناً كُل بضعة أيام، في الأول من كانون الأول (ديسمبر) قتل ثلاثة مُفجرين

مُتتاليين أحد عشر شخصاً في مركز بن يهودا للمُشاة في القُدس، وهو المكان نفسه الذي أدى فيه هُجوم انتحاري عام 1997 إلى مُحاولة اغتيال خالد مشعل، في اليوم التالي فجر رجل من نابلس نفسه في حافلة في حيفا مما أدى إلى مقتل 15 وجرح 40 آخرين، قال قائد شُرطة المنطقة الشمالية عندما وصل إلى مكان الحادث: "**نحن نُواجه هُجوماً شاملاً**".

الهُجوم لم يتوقف، ففي آذار / مارس 2002 وحده قُتل 138 رجلاً وامرأة وطفل على يد انتحاريين، فيما أُصيب 683 بجُروح، وقعت أكثر الهجمات فظاعة في عيد الفصح في الطابق الأرضي من فُندق بارك في نتانيا حيث أُقيمت مأدبة سيدر لـ 250 من المُحرومين في المدينة، دخل انتحاري القاعة يرتدي زي يهودية مُتدينة وفجر نفسه فقتل ثلاثين أصغرهم في العشرين من العُمر وأكبرهم تسعين وأصاب 143 آخرين، كان جورج جاكوبوفيتز أحد الناجين من مُعسكر الموت النازي الذي وُلد في المجر، كان هُناك مع زوجته آنا وهي أيضاً إحدى الناجين من الهولوكوست من المجر، كانوا يحتفلون بليلة سيدر مع اندريه فرايد، نجل آنا من زواجها السابق، وزوجته إديت، وبهذا الانفجار قُتل الأربعة.

كان عام 2002 بحسب رئيس الشاباك ديختر "أسوأ عام لهجمات إرهابية ضدنا مُنذ قيام الدولة".

وقال رئيس الاركان موفاز: "**كانت هذه صدمة وطنية، لقد ألقت علينا خسائر في الأرواح وألحقت أضراراً بأمننا القومي، وألحقت أضراراً باقتصادنا، لم تكن هُناك سياحة وكان الناس خائفين من الذهاب إلى مراكز التسوق وخافوا من الجُلوس في المطاعم ولم يستقلوا الحافلات**".

قال اللواء يتسحاق بن يسرائيل رئيس إدارة تطوير الأسلحة والبنية التحتية التكنولوجية (Maf'at) إن مُجتمع الاستخبارات الإسرائيلي قد صادف مُفجرين انتحاريين من قبل "**لكننا لم نُدرك أنه يُمكن القيام بذلك بأعداد كبيرة، حتى عندما أدركنا أن هذا هو التهديد الرئيسي، لم يكن لدينا حل له، لا في العقيدة القتالية ولا في الأسلحة، ماذا يُمكنك أن تفعل ضد انتحاري عندما يتجول بالفعل في شوارعك بحثاً عن مكان يُفجر نفسه؟** "

الإرهاب بشكل عام والهجمات الانتحارية بشكل خاص خلقت وضعاً غريباً ومُحبطاً داخل الشاباك والجيش الإسرائيلي، "بشكل لا لبس فيه كان هناك شُعور بالعجز"، قال رئيس مُديرية التخطيط في جيش الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت اللواء جيورا إيلاند: **"كان الإحباط هائلاً وكنا تحت ضغط كبير للقيام بشيء ما سواء من فوق [قيادة الجيش الإسرائيلي أو المستوى السياسي] ومن أسفل [ضباط وجنود في الميدان]، وجيرانك وأقاربك وأهل الشارع يوقفونك ويسألون: أين أنتم القادة العسكريون؟ بميزانية قدرها خمسين مليار شيكل ماذا تفعلون بكل هذا المال؟ ماذا تفعلون بأنفسكم طوال اليوم؟ "**

—

في إطار منع أي استراتيجية أكبر لكيفية الرد على هُجوم الإرهاب الانتحاري، واصل الشاباك فعل ما كان يفعله دائماً: اغتيال الأشخاص الذين حرضوا على الإرهاب وتنظيمه.

في السنة الأولى من الانتفاضة كانت الضربات تتم بطريقة مُتفرقة دون أي اتجاه واضح، الأولى حدثت بعد فترة وجيزة من بدء الانتفاضة عندما اكتشف الشاباك أن ناشطاً في فتح اسمه حسين عبيات كان وراء العديد من عمليات إطلاق النار على الطُرق في الضفة الغربية وفي حي جيلو في القدس.

مُنذ حادثة القتل في رام الله تم تصنيف جميع المناطق الخاضعة لسيطرة السُلطة الفلسطينية على أنها مناطق مُعادية كان من الضروري العمل فيها بحذر شديد وبدعم من قوات كبيرة من جيش الدفاع الإسرائيلي.

لكن الدخول بهذه القوة الكبيرة لاعتقال أو قتل العبيات سيمنحه الوقت للفرار إلى مخبأ، وخلص الإسرائيليون إلى أن الطريقة الوحيدة للوصول إليه كانت من خلال عملية مُشتركة باستخدام قوة كوماندوز سرية وهُجوم من الجو.

وحدة كوماندوز سلاح الجو والتي تُسمى" الرفراف" (Shaldag باللغة العبرية) التي حددت أهدافاً بالليزر خلف خُطوط العدو تم تكليفها بالعملية، تم اختيارها لأنها في ذلك الوقت كانت الوحدة الوحيدة المُتاحة والمدربة للعمل بالتعاون الوثيق مع القوات الجوية.

في 9 تشرين الثاني (نوفمبر) 2000 شُوهد مصدر من الشاباك الفلسطيني عبيات وهو يستقل سيارته المرسيدس السوداء ويُغادر قرية بيت ساحور بالقُرب من بيت لحم مع بعض رجاله، كان أحد عناصر الشاباك المُرافق للمصدر على اتصال بغُرفة الحرب المُشتركة، وكان JWR على اتصال بالسلاح الجوي والقوات البرية، قام مراقبو الشلداغ بتمييز السيارة بعلامات الليزر من طائرتي هليكوبتر من طراز أباتشي، والتي كانت تُتابعها من مسافة بعيدة، توقفت السيارة عند أحد المنازل، وتجمع حشد حولها، وقال نائب قائد سرب أباتشي "انتظرنا بضع دقائق حتى تحركت مرة أُخرى وبعيداً عن الناس"، ثم أطلقنا صاروخين، أطلقت واحدة، والثانية أطلقها قائد السرب الذي كان يقود التشكيل الآخر، كلاهما ضرب الهدف، حتى ذلك الحين قُمنا بتنفيذ مثل هذه المهام في لبنان فقط، لقد كان شُعوراً غريباً [القيام بذلك داخل منطقة تُسيطر عليها إسرائيل] ".

كان مقتل العبيات أول عملية اغتيال جوية في الأراضي المُحتلة، كان ذلك غير مُعتاد لأن الشاباك فضل عموماً عمليات القتل ذات التوقيع المُنخفض: تلك التي لم يتم التدخل فيها بشكل علني من قبل القوات الإسرائيلية وهو ما كان محظوراً بموجب اتفاقية السلام لعام 1994، ولكن الآن كانت الأوامر تصل إلى أهداف مُحددة في المناطق مع أو بدون تورط القوات الإسرائيلية.

وكان أحدهم وليد العبيدي القيادي في حركة الجهاد الإسلامي في محافظة جنين، في 5 نيسان (أبريل) 2001 التقط العبيدي سماعة الهاتف العُمومي التي اعتاد استخدامها (أدرك العديد من الإرهابيين الآن أن الإسرائيليين كانوا يستمعون إلى مُحادثات هواتفهم المحمولة وبدأوا في استخدام الهواتف العمومية بدلاً من ذلك) في وسط مدينة جنين عندما حدث ذلك، رن الهاتف لكن بدلاً من المكالمة التي كان يتوقعها كان هُناك انفجار قوي أدى إلى وفاته على الفور، وكانت وحدة الطيور قد زرعت الليلة الماضية عبوة ناسفة، كانت المنطقة تحت مُراقبة طائرتين بدون طيار وعندما تم التعرف على صوت هردان على الهاتف تم إرسال إشارة تنشيط القنبلة من JWR، وكانت عملية مُماثلة في 27 حزيران (يونيو) قد أسفرت عن مقتل أسامة الجوابرة عضو كتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح في نابلس.

كما حاول الشاباك القضاء على الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في فلسطين أبو علي مصطفى مُستخدماً أساليب مُختلفة للتسميم وتفخيخ هاتفه الخلوي وتفجير سيارته بطريقة تجعلها تبدو وكأنها مُتفجرات كان أبو علي مصطفى نفسه ينقلها وانفجرت عن طريق الخطأ، ولكن عندما فشلت هذه الخُطط، تخلى الشاباك عن مُحاولة التكتم، في 27 آب أطلقت مروحية أباتشي صواريخ عبر نافذة مكتب مُصطفى في رام الله، وزعمت إسرائيل أن قرارها بضرب مصطفى "لم يكن بسبب كونه زعيماً سياسياً ولكن على الرغم من ذلك" ووفقاً للإسرائيليين فقد كان مُتورطاً بشكل مُباشر في الإرهاب.

اغتيال إسرائيل لمُصطفى لم يُهدئ العمليات الانتحارية على الإطلاق، علاوة على ذلك بالنسبة للفلسطينيين تم تجاوز خط أحمر، قال أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: **"أود أن أذكر إسرائيل بفترة أوائل السبعينيات، يجب أن نرد بطريقة تردع الإسرائيليين عن شن مزيد من الهجمات على القادة الفلسطينيين"**. في عمل انتقامي بعد شهرين في 17 أكتوبر في فندق حياة في القدس اغتال أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رحبعام زئيفي وزير في حُكومة شارون والجنرال السابق في جيش الدفاع الإسرائيلي الذي كان يحمل آراء قومية مُتطرفة.

كان زئيفي إسرائيلياً بارزاً ومحبوباً وصديقاً جيداً لشارون مُنذ أيام الخدمة في الجيش في الحقيقة لم تُحقق أي من عمليات القتل المُستهدف الأخرى أو العمليات العسكرية العدوانية الأخرى التي نفذتها إسرائيل أي شيء، بخلاف قتل 454 فلسطينياً وإصابة آلاف آخرين وإطالة أمد الصراع الدموي وغير المُتكافئ الذي خلف المزيد من القتلى الإسرائيليين.

لقد ازداد إحباط شارون بسبب عجز جهاز الدفاع، في صباح أحد الأيام طلب رئيس مكتبه والرجل الأيمن دوف فايسغلاس، من رئيس شُعبة المُخابرات في الشاباك باراك بن زور، أن يقابله في مكان غير مُعتاد وهو مدخل المركز التجاري الدولي لبنك في تل أبيب.

رتب فايسغلاس للحُصول على تصاريح الدُخول إلى غُرفة عمليات المركز.

أخذ بنزور إلى مُنتصف المساحة الكبيرة المُحاطة بشاشات وامضة سجلت الأموال المُتدفقة داخل وخارج إسرائيل، وهي عصب الاقتصاد في البلاد.

"ماذا تسمع يا بن زور؟" سأل فايسغلاس بعد دقيقة طويلة من الصمت.

كان بن زور في حيرة من أمره، قال: "لا شيء..أنا لا أسمع أي شيء".

"هذا هو بالضبط، لا يوجد شيء نسمعه، لا رد فعل، لن يأتي المُستثمرون الأجانب إلى هُنا لأنهم يخشون حُدوث شيء ما لهم، وهم لا يجلبون المال لأنه ليس من الواضح ما سيحدث غداً، إذا أنتم الشاباك والجيش الإسرائيلي والقوات الجوية لا تفعلون شيئاً، ثم فوق الدماء والحداد والحُزن الرهيب ستواجه هذه الدولة انهياراً اقتصادياً ".

وصلت الرسالة للشاباك إذا لم تنجح عمليات القتل المُنفردة ولم تكن الوكالة بحاجة إلى استراتيجية أوسع للحد من قُدرة حماس والمُنظمات الإرهابية الأُخرى التي استخدمت الانتحاريين، بينما يُفضل ضُباط المُخابرات عادة اعتقال الخُصوم، أخبر أحد مسؤولي الجهاز مجلس الوزراء الأمني أنه عندما تكون السيطرة على المنطقة مفقودة فهذا ليس خياراً وبالتالي، "ليس لديك خيار أن تكون المُدعي العام ومُحامي الدفاع، سواء القاضي أو الجلاد"، لم يحلم أحد بتحقيق نصر كامل أو كان مُتأكداً من شكل ذلك، بل سعى إلى وضع أمني معقول يضمن حياة سلمية نسبياً لمواطني إسرائيل.

عرض مُدير الوكالة آفي ديختر الاستراتيجية الجديدة لشارون والحُكومة خلال سلسلة من الاجتماعات قرب نهاية عام 2001، في البداية كان الوزراء مُترددين لكن في اجتماع بعد الهجوم الإرهابي على حافلة في حيفا والذي قُتل فيه خمسة عشر راكباً همس شارون لديختر **"اذهب واقتلهم جميعاً"**.

29

مفجرون انتحاريون أكثر من عدد السترات الناسفة

حتى نهاية عام 2001 اقتصر الشاباك على استهداف ما كان يُعرف باسم "القنابل الموقوتة" وهم الأشخاص الذين كانوا إما يعملون على التخطيط لهُجوم أو على وشك تنفيذ هُجوم أو الذين شاركوا بشكل مُباشر في مثل هذا السُلوك القائد ومُجنّد الانتحاريين أو صانع القنابل على سبيل المثال.

كان هُناك عدد من المشاكل مع هذا النهج، الأول كان تحديد الأهداف من بين الإمداد اللامتناهي من المُتطوعين، تفاخر المُتحدث باسم حماس بأن "عدد المُفجرين الانتحاريين أكثر من عدد السُترات الناسفة"، هؤلاء الفلسطينيون لا يتناسبون مع أي ملف: كانوا صغاراً وكباراً، متعلمين وأُميّين، أولئك الذين ليس لديهم ما يخسرونه وأولئك الذين لديهم أُسر كبيرة، في البداية كانوا يتألفون من ذُكور بالغين فقط لكن فيما بعد شجع قادة حماس النساء والأطفال على التضحية بأنفسهم أيضاً.

علاوة على ذلك فإن التعرف على المُهاجم بنجاح لا يعني بالضرورة وقف الهُجوم، قد يتتبع المُراقبون ومُوظفو المكاتب والمُترجمون ومُحللو الاستخبارات والتقنيون جميعاً هُجوماً بينما "يتدحرج" في اللغة المهنية للوكالة "تقريباً حتى الانفجار"، لكنهم لم يتمكنوا من إيقافهم لأن إسرائيل لا تستطيع العمل بشكل علني داخل الأراضي المُعادية التي يُسيطر عليها الفلسطينيون، وبحُلول الوقت الذي وصل فيه الانتحاري إلى إسرائيل كان الأوان قد فات بشكل عام.

كان هُناك العديد من الانهيارات العصبية بين هؤلاء المُوظفين والمُراقبين خلال هذه الفترة، اكتشف أحد ضُباط المكتب هجوماً في مايو 2001 على مركز تسوق نتانيا وقام بتنشيط النظام بأكمله لمُحاولة إيقافه، لكن الانتحاري وصل إلى الأراضي الإسرائيلية ولم يتم تحديد مكانه إلا بعد أن قتل نفسه وخمسة مدنيين آخرين، قال مُدير الشاباك ديختر: **"ضابط المكتب**

يجلس هناك وهو يبكي فيما تعرض شاشات التلفزيون حجم الجُثث والدماء جراء العملية، ولكن بحُلول ذلك الوقت يأتي الإنذار التالي وعليه أن يمسح دموعه ويواصل العمل".

مُنذ أن كان اختيار القاذفات الفردية غير فعال قرر ديختر تحويل التركيز. ابتداء من نهاية عام 2001 ستستهدف إسرائيل "البنية التحتية الموقوتة" التي تقف وراء الهجمات.

الشخص الذي فجر نفسه أو زرع القنبلة أو سحب الزناد كان في النهاية مُجرد الحلقة الأخيرة في سلسلة طويلة، كان هُناك مُجندون وسُعاة وشراء أسلحة، بالإضافة إلى أشخاص يحتفظون بمنازل آمنة ويُهربون الأموال، وهي مُنظمة بأكملها يُشرف عليها قادة الخلايا الإقليمية وفوقهم القادة العسكريون الرئيسيون، وهم أنفسهم تابعون للقادة السياسيين للمُنظمات.

سيكونون جميعاً أهدافاً، تم تعليق حُكم مُحتمل بالإعدام على رُؤوس جميع العناصر النشطة في الجناح العسكري لحركة حماس والمعروفة باسم كتائب عز الدين القسام، والجهاد الإسلامي في فلسطين، قال يتسحاق إيلان أحد كبار عُملاء الشاباك في ذلك الوقت ونائب رئيس الوكالة فيما بعد: **"سوف يُدركون بسرعة أنه لم يكن أحداً منهم من ضابط العمليات الإقليمية إلى سائق التاكسي إلى المُصور الذي يصوّر فيديو وداع الانتحاري مُحصناً من التعرض للقتل".**

كان استهداف الانتحاريين بلا جدوى لأنهم بحُكم تعريفهم، قابل للاستهلاك ويمكن استبدالهم بسُهولة، ومع ذلك فإن الأشخاص الذين قاموا بتجهيزهم وتنظيمهم وإرسالهم لم يكونوا كذلك، فهم لم يكونوا مُتحمسين للاستشهاد مثل أولئك الذين تم تجنيدهم، ووجدت المُخابرات الإسرائيلية أن هناك أقل من ثلاثمائة شخص مُتورط بنشاط في تنظيم التُفجيرات الانتحارية، وما لا يزيد عن خمسمائة عضو نشط من جميع الجماعات الإرهابية مُجتمعة.

لن يتم قتلهم جميعاً وأوضح ديختر للجنة الشُؤون الخارجية والدفاع في الكنيست أن **"الإرهاب برميل ذو قاع فليس عليك أن تصل إلى آخر إرهابي لتحييده، يكفي أن تصل إلى كُتلة حرجة وفي الواقع أنت توقفها ".**

طورت إدارة تطوير الأسلحة والبنية التحتية التكنولوجية (DWTI) نموذجاً رياضياً لتحديد مقدار "التكرار" أو احتياطي القوى العاملة في حماس، وأظهرت النتائج أن الاستيلاء على 20 إلى

25% من التنظيم سيؤدي إلى انهياره، قال رئيس DWTI بني إسرائيل: "مثال بسيط هو السيارة":

هناك مُكونات مُهمة وأنت تبنيها مُنذ البداية بدرجة من التكرار، لديك عجلة احتياطية وليس مائة عجلة، وأنت تقود! ثُقب العجل فقمت بتغيير العجلة، وبعد قليل ثقب آخر، هل يُمكنك الاستمرار في القيادة؟ سيكون ذلك أقل احتمالاً.. لماذا لا يُعطونك المزيد من العجلات؟ لأنه يأخذ مساحة ويضيف وزناً زائداً ويحتوي التكرار أيضاً على المُستوى الأمثل".

لنفترض أننا نُريد إيقاف سيارة ووقفنا في مواجهتها ونبدأ في إطلاق النار، أنت تُطلق طلقة واحدة، بشكل عشوائي تماماً، هل ستقف السيارة أم لا؟ يعتمد ذلك على المكان الذي حدثت به الاصابة، يُمكن أن تصطدم الطلقة بحاجز حديدي أو تصطدم بالراديو، السيارة لن تتوقف، أطلق النار مرارا وتكراراً، هل ستقف السيارة أم لا؟ من الواضح أنه في مرحلة ما ستتوقف السيارة على الرغم من أن مُعظمها لم يُصب... لماذا؟ لأنك ستصطدم بأحد الأجزاء المُهمة، وهذا هو بالضبط نموذجناً.

بالطبع سرعان ما يتم استبدال المقتول بأولئك الذين يليهم في الطابور التنظيمي ولكن مع مرور الوقت سينخفض مُتوسط العُمر كما انخفض مُستوى الخبرة حيث شغل الشباب الرُتب، كما قال يتسحاق إيلان: **"ذات يوم عندما تم إحضار قائد الجهاد الإسلامي في جنين إلى غُرفة الاستجواب، وهو رجل أسرناه بالصدفة ولم نقتله سُررت عندما علمت أنه في التاسعة عشرة من عمره، أدركت أننا انتصرنا وأننا أزلنا السلسلة بأكملها التي سبقته ".**

الآن وقد تم تطوير استراتيجية مُتماسكة كان عليهم معرفة كيفية العُثور على هذه الأهداف وقتلها، أبلغ الشاباك رئيس الوزراء شارون أنه مع وجود العديد من الاغتيالات قيد الدراسة فإن كُل الموارد ذات الصلة لدولة إسرائيل ستكون مطلوبة.

اعتاد الفلسطينيون في الأراضي المُحتلة منذ فترة طويلة على سماع صوت الطائرات بدون طيار وهي تُحلق في السماء، "لقد طاروا هُناك جميعاً، قال موشيه يعالون نائب رئيس الأركان

في ذلك الوقت، كانت الطائرات بدون طيار تجمع المعلومات الاستخبارية عبر كاميراتها عالية الدقة، قال يعالون: "**مثل الشمس والقمر كان هُناك ضوضاء ورؤية لطائرات بدون طيار**".

لكن مُعظم المدنيين عرباً وإسرائيليين على حد سواء لم يعرفوا مدى تقدم تكنولوجيا الطائرات بدون طيار في العُقود مُنذ أن استخدمتها إسرائيل لأول مرة، لقد أصبحت الآن أكبر، ويمكنها البقاء في الجو لفترة أطول (تصل إلى ثماني وأربعين ساعة) وكانت تحمل بصريات أكثر تقدماً وحُمولات أثقل تصل إلى طُن من الصواريخ الموجهة بدقة.

في لعبة حرب في أغسطس / آب 2001 لمحاكاة القتال مع سوريا أدرك الجيش الإسرائيلي أنه قادر على مُحاربة ما كان يُنظر إليه آنذاك على أنه التحدي العسكري الأكثر إلحاحاً، ترسانة دبابات الجيش السوري والتي يبلغ عددها الآلاف باستخدام طائرات بدون طيار فقط، قال يعالون: "**كانت لدينا قنابل أكثر من عدد الأهداف في الشرق الأوسط**".

كما فعلت الولايات المتحدة في عملية عاصفة الصحراء والبلقان يمكن لإسرائيل أن تشن حرباً من بعيد، لكن قُدرات إسرائيل كانت أكثر تقدماً من قُدرات الولايات المتحدة، لم يكن لديهم أسلحة دقيقة فقط مثل الصواريخ الموجهة والصواريخ، ولكن لديهم أيضاً طائرات يُمكن أن تقترب جداً من أهدافهم ولديهم احتمال كبير بشكل استثنائي لإصابتها لأن الطائرات بدون طيار يُمكنها ضبط نفسها في مُنتصف الرحلة استجابة للأهداف المُتحركة.

فضل كل من الجيش الإسرائيلي والقوات الجوية الحفاظ على سرية قدراتهما حتى حرب شاملة، ولكن عندما احتج الجيش على مُطالبة شارون باستخدام الطائرات بدون طيار ضد أهداف بشرية وبالتالي كشفها للفلسطينيين، قام رئيس الوزراء بضرب قبضته على مكتبه، قال الجنرال يوآف جالانت: "**لقد قرر أن نظام الأسلحة هذا بدلاً من الغفوة على الرف انتظاراً للحرب التي صُنع من أجلها ولم يحدث ذلك يجب استخدامه ضد العدو الحالي**".

شكلت القوات الجوية فرقة خاصة لتعديل الطائرات بدون طيارٍ سواء في الذخائر أو في تكنولوجيا الاستهداف، يختلف التعرف على دبابة سورية في ساحة المعركة عن مُلاحقة رجل على ظهر حمار يُحاول الهروب من قتلة إسرائيليين وتدمير مركبة مُصفحة يتطلب صاروخاً مُختلفاً عن النوع المُستخدم لقتل شخص أو شخصين دون إبادة مبنى في المدينة، استقرت القوة الجوية على رأس حربي رش مئات من كُتل التنجستن التي يبلغ قطرها ثلاثة مليمترات

والتي يُمكن أن تُمزق من خلال كُتل معدنية وأسمنتية رقيقة ولكن بسبب كثافتها سيتم احتوائها على مساحة قُطرها ستين قدماً.

مع الأسلحة المُناسبة التي تم الاستيلاء عليها من الجيش أصبح الشاباك الآن بحاجة إلى استخباراته أيضاً، أصدر شارون تعليمات لـ أمان، التي كانت أكبر بعدة مرات من الشاباك والموساد الذي كانت علاقاته مع الشاباك غير مُكتملة في أحسن الأحوال بأن يضعوا أنفسهم تحت تصرف الشاباك طالما طلبوا ذلك.

الوحدة 8200، ذراع الاتصالات لأمان خضعت لأكبر تغيير، في السابق تعاملت بشكل أساسي مع أعداء إسرائيل الخارجيين وخاصة سوريا، الآن ركزت العديد من الهوائيات القوية ومُنشآت المُراقبة وأقسام فك الشفرات واختراق الكمبيوتر على الحرب ضد الإرهاب الانتحاري، تم تغيير قاعدة توربان إحدى قواعد الاستماع في الوحدة والتي كانت على وشك الإغلاق في بداية عملية السلام ووضعت بالكامل تحت تصرف الشاباك، أصبحت أكبر قاعدة للوحدة 8200 وخط إنتاج فعال لعمليات القتل المُستهدف.

أمان والقوات الجوية وضعوا أسطولهم من طائرات المُراقبة وفي النهاية أقمار التجسس التي وضعتها إسرائيل في المدار للعمل مع الشاباك، هذا الأسطول الذي تم بناؤه في الأصل لتوفير معلومات ساحة المعركة للوحدات المقاتلة تم تكليفه بمسؤولية مُراقبة الأهداف خلال العملية، قال يتسحاق إيلان: **"يدين الكثير جداً من المواطنين الإسرائيليين بحياتهم للمعلومات المُستمدة من الذكاء البصري وعلى نفس المنوال يُدين الكثير من الإرهابيين بموتهم لتلك المعلومات نفسها".**

وقال موشيه يعلون إن نتيجة كُل هذا كانت "اندماجاً استخباراتياً" وكان "أكثر بكثير من مُجرد تكامل للمواد" كان وضع كُل الأشخاص من جميع الوكالات حول الطاولة في JWR حافزاً لخلق المزيد من الذكاء، قال ديختر، "فجأة مُمثل وحدة 8200 رجل لا يعمل باللغة اليديشية" بعبارة أخرى، وظيفته كمُراقب للهواتف المُعادية تتطلب أمراً باللغة العربية "يسمع الشاباك ضابط الحالة يتحدث بالعربية إلى مصدر فلسطيني ويرتبط بسؤال خاص به، ثم يُخبرنا المُراقبة على الأرض أن الشرير دخل محل بقالة أبو حسن، وسؤال من هو أبو حسن هذا وهل لا يجب أن يرسم أيضاً بألوان الأشرار على الكمبيوتر وما إلى ذلك وهلم جرا، وهذه هي الطريقة التي

بدأ بها JWR في حد ذاته في سياق العمليات ليكون مصدراً تم فيه إنشاء قدر كبير جداً من الذكاء ".

أصبحت تقنية المعلومات في الوقت الفعلي حيوية بشكل خاص لأن الأهداف تعلمت دروسها الخاصة واتخذت الاحتياطات اللازمة لتفادي القتلة، كانوا يتنقلون بسرعة ويُغيرون المركبات وأحياناً يرتدون ملابس تنكرية، "العمر الافتراضي المُستهدف" كان المصطلح التقني للوقت الذي كان من المُمكن فيه تحديد هدف مُعين والتركيز عليه، لقد أصبح قصيرة جداً على الإطلاق أكثر من ساعتين، وغالباً بضع دقائق فقط، فقط النقل السريع جداً للبيانات يُمكن أن يمكّن من الاغتيالات الناجحة لمثل هذه الأهداف سريعة الحركة.

إلى جانب JWR شمل نظام القتل المُستهدف لمكافحة الإرهاب آلاف المُشاركين: ضباط الحالة ومحللو الأنظمة وجُنود المُشاة المُموهون الذين يقومون بمهام المراقبة الأرضية ومُشغلي طائرات المُراقبة بدون طيار ومُشغلي الطائرات بدون طيار والمُترجمين وخُبراء المُتفجرات والقناصة.

ومع ذلك كان لهذا النظام الكبير والمُعقد تسلسل هرمي واضح وصارم حيث يُدير الشين بيت العرض بأكمله أشارت وثيقة داخلية للشين بيت إلى أن "**جهاز الأمن العام [اللقب الرسمي للشين بيت] مسؤول من بين أمور أخرى من خلال بُنود قانون جهاز الأمن العام عن الحفاظ على أمن الدولة، الذي يتحقق فيه هذا الهدف هو منع الهجمات الإرهابية ومنعها عن طريق الضرب الوقائي للهدف** ".

بشكل عام بدأت عملية القتل المُستهدف بجمع عناصر ميدانية للمعلومات وتحديد الهدف، عادةً ما يكون الهدف شخصية بارزة في مُنظمة إرهابية "**شخص يستحق تذكرته في القطار حتى القضاء عليه**" كما قال ديشتر أو أي شخص آخر يستحق استثمار الموارد المطلوبة لقتله، سيتم تجميع ملف استخباراتي حول الهدف وسيتم تسليم هذا الملف إلى نائب المُدير الذي سيُقرر بعد ذلك ما إذا كان الرجل بالفعل مرشحاً مُناسباً للقتل، إذا وافق نائب المُدير ثم المدير على الاغتيال فسيتم تقديم الصفحة الحمراء إلى رئيس الوزراء.

بعد توقيع رئيس الوزراء سيتم توجيه الأسلحة الاستخباراتية التي تعاملت مع المنطقة الجغرافية والمُنظمة الإرهابية المعنية بإيلاء اهتمام خاص للمعلومات التي من شأنها تسهيل الضربة،

كانت هذه المعلومات مُختلفة عن المعلومات حول ما كان الهدف يُخطط له، على سبيل المثال أو من هم شركاؤه، كان يقتصر على المعلومات التي قد تُساعد في تحديد ما إذا كانت هُناك "جدوى تشغيلية" للضربة ويجب جمعها على مدار الساعة.

في اللحظة التي أُتيحت فيها فُرصة التنفيذ سيتم الاتصال برئيس الوزراء مرة أخرى للسماح بالقتل في ذلك الوقت المُحدد، بمُجرد الحُصول على الرأس الثاني حددت مُديرية العمليات التابعة لهيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي "الجهة المُنفذة وطريقة التنفيذ واختيار نوع الذخيرة " بعد مُوافقة رئيس الأركان على الخُطة احتاج JWR إلى تحديدات إيجابية للهدف من مصدرين مُنفصلين على الأقل في مرحلة التأطير.

ثم تم تمرير العصا إلى الجهة المُنفذة وهي عادة القوة الجوية.

من الناحية التخطيطية لم يكن الكثير من نظام القتل المُستهدف الجديد جديداً بشكل أساسي على الإطلاق: قامت القيادة الاستخبارية بجمع المعلومات وأذن رئيس الوزراء ونفذت القوات الميدانية الضربة تماماً كما حدث في السبعينيات والثمانينيات في أوروبا ولبنان، لكن كانت هُناك اختلافات مهمة، كما قال أحد ضباط المُخابرات المُخضرمين إعادة صياغة مارشال ماكلوهان "قابلية التوسع هي الرسالة" مما يعني أن استخدام التكنولوجيا المُتقدمة في حد ذاته خلق واقعاً جديدًا تماماً، أدى تجنيد مجُتمع الاستخبارات بأكمله بمساعدة أفضل أنظمة الاتصالات والحاسوب في العالم جنباً إلى جنب مع التطورات التكنولوجية العسكرية الأكثر تقدماً إلى زيادة كبيرة في عدد الاغتيالات التي يُمكن للنظام تنفيذها في وقت واحد، حتى ذلك الحين كما قال ضابط في الشاباك "استغرق الأمر بالنسبة للموساد أشهر إن لم يكن سنوات لتخطيط وتنفيذ ضربة واحدة، لكن الآن من غُرفة الحرب المُشتركة يُمكننا الركض أربع أو خمس مرات في اليوم".

العمليات التي نُفذت من غُرفة العمليات المُشتركة قتلت أربعة وعشرين مطلوباً في عام 2000، وأربعة وثمانين في عام 2001، ومائة واحد في عام 2002، ومائة وخمسة وثلاثين في عام 2003، على عكس عمليات القتل المُتفرقة التي نفذها الموساد في الخارج لم يكن من المُمكن أن تُنكر إسرائيل أنه كان وراء الاغتيالات.

قال البريجادير جنرال يوسي كوبرفاسر رئيس قسم الأبحاث في أمان: "لم نتمكن من الادعاء بأن هذه العمليات نفذتها الحكومة الفنلندية"، أيضاً كان هُناك دليل مادي: أنقذ الفلسطينيون عدداً من الصواريخ التي لم تنفجر بسبب عُيوب تقنية ووجدوا مختومة عليها الكلمة العبرية ("MIKHOLIT ("Brushlet ، البديل المُضاد للأفراد من ("Mikhol ("Brush صاروخ المُضاد للدبابات.

كما أن انتقاد عمليات القتل المُستهدف داخل إسرائيل وخارجها جعل من الضروري تبرير كُل واحدة منها والكشف عن تفاصيل أفعال الضحايا لإثبات أن لدى إسرائيل سبباً كافياً للرد تدريجياً ما كان يعتبر في يوم من الأيام مدمراً للغاية الاعتراف بالمسؤولية عن الاغتيال أصبح سياسة رسمية في النهاية.

أوضح دوف فايسجلاس أن "الاستمرار في مُحاولة عدم تحمل المسؤولية كان أمراً سخيفًا" بعد دقائق من الضربة كان الفلسطينيون يُخرجون من السيارة شظايا صاروخ يحمل اسم شركة إسرائيلية، أكثر من ذلك أردنا تأثير أكثر رادعاً، ففي كُل ضجيج في السماء فوق قطاع غزة ترى الآلاف يفرون في كُل الاتجاهات، لم يكن لديهم دقيقة سلام، وصل سُكان غزة إلى حالة كان فيها أي شيء يحتوي على إشعاع إلكتروني من هاتف محمول إلى محمصة يبدو لهم وكأنه شيء يُمكن أن يجذب الصواريخ الإسرائيلية "

بدأ الجيش الإسرائيلي في الإدلاء بتصريحات بعد كل إصابة، في الوقت نفسه قام الشاباك الذي كان مُترددأ للغاية حتى بداية الانتفاضة في الحفاظ على الاتصالات مع وسائل الإعلام، بتوزيع مُقتطفات من مُلخصات الصفحة الحمراء ذات الصلة لمواد حول أفعال القتيل على وسائل الإعلام المُختلفة، كانت إسرائيل الآن تُعيد ترتيب سياسة الاتصالات بالكامل وبذلك كانت تخوض في الواقع حرباً دعائية.

ذلك يتطلب شرح بل وإبراز ما كان يُعتبر من أسرار الدولة مُنذ فترة طويلة لغة جديدة وعبارات ملطفة جديدة، كلمة "الانتفاضة" بإيحاءاتها للانتفاضة الشعبية على سبيل المثال تم استبدالها بـ "حرب المُفجرين الانتحاريين"، أصبح مقتل مدنيين أبرياء خلال عملية اغتيال يُعرف باسم "الضرر العرضي" والذي أصبح بمرور الوقت الاسم المُختصر NAZA.

قال مسؤول كبير في مكتب رئيس الوُزراء: "اغتيال" أو "تصفية" أو "قتل" أو إقدام على فكرة "القتل" كانت كلها مُزعجة للغاية وليس من المُناسب لنا استخدامها، لذلك بحثنا عن المُصطلحات التي تم إزالتها خطوة واحدة وخالية من المشاعر وعقيمة، والتي تعبر عن الشر الذي كُنا نحاول منعه من خلال فعل ما فعلناه،" في البداية استخدموا "PAAMON" والتي تعني "الجرس" ولكنها أيضاَ اختصار لـ "الإجراء الوقائي" لكن ذلك لم يكن جذاباً بدرجة كافية، بعد ذلك تم تجاهل عدد قليل من المُقترحات الأخرى بما في ذلك كلمات الشفرة التي استخدمها مُجتمع الاستخبارات مُنذ فترة طويلة مثل "المُعالجة السلبية" أخيراً اختاروا مصطلح sikul memukad Hebrew لوصف "الإجراءات الوقائية المُستهدفة"، العبارة التي تحتوي في اللغة العبرية على نوع من التكنولوجيا المُتطورة والصوت النظيف تنقل كُل ما تُريد مؤسسة الدفاع أن تُشير إلى العالم الخارجي.

—

على الرغم من أن هذه الرسائل الإلكترونية قد تكون مُفيدة للعلاقات العامة إلا أنه لم يكن واضحاً ما إذا كانت حملة إسرائيل الجديدة المفتوحة من عمليات القتل خارج نطاق القانون سواء كانت "اغتيالات" أو "أعمال وقائية مستهدفة" قانونية.

وليس من المُستغرب أن بعض أهالي الفلسطينيين المقتولين وضحايا "الأضرار العرضية" لم يصدقوا ذلك، لقد استعانوا بُمساعدة جمعيات حُقوق الإنسان ومُحامين إسرائيليين يساريين ليبراليين ذوي خبرة لتقديم التماس إلى المحكمة الإسرائيلية العُليا لإصدار أمر بالتحقيق مع المسؤولين ومُقاضاتهم، أو على الأقل لحظر استخدام الاغتيالات والأمر بأن التشريع العادي لإنفاذ القانون هو الوحيد الذي يجب أن يكون ينطبق على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

لم تقتصر مُعارضة السياسة على أهدافها أيضاً، اللواء أهارون زئيفي فركش رئيس أمان على سبيل المثال لم يُعارض الاغتيال من حيث المبدأ لكنه اعتقد أنه كان قصر نظر بشكل خطير، وقال: "كُل قرار وكُل اعتبار وكُل إشارة إلى كُل موضوع تم فحصها من قبل مجلس الوزراء فقط من خلال عدسة سياسة القتل المُستهدف، فجأة الشاباك الذي اكتسب قوة هائلة كان أول من يتم استشارته بشأن كل شيء، اعتقدت أن هذا كان يُشكل مُشكلة ."

والأكثر إثارة للدهشة أن الرئيس السابق للشاباك عامي أيالون الذي سمح بإصلاحه لأنظمة المُخابرات والعمليات ببدء برنامج الاغتيال الجديد كان يُجادل بأن الشاباك كان يقتل الناس دون التفكير أولاً في الأحداث السياسية والدولية ذات الصلة وأنهم فشلوا في فهم متى ستخمد عملية الاغتيال نيران الصراع ومتى ستُشعلها.

في 31 يوليو/ تموز 2001 على سبيل المثال أطلقت طائرات بدون طيار للجيش الإسرائيلي عدة صواريخ على مكتب جمال منصور عضو الذراع السياسية لحركة حماس والقيادي الطُلابي في جامعة النجاح في نابلس ورئيس معهد أبحاث فلسطيني.

استشهد مع أحد مُساعديه وستة مدنيين فلسطينيين آخرين بينهم طفلان، وجاء في بيان المُتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أنه على الرغم من كونه شخصية سياسية وإعلامية إلا أنه مُتورط في الإرهاب وانه نظم عمليات انتحارية، استدعى عامي أيالون قيادة الشاباك وسأل مسؤولاً رفيع المُستوى هناك عما إذا كانوا قد أصيبوا بالجنون، "لماذا أصدر هذا الرجل قبل أسبوعين فقط بياناً قال فيه إنه يؤيد وقف الهجمات الإرهابية وأنه يجب إعطاء فُرصة لعملية السلام!"

ورد المسؤول بأنهم ليسوا على علم بمثل هذا التصريح، قال أيالون غاضباً "**ماذا يعني ذلك؟ لستم على علم بذلك؟ كُل الصحف الفلسطينية غطته! العالم كله واعي!** "

اغتيال آخر لم يوافق عليه أيالون كان اغتيال رائد كرمي أحد قادة تنظيم ميليشيا فتح المُسلحة، بدأ التنظيم في تنفيذ عمليات إرهابية وكانت الصفحة الحمراء للكرمي تطول بسبب قتلها للتُجار والمُستوطنين والجُنود الإسرائيليين في الأراضي المحتلة، وكان الكرمي قد نجا من عدة محُاولات اغتيال واتخذ احتياطات غير عادية أثناء قيامه بعمله.

في النهاية وجد الشاباك نقُطة ضعف، اعتاد الكرمي أن يقوم بزيارات مُنتظمة بعد الظُهر لعشيقته، زوجة أحد مرؤوسيه حيث يسير دائماً على نفس الممر على طول الجدار حول مقبرة نابلس ويُعانق الجدار خوفاً من أن تحُلق طائرة إسرائيلية بدون طيار في سماء المنطقة، ذات ليلة استبدل نُشطاء الطيور إحدى حجارة الجدار في ذلك المسار بأُخرى جديدة مليئة بمواد مُتفجرة قوية، في اليوم التالي بينما كان الكرمي مُتجهاً إلى زيارة عشيقته تم تفجير القُنبلة بجهاز التحكم عن بعد وقُتل على الفور.

لم يشك أيالون في أن الكرمي مُتورط في الإرهاب لكنه قال إن التوقيت الذي تم اختياره في خضم مُبادرة أمريكية مُكثفة لوقف إطلاق النار والتي أعلن عرفات دعمه لها، وهذا يُمثل خطأ وفي الواقع جعل العمل غير قانوني، "قواعد الحرب موجودة من أجل جعل نهاية الحُروب مُمكنة ولضمان عدم استمرارها في التصعيد، يُحظر تنفيذ أعمال شبيهة بالحرب عندما يكون من الواضح أنها ستجعل نهاية الصراع أكثر بعداً" وزعم أيالون أنه في أعقاب مقتل الكرمي أصبحت فتح مُتورطة بشكل أعمق في الإرهاب وبدأت حتى في تنفيذ هجمات انتحارية.

وقال رئيس الشاباك ديختر لأيلون إنه، أيالون لم يكن على دراية بالمُخابرات وأن كرمي مُتورط في التخطيط لهجمات وأنه لا هو ولا عرفات لديه أي نية صادقة لوقف الإرهاب، في ظل غياب أُذن مُتفهمة في الشاباك استدعى أيالون وزير الدفاع في حُكومة شارون بنيامين "فؤاد" بن العيزر ووبخه بصوت عالٍ: **"الولايات المتحدة وزير الخارجية كولن باول من المُقرر أن يأتي في زيارة وعرفات يبحث عن فُرصة لاستئناف عملية السلام، لقد أصدر أمراً لجميع قواته بمنع الهجمات الإرهابية".**

ونقل أيالون عن معلومات استخبارية حديثة أن أمر عرفات كان له تأثير على الجدل الداخلي في فتح الذي تورط فيه كرمي نفسه، "ماذا لو أراد الشاباك قتله؟ لماذا كان من الضروري قتل أحد رجال عرفات بالضبط في هذا الوقت؟ فقط لأن هُناك فُرصة تشغيلية؟ "

قال له بن العيزر بحسب رواية أيالون "ماذا تُريد مني؟ إنه ديشتر المجنون "، أجاب أيالون: "أنت وزير الدفاع وليس ديختر إنها مُكالمتك وليست مُكالمته ".

قال أيالون لاحقًا: "إنني أسميها تفاهة الشر" وهذا المُصطلح مستعار من مُلاحظة "حنة أرندت" حول ما يحدث عندما يُوضع الناس العاديون في مواقف فاسدة تُشجعهم على الامتثال، **"تعتاد على القتل وتصبح حياة الإنسان شيء عادي يسهل التخلص منه، تقضي ربع ساعة وعشرين دقيقة في من تقتل، عن كيفية قتله: يومين ثلاثة أيام، أنت تتعامل مع تكتيكات وليس الآثار ".**

—

على الرُغم من أن الإسرائيليين لم يولوا الاعتبار الكامل للآثار الأخلاقية للبرنامج الجديد فقد كانوا مُدركين أنهم بحاجة إلى توفير غطاء قانوني للضُباط والمرؤوسين الذين قد يواجهون لاحقًا المُحاكمة سواء في إسرائيل أو في الخارج، في أوائل كانون الأول (ديسمبر) 2000 استدعى رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي شاؤول موفاز رئيس هيئة المُحامي العام العسكري اللواء مناحيم فنكلستين إلى مكتبه.

قال موفاز لفينكلشتاين: "أفترض أنك تعرف أن إسرائيل تتبع سياسة" المُعاملة السلبية "في بعض الأحيان، في الوضع القانوني الحالي هل يجوز لإسرائيل أن تقتل علانية أفراداً محُددين مُتورطين في الإرهاب؟ هل هو قانوني أو غير قانوني؟"

ذُهل فنكلستين "هل تدرك ما تسألني رئيس الأركان؟" رد "أن المحامي العام للجيش الإسرائيلي سيخُبرك متى يُمكنك قتل الناس دون مُحاكمة؟"

موفاز أدرك ذلك تماماً وسأل مرة أخرى: هل من القانوني اغتيال الإرهابيين الفلسطينيين المُشتبه بهم؟

أخبره فينكلشتاين أنها مسألة حساسة ومُعقدة تتطلب دراسة مُقارنة للقوانين في جميع أنحاء العالم وربما حتى اختراع مفهوم قانوني جديد تماماً قال أخيراً ونقلاً عن شيشرون: " في زمن الحرب يسكت القانون".

ومع ذلك فقد أمر فريقاً من المُحامين الشُباب اللامعين في جيش الدفاع الإسرائيلي باكتشاف حل، في 18 كانون الثاني (يناير) 2001 تم تقديم رأي قانوني سري للغاية وقعه فينكلشتاين إلى رئيس الوزراء والمُدعي العام ورئيس الأركان ونائبه ومُدير الشاباك، تحت عُنوان "الضرب على الأشخاص المُتورطين مُباشرة في الهجمات ضد الإسرائيليين" افتُتحت الوثيقة بهذا البيان: "في إطار هذا الرأي شرعنا لأول مرة في تحليل مسألة شرعية المنع الذي بدأ" تلطيف آخر هو "الإجراءات التي اتخذها الجيش الإسرائيلي، لقد أخبرنا الجيش الإسرائيلي والشين بيت أن مثل هذه الأعمال يتم تنفيذها من أجل إنقاذ حياة المدنيين الإسرائيليين وأفراد قوات الأمن، هذا إذن، من حيث المبدأ، هذا نشاط يعتمد على الأساس الأخلاقي للقواعد المُتعلقة بالدفاع عن النفس، حالة "من يأتي ليقتلك، يقوم مُبكراً ويقتله أولاً".

ولأول مرة تم اقتراح صك قانوني لتأييد الإعدام خارج نطاق القضاء من قبل قوات الأمن، وأشار الرأي إلى أن مؤلفيه بذلوا قصارى جهدهم لإيجاد "التوازن بين حق الإنسان في الحياة وواجب السُلطات الأمنية في حماية مواطني الدولة".

بالنسبة لفينكلشتاين كانت لحظة صعبة، رجل متدين ضليع في الكتاب المُقدس كان يُدرك بشكل مؤلم أن الله منع الملك داود من بناء الهيكل لأنه قتل الكثير من الأعداء نيابة عن شعب إسرائيل، تساءل فينكلشتاين عما إذا كان سيُعاقب يوماً ما، قال: "**قدمت الرأي ويدي ترتجف، كان من الواضح أن هذه ليست مسألة نظرية وأنهم سوف يستفيدون منها**".

أعاد الرأي بشكل أساسي ضبط العلاقة القانونية بين إسرائيل والفلسطينيين، لم يعد الصراع مسألة تتعلق بإنفاذ القانون حيث تقوم الشرطة باعتقال المُشتبه بهم حتى يُمكن أن يواجهوا المحاكمة، وبدلاً من ذلك كانت الانتفاضة "نزاعاً مُسلحاً لا يرقى إلى مُستوى الحرب" ولكن تنطبق عليه قوانين الحرب، وقد سمحت تلك القوانين بضرب العدو أينما كان بشرط التمييز بين المُقاتلين والمدنيين.

في الحُروب الكلاسيكية يكون هذا التمييز سهلاً نسبياً: أفراد القوات المُسلحة للخصم طالما أنهم في الخدمة أهداف مشروعة، لكن في المواجهة بين إسرائيل والفلسطينيين كان التمييز أصعب بكثير، من هو العدو؟ كيف يُمكن التعرف عليه؟ متى، على كل حال، يتوقف عن كونه العدو؟

افترض الرأي نوعاً جديداً من المُشاركين في النزاع المُسلح: "**المقاتل غير الشرعي**" الذي يُشارك في العمليات المُسلحة ولكنه ليس جندياً بالمعنى الكامل للكلمة، ويشمل المُصطلح كُل من ينشط في مُنظمة إرهابية حتى لو كان نشاطه هامشيا، طالما أنه عُضو نشط في المُنظمة يمكن اعتباره مُقاتلاً حتى عندما يكون نائماً في سريره على عكس جُندي في إجازة خلع زيه العسكري.

أدى هذا التفسير المُوسع لمُصطلح "المقاتلين" في مناقشات مطولة في قسم القانون الدولي (ILD) التابع لفيلق المُحامي العام العسكري في جيش الدفاع الإسرائيلي إلى قضية تسمى "سؤال الطبخ السوري": إذا كانت إسرائيل في حالة حرب عادية مع سوريا يمُكن قتل أي مُقاتل سوري بشكل شرعي حتى لو كان طاهياً في الجيش في الصف الخلفي، من خلال هذا المعيار إذن وبالنظر إلى التعريف الواسع لـ "المُقاتل غير الشرعي" في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني

يُمكن افتراض أن أي شخص يُساعد حماس سيُصبح هدفاً أيضاً، قد يشمل ذلك امرأة غسلت ملابس انتحاري قبل أن ينطلق في مُهمته أو سائق سيارة أُجرة كان ينقل الناشطين عن قصد من مكان إلى آخر.

هذا وفقا للرأي كان متطرفاً جداً، ونص الرأي على أنه لا يُمكن استهداف سوى من توفرت عنهم "معلومات دقيقة وموثوقة بأن الشخص المعني نفذ هجمات أو أرسل مُهاجمين"، علاوة على ذلك لا يمكن استخدام الاغتيال كعُقوبة على أفعال سابقة ولا كرادع للمُقاتلين الآخرين، يمكن استخدامه فقط عندما "يكاد يكون من المُؤكد أن الهدف سيستمر في المُستقبل في تنفيذ مثل هذه الإجراءات".

وشدد الرأي على أنه كُلما كان ذلك مُمكنا من الأفضل إلقاء القبض على شخص ما على قتل شخص ما خاصة في المناطق التي يُسيطر عليها جيش الدفاع الإسرائيلي، على عكس الجنود المُحترفين في الحرب النظامية، لم يتمتع المُقاتلون غير الشرعيين بالحصانة الجنائية أو وضع أسير الحرب لذلك لا يزال من المُمكن اعتقالهم ومُحاكمتهم في الإجراءات الجنائية العادية.

عندما يكون القتل ضرورياً يجب تطبيق مبدأ "التناسب"، نص الرأي على أنه يجب احتواء أي قتل قدر الإمكان بحيث "لا تتجاوز الخسائر في الأرواح والأضرار التي تلحق بالمُمتلكات المُرتبطة بالعمل التشغيلي" المزايا العسكرية المتوقعة من العملية.

أخيراً يُمكن لرئيس الوزراء أو وزير الدفاع فقط التوقيع على الصفحة الحمراء.

وقد رحب الضُباط الإسرائيليون بالوثيقة مع على مضد، وقال نائب مُدير الشاباك ديسكين "لقد كان ختم تأكيد بأننا نعمل وفقاً لمعايير القانون الدولي"، في عام 2003 قدمت الدولة نُسخة غير سرية من الرأي إلى المحكمة العُليا والتي أكدتها في عام 2006.

لكن بينما كان من المُمكن أن يكون فنكلشتاين قد جعل إسرائيل تلتزم بالقانون الدولي كان الرأي الدولي مسألة أُخرى تماماً.

احتفظ رئيس الوزراء شارون في مكتبه بكتيب كان يسحبه من حين لآخر لمُشاركته مع الدبلوماسيين الزائرين، لقد استلمها من شُرطة إسرائيل وهي تحتوي على صور مُلونة لحافلة بعد دقائق من تفجير إرهابي انتحاري داخلها، وتناثرت الجُثث المقطوعة والأطراف البشرية في كُل زاوية، جردت النيران ملابس الضحايا وصبغت جلدهم ببُقع خضراء وزرقاء، قال دوف

فايسجلاس رئيس أركان شارون والمُقرب منه: "**عندما جاء أحد هؤلاء الدبلوماسيين المُزعجين للتحدث إلينا مرة أُخرى حول القضاء على هذا الإرهابي أو ذاك كان أريك يجبر الشخص على النظر، لقد كان يتصفحها صورة بعد صورة، يُشاهد عيونهم تتسع وهم يرون فظائعها، لم يسمح لهم حتى بجسد واحد أو رقبة مقطوعة الرأس، عندما انتهى سأل بهدوء "أخبرني الآن: هل ستكون مُستعداً لحدوث مثل هذا الشيء في بلدك؟**"

لتزويد شارون بمزيد من المواد لعرضها على الدبلوماسيي، اشترى طاقم فايسغلاس صوراً من وكالة أنباء فلسطينية تُظهر إعدام العرب للاشتباه في تعاونهم مع إسرائيل، كان بعضهم في الواقع من عُملاء الشاباك وبعضهم مُجرد ضحايا لتصفية الحسابات الحاقدة، تم تنفيذ عدد قليل من عمليات الإعدام المُصورة بواسطة محمد تبوح زعيم عصابة محلية يُلقب بهتلر بسبب قسوته، قال فايسجلاس: "**كان يُطلق عليهم الرصاص كالكلاب مع حشد قاتل من حوله، بدا الفلسطينيون وكأنهم عصابة مهووسة فوضوية**".

لم يُشارك شارون بالطبع في أي استطلاع لآثار الهجمات الإسرائيلية، وعلى أي حال لم تكن مُساعداته البصرية ذات فائدة تُذكر في نهاية المطاف: استمر بقية العالم في انتقاد برنامج القتل المُستهدف وكذلك التوسع العدواني الذي قام به شارون للمُستوطنات اليهودية في الأراضي المُحتلة، جادل دبلوماسيون من عشرات الدول بأن هنُاك صلة بين هاتين السياستين وإراقة الدماء الإسرائيلية في الشوارع، حتى الولايات المُتحدة اعتبرت سياسة القتل المُستهدف غير شرعية إن لم تكن جريمة حرب صريحة والمستوطنات استفزاز لا داعي له.

رفض شارون هذه المزاعم بشكل قاطع وقال: "مُشكلتي هي أنني ولدت منذ زمن بعيد قبلكم بوقت طويل، وأذكر آلاف اليهود الذين قُتلوا على يد العرب قبل الاحتلال، نعم لا توجد علاقة بين الأمرين".

ومع ذلك فقد أدرك أنه يجب إبرام اتفاق ما مع الولايات المُتحدة إذا كان لديه أي أمل في تهدئة بقية العالم، وقال شارون "إذا كان هُناك درس واحد تعلمته من تلك الفترة" في إشارة إلى ولايته كوزير دفاع في الثمانينيات، "**لم يكن الدخول في قتال مع الأمريكيين**".

لحُسن الحظ كان لشارون على علاقة بالرئيس جورج دبليو بوش الذي تولى منصبه في نفس الوقت الذي كان فيه، جاء بوش إلى إسرائيل في تشرين الثاني (نوفمبر) 1998 بعد فترة وجيزة من إعادة انتخابه حاكماً لولاية تكساس، في زيارة نظمها رجال الأعمال الجُمهوريون اليهود من

تكساس كنُقطة انطلاق نحو البيت الأبيض، في ذلك الوقت كان شارون لا يزال منبوذاً سياسياً لكنه قام مع الحاكم بوش بجولة في البلاد في مروحية، ألقى شارون مُحاضرة على المُحافظ حول التهديدات الأمنية التي تواجه إسرائيل وألقاه بقصص مآثره العسكرية، في النهاية كان بوش مُقتنعاً بأن "شارون رجل يُمكنه الوثوق به" كما قال فريد زيدمان أحد الرجال الذين نظموا الرحلة، تأثر المُحافظ بشدة بالجولة وشدد مراراً وتكراراً "من الصعب تصديق كم هي دولة من تكساس كم هي إسرائيل صغيرة، كم كان عدد السُكان صغيراً، وما كان على مدار التاريخ وخطوط العدو والمراكز السكانية".

بعد عامين ونصف ومُباشرة بعد فوزه الساحق، سافر شارون إلى واشنطن أخبر المُساعدون الذين أجروا الزيارة نظرائهم الأمريكيين عن مدى شك شارون في الولايات المتحدة وكيف تأثر بموقفها تجاهه شخصياً خلال العقدين الماضيين، استمع الرئيس بوش إلى التقارير وأمر ببذل كُل ما في وسعه لجعل شارون يشعر بالترحيب: اجتماعات مع جميع كبار مسؤولي الإدارة والضيافة الرئاسية في بلير هاوس، وحرس الشرف، وتحية مدفع العشرين، يتذكر مُستشاره للشُؤون الخارجية شالوم ترجمان أن "شارون كان في السحاب، حتى هو المتشكك والساخر في أنه كان لا يُمكن إلا أن يتأثر بهذه المُعاملة وأدرك أنهم يُريدون حقاً العمل معه".

في النهاية عرض فايسجلاس فكرة على شارون. قال: "أريك، **أي دفء ودعم وصداقة قد تكسبها من حُكومة الولايات المُتحدة في دورك كمُحارب ضد الإرهاب يتلاشى عندما ترتدي قُبعة المُستوطنين الضخمة، كلما أظهر المزيد من الامتثال للمطالب الأمريكية بوقف مشروع الاستيطان كُلما زاد تراخي الأمريكيين عندما يتعلق الأمر بإخراج الأشرار** ".

توصل فايسجلاس مع شارون إلى صفقة سرية مع مُستشارة الأمن القومي الأمريكية كوندوليزا رايس ونائبها ستيفن هادلي: ستُقلص إسرائيل بشكل كبير بناء مُستوطنات جديدة مُقابل الدعم الأمريكي للحرب مع الفلسطينيين وسياسة القتل المُستهدف الإسرائيلية.

قال فايسجلاس: "بعد ذلك كان هُناك عدم تناسب تام"، من ناحية لم تكن إجراءاتنا الصارمة ضد الفلسطينيين عبارة عن توبيخ، أو في بعض الأحيان تعبيراً إلزامياً عن الأسف في حالة إصابة الأبرياء، ومن ناحية أخرى أي منشور حتى في بعض المُدونات اليمينية الهامشية حول تسوية مُخطط لها سأتلقى مُكالمة هاتفية في وقت مُتأخر من الليل من كوندليزاراس" للتوبيخ...

في اللحظة التي حصل فيها الرئيس بوش على تأكيد من مُمثليه في إسرائيل والأراضي بأن شارون مُلتزم بكلمته تعمق بشكل كبير التعاون العملياتي والاستخباراتي بين البلدين، على الرغم من أنه لا يزال هُناك قدر كبير من الانتقادات التي وجهتها دول في أوروبا إلا أن الولايات المُتحدة استخدمت باستمرار حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي لعرقلة محُاولات إدانة إسرائيل لعمليات الاغتيال، في النهاية استسلمت الدول العربية ببساطة وتوقفت عن تقديم الالتماسات حول هذا الموضوع.

في 11 سبتمبر طار الخاطفون الجهاديون طائرتين إلى مركز التجارة العالمي وثالثة إلى البنتاغون، وتحطمت طائرة رابعة في أحد حُقول بنسلفانيا بعد أن تغلب الرُكاب على الخاطفين.

وقال الميجر جنرال جيورا ايلاند رئيس مجلس الامن القومي الاسرائيلي "في ضربة واحدة توقفت الشكاوى ضدنا، لقد خرجت ببساطة من جدول الأعمال الدولي".

عقود من محُاولة إسرائيل شرح إجراءاتها الصارمة لبقية العالم أصبحت فجأة غير ضرورية، بدا أن الجميع يفهمون ذلك لبعض الوقت، أمر شارون أجهزة المُخابرات على الفور بإعطاء الأمريكيين جميع ملفات "Blue Troll"، الاسم الرمزي لتطوير القاعدة في السودان وغيرها من المعلومات الاستخباراتية ذات الصلة، في وقت لاحق أمر الشاباك والجيش الإسرائيلي بمُشاركة تجربتهما مع الضيوف الذين قدموا من الخارج للتعلم من البلاد مع أفضل برنامج لمُكافحة الإرهاب في العالم.

قال ديسكين الذي استضاف كبار الضُيوف "كان هناك تيار من الناس يصلون إلى هنا، أصدر شارون تعليمات في إطار علاقته ببوش "ليُطلع الأمريكيين على كل شيء ويمنحهم الكثير ويسمح لهم بالدخول إلى كل مكان بما في ذلك غُرفة الحرب المُشتركة حتى أثناء عمليات الاعتراض، كان الأمريكيون مُهتمين أكثر بمعرفة كيفية عمل نظام الاغتيال المُتكامل لجميع الأسلحة الاستخباراتية وكيف طورت إسرائيل القُدرة على تنفيذ عدد من العمليات في وقت واحد، كان النظام الذي تم إدانته دولياً قبل أسابيع فقط نموذجاً يُمكن نسخه.

قال ديسكين: "**لقد أعطت هجمات 11 سبتمبر حرباً شرعية دولية مُطلقة، تُمكنا تماماً من فك الحبال التي كانت تربطنا**".

30

"تم القضاء على الهدف ولكن العملية فشلت"

عندما كان أفي ديتشر حالة شابة في الشاباك استجوب رجل يُدعى صلاح شحادة، عامل اجتماعي من قطاع غزة كان شحادة يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً من بلدة بيت حانون شمال قطاع غزة، حيث كان طالباً لامعاً، تم قبوله في الدراسات الهندسية والطبية في جامعات في تركيا والاتحاد السوفيتي، لكن عائلة شحادة كانت فقيرة وكان عليه أن يقبل بدراسة العمل الاجتماعي في الإسكندرية بمصر، عندما تخرج حصل على وظيفة في العريش، في شبه جزيرة سيناء بالقرب من الحُدود مع غزة، كان هذا هو المكان الذي لاحظه ديختر لأول مرة في عام 1977 قال ديختر: "كان مختلفًا". "كان حسن المظهر ومهيباً، ويحمل نوعاً من حقيبة جيمس بوند، إجمالا كان له انطباع جيد ". اعتقد ديختر أنه قد يكون قادراً على تجنيد شحادة كوكيل أو مُتعاون.

لم يأت شيء من اجتماعهم.

بعد خمس سنوات في الخدمات الاجتماعية انضم شحادة إلى هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في غزة وأصبح فيما بعد عميداً للطُلاب وعمل أيضاً خطيباً في أحد مساجد المدينة، وفي سياق نشاطاته التقى الشيخ أحمد ياسين مُؤسس حركة حماس، وأصبح الاثنان قريبين جداً، كان شحادة مفتوناً بكاريزما ياسين ومعرفته ورؤيته لتأسيس ثيوقراطية إسلامية في كُل فلسطين، وجد ياسين في شحادة رجلاً يتمتع بمهارات قيادية وإدارية رائعة.

كشف ياسين لشحادة السر الكبير: أنه تحت عباءة العمل الاجتماعي والنشاط الديني كان يخُطط لإنشاء جهاز إرهابي عسكري للعمل ضد إسرائيل، تم تعيين شحادة قائداً لهذا المشروع، تم اعتقاله في حملة الشاباك الأولى ضد حماس (التي كانت تعمل تحت اسم آخر في ذلك الوقت) في عام 1984 وأُدين وأفرج عنه بعد ذلك بعامين، واعتقل مرة أخرى عام 1988 وأُدين

بعدد كبير من الجرائم المُتعلقة بالإرهاب وحُكم عليه بالسجن عشر سنوات، ولكن حتى من السجن كان يقود الجناح العسكري لحركة حماس.

في سبتمبر 1998 أكمل عُقوبته لكنه احتُجز في الاعتقال الإداري بعد ذلك الإجراء المثير للجدل الشبيه بسجن الولايات المُتحدة للمُعتقلين دون مُحاكمة في غوانتنامو؛ إطلاق سراحه بحسب الشاباك، سيكون "خطراً مُباشراً ومؤكداً على أمن المنطقة"، سنواته الطويلة في السجون الإسرائيلية أعطته مكانة البطل في غزة.

في عام 2000 ناشدت السُلطة الفلسطينية إسرائيل لإطلاق سراح شحادة وبعض رفاقه في مُحاولة لكسب وحد حماس والرأي العام الفلسطيني بمن فيهم أعضاء حماس الذين حظوا بشعبية كبيرة، قالت السُلطة الفلسطينية للإسرائيليين إن صلاح شحادة رجل براغماتي إداري ذو خلفية إنسانية على عكس الشيخ أجمد ياسين الأكثر تطرفاً.

لقد كان وقت أمل كبير قبيل قمة كامب ديفيد، ايهود باراك وياسر عرفات كانا على اتصال وثيق مع بعضهما البعض مُحاولين تسريع عملية السلام، أرادت إسرائيل أن تُقدم بوادر حسن النية حتى تتمكن السلطة الفلسطينية من كسب المُتشككين من جانبهم، نشاط حماس كان أيضاً في انخفاض غير مسبوق بفضل نجاحات الشاباك.

وافقت إسرائيل على الطلب، وقع شحادة على تعهد بعدم العودة إلى النشاط الإرهابي وهو أمر معتاد بالنسبة للسجناء الذين تطلقهم إسرائيل ووقفت السلطة الفلسطينية كضامن.

في وقت لاحق قد يبدو أن الإسرائيليين الذين وافقوا على إطلاق سراحهم كانوا ساذجين قال عميل سابق في الشاباك: "لكن شعورنا في ذلك الوقت كان أن هناك أمل حقيقي".

تجنب شحادة الأنشطة غير القانونية لمدة أربعة أشهر بعد إطلاق سراحه ولكن بعد ذلك اندلعت الانتفاضة وعاد إلى ساحة المعركة، "منذ ذلك الحين بحسب ملف الشاباك، أصبحت مواقف شحادة أكثر تطرفاً وتحول إلى أنشطة التحريض والتوجيه والمُشاركة في تخطيط وتنفيذ عمليات إرهابية قاتلة وفي القيادة المُسلحة لمنظمة حماس ".

بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً من مُحاولة آفي ديختر تجنيد شحادة كان الشاباك يبني ملفاً سميكاً عن الرجل الذي أطلق عليه اسم حامل العلم، التقى الاثنان عدة مرات خلال سنوات

سجن شحادة (وخلالها وتحت أنواع مُختلفة من الإكراه أبلغ أيضاً عن زملائه السجناء) قال ديشتر إن شحادة كان "الشخص الذي شكل التهديد الرئيسي لنا أكثر من ياسين، على عكس ياسين فقد تلقى تعليمه ولديه خبرة في الإدارة الأمر الذي منحه قُدرة تشغيلية غير عادية".

بدأ شحادة وأشرف على تطوير تقنيات قتالية جديدة مثل إطلاق قذائف الهاون على المركبات المُدرعة في مسار مُسطح واستخدام العبوات الناسفة ضد الدبابات، لقد ابتكر طُرقاً جديدة لنشر الانتحاريين باستخدام القوارب المُفخخة وشاحنات الصهاريج المُفخخة، كما كان مسؤولاً عن إطلاق صاروخ قسام بشكل كثيف والذي غيّر طريقة قتال حماس لإسرائيل، لقد فهم رئيس الشاباك في المنطقة الجنوبية أهميته: "هو نفسه بفمه يعُطي أوامر ملموسة لتنفيذ الهجمات، ويضع سياسات إرهابية ويُصدر تعليمات بشأن موعد وقوع الهجمات، هو القوة الدافعة هو الهجمات ".

وبحسب ملف الشاباك فقد تورط شحادة بشكل مباشر في الهجمات التي أسفرت عن مقتل 474 شخصاً وإصابة 2649 بين يوليو / تموز 2001 ويوليو / تموز 2002، وقد وُضِع تحت المراقبة المُكثفة ولكن نظرًا لأن شحادة عمل خارج غزة لم يكن من المُمكن لإسرائيل اعتقله، ولم تُظهر السُلطة الفلسطينية أي استعداد لفرض ضمانها بأن شحادة لن يهاجم الإسرائيليين.

لذلك تم وضع اسم شحادة على صفحة حمراء وتم تنفيذ عملية حامل العلم.

في أي مُهمة قتل مُستهدفة قبل سحب الزناد كان لا بد من تأكيد هوية الشخص على وشك القتل من قبل مصدرين مُستقلين في الوقت الفعلي، صُممت عملية "التأطير" لضمان وفاة الشخص المُناسب "وليس صديقه أو شقيقه أو شريكه أو أحد المارة" قال آفي ديختر: لقد استثمر الشاباك وأمان والقوات الجوية جهوداً ضخمة في ضمان ذلك، أنه لن يكون هُناك أي أخطاء، كرر ديختر مراراً وتكراراً: "يجب ألا نسمح بحُدوث ليلهامر آخر"، في العديد من المُناسبات أجهض قادة JWR المهام بدلاً من المُخاطرة بضرب الرجل الخطأ.

في المُمارسة العملية كان "تأطير" هدف أكثر صُعوبة مما قد يبدو، في كثير من الحالات كان أحد المصدرين المطلوبين هو عميل فلسطيني يعرف الهدف وكان عليه تحديد هويته من موقع مخفي في المراحل الأخيرة من العملية، كان للشين بيت ووحدة أمان504 مصادر عديدة لكن "هؤلاء الرجال لم يكونوا الحاخامات الرئيسيين لدينا،" قال ديختر مُشيراً إلى أن معاييرهم الأخلاقية بصفتهم خونة لشعبهم وأصدقائهم تركت شيئاً مطلوباً، كان علينا أن نُعاملهم بقدر كبير من الشك".

كان لدى JWR قاعدة مفادها أنه في حالة فقد الاتصال المرئي مع هدف مؤكد فسيتم إلغاء العملية وسيتعين البدء مرة أُخرى، إذاً على سبيل المثال اصطدم هدف بسيارة بعد تحديده بشكل إيجابي ثُم انغمس تحت سطح محطة وقود حيث لا يُمكن رؤيته يجب إعادة العملية، حدث هذا النوع من المواقف عدة مرات غالباً بسبب السماء المُلبدة بالغُيوم وغالباً ما كان يعني أنه يجب إلغاء الضربة بالكامل.

بسبب إجراءات تحديد الهوية الصارمة هذه كان لدى الشاباك سجل دقيق، قال ديختر "**تأطير دقيق مائة بالمائة، للأسف لم يتم تدمير الهدف في كُل الحالات ولكن في كُل حالة هاجمنا فيها الهدف الذي أردنا مهاجمته**"، علاوة على ذلك كان لعمليات القتل المُستهدف تأثيرها المقصود، بحلول منتصف عام 2002 بدأت حرب إسرائيل ضد الإرهاب الانتحاري تُظهر نتائجها: فقد كان عدد الإسرائيليين الذين قُتلوا على يد الانتحاريين في انخفاض، بعد مقتل خمسة وثمانين إسرائيلياً في مارس كان هُناك سبعة قتلى فقط في يوليو، وسبعة في أغسطس، وستة في سبتمبر.

ومع ذلك على الرُغم من الجُهود الهائلة التي تم تكريسها لضمان التأطير الدقيق للهدف فقد تم بذل جهد أقل بكثير لتحديد أن الهدف كان بمفرده وأنه لم يكن هناك مدنيون أبرياء في الجوار، وعلى الرُغم من القواعد والضمانات والخبرات العملية كانت إسرائيل تُنفذ الآن عمليات قتل مُستهدفة على نطاقٍ كان لا يخلو من الأخطاء وعلى الرغم من وجود عدد قليل نسبياً من الأخطاء فقد مات الأبرياء عندما حدثت.

في بعض الأحيان يُفكر صانعو القرار عمداً فيما إذا كان من المسموح قتل الأشخاص حول الهدف إذا لم يتم الوصول إليه أبداً عندما يكون بمُفرده، في مثل هذه المُداولات سيطلب الجيش الإسرائيلي والشين بيت من دائرة القانون الدولي إرسال مُمثليها للجُلوس معهم في غُرفة الحرب

المُشتركة، قال دانيال ريزنر رئيس تلك الوحدة: **"يضعنا هؤلاء العاملين في معهد الحُرية والديمقراطية في موقف مُعقد للغاية، لأنه من الواضح أنه إذا كان المُحامي حاضراً ولم يقل لا يبدو الأمر كما لو كان يقول نعم".**

وقد تم اختيار كبير المُحامي العام العسكري في مُنتدى هيئة الأركان وأصبح شريكاً في المُشاورات الأمنية السرية، قام الشاباك بإتاحة ملفاته حول مُرشحي القتل المُستهدف للمُحامين طالما أرادوا دراستهم، كان ريزنر و ليد حاضرين بشكل مُتكرر في JWR عندما تم تنفيذ الضربة، كان وجودهم بمثابة "غطاء قانوني" على حد تعبير فنكلستين، شعر رجال الأمن أنهم بحاجة إليه في حالة تعرضهم للمُحاكمة في إسرائيل أو في الخارج.

كان الاعتبار الرئيسي لمعهد الحُرية والديمقراطية هو التطبيق العملي لـ "التناسب" والذي طالب نظرياً بألا يتجاوز الضرر الذي تسببه إسرائيل الفوائد، كم عدد الأرواح البريئة إن وجدت والتي يجوز لإسرائيل أن تُعرضها للخطر من أجل قتل إرهابي خطير؟

قال ريزنر: **"لقد استغل الإرهابيون حساسيتنا تجاه إيذاء الأبرياء، اعتادوا حمل الأطفال بين أذرعهم لعُبور الشارع وإحاطة أنفسهم بالمدنيين، ذات مرة كُنت مُتواجداً في JWR عندما أطلق صاروخ على إرهابي يقف على سطح منزل ثُم فجأة رأيناه يلتقط طفلاً، بالطبع أعطيت أمراً على الفور لتحويل الصاروخ إلى أرض مفتوحة ".**

وجد المحامون صُعوبة في صياغة قاعدة موحدة بشأن مسألة الأضرار الجانبية والخسائر، قال ريزنر: **"أحكم على كل قضية بناءً على مزاياها الخاصة، ومع ذلك كان لدينا قاعدة واحدة واضحة: كُنا جميعاً آباء؛ لم نتمكن من الموافقة على قتل الأطفال، لم نوقع قط على عملية اغتيال كهذه".**

كُلما أظهرت المعلومات الاستخباراتية مُسبقاً أن هناك "معرفة إيجابية بوجود أطفال" في منطقة القصف لم يتم السماح بالعملية، ومع ذلك فإن وجود عدد قليل من البالغين الذين ارتبطوا بطريقة أو بأخرى بالرجل المُدان لن يوقف بالضرورة العملية حتى لو لم يكن لهؤلاء البالغين أي صلات بالمُنظمات الإرهابية وينطبق الشيء نفسه على الزوجات والأصدقاء وأنواع مُختلفة من عُمال النقل مثل سائقي سيارات الأُجرة.

—

كانت حالة شائكة بشكل خاص مرتين على الأقل تم استهدافه وفقاً لسجلات الشاباك تم حجب الإذن بضربة حامل العلم خوفاً من إيذاء الأبرياء، المرة الأولى كانت في 6 آذار (مارس) 2002، كان شحادة قد تخفى بدرجة عالية من السرية في شُقة جنوب غزة، لكن بسبب وُجود عدد كبير من المدنيين في نفس المبنى إلى جانب معرفة زوجته ليلى وربما ابنته إيمان البالغة من العمر 15 عام كانت معه لذلك تم إلغاء الهُجوم.

بعد ثلاثة أيام فجر انتحاري أرسله شحادة نفسه في مقهى مومنت بالقُرب من منزل رئيس الوزراء في القدس مما أسفر عن مقتل 11 اسرائيلياً.

في 6 يونيو أُلغيت مُحاولة أخرى لاعتداء شحادة لأسباب مُماثلة، بعد ذلك باثني عشر يوماً قتل انتحاري من الجناح العسكري لحركة حماس تسعة عشر اسرائيلياً في حافلة في القدس.

كان الإحباط في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية ملموساً، وكما قال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي موشيه يعلون: **"لقد أخبرت نُظرائي الأمريكيين عن هذا العمل وقد أغضبهم كثيراً، أخبرتهم أننا في البداية توقفنا لأن زوجته كانت معه وأنه لم يتحرك بدونها، من وجهة نظرهم كان ذلك جنوناً، سألوني "ماذا؟؟ لم تُهاجم الهدف بسبب زوجته؟" كانت معاييرهم فيما يتعلق بالأضرار الجانبية مُختلفة تماماً عن المعايير التي قيدنا أيدينا بها".**

في تموز (يوليو) 2002 وافق وزير الدفاع بنيامين بن العيزر على خُطة أُخرى لقتل شحادة هذه المرة بتفجير الشُقة، لكن في هذه الحالة كانت القُيود المفروضة على الخسائر المدنية مُختلفة.

كتب بين إليزر مرة أُخرى "إذا كان هُناك نساء أو أطفال بالقُرب من الشُقة المذكورة فإن العملية غير مُصرح بها"، لكن زوجة شحادة كانت استثناء الآن، إذا كانت في الشقة في ذلك الوقت فمن الممُكن أن تستمر العملية، الرجال سواء كانوا جيراناً أو عابرين مُذنبين أو أبرياء كانوا أيضاً استثناءً، وسيسمح لهم جميعاً بالموت.

قال يعالون: **"في النهاية لم يكن لدينا خيار، لم يكن هُناك شيء آخر يُمكننا القيام به، لقد رأيت المزيد من الدم اليهودي يُراق مراراً وتكراراً، مع مُرور الوقت لم أخدع نفسي بأن حماس**

ستتوقف من دونه عن تنفيذ الهجمات الإرهابية، لكن قُدرته على تنفيذ هجمات مُروعة بسبب تجربته وبسبب معرفته وبسبب صلاته التي لم يسبق لها مثيل ".

كان شحادة يتنقل في كثير من الأحيان لكنه شوهد في 19 يوليو / تموز في مبنى من ثلاثة طوابق في حي الدراج المُكتظ بالسُكان شمال مدينة غزة والذي يسكنه لاجئون بشكل أساسي.

أشارت معلومات استخبارية من مصادر بشرية إلى أن الطابق الأرضي كان مُكوناً من مخازن فارغة، مما جعله مبنىً مثالياً لإلقاء قُنبلة، كان لا بد من القيام بذلك بسُرعة قبل أن ينتقل شحادة مرة أُخرى.

لم يكن نائب المُدير يوفال ديسكين حريصاً على المُضي قُدماً، وطالب ضُباط مكتب المُخابرات بجمع المزيد من المعلومات، حتى لو كان المبنى المُستهدف فارغًا فقد كان مُحاطاً بأكواخ من الصفيح من المُحتمل أن تعيش فيها عائلات بأكملها، لقد أراد جدوى عملية برية من قبل قناص على سبيل المثال، قدرت أبحاث الأداء (قسم القوات الجوية المسؤولة عن التنبؤ بنتائج الهجمات) أنه سيكون هناك "أضرار جسيمة" للأكواخ.

كما أُثيرت شكوك جدية في مُناقشات جيش الدفاع الإسرائيلي، وأوصى رئيس إدارة عمليات الأركان العامة بالانتظار ثمان وأربعين ساعة "لتطهير الأكواخ من الصفيح والتأكد من عدم وجود أحد فيها"، كما أبدى نائب رئيس الأركان جبرائيل "غابي" أشكنازي تحفظات على تنفيذ العملية قبل معرفة المزيد من المعلومات.

لكن الضغط للقضاء على شحادة المراوغ كان كبيراً للغاية، رفض قائد منطقة الشين بيت في الجنوب تقييم ديسكين لأن تقاريره الاستخباراتية أشارت إلى أن الأكواخ الصفيح المُتاخمة لمبنى شحادة لم تكن مأهولة في الليل، وناشد رئيس الشاباك ديختر الذي وافق على اغتيالها الفوري بقنبلة من مُقاتلة في سلاح الجو.

وأيد رئيس أمان أهارون زئيفركش هذا القرار وقال في وقت لاحق **"إذا لم نتخلص من أشخاص مثل صلاح شحادة فسيُصاب المزيد والمزيد من الإسرائيليين، وفي مثل هذه الحالات يكون المدنيون الفلسطينيون عرضة للأذى، وعندما يكون عليك الاختيار بين طفلين فإنني أُفضل ألا يبكي الطفل اليهودي الإسرائيلي".**

صعد الطيار إلى مُقاتله من طراز F-16 كان جالساً على مُدرج المطار في حتسور قاعدة القوات الجوية في جنوب وسط إسرائيل، كانت طائرته مُسلحة بقنبلة بزنه 1 طن، كان من المُمكن أن تحد قنبلتان نصف طن من الضرر واحتواء منطقة الانفجار لكن كان من المُستحيل معرفة مكان وجود شحادة بالضبط في المنزل، لا جدوى من هدم الطابق الثاني فقط إذا كان نائماً بالقُرب من باب الشارع، قنبلة أكبر ستضمن موته.

تم إلغاء العملية ثلاث مرات أولاً لأن التاسع عشر كان يوم جمعة ويوم راحة المُسلمين حيث تكون الشوارع مُزدحمة، ومرة أخرى في الليلتين التاليتين، العشرين والحادية والعشرين لأن ابنة شحادة كانت تصادف أن تكون معه.

لكن في مساء يوم 22 يوليو انقسم الفريق، على الرغم من أن الجميع اتفقوا على أن زوجة شحادة كانت في الشقة وأن الأوامر تسمح لهم بمواصلة العملية على أي حال إلا أن بعض أعضاء الفريق فقط اعتقدوا أن المُخابرات أشارت إلى أن الابنة لم تكن في المنزل.

لم يكن يوفال ديسكين المسؤول المُباشر عن عملية القتل المُستهدف كان مقتنعاً تماماً بالتقدير القائل بوجود احتمال ضئيل لوجود إيمان في الشُقة.

اتصل ديسكن بديختر وأخبره بشكوكه وأوصى بإلغاء الهُجوم ولكن وفقًا لتحقيق رسمي "**قام مُدير الشاباك بموازنة جميع البيانات والتقديرات وتوصل إلى نتيجة مفادها أن هُناك احتمالاً كبيراً جداً أن إيمان لم تكن في المنزل وبناء عليه أمر بتنفيذ العملية** ".

اتصل ديختر بالسكرتير العسكري لرئيس الوزراء شارون، أيقظ شارون الذي أذن بتنفيذ الغارة على الفور.

بدأ الطيار في إغلاق زُجاج الطائرة جاء قائد قاعدته مُسرعاً إلى طائرته وصعد السُلم إلى قُمرة القيادة، "هل تُريد أن تعرف من هو؟" سأل الطيار والملاح، كان يقصد من كانوا سيقتلون.

قال الطيار: "انزل من طائرتي، لا نُريد أن نعرف فهذا لا يعني شيئاً ".

الرجال الذين نفذوا القتل الفعلي والذين طاروا في المهمات وأطلقوا القنابل غالباً ما يعرفون الأقل من المعلومات فبسبب الارتفاع كُل ما يُمكنهم رؤيته كان أهدافاً صغيرة تم تحديدها من خلال الأرقام الاثني عشر للإحداثيات ولم تكن هُناك حاجة للبحث عن أي شيء آخر.

دقت صفارة الإنذار وتم السماح للطائرة F-16 للإقلاع، كانت الساعة الحادية عشرة من مساء يوم 22 تموز (يوليو)، كانت مُدة الطيران من حتسور إلى غزة دقيقتين لكن أمر الطيار بالتحليق غرباً فوق البحر بعيداً في الظلام.

قال الطيار في وقت لاحق: "شحادة يشم الطائرات يسمع الطائرات ويهرب، ننتظر فوق البحر لمدة خمسين دقيقة، ثم قالت لي وحدة التحكم في رحلتي على الراديو "انخرط في القتال".

خطت الطائرة باتجاه الشرق وعادت إلى الغرب وأسقطت القُنبلة، قال الطيار: "لا بد أنك شاهدته في الأفلام هذا ما يبدو عليه الأمر، ضربناه وانهار المنزل وسقط ".

—

في الأيام التي سبقت إقلاع الطائرة F-16 نفذت استخبارات القوات الجوية عدداً من مهام الاستطلاع فوق المنزل الذي كان يختبئ فيه شحادة، درس المُحللون الصُور الجوية ورأوا سخانات تعمل بالطاقة الشمسية ومغسلة مُعلقة حتى تجف وأطباق استقبال الأقمار الصناعية مُثبتة على الأكواخ، عاش الناس هناك، ضابط الشاباك اعتقد ذلك أيضاً، وأشار إلى أن المنطقة بأكملها كانت مُكتظة بالسُكان فقد افترض أن الأكواخ كانت مأهولة.

لكن الشاباك لم يحصل على "معلومات استخباراتية إيجابية" من أي مصدر تُشير على وجه اليقين إلى أن الأكواخ كانت مأهولة، بعبارة أُخرى لم يدخل أي من المصادر وقال صراحة إن الكوخ احتلته هذه العائلة، مع ازدياد تفصيل الخُطط العملياتية واقتراب موعد التنفيذ غمر الفطرة السليمة الإثارة بشأن فرصة القضاء على رجل مُتورط في قتل ما يقرب من خمسمائة شخص بما في ذلك ثلاثون شخصاً قُتلوا بعد إلغاء مُهمتين اغتيال أخريين، في مرحلة ما ووفقاً لأفراد الشاباك المعنيين، "لا توجد معلومات استخباراتية إيجابية" أصبحت "لا يوجد مدنيون يعيشون هُناك".

خلص تحقيق لاحقاً إلى أن "موقع شحادة أوجد فرصة من غير المرجح أن تتكرر على الإطلاق أو في المستقبل القريب، لقد شكل قنبلة موقوتة يجب تحييدها"، كانت النتيجة كارثية وقتل

شحادة على الفور ومُساعده زاهر نصار وزوجته، وكذلك كانت ابنته إيمان، وعشرة مدنيين آخرين بينهم سبعة أطفال أصغرهم لم يتجاوز العام، أُصيب مائة وخمسون شخصاً بجروح.

وصل جدعون ليفي الصحفي في صحيفة هآرتس، الذي تعكس تقاريره وأعمدته مخاوف الإسرائيليين الليبراليين بشأن محنة الفلسطينيين إلى مكان الحادث بعد ساعات قليلة من الكارثة وقال:

> **"قالوا إنهم يعتقدون أن هُناك أكواخاً غير مأهولة، كان هذان المبنيان من طابقين وثلاثة طوابق ولا يوجد مثل هذا البناء في غزة غير مأهول، عرف الناس الذين خرجوا للقضاء على شحادة ذلك.**
>
> **أنا لست ساذجاً ولا قاسي القلب، إذا كان بإمكاني الاعتماد على وجود قيود على المؤسسة كنت بالتأكيد أؤيد قتل رجل مثل صلاح شحادة طالما كان بمفرده وكان من المُمكن ضمان عدم إصابة أي شخص آخر، لكنني أعلم أنه من المستحيل الاعتماد عليهم لكبح جماح أنفسهم، لا توجد سيطرة لا داخلية ولا عامة، وفي النهاية يفعلون ما يحلو لهم، إن عائد الاغتيالات باهظ الثمن سيء، هذه الحالة هي دليل كاف، تم القضاء على عائلات بأكملها رأيت في المُستشفى طفلاً صغيراً على وشك الموت وكان جسمه كله مليئاً بالشظايا".**

أدرك آفي ديختر العواقب على الفور. قال: **"لقد تم القضاء على الهدف لكن العملية فشلت".**

من الواضح أن هُناك إدانة دولية قليلة للهجوم، لكن في إسرائيل كانت هُناك عاصفة احتجاج، وسائل الإعلام التي كررت بشكل عام التصريحات التي أدلى بها المُتحدث باسم الجيش الإسرائيلي والشاباك انتقدت بشدة مما زاد من تسريبات مجهولة المصدر من الاتهامات

المُتبادلة بين المُشاركين في العملية، سُمعت أصوات أكثر فأكثر في إسرائيل تُشكك في حكمة الاغتيال كسلاح.

غضب قائد سلاح الجو اللواء دان حالوتس الذي لم يُشارك مُباشرة في العملية لأنه يُسافر إلى الخارج، سمع الاخبار على وسائل الإعلام وأراد دعم مرؤوسيه، وقد أجرى مُقابلة مع صحيفة "هآرتس" أدان فيها المُنتقدين بشدة وقال إنه يجب مُحاكمة بعضهم بسبب الإضرار بأمن الدولة، وشدد حالوتس على أنه دعم طياريه دعماً كاملاً وتغاضى تماماً عن تصفية شحادة رغم أنه أعرب عن "حُزنه على الخسائر في الأرواح بين الأشخاص غير المُتورطين".

وروى أنه بعد وقت قصير من العملية التقى بملاحقي الطيارين المُتورطين في القصف، قال لهم: "**يا رفاق يمكنكم النوم جيداً في الليل، لقد فعلت بالضبط ما طُلب منك القيام به، أنت لم تنحرف ملليمتراً إلى اليسار أو اليمين، دع كل أولئك الذين لديهم مُشكلة في ذلك يأتون إلي**".

أضاف حالوتس وهو طيار سابق "**إذا أردت أن تعرف ما أشعر به عندما أطلق قنبلة فسأقول لك: أشعر بقشعريرة طفيفة في الجناح نتيجة إطلاق القنبلة وبعد ثانية يمر وهذا كل شيء، هذا ما أشعر به**".

المقابلة ولا سيما عبارة "ارتجاف طفيف في الجناح" والتي أصبحت مُنذ ذلك الحين اختصاراً في إسرائيل لللامبالاة تجاه حياة الأبرياء، زادت من حدة التوتر، حتى الطيارون الآخرون أُصيبوا بالفزع، الطيار الذي أسقط القنبلة لم يكن مُهتماً في البداية بالصدفة بل إنه ضرب "هذا لطيف"، كما قال عندما أخبره قائده أنه كان شحادة ولكن ما إذا كانت ضربة جيدة، قال: "لكن بعد أيام قليلة جاء ثلاثة رجال إلى السرب، ثلاثة جنود احتياط، قالوا: "**ماذا فعلت؟ لقد ذهبت، قتلت، قتلت** ".

كان التمرد يتصاعد بين الطيارين الاحتياطيين الذين بعد تسريحهم يقومون بواجبهم اليومي كل أسبوع في وقت السلم وخدمة كاملة في زمن الحرب، كانوا عموماً أكبر سناً وعاشوا كمدنيين، ورأوا العالم من منظور الحُكم الديمقراطي أكثر من الهيمنة العسكرية، نشرت مجموعات من الطيارون وجنود الاحتياط سايرت ماتكال رسائل في وسائل الإعلام تُعلن رفضهم المُشاركة في أعمال عدوانية ضد الفلسطينيين وفي مُقدمتها عمليات قتل مُستهدف، علم الطيارون والجُنود المُتظاهرون أنهم سيدفعون ثمناً باهظاً لتوقيع الخطابات المفتوحة، في جو عام مُتوتر بسبب

إراقة دماء الإرهابيين الانتحاريين نظر العديد من الإسرائيليين إلى هذه التصريحات على أنها لا تقل عن الخيانة ومن قبل بعض كبار مسؤولي الجيش الإسرائيلي على أنها رفض لتنفيذ الأوامر في زمن الحرب.

اللافت بشكل خاص هو توقيع العميد السابق افتاتش سبيكتور الذي اعتبره الكثيرون أفضل طيار مُقاتل في تاريخ القوات الجوية الإسرائيلية حيث قام بإسقاط 12 مُقاتلة نفاثة مُعادية، وكان المُوقع الآخر هو المُقدم يوئيل بيتربيرج وهو طيار مروحية شهير حصل على وسام الشجاعة الشديدة في إنقاذ قوة برية كانت مُحاصرة في كمين في لبنان.

وقال في كلمة ألقاها في مسيرة احتجاجية "**شالوم اسمي يوئيل، لقد كنت قائد مروحيات كوبرا وأباتشي وبلاك هوك في جيش الدفاع الإسرائيلي واليوم أرفض الخدمة في قوات الاحتلال الإسرائيلي ... نحن جنود السلام، سنوقف الحرب والموت والحزن، أنتم قادة الدولة قادة الجيش وسوف تواجهون العواقب، إن لم يكن في المحاكم الإسرائيلية فعندئذ في محكمة لاهاي وإذا لم يكن في لاهاي فعندئذ أمام خالقك** ".

قبل الانتفاضة كانت عمليات القتل المُستهدف في الأساس من الأعمال السرية لفرق صغيرة مُجزأة تعمل لصالح الموساد بعيداً عن حدود البلاد، ربما تم تنفيذها من أجل المصلحة الوطنية لكن أي حساب أخلاقي اقتصر على حفنة من النُشطاء ووُزراء الحُكومة، بمجرد تطوير هذه العمليات الحميمة إلى آلة قتل واسعة النطاق أصبح آلاف الأشخاص مُتواطئين جنود وطيارو الجيش الإسرائيلي، أفراد الشاباك، الأشخاص الذين جمعوا وقاموا بتصفية وتحليل ونشر المعلومات الاستخبارية، كانوا جميعاً مُتورطين بشكل مُباشر غالباً بُطرق أكثر أهمية من أولئك الذين نفذوا القتل الفعلي، وبحُلول صيف عام 2002 لم يكن بوسع أي إسرائيلي أن يدعي جهله بما يجري باسمه.

وقُوبلت الاحتجاجات بالرد الغاضب، إيهود ياتوم العميل السابق في الشاباك الذي قتل السجينين في الحافلة 300 كان في ذلك الوقت سياسياً في حزب بنيامين نتنياهو الليكود (وكان من المُقرر أن يُصبح عضواً في الكنيست في عام 2003)، وقال إن أولئك الذين رفضوا الخدمة "انهزاميون"، يجب إدانتهم ومُحاكمتهم وتجريدهم من شارات وحدتهم وطردهم من الجيش، أعلن الجيش الإسرائيلي أنه سيطرد بالفعل من لم يسحب توقيعاته من خطابات الاحتجاج.

بعد ثلاثة أيام من نشر رسالة الطيارين اجتمع أقرب مُستشاري أرييل شارون في مزرعة الجميز في جنوب إسرائيل، أطلق أحدهم على الرسالة اسم "نحيب الانهزاميين"، رفع شارون صوته في وجهه، وقال: "أنت مُخطئ... هؤلاء ليسوا هؤلاء البياتنيك "لعبة الورق" الذين يُقدمون تقارير إلى مركز التعريفي أو يجمعون الأوراق، هناك أشخاص في هذه القائمة قاموا بأكثر الأعمال جرأة لإسرائيل "، أطلع شارون على مُستشاريه، وقد فهم مدى خطورة الوضع.

31

تمرد في الوحدة 8200

عندما يموت شخص تقول النكتة كما يلي "تصعد الروح إلى السماء لتقف أمام الله وهو جالساً على عرشه الإلهي، يسأل الله كل من مات عما إذا كان يجب أن يبقى في الجنة أو يُلقى في الجحيم، فيُجيب كُل شخص عن هذا السؤال ويصدر الله حكمه.

في النكتة يكون الشخص الأخير دائماً ضابط استخبارات شبكة أمان داخل المُجتمعات العسكرية والاستخباراتية الأكبر، يكون NIO المكتب الوطني للاستثمار هم الذين يختارون أي أجزاء من المعلومات من بين الفيضانات الهائلة التي تصل كُل يوم والتي تستحق المُتابعة، يُقررون ما هو مُهم وما هو ليس كذلك، إنهم يُقررون بطريقة ما، أي من الناس سيقف في الطابور أمام عرش الله.

أمير (اسم مستعار) كان يعمل في NIO ، شاب لامع تم تعيينه في الوحدة 8200 ، وهي واحدة من أرقى وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي، لقد عمل مثل جميع المُنظمات غير الحكومية في قاعدة محمية بالخرسانة المُسلحة ومعلومات المُراقبة. تعذرت ترجمة مُعظم المواد الواردة ومُعالجتها لأنه ببساطة كان هُناك الكثير مُنها مُقابل القليل من الوقت، كانت مُهمة المُنظمات غير الحُكومية إذن هي تحديد قنوات الاتصال التي ينبغي الاستماع إليها وأي من البث يجب اعتراضه، قرر الجُنود مثل أمير أي أجزاء من المعلومات الاستخباراتية التي يتم نقلها الى مرؤوسه سيتم ترجمتها ونشرها. كان المُحرر الأخير لـ "المقال" حيث تم استدعاء رسائل المُخابرات العام لوحدة 8200؛ كتب العنوان وقرر من سيقرأه، كان عليه أن يُقرر على سبيل المثال ما إذا كان المُتحدث في محادثة تم اعتراضها هو صاحب متجر يطلب بضائع أو جهادياً يُعطي تعليمات مُشفرة لإعداد قُنبلة، إذا أخطأ فقد يموت أُناس أبرياء إسرائيليون من جهة، وصاحب متجر سيئ الحظ من جهة أُخرى، وكان بحاجة إلى القيام بكُل هذا بسُرعة كبيرة.

رسمياً كان أمير وزملاؤه في قاعدة توربان التابعة للوحدة 8200 مسؤولين عن وقف الهجمات الإرهابية، وبشكل غير رسمي كانوا يُقررون من تقتل إسرائيل، صحيح أن شارون هو من أذن بعمليات القتل المُستهدف وكان هُناك تسلسل قيادي طويل بينهم وبين ديوان رئيس الوزراء، لكن السياسيين وافقوا فقط على توصيات مُجتمع الاستخبارات والتي تم تصورها في نهاية المطاف إلى حد كبير من قبل المكتب الوطني للمعلومات، قال أحد موظفي NIO: **"كان دورنا في اختيار الأهداف للاغتيال دراماتيكيًا، يُمكنني أن أُقرر في تقديري ما إذا كان شخص ما هو مُنسق خلية ليجلس عليه بحزم وأن يجمع معلومات كافية للتركيز عليه كهدف للتخلص منه، إذا كان الرجل متورط بالفعل في الإرهاب فهذه عملية ستستغرق بضعة أسابيع لا أكثر".**

في كثير من الأحيان كانت الوحدة 8200 تختار المباني لتفجيرها، وحمّل شارون ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي موشيه يعالون المسؤولية الكاملة للسلطة الفلسطينية عن كل هُجوم حتى لو كان الجُناة الفعليون من مُنظمتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين المُعارضتين للسلطة، ونتيجة لذلك اتخذت إسرائيل إجراءات عقابية ضد السلطة الفلسطينية بعد كل هجوم وقصفت مُنشآتها، كانت مُعظم هذه المنشآت عبارة عن مكاتب تابعة للحُكومة المدنية وكثيراً ما تعرضت تلك المُنشآت للقصف بشكل مُتكرر حتى بعد تدميرها وهجرها، كانت التفجيرات وسيلة لتوجيه رسالة إلى الفلسطينيين ولكنها كانت وسيلة لقادة وجنود إسرائيل للتعبير عن إحباطهم وغضبهم.

قال أمير: **"لم يتم اختيار أهداف القصف الانتقامي من أجل تحقيق هدف عسكري ملموس بل كانت رسالة سياسية يُمكن تلخيصها بكُل بساطة.. سنكون لكم بالمرصاد ".**

في البداية تقوم إسرائيل بإخطار القيادة الفلسطينية بأن القوات الجوية كانت تنوي تدمير مبنى مُعين من أجل إعطاء الناس الوقت الكافي للإخلاء، لكن بمرور الوقت تآكلت هذه المُمارسة إلى حد ما، وفي وقت لاحق في نهاية عام 2002 غالباً ما قصفت القوات الجوية ليلًا دون سابق إنذار على افتراض أن المباني كانت فارغة في ذلك الوقت، كانت في مُعظمها إجراء رمزي بحتة.

في الخامس من كانون الثاني (يناير) 2003 تسلل انتحاريان من كتائب شُهداء الأقصى التابعة لفتح إلى تل أبيب وشقوا طريقهم باتجاه محطة الحافلات المركزية القديمة، في الساعة 6:26 مساءً فجروا أنفسهم بالقُرب من وسط مدينة تل أبيب، كان العدد النهائي للوفيات ثلاثة وعشرين مع أكثر من مائة جريح، كان الكثير من الأطفال الرُضع أو الأطفال.

وأدانت السُلطة الفلسطينية الهجوم ووعدت ببذل كُل جُهد مُمكن لإلقاء القبض على من خططوا له، لكن الإسرائيليين لم يقتنعوا بصدق هذه الإدانة، فالمفجرون جاءوا بعد كل شيء من تنظيم محسوب على فتح تحت قيادة عرفات، وكان مُعظم كبار أعضاء السُلطة الفلسطينية من أعضاء فتح.

على الفور استدعى رئيس الوزراء شارون قيادة الدفاع للتشاور في مكتبه وقرروا تصعيد العمل ضد السُلطة الفلسطينية.

بعد ذلك الاجتماع وبعد أقل من ثلاث ساعات من الهجوم قرر رئيس الأركان يعالون قصف الهدف 7068 الاسم الرمزي لمكتب فتح في مدينة خان يونس بقطاع غزة، هذه المرة لم يكن هُناك تحذير ولن يأتي الهُجوم في الليل وبدلاً من ذلك كان الجيش الإسرائيلي ينتظر عن قصد وصبر حتى يكون هُناك أشخاص في المبنى.

في الساعة 11:45 مساءً قدمت إدارة الأهداف في مقر أمان طلباً إلى قاعدة العمامة 8200 لجمع معلومات عن مبنى فتح في خان يونس، في الساعة 12:31 صباحاً أرسلت توربان تقريرها عن الهدف المُختار.

وبحسب التقرير فإن الهدف 7068 ليس له علاقة بالأنشطة الإرهابية، كتب الرقيب الذي أجرى التحقيق في الموقع ببساطة وبشكل مُباشر "لا تقصفوه فهم لم يفعلوا أي شيء سيئ ".

قال أمير : **"لقد كانت طريقة غير رسمية لوضعها وبالطبع كان علي تغيير الصياغة إلى شيء يُشبه العمل أكثر قبل إرسال البرقية، لكن عُنوانه يعكس مُحتوى التقرير بشكل جيد للغاية، لم يحدث هُناك أي نشاط مُرتبط بالإرهاب فقط عمل مكتب روتيني يتعلق بالناشطين السياسيين المحليين ودفع المُساعدات والرواتب وكان يُعادل في قطاع غزة نقابة عُمالية محلية ".**

في وقت مُبكر من صباح اليوم التالي قال أمير الذي افترض أن الهدف 7068 سيكون مُجرد ضربة رمزية أُخرى لمقر أمان أنه لم يكن هُناك أحد في المبنى وأنه من الآمن بدء القصف.

" أخبره مُمثل إدارة أهداف أمان "إنهم ينتظرون افتتاح المكتب".

"ماذا؟ من يتوقعون؟ "

"لا أحد إنه ليس شخصاً معيناً، فقط أي شخص أخبرنا عندما يدخل أحدهم ".

بدا ذلك غريباً اعتقد أمير أنه يجب أن هُناك سوء تفاهم، كان وُجود المدنيين في أحد المباني سبباً للتنازل وليس الضربة، في انتظار البيروقراطيين وعُمال النظافة والسكرتيرات عارضوا بشكل قاطع مُذكرة فينكلشتاين القانونية لعام 2001، في الواقع كان استهداف المدنيين جريمة حرب صريحة.

لكن لم يكن هُناك سوء فهم، أصدرت إدارة الأهداف أمراً مكتوباً حتى يفهم الجميع أنهم ينتظرون "إشارة" إلى أن المبنى كان مشغولاً: "إشارة مُحاولة لإجراء مُكالمة هاتفية أو مُحادثة هاتفية، لا تنتظر المُتحدث للتعريف عن نفسه أو حتى تحدث مُحادثة ذات قيمة، يجب الإبلاغ عن كُل إشارة إلى سُكن المبنى دون الاتصال بمن هو المُتحدث أو مُحتوى المحادثة " بعبارة أُخرى كانت النية ببساطة هي قتل أي شخص".

هذا الأمر أزعج بعض المُنظمات غير الحُكومية والذين تجرأوا على التحدث عنه فقط في قاعة الطعام، يتذكر أمير: **"جلسنا هناك ثلاث منظمات غير مدنية تتناول العشاء، وقد قال أحدهم نصفه مزاحاً ولكنه جاد في الواقع، قل أليس هذا تحديداً هو تعريف النظام غير القانوني الواضح؟ قالها باستخفاف ليس بأي طريقة ثقيلة لكنها جعلتنا نبدأ في التفكير، ربما كُنا حقًا نتجاوز الخط الأحمر هنا؟ ربما كان هذا شيئا غير لائق؟ كيف نعرف من كُنا نقتل؟ رُبما يكون طفل من مدرسة قريبة قد ذهب لإجراء مُكالمة هاتفية، رُبما يكون كاتباً جاء ليوزع أموال مُساعدات الأمم المُتحدة أو عامل نظافة جاء مبكراً قبل ساعات العمل ".**

كان من المُناسب إجراء مُحادثة بين أعضاء الوحدة 8200 كانت هذه بعد كُل شيء هي الوحدة التي حاولت جاهداً تحذير أمان في الأيام التي سبقت الهجمات المُفاجئة على إسرائيل في أكتوبر 1973 مُحذرة من أن مصر وسوريا عازمتان على خوض الحرب.

في أعقاب هذا الفشل قال البروفيسور إيال زيسر أحد الشخصيات البارزة في جامعة تل أبيب في الشرق الأوسط: "لقد اخترنا عمداً أشخاصاً لديهم رأي في منصب NIO الذين يفكرون خارج الصندوق ولا يخشون قول ما يُفكرون به"، متخصص قام بخدمة الاحتياط في جيش الدفاع الإسرائيلي كرئيس للجنة اختيار NIO.

بسبب وصولهم إلى مواد سرية للغاية في مثل هذه السن المُبكرة حاول الجيش غرس حس المسؤولية الأخلاقية والقانونية للمُنظمات غير الحُكومية أثناء تدريبهم المُطول، من دروسهم على سبيل المثال دراسة الحُقوق المدنية وانتهاك تلك الحُقوق الذي يحدث أحياناً نتيجة التنصت، تم إخبار المُتدربين أنه يجب عليهم عدم استغلال القوة الهائلة التي أُعطيت لهم لأي غرض غير الحُصول على المعلومات لصالح أمن الدولة، أوضحت دراسة الحالة التي تم استخدامها حادثة وقعت في عام 1995 حيث حاول بعض الرجال من الوحدة 8200 تحديد مكان مُكالمات تتعلق بأسامة بن لادن تم التقاطها عن طريق الخطأ ثم تسجيل بعض مُحادثات الهاتف المحمول بين توم كروز الذي كان يعمل في الشرق الأوسط مع وزوجته آنذاك نيكول كيدمان، ثم قاموا بتوزيع التسجيلات على أصدقائهم وقراءة النُصوص بصوت عالٍ.

قال أمير: **"وإذا اعتبر التنصت على الإنترنت عملاً محظوراً وغير أخلاقي فمن الواضح أن قصف ذلك المبنى يجب أن يكون ممنوع، كُلما فكرت في الأمر أدركت أنه ممُنوع تنفيذ مثل هذا الأمر".**

أثار أمير الأمر مع كبير ضُباط المُخابرات الوطنية وبقيادة 8200 وقالت القيادة إنهم "فهموا أن هُناك مُشكلة" وتم تأجيل العملية حتى إشعار آخر، "لقد أرضاتني هذا الأمر ويمكنني العودة إلى منصبي الذي أغلقته حوالي الساعة 2 صباحاً مع الإحساس بأن القصة وراءنا".

ومع ذلك، في صباح اليوم التالي عندما جلس في محطة عمل NIO وبدأ في إدارة المناوبة تلقى مُكالمة من دائرة الأهداف لإعلامه بأن قصف فرع فتح في خان يونس على وشك البدء، اعترض أمير لكن الضابط على الجانب الآخر من الخط المدافع حصل على الموافقة.

"لماذا يبدو من الواضح أنه غير قانوني بالنسبة لك؟ كُلهم عرب.. كُلهم إرهابيون ".

قال له أمير: "في وحدتي نُميز بشكل واضح للغاية بين الإرهابيين وأولئك الذين لم يشاركوا، مثل الأشخاص الذين يستخدمون المبنى المُستهدف بشكل روتيني".

لكنه لم يُغير رأي أي شخص وبحلول ذلك الوقت كانت العملية مُتقاربة، كانت طائرتان مُقاتلتان من طراز F-16 تحلقان فوق البحر الأبيض المتوسط في انتظار الأمر، كانت طائرة بدون طيار تُصور المبنى من مسافة بعيدة، وبمجرد أن أخبرهم أمير بوجود شخص ما في المبنى سيتم إطلاق صاروخين من طراز Hellfire على المبنى.

قرر أمير أنه سيرفض التعاون.

بدأت المُكالمات بفارغ الصبر تصل إلى 8200 قيادة من سلاح الجو وأمان، يتذكر العميد يائير كوهين قائد الوحدة 8200 في ذلك الوقت كانوا يقولون اسمع: " وحدتك ترفض تزويدنا بمعلومات كذا وكذا، قلت إنهم يجب أن يكونوا مُخطئين وأنه لم يكن هُناك شيء في 8200 مثل عدم تقديم المعلومات وأنه لم يحدث ولن يحدث ذلك أبداً".

في الساعة 10:05 تلقى أمير مُكالمة من قيادة 8200 "يائير كوهين يقول إن هذا ليس وقت طرح الأسئلة ولكن وقت العمل" تطلب الأمر التشغيلي أن يكتمل القصف بحلول الساعة 11:30 عندما يتم إفراغ الأطفال في ساحة مدرسة قريبة.

قال أمير: "**هذا أمر غير قانوني بشكل واضح ولا أنوي الانصياع له، حقيقة أن القائد أعلن أنها قانونية لا تجعلها قانونية**".

كان هناك وقفة على الخط، قيل لأمير: "**لقد نقلت رسالة القائد فور صدورها، أنا سعيد لأنني لم أكون في وضعك في هذه اللحظة**".

بعد بضع دقائق أخبره أحد جُنود أمير أن مُكالمات هاتفية تجري من داخل مبنى فتح، كان رجل يتعامل مع تسليم رواتب ويحاول الحصول على أموال لبعض الموظفين رغم الأوقات الصعبة في السلطة الفلسطينية والحرب المُستمرة كان السكرتير يُثرثر ويتحدث بكلام بذيء.

كانت تلك إشارة الانطلاق، يمكن لطائرة F-16 إطلاق النار وبذلك يُمكن أن تقتل إسرائيل كلاهُما.

جلس أمير على كرسيه بصفته مسؤول المكتب الوطني المُستقل في الخدمة، قال: "**ساد هدوء معي وشعرت أن هُناك شيئاً واحداً صحيحاً يجب فعله، كان من الواضح لي أن هذه العملية لا ينبغي أن تمضي قدماً وأنها تجاوزت الخط الأحمر وأنه كان أمراً غير قانوني بشكل واضح تم رفع العلم الأسود فوقه وأن مسؤوليتي كجُندي وإنسان ترفض القيام بذلك** ".

أمر بعدم نقل المعلومات، وأمر بوقف كل نشاط.

في الساعة 10:50 قبل أربعين دقيقة فقط من إغلاق النافذة الزمنية للعملية وصل القائد المُباشر لأمير، Y.، إلى القاعدة وأعفى أمير من منصبه وشغل مقعد NIO لنفسه، أمر أحد الجُنود بالإبلاغ عن وُجود أشخاص في المبنى، ويمكن أن يستمر القصف.

لكن الأوان كان قد فات بالفعل: فقد عادت الطائرات إلى قاعدتها في مطار تل نوف، الآن تم نقل المعلومات إليهم وانطلقوا مرة أُخرى ولكن بحُلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى الهدف أظهرت الساعة 11:25 ورن جرس المدرسة.

حتى ذلك الحين أرسلت قيادة 8200 رسالة عاجلة إلى رئيس أمان مُعربة عن تحفظات خطيرة بشأن العملية، وقد أُحيل إلى وزير الدفاع الذي أمر بإلغاء الهُجوم على الهدف 7068.

كان هذا إثباتاً واضحاً للموقف الأخلاقي لأمير ولكن كان الوقت قد فات لإسكات العاصفة التي أطلقها "تمرد عام 8200" في الجيش، وتعرضت قيادة الوحدة 8200 لإطلاق نار كثيف من جميع جوانب المؤسسة الدفاعية حتى أن رئيس الوزراء شارون أعلن أنه يتبنى نظرة قاتمة للغاية لما حدث، تم استدعاء العميد كوهين إلى اجتماع هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي المُخصص بالكامل لأمير، جادل الضُباط بأنه يجب أن يمثل أمام محكمة عسكرية وأن يذهب إلى السجن لمدة ستة أشهر على الأقل، وذهب أحد الجنرالات إلى أبعد من ذلك: "**كان ينبغي إدانة هذا الضابط بالخيانة ووضعه أمام فرقة الإعدام رمياً بالرصاص**".

احتجاجات الطيارين بعد قصف شحادة قبل بضعة أشهر ورفض عناصر سايرت ماتكال المُشاركة في عمليات القتل المُستهدف كانت لا تزال حاضرة في أذهان الجميع، قام شخص ما ربما من إحدى الوحدات المُنافسة لـ 8200 بتسريب القصة إلى وسائل الإعلام، لم تكن

هُناك تفاصيل في التقرير ولكن نظرً للأجواء العامة المُتوترة بالفعل كان ذلك كافياً لإخراج المُتظاهرين من اليسار ومن اليمين إلى الشوارع، على الرُغم من مُرور أيام قليلة على انتخابات الكنيست إلا أن العديد من العناوين الرئيسية كانت حول "الرافضين".

كانت المؤسسات العسكرية والاستخباراتية قلقة من أن يكون أمير هو الأول من بين العديد من الجُنود الذين يرفضون تنفيذ الأوامر، من وجهة نظر القادة فإن إخماد الانتفاضة الفلسطينية لم يترك مجالاً واسعاً للمُعارضين الليبراليين الإسفنجيين.

قال رجل خدم في منصب رفيع في ذلك الوقت: "الوحدة 8200 هي مثال لثقافة السرية دائماً بعيدة عن الأنظار، دائماً وحيدة، معزولة عن بقية الجيش عالية الجودة وسرية"، فجأة وجدت نفسها تحت دائرة الضوء داخل جيش الدفاع الإسرائيلي و سلبية في أكثر سياق مُمكن، يقول الجميع دائماً إن جنود وحدة الـ 8200 هم أطفال مُدللون من أفضل مناطق تل أبيب يذهبون إلى الجيش ويحصلون على أفضل تدريب في العالم ثُم يستفيدون من مهاراتهم للمليارات في الشركات الناشئة عالية التقنية ويجب أن يكونوا جميعاً يساريين وشواذ، تحاول الوحدة باستمرار محُاربة تلك الصورة وفجأة يتم تصنيفها على أنها مليئة بالفوضويين الذين يرفضون تنفيذ الأوامر.

ادعاء أمير بأن ما يرقى إلى مُستوى الأمر بقتل مدنيين كان واضحاً غير قانوني رفضه الجيش تماماً، لسبب واحد فقط شخص ما يضغط على الزناد وليس أي شخص آخر مُشارك في العملية يمكنه أن يرفض اعتقاداً بأن أمر القتل هذا غير قانوني، كما أعلن اللواء اليعازار ستيرن رئيس مُديرية الموارد البشرية في الجيش الإسرائيلي، دعا البروفيسور آسا كاشير الفيلسوف من قبل قائد 8200 لمُناقشة الموضوع، كان يعتقد أن تصرفات أمير كانت غير صحيحة من الناحية الأخلاقية، قال: "لم أستطع تحت أي ظرف من الظُروف أن أؤيد عمل المكتب الوطني للاستثمار، في الوضع الذي كان سائداً هُناك عندما كان NIO في قاعدة بعيدة كان يفتقر إلى السُلطة الأخلاقية لتحديد أن الأمر غير قانوني بشكل واضح، لم يكن يعرف القصة كاملة ولم ير الصورة كاملة ولم يكن على علم بالتكتيكات الأوسع التي قررها رئيس الأركان، أنا أؤيد طرح الأسئلة وإثارة الشكوك لكن الأمر لا ينبغي رفضه عند هذا الحد للحظات".

تم تسريح أمير بهدوء دون توجيه الاتهام إليه مما منع المحاكم من الحُصول على فُرصة لتحديد ما إذا كان الأمر بقتل المدنيين في الهدف 7068 قانونياً لأم لا.

—

لقد انتهكت العملية المُستهدفة رقم 7068 المبادئ التوجيهية التي وضعها المُحامي العام للجيش الإسرائيلي في قسم القانون الدولي بأن هدف القضاء يجب أن يكون فرداً مُرتبطاً بشكل مُباشر بالإرهاب، لكن لم يكن هذا هو المبدأ التوجيهي الوحيد الذي تم انتهاكه الآن بشكل مُنتظم للغاية كجُزء من التدهور العام في المعايير الأخلاقية والقانونية السائدة.

كان هناك مبدأ توجيهي يدعو إلى إجراء تحقيق في كُل مرة يُقتل فيها مدنيون أبرياء مع الهدف، في الواقع لم يتم اتباع هذا البروتوكول تقريباً وكان التحقيق في مقتل شحادة الذي توصل في النهاية إلى استنتاج مفاده أنه لا أحد يتحمل مسؤولية مقتل اثني عشر مدنياً هو الاستثناء، ولم يتم إجراؤه إلا بعد ضُغوط علنية ودولية مُكثفة على إسرائيل.

هُناك مبدأ توجيهي آخر يُنتهك الآن بشكل مُتكرر يقضي بأنه لا ينبغي أن يكون هُناك قتل عندما يكون هناك "بديل معقول للاعتقال" عندما يمكن اعتقال الإرهابي دون تعريض حياة الجنود أو المدنيين للخطر.

قال ألون كاستيل جُندي في قسم استخبارات وحدة الكرز: **"تغير كُل شيء في خدمتي العسكرية بعد اندلاع الانتفاضة، قبل ذلك بذلنا جُهوداً كبيرة للقبض على المطلوبين أحياء، بعد اندلاع الانتفاضة انتهى أُسلوب العمل هذا، كان من الواضح أننا خرجنا للقتل ".**

تُشير الأوامر التنفيذية من تلك الفترة إلى أن التوقع كان أن يُقتل الرجل المطلوب لحظة تحديد هويته، في عملية البُرجين على سبيل المثال يتناقض الأمر التشغيلي مع نفسه:

1. الهدف هو الاعتقال.

2. إذا كان "التأطير" [التعريف الإيجابي] لأحد كبار الشخصيات في الجهاد الإسلامي الفلسطيني وليد عبيد وزياد مليشة، وأدهم يونس، فإن القوة مُخولة بتنفيذ الاعتراض ".

مُصطلح "اعتراض" هو تعبير مُلطف عن "القضاء" أو "القتل" وقد تم استخدامه بشكل مُتكرر كطريقة لتجنب إرشادات ILD، وتكشفت العملية على هذا الأساس: تم "تأطير" مليشة و "اعتراضها" وقتلها بالرصاص.

مع ذلك حدث انتهاك آخر لبروتوكول معهد الحرية والديمقراطية بشكل مُنتظم نتيجة للبند الذي ينص على أن رئيس الوزراء فقط هو الذي يملك سُلطة المُوافقة على عمليات القتل المُستهدف، استاء مسؤولو أمان من حقيقة أن شارون قد أعطى الشاباك السُلطة الكاملة في الاغتيالات.

من أجل تجاوز إرشادات IDL، أنشأت أمان جهازاً موازياً متطابقاً لتنفيذ ذلك دون الحاجة إلى موافقة شارون، ما أسماه "عمليات الاعتراض" ضد أي شخص مُرتبط بامتلاك أو تطوير أو تخزين أو نقل أو استخدام الأسلحة لصالح إرهابيين والمنظمات، لقد منعتني الأوامر من تنفيذ الاغتيالات لكن لم يمنعنا أحد من إطلاق النار على أحد، قال ضابط كبير في أمان: "**أحدهم يطلق صواريخ القسام أو ينقل المتفجرات**".

في بعض المُناسبات تم التعرف على شحنة أسلحة أو فرقة لإطلاق صواريخ القسام في الوقت الفعلي لذلك كان القتل مُبرراً بالفعل، لكن في كثير من الأحيان كانت كلمة "اعتراض" مُجرد كلمة أُخرى لاغتيال مُخطط له مُسبقاً لأن أمان أراد موت شخص مُعين، وقال مسؤول في أمان "**أطلقنا عليه اسم اعتراض لكنه بالطبع اغتيال**"، لقد أجرينا عملية تلو الأخرى دون توقف، بعض هذه العمليات كانت عمليات عسكرية مشروعة وبعضها كان اغتيالات لإرهابيين رئيسيين وكان العديد منهم في منطقة رمادية بين الاثنين.

بمُرور الوقت أصبحت المُجتمعات العسكرية والاستخباراتية أفضل وأفضل في ابتكار طُرق جديدة للتلاعب بالبروتوكولات الرسمية، قام الجيش الإسرائيلي بتوسيع إجراءات إطلاق النار بشكل كبير بحيث أنه في المناطق التي ينتشر فيها الإرهابيون صدرت تعليمات للجنود بإطلاق النار على أي شخص يحمل أي نوع من الأسلحة النارية أو الزُجاجات الحارقة أو العُبوات الناسفة دون أي تحذير ثم تأكيد القتل، من أجل خلق أوضاع يخرج فيها إرهابيون مُسلحون مشتبه بهم من مخابئهم إلى الشوارع والأزقة، حيث يتعرضون لإطلاق النار الإسرائيلي، تم تطوير إجراء عملي يسمى Grass Widow " الأرملة العشبية".

خلال فترة الصراع في الأراضي المحتلة تم استخدام عدة أشكال مُختلفة من تقنية الأرملة العشبية حيث تم طرد المُسلحين من مخابئهم وتعريضهم لإطلاق النار من موقع قنص مخفي، في أحد الأشكال اعتقلت قوة إسرائيلية رفيقاً للإرهابيين في العراء في الشارع مما دفع المُسلحين للخُروج ومُهاجمة القوة، وفي صورة أخرى كانت سيارة مُصفحة تسير في الشارع صعوداً وهبوطاً وبها مُكبر صوت يبث تسجيلاً باللُغة العربية لتحديات صاخبة مثل "أين كل أبطال عز الدين

القسام الكبار؟ لماذا لا تخرج وُتقاتل؟ دعونا نرى ما إذا كنتم رجال "، أو بشكل أكثر استفزازية "كل الجهاد فتيات" أو "حماس أبناء عاهرات، تعمل أمهاتك في الشوارع وتمنحها مجاناً لمن يُريدها "، هذه بعض المُلاحظات الأكثر دقة والبعض الآخر أقل مُلاءمة للطباعة، ربما من المدهش أن هذه الطريقة قد نجحت بشكل جيد، يخرج مُسلحون لإطلاق النار على السيارة المُخالفة وينتهي بهم الأمر أن يقبض عليهم قناص من Grass Widow مُخبأ في شُقة قريبة.

قتلت عمليات الأرملة العُشبية عشرات المُسلحين من كافة المنظمات الفلسطينية.

من وجهة نظر الجيش نجح النظام واكتسب الجيش الإسرائيلي حُرية نسبية في العمل في شوارع المُدن الفلسطينية، ومع ذلك فإن شرعية هذه العمليات قابلة للنقاش في أحسن الأحوال.

—

بحُلول صيف عام 2002 كان الشاباك وشُركاؤه قادرين على وقف أكثر من 80٪ من الهجمات قبل أن تُصبح قاتلة، من الواضح أن عمليات القتل المُستهدف كانت تنُقذ الأرواح، ولكن كان هناك اتجاه مُقلق في البيانات أيضاً: كان عدد مُحاولات الهجمات في ازدياد، وبدلاً من أن يُرهَق الفلسطينيون، كان الفلسطينيون يفرزون المزيد والمزيد من المُهاجمين، وهذا يعني أن على إسرائيل التركيز على المزيد من الأهداف، لكنه أثار مخاوف من أن الجماعات الإرهابية بمرور الوقت ستتعلم من كُل هزيمة فردية وستتأقلم وتُصبح أكثر ذكاءً وصرامة مما يؤدي إلى تصعيد لا نهاية له في حرب مُحتملة لا نهاية لها "شعرنا أن لدينا ما يقرب من عام وربما أكثر من ذلك بقليل لمنحهم مثل هذه اللكمة، هذا ما قاله مسؤول كبير في الشاباك من تلك الفترة "من وجهة نظرهم".

أدى هذا القلق إلى خُطة جديدة أُطلق عليها اسم Picking Anemones "قطف شقائق النُعمان" على الرُغم من أن إسرائيل أعلنت بالفعل أن كُل عضو في تلك المُنظمات هو جزء من "البنية التحتية الموقوتة" إلا أنها لم تمس القادة السياسيين أبداً، لكن هذا المنطق قد تطور، وقال رئيس أمان اللواء زئيفي فركش "في حماس لم يكن هُناك تمييز بين المُستويين السياسي والعسكري"، "القادة الذين يُطلق عليهم "سياسيون" يُشاركون في كُل شيء، إنهم يضعون السياسة ويصدرون أوامر بشأن وقت تنفيذ الهجمات ومتى يجب التراجع " وبالفعل ذهب الجدل، فالهدف الوحيد من إعلان جناح سياسي هو اختلاق المكانة الدولية وإعطاء بعض القادة حصانة من

الاغتيال، قال زئيفي فركش: "كان علينا بناء رادع واضح، لا يوجد شيء مثل المُستوى السياسي لن نلمسه".

كُل زعيم في حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني أصبح الآن هدفاً، كانت الخُطة هي قتلهم جميعاً.

32

قطف شقائق النعمان

عرف إبراهيم المقدمة أن الإسرائيليين سيقتلونه على أية حال كان يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار أن أجهزة مُخابرات السُلطة الفلسطينية أبلغته بذلك، لقد سمعوا ذلك من عميل مُزدوج للشين بيت الذي قال إن الإسرائيليين طلبوا منه مُراقبة روتين المقادمة، وإلا لماذا يُريد الشاباك معرفة مجيئه وخروجه إن لم يكن لقتله؟

ربما لم يُصدق ذلك، كان مقادمة قد نشر بعض الكُتب والمقالات في الدين والجهاد وهجرة اليهود إلى فلسطين وكان مُنظراً إسلامياً، باعتباره استراتيجياً مُتطرفاً في حماس، دعا إلى الجهاد لتدمير الدولة اليهودية وعمل كحلقة وصل بين الجناحين السياسي والعسكري للحركة، لكنه كان طبيب أسنان ومحاضراً شعبياً في الجامعة الإسلامية بغزة، لقد كان رجلاً أكاديمياً مُثقفاً أمضى مُعظم وقته مُنغمساً في السياسة بدلاً من الانخراط المُباشر في العمليات الإرهابية.

قال له نُشطاء السُلطة الفلسطينية أن يبقى مُختفياً لفترة وأن ينتظر حتى يتعب الإسرائيليون من البحث عنه، تجاهلهم المقادمة واستمر في إلقاء المُحاضرات في الجامعة كالمُعتاد، اصطحبه مُساعده واثنان من حُراسه من منزله في حي الشيخ رضوان بغزة حوالي الساعة 9:30 صباح 8 مارس / آذار 2003.

شاهدت طائرة بدون طيار إسرائيلية.

اتصل المُساعد بمكتب العميد في الجامعة ليُخبره أن مقادمة سيكون هُناك قريباً وأنه يتوقع انتظار الطُلاب في قاعة المُحاضرات، "على الرُغم من المخاطر على حياته،" أضاف المُساعد ازدهاراً دراميا رُبما لم يكن يؤمن به حقاً.

المقادمة والمُساعد والحُراس كانوا في السيارة، وتحديداً في شارع الجلاء قبل أن تدمر أربعة صواريخ هيلفاير من طائرتين مروحيتين من طراز أباتشي السيارة.

كانوا مع طفل صغير كان يلعب في الشارع القريب أول ضحايا عملية قطف شقائق النعمان التي وافق عليها شارون ومجلس وزرائه الأمني في أوائل عام 2003، كان الافتراض الأساسي هو أن ما يُريده قادة التنظيمات الإرهابية الجهادية، سيأخذ الأتباع للقيام بهجمات انتحارية بُعداً مُختلفاً عند إرفاق ثمن، أي حياتهم الخاصة، أو كما وصفها عاموس جلعاد رئيس الطاقم السياسي والأمني بوزارة الدفاع: "جميعهم يعلمون أن العذارى الاثنتين والسبعين في الجنة هي خيار لا يُمكن إثباته وهم القادة ببساطة غير مُستعدين تحقق من ذلك لأنفسهم".

كانت عملية اختيار شقائق النعمان أكثر دقة من حملة الاغتيالات الشاملة ضد القادة السياسيين

وكان القائد العام زئيفي فركش قد دافع عن ذلك، في الواقع العملية لن تُلاحق قادة حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، الشيخ ياسين مؤسس حركة حماس على سبيل المثال تم استبعاده من القائمة الأولية للأهداف، خوفاً من أن ينضم المزيد من الفلسطينيين إلى القتال إذا قُتل.

لكن النُقطة كانت هي نفسها: السماح لحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين بمعرفة أن تسمية نفسك بموظف سياسي لم يعد غطاءً.

وقد استغرق تحديد المعايير شهوراً من الجدل حيث تم الاتفاق على ما إذا كانت عمليات القتل هذه قانونية وأخلاقية والأهم من ذلك أنها عملية من الناحية الاستراتيجية.

قال عامي أيالون سلف أير ديختر كمُدير للشين بيت: إن العلاقات بين الإرهاب والثعبان والتي ستتوقف عن العمل إذا قطعت رأسها هي تبسيط مُفرط لدرجة أنه من المُثير للقلق الاعتقاد بأن أي شخص يُصدقها، "منظمة إرهابية مبنية مثل المصفوفة، حتى لو كان لديه رأس فهو رأس أيديولوجي بالكاد يُسيطر على رأس العميل"، بعبارة أُخرى لم يكن هُناك الكثير من نقطة تشغيلية، لكنها خلقت سابقة موازية، إذا كان قادة حماس السياسيين أهدافاً مشروعة، فماذا عن وزير الدفاع الإسرائيلي الذي يجلس في مكتبه ويأذن بالأعمال؟ هل هذا يجعله هدفاً مشروعاً للإبادة؟ "

ومع ذلك تم تسهيل عملية قطف شقائق النعمان في المُمارسة العملية، بعد ثلاثة أشهر من إصابة المقادمة أطلقت طائرة بدون طيار تابعة للجيش الإسرائيلي النار على عبد العزيز الرنتيسي الرجل الثاني في حماس لكنها أصابته فقط، ثم في 12 أغسطس قُتل إسماعيل أبو شنب أحد مؤسسي حركة حماس وزعيم ذراعها السياسي وأحد المتحدثين الرئيسيين في وسائل

الإعلام العربية والأجنبية بالقرب من مبنى الأمم المُتحدة في غزة بخمسة صواريخ أُطلقت من طائرة أباتشي.

كما كان يخشى كبار المسؤولين في وزارة الخارجية قبل الشَّروع في عملية "قطف شقائق النعمان" قام المُجتمع الدولي بالفعل بالتمييز بين الهُجوم على النُشطاء العسكريين والنُشطاء السياسيين، أدى اغتيال أبو شنب إلى زيادة حدة الجدل الدولي حول تصرفات إسرائيل على الرغم من اعتراف الغرب بأن إسرائيل تخوض معركة شرسة ضد المُفجرين الانتحاريين.

وأدان الأمين العام للأمم المُتحدة كوفي عنان الضربة مُعلناً أن إسرائيل ليس لها الحق في تنفيذ "قتل خارج نطاق القانون" لأحد قادة حماس البارزين، صرح رئيس أبو شنب الشيخ ياسين بنواياه بعبارات أوضح في تصريح لوسائل الإعلام الفلسطينية: "تم تجاوز كُل الخُطوط الحمراء، وستدفع إسرائيل ثمن ذلك الفعل".

ـــــ

ولم يتضح بالضبط كيف ستدفع إسرائيل مُقابل توسيع نطاقها الأخير ورُبما حتى ياسين، كانت القواعد القديمة دموية ووحشية لكنها على الأقل ميزت بعض مظاهر الحُدود التكتيكية، أثار مقتل أبو شنب شخصاً كان مُنخرطاً في الشق السياسي لحركة حماس واعتبره قادة الحركة أمراً عميقاً غير مألوف لحماس، احتاج ياسين لمعرفة الرد وبسرعة.

بعد وقت قصير من عملية الاغتيال هذه أمر ياسين جميع القيادات العسكرية والسياسية لحركة حماس بالتجمع يوم 6 سبتمبر في منزل الدكتور مروان أبو راس وهو شخصية دينية بارزة في غزة وعضو في المجلس التشريعي الفلسطيني، كانت تلك مُخاطرة غير عادية أن وضع جميع كبار رجاله في مكان واحد في وقت واحد خلق هدفاً هائلاً، إذا تم الكشف عن السر فسيكون أمل ياسين الوحيد هو أن تُقرر إسرائيل أن قتل الجميع لن يستحق الأضرار الجانبية المُحتملة.

آفي ديختر مُدير الشاباك الذي علم بالاجتماع من كُل من المصادر البشرية والتكنولوجية اعتقد أنه قد يكون صفقة عادلة، قال: "طوال مسيرتي المهنية لم يرتكب مثل هذا الخصم الخطير مثل هذا الخطأ الجسيم وهو خطأ استراتيجي فادح".

كان من المُفترض أن يبدأ الاجتماع في الساعة الرابعة صباحاً، بحلول الساعة 3:40 مساءً كانت طائرتا F-16 مُسلحتان بقنابل 1 طن في الجو وحلقت فوق البحر الأبيض المتوسط لتجنب إثارة الشُكوك بين المُتجمعين في المنزل، كان جناح التحليل في سلاح الجو قد حسب أن قُنبلة بهذا الحجم كانت ضرورية لتدمير منزل أبو راس المُكون من ثلاثة طوابق.

عند الساعة 3:45 استدعى رئيس الأركان يعالون مُحللي العمليات حاملين خرائط وصور جوية،

"ما هو تقديرك للأضرار الجانبية؟" سأل يعالون.

كان هُناك مبنى سكني من خمسة طوابق قريب من منزل أبو راس، عاشت هُناك ما يقرب من أربعين عائلة، قال رئيس الوزراء زئيفي فار كاش: "قد لا يكون الرجال في المنزل من العمل في الساعة 4 مساءً لكن من الواضح أنه يجب أن يكون هُناك عشرات النساء والأطفال".

"وماذا سيحدث لهم إذا استخدمنا قنبلة 1 طن؟"

أجاب مُحلل آخر: "عشرات الضحايا وربما أكثر من ذلك".

الاحتجاجات التي أعقبت فشل شحادة لم تُنسى، قال دوف فايسجلاس مُساعد شارون: "لم يكن هُناك أحد بيننا مهووس بالقتل، على العكس من ذلك في الوقت المُناسب أدركت القوات الجوية أن الضرر الذي تسبب فيه سبعة أو ثمانية قتلى مدنيين كان أكبر بكثير من فوائد القضاء على إرهابي واحد"، حتى أن القوة الجوية عملت على تطوير ذخائر بنصف قُطر أصغر للانفجار واستبدلت ما يصل إلى 90 بالمائة من المواد المُتفجرة بالأسمنت، لكن القُنبلة الإسمنتية لن تُدمر مبنى من ثلاثة طوابق.

انضم يعالون إلى اجتماع عبر الهاتف مع شارون وديختر وثلاثة آخرين، " قال رئيس الوزراء أوصي بوقف الضربة، ثمن العملية سيكون عشرات القتلى المدنيين، سننتصر في المعركة لكننا نخسر الحرب على الصعيدين الدولي والمحلي، لن يتسامح شعب إسرائيل مع ضربة أُخرى كهذه ضد النساء والأطفال، نحن بحاجة إلى شرعية داخلية وخارجية لمواصلة قتالنا وهُنا نحن مسؤولون عن توجيه ضربة مُدمرة ".

جادل ديختر بأن إسرائيل ستفوت فُرصة تاريخية لإحداث ضرر "ربما لا يُمكن إصلاحه" لعدوها الرئيسي.

لكن يعالون أصر، قال: "لا يمكننا القيام بذلك تحت أي ظرف من الظروف، يمكننا القضاء على قيادة حماس لكننا معرضون لخطر جلب مئات الآلاف من المُتظاهرين إلى ميدان رابين وهم يصرخون بأننا جيش وحشي يقتل النساء والأطفال، نحن بحاجة لتجنب ذلك، سنحصل على فرصتنا وسيأتي يومهم ".

ألغى شارون الضربة.

—

بقي ديكتر في الخلف في الحرب المشتركة في الغرفة والغضب من احباط العملية ومن المُفارقات أنه كان من بين أول من أدرك مدى كارثة إخفاق شحادة وأدرك أن قتل وجرح عشرات المدنيين يعني أنه "تم القضاء على الهدف ولكن العملية فشلت".

لكن اجتماع حماس كان تاريخياً أسماه "تجمع فريق الأحلام"، قام بالتمرير عبر جميع المعلومات الاستخباراتية حول سرية حماس وبعد بضع دقائق توصل إلى حل، كان الديوان وهو غرفة الجلوس المفروشة بالسجاد حيث ستعقد الاجتماعات في الطابق العلوي حيث تم رسم الستائر، كان من المعقول أن نفترض أن الاجتماع سيُعقد هُناك وحصل على محلل في JWR ليقول ذلك، استدعى ديختر محُللي العمليات وسأل عما إذا كانت هُناك طريقة لتدمير هذا الجُزء فقط من المنزل والتأكد من عدم حدوث أي ضرر للهياكل المُجاورة، كان الرد بالإيجاب: إذا تم إطلاق صاروخ صغير برأس حربي رُباعي اللون من خلال نافذة فسيضمن تدمير كل شخص في الغرفة بينما يتسبب في ضرر ضئيل أو معدوم خارجها.

أعاد ديختر الاتصال بالجميع وأخبرهم أن الاجتماع سيعقد على الأرجح في الطابق الثالث، شكك زئيفي فركش في ذلك، يعالون لم يقتنع أيضاً، قال: "بدا غريباً بعض الشيء بالنسبة لي أنهم سيحملون ياسين على كُرسيه المُتحرك"، لكن هذا كان تقييم الشاباك، طابق علوي أعرف كيف يتحطم دون التسبب في وُقوع إصابات في المنازل المُجاورة، كان من المُمكن المُضي

قدماً "، مرة أخرى كانت هُناك مُكالمة جماعية مع جميع كبار المسؤولين على خط الهاتف الآمن، استمع شارون حتى انتهى ديختر ويعالون من حديثهما ووافقا على العملية.

أطلقت JWR ثلاث طائرات بدون طيار في الهواء لمُراقبة المنزل، شاهدوا المُشاركين وهم يصلون ويدخلون، أثبتت معلومات الشاباك أنه اجتماع القيادة السياسية والعسكرية الكاملة لحركة حماس بما في ذلك ياسين على كُرسيه المُتحرك، وأحمد الجعبري الذي حل مكان شحادة كقائد ميداني ومحمد ضيف قائد كتائب عز الدين القسام، كان الإسرائيليون يُحاولون قتل الضيف لأكثر من سبع سنوات مُنذ أن حل محل يحيى عياش في أوائل عام 1996 "في كُل مرة كُنا نخلع ذراعه أو ساقه لكنه نجا من كُل ذلك" كما يقول أحد كبار رجال الشين راهن المسؤول الذي كان حاضراً في JWR ذلك اليوم.

في الساعة 4:35 أطلق طيار من طراز F-16 صاروخاً عبر النافذة المُغطاة بالطابق الثالث، "ألفا" أبلغ الطيار مُشيراً إلى إصابة مُباشرة في عين الثور، اشتعلت النيران في الجُزء العلوي من المبنى وتطاير الحُطام بما في ذلك الطوب والأثاث في جميع الاتجاهات، حاول مُحللو JWR معرفة ما إذا كانت الحُطام تشمل أيضاً أجزاء من الجسم، هز انفجار هائل المنطقة بأكملها.

لكن الاجتماع كان في الطابق الأرضي، قال ديشتر: "لقد قاموا للتو ونفضوا الغُبار وهربوا من المنزل، شاهدناهم يركضون للنجاة بحياتهم، للحظة ظننت أنني رأيت الشيخ ياسين يقف على قدميه من الكُرسي المُتحرك بدافع الذعر ويبدأ في الجري ".

أراد ديختر إرسال سرب من الطائرات بدون طيار لتفجير جميع السيارات التي كانت تخرج من ساحة انتظار المنزل لكن وزير الدفاع موفاز رفض ذلك لأن "المدنيين من المُرجح أن يصابوا".

قال ديشتر: "نظرت في جميع أنحاء غُرفة الحرب ورأيت كيف كان الجميع يفقدون عُقولهم عند الفُرصة الضائعة، كان هذا مثالاً كلاسيكياً على السعر الذي يتعين عليك دفعه بسبب المشاكل التي تخلقها قصة مثل قصة شحادة، لن أجرؤ على إحصاء عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين بسبب قرار عدم تفجير المنزل بأكمله، في وقت لاحق كان علينا التعامل معهم واحداً تلو الآخر. في بعض الحالات نجحنا بعد جُهود كبيرة، يؤسفني أن أقول إن بعضهم ما زالوا على قيد الحياة حتى يومنا هذا ".

بعد ثلاثة أيام من الهُجوم على منزل أبو راس قبل الساعة السادسة بقليل انضم رجل يرتدي زيا عسكريا ويحمل حقيبة ظهر كبيرة إلى مجموعة من مئات الجُنود الإسرائيليين المُنتظرين خارج قاعدة تصريفين للجيش في الحرارة بعد الظهر، كان لمحطة الحافلات ومركز التنزه سقف مُرتفع لتوفير الظل من أشعة الشمس الحارقة وانتظر الرجال هناك في انتظار الحافلة ولا يوجد أفضل من شخص سعيد يهم في رحلة للجنود مسرعين لبدء إجازاتهم القصيرة.

وبعد بضع دقائق اقتربت دورية تابعة للجيش الإسرائيلي من المحطة، ويبدو أن الرجل وهو انتحاري من حماس كان يخشى أن يتم الكشف عنه وضغط على الزر.

قُتل تسعة جُنود وأُصيب ثمانية عشر بجُروح.

حماس كانت تتأرجح وتُهاجم إسرائيل لقصفها لمنزل أبو راس واغتيال شخصياتها السياسية، عادت حماس إلى نفس التكتيكات مُنخفضة التقنية والإرهاب التي أدت إلى التصعيد الإسرائيلي في المقام الأول: المفجرين الانتحاريين.

تم تكليف المُهمة بمركز قيادة حماس في رام الله والذي كان يُدير خلية على اتصال بالفعل بالعديد من المُفجرين الانتحاريين المُحتملين من بيت لقيا وهي قرية فلسطينية شمال غرب القدس، قبل يوم من هجُوم تسريفين تم إرسال مُهاجم انتحاري إلى مطعم في القدس لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة بعدما تغلب عليه الخوف، كان الانتحاري الآخر الذي تم تجنيده للعملة يُدعى إيهاب أبو سليم هو الشاب الذي فجر نفسه في اليوم التالي في موقع تسريفين للتنزه.

وتلقى رئيس الوزراء شارون أنباء الهُجوم أثناء اجتماعه في نيودلهي مع نظيره الهندي أتال بيهاري فاجبايي، في غيابه فوض وزير الخارجية سيلفان شالوم باتخاذ "الإجراءات اللازمة للرد"، دعا شالوم إلى اجتماع عاجل لقادة الجيش الإسرائيلي وأجهزة المُخابرات في وزارة الدفاع.

في الساعة 10 مساءً بعد أربع ساعات من مقتل الجُنود في تسريفين سأل شالوم مُمثلي الشاباك وأمان الحاضرين في الاجتماع عمن يُمكنهم قتلهم في حماس على الفور، إن الهُجوم الانتحاري لن يمر دون رد، وقال مسؤول في الشاباك "**لدينا مراقبة جيدة جدا لمحمود الزهار**"، كان الزهار طبيباً جراحاً ولكنه أيضاً أحد مُؤسسي حماس وكان يُنظر إليه على أنه زعيم الفصيل المُتطرف في المُنظمة.

"ربما يُمكننا إخراجه لكن سيكون لذلك تداعيات فيما يتعلق بإيذاء الأشخاص غير المتورطين".

مرت ساعة كما دار جُزء من النقاش حول مسألة ما يجب فعله مع ياسر عرفات، لطالما دعا سيلفان شالوم إلى قتل عرفات أو على الأقل طرده، "إنه يُنظم الإرهاب ويقف وراء الهجمات وطالما أنه موجود لا توجد فُرصة لوقف حمام الدم والتوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين"، قال شالوم إن مسؤولاً كبيراً جداً في الإدارة الأمريكية اتصل به بعد سماعه بالهًجوم وسأله "هل تنوي اغتيال الوغد؟"

وانقسمت الآراء حول كيفية التعامل مع عرفات، على أي حال كان من الواضح أن هذا كان قراراً رئيسياً لا يُمكن أن يتخذه سوى رئيس الوزراء.

في الساعة 11:20 مساءً دخل المُساعدون إلى الغُرفة وكانت وجوههم خطيرة، هاجم انتحاري آخر هذه المرة في مقهى هيليل في المُستعمرة الألمانية في القُدس، قُتل سبعة أشخاص وأصيب سبعة وخمسون بجروح، ومن بين الضحايا الدكتور ديفيد ابيلباوم مُدير وحدة الطوارئ في مركز شعاري تسيديك الطبي وابنته نافا التي كان من المُقرر أن تتزوج في اليوم التالي.

استخدم شالوم الهاتف الفضائي للاتصال بـ يوآف جالانت القائد السابق لـ شايطيت 13 الذي شارك في العديد من عمليات القتل المُستهدف وكان يشغل الآن منصب السكرتير العسكري لرئيس الوزراء، استيقظ غالانت شارون (الهند تسبق إسرائيل بساعتين ونصف الساعة) الذي وافق على الفور على هُجوم صاروخي على منزل الزهار ولكن فقط بعد الساعة 8:30 من صباح اليوم التالي عندما يذهب الكبار إلى العمل وكان تلاميذ المدارس في داخل صُفوفهم وكانت الشوارع هادئة.

وماذا عن عائلة الزهار؟ في الجو الذي أعقب هجُومين مُروّعين في ست ساعات أرعبت إسرائيل ولم يُعر أحد اهتماماً كبيراً لهذا السؤال.

في الصباح رصدت مُستشعرات توربان أن الزهار يجري مُكالمة من منزله باستخدام الخط في مكتبه في الطابق الثاني.

أبلغت JWR شالوم وبعد ثوانٍ ورد تقرير آخر من توربان: كانت المُكالمة مُقابلة أجراها الزهار مع خدمة BBC العربية، كان شالوم قلقاً من تأثير إصابة خلال البث المُباشر "لا سمع الله "

وأمر بتأجيلها حتى انتهاء المُقابلة، استمر أفراد JWR في الاستماع الى المُكالمة حتى سمعوا الزهار يُغلق الخط.

نظراً لأنه كان هاتفاً أرضياً به منفذ واحد وبما أن صوت الزهار قد تم تحديده بوُضوح من قبل مُستمعي توربان المُحترفين ومن خلال مُقابلة BBC، تمت المُوافقة على "مُذكرة إعدام" الزهار على الرُغم من عدم رؤية أي عميل أو كاميرا لـ "الشاباك" بالفعل الزهار في مكتبه، أطلقت طائرتان أباتشي ما مجموعه ثلاثة صواريخ فدمروا المنزل وقتلوا نجل الزهار خالد تسعة وعشرون عام وحارس شخصي وأصابت زوجته بجروح بالغة لكن الزهار تعرض للخدش فقط: لقد كان في الحديقة مع فنجان قهوة وهاتف لاسلكي.

عملية قطف شقائق النُعمان لم تكن تعمل بشكل جيد تولم تؤتي ثمارها، لقد أخطأت إسرائيل عدة أهداف مهمة بينما ردت حماس بعمليتين انتحاريتين خلفتا 16 قتيلاً و 75 جريح، وعلى الرغم من أن إجراءات مُكافحة الإرهاب المُختلفة التي اتخذتها إسرائيل بما في ذلك الاغتيالات المُستهدفة لنُشطاء حماس أدت إلى بعض الانخفاض في عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين إلا أن عملية اختيار شقائق النعمان لم يكن لها التأثير المطلوب على عدد المحاولات الإرهابية، ربما شعرت شخصيات حماس السياسية بالفزع لكن التنظيم لم ينفد من الأشخاص المُستعدين لأن يصبحوا شُهداء.

اشتد الجدل في جهاز الدفاع فماذا يجب فعله حيال الشيخ ياسين؟ على الرُغم من تأملات أيالون حول الثعابين وقطع الرؤوس بدا واضحاً بشكل مُتزايد أنه يجب تحييد زعيم حماس.

تعاون الشاباك وسيريت ماتكال على خُطة مُعقدة لاختطافه وسجنه لكن تم إسقاط هذه الفكرة لأن أي عملية من هذا القبيل ستتطلب بالتأكيد معركة بالأسلحة النارية وكان تبادل إطلاق النار يعني إصابة الجنود أو المارة المدنيين أو الشيخ نفسه، ولم يكن واضحاً على الاطلاق أن عودة الشيخ ياسين الى السجن ستوقف حتى التفجيرات الانتحارية، وتذكر المسؤولون الإسرائيليون أن فترة سجنه الطويلة (التي انتهت بصفقة مهينة مع الملك حسين إثر المُحاولة

الفاشلة لقتل خالد مشعل) كانت مليئة بأعمال القتل والاختطاف التي نفذتها حماس بهدف إطلاق سراحه إلى جانب موجات من التفجيرات الانتحارية .

جادل الكثيرون بأن الطريقة الوحيدة الفعالة للتعامل مع ياسين هي قتله.

لكن صانعي القرار الإسرائيليين كانوا أكثر تردداً في سحب الزناد عندما تعلق الأمر بياسين، على الرغم من حقيقة أن الجميع اتفقوا على أنه شارك بنشاط في توجيه وتخطيط إرهاب حماس، صحيح أن إسرائيل كادت أن تقتله في العام السابق خلال اجتماع "فريق الأحلام" لكن هذا الاجتماع ضم نُشطاء عسكريين أيضاً، كان اغتياله وحده أمراً مُختلفاً تماماً، حيث كان الشيخ ياسين من مُؤسسي حركة حماس وزعيماً سياسيً ذا شُهرة عالمية وشخصية دينية مقبولة في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

في نقاش في تشرين الثاني (نوفمبر) قال أير ديختر: "اغتيال هذا الشخص بالذات قد يُشعل النار في الشرق الأوسط ويجلب علينا موجات من الرُعب من خارج حدودنا"، عُرف اللواء عاموس جلعاد مُدير السياسة والشؤون السياسية العسكرية في وزارة الدفاع بآرائه المُتشددة لكنه اعترض أيضاً، قال "الشيخ ياسين هو النموذج الدقيق لمنظور الموت مُهندس القتل اللانهائي"، لكنه اتفق مع أولئك الذين يخشون اندلاع حريق في جميع أنحاء العالم الإسلامي رداً على مقتل شخص يُنظر إليه على أنه زعيم روحي مُسلم.

ورد يعالون بالقول إن ياسين لم يُنظر إليه على أنه زعيم روحي وأن قتله لن يسبب أي رد باستثناء الإدانة الغاضبة. قال: "من غير المعقول أن نذهب في دوائر من حوله ونقتل كل شخص آخر ولا نُهاجمه".

تبنى وزير الدفاع موفاز توجهاً أكثر قسوة: "ليس علينا فقط أن نضربه ولكن ليس لدي مُشكلة في فعل ذلك" بتوقيع عالي "، أي أنه لا يترك مجالاً للشك في أن إسرائيل نفذت عملية الاغتيال.

على الرُغم من اتفاق شارون المبدئي مع يعالون وموفاز إلا أن ديختر كان كبير مُستشاريه في شؤون الإرهاب والقتل المُستهدف وحتى شارون الحازم بدا أنه فقد بعض الثقة في ضوء مُعارضة ديختر وآخرين.

أثار اللواء جيورا إيلاند سبباً إضافياً للقلق: العلاقات العامة السيئة مع البُلدان، ألم تكن مُشكلة لإسرائيل أن تقتل " رجل عجوزاً نصف أعمى على كُرسي مُتحرك؟ ألن نبدو مثل الغرب المُتوحش؟ " شارون لم يكن معنياً حقاً لكنه طلب سماع آراء إضافية".

أيد الفيلسوف العام للجيش الإسرائيلي آسا كاشير، يعلون: "إن التمييز بين المُستويات السياسية والعسكرية التي ترعاها مُنظمات حُقوق الإنسان الدولية كان من شأنه أن يترك هتلر محصناً ضد الهُجوم لفترة طويلة من الزمن، التمييز بين المُستويات مشكوك فيه بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالمُنظمات الإرهابية "، من ناحية أخرى عارض المُحامي العام العسكري بشدة، منذ أن صاغ فينكلشتاين ودانيال رايزنر قواعد استهداف عمليات القتل قبل ثلاث سنوات كان ريزنر وطاقمه حاضرين في العديد من الإجراءات وقدموا الدعم القانوني لهم، في بعض الحالات أمروا بتأجيل إحدى العمليات خوفاً من إصابة الأبرياء، في حالة ياسين ولأول مرة نشأت مُعارضتهم القوية من هوية الشخص المُستهدف، وتعزى ذلك الأهمية المتزايدة التي حظيت برأي ريزنر جزئياً إلى إنشاء المحكمة الجنائية الدولية خلال تلك الفترة، بدأ كبار المسؤولين في إسرائيل بالقلق من توجيه اتهامات إليهم بارتكاب عمليات قتل مُستهدف وطلبوا الدعم القانوني.

ومع ذلك أصر يعلون على ذلك وتم تناول الأمر مع مكتب النائب العام وهو أعلى سُلطة قانونية مهنية في إسرائيل، كانت هذه هي المرة الأولى التي يُعرض فيها القتل المُستهدف لشخص مُعين على هذا المُنتدى للنقاش.

جلب مسؤولو أمان والشين بيت معهم الصفحة الحمراء كل الأدلة التي تراكمت ضد ياسين: تأسيس حماس والتحريض الخبيث ضد وجود إسرائيل وإنشاء جهاز إرهابي وإدانات سابقة بتُهمة الأمر باختطاف وقتل جُنود إسرائيليون في الثمانينيات واقتناء أسلحة وجمع التبرعات للأنشطة العسكرية والدعوة للإرهاب الانتحاري وأكثر من ذلك.

جادل فينكلشتاين و ريزنر أنه مع كُل الاحترام الواجب للصفحة الحمراء لم يكن المقصود من عمليات القتل المُستهدف أن تُنفذ على سبيل الانتقام أو العقاب ولكن فقط من أجل منع هُجوم في المُستقبل.

لم يكن هُناك ما يشير مؤخراً في المعلومات الاستخبارية إلى أن ياسين مُتورط بشكل مُباشر في الإرهاب "ولكن هذا لأنه يعلم أننا نتتبعه عن كثب فهو حريص للغاية على عدم قول أي شيء على الهاتف أو عبر أي وسيلة إلكترونية أخرى."

أيد النائب العام الياكيم روبنشتاين موقف المُحامي العسكري العام وصرح بأنه لن يوافق على الاغتيال حتى يتم تقديم دليل واضح يربط ياسين مُباشرة بالإرهاب و "سيقف أمام المحكمة".

بعد ذلك بوقت قصير في 14 كانون الثاني (يناير) 2004 حاولت شابة من قطاع غزة تبلغ من العمر 21 عام الدخول إلى إسرائيل من معبر إيريز وكان عليها أن تمر عبر جهاز الكشف عن المعادن مثل جميع الفلسطينيين وكان هُناك صوت تنبيه عالٍ عند مُرورها عبر الكاشف، قالت لحرس الحدود مُشيرة إلى ساقها: "بلاتين ، بلاتين"

أرسلها الحراس مرة أخرى ثُم مرة ثالثة، استمر الكاشف في إصدار صفير وتم استدعاء حارسة لتفتيشها ومن ثم فجرت قنبلة أدت إلى مقتل أربعة من الفاحصين وجرح عشرة آخرين.

كان اسم المرأة ريم صالح الرياشي، لديها طفلان أحدهما في الثالثة من عمره والآخر ثمانية عشر شهراً فقط.

وبعد ذلك بيوم دعا الشيخ ياسين الى مؤتمر صحفي في منزل أحد اتباعه، جلس على كُرسيه المُتحرك ملفوفاً في بطانية بنية وعليه إكليل كبير على شكل قلب يحمل في الخلفية نقش حماس. كان يبتسم وقال: "للمرة الأولى استخدمنا مُقاتلة بدلاً من الرجل، هذا تطور جديد في الصراع ضد العدو "الشيخ الذي كان قد أصدر في الماضي عدة فتاوى ضد استخدام الانتحاريات قال إنه غير رأيه، "الجهاد المُقدس يُلزم كُل المُسلمين رجالاً ونساءً، وهذا دليل على أن المُقاومة ستستمر حتى يُطرد العدو من وطننا ".

بالنسبة لإسرائيل كان هذا التحول في التكتيكات بمثابة تهديد، "سألنا أنفسنا: كيف سنتمكن من التعامل مع موجات الانتحاريات القادمات إلى البلاد؟" وقال وزير الدفاع موفاز، هُناك معايير اللياقة حتى في الحرب القذرة، "من الصعب فحص النساء ومنع جلب المُتفجرات".

بالإضافة إلى تصريح ياسين تمكنت أمان من تزويد المُدعي العام روبنشتاين بنُسخ من التسجيلات السرية التي تم إجراؤها بواسطة قاعدة عمل وحدة 8200 حينما أخبر ياسين طاقم العمليات أنه يُمكن استخدام النساء كمُفجرات انتحارية، وقال فركش "لدينا أدلة استخباراتية واضحة على الصلة المُباشرة بين القيادة السياسية لحركة حماس برئاسة الشيخ ياسين ومُخططي ومُنفذي الهجمات الإرهابية".

تم إقناع روبنشتاين: يُمكن قتل ياسين قانونياً، مجلس الوزراء الأمني انعقد لاتخاذ قرار، كان شمعون بيريز لا يزال يعُارض: "كُنت أخشى أن يبدأوا بمُحاولة قتل قادة إسرائيليين" ، وقال لاحقاً "اعتقدت أنه كان يمكننا التوصل معه إلى اتفاق سلام".

لكن بأغلبية واحد قرر الوزراء أنه زعيم إرهابي، قال إيهود أولمرت وزير التجارة والصناعة والاتصالات في ذلك الوقت والذي كان جزء من الأغلبية: "لم أتأثر بالتحذيرات من أن الأرض سترتجف أو تسقط السماء بسبب هذا الاغتيال".

في إجراء أصبح روتينيا بالفعل تركت الحُكومة الأمر لشارون وموفاز للموافقة على مُقترحات الجيش الإسرائيلي والشين بيت بشأن موعد وكيفية تنفيذ الضربة، أخبر مساعدو شارون مُستشارة الأمن القومي الأمريكية كوندوليزا رايس أن ياسين أصبح هدفاً شرعياً، من وجهة نظر رايل قال فايسجلاس: "تلا ذلك جدل شديد الصُعوبة، لقد كانوا قلقين من حدوث تصعيد عام في الشرق الأوسط."

في المظاهر العلنية ألقى شارون تلميحات بأنه يرى ياسين الآن كهدف هذا أدى فقط إلى تشديد الأمن حول زعيم حماس، مكث في المنزل ولم يخرج إلا لزيارة المسجد ومنزل أخته وكلاهما كانا بالقُرب من منزله، كان التنقل بين النقاط الثلاث في شاحنتين واحدة مُزودة بمصعد لكُرسي ياسين المُتحرك بينما كان حُراسه المُسلحين يركبون في الثانية، كانت حياته محصورة في هذا المُثلث وكان هو وشعبه يفترضون أن إسرائيل لن تجرؤ على ضرب أي من رؤوسه فكُل منها كان مُكتظاً بالنساء والأطفال وفي حالة المسجد بالمدنيين الأبرياء.

لكن كانت هناك مسافات بين هذه النقاط الثلاث، في مساء 21 مارس اقتيد ياسين للصلاة في المسجد وتبعه حُراسه الشخصيون في شاحنة ثانية.

أمر موفاز بتدمير السيارتين في طريق عودتهما، كانت هُناك مروحيات في الهواء وطائرات بدون طيار تحلق فوقهم وكان ابن ياسين عبد الحميد موجوداً لفترة كافية لاستشعار الخطر، في تسابق إلى المسجد.

وحذر: "أبي لا تغُادر المسجد". "إنهم الإسرائيليون ولن يهاجموا مسجداً".

قرر الشيخ وحُراسه توخي الحذر والبقاء في المسجد.

مرت الساعات وظلت JWR وجميع القوات في حالة تأهب حيث أبقت القوات الجوية على نوبات من الطائرات بدون طيار والمروحيات الهُجومية في الهواء مما أدى إلى إراحتهم عند نفاد الوقود. ذهب الشيخ لينام على فراش على أرضية المسجد واستيقظ مُبكراً لأنه كان غير مُريح، بعد صلاة الفجر أراد العودة إلى المنزل، وقال ابنه: "لم يكن من المُمكن سماع صوت طائرات الهليكوبتر أعلاه، كان الجميع على يقين من أن الخطر قد انتهى".

ومع ذلك كانت مُخاطرة لإرباك المُتتبعين قرروا تجميع الشيخ في كُرسيه المُتحرك ثم الركض إلى منزله، الشاحنة ستلفت الانتباه فقط، قال حميد "لأقول الحقيقة لم أكن أعتقد أنهم سيُطلقون النار على كُرسي مُتحرك لمُعاق".

كان المُتعقبون لا يزالون هناك بالطبع ما زالت الطائرات بدون طيار تُراقب من خلال كاميرات التصوير الحراري، خرج الناس من الباب الأمامي وتجاوزوا بسُرعة الشاحنات المُتوقفة عند المدخل وهم يدفعون كرسياً مُتحركاً.

قائد سلاح الجو حالوتس لم يأذن بفتح النار لأن أوامر وزير الدفاع موفاز سمحت له بإطلاق النار على الشاحنتين فقط.

" قال الوزير حالوتس: **"ليس لدينا إطار للشاحنات لكننا نرى مجموعة من الحُراس الشخصيين يركضون على كُرسي مُتحرك وشخص يرتدي كوفية، هل لدينا إذن؟ "**

طلب موفاز منه التحدث إلى طيار أباتشي وسؤاله عما إذا كان بإمكانه رؤية الكُرسي المُتحرك بوضوح وما إذا كان بإمكانه ضربه.

قال الطيار: "أراهم بوضوح شديد، يمكنني ضربهم".

قال موفاز : "أوافق".

وأبلغ حالوتس الطيار "رشاي".

في بث الفيديو كان هُناك وميض ثُم جُزء من الثانية من شاشة فارغة، ثُم طارت أجزاء من الكُرسي المُتحرك في كل الاتجاهات ارتفعت عجلة واحدة لأعلى وهبطت خارج الإطار والناس مُستلقون أو يزحفون على الأرض.

قال الطيار "طلب الإذن للحصول على ضربات مُتتالية".

أجاب موفاز : "الإذن ممنوح".

وسقط صاروخ آخر على الأرض فقتل كُل من كان على قيد الحياة.

اتصل موفاز بشارون الذي كان ينتظر وهو مُضطرب في منزله بمزرعة الجميز نتيجة العملية، قال: "لدينا فيديو، بالحكم من خلال الصور تبدو جيدة، لقد أصبنا عين الثور لكن دعونا ننتظر التقارير من مصادر إضافية ".

في غُضون دقائق قليلة أفاد مُراقبو المُناوبة في توربان أن قنوات اتصالات حماس تعج بالمُكالمات.

"الشيخ ياسين أصبح شهيداً مع عدد من حُراسه الشخصيين" كان أعضاء التنظيم يُخبرون بعضهم البعض، فيما أُصيب نجله عبد الحميد بجُروح بالغة.

أمر شارون بإيقاظ طاقمه للاستعداد للتعامل مع التداعيات.

وردت أنباء الاغتيال بقلق بالغ في واشنطن، "إنهم على وشك الهستيريا" أبلغ فايسجلاس شارون، قال لرايس ألا تقلق وأن إسرائيل تتوقع أن يكون رد العالم العربي إدانة وليس أكثر، " قال كوندي" بصوت هادئ ومُقنع: "حتى في السُلطة الفلسطينية لا نتوقع أي شيء غير عادي، لقد أعلنوا الحداد الوطني لمُدة ثلاثة أيام لكن جميع المتاجر مفتوحة، كل شيء سيكون على مايُرام".

مُنذ أن انتهت أيام الحداد الوطني عيّن مجلس الشورى الهيئة العُليا لحركة حماس عبد العزيز الرنتيسي خلفاً لياسين، أدى اليمين الدُستورية في ملعب كُرة قدم في أحد مُخيمات اللاجئين في غزة، جالساً على منصة أمام حشد كبير شاهدت قيادة المُنظمة بأكملها عرضاً لرجال الميليشيات بالزي الرسمي وقبلوا يد القائد الجديد، أعلن الرنتيسي في خطابه الأول "سنُقاتل العدو في كُل مكان وسنعلمه معنى المُقاومة" وتعهد بالانتقام لمقتل ياسين.

كان الإسرائيليون على علم بخُطط العرض والاحتفال لكن شارون أمر الشاباك وسلاح الجو بوقف إطلاق النار خشية إصابة المدنيين ولأنه كان من الواضح أن شبكات التلفزيون الأجنبية ستكون هُناك وستبث أي هُجوم اسرائيلي مُباشر.

ومع ذلك في تلك المرحلة كان شارون قد سمح بالفعل باغتيال الزعيم الجديد، كان هذا القرار أسهل بكثير، حيث كان الرنتيسي يفتقر إلى سُلطة ياسين الدينية ولم يكن شخصية سياسية عربية مُعترف بها دولياً، تورطه في الإرهاب كان لا جدال فيه والأهم من ذلك أن السابقة قد تم وضعها الآن يُمكن تصفية أي زعيم في حماس.

كان الرنتيسي حذراً وحاول أن يكون مُخادع حيث كان يتنقل من مخبأ إلى آخ، ويرتدي الشعر المُستعار ويستخدم أسماء رمزية مُختلفة على هواتفه المحمولة، لكن توربان لم يجد صُعوبة في متابعته، في 17 أبريل / نيسان بعد أُسبوعين فقط من تكليفه بالمسؤولية لحركة حماس عاد إلى منزله لإجراء الترتيبات النهائية لزواج ابنه أحمد، كانت زيارة قصيرة: أعطى زوجته النُقود التي احتاجتها لاستكمال الاستعدادات ثُم غادر.

كان يقود سيارته في شارع الجلاء عندما انفجر صاروخ في سيارته من نوع سوبارو، وتجمع حشد من المئات حول بقايا السيارة المُتفحمة، حاول فريق الإسعاف أن يُنقذ حياة الرنتيسي ومُساعديه دون جدوى، وأظهرت صورة وزعتها وكالة رويترز حشدا يصرخ ويبكي مع رجل يمسك يديه ملطخاً بدماء الزعيم القتيل حتى السماء.

وقال موفاز للصحافة "كان طبيب أطفال يتعامل بشكل أساسي مع قتل الأطفال"، جعل مُقربو شارون التحذير الضمني صريحاً، قال أحدهم: "**ينبغي لعرفات أن يأخذ علماً بأن أي شخص له علاقة بالإرهاب يجب أن يكون حذراً للغاية من مصيره**".

كان مقتل الرنتيسي عملية القتل المُستهدف رقم 68 مُنذ بداية الانتفاضة في أواخر عام 2000، بحلول ذلك الوقت نجحت عملية قطف شقائق النُعمان في إلقاء حماس في حالة من الصدمة والارتباك، عيّن مجلس الشورى على الفور خليفة للرنتيسي لكنه كان شخصية ثانوية سرِّية اسمه مُبهم حتى لا ينتهي به الأمر بالاغتيال، اتخذ جميع كبار مسؤولي حماس إجراءات مُتطرفة للبقاء تحت رادار إسرائيل وقضوا فعلياً مُعظم وقتهم في مُحاولة البقاء على قيد الحياة.

وجاء في بيان على موقع حماس على الإنترنت أن "العدو الصهيوني نجح في اغتيال العديد من الإخوة المقاتلين، وذلك في وقت نحتاج فيه بشدة إلى كُل مُقاتل مُخلص، لا شك على الإطلاق في أن الإهمال هو أحد الأسباب الرئيسية لنجاح العدو لأن طائرات التجسس الإلكترونية لا تُغادر سماء غزة أبداً، إن العُيون الكثيرة المُكلفة بهذه المُهمة لا تعرف النوم، ومروحيات الأباتشي جاهزة ومُتوفرة بصواريخها وتنتظر الفُرصة، أنت هدف للاغتيال في كُل يومُ حتى في كل ساعة من اليوم".

بعد أُسبوعين من مقتل الرنتيسي ذهب اللواء عُمر سُليمان وزير المُخابرات المصري وأقوى رجل في نظام القاهرة بعد الرئيس مبارك إلى إسرائيل لعقد اجتماع عاجل مع موفاز ويعلون وديختر، قال سُليمان: "جئت برسالة مُصالحة"، وقدم اقتراح لحماس بوقف إطلاق النار الذي كان جوهره "لا اغتيالات ولا هجمات إرهابية".

وشكر موفاز سُليمان على حُضوره وقال له إن جُهود مصر لتحقيق المُصالحة في المنطقة كعادتها موضع تقدير لنا في إسرائيل، لكن لم يكن هُناك المزيد للمُناقشة، وقال إن إسرائيل لن توقف عمليات القتل المُستهدف بشكل عام أو حملة اغتيال قيادة حماس بشكل خاص.

غضب سُليمان لقد جئت على طول الطريق من القاهرة وأحضرت لك عرضاً لوقف الهجمات، هذا ما تريده، لماذا تُصر على عدم إتمام المصالحة؟ "

وقال موفاز: "**حماس ترُيد هدنة حتى تُصبح أقوى، لذلك علينا أن نهزمهم ولا نسمح لهم بالتنفس**".

وناشد سُليمان شارون الذي استقبله بحرارة لكنه لم يرضخ، وقال "موقف مُؤسستنا الدفاعية هو أننا يجب ألا نتفق على وقف إطلاق النار، لا يُمكنني مُعارضة جنرالاتي،" لقد عرض فقط أن إسرائيل ستُراقب سُلوك حماس بعناية.

حاول نُشطاء حماس أن يجعلوا من الصعب على الطائرات الإسرائيلية بدون طيار وأباتشي العثور عليهم.

لم يتحركوا إلا عند الضرورة واستخدموا الدراجات النارية وحاولوا البقاء في الشوارع الضيقة، لا يهم: فاثنان قُتلا بصواريخ في غزة في 30 ايار وآخر في مُخيم بلاطة للاجئين بعد أسبوعين، في نفس اليوم جاء سُليمان لرؤية شارون بنفسه مرة أُخرى بعد اتصالات هاتفية مُكثفة جرت مُنذ الزيارة السابقة، "السيد رئيس الوزراء الآن تعلم أن عرضهم جاد وأنهم توقفوا عن الهُجوم".

على مضض وافق شارون على وقف عمليات القتل المُستهدف، أمرت حماس بوقف مُطلق وفوري للهجمات الانتحارية.

أرييل شارون كان له الآن اليد العُليا في مُكافحة الإرهاب، وخلال تلك الفترة عندما أصبح الوضع الأمني أكثر هدوءً بعض الشيء بدأ يفكر في حل سياسي للصراع التاريخي في الشرق الأوسط، إن تقاربه الوثيق مع الرئيس بوش والعلاقة العميقة التي طورها مع الإدارة الأمريكية بأكملها المبنية على مُقايضة تجميد المُستوطنات مُقابل تفويض مُطلق في عمليات القتل المُستهدف جعلت شارون يشعر أن الأمريكيين يُريدون بصدق مُساعدة دولة إسرائيل، وقد أعطته بعض الضمانات الجديدة.

وقال فايسجلاس: "توصل شارون إلى نتيجة مفادها أنه لا يهم من يجلس في البيت الأبيض أنهم يرون دائماً في المُستوطنات على أنها مُشكلة كبيرة".

وبالنسبة لشارون فإن المُستوطنات التي روج لها بإخلاص في مواقفه السابقة ليست قضية دينية وأيديولوجية، وبدلاً من ذلك كانت اعتباراً أمنياً.

"في اللحظة التي أدرك فيها أنهم عبء وليست ميزة لم يكن لديه مُشكلة في إجلائهم وإدارة ظهره للمُستوطنين"، وقال فايسغلاس إن شارون الصقر المحلق الذي بنى حياته المهنية على

سياسته العُدوانية تجاه العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص "خضع لتغيير جذري، لقد أراد الخُروج من المنصة كجنرال مشوب بالقتال وأصبح صانع سلام عظيم".

لكن شارون ما زال يعتقد أن هُناك عقبة رئيسية أمام تحقيق هذه الرؤية: ياسر عرفات، توصل رئيس الوزراء إلى قبول أنه لا تُوجد طريقة لمنع إقامة دولة فلسطينية مُستقلة لكن هذا لم يُقلل من كراهيته لزعيمهم، واعتبر عرفات شخصاً "**أقام نظاماً إرهاباً في المناطق التي حكمها ودرب الإرهابيين بطريقة مُنظمة ورعاية الدولة وحرضهم ومولهم وجهّزهم بل وقام بتسليحهم، وإرسالهم للقتل في جميع أنحاء إسرائيل**"، في مُحادثة هاتفية مع وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف وصف شارون عرفات بأنه "كاذب مَرَض وقاتل أمر بقتل الأطفال والنساء والرُضع".

تلقت المُخابرات الإسرائيلية جزء كبير من أرشيف ياسر عرفات عندما استولت قوات الجيش الإسرائيلي على جُزءِ من مقره بالقرب من رام الله وقدمت هذه المواد مئات الدلالات لاتهامات شارون بذلك، كان عرفات قد أمر بخط يده بتحويل مبالغ طائلة لدعم نشاطات فتح الإرهابية، كما تورط الرئيس الفلسطيني ودائرته في قدر غير مسبوق من الفساد، وأشارت الوثائق إلى أن عرفات نكث مراراً بوعوده لإسرائيل والمُجتمع الدولي ببناء دولة ديمقراطية حقيقية ذات اقتصاد حديث وقوة مُسلحة واحدة، لقد فشل في الانتقال من رئيس مُنظمة حرب العصابات إلى زعيم دولة ديمقراطية واستمر في إدارة السُلطة الفلسطينية بنفس أساليب التلاعب والفساد وسياسة فرق تسد التي استخدمها في إدارة مُنظمة التحرير الفلسطينية بهدف ضمان بقائه كزعيم فلسطيني.

كجُزءِ من خُطة لنزع الشرعية عن عرفات منح شارون بضعة صحفيين (وبالتالي العديد من الصحفيين غير الإسرائيليين) حق الوصول إلى هذا الأرشيفات ليتم نشرها في جميع أنحاء العالم، كما أصدر توجيهاً لتحويل الأموال من الصُندوق السري لمُدير الموساد من أجل المُساعدة في النشر الخارجي لكتاب حول هذه الوثائق.

حتى أن شارون فكر في نشر شريط فيديو صورته المُخابرات الرومانية في أواخر السبعينيات، الجنرال أيون ميهاي باسيبا الرئيس السابق لـ DIE (مُنظمة المخابرات السوفيتية الرومانية) الذي قال عن عرفات: "لم أر قط الكثير من الذكاء والدم والرجس مُجتمعين في رجل واحد"، أشار إلى أن رجاله قد وضعوا كاميرات خفية في دار الضيافة الرسمية التي أقام فيها عرفات بعد لقائه بالرئيس نيكولاي تشاوشيسكو، وأن هذه الكاميرات وثقت انخراط عرفات في علاقات

مثلية مع حرُاسه الشخصيين، وقال شارون لمُساعديه إن هذا التوثيق وصل إلى أيدي المُخابرات الإسرائيلية وأنه يُفكر في نشرها دون الكشف عن هويته على الإنترنت.

لقد أسقط شارون هذه الفكرة البغيضة عندما حققت إسرائيل هدفها بوسائل أُخرى بإقناع الإدارة الأمريكية بأن عرفات لا يُمكن إصلاحه، حصلت إسرائيل على دليل قاطع على تورط عرفات في تهريب أسلحة على متن سفينة "كارين إيه" من إيران إلى الجماعات الإرهابية في السُلطة الفلسطينية. بعد أن سيطرت القافلة البحرية 13 ، في عملية سفينة نوح على السفينة في البحر، وتم اعتقال طاقمها واستجوابهم، نفى رئيس السُلطة الفلسطينية أن يكون هو أو أي من موظفيه متُورطين في رسالة خاصة إلى الرئيس بوش، ومع ذلك فإن المعلومات الاستخباراتية بما في ذلك التنصت على المُكالمات الهاتفية والوثائق ونُصوص الاستجواب التي تم أخذها إلى البيت الأبيض من قبل أحد كبار مُوظفي وحدة أمان في حقيبة مُقيدة بسلاسل في معصمه، كانت أكثر إقناعاً عندما علم بوش أن عرفات كذب عليه بوقاحة أعلن أن الرئيس الفلسطيني غير ذي صلة وفي 24 يونيو 2002 دعا الشعب الفلسطيني إلى انتخاب زعيم جديد.

في تشرين الثاني (نوفمبر) 2002 في أعقاب عدة هجمات مُروعة ضد إسرائيليين أصدر شارون أمراً بتطويق المُقاطعة وهو مقر عرفات وترك عرفات وبعض رجاله المُحاصرين بالداخل، كانت تعليماته هي جعل الحياة بائسة لـ "كلب المقاطعة" كما كان يُسميه أحياناً، وأمر بقطع الكهرباء وأحياناً قطع إمدادات المياه، ثم أمر شارون مجموعة من الجرافات المُدرعة D9 بهدم جدار آخر للمُجمع كُل بضعة أيام.

ومع ذلك كانت هُناك خلافات حول ما يجب فعله أخيراً مع عرفات، اعتقد البعض أنه يجب أن يكون هدفاً للتصفية وأن إسرائيل يجب أن تضربه، يعتقد البعض أنه يجب أن يتعرض للضرب في الخفاء دون ربط العمل بإسرائيل، وكان آخرون يؤيدون نفيه، بينما قال البعض إنه يجب تركه بمُفرده "ليتعفن" في المُقاطعة.

بعد هُجوم خطير في أبريل 2002 سمع شارون ورئيس الأركان موفاز يجريان مُحادثة خاصة. جلسوا بالقُرب من الميكروفونات في حدث عام غير مُدركين أن طاقم التلفزيون مُتصل بالفعل بالميكروفونات وكان يُصورهم من بعيد.

موفاز: يجب أن نتخلص منه، شارون: ماذا؟

موفاز: للتخلص منه، شارون: أعرف.

موفاز: يجب اغتنام الفُرصة الآن، لن تكون هناك فرصة أخرى، أُريد أن أتحدث معك الآن.

شارون: ضحك ضحكة مكتومة وقال: عندما نتحرك لا أعرف الطريقة التي تستخدمها لهذا، ثم " يُصبح جاداً ".. علينا أن نكون حذرين!

من غير الواضح على وجه التحديد إلى أي "عمل" كان شارون يُشير إليه هُنا لكن الجيش الإسرائيلي ومُجتمع المُخابرات أعدا خُطط طوارئ لكُل استراتيجية مُحتملة لعرفات، اختار قائد سلاح الجو دان حالوتس الذي كان من المُؤيدين المُتحمسين لنفي عرفات، على جزيرتين صغيرتين إحداهما بالقُرب من الساحل اللبناني والأُخرى بالقُرب من السودان كمنازل جديدة مُحتملة للرئيس، في رأيه يجب إرسال عرفات إلى هُناك مع اثنين من مُساعديه وقليل من الطعام والماء للرحلة وبعد ذلك ستُعلن إسرائيل للعالم مكان وُجوده، تم تحديد وحدات مُشاة خاصة للاستيلاء على المُقاطعة والتوجه إلى غُرفة عرفات وفكرت إسرائيل في إطلاق غاز مُنوم على المُجمع قبل الغارة لإنقاذ الأرواح.

في النهاية تم إلغاء العملية لأننا "لم نتمكن من ضمان خُروج عرفات حياً" كما يتذكر رئيس وحدة الصدمات في الفيلق الطبي المُقدم الدكتور أمير بلومنفيلد: **"بعد كُل شيء كُنا نتعامل مع رجل عجوز يعُاني من مشاكل صحية كثيرة ومع احتمال اندلاع معركة مع الجُنود الذين جاءوا لاختطافه".**

وصلت المُداولات حول عرفات في نهاية المطاف إلى واشنطن، خشي مسؤولو إدارة بوش من أنه مثلما قرر شارون تصفية ياسين فإنه سيأمر أيضاً باغتيال عرفات، وفي اجتماع بالبيت الأبيض في 14 نيسان (أبريل) 2004 طالب بوش بأن يتعهد شارون بعدم المس بعرفات، وبحسب أحد المُشاركين في الاجتماع قال شارون للرئيس إنه فهم طلبه وقال كلمات "أرى وجهة نظرك"، رأى بوش أن رئيس الوُزراء كان مُراوغاً وواصل الضغط حتى وعد شارون صراحة بعدم قتل عرفات.

حتى قبل هذا الوعد توصل شارون بالتشاور مع قادة الجيش الإسرائيلي ورجال المُخابرات إلى نتيجة مفادها أنه يجب ألا يُنظر إلى إسرائيل على أنها مُتورطة في مقتل ياسر عرفات بأي شكل من الأشكال وأصبح هذا أكثر أهمية بعد أن قطع شارون الوعد للرئيس بوش.

—

وبعد ذلك وفجأة استسلم الرجل الذي تمكن من الإفلات من الموت مرات عديدة لمرض معوي غامض ومات!!! توصلت الاختبارات المعملية التي أُجريت بمُبادرة من جهات مُختلفة إلى نتائج مُختلفة، وبحسب بعض الاختبارات كانت هُناك آثار للبولونيوم وهي مادة مُشعة تُستخدم في الاغتيالات، وُجدت على ملابس عرفات ورُفاته، قال خُبراء آخرون أنه مات موتاً طبيعياً، الملف الطبي لعرفات من المُستشفى العسكري الفرنسي قُرب باريس والذي سمح له شارون بنقله جوا حتى لا يموت في منطقة تحت السيطرة الإسرائيلية يُثير تساؤلات كثيرة ولا يستبعد احتمال وفاته بمرض الإيدز.

نفى المُتحدثون الإسرائيليون بشكل قاطع تورط إسرائيل بأي شكل من الأشكال في مقتل عرفات، "لم نقتل عرفات" هذا ما كرره أعضاء بارزون في مُجتمع المخابرات والمُستوى السياسي.

من ناحية أُخرى لا شك في أن توقيت وفاة عرفات كان غريباً للغاية حيث جاء بعد وقت قصير من اغتيال ياسين، في كتابه أريل شارون: صورة حميمة زعم أوري دان المُتحدث المُخلص لشارون أنه في اجتماع لاحق مع بوش قال شارون إنه لم يعد يعتبر نفسه مُلزماً بوعده السابق بعدم قتل عرفات وأن الرئيس لم يعرض استجابة، خلال تلك الفترة اشتكى دان لشارون مُتسائلاً لماذا لم ينفي عرفات أو يُقدمه للمحاكمة: "إذاً عرفات يتمتع بحصانة كاملة؟"

أجاب شارون باقتضاب: "**دعني أفعل الأشياء على طريقي**" ثُم قال دان: "**فجأة قطع مُحادثتنا وهو أمر غير عادي في العلاقات بيننا**". وتابع دان قائلاً إن حالة عرفات بدأت تتدهور بعد ذلك الاجتماع مع الرئيس واختتم بالقول: "**سيظهر أريل شارون في كُتب التاريخ على أنه الشخص الذي قضى على عرفات دون قتله**".

لو علمت الجواب على سؤال من قتل ياسر عرفات لما استطعت كتابته هُنا في هذا الكتاب، أو حتى أن أكتب أنني أعرف الإجابة، حيث يمنعني الرقيب العسكري في إسرائيل من مُناقشة هذا الموضوع.

يُمكن للمرء أن يقول على وجه اليقين إن شارون أراد التخلص من عرفات والذي رآه "الوحش ذو الذراعين" والذي فشل في قتله قبل عشرين عاماً، إذا أمر شارون بالفعل بتصفية عرفات فقد تم ذلك في سرية مُطلقة في اجتماعات أصغر بكثير من أي عملية قتل أُخرى مُستهدفة، وقد حدد شارون بنفسه الهدف من مثل هذه العملية دون أن يعترف بذلك: "الأحداث الأخيرة

من المُرجح أن تكون نُقطة تحول تاريخية" قال في بيان خاص عقب وفاة عرفات: "**إذا ظهرت بعد عهد عرفات قيادة مُختلفة وجادة ومسؤولة قيادة تُنفذ تعهداتها فستُتاح فُرصة عادلة لتنسيق التحركات المُختلفة مع تلك القيادة وحتى لاستئناف المُفاوضات الدبلوماسية معها**".

من دون الاعتراف بالتورط المُباشر في وفاة عرفات اتفق جميع القيادات العُليا خلال تلك الفترة على أن عزل عرفات حسّن أمن إسرائيل، محمود عباس (أبو مازن) الذي عُين ليخلفه رئيساً ورئيس الوزراء الفلسطيني الجديد سلام فياض الذي تربطه علاقات وثيقة بالإدارة الأمريكية، شنوا حملة حازمة ضد الإرهاب، حتى رُؤساء الشاباك المُتشككون يعترفون بأن الفلسطينيين أصبحوا جادين في وقف الإرهاب بعد وُصول عباس وفياض وأن الهُدوء الذي تحقق منذ وفاة عرفات يعود إلى حد كبير إلى التعاون الأمني الوثيق مع الاثنين.

الحرب بين إسرائيل والفلسطينيين التي اندلعت في أيلول (سبتمبر) 2000 تراجعت تدريجياً، حرب الانتقام المُستمر من التفجيرات الانتحارية والقتل المُستهدف حتى توقفت تماماً.

—

أصدرت إسرائيل عدداً من الإجراءات في حربها ضد الإرهاب الفلسطيني في الانتفاضة الثانية بما في ذلك غزوات برية للجيش الإسرائيلي لإجراء اعتقالات واسعة النطاق وبناء حاجز بين الضفة الغربية وإسرائيل جعل من الصعب على الإرهابيين الانتحاريين دُخول إسرائيل، ولكن في حين أن هذه الإجراءات أعاقت إلى حد ما المُنظمات الإرهابية إلا أن الإحصائيات تُظهر بوُضوح أنها واصلت مُحاولاتها لتنفيذ عمليات إرهابية قاتلة بعد بدء تلك الإجراءات، وأن الهجمات الإرهابية لم تتوقف إلا بعد عدد كبير من عمليات القتل المُستهدف للعناصر الإرهابية وفي عملية انتقاء شقائق النعمان واغتيال قادة الإرهاب.

بفضل جهاز القتل المُستهدف المُبسط انتصر مُجتمع المُخابرات الإسرائيلي على شيء كان يُعتبر لسنوات عديدة لا يُهزم: الإرهاب الانتحاري، من خلال استثمار موارد دولة بأكملها من خلال المُثابرة والتعاون بين المُخابرات والأسلحة العملياتية وتحت القيادة الحاسمة لأريل شارون أثبتت إسرائيل أنه يُمكن وضع شبكة إرهابية قاتلة لا هوادة فيها على ركبتيها.

ومع ذلك فإن استخدام القتل المُستهدف له تكاليف باهظة مُصاحبة، لقد دُفع الثمن أولاً وقبل كُل شيء، الفلسطينيون الأبرياء الذين أصبحوا "الضرر العرضي" للاغتيالات، حيث قُتل العديد

من الأبرياء وجُرح الآلاف بمن فيهم العديد من الأطفال وتُركوا مُعاقين مدى الحياة وكان آخرون مُتخلفين عقلياً أو بلا مأوى.

قال ضابط رفيع المُستوى في الشاباك: "**في الماضي عندما كان الأمر كله سرياً ومشكوكاً في شرعيته كان بإمكاننا تنفيذ ضربات قليلة جداً، وكم من هذه الاجراءات يمكن القيام بها دون تعرض الأبرياء للخطر؟ في اللحظة التي اتخذ فيها المُحامي العام للجيش الإسرائيلي هذه الإجراءات غير القانونية والعلنية فتحنا خط تجميع للاغتيالات، لذا الآن ضمائرنا أنظف لكن انتهى الأمر بموت الكثير من الناس** ".

كانت غابرييلا بلوم اعتباراً من عام 2018 أستاذة قانون في جامعة هارفارد ضابطة في هيئة المحامي العام للجيش الإسرائيلي وأحد واضعي المُذكرة التي شرعت الاغتيالات، وفي تعليقها في عام 2017 أعربت عن أسفها الشديد: "**إنني قلقة للغاية من أن ما تم التصريح به في الأصل كعمل استثنائي يتم اتخاذه في حالات استثنائية أصبح مُمارسة عادية**"

كما أدت حملة القتل المُستهدف إلى حد كبير إلى زيادة تهميش إسرائيل ونزع الشرعية عنها في نظر العالم وكان داود يتصرف مرة أخرى مثل جليات.

حاول رئيس الأركان دان حالوتس أن يشرح سبب تبني إسرائيل لسياسة القتل المُستهدف: "هذه هي مُدونة السُلوك الأساسية في الشرق الأوسط: لقد أدركوا أننا مجانين وأننا مُستعدون للذهاب طوال الطريق وأننا لن نكن مستعدين للتخلص من المزيد ".

ومع ذلك على الرغم من أن مقتل اثنين من الشخصيات البارزة "ياسين وعرفات"، كان له بالتأكيد تأثير كبير على المنطقة إلا أن عامي أيالون كان على حق عندما قال إنه بينما من المُرجح أن يؤدي اغتيال القادة إلى تحويل التاريخ إلى مسار جديد فإنه لن يكون بالضرورة أفضل، واحد من المسار السابق قد يكون جيداً للغاية ينتهي بإطالة مقدار الوقت قبل تحقيق السلام.

كما اتضح أن عرفات هو الشخص الوحيد القادر على إبقاء الشعب الفلسطيني موحداً بشكل أو بآخر، تحت سيطرة السُلطة الفلسطينية، وبعد وفاته فشل الرئيس عباس في هذا الصدد وسيطرت حماس على غزة وأقامت كياناً فلسطينياً ثانياً، شكل هذا الترتيب الجديد تهديداً خطيراً لإسرائيل وهو تهديد أكبر بكثير مما كان عليه عرفات في أي وقت مضى.

نجحت حماس في السيطرة على غزة بفضل المُساعدة الهائلة التي تلقتها من إيران، وللمُفارقة من الصعب تصديق أن حماس كانت ستنجح في يوم من الأيام في إقامة دولة خاصة بها في قطاع غزة لو كان الشيخ ياسين لا يزال على قيد الحياة، وعارض ياسين بشدة أي تعاون أو علاقات مع إيران وفرض رأيه على التنظيم.

مما لا شك فيه أن مقتل الشيخ ياسين كان أقسى ضربة تلقتها حماس في تاريخها كله وأكبر عامل في رغبتها في التوصل إلى وقف لإطلاق النار مع إسرائيل، لكنها أدت أيضاً إلى تحول آخر غير متوقع في مسار تاريخ الشرق الأوسط: بفضل إزالة ياسين من المشهد شكلت إيران أخطر أعداء إسرائيل، الحلقة الأخيرة في خطتها لتُصبح قوة إقليمية.

33

الجبهة الراديكالية

جاءت القيادة بشكل غير متوقع إلى بشار الأسد.

كان حافظ الأسد الذي سيطر على سوريا في تشرين الثاني (نوفمبر) 1970 يتوقع أن يخلفه ابنه الأكبر باسل لكنه قُتل في حادث سيارة، الخيار الثاني للأسد كان ابنه الأصغر ماهر، الذي اختار مهنة عسكرية، لكنه أثبت أنه متهور للغاية ويميل إلى نوبات من الغضب والانفجارات العنيفة. وأُصيب الابن الثالث مجد بمرض خلقي أدى إلى وفاته فيما بعد، ترك ذلك بشار الذي كان في العشرين من عُمره وفي لندن، يتلقى تدريباً بعد التخرج في طب العيُون عندما استدعاه والده إلى دمشق مُباشرة بعد حادث باسل المُميت في عام 1994.

لطالما اعتبر بشار أضعف أبناء الأسد فهو مُنعزلاً وحالماً إلى حد ما ويبدو مرعوباً بعض الشيء، ربما كان والده على علم بنقاط ضعف بشار لكن قلقه بشأن استمرار حُكم العائلة كان على رأس أولوياته، أُرسل بشار إلى الجيش حيث سرعان ما ترقى إلى رُتبة عقيد ثم عينه قائداً للقوات السورية في لبنان لتجهيزه للحُكم، بحلول نهاية التسعينيات كان بشار مُعداً جيداً للرئاسة، توفي حافظ الأسد في حزيران (يونيو) 2000 وانتُخب بشار في الشهر التالي.

لكن إرث الأسد كان في تلك اللحظة بالتحديد مُشكلة، كان الاتحاد السوفيتي قد تفكك قبل عقد من الزمان وانتهت الحرب الباردة ولم تكن روسيا في ذلك الوقت بنفس تأثيرها في الشرق الأوسط كما كانت، كانت الساحة العالمية قد أُعيد تشكيلها وكان على بشار الأسد أن يجد مكان سوريا فيه.

لكن الاقتصاد السوري كان في وضعه أسوأ من أي وقت مضى، كانت خزائن الدولة فارغة وجيشها رغم أنه من أكبر الجُيوش في المنطقة قد عفا عليه الزمن جُزئياً وبحاجة ماسة إلى

أسلحة حديثة، الأهم من ذلك أن إسرائيل ما زالت تُسيطر على مُرتفعات الجولان التي احتلتها من سوريا عام 1967، لقد كان جرحاً عميقاً ومُفتحاً ولن يسمح له الكبرياء الوطني بالتنحي.

في مُنتصف عام 2000 كان لدى الأسد خيار: مُحاذاة سوريا مع الولايات المتحدة وهي القوة العُظمى الأخيرة المُتبقية، أو مع إيران القوة الإقليمية الناشئة، لم يكن هذا قراراً صعباً، فقبل عشر سنوات من وفاته أذهل الرئيس حافظ الأسد العالم بموافقته على الانضمام إلى التحالف الذي شكلته الولايات المُتحدة ضد دولة عربية أُخرى لطرد صدام حُسين من الكويت، وأعرب عن أمله في الحُصول على شيء في المُقابل مكاسب اقتصادية ورفع سوريا من قائمة الدول المُتورطة في الإرهاب وتجارة المُخدرات والضغط على إسرائيل للانسحاب الكامل من مُرتفعات الجولان، ولم يتلق أيا من هذه الشُروط.

قبل ثلاثة أشهر من وفاته التقى حافظ الأسد بالرئيس بيل كلينتون في جنيف في ذروة الجُهود الدبلوماسية الأمريكية للتوسط في اتفاق سلام بين سوريا وإسرائيل، حمل كلينتون رسالة إلى الأسد من رئيس الوزراء إيهود باراك تضمنت أفضل عرض حصل عليه من إسرائيل: انسحاب شبه كامل من مُرتفعات الجولان باستثناء أنه "لن يُبلل أي جُندي سوري قدمه في مياه بُحيرة طبريا" أي أنه لن يكون هُناك وجود سوري دائم على الشاطئ، سمع الأسد كلينتون ونسف القمة بعد وقت قصير من بدئها.

بالنسبة لإسرائيل والولايات المُتحدة كان هذا دليلاً على عناد حافظ الأسد غير المنطقي ربما بسبب أمراض المعدة والخرف التي عانى منها، في نظر الأسد كان من أشد المتحمسين لنظريات المؤامرة كانت القمة دليلاً إضافياً على أن الولايات المُتحدة كانت مُجرد قمر صناعي لإسرائيل وليس العكس وأنه لن يحصل أبداً على كل مُرتفعات الجولان أو أي شيء مُهم آخر لن يستفيد من علاقته بالولايات المتحدة، وبدت إسرائيل ضعيفة لذلك.

انسحب إيهود باراك من لبنان دون قيد أو شرط في أيار (مايو) 2000 الأمر الذي كان من وجهة نظر الأسد بمثابة هزيمة مُذلة، بالنسبة له أثبت ذلك أن الاستخدام الفعال لحرب العصابات يُمكن أن يُجبر حتى أقوى قوة عسكرية في المنطقة على الاستسلام.

حث حافظ الأسد ابنه بشار على استعادة مُرتفعات الجولان المحتلة ونصحه بتجنب مواجهة عسكرية مع إسرائيل والتي من شبه المؤكد أن سوريا ستخرج منها بالخاسرة، ومع ذلك كان لإيران مجموعات إرهابية يقودها حزب الله ومن مهامها شن حرب غير مُتكافئة ضد اليهود،

اعتقد بشار الأسد أنه من الأفضل ترك المُتطرفين يخوضون حرباً قذرة قد تُجبر إسرائيل على تقديم تنازلات، لماذا سفك دماء السوريين بينما كان الجهاديون على استعداد لإراقة دماءهم؟

وبناءً على ذلك جعل الأسد الارتباط مع حزب الله ورعاته في طهران العُنصر المركزي في عقيدته الأمنية، وقعت سوريا وإيران سلسلة من الاتفاقيات بشأن الدفاع المُتبادل وإمدادات الأسلحة وتطويرها ومنحت طهران الأسد 1.5 مليار دولار لإعادة بناء جيشه.

—

اعتبر العديد من كبار الإيرانيين الثيوقراطيين الأسد وإخوانه العلويين زنادقة وخونة للتقاليد المقدسة وكُفار أساءوا إلى الله، ومن ناحية أُخرى كان لسوريا جيش قوي وحُدود مع إسرائيل ومصداقية دولية أكثر من طهران.

كانت الحكومة الإيرانية لديها بعض المشاكل الخاصة بها فكانت الدولة في خضم أزمة اقتصادية حادة مع وُجود انقسامات حادة في المُجتمع الفارسي واستياء مُتزايد تجاه آيات الله، فإلى جانب كوريا الشمالية والعراق أصبحت إيران من بين أكثر البُلدان عُزلة ونبذاً في العالم، في خطابه عن حالة الاتحاد في كانون الثاني (يناير) 2002 وصف الرئيس بوش هذه البُلدان الثلاثة بأنها "محور الشر"، وبعد ذلك شددت الإدارة الأمريكية العُقوبات على إيران.

لم يُدرج بوش سوريا في "محور الشر" لأن الأمريكيين كانوا لا يزالون يأملون في جذبها نحو الغرب ويرجع ذلك جزئياً إلى أن سوريا حافظت على علاقات ودية مع العديد من الدول الغربية مثل فرنسا وألمانيا على وجه الخصوص، قال مايكل هايدن رئيس وكالة الأمن القومي ووكالة المُخابرات المركزية خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين: **"لقد حاولنا التعاون مع الأسد ضد الإرهابيين الذين كانوا يُقاتلوننا في العراق" مضيفاً أن هذه الآمال سُرعان ما تبددت".**

كان التحالف مع سوريا في مصلحة إيران، فيمكن لطهران أن تُقدم المال الذي تحتاجه دمشق بشدة والتكنولوجيا العسكرية المُتقدمة مثل مُحركات الصواريخ ذات الوقود الصلب للصواريخ طويلة المدى، في المُقابل يُمكن أن توفر سوريا وصولاً مُباشراً إلى خصم إيران الرئيسي والأهم

من ذلك أن تُوفر جسراً إلى العالم الأوسع، يُمكن تسويق الواردات والصادرات الإيرانية عبر الموانئ والمطارات السورية مما يُخفف من عُزلة إيران الدولية.

في الوقت نفسه كانت إيران تُدير ميليشيا بالوكالة في لبنان حيث تحتفظ سوريا بعمليات عسكرية واستخباراتية كبيرة، وللحفاظ على إمدادات حزب الله وعمله، طلب الايرانيون حُرية الحركة والتي لم يكن بإمكان السوريين السماح بها فحسب بل تسهيلها أيضاً.

لكن الأسد الشاب فعل أكثر من مُجرد اختيار حُلفاءه، فلعُقود من الزمان كان والده يسمح للإيرانيين بنقل شحنات أسلحة إلى دمشق ثُم نقلها براً إلى حزب الله، لكن حافظ الأسد ساعد الإيرانيين فقط من خلال السماح لهم بالعمل دون عوائق وتجنب بعناية وحذر أي علاقات وثيقة مع الجهاديين أنفسهم، لكن بشار الأسد رأى فُرصة انتصار حزب الله على إسرائيل وعقيدة حسن نصر الله أمين عام المنظمة، الذي شبه إسرائيل بـ "**بيت عنكبوت**" قوية من بعيد لكنها رخوة عن قُرب، وهكذا أثرت عليه.

قرر الأسد الأصغر أن يلقي نصيبه بكل إخلاص مع كل من الثيوقراطيين والجهاديين وأن يضع كُل موارد سوريا تحت تصرفهم، بدءاً من أوائل عام 2002 فتح الأسد مُستودعات جيشه لحزب الله حيث زود المُنظمة بأسلحة سوفيتية حديثة تفتقر إليها حتى إيران وصواريخ أرض-أرض طويلة المدى، كما فتح أبواب قصره لنصر الله الذي اعتبره نموذجاً يحُتذى به.

كانت لدى سوريا دوافع عملية لرغبتها في تقوية حزب الله، كان لبنان شريان حياة اقتصادياً لسوريا ولجنرالات الأسد الذين تمتعوا بعُمولات سخية من الصفقات التي شاركت فيها الدولة، لكن في الآونة الأخيرة انتفض عدد من الشخصيات القوية في لبنان وطالبوا السوريين بالرحيل، رداً على ذلك بدأ رئيس أركان حزب الله عماد مغنية في اغتيال هؤلاء، الواحد تلو الآخر نيابة عن الإيرانيين والسوريين، بلغت حملة الاغتيال ذروتها عندما قتل رجال مغنية رفيق الحريري السياسي الأهم في الشرق الأوسط والذي شغل مرتين منصب رئيس وزراء لبنان وحاول حشد العالم لطرد السوريين من بلاده.

أصبح من الواضح أن هُناك تلاقياً في المصالح بين إيران وحزب الله وسوريا وأن الثلاثة معاً كانوا مؤهلين بشكل فريد للتعامل معاً ومُساعدة بعضهم البعض في أوقات الحاجة، وهكذا وُلد التحالف الذي أطلق عليه مُجتمع المُخابرات الإسرائيلي "**الجبهة الراديكالية**".

تحالف منظمة إرهابية ثيوقراطية منبوذة ودولة قومية حديثة سمحت لشبكة مُترامية الأطراف من رجال حرب العصابات وثوريين عصبيين ومُجرمين، كُل هذا سمح بالعمل بمستوى قوي بشكل غير عادي من الكفاءة العسكرية، طور قادة الدول والمُنظمة إستراتيجية وقاموا بتزويد مجموعة مُتباينة من النُشطاء المُنتشرين في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

وكان على أعلى مُستوى عملياتي للتنظيم ثلاثة رجال: قاسم سُليماني من الحرس الثوري الإيراني، وعماد مغنية من حزب الله، واللواء محمد سُليمان من سوريا، كما تم ضم التحالف زعيم الجهاد الإسلامي رمضان شلح الذي عمل في دمشق برعاية إيران وسوريا، وتم دعوه شلح إلى بعض الاجتماعات الكبيرة.

وكان من بين مُساعديهم حسن اللقيس رئيس البحث والتطوير في حزب الله، ومحمود المجذوب رئيس حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في لبنان، لم يكن لحماس أي دور رسمي في الجبهة الراديكالية، كان الشيخ ياسين وهو سُني يحتقر الشيعة الإيرانيين، لكن خالد مشعل زعيم حماس خارج فلسطين، فكّر بخلاف ذلك وأصدر تعليمات إلى أحد قادة عمليات التنظيم في دمشق، عز الدين الشيخ خليل، والذي كن على اتصال وثيق مع الأعضاء الآخرين في الجبهة.

من خلال شبكة من الاتصالات وخُطوط النقل بدأت الجبهة الراديكالية في توجيه المزيد والمزيد من المُساعدات الفتاكة للنضال ضد إسرائيل، ومن بيروت دعم حزب الله وسلاح الإرهابيين الفلسطينيين ودفع مُكافآت عن كُل إسرائيلي يُقتل في تفجيرات انتحارية، تم تفكيك الصواريخ في سوريا أو إيران وتهريبها براً أو بحراً إلى قطاع غزة، ثم أعاد مُقاتلو الجهاد الإسلامي تجميعها. ورتب مجذوب لامتلاك الحرس الثوري صواريخ بنفس الطريقة لمُقاتلي الجهاد الإسلامي في لبنان. تلقى مشعل والشيخ خليل مُساعدة مالية كبيرة من إيران (ربما بدون علم ياسين)، بالإضافة إلى خبرات معرفية كبيرة تم نقلها إلى غزة وساعدت في إنتاج صواريخ محلية الصُنع.

في غُضون ذلك بدأ لقيس حزب الله في بناء مجموعة هائلة من المخابئ وصوامع الصواريخ في جنوب لبنان التي يُمكن أن تواجه غزواً إسرائيلياً أو تسُاعد في شن هُجوم، تم تمويههم بخبرة كبيرة لدرجة أن المُخابرات الإسرائيلية لم ترهم كيف يتم بناؤها، كما لم تكن إسرائيل تعلم

بكمية المُعدات القاتلة التي يتم تجميعها، بحُلول عام 2003 ووفقاً لأحد التقييمات كان حزب الله يمتلك أكبر ترسانة أسلحة بحوزة قوة حرب العصابات.

لم يكن وجود أعداء على الحُدود وفي الأراضي المُحتلة جديداً على إسرائيل بالطبع، لكنها الآن مُحاصرة من قبل ما كان في الأساس قوة منسقة واحدة حزب الله في لبنان والجهاد الإسلامي في فلسطين، وسوريا في الشمال كُلها مُمولة بأموال إيرانية ومُزودة بأسلحة إيرانية.

—

كانت الوكالة الإسرائيلية المسؤولة عن اكتساب المعلومات والتصدي لمثل هذا التهديد الخارجي هو الموساد، لكن جُهودها لم تكن كافية على الإطلاق ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أنها لم تُكيف نفسها مع الأوقات المُتغيرة، إن عدم قُدرة الموساد على اختراق التنظيمات الجهادية وافتقاره للقُدرات التكنولوجية في عالم يستطيع فيه الجميع الوُصول إلى جهاز خلوي وبرمجيات تشفير وسلسلة من الإخفاقات العملياتية الجسيمة بقيادة الاغتيال الفاشل لمشعل، كُلها مُؤشرات على أن الموساد أصبح قاصراً وغير فعال، كانت إيران خصم أكثر تطوراً وثباتاً من أي دولة عربية حاول الموساد اختراقها كما اتخذ بشار الأسد إجراءات أمنية ميدانية صارمة في سوريا.

هُنا وهُناك حاول الموساد إفشال مشاريع خطيرة قام بها أعضاء في الجبهة الراديكالية، على سبيل المثال علمت اسرائيل أن الجنرال أناتولي كونتسيفيتش المُخضرم في الصناعات العسكرية الروسية كان يُساعد سوريا في إنتاج أكثر الأسلحة الكيميائية فتكاً "غاز الأعصاب VX"، تم تجاهل الاحتجاجات الرسمية لموسكو، لذلك في أبريل 2002 سقط كونتسيفيتش ميتاً بشكل غامض على متن رحلة جوية من حلب إلى موسكو.

لكن هذا كان نجاحاً مُنفرداً ولم تكن هُناك استراتيجية مُتناسقة وثابتة ضد الجبهة الراديكالية وظل الإسرائيليون على نحو خطير غير مُدركين للعديد من خطط وأفعال خُصومهم، بالمُقارنة مع نجاحات الشاباك وأمان في الأراضي المُحتلة كان الموساد يُعتبر الحلقة الضعيفة في مجتمع المُخابرات.

استاء رئيس الوزراء شارون من الوكالة، كان الموساد يشعر بالنُعاس والتراجع لدرجة لا ترضيه وكان مُتردداً جداً في المُخاطرة وبعد الحوادث العملياتية السابقة، كان نهج رئيس الموساد إفرايم هليفي هو عكس نهج شارون الذي أراد دائماً أخذ زمام المُبادرة والهُجوم، كما أوضح دوف فايسجلاس: **"في الوقت الذي وجدت فيه إسرائيل نفسها في واحدة من أصعب المعارك في حياتها في الانتفاضة الثانية، لم نتمكن أبداً من فهم سبب عدم وجود هذا الجسم الرائع المعروف باسم الموساد، مع هاليفي تم تطوير الجانب الدبلوماسي بشكيل كبير وبلا حُدود، كان الجانب التشغيلي بمثابة مُلحق له ونسيج غير ضروري ويمكن الاستغناء عنه ".**

تزامنت هذه الفترة مع ذروة الانتفاضة وكانت الأهداف الأولية والأكثر إلحاحاً في قائمة التصفية هي أولئك الذين شجعوا الإرهاب الفلسطيني.

حزب الله الخاضع للسيطرة الإيرانية أنشأ وحدته 1800 لتزويد جماعة التنظيم الإرهابية (التي تأسست تحت رعاية فتح بزعامة عرفات) بالمال والتدريب على المزيد من العمليات الانتحارية، كما دعمت حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في لبنان العمليات الإرهابية الانتحارية لأعضائها في الضفة الغربية وقطاع غزة بالمال والتدريب والتوجيه.

في غياب أي مُبادرة مُضادة قوية من جانب الموساد حاولت أمان ملء الفراغ، وقال رئيسها أهارون زئيفي فركش: "الموساد لم يكن شريكاً عملياً، من ناحية أخرى قُمنا في أمان بتمييز خمسين فلسطينياً في الضفة الغربية بتمويل ودعم من وحدة حزب الله 1800 في لبنان كانوا يعملون طوال الوقت لتنفيذ هجمات انتحارية، أصبح الوضع لا يُطاق كانت الفكرة إذاً هي إصابة عدد من الأهداف في حزب الله من أجل التوضيح لقادته أن هُناك ثمناً يجب دفعه مُقابل هذه الأعمال.

وضع العقيد رونين كوهين رئيس وحدة مُكافحة الإرهاب في أمان قائمة بالأهداف (يُطلق عليها اسم الفُرسان الاثني عشر) تضمنت عناصر الوحدة 1800 في حزب الله إلى جانب عدد من الأسماء من الجهاد الإسلامي وحماس.

أحد الأسماء المُدرجة في القائمة كان قيس عبيد الذي كان في يوم من الأيام عميلاً للشين بيت لكنه انشق إلى وحدة حزب الله 1800، تمكن عبيد من جذب ضابط احتياطي كبير في الجيش الإسرائيلي إلى دبي، كان الضابط غارقاً في الديون ووعد عبيد بإخراجه من متاعبه المالية، وقع في الفخ وتم تخديره ووضعه في صُندوق وإرساله بالبريد الدبلوماسي من السفارة الإيرانية في دبي إلى بيروت، خلال استجوابه كشف أسرار عسكرية مُهمة لـ "حزب الله" والسوريين، بعد ذلك بدأ عبيد الذي كان يعرف الكثير من عرب إسرائيل ويتحدث العبرية بطلاقة في تجنيد الانتحاريين.

كان عبيد مواطناً إسرائيلياً وكانت هُناك قاعدة غير مكتوبة بين أجهزة المُخابرات في الدولة تمنع قتل إخوانه الإسرائيليين، لكن في ظل التهديد الخطير للإرهاب الانتحاري تم تعليق هذه القاعدة. ومع ذلك فإن قائمة "الفُرسان" التي وضعها كوهين لم تشمل كبار مسؤولي حزب الله مغنية ونائبيه أو الأمين العام حسن نصر الله، قال أحد الرجال المُشاركين في العملية: **"كنا نخشى أن تبدأ هذه بحرب شاملة".**

في لقاء زئيفي فركش وكوهين مع شارون لمناقشة العملية قالوا أنه بينما كان الشاباك يقوم بعمل مُمتاز في القضاء على الإرهابيين ذوي الرُتب العالية في الضفة الغربية وغزة لم يكن هُناك من يعمل ضد رؤساء المُنظمات التي تُقدم الدعم من خارج حُدود إسرائيل، شارون بالكاد كان بحاجة إلى الإقناع، قال بتوتر في إشارة إلى الموساد: "إنه لأمر مؤسف أنه لا توجد مُبادرات مثل هذه تأتي من أصدقائك".

الهدف الأول كان رمزي نهارة تاجر مُخدرات وعميل المُخابرات الإسرائيلية الذي غير ولائه عندما انسحبت إسرائيل من لبنان وكان أحد زُملاء عبيد في اختطاف الضابط الإسرائيلي، في 6 ديسمبر / كانون الأول 2002 كان يُسافر مع ابن أخيه إيلي عيسى إلى قريتهما عين إبل في جنوب لبنان. وعند مدخل القرية انفجرت عُبوة ناسفة كبيرة مموهة بصخرة أثناء مُرور سيارتهم وقُتل كلاهما.

يليه في الطابور علي حسين صلاح المُسجل في وزارة الداخلية اللبنانية كسائق للسفارة الإيرانية في بيروت لكنه في الواقع عامل في الوحدة 1800، في 2 أغسطس 2003 كان في سيارته السوداء الفاخرة من طراز BMW مع رُخصتها الدبلوماسية، في طريقه للعمل في مقر الوحدة

1800 في حي الضاحية ببيروت، وفي الساعة 8:32 صباحاً انفجرت عبوة ناسفة كبيرة كانت مخُبأة في المقعد الخلفي للسيارة مما أدى إلى تمزيق السيارة إلى قسمين وإلقائها على بُعد خمسين قدماً من الحُفرة الكبيرة التي أحدثها الانفجار في الطريق، وذكر تقرير أمان عن الحادث أن "الانفجار مزق جسد صلاح إلى قسمين واحد في كل جُزء من السيارة".

بعد وفاة صلاح لم يعد حزب الله يخفي احتلاله الحقيقي وذكرت قناة المنار التلفزيونية التابعة للحركة: "حزب الله ينعى مقتل أحد أعظم المُجاهدين ".

في 12 تموز (يوليو) 2004 غادر غالب عوالي الذي حل محل صلاح القتيل في الوحدة 1800، منزله في حي حارة حريك الشيعي في بيروت ودخل سيارته المرسيدس وأدار المُفتاح، وبعد ثوان انفجرت السيارة، أصيب بجروح بالغة وتم نقله إلى المستشفى لكن توفي فور وصوله للمستشفى.

وأعلنت جماعة جديدة ظهرت لأول مرة في لبنان مسؤوليتها، وقالت الجماعة السُنية التي أطلقت على نفسها اسم جُند الشام: "لقد أعدمنا أحد رُموز الغدر الشيعي غالب عوالي".

لم يكن لدى حزب الله أدنى شك في أن هذه كانت عملية تضليل إسرائيلية وأن إسرائيل كانت وراء الاغتيال، في تأبينه في الجنازة الرائعة التي أقيمت لعوالي أشار حسن نصر الله إلى أن المتوفى كان ينتمي إلى وحدة خاصة مُكرسة لدعم نضال الفلسطينيين، وأعلن نصرالله فوق نعش عوالي المغطى بعلم حزب الله الأصفر: "إنه شهيد في طريقنا إلى فلسطين شهيد للقُدس والمسجد الأقصى وقد مات وهو يُحارب الكيان الصهيوني"، واتهم قائد أمان زئيفركش بالمسؤولية عن القتل.

—

كان شارون مقدراً بجُهود لزيفار، لكنه أدرك أن هُناك حاجة إلى المزيد لمواجهة الجبهة الراديكالية وأن التغيير الجذري داخل الموساد كان ضرورياً.

أراد شارون استبدال هاليفي وتم اقتراح عدة أسماء بما في ذلك قُدامى المحاربين في الموساد وجنرالات الجيش الإسرائيلي، لكن شارون كان يُفكر في شخص واحد فقط: مئير داغان صديقه

العزيز الذي خدم تحت قيادته في الجيش، كان داغان صارماً وعدوانياً وهو بالضبط ذلك النوع من الأشخاص الذين احتاجه شارون للقتال ضد الجبهة الراديكالية.

كان داغان قد ترك الجيش الإسرائيلي في عام 1995 وأصبح فيما بعد رئيس مكتب مُكافحة الإرهاب في مكتب رئيس الوزراء، وبهذه الصفة أنشأ هيئة سرية تُسمى سبير تهدف إلى تعطيل الموارد المالية للعدو، قال دغان: **"لقد أولت أهمية كبيرة للحرب الاقتصادية التي كان يجب أن تكون جزءً لا يتجزأ من حملتنا ضد خصمنا الرئيسي".**

أدت تحقيقات سبير إلى قيام إسرائيل بحظر جميع المُنظمات التي تحتفظ بأموال نيابة عن حماس وبعضها يأتي من المُسلمين الأثرياء في الخارج، (حث سبير مكتب التحقيقات الفيدرالي ونُظرائه الأوروبيين على فعل الشيء نفسه في بُلدانهم، ولكن هذا كان قبل 11 سبتمبر ولم تلق تحذيراتهم آذاناً صاغية)، في أحد الاجتماعات كان التناقض في الأسلوب بين الموساد وداغان وهليفي واضح، وقدم الموساد معلومات تُشير إلى أن بعض الأموال التي قدمتها إيران لحركة حماس تم توجيهها عبر بنك أوروبي مقره في زيورخ.

قال دغان: **"لا مشكلة، دعونا نحرقها، حرق ماذا؟"**

أجاب دغان: **"البنك بالطبع، لدينا العنوان، أليس كذلك؟"**

أوضح المُشاركون أن الأمر لم يكن يتعلق بالنقد ولكن بالتحويلات الإلكترونية عبر SWIFT "مجموعة برمجة" والتي تم نسخها احتياطياً في مكان آخر.

"وماذا في ذلك؟" قال دغان: "دعونا نحرقها على أي حال، يُدرك مديرو البنك أن هذه الأموال ليست مشروعة ولن يُسبب أي ضرر ".

قبل دغان في النهاية مشورة مُستشاريه ولم يأمر بحرق البنك، بشكل عام كان هذا هو النهج الذي سعى إليه شارون: "رئيس الموساد بخنجر بين أسنانه" كما قال رئيس الوزراء لبعض مساعديه.

لكن هذا لا يعني أنه كان حريصاً على الدُخول في مواجهة واسعة النطاق مع العدو، على العكس من ذلك واصل داغان القول بأن إسرائيل يجب أن تفعل كُل شيء لتجنب صراع عسكري عام مع جميع الدول في المنطقة وهو صراع يستحيل تحقيق الفوز بشكل شامل.

اعتاد داغان أن يُلقي محاضرة على مرؤوسيه الجدد في الموساد: "إنها مهمة مؤسسة الدفاع الإسرائيلية لفعل كُل ما في وسعه لتأجيل الحرب القادمة لأطول فترة مُمكنة باستخدام وسائل سرية لضرب العدو بطريقة مُركزة ".

—

استولى دادان على الموساد في أيلول (سبتمبر) 2002 وبعد ذلك بوقت قصير وضعه شارون مسؤولاً عن الجُهود السرية لإحباط برنامج إيران النووي، منذ أواخر التسعينيات ضخت إيران موارد ضخمة في خطتها لاكتساب قدرة أسلحة نووية بأسرع ما يُمكن وشراء المُعدات والخبرة حيثما أمكن ذلك، كلا الرجلين رأى أن إيران النووية تُشكل خطراً وجودياً على إسرائيل.

قيل لداغان إنه سيحصل على ما يُريده من المال والموظفين والموارد التي لا نهاية لها طالما أنه منع آيات الله من صنع قُنبلة ذرية، أخذ كل شيء ونزل إلى العمل.

قال فايسجلاس: "لقد كان شارون مُحقاً في تعيينه، وصل مئير وبدأ تصنع العجائب".

انتقل داغان إلى مكتبه الجديد في المبنى الرئيسي للموساد وعلق صورة لجده راكعاً، وهو يُحدق في رعب في القوات الألمانية من حوله قبل دقائق من مقتله، كان داغان يقول لعُملاء الموساد "انظروا إلى هذه الصورة" قبل إرسالكم في مهمات، "أنا هُنا – نحن رجال ونساء الموساد موجودون هُنا للتأكد من عدم حُدوث ذلك مرة أُخرى."

قرر داغان تفكيك الموساد وإعادة تجميعه بالطريقة التي تُناسبه، أولاً ركز بحدة على هدف جمع المعلومات الاستخبارية للموساد، لم يكن من المُقرر جمع المعلومات لمصلحتها الخاصة وفهرستها وحفظها في مكتبة عاجزة، أراد دغان معلومات استخباراتية يُمكن استخدامها مُباشرة ضد العدو. أراد معلومات أدت بسُرعة إلى عمليات استباقية ووقائية وعمليات تخريب ونصب كمائن واغتيالات، سيكون الموساد تحت قيادة المُدير الجديد "وكالة مُحاربة".

قال دغان: "أخبرت أريك [شارون] أنه في رأيي يجب إجراء تغيير عميق في المنظمة"، حذرته: "لكن عليك أن تُقرر ما إذا كُنت مُستعداً لدفع الثمن، سوف يتسلق الصحفيون عليّ وأنت والموساد. لن يكون الأمر سهلاً هل أنت مُستعد لدفع الثمن؟ قال ذلك.

عرف أريك كيفية دعم شخص ما.

كثيراً ما التقى دغان على انفراد مع شارون للحُصول على الموافقة على العمليات السرية، وصف ضابط كبير سابق في الموساد الحالة المزاجية: **"كانت تلك أيام هستيريا، كان داغان يصل في وقت مُبكر من الصباح وحتى حُلول الليل لم يتوقف عن الصُراخ على الجميع بأنهم لم يسلموا البضائع وأنهم لا قيمة لهم ".**

من وجهة نظر داغا كان من المُهم بشكل خاص "تسوية" المُوظفين في قسم المفرق الذي كان مسؤولاً عن تجنيد العُملاء وتشغيلهم، كان هذا في عينيه "القلب الحقيقي للموساد، وراء كُل عملية كيفما وضعتها معًا هناك ذكاء."

كان الموظفون الأساسيون في جانكشن من "ضُباط التحصيل" (كاتسا)، وضباط الحالة الذين جندوا العملاء وأداروهم، كانوا مُحترفين مُتطورين ومهرة في التلاعب.

لكن وفقاً لداغان تلاعب ضباط التحصيل بالموساد نفسه، وصف داغان الانقسام الذي واجهه عند توليه منصبه بأنه "نظام كامل للباطل يخدع نفسه ويُغذي نفسه بالأكاذيب" من أجل إقناع نفسه والموساد بأكمله بنجاحه، لسنوات فعلوا ما يُريدون، يُجندون رجلاً يُقدم الشاي في مكتب ما بالقُرب من مُنشأة نووية ويقولون بأن لديهم شخصاً داخل مشروع الذرة الإيراني، كانوا بحاجة إلى الإمساك بهم من ذوي الياقات البيضاء وإعطائهم حذاء في المؤخرة ".

غيّر داغان إجراءات فريق المفرق وطالب بأن يخضع جميع العُملاء لاختبار كشف الكذب لإثبات أنهم مصادر موثوقة، احتج ضُباط التحصيل في المفرق بشدة على إخضاع وكلائهم لاختبار كشف الكذب، لان ذلك سيُعبر عن عدم الثقة، وسيتم إهانتهم ولن يرغبون في العمل معنا مرة أخرى.

رفض المُدير بشدة هذه الاعتراضات "هل أنت أبله؟ " **سأل أحدهم، الرجل يخون بلده ويخون كُل ما هو عزيز عليه هل تعتقد أنه لن يكون على استعداد للخُضوع لجهاز كشف الكذب مُقابل المال؟"**

قال داغان إن مُقاومة جهاز كشف الكذب كانت في الواقع ، مُحاولة من قبل أفراد المفرق لتجنب "فضح خدعتهم" لأنهم جندوا عُملاء غير موثوقين، لقد بذل جهداً لمُقابلة مئات ضُباط الموساد في جميع أنحاء العالم على أساس مُتكرر : "العميل الذي لم ير مُدير الموساد يراه فجأة كُل ثلاثة أشهر ولا يهتم به على المُستوى النظري فقط ولكن أيضاً في عملياته، ويسأله أين نجح ولماذا فشل، هذا أعاق بشدة قُدرة رؤساء الرجل على سحب الصُوف فوق عيني في وقت لاحق ".

بمُجرد أن وضع داغان الموساد على أساس حرب فعالة قام بتضييق مهمته، وأعلن أن الوكالة سيكون لها هدفان عريضان فقط، أحدهما كان أي دولة مُعادية تُحاول الحصول على سلاح نووي والمشروع النووي الإيراني على وجه الخصوص سيتم تعطل استيراد المُعدات والمواد الخام حتى يتوقف، وستتعرض المرافق التي تعمل بالفعل لتخريب خطير ، وسيتعرض العُلماء النوويون للمُضايقة والاستعانة بهم وإذا لزم الأمر ، قتلهم.

الهدف الثاني كان الجبهة الراديكالية، لم تكن هُناك خطط لشن حرب شاملة مع إيران أو سوريا لكن الموساد يُمكن أن يكسر خُطوط الإمداد التي تنقل الأسلحة إلى حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، كما يُمكن أن تُلاحق الإرهابيين الأفراد ويُمكن أن تقضي على كبار الشخصيات في الجبهة الراديكالية حتى لو كانوا جنرالات سوريين.

بموجب أوامر من شارون وافق رئيس أمان زئيفي فركش على السماح لعملية المخُابرات العسكرية الخاصة به بالتعاون الكامل مع الموساد وإنشاء "تجمع استخباراتي" مُشترك يُمكن من خلاله مُشاركة جميع المعلومات الاستخبارية وتوسيعاً هائلاً لموارد الموساد العملية.

لتنسيق هذا الجُهد الهائل بين المُنظمات وقيادة مئات عمليات الموساد عين دغان تامير باردو قائد وحدة العمليات التابعة للوكالة "قوس قُزح"، كان ضابطاً سابقاً في سايرت ماتكال وكان يقف بجانب يوناتان نتنياهو عندما أُصيب برصاصة أثناء عملية الرهائن في عنتيبي، كان باردو رجل عمليات شجاع يتمتع برؤية استراتيجية وقيادة لا تُقهر وقد عينه دغان نائبه.

في مايو 2003 أمام داغان ومُنتدى القيادة العليا للموساد قدم باردو خطة سرية للغاية وهي نتاج جُهد مُكثف لمدة أربعة أشهر لوقف المشروع النووي الإيراني، بدأ باردو "الافتراض الأولي هو أن دولة مُتقدمة تكنولوجياً ولديها ثروة من الموارد مثل إيران والتي تسعى إلى الحُصول

على قنبلة ذرية ستنجح في القيام بذلك في نهاية المطاف"، بعبارة أخرى لا يُمكن أن يكون الوقف الفوري للمشروع إلا نتيجة لتغيير الفكر أو تغيير في هوية المُستوى السياسي في إيران.

سُمعت بعض التنهدات والغمغم في الغرفة لكن باردو واصل حديثه، في هذه الحالة أمام إسرائيل ثلاث خيارات: الأول: غزو إيران.

والثاني: إحداث تغيير في النظام في إيران.

والثالث: إقناع المُستوى السياسي الحالي بأن الثمن الذي سيدفعونه لمُواصلة المشروع النووي أكبر مما يُمكن أن يكسبوه من إيقافه ".

نظراً لأن الخيارين الأول والثاني كانا غير واقعيين لم يتبق سوى الخيار الثالث لاتخاذ إجراءات علنية وسرية من شأنها أن تضع الكثير من الضغط على آيات الله لدرجة أنهم سيُقررون الاستسلام ببساطة، قال داغان بإيجاز: **"في هذه الأثناء إلى أن يتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن الأمر لا يستحق العناء بالنسبة لهم، يجب أن نستخدم عدداً من الوسائل لتأخير حُصولهم مراراً وتكراراً على قُنبلة حتى عند نُقطة الانهيار لن يحصلوا على بالسلاح بعد ".**

كان لدى داغان فكرة جريئة حول كيفية القيام بذلك: من خلال طلب المُساعدة من أصدقاء إسرائيل حتى أولئك الذين كانوا ظاهرياً أعداء، كان يعلم أنه في حين أن معُظم دول الشرق الأوسط كانت مُعادية لإسرائيل علناً إلا أنها في السر كانت أكثر استيعاباً وعملية، وقال "هُناك تقاطع مصالح ليس صغيراً بيننا وبين كثير من الدول العربية"، لم تتوافق مصالح مُعظم تلك الدول مثل الأردن ومصر والمملكة العربية السعودية والإمارات والخليج والمغرب وما إلى ذلك، مع مصالح الثورات الشيعية الراديكالية أو حُلفائها في دمشق ناهيك عن الميليشيات المُسلحة بالوكالة عنهم، كانت تلك الدول العربية تخشى في الغالب فكرة امتلاك إيران لسلاح نووي وربما أكثر من إسرائيل.

من وجهة نظر عملياتية كان لأجهزة المُخابرات في تلك الدول عدد من المزايا على الموساد: كان عملاءها عرباً يتحدثون اللغة بشكل مثالي وحافظوا على علاقات دبلوماسية مع دول مُعادية لإسرائيل (أحياناً تكون علاقات جيدة جداً على الأقل على السطح) ويمكنهم السفر في

تلك البُلدان المُعادية دون عوائق نسبية، في كثير من الحالات كان لديهم بالفعل جواسيس في سوريا وإيران ولبنان لسنوات عديدة، بسبب صراعات القوى العربية الداخلية.

أمر داغان الموساد بتكثيف اتصالاته السرية مع أجهزة المُخابرات الأجنبية، كان العديد من الإنجازات البارزة للاستخبارات الإسرائيلية خلال السنوات التالية وهي القدرة على تحديد ومراقبة وضرب الإرهابيين في لبنان وسوريا والاستخبارات التي كانت السفارات الإيرانية ترسل خلايا إرهابية حول العالم، ان المعلومات حول المشروع النووي لآيات الله كانت نتيجة هذا التعاون، وبينما أدانت هذه الدول العربية إسرائيل في الأمم المتحدة كانت تتعاون أيضاً مع الدولة اليهودية في أكثر المهام سرية.

أدت إصلاحات داغان إلى معارضة داخلية حادة وفي وقت لاحق إلى استقالة العديد من كبار مسؤولي الموساد، الموساد مُنظمة مُغلقة ولديها تعهد والتزام ومُتعصبة بالحفاظ على أسرارها، واعتبر أن أي تعاون قد يتطلب أساليب ومصادر إفشاء للوكالات الأجنبية وخاصة العربية منها وهي بمثابة تدنساً للمُقدسات، لكن بالنسبة لداغان كان كل هذا مُجرد هُراء مجرد ذريعة للانحدار الفكري والعملي.

وقال: "اعتقدت أنهم كانوا مُخطئين وأنه من الحماقة مُعارضة التعاون مع عوامل أُخرى [وكالات استخبارات الشرق الأوسط] والذين رأوا كُل الأشياء التي فعلناها"، كان الموساد مُلزما بتعبئة كُل ما يُمكن تحنيده، أي حليف من أجل تحقيق أهدافه، أخبرتهم أن يتوقفوا عن الحديث عن هذا الهُراء فلنجمع أصولنا الخاصة الزرقاء والبيضاء، من أجل القيام بأعمال تجارية مع وكالات استخبارات أُخرى، قررت أنه يُمكن تداول أي شيء لا يُعرض أنفسنا أو مصادرنا للخطر وإلا فلن يأخذنا أحد على محمل الجد.

قال "300 شخص استقالوا عندما جئت إلى الموساد وكانت هجرة جماعية كبيرة، وبالمناسبة أنا سعيد لأن بعضهم غادر".

في ضوء الطلب المُتزايد من العمليات ألغى دغان بعض البروتوكولات الأمنية التشغيلية للموساد والتي كانت سارية لفترة طويلة وبعضها كان منذ عقود قبل توليه المنصب إذا لم يكن هناك ما يكفي من جوازات السفر وبطاقات الائتمان ووسائل الاتصال الآمنة لإجراء عملية ما،

فقد تم إجهاضها للبقاء في الجانب الآمن، تم إلغاء عدد كبير من العمليات بسبب هذه البروتوكولات الأمنية.

ليس تحت دغان، قال أحد الأشخاص الذين حضروا العديد من المُناقشات في مكتب رئيس الموساد: "كان يستدعي الشخص المسؤول عن وحدة الجوازات الذي حذر من أن الوثائق ليست آمنة بما فيه الكفاية ولن يصمد أمام التدقيق"، ويخبره أنه إذا يم يكن هناك خمس جوازات سفر أخرى جاهزة على مكتبه بحُلول الصباح فانه يجب أن يُقدم خطاب استقالة له ".

أكد داغان هذه الحقائق ولكنه تجاهل أي قلق وكان مبدأه " إذا حفرت بعُمق كافٍ فستصل دائماً إلى ما تُريد"

آمن داغان في عمليات القتل المُستهدفة باعتبارها سلاح مُهم وضروري، ولكن فقط إذا تم استخدامه باستمرار وكجُزء من ترسانة واسعة تشمل تدابير أُخرى سرية ودبلوماسية ومالية، يُمكن للعدو تبرير أي عملية قتل فردية على أنها مُصيبة فريدة لمرة واحدة وحتى الاغتيالات المُتقطعة يُمكن رفضها باعتبارها نتاج الظروف، لكي تكون عمليات القتل المُستهدف فعالة من الناحية الاستراتيجية، يجب أن تكون ذات تهديد مُستمر.

قال داغان: "عمليات التصفية المُتفرقة لا قيمة لها، إن استبعاد كبار موظفي العمليات إلى جانب الضرب على مُستوى القيادة كسياسة دائمة ومستمرة أمر جيد للغاية، عندما أقول "القيادة" أعني بالطبع بالمعنى الواسع، هل سأختار دائماً قتل الرقم واحد؟ ليس بالضرورة، أنا أبحث عن القيادة التنفيذية العُليا، تلك التي تُدير الأشياء حقاً والتي لها التأثير الأكبر على الأرض".

وضعت أمان والموساد قائمة المُرشحين من الجبهة الراديكالية للعلاج السلبي، كانت المُشكلة أنهم كانوا جميعاً فيما يُسمى البُلدان المُستهدفة حيث كقاعدة عامة لم يقم الموساد بمثل هذه المهام، لكن داغان قرر تغيير هذه القاعدة أيضاً.

قال داغان: "**عندما جئت إلى الموساد لم تكن هُناك قُدرات تشغيلية حقيقية في البُلدان المستهدفة**". من أجل تصحيح هذا الأمر طلب أولاً من الموساد إنشاء أنظمة توثيق (جوازات

سفر وقصص الغلاف وما إلى ذلك) والتي من شأنها أن تسمح للنُشطاء بمُقاومة استجواب طويل إذا ظهرت شُكوك.

كما عكس داغان السياسة الطويلة الأمد المُتمثلة في إجراء اغتيالات زرقاء وبيضاء فقط تلك التي شملت أفرادها فقط، فضل داغان استخدام الوكلاء بناءً على تجربته من عمليات التصفية التي لا تُعد ولا تُحصى والتي شارك فيها خلال خدمته العسكرية في غزة ولبنان، "أنا على استعداد للبكاء على نعش أي وكيل يموت ويُعيد روحه إلى خالقه، صدقني سأذرف دموعاً حقيقية عليه، لكنني أفضل أن أراهم ميتين من أن أرى قتلى من الإسرائيليين اليهود ".

كما دفع داغان الموساد لتحديث تقنيته، لم يفهم شخصياً الكثير من هذا العالم لكنه أدرك أنه أصبح لا غنى عنه وأن الموساد تختلف كثيراً عن أجهزة الاستخبارات في البُلدان الأخرى، وحتى الوكالات الأخرى في إسرائيل، قام بتعيين "ن" مسؤول تنفيذي كبير يتفهم احتياجات العُملاء في الميدان لرئاسة قسم التكنولوجيا.

سُرعان ما بدأت التغييرات التي أدخلها داغان في إظهار آثارها، يعتقد داغان أن الوقت قد حان للوكالة لبدء عملياتها وقال بأنه من الآن فصاعداً يجب أن تكون جميع الاغتيالات المُستهدفة في الخارج تحت إمرته وأن يُديرها نائبه تامير باردو.

عارض أمان هذه الخُطة واندلع شجار صاخب بين الموساد وأهارون زيفي فركش و رونين كوهين من أمان، وفي النهاية اتخذ شارون القرار: تم نقل سوريا إلى ولاية داغان وستبقى الضربات في لبنان تحت سلطة أمان.

بالتوازي مع هذه العملية البيروقراطية السرية حددت إسرائيل تغييراً مُقلقاً في البنية البيروقراطية للعدو، أدى اغتيال الشيخ ياسين في مارس 2004 إلى إزالة جميع القُيود التي وضعها على العلاقات مع إيران، وقال اسحق ايلان من الشاباك: "في اللحظة التي خرج فيها ياسين من اللُعبة تم نقل مركز ثقل حماس من الأراضي التي تُسيطر عليها إسرائيل إلى القيادة في سوريا ولبنان وأصبح خالد مشعل رجل التنظيم القوي".

أمر مشعل رجاله بقيادة عز الدين الشيخ خليل بإبلاغ الإيرانيين بأن حماس جاهزة الآن لتلقي أي مساعدة منهم، كان الإيرانيون سُعداء: بانضمام حماس إلى عضويتها واكتملت جبهة "المقاومة". تحت إشراف خليل بدأ الإيرانيون في إرسال أجزاء صاروخية إلى قطاع غزة في مُحاولة لزيادة المدى والفتك لترسانة التنظيم، كما حضر إلى غزة مُدربون من الحرس الثوري.

في 26 أيلول (سبتمبر) 2004 صعد خليل إلى سيارته بجوار منزله في جنوب دمشق، وبمجرد أن جلس رن هاتفه المحمول "يا أبو رامي، هدى ماك * من طوباس" ("أبو رامي، هذا رمزي من طوباس، قرية في الضفة الغربية)، قال خليل: "نعم، كيف لي أن أساعدك؟" انقطع الخط وبعد ثانية انفجرت السيارة وقُتل خليل.

يليه على قائمة المطلوبين محمود المجذوب الرجل الأعلى في حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في لبنان، في 26 أيار (مايو) 2006 الساعة 10:30 صباحاً غادر مكتب الجهاد الإسلامي في فلسطين في مدينة صيدا الساحلية جنوب لبنان برفقة شقيقه نضال الذي كان حارسه الشخصي. عندما فتح نضال باب السائق انفجرت قُنبلة مُخبأة في الباب عن طريق جهاز تحكم عن بعد بواسطة مُراقب يقف في مكان قريب مما أسفر عن مقتل الرجلين.

وقال داغان عن سلسلة عمليات القتل هذه في أعقاب سياسة إسرائيل الرسمية المُتمثلة في عدم إعلان مسؤوليتها عن عمليات القتل المُستهدف خارج حدودها: "بالطبع أنا لا أتحمل مسؤولية هذه الأحداث"، وأضاف: "لكن كمفهوم إذا كانت دولة إسرائيل تتعامل مع تحدٍ مثل حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين والإرهاب الانتحاري فمن غير المعقول أن الموساد لن يضع كتفه على عجلة القيادة".

شكلت الضربات التي استهدفت عناصر الوحدة 1800 والجهاد الإسلامي وحماس خسارة فادحة لتلك التنظيمات لكنها لم تُغير الصورة العامة لها، وواصلت الجبهة الراديكالية تشكيل تهديد خطير وما زالت تُنسق أعمالها ضد إسرائيل.

—

لطالما تأثر الجمهور الإسرائيلي بشكل خاص بعمليات اختطاف جُنود جيش الدفاع الإسرائيلي، نصر الله الذي فهم جيداً هذه الحساسية الخاصة أمر رجاله بإجراء أكبر عدد مُمكن من عمليات الاختطاف ونصح شُركائه في الجبهة بفعل الشيء نفسه، فشلت بعض المُحاولات، أولئك الذين نجحوا تسببوا بضرر كبير للمعنويات الإسرائيلية.

في تشرين الأول (أكتوبر) 2000 وبأوامر من مغنية اختطفت وحدة خاصة من حزب الله ثلاثة جنود إسرائيليين كانوا يقومون بدوريات على الحُدود الإسرائيلية اللبنانية، من أجل تأمين عودة المخطوفين وافقت إسرائيل على صفقة تبادل أسرى مُهينة مع حزب الله.

استأنف أسرى الجهاد الإسلامي المُفرج عنهم في الصفقة النشاط الإرهابي فور عودتهم إلى غزة مما شن حملة مروعة من التفجيرات الانتحارية، تمكن هؤلاء السُجناء المُفرج عنهم من توجيه ثماني هجمات انتحارية قُتل فيها 39 مدنياً قبل أن يتمكن الشاباك والجيش الإسرائيلي من قتلهم أو اعتقالهم مرة أُخرى.

في 25 حزيران (يونيو) 2006 خرج سبعة من مُقاتلي حماس من نفق، لقد أمضوا شهوراً طويلة في حفرها سراً على طول الطريق من بئر داخل قطاع غزة تحت السياج الحدودي وحتى قرية إسرائيلية مُجاورة، في عملية جريئة تسللوا وراء مُعسكر للجيش الإسرائيلي وقتلوا جُنديين هُناك وجرحوا آخرين وأسروا جُندياً واحداً "جلعاد شاليط " على الطريق معهم باتجاه غزة، علقوا سُترة شليط الواقية من الرصاص على السياج الفاصل بين إسرائيل وغزة، مُرسلين رسالة تحدِ.

الشاباك والجيش الإسرائيلي لم يتمكنوا تماماً من تحديد مكان شاليط الأسير، على الرغم من أن الشاباك وأمان كانا فعالين بشكل استثنائي في جمع المعلومات الاستخباراتية والعمليات داخل غزة فإن التوجيهات التي تلقتها حماس من المُخابرات الإيرانية أثبتت نفسها، طوال السنوات الخمس التي قضاها شليط في الأسر لم يكن لدى إسرائيل أي فكرة عن مكان احتجازه.

بحلول وقت الغارة كانت حماس قد نضجت بالفعل لتُصبح مؤسسة حاكمة: قبل ستة أشهر وبدعم إيراني فاز الجناح السياسي بالانتخابات في السُلطة الفلسطينية، إسماعيل هنية رئيس الوزراء المُنتخب الذي نجا من عدد من المُحاولات الإسرائيلية لاغتياله بما في ذلك تفجير عام 2003 لمقر قيادة حماس (فريق الأحلام)، سافر إلى طهران حيث وعد بتقديم مُساعدات بقيمة 250 مليون دولار، وأعلن خلال تلك الزيارة أن "إيران هي العُمق الاستراتيجي للفلسطينيين"، لن نعترف أبداً بالنظام الصهيوني، سنواصل الجهاد حتى تحرير القُدس "، عاد إلى غزة ومعه 35 مليون دولار نقداً مُعبأة في عدد من الحقائب الكبيرة.

وردت إسرائيل على مقتل جُنودها واختطاف شليط بضربة قوية على غزة مما أسفر عن مقتل أكثر من مائتي فلسطيني، كما نفذت مُداهمات في الضفة الغربية وخطفت عدداً من وُزراء حُكومة حماس، لكن المُنظمة لم ترمش له جفن، وطالبت إسرائيل بالإفراج عن ألف أسير فلسطيني مُقابل الجُندي الإسرائيلي.

بعد أسبوعين من أسر شاليط في 12 يوليو رفعت الجبهة الراديكالية حدة التوتر، وخطف مُقاتلو حزب الله جُنديين كانا يقومان بدورية على الحُدود الشمالية لإسرائيل، بالنسبة للإسرائيليين كان هذا هُجوماً واحداً أكثر من اللازم وقد أخبر رئيس الوزراء الجديد، إيهود أولمرت (خليفة شارون الذي أُصيب بجلطة دماغية) رفاقه أنه سوف "يُمارس الجنس" مع حزب الله مرة واحدة وإلى الأبد.

خليفة شارون لم يتردد أبداً في استخدام القوة لكنه كان مُتشككاً في قُدرة الجيش الإسرائيلي على كسب مثل هذه الحرب ضد مُقاتلي حزب الله، اولمرت انجرف الى تأكيدات رئيس الاركان اللفتنانت جنرال دان حالوتس الذي كان مُتأكداً من ن حزب الله يُمكن هزيمته من الجو من دون تعريض القوات البرية للخطر، "باستثناء حمار يحمل كاتيوشا هنا أو هناك"، كان يعتقد أن القاذفات المُقاتلة التابعة للقوات الجوية يُمكن أن تشل قُدرة المُنظمة على ضرب إسرائيل.

كان هذا خطأ فادحاً كلف اسرائيل ثمناً باهظاً وانهى حياه حلوتس العسكرية، على الرغم من أن القصف الجوي لمواقع حزب الله تسبب في أضرار كبيرة إلا أن مجموعة المخابئ والقاذفات وأنظمة الاتصالات الخفية قد توقفت، لم تكن إسرائيل تعرف الكثير عن هذه المجموع التي أسمتها "**المحميات الطبيعية**"، التي أُقيمت تحت إشراف حسن اللقيس بأمر من عماد مغنية، باستخدام مُعدات مُتطورة حصلت عليها من إيران وسوريا، استمرت صواريخ حزب الله في الانهيار على شمال إسرائيل، في النهاية في 29 يوليو / تموز شن الجيش الإسرائيلي غزواً أرضياً مُتردداً وغير فعال، لقد دمرت بعض مواقع حزب الله لكن الجيش الإسرائيلي تكبد خسائر فادحة قبل أن ينسحب بشكل خجل بعد أسبوعين.

كانت الحملة (المعروفة في إسرائيل باسم حرب لبنان الثانية) هزيمة مُذلة لم تحُقق أياً من أهدافها تقريباً، تعرضت أقوى قوة عسكرية في الشرق الأوسط للضرب مرتين خلال ست سنوات من قبل نفس جيش العصابات، قال داغان: "لقد كان ما يُشبه الجيش الفيتنامي الشمالي بعد هُجوم التيت"، "على الرغم من فشل الهجوم وتلقوا بعض الضربات الشديدة إلا أنهم انتصروا في الحرب".

بعد توقيع وقف إطلاق النار أصبح نصر الله الزعيم الأكثر شعبية في العالم العربي والوحيد منذ سنوات عديدة الذي واجه إسرائيل في مواجهة عسكرية وانتصر.

حاولت إسرائيل تعويض فشلها في ساحة المعركة بمُحاولات اغتيال قادة حزب الله وعلى رأسهم نصر الله، وقال حالوتس "لو نجحنا في قتل نصر الله لكان ذلك قد غير الصورة، لقد حاولنا ولكن دون جدوى،" ثلاث مرات تم الحصول على معلومات استخباراتية مُحددة بشأن مكان وجود نصر الله، وذات مرة تم قصف مبنى بعد وقت قصير من مغادرته، ومرتين أصابت القنابل موقعه لكنها فشلت في اختراق الطبقات السميكة من الخرسانة المُسلحة فوق المخابئ تحت الأرض حيث كان يختبئ، قال حالوتس: "ما بنوه هُناك أمر لا يصدق، اصطدمت بمكان واحد وفجأة ترى الدُخان يتصاعد من حُفرة في نهاية الشارع وتُدرك أن هُناك نفقاً ما في الأسفل لم تكن تعرفه أبداً".

انتهى مسؤولو حزب الله بنفس الطريقة، في 20 يوليو حاولت إسرائيل التركيز على اللقيس من خلال تحديد هاتفه المحمول، أطلقت طائرة من طراز F-16 صاروخاً على الشُقة في بيروت حيث يوجد الهاتف لكن اتضح أن لقيس تركه هُناك وخرج، قتل ابنه واعترف حالوتس قائلاً: "**لم نتعامل مع هذا العمل كما كان ينبغي أن نكون**".

في حزيران / يونيو 2007 بعد عام من مقتل أربعة جُنود إسرائيليين واندلاع حرب أُخرى غضبت قوات حماس من أن أعضاء فتح التي يتزعمها أبو مازن ما زالوا يُسيطرون على مُؤسسات السلطة الفلسطينية على الرغم من فوز حماس في الانتخابات مما أدى إلى مقتل عدد كبير من مسؤولي فتح في غزة واستولت على القطاع بالقوة وإقامة دولة حماس المُستقلة بشكل فعال.

لا يُمكن أن يكون الوضع أسوأ بالنسبة لإسرائيل، من الشمال والجنوب كانت مُحاطة بدول ومُنظمات ذات قوة عسكرية وميزانيات ضخمة تُسيطر عليها الجبهة الراديكالية بينما كانت إسرائيل نفسها مُترددة بعد أسر جُنودها وهزيمة جُنودها في حرب 2006.

بعد شهر من السيطرة على غزة عقد كبار قادة الجبهة الراديكالية قمة سرية في دمشق لمُناقشة النشاط المُشترك المُستقبلي ضد العدو.

كان الجو احتفالياً ونجحت الجبهة في إعادة إطلاق حملة انتحارية داخل دولة إسرائيل، مجموعة من عشرات الآلاف من الصواريخ والقذائف في لبنان وقطاع غزة كانت تغُطي كامل أراضي إسرائيل، لقد هزم حزب الله محاولة اسرائيل تدميره في الصيف الماضي، لقد فازت حماس في انتخابات السُلطة الفلسطينية وبنت دولتها في غزة، كانت إيران وسوريا كل منهما بمفردها، تُحرزان تقدماً كبيراً نحو استكمال إنتاج سلاح نووي، واتفقوا جميعاً على أن الوضع كان أفضل ما كان يأمله محور "المُقاومة".

راقب المسؤولون الإسرائيليون المُؤتمر من مسافة بعيدة، ومخطط لها، كان داغان يعلم أن هذه الحرب يجب خوضها في الظل وهي مليئة بالمخاطر وبدون حُدود.

34

قتل موريس

جلس إبراهيم عثمان بجوار شخص غريب في بار أحد فنادق فيينا، لقد كان رجلاً في مُنتصف العمر، أصلع ومُترهل العينين، لكن المرأة التي بجانبه بدت مُهتمة على الأقل بإجراء مُحادثة معه. علمت أن عُثمان يتحدث الفرنسية! قال عثمان: وأحب باريس والكلاب أيضاً، اشترى لها عثمان الشراب وأخبرها عن كلاب البودل التي رعاها في منزله بدمشق.

كان عثمان مُديراً لهيئة الطاقة الذرية السورية وكانت المرأة عاملة في الموساد، لم يكن الإسرائيليون مُتأكدين بالضبط ماهية أنواع الأسرار التي يحملها عُثمان، لكنهم كانوا يعلمون أنه سيكون في فيينا في يناير 2007 وكان من السهل نسبياً إجراء عملية هناك، لم يعتبروا العملية مُهمة بشكل خاص

حيث كان يتم تشغيله بالتزامن مع العديد المسؤولين الاخرين من الذين اعتبروا أكثر أهمية.

ومع ذلك بينما تستمع عملية الموساد في قصص عثمان عن كلاب البودل في الحانة قام فريق من عُملاء قوس قُزح بتفتيش غرفته، ولم يؤدي التفتيش الأولي عن أي شيء ذي قيمة، وبدأوا يُحاولون دون جدوى، حيث فتح الفريق حقيبة ثقيلة ومُغلقة كان قد تركها عثمان في الغرفة، كان القيام بذلك دون ترك أي أثر يتطلب جهداً كبيراً وفي غُضون ذلك لاحظ أحد المراقبين من فريق الموساد أن عثمان كان يظهر عليه علامات التعب وسيعود قريباً إلى غُرفته.

همس القائد: "أنا ذاهب، أعطني التوقيت" مُتخلياً عن موقع المُراقبة ودخل الغُرفة لتولي المسؤولية، ازداد عُثمان تعباً وشكر الصحفية العملية في الموساد وتبا موعد للتحدث به في وقت لاحق، قال أحد المراقبين على الراديو "لديك حوالي أربع دقائق قبل وصول عثمان إلى غرفته، بدأ عُثمان في السير إلى المصعد، همس الرصد في أذن الفريق "بقي دقيقتان، اخرج من هناك بسُرعة"

في الغرفة كان فريق قوس قُزح قد فتح الحقيبة للتو وبدأوا في نسخ الصور الموجودة داخلها بأسرع ما يمكن دون الالتفات إلى ما كانت عليه، كان عُثمان داخل المصعد، قال الصوت المتوتر في الراديو "دقيقة واحدة لعودة عثمان"، حتى الآن تم تصوير كُل شيء وأُعيد تغليف الحقيبة وإغلاقها. "فتح عثمان المصعد، أخرج الان!"

وصل عثمان الى الردهة على بُعد ثلاثين ثانية فقط على مرأى من غرفته تقريباً، كان أحد أعضاء الفريق يستعد لتنفيذ خُدعة تحويل، من خلال التمثيل في حالة سكر وسكب كوب من الويسكي عليه، لكن مع تبقي ثوان قليلة خرج باقي الفريق من الغُرفة وساروا بسُرعة عبر الممر في الاتجاه المُعاكس، جاء صوت القائد الهادئ والواثق: "نحن في الخارج، كُل شيء على ما يُرام تم الانسحاب".

المواد التي نسخها فريق الموساد هناك في ذلك اليوم لم يتم فكها على الفور، استغرق الأمر حوالي أسبوعين.

لأول مرة رأوا صور المفاعل، حيث كانت سوريا تحاول صنع قنبلة، لقد كانوا يُحققون تقدماً كبيراً نحو بناء قنبلة ومع ذلك فقد نجح في الحفاظ على سرية المشروع بأكمله، وكان هذا أحد المواقف التي لا يُمكن حلها عن طريق قتل بعض الأشخاص الرئيسيين، تمت المطالبة بعمل جذري من نوع مختلف.

الغريب أن بشار الأسد كان يحظى باحترام كبير للاستخبارات الإسرائيلية ولهذا عمل بجد لخداعها، كان مُقتنعاً بأن كُل رسالة في سوريا تنتقل بوسائل كهرومغناطيسية مثل الهاتف والهاتف المحمول والفاكس ونص والبريد الإلكتروني تم اعتراضها من قبل المُخابرات الإسرائيلية قال ضابط من الوحدة 8200: "كان يعتقد حقاً أنه في كُل مُرة يتصل فيها مُصطفى بمحمد كان مويشيل يستمع لمحادثتهما، وهذا لم يكن بالضرورة خطأ فادحاً".

لتقليل المخاطر أصدر الأسد تعليمات للجنرال محمد سليمان – مسؤول الاتصال الخاص به مع الجبهة الراديكالية لإنشاء جيش ظل واحد مُنفصل ومُستقل عن بقية مُؤسسة الدفاع السورية، حتى كبار المسؤولين والضباط بمن فيهم رئيس أركان الجيش ووزير الدفاع ظلوا جاهلين، أمر سليمان بأن يتم تمرير جميع الاتصالات المُهمة على الورق فقط في مظاريف مختومة بالشمع عن طريق شبكة من سُعاة الدراجات النارية، هذا التراجع عن العصر الإلكتروني عمل في ظل تنظيم سليمان غير مرئي تماماً للمُخابرات الإسرائيلية لسنوات.

تم إخفاء السر الأكبر لسليمان في منطقة دير الزور القاحلة داخل واد عميق على بُعد أميال قليلة من ضفاف نهر الفُرات في شمال شرق سوريا، منذ عام 2001 كان يشرف على بناء مبنى لإيواء مُفاعل نووي كانت سوريا قد اشترته من كوريا الشمالية بتمويل إيراني، سيمكن المفاعل السوريين من إنتاج البلوتونيوم لصُنع قُنبلة ذرية وهو ما اعتقد الأسد أنه سيعطيه تكافؤ استراتيجي مع إسرائيل.

لم يدخر سُليمان أي جُهد لإخفاء الموقع – لكن عُثمان كان أحد الأشخاص القلائل الذين وثق بهم سليمان، كان يعلم بأمر المُفاعل وترك ملفات بخصوصه في حقيبته، والآن يعرف الإسرائيليون ذلك.

—

عندما لم يكن الموساد يُسيطر على المواد في كانون الثاني (يناير) 2007 كان مُدير الموساد داغان في خضم أن يُصبح كبير مُستشاري الدفاع والاستراتيجية لإيهود أولمرت، عندما قرر أولمرت خوض الحرب ضد حزب الله في تموز (يوليو) 2006 عارض دغان بشدة خُطة رئيس الأركان دان حالوتس لهزيمة الميليشيات الشيعية من خلال الهجمات الجوية، وقال لمجلس الوزراء: "أنا أعرف لبنان وأنا أعرف حزب الله وبدون أحذية على الأرض على نطاق واسع، لن ينجح "، كلما مر الوقت وتم التحقق من صحة مخاوف دغان أصبح أولمرت أكثر انتباهاً لآرائه.

كان داغان شخصاً يُمكنه قراءة آراءالآخرين وكان رجل علاقات عامة موهوب، شارك أولمرت الحكايات عن العمليات، وشاركه أسرار عالم التجسس والعمليات الخاصة، بعد أن فقد إيمانه بجيش الدفاع الإسرائيلي وحملات عسكرية واسعة النطاق أعطى المزيد والمزيد من القوة لمُدير التجسس الخاص به لشن حرب الظلال ضد الجبهة الراديكالية، قال أولمرت: **"لقد آمنت بمئير، لقد احتاج إلى دعمي من أجل المُوافقة على الأفكار المجنونة التي توصلت إليها وكالته".**

كان اكتشاف المُفاعل بمثابة ريشة أُخرى في غطاء داغان خاصةً أنه لم تتمكن أي وكالة استخبارات أخرى من معرفة ذلك، بما في ذلك تلك الموجودة في الولايات المُتحدة، ولكن في الغالب كان سبباً للقلق الشديد، الأخبار القائلة بأن العدو الأول للبلاد كان في مرحلة مُتقدمة

في برنامج أسلحة نووية، لم يعرفوا شيئاً عنه على الإطلاق، يتذكر إيهود أولمرت قائلاً: "أتى مثير إلي بهذه المادة [الصور المأخوذة من غرفة عثمان]، وكان الأمر أشبه بزلزال، أدركت أنه من الآن فصاعداً سيكون كُل شيء مُختلفاً ".

بعد ذلك بوقت قصير أرسل أولمرت داغان لإطلاع مُستشار الأمن القومي الأمريكي ستيفن هادلي ورئيس وكالة المخابرات المركزية مايكل هايدن على ذلك.

بينما كان يستقل مايكل هايدن المصعد حتى الطابق السابع من مقر وكالة المخابرات المركزية في لانجلي، كان بالفعل ضيفاً مألوفاً ومُرحباً به، اشتهر دغان مع هايدن: "لقد كان في صميم الموضوع ضابط مُخابرات في كل عظمة من جسده، وكان يستمع إلى ما اقترحته"، بدوره اعتقد هايدن أن داغان كان " سهل الكلام وصادقاً صريحاً ومتواضعاً، وواسع المعرفة."

أسس الرجلان أوثق مستويات الثقة في التاريخ بين أجهزة المخابرات في البلدين وبدء حقبة من التعاون العميق، وصف هايدن العلاقة بين الوكالات بأنها مُكملة: "نحن كبار ، وأثرياء ، ومتطورون تقنياً وعالمياً" بينما الإسرائيليون "صغيرون، ومركزون، وأذكياء ثقافياً ولغوياً، وذو صلة بالأهداف"، والذي كان يقصد به الإرهاب الجهادي ومحاولات دول الشرق الأوسط تطوير أسلحة دمار شامل.

في كُل مرة زار دغان وكالة المخابرات المركزية كان يجلب معه معلومات ومُقترحات حساسة، بعضها خيالي للغاية لعمليات مُشتركة، لكن في ذلك الاجتماع في نيسان (أبريل) لم يتوقع حتى هايدن ذي الخبرة خبر المفاعل النووي الذي كان بمثابة قُنبلة، "جلس دغان وفتح حقيبته وأخرج نُسخاً مُلونة من صور المُفاعل في دير الزور".

لفترة طويلة راجع داغان المادة مع هايدن مُتسائلاً عما إذا كان خُبراؤه يتفقون مع تحليل الإسرائيليين، كان داغان يُدرك جيداً أنه على الرُغم من قُدرات الموساد في سوريا إلا أن وكالته لا تملك أي معلومات حول ما كان يحدث على الطرف الآخر من الصفقة النووية، لذلك طلب من هايدن أن يأخذ المعلومات التي أحضرها "وربطها بالمعرفة الأوسع لوكالة المُخابرات المركزية بكوريا الشمالية".

في صباح اليوم التالي ذهب هايدن إلى البيت الأبيض للقاء الرئيس جورج دبليو بوش، بينما كان هو والمُشاركون الآخرون يجلسون وينتظرون وُصول الرئيس، مال هايدن إلى نائب الرئيس

ديك تشيني الذي كان يعتقد منذ فترة طويلة أن السوريين كانوا يُحاولون وضع أيديهم على الأسلحة النووية، وهمسوا، "لقد كُنتم على حق السيد نائب الرئيس ".

أنهى بوش الاجتماع بأمرين واضحين ولكنهما مُتناقضان عملياً: "رقم واحد: تأكد من هذه المعلومات، ثانياً: لا تسمحوا بتسريب هذه المعلومات، عاد هايدن إلى لانغلي مُتسائلاً عن كيفية تأكيد المعلومات الإسرائيلية دون نشر الخبر، "من المؤكد أنك تُريد إشراك المزيد من الأشخاص لكن هذا يزيد من مخاطر إفشاء السر".

أثناء مُحاولتها تحقيق التوازن بين هذين التوجيهين بدأت وكالة المُخابرات المركزية والوكالات الأمريكية الأخرى "جهداً مُكثفاً استمر شهوراً لتأكيد المعلومات التي قدمتها لنا إسرائيل بشأن المُفاعل ولجمع المزيد من التفاصيل من مصادرنا وأساليبنا الخاصة"، جاءت استنتاجات الفريق المُشترك بين البنتاغون ووكالة المُخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي في حزيران (يونيو) وكانت مُقلقة مثلها مثل الإسرائيليين، كتب الفريق: "خبراء الاستخبارات لدينا واثقون من أن المُنشأة هي في الواقع مُفاعل نووي من نفس النوع الذي تم بناؤه محلياً في مُنشأتها النووية في يونغبيون في كوريا الشمالية للأغراض السلمية".

لقد التزمت الولايات المتحدة بأمن إسرائيل، وأراد أولمرت احترام هذا الالتزام لأنه أراد أن تُدمر القوات الأمريكية المُفاعل، شكل التوقيت مشكلة، وقال خُبراء في مُنشأة نووية إسرائيلية في ديمونا إنه بحسب ما رأوه في الصور فإن المُفاعل السوري على وشك الانتهاء، وقدروا أن الجو سيكون حاراً خلال نصف عام وأنهم إذا انتظروا حتى ذلك الحين لقصفه فسوف يتسبب ذلك في تلوث إشعاعي وكارثة بيئية.

من الناحية العملياتية كانت مُهمة بسيطة نسبياً للقوات الجوية الأمريكية، كان بإمكان سرب من قاذفات القنابل الشبح B-2 تدمير المُفاعل دون أي مشاكل، لكن خُبراء وكالة المُخابرات المركزية في الشرق الأوسط اعتقدوا أن مُهمة قصف أمريكية في المنطقة ستكون محفوفة بالمخاطر.

قال هايدن لداغان: "محلليّ محافظون للغاية" فيما وصفه "بواحدة من أكثر المُحادثات صراحةً التي أجريتها معه على الإطلاق"، قال هايدن إن عائلة الأسد ذكّرته بعائلة كورليوني في فيلم The Godfather "أي العراب" ولكن عندما تم طرد سوني، كان لدى الدون مايكل الموهوب

ليحل محله، عندما قُتل باسل الأسد في حادث، "كان على حافظ أن يستقر على فريدو/ بشار"، الذي كان معروفاً في وكالة المُخابرات المركزية بأنه "مُتسلسل خاطئ في التقدير".

قال هايدن: "لم يستطع الأسد تحمل إحراج آخر بعد الانسحاب [2005] من لبنان"، بدافع الضعف كان عليه إظهار قوته والرد بالحرب.

كان لداغان الرأي المُعاكس تماماً: "عليك أن تنظر إليه من وجهة نظر الأسد" وقال: فمن ناحية كان دائماً يريد الوصول إلى مُساواة استراتيجية مع إسرائيل وبالتالي الحُصول على الأسلحة النووية. من ناحية أخرى فضل بشار الأسد عدم مواجهتنا مباشرة، علاوة على ذلك إذا ذهب إلى الحرب بعد القصف فإن هذا من شأنه أن يفضح وُجود المُنشأة النووية – أي أنه بنى مُنشأة نووية في انتهاك لتوقيعه على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، التي لا يفعلها حتى الروس وحلفاؤه لا أعرف، وبالتأكيد لن يكون سعيداً بمعرفته، إذا أردنا شن الهجوم سراً وإبقائه طي الكتمان دون الإعلان عنه وإحراجه فإن الأسد لن يفعل أي شيء ".

تم اتخاذ القرار النهائي في اجتماع مع الرئيس نظراً لدرجة السرية العالية، لم يتم عقده في الجناح الغربي للبيت الأبيض ولكن في الغُرفة البيضاوية الصفراء بالجناح السكني بحيث لا يعقد الاجتماع حتى أن تكون مُدرجة في سجل المواعيد الرئاسية العامة.

نائب الرئيس ديك تشيني فقط كان مؤيداً لهجوم أمريكي مُدعياً أن على الولايات المتحدة أن تفعل ذلك لإرسال رسالة قوية ليس فقط إلى سوريا وكوريا الشمالية ولكن إلى إيران أيضاً، اعترفت وزيرة الخارجية رايس بأن المُفاعل في سوريا "تهديد وجودي" لإسرائيل، لكنها لا تعتقد أن الولايات المُتحدة

يجب أن تتدخل، أوضح هايدن أن المُفاعل كان في مرحلة مُتقدمة من البناء لكن سوريا كانت لا تزال بعيدة عن الحُصول على قُنبلة نووية.

وخلص بوش المتورط بالفعل في حربين في بلاد إسلامية "ما قاله لي مايك [هايدن] للتو هو أن هذا ليس خطراً وشيكاً وبالتالي لن نفعل ذلك."

يمكن لإسرائيل الاعتماد على نفسها فقط.

―――

الأسلحة النووية في أيدي السوريين تُشكل بلا شك تهديداً وجودياً لإسرائيل، لكن محللي أمان اتفقوا مع هايدن وحذروا أولمرت من أن مُهاجمة سوريا دون استفزاز مُسبق مُباشر قد يؤدي إلى رد فعل عسكري قوي من قبل الأسد، من ناحية أخرى أوصى دغان بقصف الموقع على الفور قبل تفعيل المُفاعل، وقال: **"لا يُمكن لدولة إسرائيل أن تتسامح مع امتلاك دولة في حالة حرب معها أسلحة نووية".**

لقد حقق دغان رهاناً كبيراً، إذا كان مُخطئاً فربما كانت الحرب المفتوحة مع سوريا ستنتهي على الأرجح بانتصار إسرائيلي لكنها ستُكلف آلاف الأرواح، ومع ذلك على الرغم من المخاطر الهائلة وبفضل جاذبيته وثقته بنفسه ونجاحاته السابقة فإن رأي داغان استمر في الامساك بزمام الأمور.

في الساعة 3 صباحاً في صباح يوم الخميس 6 سبتمبر أقلعت عشرات الطائرات المُقاتلة من قاعدة رامات دافيد الجوية في شمال إسرائيل على بعد 15 ميلاً جنوب شرق حيفا، تحركوا باتجاه الغرب في اتجاه البحر الأبيض المُتوسط ثُم جنوباً، كان ذلك جزء من تدريب روتيني على إخلاء قاعدة، وهو مألوف لأجهزة المُخابرات العربية التي تُراقب تحركات سلاح الجو الإسرائيلي، لا شيء مميز في ذلك، لكن هذه المرة كان مُخططو التمرين يخرجون عن عمد لإرباك هؤلاء الرجال الذين يُشاهدون الإجراءات على شاشات الرادار في دمشق.

في مكان ما فوق البحر انفصل تشكيل مُكون من سبع مقاتلات من طراز F-I5I عن الآخرين واتجهوا في الاتجاه المُعاكس- شمالاً، عرف الطاقم الموقع الدقيق للأهداف التي كان عليهم تدميرها والطبيعة الدقيقة لتلك الأهداف، تم الكشف عن أهمية مُهمتهم من قبل قائدهم قبل الإقلاع مُباشرة. حلقوا على ارتفاع مُنخفض للغاية على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط ثُم فوق تركيا قبل دُخول المجال الجوي السوري، على مدى ثلاثين ميلاً أطلقوا عشرين صاروخاً على المواقع الثلاثة داخل المُجمع النووي.

لقد فوجئ السوريون تماماً، لم تكتشف أنظمة الدفاع الجوي الخاصة بهم شيئاً حتى تم إطلاق الصواريخ بسُرعة ولم يترك أي وقت لإخلاء المواقع، تم إطلاق عدد قليل من الصواريخ المُضادة للطائرات بعد رحيلها بفترة طويلة.

بعد ذلك بفترة وجيزة وثّقت الأقمار الصناعية الأمريكية والإسرائيلية التي حلقت فوق سوريا التدمير الكامل للموقع، أرسل أولمرت رسالة سرية إلى الأسد عبر رئيس الوزراء التركي رجب

طيب أردوغان، قال فيها إنه إذا تصرف الأسد بضبط النفس فإن إسرائيل ستمتنع عن الإعلان عن الهجوم، وهذا من شأنه أن يُنقذ سوريا من الإحراج من كشفها لكونها تصرفت في انتهاك صارخ لمُعاهدة عدم حماية الحياة التي وقعت عليها، لن يضطر العالم إلى معرفة أن سوريا قد حصلت للتو على سنوات من البحث العسكري الباهظ الثمن والتكنولوجيا التي نسفتها الدولة اليهودية وهو وضع يستلزم نوعاً من الانتقام المُنقذ للوجوه، كان الحفاظ على هدوء كل شيء أفضل لجميع المعنيين.

الرابح الأكبر في العملية خارج الصندوق، كما تم تسميتها، كان داغان الذي أنتجت وكالته المعلومات التي كشفت المشروع السوري والذي كما قال مُدير وكالة المُخابرات المركزية هايدن: "تبين أنه كان على حق ".

بعد نجاح هذه العملية خفف أولمرت من قُيود أموال الحُكومة ومنح الموساد أكبر مُخصصات الميزانية التي حصل عليها على الإطلاق، قال أحد كبار مسؤولي الموساد: "لم يكن هُناك نشاط واحد تم تأجيله أو إلغاؤه لأسباب مالية، نمت المُنظمة بشكل لا يُصدق، كل ما طلبناه حصلنا عليه".

قال أولمرت بابتسامة راضية: "أريك [شارون] ورابين كانا أكثر تردداً بكثير مما كُنت عليه في الموافقة على المهام" مُضيفاً: **"لقد وافقت على ثلاثمائة عملية (للموساد) خلال فترة ولايتي كرئيس للوزراء وفشل واحد منها فقط وأبقينا الغطاء على ذلك".**

مُنذ أن تولى قيادة الموساد كانت إحدى أولويات دغان هي قتل عماد مغنية رئيس أركان حزب الله، لم يكن هذا الهدف فريداً بالنسبة لداغان: فقد حاولت المُخابرات والدفاع الإسرائيليان قتل مغنية مُنذ ما يقرب من ثلاثين عاماً، العدو الذي سبب لإسرائيل أكبر قدر من الضرر على الصعيدين العملي والسياسي في العُقود السابقة كان حزب الله، واعتقد دغان أن رجلاً واحداً هو القوة الدافعة الأساسية المسؤولة عن إنجازاته، وقال إن **"مغنية مزيج من رئيس الأركان ووزير الدفاع، (الأمين العام) قد يكون نصر الله هو القائد السياسي لكنه ليس قائداً عسكرياً ولا هو الرجل الذي يقوم بكُل الصفقات الحقيقية مع السوريين والإيرانيين، نصر الله على الأكثر يقول نعم ".**

كان مغنية في الواقع هارباً دولياً وكان على رأس قائمة المطلوبين لأربعين دولة، أصدرت العشرات من الدول أوامر بالقبض عليه وعرض مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) مُكافأة قدرها 25 مليون دولار مُقابل معلومات تؤدي إلى القبض عليه، في لبنان في الثمانينيات قتل مغنية مئات الأمريكيين في تفجيرات بسيارات مُفخخة واختطف وعذب حتى الموت العديد من كبار المسؤولين الأمريكيين. قال دغان: **"الأمريكيون يتذكرون، يبدو أنهم ليبراليون" في إسرائيل وتعني كلمة "ليبراليون" التسامح والرحمة "لكنهم بعيدون عن ذلك".**

كانت المُشكلة في أنه لا أحد يستطيع العُثور عليه، كان مغنية شبحاً بمعنى الكلمة، كان مُدركاً أن وكالات الاستخبارات الغربية كانت تستثمر موارد هائلة لتحديد مكانه لذلك كرس جُهداً كبيراً بنفس القدر لتفادي القبض عليه باستخدام وثائق مُزيفة حتى داخل لبنان وقصر اتصالاته على دائرة صغيرة فقط من أفراد العائلة والشُركاء الموثوق بهم وتوظيف عدد من الإجراءات المُتطرفة لتأمين اتصالاته.

لكن في تموز (يوليو) 2004 بعد مقتل القائد البارز في حزب الله غالب عوالي بانفجار سيارته المرسيدس، قام التنظيم بعمل فيلم تذكاري عنه تم عرضه في التجمعات الداخلية، حصل الموساد على نسخة وتم عرضها في ديسمبر على مجموعة من الخبراء من الوحدة 8200 والموساد، خلال جلسة طوال الليل قاموا بفحصها على أمل معرفة تفاصيل جديدة حول المجموعة الغامضة.

في وقت مُتأخر من الليل بينما كان الجميع يجلسون معاً في غُرفة في مقر الموساد وأعينهم مُلتصقة على الشاشة صرخ أحد الضُباط البالغ عددهم 8200: "هذا هو، هذا هو موريس ".

موريس هو الاسم الرمزي لمغنية، وأظهرت الصورة على الشاشة حسن نصر الله وهو يرتدي رداء رجل الدين البني وعمامته السوداء ينظر إلى شاشة كمبيوتر منضدية ضخمة تم عرض الخريطة عليها، وقف أمامه رجل وجهه مخفي في الغالب لكنه انكشف لأجزاء من الثانية وهو يتحرك: مُلتح، يرتدي نظارة طبية بزي مُموه وقُبعة يشير إلى نقاط مُختلفة على الخريطة لنصر الله، هذا الرجل كان عماد مغنية.

أخيراً كان لديهم على الأقل نوع من الرصاص، في الأيام التي تلت ذلك تم طرح العديد من الأفكار بما في ذلك مُحاولة تتبع مُصور الفيديو من أجل تجنيده كعميل أو إنشاء شركة قش

لتزويد عناصر مثل الكمبيوتر المكتبي الذي يستخدمه هدفهم والذي يُمكن أن يكون مفخخ عندما كان مغنية في الجوار.

أطلق داغان النار عليهم جميعاً، الموساد لم يكن جاهزاً بعد، قال للموظفين "لا تقلقوا، سيأتي يومه".

جاء الاختراق بفضل مُثابرة وابتكار أهارون زئيفركش في أمان، حفز القائد السابق لـ 8200 على تطوير المزيد والمزيد من الأساليب لتعميق اختراق إشارات للعدو، ابتكر أمان زئيفي فركش وموساد داغان معاً نظام تشغيل جديدًا يُسمى HUGINT، وهو مزيج من HUMINT و SIGINT بمعنى آخر طريقة لاستخدام عُملاء الموساد من أجل تحسين قُدرة 8200 لاعتراض رسائل الأعداء والعكس صحيح.

كان يوسي كوهين (مُدير الموساد في وقت كتابة هذه السطور) أحد مُطوري طريقة HUGINT، والذي يعرفه زملاؤه باسم "النموذج" بسبب العناية التي يبذلها في مظهره، في عام 2002 كان كوهين رئيساً موجهاً لقسم العمليات الخاصة في وحدة تقاطع الطرق، قسم تجنيد وُكلاء الموساد. يُعتبر كوهين أحد أكثر المُجندين ذكاءً في تاريخ الوكالة وواحد من القلائل الذين تمكنوا من اقتحام حزب الله والحرس الثوري الإسلامي وتجنيد عُملاء الموساد من بين أعدادهم، بينما كان مُتخفياً بصفته العديد من رجال الأعمال الأوروبيين وكان قادراً على استخدام معرفته العامة الواسعة ورؤيته في الطبيعة البشرية لتجنيد عدد كبير من الوكلاء، مما أتقن منهجية HUGINT في الموساد في هذه العملية، تقديراً لهذه الإنجازات حصل كوهين على جائزة الأمن الإسرائيلية وهي أعلى وسام في البلاد عن الإنجازات ذات الصلة.

في عام 2004 رشح داغان كوهين لرئاسة عمليات الموساد الإيرانية، بفضل عُملاء كوهين و HUGINT، نجح 8200 في كسر أجزاء من أنظمة اتصالات الحكومة الإيرانية مما سمح لإسرائيل بالتغلغل بشكل أعمق في شبكة الاتصالات الكثيفة بين قادة الجبهة الراديكالية، أدى ذلك إلى توليد مزيد من المعلومات حول مغنية: المزيد من القرائن والمزيد من الاتصالات الحاسوبية التي يتم التنصت عليها ومُكالمات الهاتف المحمول، والمزيد من العُملاء الذين سمعوا أو شاهدوا شيئاً ذا صلة.

علم الإسرائيليون في النهاية أن كبار رجال الجبهة الراديكالية فضلوا عقد اجتماعاتهم في دمشق، حيث شعروا بالأمان تحت حماية المُخابرات السورية، بعد انتصار حزب الله في حرب 2006 اعتقد مغنية أن إسرائيل ستزيد بشكل كبير من جهودها لقتله وقتله نصر الله، لذلك أحاط الأمين العام بطاقم من النخبة من الحُراس الشخصيين وأقنعه بعدم الظُهور علناً أو الظهور على الهواء مُباشرة على شاشات التلفزيون وكذلك قضاء أكبر وقت مُمكن في مخبأ قيادة حزب الله تحت حي الضاحية في بيروت.

أما هو نفسه فقد انتقل من بيروت إلى دمشق لأسباب أمنية شعر بأمان أكثر في مدينة كانت تحت سيطرة أجهزة المُخابرات السورية والتي كانت تُعتبر صعبة ومهنية ولأن الكثير من أعماله كانت تتم في العاصمة السورية.

على الرغم من أن حماية "جيش الظل" لسليمان كانت قوية للغاية، إلا أن "مغنية لم يصبح فجأة أقل حذراً في دمشق" على حد قول دغان، لقد سمح فقط لدائرة قريبة من الناس بمعرفة أنه انتقل إلى دمشق وعدد أقل يعرف مكان إقامته وكيف يتنقل والاسم المكتوب في جواز سفره المُزور.

ومع ذلك تمكنت إسرائيل من الحُصول على عميل داخل تلك الدائرة القريبة من سليمان، "**لقد عرفنا عنه في دمشق أكثر مما كُنا نعرفه عندما كان في بيروت**"، كما يتذكر دغان.

ومع ذلك كانت دمشق عاصمة دولة مُستهدفة ومعها طهران كانت أخطر مكان يعمل فيه الموساد. كان من الواضح أن الوافدين والمُغادرين العديدين من عُملاء الموساد داخل وخارج البلاد وهو أمر ضروري بالنسبة لهم للتخطيط والاستعداد لعملية ما، من شأنه أن يُعرضهم للكثير من التدقيق مهما كان غطاءهم، وبسبب الطبيعة الحساسة للغاية للمعلومات قرر داغان أنه لا يُمكنه هذه المرة استخدام المُخبرين العرب.

لذا مرة أخرى قرر داغان تجاهل حُكم صارم وطويل الأمد للموساد ولجأ إلى دولة أخرى للمُساعدة في إبادة جماعية، دعا نفسه إلى لقاء آخر مع هايدن.

ومع ذلك يحظر على وكالة المُخابرات المركزية تنفيذ أو دعم الاغتيالات بموجب الأمر التنفيذي رقم 12333 في حين يعتقد كلا البلدين أنه من المسموح قتل الناس، كان لديهما وجهات نظر

قانونية مختلفة نوعاً ما، لا تشارك الولايات المتحدة عادة في إعدام شخص ما في بلد لم تكن أمريكا في حالة حرب معها ولم تشارك في نزاع مسلح.

في نهاية المطاف توصل المُستشارون القانونيون لوكالة المُخابرات المركزية إلى حل يكون بموجبه قانونياً ضرب مغنية في سوريا بناءً على مبدأ الدفاع عن النفس حيث كان مغنية يُرسل رجاله من سوريا إلى العراق لتحفيز الميليشيات الشيعية على تنفيذ هجمات إرهابية ضد الأفراد الأمريكيون.

بعد ذلك وافق الرئيس بوش على طلب داغان للمُساعدة ولكن بشرط أن يبقى الأمر سراً، وأن يُقتل مغنية وحده، وألا يكون الأمريكيون هم من يقومون بالقتل الفعلي، رئيس الوزراء أولمرت نفسه كفل ذلك للرئيس، (حتى بعد سنوات من الحدث رفض هايدن قول أي شيء عن التورط الأمريكي).

لا يزال للولايات المتحدة سفارة نشطة في دمشق ويمكن لرجال الأعمال الأمريكيين دُخول سوريا والخُروج منها بحرية نسبية، وهذا ما مكن وكالة المُخابرات المركزية بمساعدة وكالة الأمن القومي من إرسال أفرادها واستخدام وكلائها المحليين للبعثة.

على حد تعبير أحد قادة العملية **"كانت هذه عملية ضخمة ومُتعددة القوات مع موارد مجنونة استثمرها كلا البلدين وبحسب علمي كانت هذه العملية الأكثر استثماراً لقتل فرد واحد"** وبمساعدة من الأمريكيين تم تحديد موقع مغنية في النهاية، اكتشفوا أنه التقى في كثير من الأحيان مع رفاقه من الجبهة الراديكالية في مُنشآت استخباراتية مُختلفة: مبان مكتبية تحت حراسة مُشددة من قبل ضُباط وجنود الشُرطة السورية، ومنازل آمنة مع حُراس يرتدون ملابس مدنية مُتخفين، كما اكتشفوا أن مغنية كان يزور بانتظام ثلاث سيدات محليات جميلات المظهر كان سليمان قد زودهن به من أجل راحته واسترخاءه.

لم يصطحب مغنية حراسه الشخصيين في هذه الزيارات إلى النساء مما عرضه للمُراقبة وأنشطة خصمه العملياتية في مكان لم يكن تحت سيطرته، قال أحد قادة العملية إنهم كانوا "خطأ أمنياً ميدانياً كبيراً، في النهاية وبعد سنوات عديدة حتى أكثر الرجال حرصاً يُصبحون واثقين من أنه لا يُمكن أن يحدث أي شيء، لإلحاق الأذى بأي شخص آخر غير مغنية ناهيك عن المخاطر الهائلة التي سيتعين على النُشطاء الفعليين تحملها.

توصل مُخططو الموساد إلى عدد من الأفكار لكن تم استبعادها جميعاً، كان هُناك احتمال واحد حقيقي: ضرب مغنية وهو في طريقه من موقع إلى آخر، ومع ذلك كان لا يزال هناك عدد من الصعوبات الخطيرة، ولم يتضح كيف سيتمكنون من مُتابعته والقضاء عليه أثناء الركوب أو المشي حيث كان يُرافقه حُراس شخصيون بشكل شبه دائم وسافر في طرق مُختلفة وفي أوقات مُختلفة وهو ما لم يستطع الموساد التنبؤ به مُسبقاً، كما أنه لم يتضح كيف سيتمكن المُشغلون من الخروج قبل أن يتم تنبيه المطارات والموانئ وإغلاقها.

استمرت المداولات لشهور حيث رفض داغان خُطة بعد خطة، بعد ذلك في تشرين الثاني (نوفمبر) 2007 جاء أحد خُبراء التكنولوجيا في الموساد "كسارة البندق"، إلى مكتب داغان مع اقتراح لعملية من شأنها القضاء على مغنية باستخدام قنبلة مُفخخة بالتحكم عن بُعد، ستقتل هذه القنبلة ظاهرياً مغنية فقط، بدون أضرار جانبية، كما ستمنح العناصر على الأرض وقتاً كافياً للهروب من مكان الحادث، قال داغان إنه مُستعد لإعطاء الخطة أفضل ما في الأمر، على الرغم من أنه يعتقد أن فُرص نجاحها كانت ضئيلة للغاية.

كان الافتراض الأساسي لخُطة كسارة البندق هو أنه سيكون من المُستحيل مُتابعة مغنية حول دمشق لذا بدلاً من ذلك سيتعين عليهم إيجاد طريقة لوضع العبوة الناسفة في شيء سيكون قريباً منه في بعض الأحيان، الهاتف المحمول مثل الهاتف الذي قتل يحيى "المهندس" عياش عام 1995 كان دائماً خياراً مُتاحاً، لكن تم استبعاد ذلك لأن مغنية ظل يُغيرها بانتظام، كان العنصر الوحيد الذي استخدمه باستمرار هو سيارته، في ذلك الوقت كانت سيارة ميتسوبيشي باجيرو الرياضية مُتعددة الاستخدامات الفضية الفاخرة.

علم الموساد أن مغنية وحُراسه الشخصيين كانوا يفحصون السيارة بشكل مُتكرر الجزء الداخلي والجزء السفلي من السيارة لمعرفة ما إذا كان قد تم العبث بها، لكن كان هُناك مكان واحد لم يتم فحصه: غطاء الإطار الاحتياطي مُثبت في مؤخرة السيارة، بمساعدة أمريكية تم تهريب مُكونات عبوة ناسفة مُتطورة إلى سوريا وغطاء إطار مُطابق لغطاء سيارة مغنية.

بعد شُهور من الاستعدادات والمُراقبة الدقيقة في أوائل كانون الثاني (يناير) 2008 تمكن عُملاء الموساد من الاقتراب من سيارة الدفع الرُباعي المتوقفة بينما كان مغنية يقوم بزيارة ليلية إلى إحدى عشيقاته، أخرجوا الإطار الاحتياطي واستبدلوا الغطاء بآخر جديد بقنبلة بداخله،

كما قاموا بزرع عدد من الكاميرات المُصغرة وجهاز إرسال حتى يتمكن عناصر الموساد في دمشق من رؤية ما يحدث خارج السيارة مُباشرة.

وعد خُبراء المُتفجرات في الموساد أنه إذا تم تفجير القُنبلة مُباشرة عندما كان مغنية على وشك دُخول السيارة فإن الانفجار سيقتله، ولكن من أجل التأكد تماماً اقترحوا أن يتم تفجير القُنبلة عندما تكون السيارة مُتوقفة جنباً إلى جنب مع المركبات الأخرى بحيث يرتد الانفجار عنها ويُسبب أضراراً أكبر بكثير، لمدة ستة أسابيع طويلة تبع الفريق الضارب مغنية وقدم تقارير إلى غُرفة حرب خاصة معزولة عن بقية الموساد حيث قلة مختارة فقط سُمح لها بالدخول، مراراً وتكراراً كانت الظروف على ما يرام مرتين وثلاثين مرة، ولكن في كل مرة تم إلغاء العملية في الثانية الأخيرة، إما لأن مغنية كان برفقة شخص آخر أو بسبب وجود أشخاص آخرين في الجوار أو لأنه ركب السيارة بسُرعة كبيرة، كانت القُنبلة فعالة فقط إذا كان خارج السيارة.

في صباح يوم 12 فبراير / شباط شاهد عناصر الموساد مغنية وهو يقترب من السيارة مع رجل آخر، صاح أحد النشطاء قائلاً: "انظر إنه سليماني"، سليماني الرجل القوي في الحرس الثوري الإسلامي كان يتكئ على باجيرو واقفاً على مقربة شديدة من مغنية، كان من الواضح من مُشاهدتهم يتحدثون (لم يكن هناك تغذية صوتية) أن الاثنين كانا ودودين للغاية مع بعضهما البعض، ركض الحماس بشأن فُرصة قتل الرجلين في غُرفة الحرب، لكن كان عليهم أولاً الحُصول على الموافقة، كان داغان في منزله في روش بينا، حداداً على وفاة والدته التي توفيت قبل يومين، لكنني مسؤول الموساد الذي يقود العملية، اتصلت بدغان الذي اتصل بدوره برئيس الوزراء أولمرت، لكن أولمرت رفض السماح لهم بالمُضي قدماً، كان الوعد الصريح الذي أعطي لرئيس الولايات المُتحدة قاطعاً بقتل مغنية ومغنية وحده.

في نفس اليوم حوالي الساعة 8:30 مساءً وصل مغنية إلى منزل آمن في حي كفر سوسة الراقي في دمشق على بعد بضع مئات من الأمتار من أحد أهم مقار المُخابرات السورية، التقى بعدد من مُساعدي اللواء سليمان وضابطين من حزب الله، وفي حوالي الساعة 10:45 غادر الاجتماع قبل أن ينتهي، خرج من المبنى بمُفرده هذه المرة وتوجه إلى سيارة باجيرو في ساحة انتظار السيارات. وبينما كان يتنقل بين سيارته وسيارة أُخرى مُتوقفة بجانبها قبل أن يفتح الباب مُباشرة صدر الأمر بالتنفيذ.

انفجرت القنبلة، عماد مغنية ثلاثون عاماً مُتخفياً مات أخيراً.

—

كان السوريون في حالة صدمة، مُقاتل حرب العصابات وسيد تكتيكي تمكن على مدى ثلاثة عقود من التهرب من الموارد الاستخباراتية والعسكرية لإسرائيل والولايات المتحدة وأربعين دولة أُخرى حيث تم اغتياله حرفياً تحت مقر استخباراتهم، وتحطمت بعض نوافذ المبنى بسبب الانفجار.

قال داغان: **"فكر فقط فيما يفعله هذا بالسوريين حيث وقع الانفجار في قلب أكثر الأماكن حراسة في دمشق، فكر فيما يفعله بالأسد وما يفعله بحزب الله عندما يُدرك أنهم ليسوا بأمان حتى في دمشق ".**

وأضاف: **"إنك تمنح الخصم إحساساً بالاختراق الاستخباري الكامل وإحساساً بأنك تعرف كُل شيء سواء عن المنظمة أو عن البلد المُضيف".**

لقد أدرك الرئيس الأسد حجم الكارثة وأراد أن يبتعد قدر الإمكان عن القضية برمتها، أرسل تعازيه إلى نصر الله لكنه اقترح عدم ذكر الهجوم في سوريا، حتى أنه اقترح نقل باجيرو المُحطمة بالجُثة الموضوعة فيها تحت جنح الليل إلى بيروت ليبدو وكأن مغنية قد مات هُناك.

نصر الله رفض ذلك وكان غاضباً من السوريين لفشلهم في رعاية رفيقه، بل إن بعض أعضاء حزب الله وزوجة مغنية اتهموا السوريين خطأً بالتورط في القتل، اضطر الأسد إلى الإنكار والاعتذار مرات ومرات، أصدر نصر الله أوامر بعدم دعوة أي ممثلين سوريين إلى الجنازة في بيروت.

أقيمت جنازة مغنية تحت المطر الغزير، التقى موكب المعزين الشيعة بالسنة الذين شاركوا لتوهم في تأبين زعيمهم المحبوب رفيق الحريري الذي اغتيل بأمر من مغنية قبل ثلاث سنوات بالضبط، هذه هي الحياة في لبنان.

تمكن الآلاف من الاحتشاد في حظيرة الطائرات الضخمة في جنوب بيروت حيث نظم حزب الله من حين لآخر تجمعاته الكبيرة، عشرات الآلاف تركوا في الخارج، نُقل نعش مغنية إلى

المنصة بينما مد المُشيعون يده وحاولوا لمسه ليباركه شرفه وقداسته في رحلته الأخيرة، حرس الشرف من عناصر ميليشيا حزب الله بالزي الكاكي أحاط بالنعش الموجود على المنصة مع قادة التنظيم الواعين مُرتدين عمامتهم السوداء، على الجدران وفي أيدي المُعزين آلاف المُلصقات التي تحمل الصورة الأخيرة لمغنية والتي لم يُسمح بالكشف عنها إلا بعد وفاته، كُتب في التسمية التوضيحية: "البطل الشهيد العظيم" صرخ الحشد حزنا للانتقام.

وفياً لرغبات رفيقه الراحل بقي نصر الله في ملجأه ولم يحضر الجنازة، نقلت الشاشات العملاقة تأبينه إلى الجماهير داخل وخارج الحظيرة، وبكلمات جليلة نعى مُقاتله الأول "**الذي كرس حياته للاستشهاد لكنه انتظر سنوات عديدة حتى يُصبح هو نفسه شهيداً**".

وأشار إلى اغتيال سلفه الأمين العام عباس الموسوي الذي عزز المُقاومة وأدى إلى المزيد والمزيد من الإذلال لإسرائيل، وقال: "**الإسرائيليون لا يدركون ما فعلته دماء الشيخ عباس لحزب الله، والتفرد العاطفي والروحي الذي قدمته لنا، دع العالم يكتب وعلى مسؤوليتي أنه مع تحول مغنية إلى شاه، علينا أن نحتفل تاريخياً ببداية سُقوط دولة إسرائيل**".

ورد الحشد: نحن في خدمتك يا نصر الله.

نصر الله انتهى بتهديد، لقد عبرتم الحدود أيها الصهاينة، إذا كنت تريد حرباً مفتوحة، حرب خارج حُدود إسرائيل ولبنان، فليكن حرباً مفتوحة في أي مكان ".

نصر الله والإيرانيون عيّنوا أربعة أشخاص على الأقل لتولي مهام مغنية، لكن الحرب المفتوحة لم تحدث قط، نفس الاختراق الاستخباري الذي سمح بزرع قنبلة في باجيرو في مغنية سمح أيضاً لإسرائيل بوقف كُل هجمات حزب الله المُخطط لها، نجح واحد فقط وهو إرهابي انتحاري فجر نفسه بالقرب من حافلة مُحملة بالسياح الإسرائيليين في بلغاريا، مما أسفر عن مقتل ستة وإصابة ثلاثين.

في وفاته أثبتت الأساطير حول مغنية صحتها، قال داغان: "**لقد كانت قدراته العملياتية أكبر من قدرات الرباعية التي حلت مكانه مُجتمعة**"، وتجلى غياب مغنية بشكل خاص في عدم قُدرة التنظيم على الرد على الاغتيال، قال أحد ضباط أمان: "لو كان مغنية موجوداً للانتقام لموته لكان الوضع مُختلفاً تماماً على الأرجح نحن محظوظون لأنه لم يكن كذلك ".

—

في أقل من ستة أشهر فقد اللواء سليمان مُنشأة نووية تمكن من الحفاظ عليها سرا لمدة خمس سنوات وصديقاً مُقرباً وحليفاً خدع الموت لعقود، بعد أن شعر بالإذلال والغضب أمر بصواريخ سكود بعضها مسلح برؤوس حربية كيميائية مُعدة لإطلاقها في إسرائيل، وطالب الأسد بالرد على العدوان.

الأسد رفض لقد فهم غضب جنرالاته لكنه أدرك أن هجوماً مفتوحاً على إسرائيل حتى لا يقول شيئاً عن هجوم كيماوي – لم يكن في مصلحة سوريا، وقد لاحظ أولمرت في لقاء مع زعيم الأقلية في مجلس النواب جون بونر أن هذا السلوك "كان منضبطاً فبشار ليس دمية،" قال أولمرت لمستشاريه المقربين أن "**الأسد الرجل الذي نحب جميعاً أن نكرهه يظهر في رده اعتدالاً وواقعية**".

مثل الأسد اضطر أولمرت إلى اعتدال أتباعه الذين اعتقد الكثير منهم أنه يجب قتل الأسد أيضاً، بعد كل شيء لقد تحالف مع الإرهابيين والإيرانيين، قال أحد كبار ضباط أمان: "**لقد تبين أن كُل القصص المُتعلقة بطبيب العيون الغربية التقدمي كانت مُجرد أمنيات، " لدينا هُنا زعيم مُتطرف، وعلى عكس والده فهو غير مُستقر ويميل إلى المُغامرات الخطرة** ".

لكن أولمرت رفض الفكرة، وقال: " **مع هذا الرجل يمكن التوصل إلى اتفاق سلام**".

كان سليمان حالة مُختلفة. قال أولمرت: "**كان سليمان قذراً حقيقياً ولديه قُدرة رائعة على التنظيم والمناورة**". في كثير من النواحي كان سُليمان ثاني أقوى رجل في سوريا مع مكتب على الجانب الآخر من القاعة من مكتب الأسد في القصر الرئاسي وكما أشارت مُذكرة سرية لوكالة الأمن القومي، "له يد في ثلاثة مجالات أساسية: القضايا السورية الداخلية المُرتبطة بالنظام والحكومة، ؛ القضايا العسكرية الحساسة؛ والقضايا المُتعلقة بلبنان التي كان من خلالها على ما يبدو على اتصال بحزب الله وآخرين في الساحة السياسية اللبنانية ".

هذه المرة عرف الإسرائيليون أنه لا توجد فُرصة لتدخل الولايات المتحدة، كان مغنية الذي قتل مئات الأمريكيين، كان الجنرال السوري المسؤول الرفيع المستوى في دولة ذات سيادة، شيئاً مُختلفاً تماماً، ولذلك بدأ الإسرائيليون بمفردهم التخطيط لطريقة للتخلص من سُليمان.

بعد عملية مغنية تم تكثيف الترتيبات الأمنية في دمشق واستبعدت أي فكرة عن إجراء العملية هناك، كان سُليمان تحت حراسة مُشددة ويرافقه باستمرار قافلة من المُدرعات لذلك تم رفض إمكانية استخدام عبوة ناسفة، توصل مئير دغان إلى استنتاج مفاده أن الموساد سيحتاج إلى المُساعدة وكما حدث كان الجيش الإسرائيلي حريص على تولي المهمة، إن المجد الذي نال الموساد بعد مقتل مغنية قد أجج رغبة القادة العسكريين في تنفيذ اغتيال شخصية رئيسية بأنفسهم بحيث "يكون الإصبع على الزناد لجندي وليس لرجل الموساد".

في يوم الجمعة 1 أغسطس 2008 حوالي الساعة 4 مساءً أنهى سُليمان عمله اليومي في القصر في وقت أبكر من المُعتاد وانطلق شمالاً في موكبه الآمن، كان متوجهاً إلى المسكن الصيفي الذي بناه على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة طرطوس الساحلية، كانت فيلا فسيحة مع فناء كبير من الحجر المصقول ويطل على البحر، في ذلك المساء دعا اللواء عدداً من الوُجهاء المحليين لتناول العشاء معه ومع زوجته رحاب ومستشاريه المُقربين، وقد حضرهم طاقم من الخدم وبالطبع حُراس شخصيون.

في الحفل كان جالساً على طاولة مُستديرة بإطلالة رائعة على غُروب الشمس على البحر، جلست زوجة سليمان على يساره ورئيس مكتبه على يمينه، دخن رجلان السيجار الكوبي السمين.

فجأة ترنح الجنرال في كرسيه ثم انطلق إلى الأمام وسقط ووجهه لأسفل على طبقه، كانت جمجمته مفتوحتين وشظايا من العظام وبقايا من مادة دماغية وتناثر الدم في جميع الأنحاء، أُصيب ست رصاصات أولاً في صدره وحلقه ووسط جبهته ثم ثلاث مرات في ظهره، فقط سليمان أصيب، كان ميتًا قبل أن يضرب وجهه الصحن.

في غُضون ثلاثين ثانية كان اثنان من قناصي شايطيت 13 الذين أطلقوا الرصاص من موقعين مُختلفين على الشاطئ بالفعل على زوارق مطاطية مُتوجهين إلى سفينة تابعة للبحرية، بالعودة إلى الشاطئ تركوا وراءهم بعض السجائر السورية الرخيصة كُجزء من حملة تضليل لجعل الاغتيال يبدو وكأنه شأن سوري داخلي.

ومع بدء البحث المحموم عن منفذي إطلاق النار في الفيلا اتصل قائد حراس سليمان الشخصي بالقصر الرئاسي لإبلاغ الأسد بمقتل أقرب مُستشاريه، ست رصاصات من اتجاهين ولم ير أحد القتلة قط، استمع الأسد وظل صامتا لدقيقة، قال بحزم: **"ما حدث قد حدث"، هذا سر عسكري على أعلى مُستوى، ادفنه الآن على الفور دون إخبار أحد، وهذا كل شيء** "، أقيمت الجنازة في اليوم التالي في سرية تامة.

وخلصت وكالة الأمن القومي إلى أن "هذه كانت أول حالة معروفة لاستهداف إسرائيل لمسؤول حكومي شرعي".

كان مآير داجان الآن رئيساً لجهاز موساد مُختلف تماماً عن الموساد الذي ورثه قبل ست سنوات، لم تعد المؤسسة الخجولة قلقة من عملياتها الفاشلة والخطيرة فقد تسلل موساد داغان إلى حزب الله وجيش الظل التابع لسليمان وعرقل نقل الأسلحة والتقنيات المُتقدمة بين أعضاء الجبهة الراديكالية، وقتل نُشطاء الجبهة الراديكالية وحتى اغتال عماد مغنية الذي طال انتظاره.

كما طور داغان خُطة لتعطيل طموحات إيران النووية والتي أثبتت حتى الآن نجاحها بشكل ملحوظ، لقد كان نهجاً من خمسة محاور : ضغوط دبلوماسية دولية شديدة، وعقوبات اقتصادية، ودعم الأقليات الإيرانية وجماعات المُعارضة لمُساعدتها على إسقاط النظام، وتعطيل شُحنات المُعدات والمواد الخام للبرنامج النووي، وأخيراً العمليات السرية بما في ذلك تخريب المُنشآت والقتل المُستهدف لشخصيات بارزة في البرنامج، الفكرة من وراء هذا الجهد المُتكامل، "سلسلة من العمليات الدقيقة تهدف إلى التغيير الواقعي " على حد تعبير داغان كان تأجيل المشروع قدر الإمكان حتى تتمكن إيران قبل أن تصنع قنبلة ذرية، إما أن تتسبب العقوبات في أزمة اقتصادية خطيرة من شأنها أن تُجبر قادة إيران على التخلي عن المشروع أو أن تكون أحزاب المُعارضة قوية بما يكفي للإطاحة بالحُكومة.

ودعماً لهذه الجهود تم أخيراً إضفاء الطابع الرسمي على التعاون الرُباعي بين وكالة المُخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي والموساد وأمان عن طريق اتفاقية تعاون بين بوش وأولمرت

تضمنت الكشف عن المصادر والأساليب ("التعري الكامل المُتبادل" على حد تعبير أحد مُساعدي رئيس الوزراء).

أطلقت وكالات الاستخبارات الأمريكية ووزارة الخزانة الأمريكية مع وحدة الرمح في الموساد، حملة شاملة من الإجراءات الاقتصادية لربط المشروع النووي الإيراني، كما شرع البلدان في مُحاولة لتحديد المُشتريات الإيرانية من المُعدات للمشروع لاسيما العناصر التي لم تتمكن إيران من تصنيعها بنفسها، ومنع وُصول الشُحنات إلى وجهتها، استمر هذا لسنوات من خلال إدارة بوش وحتى إدارة باراك أوباما.

لكن الإيرانيين كانوا عنيدون، في يونيو 2009 اكتشف الموساد مع المُخابرات الأمريكية والفرنسية أنهم بنوا مُنشأة سرية أُخرى لتخصيب اليورانيوم هذه المنشأة في قم، علناً بعد ثلاثة أشهر، أصدر الرئيس أوباما إعلاناً وإدانة دراماتيكية، وتم تشديد العُقوبات الاقتصادية بشكل أكبر، وفي السر نجحت عمليات التخريب المُشتركة في إحداث سلسلة من الأعطال في المُعدات الإيرانية المُزودة لأجهزة كمبيوتر المشروع النووي التي توقفت عن العمل والمحولات محترقة، وأجهزة الطرد المركزي ببساطة لا تعمل بشكل صحيح، في أكبر وأهم عملية مُشتركة بين الأمريكيين والإسرائيليين ضد إيران والتي أُطلق عليها اسم "الألعاب الأولمبية" تسببت فيروسات الكمبيوتر والتي أصبحت أحدها تعرف باسم Stuxnet، في إلحاق أضرار جسيمة بآلة تخصيب اليورانيوم في المشروع النووي.

تم تنفيذ العُنصر الأخير في خطة دغان وهو القتل المُستهدف للعلماء من قبل الموساد بمفرده، حيث كان داغان على علم بأن الولايات المُتحدة لن توافق على المُشاركة، قام الموساد بتجميع قائمة بخمسة عشر باحثاً رئيسياً مُعظمهم أعضاء في "مجموعة الأسلحة" التي كانت مسؤولة عن تطوير جهاز تفجير للأسلحة" كأهداف للتخلص منها.

في 14 كانون الثاني (يناير) 2007 توفي الدكتور أرديشير حسينبور وهو عالم نووي يبلغ من العُمر أربعة وأربعين عاماً يعمل في مصنع اليورانيوم في أصفهان، في ظروف غامضة، وأشار الإعلان الرسمي عن وفاته إلى اختناقه "إثر تسرب غاز" لكن المُخابرات الإيرانية مُقتنعة بأنه كان ضحية للإسرائيليين.

في 12 يناير / كانون الثاني 2010 الساعة 8:10 صباحاً غادر مسعود المحمدي منزله في أحد أحياء شمال طهران الراقي وتوجه نحو سيارته، حصل على درجة الدكتوراه في مجال فيزياء الجُسيمات الأولية عام 1992 من جامعة الشريف للتكنولوجيا، وأصبح مُحاضراً أول هناك، في وقت لاحق انضم إلى المشروع النووي حيث كان أحد كبار العُلماء، عندما فتح باب سيارته انفجرت دراجة نارية مُفخخة كانت مُتوقفة في مكان قريب مما أدى إلى مقتله.

إن قتل العلماء الذين يعملون في مناصب حكومية لدولة ذات سيادة ولم يتورطوا بأي شكل من الأشكال في الإرهاب لم يمر دون نقاش داخلي في الموساد، في أحد اجتماعات المُوافقة العملياتية في مكتب دغان وقفت ضابطة مُخابرات تعمل تحت إشراف نائب المُدير تامير باردو وقالت إن والدها كان من كبار العُلماء في البرنامج النووي الإسرائيلي، وأكدت أن "اتباع طريقة التفكير السائدة هنا سيكون والدي هدفاً مشروعاً للتخلص منه، أعتقد أن هذا ليس أخلاقياً ولا قانونياً، ولكن تم رفض كُل هذه الاعتراضات.

الإيرانيون من جانبهم أدركوا أن هُناك من يقتل علمائهم وبدأوا في حراستهم عن كثب خاصة قائد مجموعة الأسلحة مُحسن فخري زاده الذي كان يُعتبر العقل المُدبر للمشروع، قام الإيرانيون بنشر سيارات مليئة برجال الشرطة حول منازلهم مما جعل حياتهم كابوساً ودفعهم وعائلاتهم إلى حالة من القلق الشديد.

كما كان لسلسلة العمليات الناجحة تأثير إضافي وهو تأثير لم تُبادر به إسرائيل ولكنه انتهى بالعمل لصالحها: بدأ كُل عُضو في الجبهة الراديكالية يخشى أن تكون إسرائيل قد تغلغلت في صُفوفه، وبالتالي بدأ يُكرس جُهوداً ضخمة لتحقيق ذلك، تحديد مواقع التسريبات ومُحاولة حماية أفرادها من الموساد، كما أصيب الإيرانيون بجنون العظمة من احتمال إصابة جميع المُعدات والمواد التي حصلوا عليها من السوق السوداء لمشروعهم النووي مُقابل مبالغ كبيرة جداً من المال وقاموا بفحص وإعادة فحص كُل عنصر مراراً وتكراراً، أدت هذه الجهود إلى إبطاء جوانب أُخرى من المشروع النووي إلى حد كبير حتى أنها أدت إلى توقف البعض.

أصبح موساد داغان الآن مرة أخرى الموساد الأسطوري الوكالة التي كانت تاريخياً إما مخيفة أو مُحترمة، ولكن لم يتم استبعادها، كان الموظفون فخورين بالخدمة هناك، كان داغان قد قدم الجرأة للوكالة التي كان يُمكن أن تكون تبجحاً لو لم تكن فعالة بشكل كامل ومُطلق.

35

نجاح تكتيكي مُبهر وفشل استراتيجي كارثي

دخل محمود المبحوح إلى ردهة فُندق البستان روتانا قبل الساعة 8:30 مساءً بقليل، وهو أحد الضيوف العديدين الذين يحضرون ويذهبون إلى الفندق، تم التقاط صزرته بكاميرا الدائرة المُغلقة فوق المدخل، كان لديه شعر أسود وشعره مُنحسر قليلاً وشارب أسود كثيف، كان يرتدي قميصاً أسود ومعطفاً كبيراً جداً بالنسبة له، كانت ليلة باردة نسبياً في دبي، وعادة ما تكون دافئة جداً.

لقد كان في دبي مُنذ أقل من ست ساعات لكنه التقى بالفعل بمصرفي كان يُساعده في ترتيب مُختلف المُعاملات المالية الدولية المطلوبة لشراء مُعدات مُراقبة خاصة لحماس في غزة، كما التقى باتصالاته المُنتظمة من الحرس الثوري الإيراني الذي سافر لتنسيق تسليم شُحنتين كبيرتين من الأسلحة إلى التنظيم الإسلامي المُتطرف.

قام المبحوح بالعديد من الأعمال التجارية في دبي، عندما طار إلى المدينة الصغيرة في 19 يناير 2010 كانت هذه هي زيارته الخامسة على الأقل في أقل من عام بقليل، سافر بجواز سفر فلسطيني وكانت الإمارات واحدة من الأماكن القليلة التي اعترفت بالأوراق الصادرة عن السلطة الفلسطينية والتي تضمنت اسماً مُزيفاً، في الواقع كان ناشطاً بارزاً في حماس وكان على مدى عُقود: قبل عشرين عاماً اختطف وقتل جُنديين إسرائيليين ومؤخراً بعد أن تم التخلص من سلفه عز الدين الشيخ خليل من قبل الموساد في دمشق، كان مسؤولاً عن تخزين أسلحة حماس.

خطوة أو خطوتين خلف المبحوح كان هناك رجل بهاتف محمول يتبعه في المصعد، قال الرجل في هاتفه: "تعال الآن"، ربما سمع المبحوح ذلك، لكنه لم يُلاحظه، لم يكن هُناك شيء غير عادي في إخبار سائح في دبي لصديقه أنه في طريقه.

كان المبحوح بطبيعته رجلاً شديد الحذر، كان يعلم أن الإسرائيليين يُريدون قتله، قال لقناة الجزيرة في مُقابلة الربيع الماضي: "عليك أن تكون مُتيقظاً، وأنا والحمد الله يُسموني" الثعلب "لأني أستطيع أن أشعر بما ورائي حتى ما وراء ذلك الجدار، الحمد لله، لدي شعور مُتطور للغاية بالأمان، لكننا نعرف ثمن طريقنا، وليس لدينا مُشكلة في ذلك، أتمنى أن أموت شهيداً ."

توقف المصعد في الطابق الثاني، صعد المبحوح، فيما ظل الرجل صاحب الهاتف مفتوحاً مُتجهاَ إلى طابق أعلى كأي سائح عادي.

استدار المبحوح يساراً وتوجه نحو غرفته 230، كان المدخل فارغاً، وبدافع العادة قام المبحوح بمسح إطار باب غرفته وآلية القفل بحثاً عن أي خُدوش وأي تلميح للعبث ولم يكن هُناك شيء، فدخل الغُرفة وأغلق الباب خلفه، سمع ضوضاء واستدار ولكن بعد فوات الأوان.

تمت المُوافقة على خُطة اغتيال محمود المبحوح قبل أربعة أيام في 15 كانون الثاني (يناير) خلال اجتماع تم الترتيب له على عجل في غُرفة الاجتماعات الكبيرة بالقُرب من مكتب مئير داغان، بعد أن اخترقت المُخابرات العسكرية الإسرائيلية خادم البريد الإلكتروني الذي يستخدمه آل- واكتشف المبحوح أنه حجز رحلة من دمشق إلى دُبي في 19 يناير.

في ذلك الاجتماع كان هُناك حوالي خمسة عشر شخصاً جالسين حول طاولة طويلة بما في ذلك مُمثلين عن أجنحة المُخابرات والتكنولوجيا والأجنحة اللوجستية في الموساد، كان أهم شخص في المؤتمر بعد داغان، "عطلة" رئيس قيسارية، هوليداي وهو أصلع ومُمتلئ الجسم، أخذ على عاتقه قيادة عملية شاشة البلازما شخصياً.

لطالما كان المبحوح على قائمة القتل لدى الإسرائيليين، قبل ذلك بعام تدهور الوضع على حُدود قطاع غزة بشكل سيئ لدرجة أنه في 27 ديسمبر / كانون الأول 2008 شنت إسرائيل عملية الرصاص المصبوب وهي هُجوم واسع النطاق لمنع حماس من إطلاق صواريخ القسام والكاتيوشا على المُجتمعات الإسرائيلية، استطاعت حماس إطلاق كمية كبيرة من الذخائر من

قطاع غزة بفضل حيازة المبحوح للأسلحة وشبكة نقلها والمُساعدة التي تلقاها من الحرس الثوري الإيراني.

لقد تحسنت المعلومات الاستخباراتية الإسرائيلية عن حماس بشكل كبير في السنوات الأخيرة وبدأت العملية بقصف جوي ضخم للقوات الجوية، أطلق عليه اسم الطُيور الجارحة على الصوامع التي تم إخفاء صواريخ حماس فيها، علم الموساد أن الشبكة التي يُديرها المبحوح كانت تُعيد تزويد مخزون حماس بالسلاح، تم شحن الأسلحة من إيران إلى بورتسودان على البحر الأحمر ومن هُناك يتم تهريبها عبر مصر وسيناء إلى قطاع غزة عبر الأنفاق المُتعددة المُستخدمة لتجنب حرس الحُدود والدوريات المصرية، قام الموساد بتتبع الشُحنات في البحر وعندما غادرت الشاحنات بور سودان في كانون الثاني 2009 نفذ سلاح الجو الإسرائيلي أربع غارات طويلة المدى ودمر القوافل والرجال المُرافقين لها.

وقال دغان: "ألحقت مثل هذه الأنشطة أضراراً كبيرة بمسارات التهريب من إيران إلى حماس، ليس تأثيراً مُطلقاً ليس كافياً للفوز بشكل مُباشر ولكن سبب انخفاض كبير".

لكن لسبب ما لم يُسافر المبحوح في ذلك اليوم بالشاحنات بل غادر السودان في طريق آخر، لتصحيح ذلك طلب دغان وحصل على موافقة أولمرت لعملية علاج سلبية ضد المبحوح، وعندما تولى بنيامين نتنياهو السُلطة من أولمرت في آذار (مارس) 2009 جدد الموافقة.

كانت دُبي المكان الأنسب لقتل المبحوح، المناطق الأُخرى التي قضى فيها وقتاً في طهران ودمشق والسودان والصين لديها أجهزة سرية فعالة وطرح المزيد من المشاكل لفريق ضرب الموساد، من ناحية أخرى كانت دُبي تعج بالسُياح ورجال الأعمال الأجانب وكان الموساد يعتقد أن لديها قُوى إنفاذ واستخبارات أضعف بكثير، كانت دبي لا تزال دولة مُستهدفة مُعادية رسمياً لإسرائيل ولكن بحُلول هذه المرحلة قتل الموساد رجلاً في وسط دمشق وجنرالاً سورياً في فيلته الخاصة، وبالمُقارنة فإن أحد عناصر حماس في دبي السياحية سيكون هدفاً سهلاً نسبياً.

ومع ذلك استدعت العملية فريقاً كبيراً مُقسماً إلى فرق أصغر والتي ستكون قادرة على تحديد الهدف عند وصوله إلى دُبي وإبقائه تحت المُراقبة بينما يقوم الآخرون بإعداد وتنفيذ الضربة الفعلية في غُرفة الفُندق والتأكد من ذلك، سيظهر أن المبحوح قد مات موتاً طبيعياً، سيحتاجون

بعد ذلك إلى إزالة جميع الأدلة ومُغادرة البلاد قبل العُثور على الجُثة في حالة الاشتباه في وجود خطأ على أي حال.

لم يعتقد الجميع أن مهمة قتل المبحوح كان لها أهمية بما يكفي لتبرير الجهد والمخاطرة، حتى أن البعض أخبر داغان أنه لم يستوف الشروط الأساسية اللازمة للعلاج السلبي، اتفق الجميع في الموساد على أن المبحوح يستحق الموت ولكن من أجل تنفيذ عملية في بلد مُستهدف كان عليه أن يُشكل خطراً جسيماً على إسرائيل والتي سيكون لإزالتها تأثير مُدمر للغاية على توازن العدو.

في الحقيقة لم يكن المبحوح مُناسباً لأي من المعيارين، ولكن بعد كُل نجاحاتهم السابقة كان داغان ومسؤولو الموساد الآخرون مُمتلئين بالثقة بالنفس لدرجة أنهم مضوا قُدماً على أي حال.

كان فريق من نُشطاء قيسارية قد تعقب المبحوح لأول مرة في دُبي في عام 2009 ليس لقتله ولكن لدراسة تحركاته وفي الغالب للتأكد من أنه رجلهم المطلوب، بعد أربعة أشهر في نوفمبر تحديداً ذهب طاقم Plasma Screen إلى دُبي مرة أخرى هذه المرة للقضاء عليه، قاموا بتسميم مشروب تم إحضاره إلى غُرفته بالفندق لكن إما أنهم أخطأوا في الجُرعة أو أنه لم يبتلع ما يكفي: فقد أُغمي على المبحوح فقط، وعندما وصل قطع زيارته وعاد إلى دمشق حيث أرجع الطبيب نوبة إغماءه إلى كثرة الترحلات، قبِل بهذا التشخيص ولم يشك في حُدوث مُحاولة اغتيال.

تسبب هذا التحول في الأحداث في إحباط عميق داخل الموساد، لقد تم المُخاطرة بالناس والموارد ولم تنتهي المهمة بعد، أصر هوليداي على أنه لن تكون هُناك أخطاء هذه المرة: لن يُغادر فريق الاغتيال دبي قبل أن يروا بأعينهم أن المبحوح قد مات.

ظهر اعتراض واحد في اجتماع 15 يناير بالقُرب من مكتب مئير دغان، سيواجه قسم التوثيق مُشكلة في إعداد جوازات سفر مُزيفة جديدة ذات مصداقية للفريق بأكمله، حيث كان هُناك أكثر من عشرين شخص ذهبوا إلى دبي وكان البعض سيدخل نفس البلد بنفس الهويات وقصص الغلاف للمرة الثالثة في غُضون ستة أشهر فقط، في أيام الموساد الأكثر خجلاً في عهد هاليفي كانت العملية ستُلغى لهذا السبب وحده، لكن داغان و هوليدي قررا المُخاطرة وسيرسلون الفريق بالأوراق الموجودة.

لم يتوقعوا وقوع أي مشاكل على أي حال، وأقروا بأن اكتشاف الجثة كان من شأنه أن يُثير الشُكوك وقد يتم إجراء تحقيق، لكن ذلك لن يحدث إلا بعد فترة طويلة من عودة الفريق إلى إسرائيل، سيتم ترك أي دليل للشُرطة للعمل معها، لن يتم الكشف عن أي سر من أسرار الموساد ولن يتم القبض على أحد كل شيء سوف يُنسى بسرعة.

أملى داغان القرار النهائي على مُساعده الرئيسي: "شاشة البلازما" مصرح بتنفيذ العملية، عندما غادر المُشاركون أضاف داغان بصوت عميق "**وأتمنى التوفيق للجميع**".

—

هبط أول ثلاثة أعضاء من فريق شاشة البلازما في دُبي في الساعة 6:45 صباح يوم 18 يناير، وعلى مدار التسع عشرة ساعة التالية وصل باقي أعضاء الفريق السبعة والعشرون على الأقل في رحلات جوية من زيورخ وروما وباريس و فرانكفورت، كان اثنا عشر من جوازات سفرهم بريطانية وستة أيرلندية وأربعة فرنسيين وأربعة أُسترالية وألمانية، كانت جميعها أصلية لكن لم يكن أي منها ينتمي في الواقع إلى الشخص الذي يستخدمها، تم استعارة بعضها من أصحابها وسكان إسرائيل يحملون جنسية مُزدوجة وبعضهم حصلوا عليه بهويات مُزورة وبعضهم سُرق والبعض الآخر يخص المتوفى.

الساعة 2:09 صباحاً في اليوم التاسع هبطت " جيل فوليارد " و " كيفن دافيرون "، كان من المُفترض أن يكونوا المحاور الرئيسية للعملية التي تتحكم في غُرفة القيادة الأمامية وموظفي الاتصالات والحُراس والمُراقبين، قاموا بتسجيل الدُخول إلى غُرف مُنفصلة في فُندق جميرا، دفع كلاهما نقداً على الرغم من أن العديد من أعضاء الفريق الآخرين استخدموا بطاقات الخصم الصادرة عن شركة تُدعى بايونير، وكان الرئيس التنفيذي لها من قُدامى المُحاربين في وحدة كوماندوز في جيش الدفاع الإسرائيلي.

أخذ مُوظف الاستقبال سري راهايو أموالهم وأعطى غرفة فوليارد رقم 1102 و دافيرون 3308، قبل الذهاب إلى النوم طلب فوليارد وجبة خفيفة من خدمة الغرف، تناول دافيرون مشروباً غازياً من الميني بار الخاص به.

هبط "بيتر إلفنغر" قائد العملية في المطار بعد 21 دقيقة من حمل فوليارد ودافيرون جواز سفر فرنسي، بعد إجازة مُراقبة جوازات السفر قامت إلفنجر بعمل مُناورة مُراقبة مُضادة لمعرفة هل من أحد يُراقبهم حيث خرجت من باب المحطة وانتظرت ثلاث دقائق ثُم استدرت وعادت إلى الداخل لحضور اجتماع مُحدد مسبقاً مع عضو آخر في الفريق كان قد أتى إلى المطار في وقت سابق بالسيارة، كإجراء وقائي كان جميع أعضاء فريق الاغتيال يغيرون الملابس ويُعيدون التنكر بشكل مُتكرر مثل الشعر المُستعار والشوارب المُستعارة، هذا للتأكد من عدم اتباع أي شخص ولتمكين تبديل الهويات بين مُختلف مراحل العملية.

تحدث إلفنجر ومعارفه لمُدة تقل عن دقيقة قبل أن يأخذ القائد سيارة أُجرة إلى الفُندق الذي يُقيم فيه.

بحُلول وقت مبكر من بعد الظهر كان الفريق بأكمله ينتظر وصول المبحوح، كان من المُتوقع أن يطير في الساعة الثالثة ولكن لا تزال هُناك بعض الثغرات في المعلومات الاستخباراتية، لم يعرف فريق شاشة البلازما أين سيُقيم ومتى وأين سيجتمع، أو كيف سينتقل من مكان إلى آخر، الفريق الذي لم يتمكن من تغطية المدينة بأكملها قد يفقد المبحوح وكان من المُستحيل التخطيط مُسبقاً لكيفية الاقتراب بما يكفي لقتله، قال ضابط مُخضرم: "علينا تحديد طريقة الاغتيال وعلينا تحديد الهدف كيف ومتى يموت".

انتشر بعض أعضاء الفريق في ثلاثة فنادق كان المبحوح قد أقام فيها في زياراته السابقة، كانت فرقة مُراقبة أخرى في المطار تقضي الوقت في اتصالات مُباشرة مع غُرفة العمليات، بقي سبعة أفراد مع إلفنجر في فُندق آخر في انتظار التعليمات.

وصل المبحوح في الساعة 3:35 أرسله فريق إلى فندق البستان روتانا وتم إرسال رسالة إلى النُشطاء في الفُنادق الأُخرى تخبرهم بأنهم سيتركون مواقعهم، استخدم أعضاء الفريق الهواتف المحمولة على نطاق واسع ولكن من أجل تجنب الروابط المُباشرة بين أرقامهم قاموا بالاتصال برقم في النمسا حيث تم تثبيت لوحة مفاتيح بسيطة مُسبقاً لإجراء المُكالمة إما إلى هاتف آخر في دبي أو إلى مركز القيادة في اسرائيل.

كان أفراد الطاقم الموجودون بالفعل في بهو فُندق البستان روتانا يرتدون ملابس التنس ويحملون المضارب لكن من المُثير للفضول عدم ارتداء الأغطية المُرافقة المُعتادة، بعد أن حصل المبحوح على مُفتاح غرفته دخل اثنان منهم المصعد من بعده، عندما خرج من الطابق الثاني

تبعوه على مسافة آمنة ولاحظوا أنه كان يُقيم في الغُرفة 230، أبلغ أحد الرجلين عن ذلك عن طريق مُكالمة هاتفية تم توجيهها عبر النمسا قبل أن يعود الاثنان إلى الردهة .

بمُجرد أن عرف إلفنجر رقم غُرفة المبحوح، أجرى مُكالمتين هاتفيتين، الأول كان إلى فُندق البُستان روتانا لحجز غُرفة، طلب الغرفة رقم 237، مُباشرة عبر الممر من230، ثم اتصل بشركة طيران لحجز مقعد في رحلة إلى ميونيخ عبر دولة قطر في وقت لاحق من ذلك المساء.

بعد الرابعة مساءً بقليل غادر المبحوح الفُندق، لاحظ الفريق الذي خلفه أنه كان يتخذ تدابير وقائية، ويقوم بنوعه الخاص من تأمين نفسه، كان لديه سبب وجيه للقيام بذلك: لقد مات جميع رفاقه في حماس مُنذ أواخر الثمانينيات في وفيات غير طبيعية، لكن تحركاته كانت بسيطة وغير مُعقدة ولم يكن لدى الفريق مُشكلة في التركيز عليه.

كيفن دافيرون ينتظر في فندق البستان، لوبي إلفنجر الذي وصل الساعة 4:25 سلّم دافيرون حقيبة سفر، ثم ذهب إلى مكتب التسجيل، التقطت الكاميرا الأمنية بوضوح جواز سفره الأوروبي المُغلف باللون الأحمر، بعد تسجيل الوُصول إلى الغرفة 237، أعطى المُفتاح إلى دافيرون، دون لفت الأنظار وغادر الفندق بدون حقيبة سفره.

بعد ساعتين جاء أربعة رجال إلى الفُندق في أزواج، جميعهم كانوا يرتدون قُبعات بيسبول تُخفي وجوههم، حملوا حقيبتين كبيرتين، ثلاثة منهم كانوا "مُحققون" في قيسارية، الرابع كان خبيراً في فك الأقفال، ذهبوا مُباشرة إلى المصاعد والغرفة 237، بعد ساعة من ذلك أي في تمام الساعة 7:43 شعر فريق المُراقبة في الردهة بالارتياح، واستبدلت عيونهم بعد أربع ساعات من وصولهم لأول مرة وغادر لاعبو التنس المُزيفون الردهة.

في الساعة العاشرة صباحاً أفاد طاقم مُراقبة المبحوح أنه عائد إلى الفندق، ظل دافيرون وفوليارد يُراقبان الممر بينما بدأ عامل الأقفال في تشغيل فتح القفل على الباب 230، كانت الفكرة هي إعادة برمجته حتى يفتح مُفتاح الموساد الرئيسي الباب دون تسجيله، ولكن في نفس الوقت لا

يُعطل الوضع العادي عمل المُفتاح المُناسب، نزل سائح من المصعد لكن دافيرون سُرعان ما أشركه في مُحادثة بريئة مُشتتة للانتباه، لم ير السائح شيئاً فيما تم التقاط القفل ودخل الفريق الغُرفة، ثم انتظروا...

حاول المبحوح الهُروب مرة أُخرى إلى الممر، لكن اثنين الفريق الذيت يتمتعون بالأذرع القوية أمسكت به، قام رجل ثالث بتكميم فمه بإحدى يديه وضغط باليد الأخرى على عُنق المبحوح بأداة تستخدم الموجات فوق الصوتية لحقن الدواء دون خدش الجلد، تم تحميل الأداة بكلوريد سوكساميثونيوم وهو مُخدر معروف تجارياً باسم سكولين يُستخدم مع أدوية أخرى في الجراحة. ويؤدي من تلقاء نفسه إلى الإصابة بالشلل والاختناق لأنه يتسبب في توقف العضلات المُستخدمة في التنفس عن العمل.

حافظ الرجال على قبضتهم حتى توقف المبحوح عن المُقاومة، وعندما انتشر الشلل في جسده وضعوه على الأرض، كان المبحوح مُستيقظاً يفكر بوضوح ويرى ويسمع كُل شيء، لم يستطع التحرك، تشكلت رغوة في زوايا فمه.

حدق فيه ثلاثة غُرباء بهُدوء وما زالوا يُمسكون بذراعيه برفق تحسباً لأي طارئ، وكان هذا آخر شيء رآه.

قام الجلادون بفحص نبضه في مكانين كما أمرهم طبيب الموساد بذلك والتأكد من أنه ميت هذه المرة، انتزعوا حذائه وقميصه وسرواله ووضعوه في الخزانة بشكل أنيق ووضعوا الجسد على السرير تحت الأغطية.

استغرقت العملية بأكملها عشرين دقيقة باستخدام تقنية طورها الموساد لمثل هذه المهمات، قام الفريق بإغلاق الباب بطريقة يبدو أنه قد تم قفله من الداخل مع وضع السلسلة في مكانها، علقوا علامة "عدم الإزعاج" على مقبض الباب وطرقوا باب رقم 237 مرتين كإشارة أنجزت المهمة ثم ذهبوا إلى المصاعد.

غادر فوليارد بعد دقيقة واحدة ودافيرون بعد ذلك بأربع دقائق ثم فريق المُراقبة الذي كان الردهة، في غضون أربع ساعات كان مُعظم الفريق خارج دُبي ولم يتبق أي منهم بعد أربع وعشرين ساعة.

في تل أبيب سادت حالة من الرضا الذاتي جو وُصف فيما بعد بأنه "نشوة بالنجاح التاريخي"، شارك كل من مئير داغان وهوليداي الفريق الناجح – اعتقدوا أن مهمة أخرى قد تم إنجازها بخبرة، أبلغ داغان نتنياهو بالقتل، قال: لن يزعجنا المبحوح بعد الآن.

عثر أمن الفُندق على الجُثة بعد ظُهر اليوم التالي بعدما لم يستجب أحد لضربات المُتكررة طوال اليوم، ومع ذلك لا يبدو أن هُناك أي سبب يدعو للقلق، من المُحتمل أن يكون تاجر في مُنتصف العُمر ميتاً في سريره في غُرفة مُقفلة مع عدم وُجود علامات صراع أو صدمة مؤشراً على أكثر من نوبة قلبية أو رُبما سكتة دماغية، تم نقل جُثمان المبحوح إلى المشرحة وسُجلت وفاته وفُهرستها تحت اسم مُزيف في جواز سفره، لم يحظ الأمر باهتمام أكثر أو أقل من أي أجنبي ميت من الطبقة المُتوسطة في دبي.

لكن في دمشق بدأ مسؤولو حماس يتساءلون لماذا لم يتم الإبلاغ عن الرجل الذي أرسلوه للتوسط في عدة صفقات أسلحة كما هو مقرر، بعد ذلك بيوم في 21 كانون الثاني (يناير) سأل المبعوث المحلي في مراكز الشُرطة والمشارح حتى وجد جُثة المبحوح التي لم يُطالب بها أحد في دُرج مُبرد.

اتصل مسؤول في حماس بقائد شُرطة دبي الفريق ضاحي خلفان تميم، وأخبره أن القتيل الذي يحمل جواز السفر الفلسطيني هو في الواقع عضو بارز في تنظيمهم، أخبر خلفان أن الوفاة لم تكن على الأرجح لأسباب طبيعية وعلى الأرجح كان الموساد وراءها.

خلفان البالغ من العُمر تسعة وخمسون عاماً وحاصل على شهادة عالية جعل من مهمته الشخصية تخليص بلاده من المُجرمين والعُملاء الأجانب الذين استخدموا دُبي كقاعدة للقيام

بنشاط غير قانوني، صرخ في الهاتف: "**خذوا أنفسكم وحساباتكم المصرفية وذراعيكم وجوازات سفركم المُزيفة، واخرجوا من بلادي!**"

ومع ذلك لم يكن بإمكانه جعل الموساد يتجول حول قتل الناس أيضاً، أخرج خلفان الجُثة من المشرحة لتشريحها، لم تكن النتائج نهائية ولم يكن من المُمكن تحديد ما إذا كان المبحوح قد قُتل لكن افتراض خلفان الأساسي كان أن مسؤول حماس كان على حق.

—

عيب واحد في العمليات الإسرائيلية لديهم بالمقارنة مع نُظرائهم الأمريكيين أو البريطانيين هو أنه يتعين عليهم استخدام جوازات سفر مُزورة، يُمكن تجهيز فرقة وكالة المُخابرات المركزية بسهولة بجوازات سفر شرعية لوزارة الخارجية الأمريكية وإن كان ذلك بأسماء مُستعارة ولديهم أساساً هوية لا نهاية لها مدفونة تحت بند التالي حسب الحاجة، يتم قبول جوازات السفر الأمريكية والبريطانية في كُل مكان في العالم ونادراً ما تلفت الانتباه المفرط.

جوازات السفر الإسرائيلية ليست كذلك، إنهم غير مُجديين للدُخول إلى العديد من البُلدان الآسيوية والأفريقية حيث يهتم الموساد أحياناً بقتل شخص ما أو إجراء عملية سرية أخرى، عادة ما يقوم الموساد بتزوير نُسخ من دول أخرى أقل ريبة، لكن في عالم ما بعد 11 سبتمبر أصبح تزوير جوازات السفر عملاً أكثر تعقيداً.

يمكن أن تعرض المستندات التي تم إنشاؤها بطريقة قذرة أو التي تم استخدامها في كثير من الأحيان للخطر على حياة البعثة ونشطاءها، لذلك عندما ألغى هاليفي المهمات لعدم وجود أوراق كافية كافية لم يكن ذلك بسبب الجبن فقط، وعندما قام داغان بالتنمر على جوازات السفر والهويات المُتسرعة من التقنيين المُترددين كانت تلك قيادة جريئة حتى سارت بشكل خاطئ.

سمح دغان لفريق شاشة البلازما باستخدام نفس الهويات أربع مرات في دبي، لم يكن من الصعب على خلفان الحُصول على قائمة بكُل من دخل الإمارات قبل فترة قصيرة من المبحوح ثُم غادر بعد وفاته مُباشرة، كما لم يكن من الصعب تضييق هذه القائمة من خلال مُقارنتها

بأولئك الذين جاءوا وذهبوا في المرات الثلاث السابقة التي زارها المبحوح، أعطى ذلك أسماء لخلفان، والتي يُمكن بعد ذلك الرجوع إليها مع سجلات الفنادق التي تحتوي على كاميرات تسجل مكتب الاستقبال، سرعان ما عرفت الشرطة من جاء ومتى وأين بقوا وكيف يبدون.

يفضل القتلة النقد لأنه مجهول الهوية بشكل عام لا يمكن تتبعه، يُمكن أن تكون بطاقات الائتمان أو بطاقات الخصم Payoneer مُسبقة الدفع، سيتم تسجيل مجموعة من المُكالمات إلى لوحة مفاتيح نمساوية وإذا كان شخص ما يبحث فسيتم مُلاحظته، وكذلك الأرقام التي تستدعيها لوحة التبديل، لذلك لم تكن إعادة بناء حركة كُل عميل من عُملاء الموساد في شاشة البلازما والصلات بينهم صعبة للغاية. كان يتطلب فقط غربلة الكثير من البيانات، من عدة كاميرات CCTV.

قام خلفان بتجميع سرد فيديو للعملية بأكملها، أظهرت الكاميرا الموجودة فوق باب حمام أحد الفنادق دافيرون وهو يدخل أصلع ويخرج برأس كامل من الشعر حتى دون أن يُلاحظ أنه كان أمام الكاميرا على الرغم من أنها لم تكن مخفية، لم يكن هذا شيء من شأنه أن يمنح الفريق بعضاً في الوقت الفعلي لكن التنفيذ غير المُتقن لمُفتاح الهوية جعل الأمور أسهل للمُحققين بالتأكيد.

ثم عقد خلفان مؤتمراً صحفياً ووضع الفيديو كاملاً على الإنترنت ليراه العالم، دعا داغان إلى "أن يكون رجلاً" ويتحمل المسؤولية تجاه الضربة، وطالب بإصدار مُذكرات اعتقال دولية لنتنياهو وداغان وقد أصدر الإنتربول بالفعل أوامر اعتقال بحق جميع الأعضاء السبعة والعشرين وإن كان ذلك بأسمائهم المستعارة.

الدول التي استخدمت إسرائيل جوازات سفرها كانت غاضبة، تعاون الكثير منهم بهُدوء مع الموساد ولكن ليس إلى درجة السماح لمواطنيهم وهميين أم لا، بالانجرار إلى مؤامرات اغتيال. أمرت بعض الحُكومات مُمثلي الموساد في بُلدانهم بالمُغادرة على الفور ولم تسمح للوكالة باستبدالهم لعدة سنوات، كُلهم توقفوا عن تعاونهم مع الوكالة الإسرائيلية.

لقد كانت كارثة وُلدت من الغطرسة، قال أحد الرؤساء السابقين للمخابرات الألمانية: "**أنا أحب إسرائيل وأُحب الإسرائيليين**"، **لكن مُشكلتك كانت دائماً أنك تحُط من قدر الجميع – العرب والإيرانيين وحماس، أنت دائماً الأذكى وتعتقد أنه يُمكنك خداع الجميع طوال الوقت، مزيد**

من الاحترام للطرف الآخر حتى لو كنت تعتقد أنه عربي جاهل أو ألماني عديم الخيال، وكان المزيد من التواضع قد ينقذنا جميعاً من هذه الفوضى المحرجة ".

على مستوى واحد لا شيء من ذلك مهم في إسرائيل، وقد أدت الإدانات الشديدة التي تعرضت لها على الساحة الدولية إلى جانب الإدانات المُماثلة التي تلقتها الأمة بانتظام لمُعاملتها للفلسطينيين إلى تصعيد وطني، في عطلة الكرنفال في إسرائيل "عيد المساخر" التي وقعت بعد أسابيع قليلة من اندلاع القصة كان الزي الشعبي هو زي لاعب تنس يحمل مُسدسات، تطوع مئات الإسرائيليين من حاملي الجنسية المُزدوجة بجوازات سفرهم للموساد لاستخدامها في العمليات المُستقبلية، غمر موقع المُنظمة على الويب بالاستفسارات حول الانضمام.

لكن الأمور كانت مُختلفة داخل الوكالة، كان الانكشاف والاهتمام السلبي الذي تلقاه الموساد مُدمرين للغاية على المُستوى التشغيلي على الرغم من حقيقة أن خلفان لم ينجح أبداً في مُحاكمة أي من الجناة، تم إغلاق أقسام كاملة من عمليات الموساد لأن الكثير من النُشطاء قد تم تفجير غطاءهم وبسبب الحاجة إلى تطوير إجراءات ومنهجيات جديدة بعد أن كانت الإجراءات والمنهجيات القديمة مُنتشرة في جميع وسائل الإعلام.

في وقت مبكر من يوليو 2010 بعد أن أدرك أن قضية دبي منعت رحيله ليُصبح رئيس الموساد استقال هوليداي رئيس قيسارية.

في غُضون ذلك تبنى مئير داغان موقفاً عادياً، بشكل عام اعتقد داغان بالتأكيد أنه "في بعض الحالات يتعين على مُدير الموساد تسليم المفاتيح إذا تعرض لحادث مؤسف يضر بالدولة لأن ذلك من شأنه أن يُخفف الضغط على الدولة"، لكن من وجهة نظر داغان لم يحدث شيء ولا خطأ ولا أخطاء، ولخص ذلك بعد العملية: **"لقد أصابنا هدفاً مُهماً، لقد مات، وعادت جميع القوات إلى المنزل".**

فقط في عام 2013 في مقابلة مع هذا الكتاب اعترف داغان لأول مرة **"كُنت مُخطئاً في إرسال الفريق بهذه الجوازات، كان قراري وقراري الوحيد، أنا أتحمل المسؤولية الكاملة عما حدث ".**

—

قال أحد مُساعديه المُقرّبين كما لو أن عام 1997 كان يحدث مرة أُخرى عندما انكشف موقع فياسكو في دبي شعر نتنياهو "بإحساس ديجا فو"، في ذلك الوقت أكد له الموساد أنه يُمكنه الذهاب إلى دولة "هدف سهل" الأردن والتخلص من خالد مشعل، وانتهى ذلك بالإذلال والاستسلام، لم يكن هُناك أي معرفة إلى متى ستستمر التداعيات من دبي، وقرر بأنه كان عليه كبح جماح الموساد وأن يُعطي الضوء الأخضر لعدد أقل من المهام الخطرة، بالإضافة إلى ذلك كان لا بد من كبح جماح دغان، فلم يتفق الرجلان أبداً.

وبالفعل فإن علاقات نتنياهو بكُل من رؤساء مُجتمع الاستخبارات كانت ذات إشكالية وفي ذلك قال مُستشار الأمن القومي لنتنياهو، عوزي أراد: "نتنياهو لا يعتمد على أحد ولذلك قام بخطوات دبلوماسية سرية دون إبلاغ رؤساء الجالية اليهودية، من لحظة إلى أخرى كُنت أُشاهد انقسام وعدم الثقة ينفتح بينه وبينهم."

من جانبه اعتقد داغان أن رئيس الوزراء كان مُتردداً للغاية في الموافقة على العمليات ومع ذلك فهو يخشى من أن يُنظر إليه على أنه مجموعة مُترددة من العصابات غير الصالحة للحفاظ على أمن الدولة.

لكن دغان بقي في الموساد، وكانت الحملة ضد إيران مُتعددة الجوانب ومُترابطة وأيضاً مُعقدة، فلا تزال قائمة، في الواقع بعد الضربة الناجحة لمسعود المحمدي التي كانت في وقت سابق من شهر يناير، والتي طلب داغان من نتنياهو الموافقة على تكثيف الحملة ومواصلة قتل العُلماء الثلاثة عشر المُتبقين من مجموعة الأسلحة، والتي بقي فيها نتنياهو المتخوف من بروغليو آخر ولم يكن في عجلة من أمره، ولم يعط الضوء الأخضر لضربة أُخرى حتى أكتوبر من نفس العام.

في 29 تشرين الثاني (نوفمبر) 2010 قام راكبان درجات نارية بتفجير سيارات اثنين من كبار الشخصيات في المشروع النووي الإيراني من خلال إلصاق عبوات ناسفة لهم والإسراع، حيث قُتل الدكتور ماجد شهرياري بانفجار سيارته من نوع بيجو 206، فيما تمكن فريدون عباسي دافاني وزوجته اللذان كانا في سيارة من نفس الطُراز تمكنا من الهروب قبل أن تنفجر السيارة بهما خارج جامعة شهيد بهشتي.

لكن في هذه المرحلة أصبح من الواضح أن حملة القتل المُستهدف إلى جانب العُقوبات الاقتصادية وتخريب الحواسيب داخل مُختبرات المُفاعلات الايرانية قد أبطأت البرنامج النووي ولكن لم توقفه فعلياً، وقال وزير الدفاع إيهود باراك إن البرنامج "**وصل إلى نقُطة أبعد بكثير مما كنت أتمناه**".

خلص باراك ونتنياهو إلى أن إيران تقترب من اللحظة التي ستكون فيها مُنشآت المشروع غير قابلة للتدمير واتفقا على أن إسرائيل يجب أن تعمل على تدمير المُنشآت قبل حُدوث ذلك، لقد أمروا الجيش الإسرائيلي وأذرع المُخابرات بالاستعداد لعملية المياه العميقة: وهو "هُجوم جوي شامل بدعم من قوات الكوماندوز في قلب إيران" تم إنفاق حوالي ملياري دولار على الاستعدادات للهُجوم والحرب اللاحقة المُتوقعة ضد الجبهة الراديكالية.

من بين آخرين اعتقد دغان أن الخُطة كانت مجنونة ورأى أنها خُطوة ساخرة من قبل اثنين من السياسيين اللذين أرادا استغلال التأييد الشعبي الواسع الذي سيوفره لهما الهُجوم في الانتخابات المقبلة، وليس قراراً مُتوازناً قائماً على المُصلحة الوطنية.

قال داغان "**لقد تعلم نتنياهو تقنية كان جوهرها هو نقل الرسائل في وقت قصير، لقد وصل إلى مُستوى رائع من الإتقان والسيطرة على هذا، لكنه أسوأ مُدرب أعرفه، لديه صفة مُعينة على غرار ايهود باراك: كُل واحد منهم يتخيل أنه أعظم عبقري في العالم، نتنياهو هو رئيس الوزراء الوحيد في تاريخ البلاد الذي وصل إلى حالة فشلت فيها مؤسسة الدفاع بأكملها في قبول منصبه**".

قال دغان: "**لقد عرفت الكثير من رؤساء الوزراء، صدقوني لم يكن أحدهم قِديساً لكن كان بينهم جميعاً شيء واحد مُشترك: عندما وصلوا إلى النُقطة التي تتعارض فيها المُصلحة الشخصية مع المُصلحة الوطنية، كانت المُصلحة الوطنية هي التي تفوز دائماً، لم يكن هُناك أي سؤال على الإطلاق، فقط عن هذين الأمرين لا أستطيع أن أقول ذلك في نتنياهو وإيهود** ".

وصلت العداوة بين دغان ونتنياهو إلى نُقطة الغليان في سبتمبر 2010 حيث ادعى داغان أن نتنياهو قد استغل لقاء على ما يُزعم حول "حماس" معه، ورئيس الشاباك ورئيس الأركان من أجل إصدار أوامر بشكل غير قانوني الاستعدادات للهُجوم: "بينما كُنا نُغادر الغُرفة، وقال

لي" لحظة واحدة فقط، مدير الموساد ورئيس الأركان، لقد قررت وضع جيش الدفاع الإسرائيلي وأنت في "O plus 30".

كان "O plus 30" قصيراً لـ "ثلاثين يوماً من العملية" مما يعني أن نتنياهو كان يصف هُجوماً واسع النطاق على إيران بأنه "عملية" وليس المُصطلح الأنسب "عمل حرب"، احتاجت الحُروب إلى تصويت في مجلس الوزراء ولكن يُمكن لرؤساء الوزراء ببساطة أن يأمروا بعملية.

ذُهل داغان من التهور: "**إن استخدام العُنف العسكري سيكون له عواقب لا تُطاق، إن الافتراض العملي القائل بإمكانية وقف المشروع النووي الإيراني بشكل كامل عن طريق هُجوم عسكري غير صحيح، فإذا قامت إسرائيل بالهُجوم فإن "المُرشد الأعلى الإيراني" خامنئي يشكر الله: وسيوحد الشعب الإيراني وراء المشروع النووي وبلك سيتم تمكين خامنئي ليقول لشعبه إنه يجب أن يحصل لنفسه على قُنبلة ذرية للدفاع عن إيران ضد العُدوان الإسرائيلي**".

جادل داغان بأن مُجرد وضع القوات الإسرائيلية في حالة تأهب للهُجوم قد يؤدي إلى انزلاق لا يُرجى عواقبة وسيؤدي إلى الحرب، لأن السوريين والإيرانيين سيرُون التعبئة ويُمكنهم اتخاذ إجراءات وقائية.

كان لدى باراك نُسخة مُختلفة من هذا الخلاف حيث قال إنه ورئيس الوزراء كانا يبحثان في جدوى شن هجوم فقط – لكن ذلك لا يهم، كان الانهيار في العلاقات بين دغان ونتنياهو لا يُمكن إصلاحه، حيث أدار داغان الموساد لمدة ثماني سنوات وهذه المُدة التي قضاها أطول من أي شخص آخر في التاريخ باستثناء إيسر هاريل، لقد أعاد خلقها على صورته التي هي عليه وأعاد إحياء وكالة مُحتضرةٍ وخجولة وأعادها إلى المجد التاريخي الذي كانت تتمتع به على مدى عُقود مضت، لقد اخترق خُصوم إسرائيل بشكل أعمق مما كان أي شخص يعتقد أنه مُمكن وأزال الأهداف التي تهربت من الموت أو الأسر لعُقود، وأوقفت لسنوات تهديداً وجودياً للدولة اليهودية.

لا شيء من ذلك يهم، فقد كانت دُبي مُحرجة أو ربما مُجرد ذريعة، ففي سبتمبر 2010 أخبر نتنياهو داغان أن تعيينه لن يتم تجديده.

أو ربما استقال دغان، قال: "قررت بنفسي أن هذا يكفي، أُريد أن أفعل أشياء أُخرى، والحقيقة هي أنني سئمت"

—

كان على تامر باردو الذي نجح في أن يحل محل دغان كمدير إعادة تأهيل جُزء كبير من فرق العمليات والإجراءات التي تحطمت في أعقاب ضربة دُبي، قام بتعيين ن ، وهو رجل كان له دور فعال في التخطيط لضرب مغنية، ولإجراء تقييم شامل للأضرار ثم عينه فيما بعد نائبه، لكن إعادة إعمار الوحدات العملياتية لم يُوقف نشاط الوكالة خاصة تلك التي تستهدف المشروع النووي الإيراني، بعد بضعة أشهر في الوظيفة عاد باردو إلى سياسة القتل المُستهدف التي وضعها سلفه.

في تموز / يوليو 2011 تبع سائق دراجة نارية داريوش رضائي نجاد، وهو دكتور فيزياء نووية وباحث بارز في مُنظمة الطاقة الذرية الإيرانية، حتى وصل إلى نُقطة قريبة من مُعسكر الإمام علي أحد أكثر قواعد الحرس الثوري تحصيناً والذي يحتوي على منطقة تخصيب اليورانيوم التجريبية، قام السائق بسحب مُسدس وقتل رضائي نجاد.

في نوفمبر 2011 وقع انفجار هائل في قاعدة أُخرى للحرس الثوري على بُعد ثلاثين ميلاً غرب طهران، كانت سحابة الدُخان مرئية من المدينة واهتزت النوافذ وأظهرت صور الأقمار الصناعية أن القاعدة بأكملها قد تم طمسها تقريباً، وقُتل في الانفجار اللواء حسن طهراني مُقدم قائد فرقة تطوير الصواريخ بالحرس الثوري وكذلك ستة عشر من عناصره.

على الرغم من زوال المبحوح استمرت شُحنات الأسلحة في التدفق إلى غزة من إيران عبر السودان، فيما حافظ الموساد على المُراقبة وواصل سلاح الجو الإسرائيلي هجماته على القوافل، وجاء أكبر نجاح بعد أن اكتشف الموساد أن ثلاثمائة طُن من الأسلحة والمُتفجرات المُتطورة والتي كانت مُخبأة في شكل سلع مدنية ومُخزنة في مجُمع عسكري جنوب الخرطوم تنتظر شحنها إلى غزة، تضمن مخبأ الأسلحة صواريخ قصيرة ومُتوسطة المدى وصواريخ مُتقدمة مُضادة للطائرات وصواريخ مُضادة للدبابات وقد حددتها إسرائيل على أنها شيء من شأنه "الإخلال بالتوازن"، قال أحد ضُباط أمان الذين أطلعوا رئيس الوزراء نتنياهو على ذلك، إذا كان الوصول إلى غزة فإننا "**توصي بمُهاجمة حماس حتى بدون استفزاز مُسبق لمنعها من نشرها**".

لكن الأسلحة لم تذهب إلى أي مكان، ففي الساعة الرابعة صباحاً في 24 أكتوبر / تشرين الأول 2012 هاجم مُقاتلو سلاح الجو الإسرائيلي من طراز F-15 الموقع ودمروا الأسلحة وكذلك عناصر حماس والحرس الثوري الإسلامي الذين كانوا هُناك في ذلك الوقت، أضاءت سماء الخُرطوم بالانفجارات، وأدى الانفجار الى تحطم الأسقف وتحطيم النوافذ، وعانى سُكان الخرطوم بسبب قرار حُكومتهم السماح للبلاد بأن تكون جزءاً من خط تهريب الأسلحة الإرهابية، بعد هذا الحادث أبلغت السُلطات السودانية لجنة الإنقاذ الدولية أنها لن تسمح بذلك بعد الآن.

امتنع باردو مثل أسلافه عن المُخاطرة بعُملاء إسرائيليين في عمليات قتل نُفذت في بُلدان مُستهدفة لا سيما في أماكن خطيرة مثل طهران، في الواقع تم تنفيذ جميع الضربات على الأراضي الإيرانية من قبل أعضاء حركات المُعارضة السرية في ذلك البلد و / أو أعضاء الأقليات العرقية الكُردية والبلوشية والأذربيجانية الذين كانوا مُعاديين للنظام.

كانت عمليات القتل المُستهدف هذه فعالة، وأشارت المعلومات التي وصلت إلى الموساد إلى أنها تسببت في "انشقاق أبيض" مما يعني أن العُلماء الإيرانيين كانوا خائفين لدرجة أن كثيرين طلبوا نقلهم إلى مشاريع مدنية، قال داغان: **"هناك حد لقُدرة المُنظمة على إكراه العالم على العمل في مشروع عندما لا يُريد ذلك".**

من أجل تكثيف مخاوف العُلماء بحث الموساد عن أهداف لم تكن بالضرورة عالية جداً في البرنامج النووي ولكن إزالتها ستُسبب أكبر قدر مُمكن من القلق بين أكبر عدد من زُملائهم على نفس المُستوى، في 12 يناير/ كانون الثاني 2012 غادر مُصطفى أحمدي روشان مُهندس كيميائي في مُنشأة نطنز لتخصيب اليورانيوم، غادر منزله وتوجه إلى مُختبر في وسط طهران، قبل بضعة أشهر ظهرت في وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم صورة له وهو يُرافق الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد في جولة في المُنشآت النووية، مرة أُخرى صعد سائق دراجة نارية إلى سيارته وألصق عبوة ناسفة أدت إلى مقتله على الفور، زوجته التي كانت تجلس بجانبه لم تُصب بأذى لكنها رأت كُل شيء وأخبرت زُملائه المذعورين بما حدث.

إن اغتيال العُلماء بغض النظر عن عملهم هو عمل غير قانوني بموجب القانون الأمريكي والولايات المتحدة لم تعرف أبداً، ولم ترغب في معرفتها عن هذه الأعمال، قال مايكل هايدن من وكالة المُخابرات المركزية، إن الإسرائيليين لم يُخبروا الأمريكيين بخُططهم قط "ولا حتى

بغمزة وابتسامة"، بعد قولي هذا الكلام لم يكن لدى هايدن أدنى شك في أي إجراء تم اتخاذه لوقف المشروع النووي الإيراني كان الأكثر فاعلية: **"لقد كان أحدهم يقتل علمائه".**

في الجلسة الأولى لمجلس الأمن القومي مع الرئيس الجديد باراك أوباما عام 2009 سأل أوباما مُدير وكالة المُخابرات المركزية عن كمية المواد الانشطارية التي خزنتها إيران في نطنز.

رد هايدن قائلاً " **سيادة الرئيس أنا في الحقيقة أعرف الإجابة على هذا السؤال وسأعطيك إياه بعد دقيقة، لكن هل يُمكنني أن أُعطيك طريقة أُخرى للنظر إلى هذا؟**

"لا يوجد إلكترون أو نيوترون في نطنز سيظهر في السلاح النووي، وما يبنونه في نطنز هو المعرفة، ما يبنونه في نطنز هو الثقة وبعد ذلك سيأخذون تلك المعرفة وهذه الثقة وسيذهبون إلى مكان آخر ويُخصبون اليورانيوم، هذه المعرفة سيدي الرئيس مُخزنة في أدمغة العُلماء ".

أوضح هايدن بجلاء أن "هذا البرنامج ليس له علاقة أمريكية على الإطلاق، إنه غير قانوني ونحن "وكالة المخابرات المركزية" لم نكن أبداً نُوصي به أو نُدافع عن مثل هذا الشيء، ومع ذلك فإن رأيي الاستخباري الواسع هو أن موت هؤلاء البشر كان له تأثير كبير على برنامجهم النووي.

كان نظام آيات الله في طهران يُريد قنبلة ذرية لجعل إيران قوة إقليمية ولضمان استمرار قبضتهم على البلاد، وبدلاً من ذلك أدت الإجراءات الإسرائيلية والأمريكية لا سيما عمليات القتل المُستهدف الإسرائيلية والإصابات الفيروسية لعملية الألعاب الأولمبية إلى إبطاء تقدم البرنامج إلى حد كبير، بالإضافة إلى ذلك دفعت العُقوبات الدولية إيران إلى أزمة اقتصادية خطيرة هددت بإسقاط النظام بالكامل.

كانت هذه العُقوبات ولا سيما تلك التي فرضتها إدارة أوباما (بما في ذلك فصل إيران عن نظام تحويل الأموال الدولي SWIFT) قاسية لدرجة أنه في أغسطس 2012 قدر رئيس Spear EL، أنه إذا استطاع إقناع الولايات المُتحدة بإجبار عدداً من الدول بالانضمام للإجراءات

الاقتصادية ضد إيران، فإن الاقتصاد الإيراني سيُفلس بحلول نهاية العام، وقال "وهذا الوضع سيُخرج الجماهير إلى الشوارع مرة أُخرى ومن المرجح أن يؤدي إلى إسقاط النظام".

لكن هذا لم يمنع بنيامين نتنياهو من الاستعداد لهُجوم عسكري مفتوح على إيران، ليس من الواضح تماماً ما إذا كان ينوي تنفيذ الخطة حقاً: أكد وزير دفاعه إيهود باراك أنه "**إذا كان الأمر يعتمد علي، لكانت إسرائيل قد هاجمت**" لكن هُناك آخرين يعتقدون أن نتنياهو الذي كان لديه آخر أرادت الكلمة فقط أن تجعل أوباما يعتقد أنه ينوي الهُجوم من أجل إجبار أوباما على توجيهه إلى الاستنتاج بأن أمريكا سوف تتورط حتماً في الحرب على أي حال، لذلك سيكون من الأفضل للولايات المُتحدة تنفيذ الهُجوم بنفسها أولاً لكي تتمكن من التحكم في التوقيت.

كانت إدارة أوباما تخشى أن يؤدي هُجوم إسرائيلي إلى ارتفاع أسعار النفط بشكل كبير وأن الفوضى ستنشأ في الشرق الأوسط مما يضر بفرص إعادة انتخاب الرئيس في نوفمبر 2012 وقدرت الإدارة أنه من المُرجح أن تُهاجم إسرائيل قريباً وراقبت إسرائيل بقلق وأصبحت كل خطوة حتى مناورات لواء الجيش النظامي مصدر تخوف من أن هُجوماً إسرائيلياً على إيران بات وشيك، في كانون الثاني (يناير) التقت السيناتور ديان فينشتاين بمُدير الموساد باردو في مكتبها بمجلس الشُيوخ وطالبته بشرح سبب تحركات اللواء 35 الإسرائيلي التي استولت عليها من قمر صناعي أمريكي، لم يكن باردو يعرف شيئاً عن التدريبات الروتينية لكنه حذر نتنياهو لاحقاً من أن الضغط المُستمر على الولايات المتحدة سيؤدي إلى إجراء دراماتيكي وعلى الأرجح ليس الإجراء الذي كان نتنياهو يأمل فيه، كان باردو نفسه يعتقد أن عامين آخرين من الضغط الاقتصادي والسياسي من المُحتمل أن تجعل إيران تستسلم في ظل ظُروف مواتية وتتخلى عن مشروعها النووي بالكامل.

لكن نتنياهو رفض الاستماع إليه وأمر باردو بمواصلة الاغتيالات والجيش بمواصلة استعداداته لشن هُجوم.

في ديسمبر كان الموساد على استعداد للتخلص من عالم آخر ولكن قبل المُضي قُدمًا في ذلك وافق أوباما على اقتراح إيراني بإجراء مفاوضات سرية في مسقط عاصمة عمان، خوفاً من الإجراءات الإسرائيلية، قال ضابط استخبارات الموساد الذي اكتشف اجتماعات مسقط: "لم يُخبرنا الأمريكيون قط عن تلك المُحادثات لكنهم فعلوا كُل شيء للتأكد من أننا سنتعرف عليها"، وأوصت باردو بإسقاط خطة الاغتيال على الفور، وقالت: "يجب ألا نفعل ذلك عندما تكون

هُناك عملية سياسية جارية"، اتفق معها باردو وطلب من نتنياهو الإذن بوقف حملة الاغتيال بأكملها طالما كانت المُحادثات جارية.

من المعقول أن نفترض أنه إذا كانت المُحادثات قد بدأت بعد عامين فإن إيران كانت ستأتي إليها في حالة أضعف بكثير ولكن حتى الصفقة التي تم إبرامها في النهاية كانت بمثابة استسلام إيراني لعدد من المطالب التي كان آيات الله يرفضونها لسنوات، ووافقت إيران على تفكيك المشروع النووي بالكامل وأن تخضع لقُيود ورقابة صارمة لسنوات عديدة في المُستقبل.

بالنسبة لداغان مثلت الاتفاقية انتصاراً مُزدوجاً: استراتيجيته الخُماسية ضد إيران حققت العديد من أهدافها، في نفس الوقت أدرك نتنياهو أن شن هُجوم أثناء المُفاوضات مع إيران سيكون صفعة لا تُطاق في وجوه الأمريكيين، أُجل الهجوم مراراً وتكراراً وعندما تم التوقيع على الاتفاق النهائي ألغاه تماماً، على الأقل في المُستقبل القريب.

لكن داغان لم يكن راضياً وكان يشعر بالمرارة والإحباط من الطريقة التي أظهرها له نتنياهو طريق الخروج ولم يكن ينوي أن يأخذها، في كانون الثاني (يناير) 2011 في اليوم الأخير من ولايته دعا مجموعة من الصحفيين إلى مقر الموساد وفي خطوة غير مسبوقة أدت إلى استغراب الصحفيين انتقد بشدة رئيس الوزراء ووزير الدفاع، بعد خطابه وقفت الرقيب العسكري وهي امرأة برُتبة عميد وأعلنت أن كُل ما قاله داغان عن خُطط إسرائيل لمُهاجمة إيران كان في فئة سرية للغاية ولا يُمكن نشره في وسائل الإعلام.

عندما رأى أن الرقيب العسكري قد منع نشر تصريحاته كررها داغان ببساطة في مُؤتمر في جامعة تل أبيب في يونيو، أمام مئات المُشاركين مع العلم أن شخصاً في مكانته لن يُحاكم.

كان انتقاد داغان لنتنياهو حاداً وشخصياً لكنه نشأ من تغيير عميق في المواقف خضع له داغان في سنواته الأخيرة كمُدير للموساد وهو تغيير كان له أهمية أكبر بكثير من معركته الشرسة مع رئيس الوزراء بشأن مشروع نووي إيراني.

داغان إلى جانب شارون ومُعظم زملائهم في المُؤسسة الدفاعية والاستخباراتية الإسرائيلية اعتقدوا لسنوات عديدة أن القوة يُمكن أن تحل كل شيء وأن الطريقة الصحيحة لمُواجهة النزاع العربي الإسرائيلي هي "فصل العربي عن رأسه"، لكن هذا كان وهماً وشائعاً بشكل خطير في ذلك.

طوال تواريخهم المُتتالية يمكن القول إن الموساد وأمان، والشين بيت، أفضل مُجتمع استخبارات في العالم زود قادة إسرائيل عاجلاً أم آجلاً برُدود عملية على كُل مُشكلة مركزة طُلب منهم حلها، لكن نجاح مُجتمع الاستخبارات عزز الوهم بين مُعظم قادة الأُمة بأن العمليات السرية يُمكن أن تكون استراتيجية وليست مُجرد أداة تكتيكية يُمكن استخدامها بدلاً من الدبلوماسية الحقيقية لإنهاء الخلافات الجُغرافية والعرقية والدينية والوطنية، التي كانت إسرائيل غارقة فيه، بسبب النجاحات الهائلة لعمليات إسرائيل السرية في هذه المرحلة من تاريخها قام غالبية قادتها بترقية وتقديس الأُسلوب التكتيكي لمُحاربة الإرهاب والتهديدات الوجودية على حساب الرؤية الحقيقية ورجل الدولة والرغبة الحقيقية في الوُصول إلى الحل السياسي الضروري لتحقيق السلام.

في الواقع في كثير من النواحي كانت قصة مُجتمع المُخابرات الإسرائيلية كما تم سردها في هذا الكتاب واحدة من سلسلة طويلة من النجاحات التكتيكية المُثيرة للإعجاب ولكنها أيضاً إخفاقات استراتيجية كارثية.

قرب نهاية حياته أدرك داغان ذلك مثل شارون، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الحل السياسي مع الفلسطينيين هو الحل الثُنائي الذي يُمكن أن يُنهي الصراع المُستمر منذ 150 عاماً وأن نتيجة سياسات نتنياهو ستكون دولة ثُنائية القومية مُتكافئة بين العرب واليهود وما يُصاحب ذلك من خطر القمع المُستمر وصراع داخلي ليحل محل الحُلم الصُهيوني بدولة يهودية ديمقراطية بأغلبية يهودية كبيرة، كان قلقاً من أن الدعوات إلى المُقاطعة الاقتصادية والثقافية لإسرائيل بسبب الاحتلال ستُصبح حقيقة مريرة، "تماماً مثل المُقاطعة التي فُرضت على جنوب إفريقيا"، بل وأكثر قلقاً بشأن الانقسام الداخلي في إسرائيل والتهديد الديمقراطية والحقوق المدنية.

في تجمع حاشد وسط تل أبيب قبل انتخابات مارس 2015 دعا إلى تصويت نتنياهو وخاطب رئيس الوزراء قائلاً: "كيف يُمكنك أن تكون مسؤولاً عن مصيرنا إذا كُنت خائفاً جداً من تحمل المسؤولية؟؟

"لماذا يسعى الرجل إلى القيادة إذا كان لا يُريد أن يقود؟ كيف حدث أن هذا البلد أقوى من كُل دول المنطقة عبدة مرات، غير قادر على القيام بخُطوة استراتيجية من شأنها تحسين وضعنا؟

الجواب بسيط: لدينا زعيم خاض معركة واحدة فقط من أجل بقائه السياسي، من أجل تلك الحرب أوقعنا في أن نُصبح دولة ثنائية القومية – نهاية الحلم الصهيوني ".

صرخ داغان لعشرات الآلاف من الحشد: "**لا أُريد دولة ثُنائية القومية، لا نُريد دولة فصل عُنصري، لا أريد أن أحكم أكثر من ثلاثة ملايين عربي، لا أريد أن نكون رهائن الخوف واليأس والمأزق، أعتقد أن الوقت قد حان لكي نستيقظ وآمل أن يتوقف المواطنون الإسرائيليون عن كونهم رهائن للمخاوف والقلق التي تُهددنا صباحاً ومساءً** ".

مع ظُهور علامات مرض السرطان أنهى حديثه بالدموع في عينيه: "هذه أكبر أزمة قيادة في تاريخ الدولة، نحن نستحق قيادة من شأنها تحديد ترتيب جديد للأولويات، قيادة تخدم الشعب وليس نفسها".

لكن جُهوده باءت بالفشل، فعلى الرُغم من التملق الهائل الذي تمتع به باعتباره الجاسوس الإسرائيلي الرئيسي وخطاب داغان، فضلاً عن دعوات العديد من الرؤساء السابقين للمؤسسات الاستخباراتية والعسكرية من أجل اتفاق تسوية مع الفلسطينيين ولإجراء تعديلات أُخرى في علاقات إسرائيل مع العالم الخارجي لقد سقطوا جميعا على آذان صماء.

كانت هُناك أوقات اعتُبر فيها مُعظم الإسرائيليين كلمات الجنرالات مُقدسة، لكن حملاتهم ضد نتنياهو فشلت حتى الآن في الإطاحة به ويقول البعض إنهم دعموه، مرت إسرائيل بتغييرات جذرية في العُقود الأخيرة: وتراجعت قوة النُخب القديمة بما في ذلك الجنرالات وتأثيرهم على الأجندة العامة، نُخب جديدة من اليهود من الأراضي العربية من الأرثوذكس، الجناح اليميني نجح في الوصول للصدارة، قال لي داغان بحُزن في آخر مُحادثة هاتفية أجريناها قبل أسابيع قليلة من وفاته في منتصف مارس 2016: "**اعتقدت أنني سأكون قادراً على إحداث تغيير وإقناع الآخرين بذلك لقد فوجئت بخيبة أمل**".

الانقسام بين الجنرالات المُحاربين الذين كان لديهم "سكين بين أسنانهم" ولكنهم أدركوا لاحقاً حُدود القوة وبين غالبية شعب إسرائيل هو الواقع المُحزن الذي انتهت فيه حياة مئير داغان.



THE PALESTINE POLICE FORCE

REWARD

A REWARD OF L.P. 2000 WILL BE PAID BY THE PALESTINE GOVERNMENT TO ANY PERSON GIVING INFORMATION WHICH LEADS DIRECTLY TO THE APPREHENSION OF THE PERSON WHOSE NAME AND PHOTOGRAPHS APPEAR HEREUNDER

قوة بوليس فلسطين

مكافأة

משטרת פלשתינה (א״י)

גמול

פרס בסך 2000 לא״י ישולם ע״י הממשלה הא״י לכל אדם שימסור ידיעה שתוביל באופן ישר לידי מאסרו של האדם ששמו ותמונתו נקובים להלן.

MENACHEM BEGIN

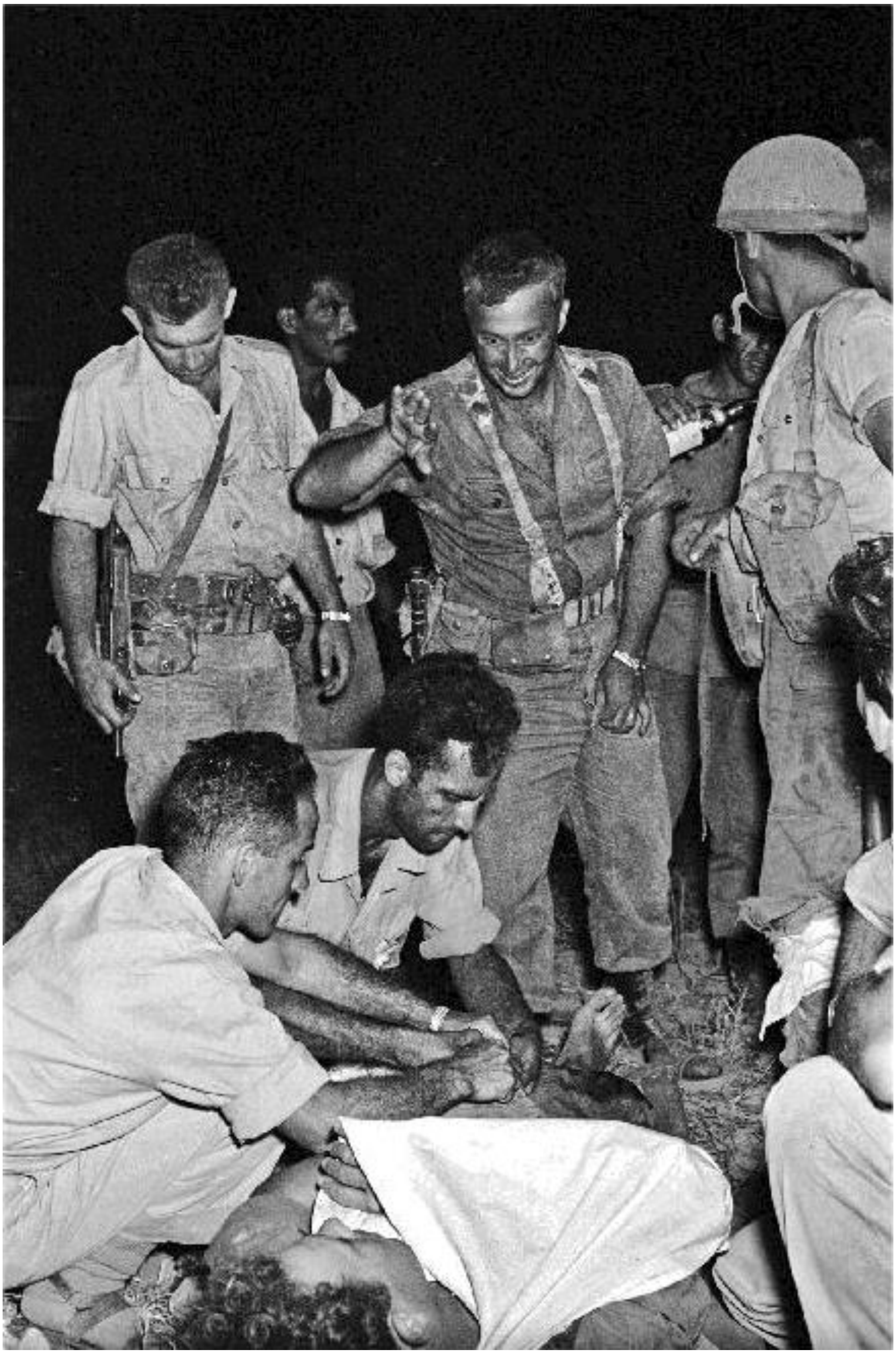
INFORMATION MAY BE GIVEN AT ANY TIME TO ANY POLICE OFFICER OR TO ANY POLICE STATION

J. M. RYMER JONES

את הידיעה אפשר למסור בכל זמן לכל שוטר או לכל תחנת משטרה.

ג. מ. רימר־ג׳ונס

إعلان مطلوب من قبل دائرة المباحث الجنائية البريطانية عن مناحيم بيغن ، قائد منظمة الإرغون.



اريل شارون (وسط)، قائد لواء المظليين، أغسطس 1955. (ابراهام فيرد، وزارة الدفاع أرشيف)



الكسندر يسرائيل.



موشيه سيبر (على اليمين) ابن ألكسندر يسرائيل، يسمع لأول مرة ما حدث حقًا لوالده من رافي ميدان (على اليسار) (رونين بيرجمان)



فريق الموساد: رافي إيتان (الثاني من اليمين) وزفي أهاروني (الثاني من اليسار) في ساو باولو، قبل وقت قصير من رؤية جوزيف مينجيل، "ملاك الموت" من أوشفيتز. (مجموعة ZVI AHARONI)



الرئيس المصري جمال عبد الناصر (يمين) أثناء تجربة صاروخية مع علماء ألمان ومصريين.



مُحارب الموساد عوديد، الذي أسر الدكتور هانز كروغ وأحضره إلى إسرائيل للاستجواب.



صورة مراقبة الموساد للدكتور هانز كروغ.



الرئيس جمال عبد ناصر (يمين) والعاهل الأردني الملك حسين في قمة عام 1965 في الدار البيضاء، حيث سجل الموساد محادثاتهما.



رئيس الوزراء ليفي إشكول (الرابع من اليسار، يرتدي قبعة سوداء وربطة عنق)، ورئيس الموساد مئير عاميت (في الوسط ، مبتسماً) ورئيس الأركان يتسحاق رابين (بالزي العسكري)، ومدير الموساد السابق إيسر هاريل (الثالث من اليمين)، 1965 (موشي ميلنر، المكتب الصحفي للحكومة).



إيلي كوهين، الذي شنق في دمشق



فريق "حرباء" مئير داغان في طريقهم إلى عملية في غزة، مُرتدين ملابس حرب العصابات العائدين على متن قارب من لبنان.

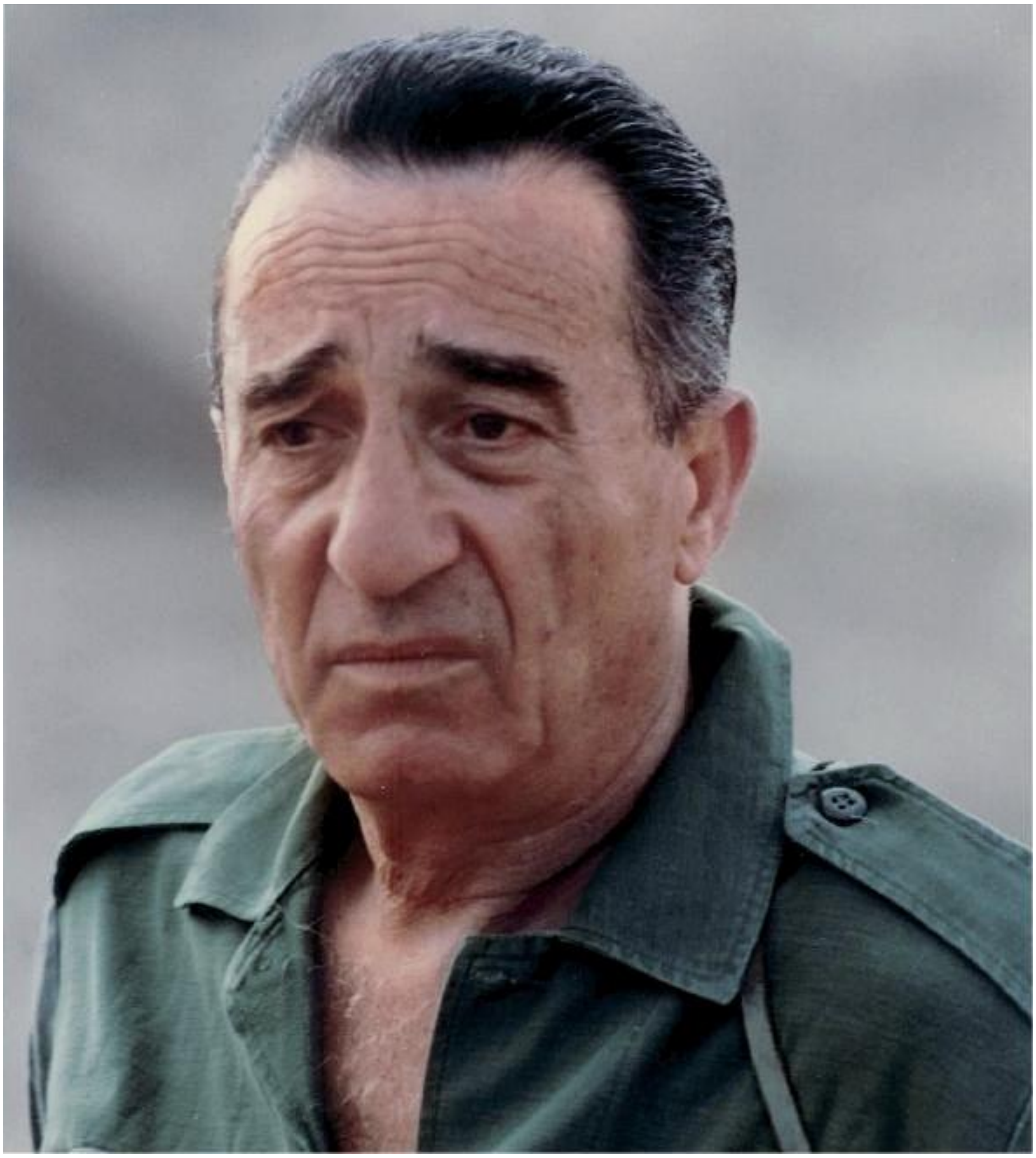
من اليسار إلى اليمين: داغان (قائد العملية) مئير بوتنيك، وأفيغدور إلدان، ضابط بدوي في جيش الدفاع الإسرائيلي، رجال آخرون عُملاء فلسطينيون.



دافيد بن غوريون (جالساً يرتدي نظارات وخريطة) مع يتسحاق بونداك (يساراً) والجنرال رحبعام زئيفي (يقف مرتدياً نظارة شمسية).



ليلى خالد، الإرهابية الفلسطينية وخاطفة الطائرة، ظهرت في رسم توضيحي على الجُدران عام 2001 على الجدار الفاصل بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية.



مايك هراري الرجل الذي أدار قيسارية لمدة خمسة عشر عام وكان له أكبر تأثير على عمليات القتل والتخريب التي نفذها الموساد أثناء الاستعدادات لعملية ربيع الشباب.



مايك هراري في إيطاليا عام 1977 قاد عملية سرية للموساد.



نحميا ميري: قائد فريق الحربة وهو يرتدي زي المتسول.



أمر عمليات ربيع الشباب 1973.



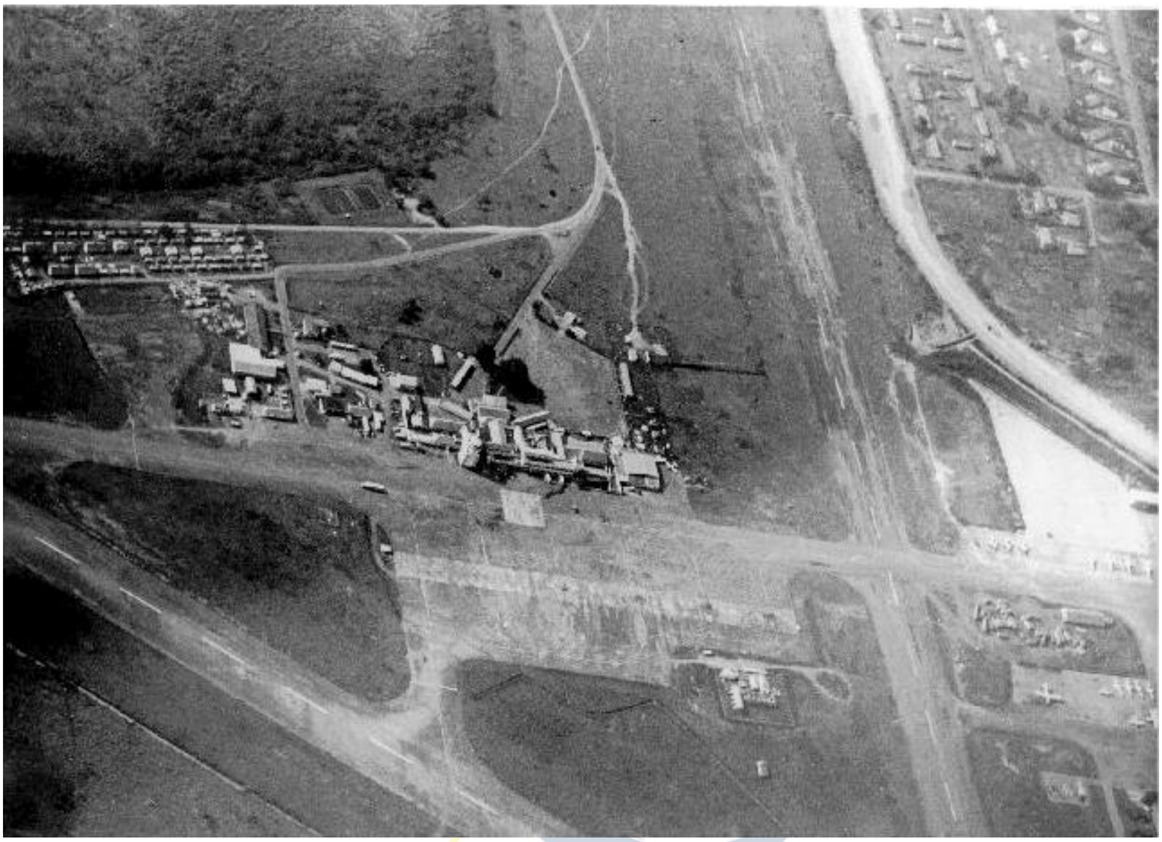
صور مُراقبة المبنى السكني الذي كان يعيش فيه كمال عدوان، أحد كبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية، التقطتها محاربة الموساد يائيل.



شُقة وجُثة كمال عدوان بعد عملية الاغتيال.



جنازة كمال عدوان



صورة من الدورية الجوية فوق معبر عنتيبي التقطها الناشط في الموساد ديفيد.



علي حسن سلامة الذي اقتنع الموساد بأنه وراء مقتل الرياضيين في ميونيخ.



علي سلامة المُصاب بجروح خطيرة، يُنقل من سيارة بعد ثوان من انفجارها. توفي بعد ذلك بقليل في المستشفى.



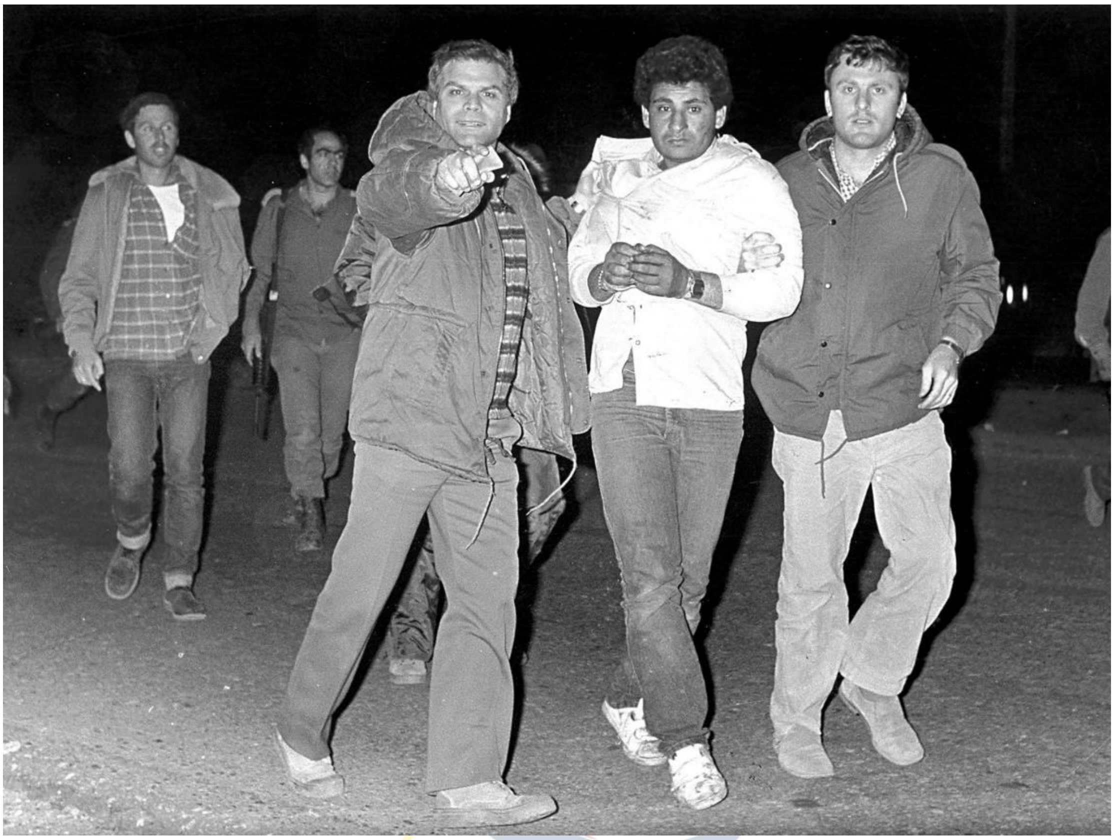
روبرت حاتم (يمين) أحد قتلة الكتائب، يعترف بقتل مئات الأشخاص في مُقابلة مع الكاتب في عام 2005.



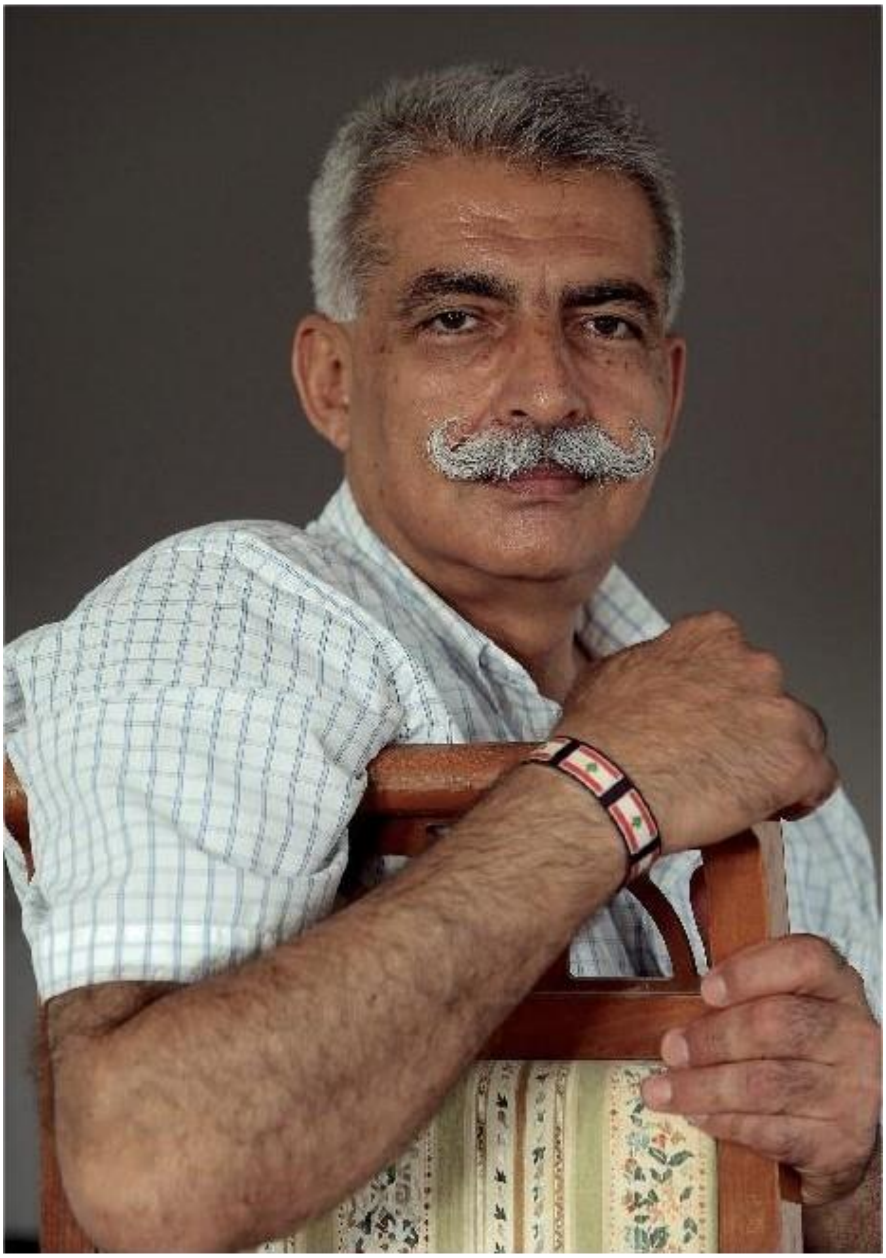
رئيس الوزراء مناحيم بيغن (الثالث من اليسار) وزير الدفاع أرييل شارون (الثاني من اليسار) والسكرتير العسكري لرئيس الوزراء، العميد عزرييل نيفو (يسار) يفحصون موقع منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان بعد الاستيلاء عليها من قبل إسرائيل، يونيو 1982 (أرشيف وزارة الدفاع).



ياسر عرفات يغادر بيروت، التقط هذه الصورة قناص من وحدة الكوماندوز سايرت ماتكال ونقلها مناحيم بيغن إلى الوسيط الأمريكي فيليب حبيب لإثبات أنه كان بإمكان إسرائيل قتل عرفات إذا أرادت ذلك



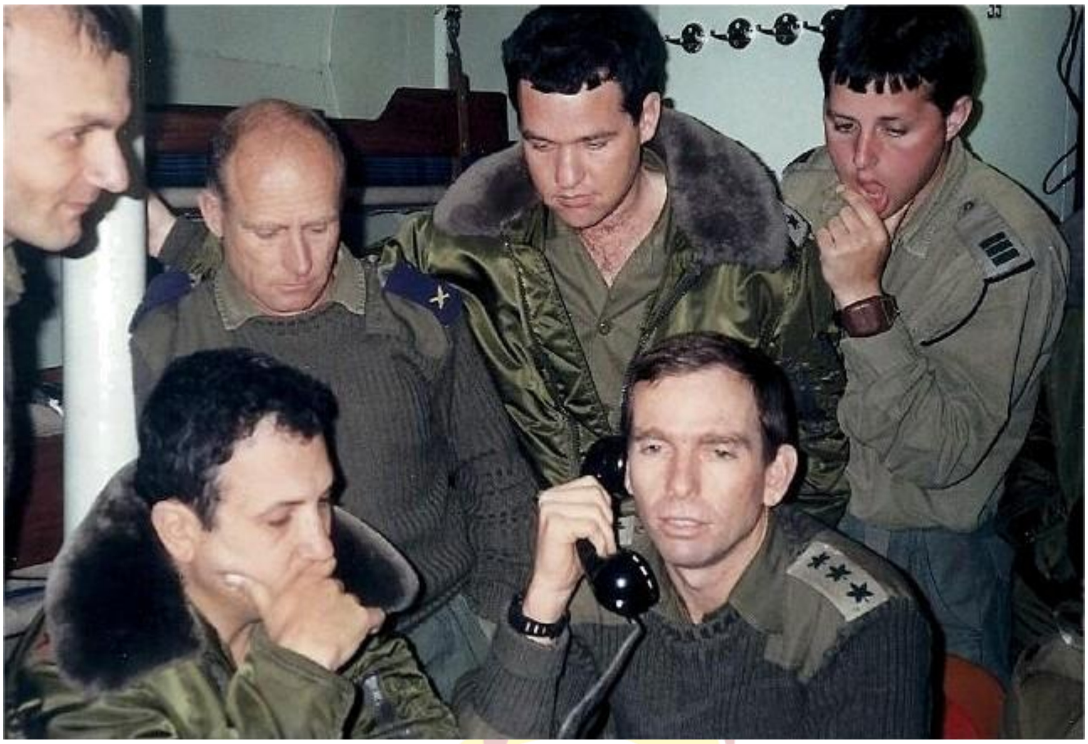
التقطت الصورة بعد اختطاف الحافلة 300، والتي كشفت عمليات التصفية غير القانونية للشاباك، (أليكس ليفاك)



أمين الحاج ، الملقب بـ "رومينيجه"، تاجر له صلات في جميع أنحاء الشرق الأوسط، ينتمي إلى عائلة شيعية بارزة في لبنان، وأصبح أحد أهم عُملاء الموساد في لبنان



البرنامج التدريبي لوحدة الكوماندوز البحرية شايطيت 13 الأكثر صعوبة في جيش الدفاع الإسرائيلي منذ أواخر السبعينيات والذي يمضي فيه المقاتل لمدة ثمانية عشر شهراً، شاركت الوحدة في العديد من عمليات القتل المستهدف. (زيف كورين)



في غرفة القيادة للقتل المستهدف لأبو جهاد: إيهود باراك (جالس يساراً) ويفتاح ريشر (جالس والهاتف بيده).



الدكتور جيرالد بول (على اليسار) مع رئيس كيبيك السابق جان ليزاج يتفقد أحد المدافع العملاقة التي طورها الدكتور بول.



مدير المشروع أميرام ليفين (يسار) ودورون أفيتال قائد وحدة الكوماندوز سايرت ماتكال في إحدى التدريبات على اغتيال صدام حسين.



علي أكبر محتشمبور الرجل الذي أسس حزب الله وهو يُشير بإصبعين إلى نتيجة مُحاولة قتل مُستهدف من قبل الموساد.



رئيس أمان أوري ساغي (يسار) ورئيس الوزراء يتسحاق شامير. (ناتي هيرنيكي، المكتب الصحفي للحكومة)



خالد مشعل يتعافى من السم في المستشفى الملكي في عمان.



امرأة تُنقل لتلقي العلاج بعد أن فجر انتحاري نفسه في مطعم في تل أبيب. هذه إحدى الصور التي أجبر فيها شارون الدبلوماسيين الأجانب على النظر إليها عندما قدم حججه لاستخدام عمليات القتل المُستهدف كأداة للأمن القومي. (زيف كورين)



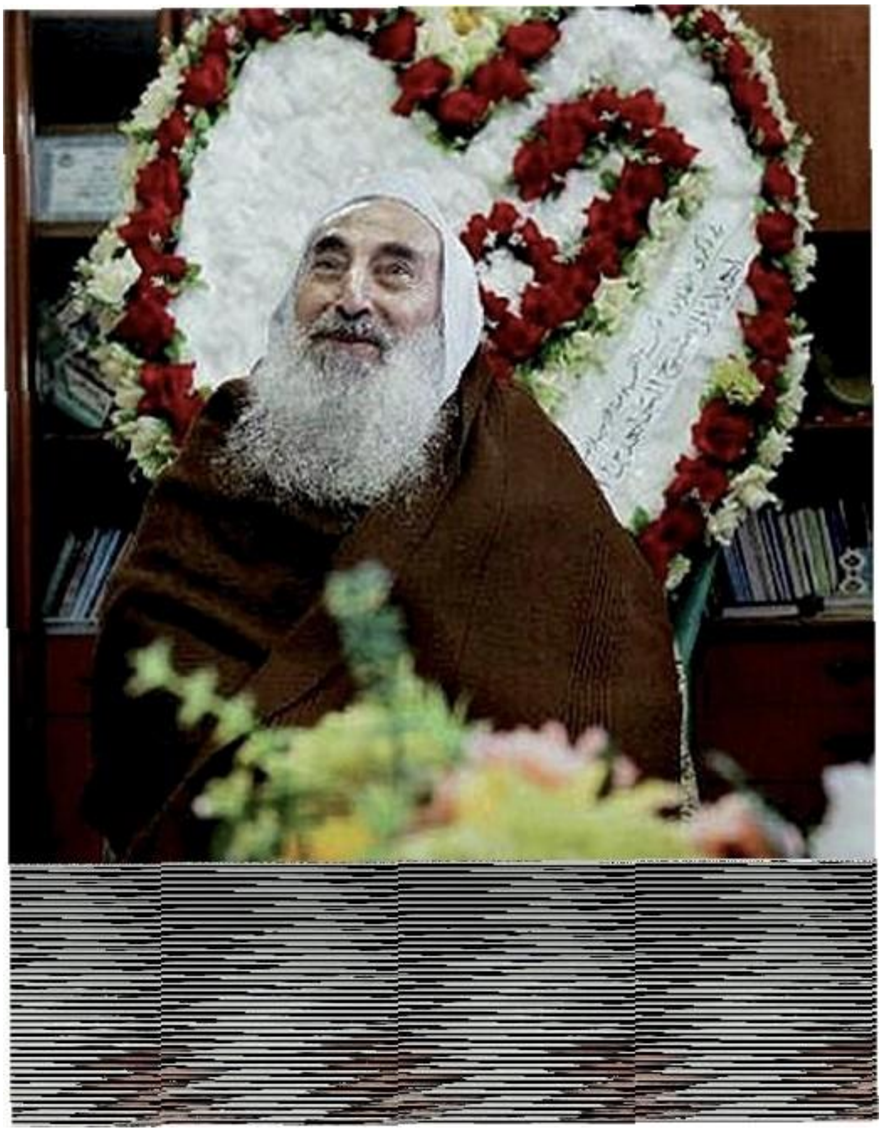
يمكن للطائرة الإسرائيلية بدون طيار Heron TP البقاء في الهواء لمدة تصل إلى ست وثلاثين ساعة ، والطيران بسرعة قصوى تبلغ 230 ميلًا في الساعة ، وتحمل أكثر من طن من الكاميرات والقنابل. (IAI)



تم تطوير طريقة أرملة العُشب لجذب المسلحين الفلسطينيين إلى منطقة مفتوحة ثم إطلاق النار عليهم من موقع قناص مخفي. (رونين بيرجمان)



كانت ماريا أمان مع أسرتها في عكار بغزة في مايو 2006 عندما أصابهم انفجار صاروخ أطلق على ناشط في الجهاد الإسلامي في سيارة قريبة، قُتلت والدتها وشقيقها البالغ من العمر ستة أعوام وجدتها، أصيبت بجروح قاتلة وبقيت مشلولة من رقبتها إلى أسفل، منذ ذلك الحين، كرس والدها حمدي (في الصورة) حياته لعلاجها. (رونين بيرجمان)



القيادي في حماس الشيخ أحمد ياسين أعلن في مؤتمر صحفي مسئولية إرسال ريم الرياشي لتُفجر نفسها.



شارون (يمين) يعين مئير داغان رئيساً للموساد. (سار ياكوف، المكتب الصحفي للحكومة)



إحدى صور عماد مغنية التي استخدمها الموساد لتحديد مكانه وقتله عام 2008.



صور مراقبة الموساد لنائب مغنية وصهره مصطفى بدر الدين الذي عينه مغنية لتولي الأمور أثناء غيابه في بيروت.



الامين العام لحزب الله حسن نصر الله في جنازة مغنية. (أولريك بوتز)



مُلصق تذكاري في جباليا لمحمود المبحوح وإحدى شقيقاته.



المبحوح يخرج من المصعد ويليه اثنان من "لاعبي التنس".



مصطفى أحمدي روشان، مهندس كيميائي في منشأة نطنز لتخصيب اليورانيوم.



في 12 يناير / كانون الثاني 2012 ، قتل الموساد أحمدي روشان في سيارته.



"يجب محو إسرائيل من الخريطة": إعلان دعائي في أحد شوارع طهران مع أهداف على رأس رئيس أمان عاموس يادلين ومدير الموساد دغان ووزير الدفاع باراك.



رؤساء الموساد يوسي كوهين (2016 – حتى الآن) ، إلى اليسار ، وتامر باردو (2011–2016). كلاهما استمر في استخدام القتل المستهدف كأحد الأدوات الأساسية للأمن القومي. (المكتب الصحفي الحكومي)

إلى YANA،

الذي ظهر في اللحظة المُناسبة تماماً

Acknoiv'leclgmcnts

على مدى السنوات السبع والنصف الماضية من العمل على هذا الكتاب كان من حُسن حظي وشرفني أن ألتقي بعدد من الأشخاص الرائعين والموهوبين والحُكماء وحنين القلوب الذين قدموا لي دعمهم ونصائحهم الجيدة على طول الطريق.

إنني مدين بشُكر عميق لجويل لوفيل وآندي وارد، اللذين أرسلوا لي في 11 مارس 2010 البريد الإلكتروني الذي كان بداية كل شيء، وسألني عما إذا كنت أرغب في كتابة كتاب عن الموساد. كان شاحار الترمان وهو صديق مُقرب ومُحرر كتبي بالعبرية، هو من اقترح أن نُركز على تاريخ استخدام إسرائيل للاغتيالات وعمليات القتل المُستهدف، أصبح جويل مُحرراً في مجلة نيويورك تايمز حيث عملت معه بشكل وثيق، إنه شخص يأخذ المخطوطات ويجعلها ناعمة ومُمتدة بإحكام إلى مُستوى كمال الملاءات على السرير في غُرفة فُندق من الدرجة الأولى "استعارة استخدمها ديفيد ريمينك"، لم يتخل آندي وارد عني وعن كتابي قيد الإعداد حتى بعد أن أصبح رئيس تحرير في راندوم هاوس، وبطريقته الهادئة والواثقة والحازمة قاد آندي المشروع حتى النهاية.

أود أيضاً أن أشكر الأعضاء الآخرين في فريق "المنزل العشوائي" على مُساهماتهم ومساعدتهم الهائلة، وخاصة شون فلين لتحرير المسودة الأولى وصمويل نيكولسون على عمله على المسودة النهائية، كلاهما مثالان رائعان لسُلالة نادرة من المُحررين المُتميزين الذين وضعوا في كثير من الأحيان، ما أريد أن أقوله بالضبط في كلمات أفضل بكثير مما يمكنني أن أصيغ ذلك.

شكر خاص لوكيلي في الولايات المتحدة رافائيل ساغالين الذي راقب كُل مرحلة من مراحل عملي بعناية ومسؤولية، مثل الأب الذي يعتني بطفل يعاني من مشاكل انضباطية خطيرة، عند الضرورة كان قادراً على إعادتي إلى المسار الصحيح وتهدئة كل أولئك الذين تمكنت من إزعاجهم بسبب عدم الالتزام بالمواعيد النهائية عن المدة المُتفق عليها في الأصل.

عمل معي أربعة أشخاص عن كثب خلال مدة كبيرة من الوقت الذي قضيته في تأليف الكتاب: كان روني هوب أكثر من مُجرد مُترجم للغة العبرية، كان صديق وزميل مُحترف كانت مشورته بشأن الشكل والمحتوى لا تقدر بثمن، لقد عمل بتفان كبير على النُسخ الأولية المُختلفة للكتاب غالباً في ساعات قاسية وغير عادية من النهار والليل، أود أيضاً أن أشكر روني للتوصل إلى عُنوان الكتاب.

كانت لباقة وحكمة "**يائيل ساس**" مُديرة مشروع الكتاب في إسرائيل لا مثيل لها، كانت تعتني في التعليقات الختامية والببليوجرافيا وهذا الاعتناء ذو أهمية كبيرة، وعملت على ذلك بتوازن ومهارة كبيرة وضمنت جواً هادئاً ومُمتعاً وعملياً مكنني من إنهاء العمل.

عمل "**د. نداف كيدم**" كُمدقق للحقائق ومُستشار أكاديمي في كتاب مليء بالتفاصيل السرية مثل هذا يكاد يكون من المُستحيل الوصول إلى حالة لا تشوبها شائبة، لكن العمل الذي قام به د. نداف ومحرري النُسخ "راندوم هاوس، ويل بالمر، وإميلي دوف" جعل الكتاب خالياً من الأخطاء كما كان مُمكن تصوره.

كان عقل " عدي إنجل" اللامع بشكل استثنائي ومعرفته وتفكيره العميق ورؤيته لا تُقدر بثمن في تشكيل هيكل الكتاب، أعتقد أن الروح التي لا هوادة فيها لالتزام آدي بحُقوق الإنسان تسود صفحات هذا الكتاب.

أشعر بامتنان عميق لهؤلاء الأربعة ولا يمكنني المُبالغة في بصمتهم على الكتاب.

ساعدني "كيم كوب'ر و"آدم فيتال" في جهودي الأولى للعمل في الولايات المتحدة، إن مشورتهم الممتازة وإيمانهم المُبكر بالمشروع يمنحهم حصة كبيرة من الائتمان للمُنتج النهائي، شجع" ريتشارد بلبلر" عملي على الكتاب وعلمني تلك الكلمة الهامة جداً باللغة اليديشية في الوقت المُناسب تماماً، بفضل "دان مارغليت" و"إيهود أودي" وكلاهما على دراية وحكمة لقراءة المسودة وتقديم رؤى قيمة للغاية.

وكل الشّكر "أ.د. تشين كوجل" لمُساعدته في فك شفرة كتابات الأستاذ أوتو بروكوب (الذي أجرى تشريحاً لجُثة وديع حداد)؛ وإلى "فانيسا شليسيه" التي ساعدتنا في الترجمة من الألمانية

وساعدتني أيضاً في إعادة بناء مُحاولة اغتيال خالد مشعل في عمان، هذا هو المكان للتعبير عن امتناني لطبيب العائلة المالكة الأردنية الدكتور سامي ربابة لمساعدتي في الأردن.

كان عدد من الصحفيين والمؤرخين والمُصورين جامعيين للغاية وساعدوني بالمشورة والمواد الأرشيفية: "**إيلانا ديان، إيتاي فيريد، يارين كيمور، يورام ميتال، شلومو ناكديمون، دوف ألفون، كلاوس ويجريف، زئيف دروري، موتي غولاني، بيني موريس، نير مان، شاحار بارون، يوآف جيلبر، إيهود يعاري، زيف كورين، أليكس ليفاك، والراحل آرون كلاين**" نتوجه بالشكر أيضاً إلى "تال ميلر" و"ليئور يعقوبي" على أبحاثهما في المراحل المُبكرة وإلى "حاييم واتزمان، وإيرا موسكويتز، وديبوراه شير، للترجمة والتحرير خلال تلك الفترة، هذا هو المكان المُناسب لذكر الدعم الطويل الأمد والصداقة مع "عيران زمورة ويورام روز"، أصحاب كنيريت زموربيتان، التي تنشر كُتبي في إسرائيل، وشموئيل روزنر رئيس تحريرها.

قدم لي المحُامون إيتان ماعوز، وجاك تشين، ودفوراه تشين نصائح جيدة ومُهمة في مُختلف الأمور القانونية.

كانت رحلاتي بحثاً عن معلومات حول العمليات الإسرائيلية السرية تزودني الآن بواجب مُمتع يتمثل في تقديم شُكري للعديد من الأشخاص حول العالم: إلى غونتر لاتش، لانتقاء ملفات البحث؛ لروبرت باير والراحل ستانلي بيدلينجتون، لمُساعدتي على فهم أركان وكالة المخابرات المركزية وأركانها بشكل أفضل؛ كريسبين ثورولد وماريان الحاج من المحكمة الخاصة بمقتل رفيق الحريري في لاهاي، بسبب المواد المُذهلة حول فرق الموت التابعة لحزب الله؛ إلى كتيبة المظليين 202 التابعة للجيش الإسرائيلي، للحماية من مُحاولات حماس تفجير المنزل في نابلس القصبة، عقل الهاشم الذي أخرجنا من تبادل لإطلاق النار في جنوب لبنان (والذي كان على يقين من أنه مضاد للرصاص حتى قُتل بعبوة ناسفة تابعة لحزب الله)؛ للمدعي الخاص الأرجنتيني، الراحل ألبرتو نيسمان ، الذي سمح لي بمُشاهدة كفاحه لاكتشاف الحقيقة حول انفجار المركز اليهودي أمان في بوينس آيرس دون أن يعرف أنه سيكون الضحية التالية لتلك الحادثة؛ إلى "J." الذي رافقني إلى منطقة الحُدود الثلاُثية في دولة سيوداد ديل است، وأصر على مُغادرة مسجد ابن عم الأمين العام لحزب الله ؛ إلى كالدر والتون، الذي شارك بأبحاثه الرائدة حول الاستخبارات البريطانية والميليشيات اليهودية السرية في مندوري فلسطين؛ لمُرشدي

في جامعة كامبريدج، الأستاذ كريستوفر أندرو، من أجل خارطة الطريق لوثائق KGB في أرشيف ميتروخين، والتي كان أول من كشفها ؛ إلى "إيثان" و "إفيتش" و "أدفانتج"، الذين قدموا الكثير من النصائح والإرشادات وساعدوني في إنشاء شبكة مُعقدة من الاتصالات التي كانت أساس الكثير من المعلومات التي تظهر في هذا الكتاب.

شُكر خاص وصادق لصديقي وزميلي هولجر ستارك، على مُساعدته في مواجهة مؤسسة المُخابرات والدفاع الألمانية، فضلاً عن الدعم والمشاريع المشتركة والصداقة والعديد من الأسرار التي لم نشاركها ولم نثق بأحد سوى بفريقي ووكيلي في ألمانيا هانا ليتجب، والصحفي والمُحرر جورج ماسكولو، بشكل كبير في نشر الترجمة الألمانية لكتاب DVA / Spiegel. شكراً جزيلاً لكليهما، وكذلك لموظفي DVA، وخاصة جوليا هوفمان وكارين جوداس.

حاول الباحث الزين الأستاذ جاكوب راز وهو شخص متنور حقاً أن يُعلمني فن الإيجاز، حجم الكتاب نصف طول المسودة الأصلية وهو دليل على نجاحه جزئياً على الأقل.

أخيراً أشكر الأشخاص الذين قابلتهم ومصادرهم على الوقت والجُهد والاستعداد وفي بعض الحالات، المخاطر الكبيرة التي تحملوها على أنفسهم، وهذا يشمل أولئك الذين انتقدتهم بشدة وأولئك الذين جعلت وصفاتهم لأفعالهم دمي تخثر، لقد فتحوا جميعاً ذكرياتهم وقلوبهم أمامي لذلك يمكنني أن أرى وأخبر قرّائي عن الصدام المحتوم والعنيف والذي لا يمكن التوفيق فيه بين حاجة الأمة للدفاع عن نفسها والمبادئ الأساسية للديمقراطية والأخلاق.

يعود الفضل في أفضل أجزاء الكتاب إلى جميع الأشخاص الذين ذكرتهم أعلاه، الأخطاء كلها لي، ومسؤوليتي.

مُلاحظات

مُلاحظة مأخوذة من المصادر

مساع لإقناع جهاز الدفاع الإسرائيلي يسمح أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الدفاع (الذي يتضمن أرشيف أمان) بالوصول إلى عدد قليل فقط من الملفات وفيها فقط المواد التي نشأت في وسائل الإعلام المفتوحة وبعبارة أخرى، لا توجد وثائق أصلية ذات صلة.

وافق الشاباك على إرسال عدد من الجداول المتعلقة بالهجمات الإرهابية وبيانات حول عدد قليل من الإرهابيين، لكنه رفض الكشف عن أي حقائق حول أفعاله، لا يُحافظ الموساد على أي علاقات مع وسائل الإعلام، كما فشلت الجُهود المبذولة لتأمين تعاون قسم العمليات الخاصة في قيسارية، رداً على طلبي لإجراء مقابلة أخبرني مؤرخ الوحدة "Y" حتى لو كنت آخر شخص في مؤسسة المُخابرات فلن أتعاون معك بأي حال من الأحوال، أنا أحتقر كُل من أعطاك رقم هاتفي كما أحتقرك". (تبادل الرسائل النصية مع واي، 15 آب 2015).

إلتماس للمحكمة العُليا عريضة إلى المحكمة العليا [باجاتز] 07/4801 ، د. رونين بيرغمان ويديعوت أحرونوت ضد رئيس الوزراء أوجفيتش مُدير عام وزارة الدفاع، الموساد ومدير الموساد، الشاباك ومدير الشاباك ولجنة الطاقة الذرية.

جهاز الدفاع لم يكتفِ بالجلوس أدى البحث إلى الكشف عن أي نشاط تجسس من قبل أشخاص مقربين من رئيس الأركان ضد وزير الدفاع إيهود باراك، والتي تم وصفها لاحقًا في كتابي The Pit (الذي كتبه مع الصحفي دان مارجاليت).

أوري مسجاف، "ضغوط مساعد الرئيس السابق غابي أشكنازي على الشاباك لفتح تحقيق ضد صحفي" هآرتس ، 29 نوفمبر 2013. ريتشارد سيلفرشتاين ، "رئيس جيش الدفاع الإسرائيلي يهدد بالتجسس لفضح الفساد العسكري المستشري" ، تيكون أولام ، 20 ديسمبر، 2013

https:// www. richardsilverstein.coin/201 /12/20/idf

لا شيء من آلاف المقابلات تم إجراء معظم المقابلات بعد بدء العمل على الكتاب في عام 2010 وتم إجراء عدد أقل كجُزء من بحث لمشاريع أُخرى في العقدين السابقين، لم يتم مُعاقبة أي منهم رسمياً.

مقدمة:

لم يكن لدى داغان أي حُب لوسائل الإعلام الذين كانوا يجرون معه مُقابلات صحفية مئير داغان، 29 مايو 2013.

مما يجعله غاضباً جداً بسبب هذه التقارير المنشورة عني أمر داغان رئيس الوزراء إيهود أولمرت، الشين بيت بإجراء مُراقبة شاملة للعثور على مصدر التسريبات بما في ذلك التنصت على هواتف رؤساء فرق الموساد المختلفة وفي أعقاب هذا التحقيق أطاح دغان بنائبه آنذاك، واتهم بتسريب المعلومات رغم إنكاره الشديد، رونين بيرجمان ، "الفصل في القيادة العليا للموساد"

أدى البحث إلى الكشف عن أي نشاط تجسس من قبل أشخاص مقربين من رئيس الأركان ضد وزير الدفاع إيهود باراك، والتي تم وصفها لاحقًا في كتابي The Pit (الذي كتبه مع الصحفي دان مارغاليت).

أوري مسجاف ، "ضغوط مساعد الرئيس السابق غابي أشكنازي على الشاباك لفتح تحقيق ضد صحفي" ، هآرتس ، 29 نوفمبر 2013. ريتشارد سيلفرشتاين ، "رئيس جيش الدفاع الإسرائيلي يهدد بالتجسس لفضح الفساد العسكري المستشري" ، تيكون أولام ، 20 ديسمبر ، 2013 ، يديعوت أحرونوت ، 10 يوليو 2007.

مقابلة التوتر بين الرجلين مع "إيلي" يونيو2014، و "نيتشه"، يوليو 2007.

الأرقام تتحدث عن نفسها وتتعلق هذه الأرقام بجميع عمليات الاغتيال والتي جمعتُ معلومات عنها في البحث الذي أجري لهذا الكتاب، والتي ورد معظمها فيه، ومع ذلك فإن حساب الأرقام مسألة مُعقدة، لأنه في بعض الأحيان يكون هدف العملية مختلطاً بين مكاتب ومُجمعات العدو وأشخاص محددين، العدد هُنا يتضمن تحركات جبهة تحرير لبنان من الأجانب.

منظمة إرهابية كانت إسرائيل تديرها في لبنان في الأعوام 1980-1983 ، والتي هاجمت بمفردها العديد من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية والمدنيين الفلسطينيين ، بالإضافة إلى المحاولات الفاشلة لعملية سالت فيش لقتل عرفات ، والتي أودت بحياة العديد من المدنيين. نظرًا لأنه لا يمكن الوصول إلى الكثير من المواد المحجوزة في خزائن مجتمع الاستخبارات فإن التقدير هنا هو تقدير متحفظ. ربما تكون الأرقام الفعلية أعلى بكثير.

خلال الانتفاضة الثانية تقول مصادر في الشاباك إنه خلال فترة الانتفاضة الثانية، مقابل كل عملية اغتيال نجحت، كانت هناك خمس إلى سبع محاولات سابقة على نفس الهدف باءت بالفشل.

تم إحباط بعضها قبل إطلاق النار، بينما فشل البعض الآخر بسبب تحويل مسار الصاروخ عند رصد مدنيين في منطقة الهدف، والبعض الآخر بسبب ضياع الهدف. خلال عملية الطيور الجارحة، التي بدأت الأعمال العدائية بين إسرائيل وحماس في غزة في عام 2008 بمحاولة زرع "الصدمة والرعب" في القطاع، كان هناك أكثر من ألف عملية تفجير ، بعضها استهدف الأفراد والبعض الآخر إلى المباني والمخازن بس شكله شقق. مقابلات مع إيهود باراك، 1 تموز (يوليو) 2013 ويواف غالانت 1 حزيران (يونيو) 2011 و "أمازوناس" حزيران (يونيو) 2017.

على النقيض من ذلك خلال رئاسة جورج دبليو بوش في مقابلة مع المؤلف (12 يونيو 2016)، جادل تيم وينر، مؤلف كتاب تراث الأوجاع ، التاريخ الموثق لوكالة المخابرات

المركزية ، بأنه لم تنجح أي محاولة اغتيال من قبل وكالة المخابرات المركزية ضد القادة السياسيين مثل فيدل كاسترو من كوبا. علاوة على ذلك ، توقفت كل هذه المحاولات بعد مقتل جون كينيدي. ومع ذلك ، قال وينر أيضًا أن وكالة المخابرات المركزية استمرت بعد ذلك في المشاركة في توفير المعلومات الاستخبارية والمساعدة التشغيلية لوكلاء الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم ، وأن عدة آلاف من الأشخاص قتلوا على يد هؤلاء الوكلاء نتيجة الدعم المباشر وغير المباشر لوكالة المخابرات المركزية. أثناء التعذيب ، وآخرون خلال نشاط شبه عسكري في حرب الظل التي نفذتها الوكالة حتى نهاية الحرب الباردة. من الصعب للغاية تحديد العدد الإجمالي للقتلى من قبل وكلاء الولايات المتحدة ، لكن وينر قال إنه في حرب فيتنام وحدها ، شمل العدد أكثر من عشرين ألفًا من الفيتكونغ المشتبه بهم. في أعقاب تحقيقات لجان التحقيق المختلفة في أنشطة وكالة المخابرات المركزية ، أصدر الرئيسان فورد وكارتر توجيهات تمنع مجتمع الاستخبارات من القيام بأي عمليات قتل مستهدفة مباشرة أو غير مباشرة. بعد 11 سبتمبر ، استؤنفت عمليات القتل المستهدف ، في المقام الأول عن طريق الطائرات بدون طيار في باكستان وأفغانستان والصومال واليمن. الأرقام المذكورة في النص مأخوذة من مركز أبحاث New America ومقره العاصمة على

https://www.newainerica.org/in-depth/ainericas-counterterrorism-wars/pakistan/.

انتهى